

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية ادبية شعرية مصورة

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

الجزء الثاني | المجلد ٥١ | ربيع الثاني ١٣٨٣ | آب ١٩٦٣

	الموضوع	الكاتب
١٣٠ – ١٣١	بيني وبين القارىء	نزار الزين
١٣٢ – ١٣٤	العلم والعلماء	رئيس التحرير
١٣٥ – ١٣٧	رجاء نرفعه الى المراجع الكبار	محمد جواد مغنية
١٣٨ – ١٤٠	صل على النبي وآله	ابراهيم بري
١٤١ – ١٤٤	احمد عارف الزين	خضر عباس الصالحي
١٤٥ – ١٤٨	الدكتور محمد اقبال	شريف المجاهد
١٤٩ – ١٥٩	من زوايا التاريخ اللبناني	علي الزين
١٦٠	الأنانية الحمقاء	حسن طراد العاملي
١٦١ – ١٦٢	زاوية مظلمة من التاريخ	نجيب صعب
١٦٣ – ١٦٧	من أوسع مقابر العالم	محسن عبد الصاحب المظفر
١٦٨ – ١٧٢	هل تتحول القارات	محمد أديب الزين
١٧٣	الربوات المقدسة	محمد القريني
١٧٤ – ١٨١	عبد الكريم الخليل والمنتدى الأدبي	توفيق علي برو
١٨٢	من وحي الجمال	محمود صالح
١٨٣ – ١٨٧	اعمال الصيرفة عبر التاريخ	زيد الزين
١٨٨ – ١٩١	رحلة استطلاعية	سعيد صباح
١٩٢ – ١٩٨	عهد البكوات في جبل عامل	محمد كامل شعيب العاملي
١٩٩ – ٢٠٢	شعراء من جبل عامل	علي ابراهيم
٢٠٣ – ٢٠٨	ارادة الشعب	خضر عباس الصالحي
٢٠٩ – ٢٢٤	ابواب العرفان : سير العلم ، التقريظ والانتقاد ، الصحة ، اهم الأخبار والآراء .	

البترول : وسيلة الى حياة افضل

ان الترابة (الاسمنت) المنتجة محليا تحل الآن محل حجارة البناء والخشب في تشييد بنايات ومساكن حديثة ، في ارجاء الاقطار العربية كافة . وانتاج الترابة يتطلب المرور بعمليات تسخين على درجة كبيرة من الحرارة تهيأت ، في معظم الاحوال، باستخدام زيوت وقود رخيصة التكاليف .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

بيني وبين القارئ

بقلم : نزار الزين

قارئي العزيز :

بين المجلة وقرائها صلة وصل روحية اكثر مما هي مادية ، ولذلك فان القارىء او الصديق هو الذي يكتب الى صاحب المجلة يصارحه بآرائه وأفكاره مبيناً بوضوح مايريد منتقداً بصراحة مدعومة بالقواعد والبراهين ، أما الذين يتكلمون في غيابك مع انهم يجتمعون بك ، والذين في حضورك يضعونك في السماء السابعة ومجلتك لا مثيل لها ، ثم اذا غبت عن أبصارهم خطر لهم أن يعلقوا وأن ينتقدوا لأنه لا يوجد من يفند مزاعمهم ، هؤلاء يتكلمون ليقول الناس انهم يفهمون ، لا ليضعوا النقاط على الحروف ولا ليصيبوا كبد الحقيقة .

مشترك سجّلناه بفخر بين مشتركي مجلة العرفان منذ سنة تقريباً هو من أحب المشتركين إليّ لانه يطالع المجلة باستمرار ، ثم انه فهم علي ما أريد وان اختلفت وجهة نظرنا في بعض المسائل .

يجد القراء كتابه منشوراً في باب « آراء القراء ومشاكلهم » الذي أوجدناه في العرفان بناء على طلبه ، وسنجتهد في المستقبل ان شاء الله في تحقيق مطلبه الثاني الذي هو من ضمن برنامجنا ومخططنا ولكن المادة تقف للآن حاجزاً ؛ الا وهو ايجاد المسابقات في مواضيع هامة . واما قضية الطائفية فمع انه كتب على المجلد الاول للعرفان : «وجدت لخدمة الشيعة اولا» فالعرفان في خدمتها للعلم والادب ليست لطائفة دون اخرى ولا لدين دون آخر ، وهي اول من رفع الصوت مطالباً بالوحدة العربية . ثم انها حين تطالب بحقوق الشيعة لا في لبنان فحسب بل في جميع اقطار العالم انما تفعل ذلك لا اعتباطاً بل مستندة الى نظريات علمية

حديثة والخلاصة إن العرفان تدافع عن الدين وهي ليست مجلة دينيــة وتدافع عن المذهب وتطالب بحقوق الشيعة وهي ليست مجلة طائفية ، وكيفية ذلك ؟هذا ما سنبينـــه بوضوح في مقال خاص مفصل في أحد اعدادنا المقبلة . اما ان يُقبل عليها الناس من كافــة المذاهب والمشارب حتى ولو خلت من اي بحث ديني او مذهبي او من دفاع عن الشيعة فهذاموضوع بحث وتساؤل ايضاً ، ولماذا : لان في بلادنا الإسلامية والعربية « مركب نقص » لا ندري متى يُقتلع من الجذور ؟!

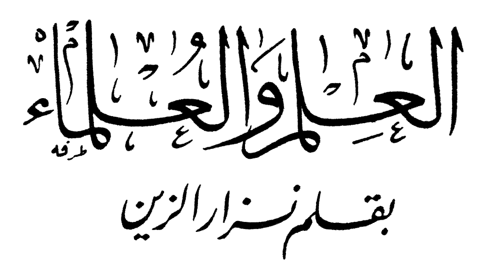
والعرفان تدافع عن العروبة رغم انها لا تنتمي الى اي حزب من الاحزاب التي تدعي اليوم انها هي وحدها تحمل لواء العروبة ، وندافع عن لبنان لان الفرقاء فيــه مع العرب اجمعين رضوا بأن يبقى لبنان « سويسرة الشرق » وهي ايضاً وربما اتهمها بعض المارقين لاجل ذلك بالرجعية والجمود والمحافظة تدافع عن تراثنا المهم ألاوهو «اللغةالعربيةالفصحى» واذا رجعنا الى الامثلة والشواهد التي تزخر بها المطالعات والاستقراءات التاريخية نجد انها تدحض كل حجة واهية تزعم ان عالمية الفكر العربي ، سبيلها : تدويل اللغةوتحطيم حروفها وقواعدها وهم لا يقصدون بدعوتهم الا اذلالها وقطع تيارها عن منابعها . لان السلطـــان السياسي هو الذي يفرض ابداً لغته كما فرض العرب لغتهم على الروم والفرس ، فجعــلوا العربية لغتهم ، لانها لغة الدولة الظافرة .

واذا كانوا يضربون المثل بالدولة التركية فهذا خطأ فاضح لأن للدولة العربية شأن آخر في التماس النور والحرية والحياة ، فقد تتزيى الطورانية باللاتينية فتنسلخ عن دينها لا عن حريتها ، ولكن العربية لا تستطيع الإنسلاخ عن نفسها بحجة حريتها الا إذا غامرت بهماً معاً نفسها وحريتها .

قارئي الكريم:
والنتيجةإناهنا للدفاعِ عن الدين،عن المذهب،عن العروبة، عن اللغة ، عن لبنان ،وبكلمة مختصرة عن الحق .

فابعث لنا بآرائك ومشاكلك فسنبحثها على ضوء الحقيقة والواقع ، بمنظار العلم والمنطق وإلى اللقاء .

نزار الزين



بقلم نزار الزين

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
قرآن كريم
اطلبوا العلم من المهد الى اللحد
حديث شريف

ما من رجل في القرن العشرين حتى ولو كان جاهلا الا ويقدر العلم فكيف بالمثقف الذي ذاق طعمه وعرف لذته . ولذلك فلا يجب ان يشك احد بأنا نقدر العلم ونعتقد ان له مكاناً رفيعاً علياً ونحن لهذا نقدر العلماء حملة العلم من الوجهة العلمية عدا الوجهة الدينية فمن أبرز ما يمتاز به الاسلام عن غيره من الأديان انه قسم واجبات المجتمع تقسيماً عادلا حكيما وجعل هذه الواجبات موزعة بين الأفراد جميعاً ، لا منوطة بفرد واحد ولا هيئة واحدة ، وهناك فئة جعل الله واجبها اكبر من كل واجب ومنزلتها أعز من كل منزلة ، وسلطانها فوق كل سلطان ، اولئك هم العلماء ورثة الأنبياء و(سراج العباد ، ومنار البلاد وقوام الأمة وينابيع الحكمة ، وغيظ الشيطان ، بهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر اذا انطمست النجوم تحيروا واذا اسفر عنها الظلام ابصروا) هؤلاء هم الذين جعلهم الله موازين الحق في خلقه يردون الباغي ويرشدون الضال ويعلمون الجاهل ويقفون سداً منيعاً دون فشو الظلم وطغيان القوة وانتهاك حرمات الله سواء كان من ينصحونه او يردونه او يعلمونه حاكماً جمعت في يديه القوة او غنياً عظمت لديه الثروة او ظالماً رسخت قدماه في الظلم والعدوان فكلهم في الحق سواء وكلهم في نظر العلماء يستوجبون النصح والإرشاد والأخذ بأيديهم الى سبل

(١) كنا نوينا ان نطوي هذا الموضوع الذي اضطررنا الى اثارته ولكن فلسفة البعض الفارغة جعلتنا نعود الى معالجته .

السداد . أرأيت مثل هذه المكانة السامية اعطيت لفريق غير العلماء ، أرأيت سيادة كهذه التي اوتيها العلماء ؟ فهل ترى بعد ذلك عجباً ان يحصر الله خشيته بهم ويقصرها عليهم دون الناس أجمعين فيقول (انما يخشى الله من عباده العلماء) ويرفع من شأنهم بقوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) . ان واجب العلماء عظيم ومنزلتهم كبيرة ولقد ادرك علماء السلف في جبل عامل هذا الواجب الملقى على عاتقهم والمكانة السامية التي وضعهم الاسلام فيها فعرفوا كيف يؤدون الواجب وكيف يستعملون الحق ، وكيف يصونون هذه المكانة ويأبون ان يتخلوا عنها لغيرهم ، فأتوا من جلائل الأعمال ما جعلهم زينة مجتمعهم وموضع احترامه وتقديسه ، وما اضطر التاريخ لأن يفسح لهم في سجلاته فيسطروا بها صفحات من نور تملأ الأبصار اشراقاً وضياء ، ولا احسب احداً من القراء الكرام لا يعرف ولو شيئاً بسيطاً عن العلماء الاعلام الشيخ موسى شرارة والسيد حسن يوسف والشيخ عبد الله نعمة والشيخ محمد علي عز الدين والسيد علي محمود والسيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين ، والشيخ احمد رضا ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ احمد عارف الزين اولئك علماء حفظوا دينهم وخدموا شعبهم وقاموا بواجبهم نحو امتهم ففتحوا المدارس ووعظوا وأرشدوا ولم يبيعوا آخرتهم بدنياهم فحازوا رضا الخالق والمخلوق ولا يمكن لاحد ان يذكرهم الا بالثناء فان الذهب لا يمكننا ان نقول عنه قصديراً ولا النور ظلاماً . اما بعض علماء هذه الأيام فإنهم يتكالبون على الدنيا ولا يحفظون مقامهم فيتقربون من الزعماء ولو كانوا على باطل ويتزلفون الى اولي الأمر الذين ليسوا منا ، وغير ذلك من الأمور التي لا تليق برجل الدين ، وانا لا أريد ان اسمي اشخاصاً لا رغبة ولا رهبة ولكن حرصاً على سمعة الدين ورجاله بل سأشير الى ما آخذه عليهم وهم من الذين تكفيهم الاشارة فيعرف كل منهم ما جنت يداه . ونأمل الا يضطرنا البعض بشعوذاتهم واضاليلهم الى تسمية اشخاص .

فهذا فلان اراد ان تكون له او لابنه وظيفة من وظائف العلماء سعى لها بكل جهده وتقرب الى من بيدهم التوظيف بأعمال لا يقرها الاسلام وأراق ماء وجهه على سبيل يذهب بالعزة والكرامة حتى اذا نالها انقلب على الدين والشعب حرباً عواناً وأخذ يساعد الفجار على المؤمنين تحت ستار العلم والدين ، فيا لبؤس العلم اذا كان هذا من أدعيائه .

وهذا فلان الثاني بلغ من حبه للمال ان كان يتلاعب بأحكام الدين فيحرم الحلال ويحلل

الحرام وفق ما يشتهي السائل اذا ما دفع له شيئاً من المال .

وهذا فلان الثالث لا يتورع عن أكل الاموال التي لا تحل له تحت ستار ما غير متحرج ولا متأثم إن تعزى به في الدنيا فلن يغنيه عند الله شيئاً .

ان الذين يتخذون الدين سلما للدنيا لا الدنيا سلماً للدين ، هؤلاء قد طردهم الاسلام من حظيرته.

ان في القلب من أمثال هؤلاء جروحاً مضنية ولو زدت على ذلك ما نلحظه في كثير من العلماء من غيبة ونميمة وتخاصم على الدنيا وتزلف للحكام وحرص على تبكيت بعضهم بعضاً وانتقاص كل من اقدار الآخرين .

ولولا ان في الفؤاد رادعاً من الدين وخشية من الفضيحة لصرحت لك بكثير مما يبكي ويؤلم وسميت لك أسماء علماء يحسبهم البعض وخصوصاً من اخواننا في المهجر قديسين وهم من أعوان الشيطان . فحسبك الآن ما سمعت ، والى الله الشكوى مما عمت به البلوى .

ولست ازعم ان جميع علمائنا اليوم كما وصفت لك ايها القارىء الكريم ففيهم من لا يزال على ما عهد في العلماء من ورع وتقوى وابتعاد عن الدنيا وشهواتها ولكن كم نود لو ان الجميع كذلك . ولا اظنهم بعد ان رأوا وأحسوا بضرر الطريق التي يسيرون عليها الا ان اكثرهم يعود الى طريق الصواب والرجوع عن الخطأ فضيلة واما نحن فنقول لهم :

فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي فسائله لم بقي

فنرجوهم وندعوهم ان يتعاونوا ويتحدوا ويشتغلوا فيما ينفع الطائفة ونحن جنودهم وخدامهم ونتشرف بأن نمدحهم ونثني عليهم على كل عمل طيب يعملونه .

وهناك موضوع أحب البحث فيه بمناسبة كلامي عن العلماء وهو : اختلف البعض في النظريات فمنهم من قال ان رجال الدين يجب ان لا يتداخلوا في السياسة ، ومنهم من قال لا مانع من تدخلهم في السياسة . أما أنا فأقول : بما انه من الواجب على العلماء خدمة امتهم وبلادهم فمن المتحتم عليهم ان يراقبوا اعمال الزعماء فان كان هؤلاء يقومون بواجباتهم نحو شعبهم فالأحسن أن ينصرف رجال الدين الى الوعظ والإرشاد وان كان الزعماء كما في جبل عامل يخدمون مصالحهم فقط ويسيئون الى بلادهم فيجب على العلماء ان يمشوا امام الشعب ويقودوه الى ما فيه خيره وصلاحه .

رئيس التحرير

رجاء نرفعه الى المراجع الكبار

في النجف الاشرف

بقلم : محمد جواد مغنية

من المسائل التي درسناها في النجف الأشرف ، وأجمع عليهـــا المدرسون والمؤلفون ، حتى أصحاب الرسائل العلمية ، هذه المسألة : لا اجتهاد ولا تقليد في البديهيات واليقينيات ، كوجوب الصوم والصلاة .

وقال آية الله الحكيم معلقاً على ذلك في اول الجزء الاول من « مستمسك العروة » ،قال ـ ما معناه ـ (١) : ان الاجتهاد هو بذل الجهد للبحث عن الحكم المجهول ، والتقليد هو الأخذ برأي الغير فيما لا يعرفه المقلد ، فاذا انكشف الواقع ، وظهر كالشمس لا يبقى مجال للاجتهاد ، ولا للتقليد ، كما هي الحال في وجوب الصوم والصلاة ، والحج والزكاة .

وايضاً من البديهيات التي لا مجال فيها للاجتهاد والتقليد ، تماماً كوجوب الصلاة ان الحياة الدينية في عصرنا تتدهور يوماً فيوماً ، ولحظة بعد لحظة في جميع البيئات والأوساط ،سواء في ذلك أوساط الشباب والشيوخ ، والنساء والرجال ، والبيوتات الدينية بالقياس الى ماضيها البعيد والقريب .

وايضاً من اليقينيات التي لا شك فيها ، ولا ريب ان الهيئة الدينية يتحتم عليهـــا ان تقوم بعمل ما .. حيال هذا التدهور .. وعلى الأقل أن تتفرغ للتأمل والنظر فيما ينبغي ان يعمل من أجل الدين في ضوء التطورات والأسباب التي أدت الى ضعف الايمان وسلطانـــه في النفوس .

لقد هلع المجتمع البشري من التجارب الذرية واشعاعها المدمر ، وغبارها الفتاك .. وان خطر هذه النزعات الالحادية ، والتيارات الاباحية التي تستخف بالدين وبالقيم لا يقل عن أخطار الذرة وتجاربها .

وقد أحس بهذه الأخطار مسؤول كبير عن الحياة الدينية ، فجزع وهلع ، تماماً كما جزع من الذرة وأخطارها .. لذا اهتم وفكر في التدابير ، وفي عقيدتي انه اهتدى الى طريق النجاح

---

(١) وهذي عبارته بالحرف الواحد : « من المعلوم ان الحكم الظاهري يختص جعله بحال الشك ،فيمتنع جعل حجية رأس الغير مع العلم بالواقع » وما ذكرناه تفسير لهذه الجملة او الفقرة .

واستطاع ان يدل عليه بدون عناء ، حيث علِم علْم اليقين انه لا يستطيع تبديل الحيـاة الاجتماعية ، ولا تعديلها بحال ، فانصرف الى التفكير ووضع الخطط لتحسين الحياة الدينية وتقويتها ، ودعمها ، حتى تستطيع الصمود امام جميع التيارات والنزعات ، ما كان منها ، وما يكون .. ولتتأكد من هذه الحقيقة اقرأ معي هذا التصريح للبابا الجديد ، فاني قرأته في صحف يوم ١٩٦٣/٨/١١ وقد جاء فيه :

« ان الحياة الدينية وصلت الى مرحلة من الأزمة تتطلب تضحيات تدعو اليها اللحظات العظيمة » ..

ان المشكلة : هل سيؤدي التطور الاجتماعي الى انهيار الحياة الدينية ؟.. ان انطباعاً قد تولد لدينا منذ ان بدأت ولايتنا بأن احوال مجتمعنا تعرض الحياة الدينية للخطر والازمة .. ان عصرنا الحاضر حاسم يدعو الى بذل جهود كبيرة ، تضع على كاهلنا مهمة الدفاع والتجدد كما تدعو الى الاخلاص والتضحية التي تتطلبها اللحظات العظيمة .. فمن الضروري ان يتسم الارشاد الديني بالوضوح والاصالة والحيوية .. فالضرورة تحتم علينا ان يعرف كل عامل بأنه محبوب من جانب الكنيسة » .

لاحظ البابا ان الحياة الاجتماعية في هذا العصر بأوضاعها ومحتوياتها تعرض الحياة الدينية للخطر ، وان عليه بمقتضى منصبه ومركزه ان يجاهد ، ويضحي باخلاص لدعم الحياة الدينية ومساندتها قبل ان تتصدع وتنهار ، وان الطريق الوحيد لحفظها واستمرارها ، واقبال الناس عليها ان تتحقق امور ثلاثة :

١ ـ ابراز الحياة الدينية بلغة العصر الحديث ، واسلوب واضح يقربها ويحببها الى النفوس والقلوب بعد ان تفهمها بدون جهد وعناء .

٢ ـ دعم الإرشاد الديني بالمنطق المألوف لدى كل الناس .

٣ ـ الحيوية ، وقد اوضحها البابا بقوله ان يفهم كل عامل لخير كائناً من كان انه محبوب ومقدر من جانب الكنيسة .

توصل البابا الى هذه النتيجة بعد التأمل والدراسة العميقة الدقيقة للحياة الدينية في ضوء الحياة الاجتماعية وتطورها الحاضر الحاسم .. فما بالنا نحن المسلمين لا نـدرس ولا نفكر ونحاول ، كما حاول غيرنا ؟.. هل نعجز عن التفكير او عن تحقق هذه العنـاصر الثلاثـة الوضوح والاصالة والحيوية ؟.. وهل القصور او التقصير فينا او فيما نعتقـد ؟.. كلا .. والف كلا ... ان الذي يعوزنا شيء آخر ... ويتضـح هذا الشيء الذي نحتاجـه من الحكاية التالية :

حدثني اخ كريم ان تاجراً طيباً غيوراً على الدين ذهب الى مرجع من المراجع ،وقال له: ان لدي حقاً مالياً ، فهل تأذن بشراء كمية من الكتب الحديثة ـ التي أخذت على كاهلها الدفاع والتجدد ، واحتوت على الوضوح والاصالة والحيوية ـ لتوزع على من يحتاج اليها ويستفيد منها بالمجان . فقال المرجع : كلا .. فقال التاجر المؤمن : هل تأذن ان اشتري منها كمية ، واعرضها للبيع بنصف الثمن ، ليسهل تناولها على الراغبين ؟ قال المرجع لا :

وبالمناسبة حدثني الأخ المهذب السيد عباس الخوئي نجل آية الله السيد ابي القاسم ، قال: كنت ماراً في أحد أسواق بغداد انا ورفيق لي ، فرأينا الكتب المذكورة معروضة للبيع ، وسمعنا رجلا يخاطب آخر بقوله : اشترِ من هذه الكتب ، فانها مفيدة من الوجهة الدينية.. فقال المخاطب انا امي لا اقرأ ولا اكتب .. فقال صاحبه : وان يكن .. اشترها ، وهبها لمن يقرأ ، لتشجع المؤلف ، كي يستمر في خدمة الدين والحق .

وهكذا الشرفاء الطيبون المجردون يناصرون الحق ، ويشجعون اهله ، لا لشيء الا بدافع من فطرتهم الصافية ؛ وعقيدتهم الصادقة .. وكفى بهؤلاء قوة وأنصاراً ، فقد كانوا العدة والعمدة للأنبياء والمرسلين، والأئمة الطاهرين ، وأصحاب الرسالة العاملين .

وبالتالي ، فان هذه خاطرة خطرة ، وحسرة انطلقت من حيث لا اريد ، لتنفس عن قلب مكلوم مما يسمع في المحافل والاذاعات ، ويرى في الأسواق والطرقات ، ويقرأ في الكتب والجرائد والمجلات .. واقسم اني حاولت ان احبسها واكبتها ، ولكني ضعفت امامها وعجزت .. وانا اقرأ كلمة البابا وأتأمل معانيها العميقة ومراميها البعيدة واكرر في عقلي ونفسي وقلبي : « ان عصرنا الحاضر يضع على كاهلنا مهمة الدفاع والتجدد،وان الضرورة تحتم ان يرتسم الارشاد الديني بالوضوح والاصالة والحيوية ، وان يعرف كل عامل انه محبوب من جانب الكنيسة » .

وتمنيت متلهفاً لو سمعت هذه الكلمة من النجف التي ادين بولائها ، واضحي بحياتي من اجلها .. تمنيت ان اسمعها من النجف ؛ لأفخر وأعتز ، وانشر واذيع .. فلقد كنت وما زلت اقدس المبادىء الخيرة اينما كانت وتكون .. والف تحية وصلاة على من قال: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها انّى كانت » والله سبحانه من وراء القصد .

رجاء لا اقتراح

ان يخصص السادة المراجع في النجف الاشرف جائزة تمنح لمن الف او يؤلف كتاباً في الارشاد الديني يتسم بالوضوح والاصالة والحيوية على ان يكون المحكمون من رجال الدين وغيرهم ، ومن اهل المعرفة والاخلاص .

محمد جواد مغنية

صل على النبي وآله

نظم : ابراهيم بري

من رأى البدر في أوان اكتماله ... يتخطى الغيوم عبر جباله
يرتقي للعلا رويداً رويداً ... في هنيهات سيره وانتقاله
يسكب النور في الدنى مطمئناً ... من يمين العطاء او من شماله
من رآه، هنا اليه، وصلّى ... بخشوع على النبي وآله

* * *

فعلى البدر من محمد معنى ... من معاني جماله وجلاله
وعلى البدر من محمد فجر ... يعربي بلونه وظلاله
وعلى البدر من مروءات طه ... نهر ماس ينساب في سلساله
تستحم الأرواح في شاطئيه ... ويعبُّ الظمآن من شلاله

* * *

وعلى الأرض .. كل شخص عليها ... عاش في ذهن احمد وبباله
لم يقرب بني العمومة منـه ... لا ولا اهتم في بني اخواله
فالمساواة في حكومة طه ... هي من بعض غرسه وغلاله
نحن أطفاله .. فيا لنبي ... وضع النجم في يدي أطفاله
ورمى ظلمة الجهالة عنهم ... والى الله شدهم بحباله
وكذا الناس للإله عيال ... فبنو الأرض كلهم من عياله
انهم يعملون، واللوح يحصي ... وخلاص الإنسان في أعماله

* * *

خطوات المسيح، سار عليها ... أحمد في جهاده .. في نضاله
حمل الحق مصحفاً في يديه ... ورأى الخلق كلهم من خلاله
فانضوى الكون مطمئناً اليه ... حين ألفى كماله من كماله

فاذا قال ، فالنفوس العطــاشى تستقي الهدى والنهى من مقاله
والصلاة الطهور في شفتيه هاتف يخبر السما عن فعاله
يا لآيات احمد حين تهمي تترك الكون غارقاً بانذهاله
وكأن البيان اقمار ورد نثرت عطرها على اقواله

* * *

ما دعا للقتال والحرب الا عندما الكفر قد دعا لقتاله
يأنف القائد الرسول انهزاماً والاباء العنيد بعض خصاله
انه الذل فادح ، ليس الا هامة النذل ترتضي باحتماله
فوغى المعجزات ، ما انفك يروي العجب عن احمد وعن أفعاله
ولقد سل سيفه العضب لما فاه بالموعظات قبل استلاله
وكذا الند يسكب العطر لما تهصر النار غصنه باشتعــاله
واذا الحلم ضاع حظك فيه فدع السيف ينتضِ من عقاله

* * *

صلة الوصل بين طه وعيسى صلة الشوق في الفؤاد الواله
ذاك من نفحة الإله ، وهذا بعثة الله هديه رأس ماله
غربل الخلق في اكف نبي فهي الخير من كوى غرباله
واتى الأرض ، فهي ترقص جذلى رقصة البشر تحت وطء نعاله
ثم مد الاكف للعالم الفارق في الاثم مسرعاً بانتشاله
امة الارز .. انما الارز يحيا بتآخي صليبه مع هلاله
ان لبنان كرم خير وسلم فلماذا تنأون عن عرزاله
فازرعوا الحب فيه شرقاً وغرباً في ذراه ، وفي سفوح جباله
وليكن في جنوبه الخير يجري مثله في بقاعه وشماله
بكم يستقل لبنان فارعوا في الملمات حرمة استقلاله
لن يمر العدو والشعب صف واحد والاباء درع رجاله

* * *

يا رسول الأجيال سدد خطانا عبر بحر الوجود ..عبر رماله
فلك قيد الشعوب حرر يديهم من اسار الشقاء .. من أغلاله

كيف نسمو الى رواق المعالي ونوال الجوزاء دون نواله
سلبتنا يد الصهاين ملكاً كان كالخلد يزدهي بجماله
فاذا الصحب لاجئون حيارى في وهاد الشقا وفي أدغاله
فحملنا من الهزيمة ، ما لم يك بالطود قدوة لاحتماله
يا لذل الملوك ، كيف تلاشوا عن قتال العدو يوم قتاله
وابن غريون ، واقفاً يتحدى امة العرب في رخيص مقاله
هو كالثعلب المخاتل ، لكن فاق عنه بغدره واحتياله
ساندته سياسة الغرب حتى تتفادى زوالها مع زواله
آفة الكون ، والبليـــة فيه ان تسام الهوان من انذاله

* * *

ايها السائرون .. والليل داج في ظلام الخيال اوفي ضلاله
اسألونا عن الغيوب نجبكم رب غاو ، خلاصه في سؤاله
ان هدي النبي في الأرض باق ويزول الوجود ، قبل زواله
باحتفال الرسول تجديد عهد يا هنا المؤمنين يوم احتفاله
ولد الحق يوم مولد طه فلنصلِ على النبي وآله

ابراهيم بري

ادفنوا الاثنين

المعروف عن النابغة الفرنسي اسكندر دوماس الكبير انه كان مثقلا بأعبـــاء الديون ، وكان يكره مبلّغي دوائر التنفيذ لكثرة ما يلاحقونه من جراء ديونـــه .. وفي ذات يوم جاءه أحد جيرانه طالباً منه أن يسهم في اكتتاب قام به سكان المحلة لدفن مبلّغ مات فقيراً فسأله دوماس : « كم سيدفع الآخرون الذين سيسهمون في الاكتتاب ؟ » فقال الرجل «يدفع كل واحد منهم الف فرنك » . فقال دوماس : « خذ ، هذان الفان ، وقـــل لهم أن يدفنوا مبلّغين اثنين بدلا من مبلّغ واحد » ..

صورة

خليلي : كم ثوب ، وكم من عمامة على جسد ، ما فيه قلب ولا عقل
وكم لحية طالت على فود أحمق أساءت لحى قوم لهم أبداً فضل !
وكم راكب بغلا ، له عقل بغله تأمل تجد بغلا ، على ظهره بغل !

أحمد عارف الزين

ذلك المجاهد الوطني الخالد

بقلم خضر عباس الصالحي

— ٢ —

وتلقى مبادىء العلوم لأول مرة في مدرسة النبطية التي كان يديرها المرحوم العلامة السيد حسن يوسف ، فدرس اللغة التركية والفارسية الى جانب العربية التي نهل من نبعها الصافي وجنى منها ثماراً طيبة ، واطلع على شتى المذاهب والأفكار والنزعـــات ، فزاد رصيده من الفهم والوعي وقوة الشعور بالحياة ، وما يدور في الكون ويجري في المجتمع ،وحسن ادراكه لحقائق النفس البشرية ، ورسخت ثقافاته المتنوعة وازدادت عمقاً واتساعاً في كثير من نواحي الحياة العامة ! وأحاط بالتيارات الفكرية الممثلة لروح العصر ، وتتبع الأحداث السياسية ، والهزات العنيفة التي غيرت وجه التاريخ ومال الى كتابة الأدب وهو في ربيع العمر ، ففي عام ١٩٠٥ شرع يكتب في (ثمرات الفنون) لليازجي و (الاتحاد العثماني) وحديقة الأخبار فساهم في اداء رسالة القلم وتحمل مسؤولياتها الجسام ، وكان أدبه مرآة لحياته وتفكيره وميوله تفيض الفاظه اشراقاً عذباً ..!

وسرعان ما اشتدت شوكته ، وزاد مرانه ، والتمعت في ذهنه ومضات فلسفية،وارتبطت حياته ارتباطاً وثيقاً مع الشعب ، واستلهم تجاربه من واقع الحياة التي اصبحت منبعاً فياضاً لأدبه الجيد السبك ، المحكم العبارة ، ولم تكن الحياة عنده غير حركة دائبة وتجدد متواصل ففتح لها قلبه ، وسدد نحوها نظرة ملؤها التفاؤل والثقة والأمل ، وحينما شعر من أعماقـــه بالاستجابة لمتطلبات الشعب اصدر مجلة (العرفان) الزاهرة في صيـــدا عام ١٩٠٩ وكان يطبعها اولا في بيروت ، ثم اشترى سنة ١٩١١ مطبعة وصارت تطبع في صيـــداء ، وكان

عملا ينطوي على مجازفة بالغة ، الا انها لم تلبث ان اصبحت مدرسة للجماهير ومنبراً للأدباء، ومرآة صافية لأفكارهم ، وسفراً قيماً للحركة الفكرية ولاصطراع التيارات الأدبية في البلاد العربية ، ونبراساً لقوى التحرر الجبارة في العالم ، ولساناً يجأر بالحق والعــدل والمساواة ، تهدي الناس الى نور العلم ، وفتحت أوسع الأبواب وأفسح السبل واقومها للعمل المثمر البناء وتبنت مفاهيم الكفاح السامية ، ورفعت لواء العروبة والإسلام ، وسارت به في طريق الحياة والحرية والانطلاق وفتحت صفحات جديدة في تاريخ الإنسانية ، ومهدت الطريق لادب عربي رفيع أخذ مكانته العالية بين الآداب العالمية الحية ، وأكتملت بها عناصر التقدم والتبلور في الأدب ، والنفوذ الى عوالم النور والمعرفة ، والوقوف بجانب قضية الفكر العربي الحر ، وجمعت بين الفائدة والمتعة الى ابعد حد ، وسعت الى نشر الوعي الفكري والعلم والخــير والمحبة ، وخلق قيم أدبية جديدة متماسكة بوحي متطلبات العصر الحديث،عصر العلم والبحث والتجارب ، وتفجير الطاقات الادبية المبدعة ، واذكاء الروح القومية ، وايقاظ الضمائر الحية وفسحت المجال واسعاً امام الادباء الناشئين ، تشجعهم على المضي قدماً في هذا الطريق السوي للعمل بقوة على بناء ادب عربي تسمو غايته ، ويدعو الى التقدم والتطور ، وتدفعهم للمثابرة على القيام بالاعمال الفكرية المجدية ، وتجنب الخصومات اللامجدية ، والتجرد من الحزازات وتقوية عاطفة حب الخير للجميع ، وتخطي الاقليمية الضيقة ، والتغلب على مصاعب الحياة ، والسير نحو الهدف الاسمى ، وتكريس طاقاته الادبية الخلاقة للاهتمام بالمسائل الاجتماعيــة والمفاهيم الإنسانية الرفيعة ، والتعبير عن اهداف الامة العربية وأمانيها ، والانطلاق عــبر آفاق تجديدية مبدعة !

وهكذا مضت (العرفان) المنبع الفكري الفياض الذي لا ينضب تعمل بجــد وحرارة على إبراز المواهب الفتية والقابليات الادبية التي يلفها النسيان ، واسداء النصــح والإرشاد والتوجيه للأدباء المغمورين وتحثهم على الخلق والإبداع ، وتجيز بهم الى أفق جديد ،فعملت على ظهور طليعة من الجيل الواعي ينادي بسقوط الاستبداد والاقطاعيه والظــلم ، ويؤدي رسالة مهمة هي تحرير مجتمعنا العربي الزاخر بالقلق واليأس والتمزق من ظــلم الاحتــلال الاجنبي ...!

ومجلة (العرفان) تمثل الانطلاق العظيم للفكر المتحرر ، فهي لا تتحرج من نشر مختلف المقالات والابحاث والقصائد حتى ولو كانت تخالف آراء صاحبها ، فغدت منبراً للأقلام المتحررة ، ولعبت دوراً خطيراً في حياة الادباء ، ووجد فيها الشباب اشباعاً مثمراً لحاجاتهم

الادبية ، وشحذت عزائمهم ، وأسدت اليهم يداً بيضاء ، وصارت أداة فعالة في معالجة مشكلات جيلنا القلق الحائر ، والقاء الاضواء الكاشفة على الاحداث ، وفتحت الاذهان على قيم جديدة ، تلك القيم الإيجابية الواعية ، وضمت كنوزاً فكرية ثمينة ، مع سلامة التوجيه ونبل الغاية ، والابتعاد عن الاسفاف والابتذال ، وأضحت مرآة أمينة تنعكس عليها صور الكفاح التي خاضها صاحبها طيلة حياته ، وحملها في عنقه أمانة ، وبذل من ذات نفسه وماله وعرض فيها مفهومه الواعي عن الحياة ، في اطار من مكانة في حقل الصحافة الادبية والسياسية ، ولما حوته من ثمرات الافكار الناضجة وما عالجته من المشاكل الفكرية المعاصرة ...!

وفي سنة ١٩١٢ أصدر في صيدا جريدة اسبوعية اسماها « جبل عامل » ذات رسالة توجيهية بناءة ، تضطلع بمسؤولية الإنسان العربي الذي يشعر بقسوة الواقع ومرارته ، وأصبحت مرآة أحاسيس صاحبها وصورة حياته ، وانعكاس قيمه ومثله ، ودلت دلالة أكيدة على جرأته ، فقد جعل منها ملتقى لاقلام سياسية قديرة اشعلت الوجدان الوطني ، وأعلنت حرباً على الرياء ، وثورة على الدجل ، وكانت العقليات المتحجرة تقف في وجهها سداً منيعاً تحاول أن تشل نشاطها ، وتقبر حيويتها ، لزعزعة الثقة ، وبث الريبة ، وترسيخ اقدام الاستعمار وعملائه في هذه الربوع ، تلك الفئة الضالة التي لا تهمها غير مصالحها ، والتي تسعى دوماً الى طمس الحقائق ، وعدم الاكتراث بها ، واهدار المفاهيم الصحيحة ، وتحطيم مقاييس القيم ، واستهداف مصالح الشعب لإشباع شهوات المطامع والانانيات ...!

في هذه الفترة الصاخبة من تاريخ شعبنا العربي وقد أخذت تتوالى الاحداث عليه ، فان الشيخ احمد عارف الزين وجد لهذه الاحداث صدى في نفسه وفي تفكيره ، وهو الذي اشرب قلبه بحب الوطن ، فرفع راية التمرد ضد الاحتلال العثماني البغيض ، وما جر هذا الاحتلال من ويلات وأهوال ، والذي تركزت حوله منافع العملاء ومصالحهم ، من طلاب الغنائم والاسلاب ، وعباد المناصب المزيفة ، وسلك طريق المغامرة وشن عليهم الحملات الشديدة لإزاحة كابوس الظلم ودرء الحيف النازل على الشعب العربي ، والراسف في قيود الذل والعبودية ، واذكاء روح الثورة في صدور ابنائه ، لكي تتضافر الجهود ، وتتكاتف القوى لتحرير الوطن العربي الكبير من الاستعمار والاستغلال والتبعية ، وقد اعانه يراع بارع يتميز بصراحته النادرة المثال ، قوي الاسلوب ، رصين العبارة ، لاتزعزعه العواصف الهوج ، ولا تؤثر فيه تقلبات الاحداث المثيرة !

وفي عام ١٩١٥ غضب عليه الاتراك وعطلوا الجريدة وقبضوا عليه وساقوه الى الديوان العرفي في عاليه ، وحكموا عليه بالسجن شهراً ونصف الشهر ، وقد سجن في « الثكنة العسكرية » في بيروت ولم يجرأ احد على زيارته في سجنه غير المجاهدين الخالدين المرحومين احمد مختار بيهم ورياض الصلح ...!

ولم يلبث الاتراك ان بيّتوا له امراً خطيراً إذ عملوا على اندلاع النيران في دار (العرفان) وأحرقوها فإذا هي اثر بعد عين ! ويقضي المجاهد العربي الثائر احمد عارف الزين سنة وبعض السنة بين رنين الاغلال في ظلمات السجون ، ورهن المطاردة والتشريد ، يعيش في جو قلق مضطرب !

وعلى الرغم مما يواكب حياته من مشاق وعنت وارهاق ، فقد واصل سيره الحثيث في دربه الطويل الوعر ، وهو في صراع عنيف مع الحياة ، شديد الإيمان بعقيدته ، عميق الثقة بنفسه ، فاشترك بالحركات الوطنية التحررية ، وظل ينادي بالاستقلال حتى وقعت الحرب العالمية الاولى ودخل الفرنسيون الغاصبون لبنان ، فكان في طليعة الشخصيات المعروفة التي حاول المستعمرون الجدد استمالتها وشراء ذممها بالمال والوظائف ، وزعزعة ايمانها بالوطن ، ولكنه رفض جميع العروض المغرية للتعاون معهم : بإباء وشمم ، وفضّل شظف العيش ، وحياة الكفاف والفاقة والبؤس ، على الغنى والجاه والملذات الزائلة ، في الوقت الذي وجد فيه المحتلون عملاء كثيرين يتمرغون على الاعتاب اذلاء صاغرين من اجل الاستحواذ على كراسي الحكم .

وفي عام ١٩١٨ استأنف صدور « العرفان » وكان سيف التعطيل مصلتاً عليها من حين لآخر .

وفي عام ١٩٢٨ كبس الجنود الفرنسيون داره وقبضوا عليه عند انبثاق الفجر ، وكان ضيفه المرحوم الإمام المكافح الخالد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فقال فيه قصيدة تنبع من شعور خالص ، وعاطفة صادقة ، ووجدان يقظ مطلعها :

يعز على الكمال أبا اديب   مسير الليث ما بين التيوس

وساقوه الى المنفى ثم القوه في غياهب السجون ، وبعد عشرة اشهر اطلق سراحه ، فبادر الي اصدار « العرفان » المزدهرة .

بغداد   خضر عباس الصالحي

الدكتور محمد اقبال

بقلم شريف المجاهد

قال المستشرق البارز البروفسور نيكلسون مرة : « لقد جاء اقبال كرسول ، ان لم يكن لعصره بالذات ، فلسائر العصور » .

وكم كان نيكلسون صادقاً في هذا القول : لأن اقبال لم يقم فقط بدور « الشاعر النبي » الذي أنهض شعبه بواسطة أشعاره القوية التي تمجد الذات وزوده بحيويته وإيمانه ، وانما ايضاً تنبأ له بأفق جديد ومصير جديد .

ولد اقبال عام ١٨٧٣ من عائلة متدينة جداً من أصل كشميري في سيالكوت بباكستان الغربية ، وقد اتيحت له فرص واسعة للحصول على علوم الشرق والغرب وهضمها . وقد طلب المعرفة الى اوروبا حيث تمكن من الاطلاع على الآثار الأساسية للحضارة الغربية وتيار الفكر الفلسفي في أوروبا .

وقد كان ان اعترف العالم بشاعرية اقبال عام ١٨٩٩ . وكان متأثراً في المرحلة الاولى من شعره بالأفكار الصوفية ، والرومانسية ، والوطنية . وحاول في ما بعد ان يدخل في اللغة الاوردية التقاليد الرومانسية التي اشتهر بها شعراء ذلك الزمان امثال وردسورث وكوليريدج وكوبر وكتب في مواضيع تتعلق بالطبيعة . ومع ذلك سرعان ما استولت عليه النزعة الوطنية الملحة وأصبح مدافعاً عن القومية الجديدة الصاعدة في الهند .

وقد أتاحت دراساته واقامته في اوروبا من عام ١٩٠٥ حتى ١٩٠٨ مجالات جديدة امام ذهنه ومكنته من ان يدير ظهره دون رجعة الى اتجاهه السابق . وكان ان تحول عن الصوفية (التي اكتشف ان لا مكان لها في الاسلام) ما دامت تدعو الى الحياة السلبية . وكان ان اعترف حقيقة بأن ما جعل اوروبا مزدهرة هي حيويتها ونشاطها الهائلين ، واندفاع شعبها دون هوادة من أجل تحسين أحواله . ومما هو اكثر من ذلك فقد شاهد بنفسه لأول مرة الامكانات الضخمة التي فتحها العلم أمام الناس ، والامكانات التي أدت الى تقدم اوروبا

والتي ما زالت مجهولة في بلاده .

ولكنه فيما كان يعجب بكل ذلك ، كان يكره بصراحة التنافس الشديدوالقوميةالعدائية التي وجد انها تقضي على أهم حيويات الحضارة الغربية . وقبل مدة طويلة من أن يخيم شبح الحرب العالمية الاولى على اوروبة قال محذراً:

« ان الذهب الذي تظنون بأنه حقيقي سيثبت الآن بأنهذو قيمة منخفضة .
« وان مدنيتكم على وشك أن ترتكب الانتحار بمديتها نفسها .
« وان العش الذي يبنى فوق غصن واه لا يستطيع الا ان ينهار .

وكان جواب اقبال على التحدي المتراكم الذيتفرضهالرأسمالية الجشعة والقوميةالعدوانية والعنصرية العمياء ... اقامة اخوة عالمية تقطع الطريق على الانتماءات العنصرية والقومية والطبقية . وقد جاء الاسلام بمثل هذه الاخوة ، وهي اخوة ليست مجرد موعظة من فوق المنابر ، بل انها تمارس في الحياة اليومية ، ولذلك فان تعاليم الاسلام المختلفة تعمل نحو التقليل من الفروق الاقتصادية بدلا من مضايقتها ، فلا عجب ان عاد اقبال فاعتنق المثل العليا للاسلام في دعوته الانسانية بعد أن خالف النظريات الاوروبية الثلاث في الرأسمالية والقومية والعنصرية .

وقد أوحيت لاقبال فكرة اقامة مكة جديدة .. اي انشاء دولة عالمية واسعة يستطيع الناس ان يعيشوا فيها كأعضاء متساوين في عائلة انسانية واحدة . وتنبأ بإقامة جامعة للبشر مكان تلك التي كانت قائمة في ذلك الحين « عصبة الامم » . وكان يعتقد ان الانسان يملك في نفسه طاقات تسمو على الحدود الضيقة للعنصر ، واللون ، والجغرافية .

واخذ اقبال على عاتقه المهمة الضخمة كشاعر نبي . وقد برعت قصائده في الحفاظ على الانسجام مع تفكيره ، وغنت أمجاد الاسلام والمسلمين ، وقد أراد للمسلمين ولشعوب الشرق ان تعود الى ذاتيتها ، وشعر بأن الحرارة قد خمدت في روح الشرق وقال مرة : ان الشرق لم يعد يعرف ما هي غاية العيش .

وفي الوقت نفسه اصبحت قصائده تزداد انسانية . وكانت مفعمةبتمجيدالكرامةومعنى الانسان في عالم الخلق . وقد تغنى بمصيره المجيد كنائب لوصي الله على الأرض .

اما رسالة اقبال للعالم فكانت رسالة امل . وقد رأى العالم يعاني عللا عديدة ، فرفض اذن ان يخاطر ايمانه بالانسان . وكان يؤمن بحدة ان الانسان يجب ان يتحرر من جميع خيوط

العنكبوت التي شلت حركته ، وان يبني عالماً جديداً شجاعاً لنفسه . وقد عبر عن ايمانه الشديد بالبشرية في احدى قصائده الخالدة التي قال فيها :

ان كانت الحياة خمراً صافياً يغمرنا من رأسنا الى القدم
ففي الدموع للحياة جدول تصفو به النفس وتنبت الهمم
ان حباب خمرة الآمال لا يرقص الا فوق أمواج الألم
والله في حكمته علمنا ان انشراح الصدر قبله الم
عواصف الخريف في ليل السهاد علمت البلبل ترجيع النغم
دم الأماني فيه للشعر مداد وفي خطوب الدهر أسفار الحكم

وبالنظر لايمان اقبال المتحمس في طاقات الانسان على تكييف مصيره فقد دافع عن الذات الانسانية عبر مسعى وبادرة ثابتين . وفي الواقع ان فلسفته قد تركزت حول نظرية ما سماه « النفس » (خودي) ، وقد اعتقد ان المرء بتنميته ذاته يستطيع ان يرتفع فوق ماحوله من الظروف ، ويبحث عن الحقيقة ، وينال السيطرة على قوى الطبيعة ، ولذلك فان اقبال يحمل بقسوة على الفلاسفة العقائديين والشعراء شبه الصوفيين الذين نسفوا الطاقة الانسانية على حساب العمل في معظم بلدان الشرق والذين يعتبرهم مسؤولين عن انهيار الشرق .

وفي محاضراته الشهيرة التي جمعها تحت عنوان « اعادة بناء التفكير الديني في الاسلام » شرح اقبال ونظم فلسفته ، وقال : « ان المهمة الموضوعة امام المسلم العصري هي اعادة التفكير بالنظام الكامل للاسلام دون ان يقطع الصلة تماماً في الماضي » . وقد كانت هذه المهمة الضخمة المتحدية التي أخذها اقبال على عاتقه في محاضراته هذه .

وقد حاول فيها ان يفعل ما فعله القديس اغسطين نحو المسيحية قبل عدة قرون ، وقد أظهر كيف يمكن للمسلمين ان يبقوا مسلمين حقيقيين ، ويتمتعوا من ثم بثمار العلم الحديث . وحاول أن يحصر المسلمين في ايمانهم ، ويزودهم بفلسفة حيوية . فلسفة تستطيع ان تمنحهم معنى وهدفاً لوجودهم .

ولم يكتف اقبال بنفح المسلمين بحيويته وايمانه ، بل نشر لهم فكرة انشاء وطن قومي اسلامي في شبه القارة الهندية . وقد فعل ذلك في خطابه حين كان رئيساً للرابطة الاسلامية في عموم الهند عام ١٩٣٠ . وقد قال امام اولئك المجتمعين بهذه المناسبة : « ان الاسلام بحد ذاته هو مصير ، ولن يعاني من مصيره . وان حياة الاسلام كقوة ثقافية في الهند تتوقف على

تركيزه في أراض معينة » .

وكان ان تجسمت هذه الفكرة بانشاء دولة اسلامية منفصلة في شبه القارة للهنود المسلمين باشراف وزعامة القائد الاعظم محمد علي جناح الذي أعطاها شكلا عملياً بانشاء دولة الباكستان بعد ١٧ سنة من اعلانها على يد اقبال .

وهكذا اذا تركنا قيمة اقبال كشاعر ومفكر جانباً فانه يعتبر ايضاً المفكر العقائدي للباكستان .

وقد قال مرة :

في ظلام الليل سأقود قافلتي المتعبة
وستنفث أنظاري الشرر وستبعث أنفاسي اللهب

وبطبيعة الحال فلم يبق اقبال على قيد الحياة ، لكي يقود « القافلة المتعبة » للمسلمين الهنود ، ولكنه على عهد حياته اختار القائد الاعظم جناح وأقنعه بالقيام بالمهمة قائلا : « انك المسلم الوحيد في الهند اليوم الذي يحق للطائفة ان تتطلع اليه ليقودها وسط العاصفة القادمة الى شمال غربي الهند وربما للهند بأسرها »

وبالاختصار فان اقبال هو اكبر مفكر في العالم الاسلامي الحديث حاول اعادة توجيه الاسلام في ضوء النظريات الفلسفية المعاصرة . وقد بلغ كشاعر حد الكمال في مظهرين من مظاهر شعره : التنبؤ والفن ، واخيراً كان كرجل بعيد النظر قد أعطى شعبه مصيراً جديداً وعمل على بلوغ هذا الشعب مصيره في باكستان .

وليس هناك شيء يمكن ان يمثل معناه بالنسبة للهنود المسلمين لا بل والعالم الاسلامي بأسره أفضل من هذه الرباعية التي أنشدها قبل نصف ساعة من وفاته :

نغمات مضت تعود او لا تعود
ونسيم الحجاز ، يعود فيسري او لا يعود
انتهى عمر هذا الفقير ، او لا ينتهي
ومن ثم فقد يأتي ذو الحجى بعد ، او لا يأتي

شريف المجاهد

من زوايا التاريخ اللبناني

طرفه

بقلم الشيخ علي الزين

— ٢ —

هل عاد مشرف الى الحكم بعد حبسه

من الشائع لدى العامليين ان مشرفاً ظل محبوساً في صيدا منذ ان اعتقله الأمير بشير سنة ١١٠٩هـ الى ان مات في صيدا سنة ١١١٣ على قول العلامة الامين (١) وسنة ١١١٣ هـ على حسب ما تقدم من قول ابن مجبر العنقاني (٢) وسنة ١١١٤هـ على ما ينص عليه قول السبيتي.

« وسنة الف ومایة وثلاثة عشر القي القبض على علي منصور ومحمد بزيع في أنطاكية وسنة أربعة عشر توفي مشرف في صيدا » (٣).

ولكن ما ينسب الى المؤرخ الشهابي في نسخته اليسوعية المطبوعة في بيروت سنة ١٩٣٣ يخالف هذه الأقوال الشائعة وينقضها اذ يصرح (ص ٨ م ١) بما نصه « في السنة التي تولى فيها الأمير حيدر شهاب انعزل ارسلان باشا عن صيدا وقدم اليها بشير باشا والياً عليها فأفرد ولاية صفد ومقاطعات جبل عامل عن الالحاق بولاية جبل الشوف فولى عليها صفد وديارها وعكا وديارها ظاهر بن عمر بن ابي زيدان المقدم ذكره ، وولى من قبله بني منكر على مقاطعة اقليمي الشومر والتفاح ، وبني صعب على مقاطعة الشقيف ، وكان مشرف بن علي الصغير قد اطلقه ارسلان باشا بعد اعتقاله كما مر ، ولما حضر بشير باشا المذكور (سنة ١١١٧ هـ) توجه الى صيدا فارتمى لديه وتوسل فولاه مقاطعة بلاد بشارة » .

وعلى موجب هذا القول يكون مشرف قد اشترك مع العامليين في معركة النبطية سنة

---

(١) و (٢) اعيان الشيعة ج ٤٨ ص ٦٨ .
(٣) العرفان م ٥ ص ٢١ .

١١١٨هـ كما سنفصلها .

اما صاحب (اخبار الاعيان) فانه ـ حين يروي اخبار سنة ١٧٠٦م و ١١٠٧هـ ـ لا يصرح بشيء يدل على وجود مشرف او رجوعه للحكم ، وكذلك الشهابي نفسه في الطبعة المصرية .

وعليه فلا ندري بأي الأقوال نأخذ وعلى ايها نعتمد ؟؟

وكذلك لا نستطيع ان نحكم فيما اذا كان قبلان باشا هو الذي استنجد بالأمير بشير للقبض على مشرف ام اخوه ارسلان باشا المطرجي ؟ وذلك لاختلاف الأقوال بين الرواة فالشهابي في النسخة اليازجية المصرية يصرح كما تقدم بأن الذي انتدب الأمير للقبض على مشرف هو قبلان باشا وتابعه على هذا القول صاحب (خطط الشام) صفحة ٢٦٨ ج ٢ .

ولكن الشهابي في النسخة اليسوعية البيروتية يذهب (صفحة ٥ ـ ٧ ج ١١) الى ان الذي استنهض الأمير هو ارسلان باشا ويؤكد هذا القول صاحب اخبار الاعيان صفحة ١٦ ج ٢ ط ٢ .

وكذلك لا ندري هل تسلم حكم بلاد بشارة من قبل الأمير بشير الشيخ محمود ابو هرموش كما ينص على ذلك الشهابي ص ٧٤٩ من النسخة اليازجية والطبعة المصرية ثم يؤكده صاحب (الخطط) بنقله للنص بحرفيته (ص ٢٨٦ ج٢) أم ان الذي تسلّم حكم بلاد بشارة من الأمير بشير هو غير ابي هرموش من المتسلمين ؟؟ لأن الشهابي نفسه يتجاهل ذلك في الطبعة البيروتية والنسخة اليسوعية .

هل كانت حملة الامير لمجرد القبض على مشرف

مما يروى عن السبيتي وعن الشيخ حسين سليمان البياضي ان الامير بشير بعد ان مسك مشرفاً من المزرعة بنى عين الدروز قرب جويا وعين الراموح وعين الجنان قرب بافليه ، فبناء الامير لهذه العيون في المنطقة التي قبض فيها على مشرف يدلنا على ان الغاية من حملته على بلاد بشارة كانت أبعد مدى واوسع مجالا من القبض على مشرف .

أضف الى ذلك ان القبض على مشرف بهذه السهولة لا يستوجب ان يعطى للأمير ايالة صيدا من أطراف صفد الى جسر المعاملتين كما يذهب الشهابي ويتابعه صاحب الخطط ... ولا ان يطلق له حكم ولاية صفد مع مقاطعات جبل عامل ، كما يذهب صاحب (اخبار الاعيان) ومن يذهب مذهبه من نساخ تاريخ الشهابي : اذ ان قيام الامير بمثل هذه المهمة

كان من الواجبات التي تفرضها تقاليد الحكم التركي وشروطه على كل حاكم اقطاعي ينتدبه والي الايالة لمثل ذلك (١) واذا اقتضى الحال وحسن للدولة ان تعوض على الأمير نفقات هذه الحملة فليس من مصلحة الدولة ولا من المحافظة على هيبة الباشا ان يعوض على الأمير بتفويضه حكم مقاطعات الايالة جميعها ، اومقاطعات صفد وجبل عامل ، وحسبه ان يعوض عليه بالعفو عن اموال مقاطعات الشوف ـ كما فعل عثمان باشا المحصل (سنة ١٧٧١م) مع الأمير يوسف شهاب يوم خاض معارك كفر رمان والنبطية وحارة صيدا او بتفويضه حكم المقاطعات التي كانت مهددة بعصيان مشرف ، لا بحكم صفد وغيرها من المقاطعات المسالمة ما دام حكام هذه المقاطعات لم يخرجوا على ارادة الباشا ، ولم يتعرضوا لأحد من رجاله بأذى ، ولم يخلوا بواجب العبودية كما يقال :

ثم ان القبض على مشرف لا يستوجب ان يقضى على حكم بني اليتيم الدروز في (عرابة البطون) ومنطقة طبرية ، وان يقام على انقاضه حكم (الزيادنة) كما يبدو من رواية الشهابي في النسخة اليسوعية والطبعة البيروتية ص ٦ ج ١ : واذن فلا بد وان يكون هناك ماهو أدق معنى وأبعد غاية :

ما وراء الستار

وهذا أمر لا تتضح معالمه الا اذا لاحظنا كيف آلت سياسة ورثة المعنيين في لبنان الى سياسة افرنسية طائفية نفّرت الدروز من فرنسا وجعلتهم يرتمون في أحضان قناصل بريطانيا ونفرت البريطانيين من الموارنة حتى قال قنصلهم العام في بعض تقاريره عن لبنان :

« ان الموارنة مستسلمون نفساً وجسداً الى فرنسا .. وعليه فلم يبق لانكلترة ان تختار في الأمر بل أمسى من المحتم عليها عضد الدروز (٢) » .

عهد الكواخي والقناصل

ثم لاحظنا ما يلاحظه الباحثون في تاريخ لبنان السياسي من أن (كواخي) امراء الشوف منذ عهد الأمير أحمد المعني الى آخر عهد الأمير بشير شهاب الثاني .. كانوا قناصل لفرنسا (٣)

---

(١) راجع جواب سليمان باشا والي عكا للامير بشير الثاني ص ١٤١ - ١٤٢ من تاريخ ابراهيم العورة ثم البلاد العربية والدولة العثمانية لساطع الحصري ص ٢٩ - ٣٤ .

(٢) المحررات السياسية م ١ ص ٧٣ .

(٣) يقول صاحب (اخبار الاعيان) وفيها (اي في سنة ١٦٥٨) لما توفي الامير ملحم المعني وتولى عوضه ولداه الامير احمد والامير قرقماش صار الشيخ ابو نوفل « مديرهما » كما كان عند والدهما وسنة ١٦٥٩ ـ انعم ملك فرنسا على الشيخ ابي نوفل بقنصلية بيروت ووكالة قنصلية البندقية : صفحة ٨٦ ج ١ الطبعة الثانية .

او كان القناصل ـ بكل ما لديهم من نفوذ وبكل ما حولهم من الجاليات الافرنسية وبكل ما يملكون من وسائل ومداخلات لدى السفراء والوزراء والحكام كانوا بكل هذه القوى المتضامنة ـ يكمنون وراء اولئك الكواخي الذين سيطروا على أفكار الأمراء وقلوبهم حتى أصبحوا او كادوا ان يصبحوا هم الحكام فعلا وان يكون الأمراء رمزاً للحكم واسماً بغير مسمى كما يتضح من قول العالم النمسوي (اندريا اوبليتر) (١) في تاريخه للبنان بين سنة ١٧٢٩ وسنة ١٧٩٥ .

الظروف الدولية

ثم لاحظنا الظروف والأزمات السياسية والاقتصادية التي كانت تكتنف الدولة العثمانية سنة ١٦٩٧ ـ ١٦٩٩ يوم سعى الساعون لانتقال الحكم من الأمراء المعنيين الى الامراء الشهابيين اذ كانت قوى العثمانيين المادية والمعنوية منها من وطأة الحرب التي هزموا فيها امام قوى النمسا وحلفائها يوم اضطروا الى توقيع معاهدة (كارلوفتز) وكانوا بحاجة الى تأييد فرنسا وغيرها من مناهضي النمساويين وحلفائهم ، ثم بحاجة الى المحافظة على صداقة فرنسا والتغاضي عن كل ما يحاوله انصارها في لبنان مما لم يكن له بنظر ولاة الاتراك يومئذ أي شأن . وخصوصاً عندما يرتشون ويمنّون بالأماني المعسولة من قبل القناصل والامراء .

تحسب المعني وتحذيره

ثم لاحظنا ما جاء في ص ١٦٤ من تاريخ (الحركات في لبنان) من ان الاميراحمدالمعني لما ناهز الثمانين من عمره وأحس بدنو الوفاة ولا عقب له ولا لأحد من أقربائه (في لبنان) ارتأى ان ينتخب حاكماً بحياته حسماً للنزاع بين الفئات المتباينة في الجبل ، فجمع وجوه البلاد وأبدى رأيه بإناطة أحكام البلاد بالأمراء آل علم الدين زعماء اليمنيين فلم يرض بذلك القيسيون لشدة البغضاء والشحناء بينهم وبين اليمنيين (وطلبوا أن يكون أحد امراء الشهابيين) فاعترض الأمير على مطلبهم هذا وأنذرهم عاقبة تحكّم بني شهاب قائلا لهم : ان هذا الجيل جيلا للدروز فلا تجعلوه للنصارى باقامتكم بني شهاب حكاماً عليه (٢) .

وهذا الكلام ـ اذا صحت الرواية ـ مما يصور لنا بجلاء ان الامير احمد المعني كان يشعر بما يدور حوله من مناورات على تغيير اسلوب الحكم في الشوف ـ اي تغيير الحاكمين لا الانظمة . وان نصيحته هذه لم تكن بلا سبب .

---

(١) راجع مفصل قوله ص ٣٢٣ من مجلة اوراق لبنانية السنة ١٩٥٦ .

(٢) كل ما جاء من الكلمات بين هلالين هو زيادة من المؤلف لتوضيح ما غمض من النصوص ولتكميل ما نقص من العبائر او تفسير بعض الكلمات المجهولة لدى القراء .

ثم لاحظنا ان الاحزاب اليمنية في لبنان كانت - بحكم الظروف والحوادث التي جرت في آخر أيام المعنيين (١١٠٤ و ١١٠٩هـ) - أقوى شعبية وتأثيراً في الاوساط اللبنانية من الاحزاب القيسية وخاصة بعدما فرض الامير احمد المعني ضريبة (المسعدة) سنة ١٦٩٦م والناس في ضيق شديد لمحل المواسم وغلاء الاسعار .

وعليه فلا يعقل - لما عرف من تضامن الدروز البليغ في نطاق الحزبية والطائفية - ان توافق الاحزاب اليمنية - اذا صح ان القيسية منهم وافقت - على ان ينقل الحكم من المعنيين الى الشهابيين وهم من غير طائفتهم ومن غير حزبهم ومن غير اقليمهم بدون ان يتذمروا ويعترضوا بصراحة وحزم .

اعتراض اليمنية

ثم لاحظنا ما جاء في (أخبار الاعيان) حيث يبدو اعتراض الاحزاب اليمنية - على تولية الامير بشير الشهابي ثم هربهم الى الشام بعد توليته - واضحاً من قول المؤلف واعرض اليمنيون (للسلطان) انهم لا يقبلون الامير بشير والياً . ثم عزل مصطفى باشا وتولى مكانه ارسلان باشا المطرجي فحضر له أمر من السلطان مصطفى جواباً عما كان قد اعرض عنه مصطفى باشا . مضمونه ان الامير حيدر الشهابي يكون والياً بعد الامراء المعنيين ويضع يده على متروكاتهم لانه احق بالارث لكونه ابن بنت الامير احمد المعني ، وكان صدور هذا الامر بواسطة الامير حسين ابن الامير فخر الدين المعني الباقي (مع اولاده) من سلالة المعنيين في اسلام بول مضبوطاً . فلما ورد الامر السلطاني الى ارسلان باشا ارسله الى الامير بشير ، فأجابه ملتمساً ان يعرض للسلطان ان الامير حيدر هو ابن اثنتي عشرة سنة وان الامير بشير كفؤ للنيابة عنه . فأعرض وأتاه الجواب ان الامير بشير يكون والياً بطريق النيابة الى ان يكون الامير حيدر قد بلغ اشده فيتولاها ، ففر (اذ ذاك) الامراء اليمنية الى دمشق » .
اخبار الاعيان الطبعة الثانية ص ١٦

اثر العنعنات العائلية

ثم لاحظنا ان المعنيين - كما يتضح من النص السابق - لم ينقرضوا من الوجود بموت الامير احمد ، فقد كانت ذرية الأمير فخر الدين المعني الكبير في اسطنبول تتمتع بأفضل المميزات الشخصية والثقافية والبيئية لذلك العهد مما يجعلنا نستبعد ان ينصرف الدروز اليمنيون او القيسيون عنهم الى غيرهم بدون ضغط خارجي شديد على المعنيين أنفسهم او عليهم وعلى الدروز جميعاً ولا سيما حين يكون اولئك الامراء الجدد من غير طائفتهم ومن غير اقليمهم .

ثم لاحظنا ان ابناء البيوتات الاقطاعية كانوا يأنفون بطبيعتهم ان يستجيبوا اوان يذعنوا الا لحكم من يكون أعظم جاهاً وأوسع نفوذاً منهم كما يلاحظ بجلاء من سير التاريخ .

وان اضطرار محمود باشا ابو هرموش حين تولى الحكم على مقاطعات الشوف سنة ١٧٠٩ الى اشراك آل علم الدين في الحكم لدليل واضح على اثر هذه العنعنات وعلى احترام هـذه التقاليد والاعتبارات لدى الحرص على تغيير الحكم او على توطيده وانسجامـه مع طبيعة المحكومين وعاداتهم . كما يبدو من قول الشهابي .

« ثم قدم محمود باشا ابو هرموش بتلك العساكر (السلطانيـة) الوافرة الى دير القمر واستقرفيها والياً وحيث يعلم ان اكابر لبنان لم ترضخ لأمره طلب الامراء بيث علم الدين من بلاد الشام فحضروا اليه وجعلهم مشاركين له في الأحكام » .

ص ١٠ ج ١ من طبعة بيروت

وعليه فان كثيراً من الأسر اللبنانية ، كآل علم الدين ، وآل ارسلان ، وآل عمـاد ، كانوا لا يرون الا امراء الشهابية في حاصبيا او راشيا – قبل ان تنتقل اليهم امارة لبنان – اعظم جاهاً وأوسع نفوذاً منهم يومئذ ، فكيف تغلبت تلك الأسر على عنعناتها وتنـازلت عن تقاليدها واعتباراتها وأذعنت مختارة لحكم الأمير الجديد الذي أتي به من وادي التيم الى لبنان يوم كان وادي التيم تابعاً لولاية دمشق ، وكان جبل الشوف (او جبل الدروز) تابعاً لولاية صيدا ؟

انتخاب الحكام مناورة مصطنعة

ثم اذا لاحظنا بعد هذا كله : ان تولي الحكم او انتقاله في دروز لبنان انما كان بالوراثة او بالتعيين من قبل الولاة والسلاطين او بهما معا ، اما الانتخاب للحاكم من قبل أهالي البلاد فلا نجد لها اثراً في تاريخ امرائهم وحكامهم وخصوصاً تاريخ المعنيين والتنوخيين منـذ ان حكموا في لبنان الى ان دالت دولتهم سنة ١٦٩٧ وأصبح القول بانتخاب الأمير والحاكم ذريعة للمناورات السياسية ولتغيير الحكم والحكام :

الوثائق والنصوص

ثم لاحظنا ما جاء في صفحة ١٠١ من كتاب (آثار فرنسا ومآثرها) في لبنان وسورية وتأملنا بهذا النص « وثقت فرنسا بولاء الموارنة فأنعمت على أحد مشايخهم ابي نوفل الخازن برتبة قنصل (سنة ١٦٦٢ – ١٦٧٩) يقيم في بيروت : ذلك تلبية للمرسلين اليسوعيين .

وعلى اثر وفاته سمّت القنصل ابا قانصو فياض خلفاً له (سنـة ١٦٧٩ – ١٦٩٦) ثم

تولى القنصلية حفيده الشيخ حصن بن فياض (سنة ١٦٩٧ – ١٧٠٧) وقام بعده الشيخ نوفل بن حصن (١٧٠٨ – ١٧٥٣) السابق الذكر » .

ثم قابلنا وقررنا هذا النص بما قد نشر في الجزء الثاني من كتاب هنري غيز قنصل فرنسا العام في بيروت (سنة ١٨٠٣) عن الغاية من جعل مدبّر الامير احمد المعني قنصلا لفرنسا في بيروت وعن الغرض من مساعي امراء لبنان (مشايخ آل الخازن) وبطرك الموارنة لتغيير اسلوب الحكم ، وتدبّرنا فحوى ما جاء ص ٤٠ – ٤١ من قول المسبوغة .

« ان هاتين الدولتين – فرنسا وتركيا – اتفقتا على مخالفة شرائعهما ونظمهما لتعيّنا أحد مشايخ آل الخازن قنصلا في بيروت (١) » وقد لقبوه في باريس بالأميري .

وقوله « وفي عام (١٦٦٢) عين احد افراد آل الخازن قنصلا لفرنسا في بيروت وكان القصد من هذا العطف ان يخول احد الموارنة الاقوياء بعض السلطة ليعاضد اخوانه ويرعاهم » .

ثم قوله « ويظهر ان الموارنة ظلوا في قلق وخوف كما يتبين ذلك مما نشره (دي لاروك) من براءات ملكية ترجع الى عام ١٦٩٧ حول مساعي امراء لبنان (قناصل فرنسا في لبنان) وبطريركه في تغيير أسلوب الحكم المجحف بحقوقهم » .

اصابع لويس الرابع عشر

ثم لاحظنا هذه الرسائل المتبادلة بين حكام فرنسا في باريس وسفيرها في القسطنطينية وقناصلها في سوريا ولبنان او اكتفينا منها بقراءة هذه الرسالة من ملك فرنسا الى سفيره في الاستانة .

« الى السيد دي كاستنيار مستشار دواويني وسفيري غير العادي بالقسطنطينية :

ان السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني الموفد من قبل الاميرين نصيف وحصن (الخازن) ومن قبل مطران نيقوسية رئيس الدين الكاثوليكي الروماني بغياب البطريرك اسطفانوس (الدويهي) قد رفع لي رسائل يسألون بها حمايتي من الضيق الملم بهم بعد ان السيد الأعظم (السلطان) ولّى على بلادهم الأمير أبا موسى علم الدين عوضاً عن الأمير احمد

(١) اذ لا يجوز في قانون كلا الدولتين ان يعين قنصل الدولة الا من رعاياها ، فتعيين مارونياً لبنانياً من رعايا الدولة العثمانية قنصلا لفرنسا في لبنان مخالف لقانون تركيا ولقانون فرنسا ، اذ كيف ترضى تركيا مختارة ان يكون احد رعاياها رقيباً عليها وعميلا لدولة اجنبية ؟؟ وكيف تأتمن فرنسا رجلا اجنبياً عن بلادها على مصالحها واسرارها في بلاد اجنبية ما لم تكن واثقة به وطامعة بتسخيره لكل ما تبتغيه من محاولات ؟؟

ابن معن ويلتمسون ان يعطى احدهم الأمير حصن قنصلية بيروت ليتمكن من نشر العلم الافرنسي ونيل حقوق القنصلية والانعامات المختصة بقناصل الامةالفرنسية ويخمدون بذلك جذوة ما حاق بهم من الضيق ولما كان عزمي ان اساعد بكل وسعي على راحة جميع المستنيرين بالانجيل المقدس في اي قطر كانوا من العالم ، فأنا مرسل اليكم كتابي لأبلغكم ارادتي ومرغوبي ان تستوعبوا ما يشرحه لكم معتمدهم المذكور لخير الدين الكاثوليكي ونفعه وان تبذلوا بعد العناية باسمي لتنولوه كل ما يبتغيه من الأمور المعقولة وأخيراً اسأله تعالى ان يحفظكم بحراسته المقدسة ايها السيددي كاستنيار .

كتب في فرسايل في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧ والتوقيع (لويس) وفي اسفل الصفحة « كولير » .

ثم هذه الرسالة من الوزير وكاتب سر المملكة المركيز دي تورسي ، وقد كتبها بأمر الملك الى قناصل فرنسا بحلب وصيدا وطرابلس ، وفحواها ـ على ما يقول المترجم ـ ان جلالة الملك امره ان يكتب اليهم مبيناً رغبة جلالته بمساعدة الامير نصيف وحصن الخازن ومطران نيقوسية نائب البطريرك بغيابه وان يبذلوا بكل فرصة عنايتهم الفعالة بالمذكورين ليشعروا بمفاعيل حماية جلالته : وانه جعل الامير حصناً قنصلا ببيروت منفصلة عن صيدا»

راجع هذه الرسائل مع رسائل آل الخازن والبطريرك في جريدة (النهار) البيروتية تاريخ ١١ حزيران سنة ١٩٦١ ص ٥ عدد ٨٧٢١ .

على هامش الرسائل

ما عسى ان تدل عليه هذه الكلمات والعبائر (المساعدة على راحة جميع المستنيرين بالانجيل المقدس) وما معنى (حماية جلالته) وما الغاية من التأكيد على عناية قناصله بحصن وناصيف الخازن (ليشعروا بمفاعيل حمايته) ؟؟

فلو انٍ هذه الكلمات والجمل كانت صادرة عن رئيس روحي كالبطريرك مثلا لكان لها شأنها الديني ومعناها الانساني الخالص من شوائب التلبيس والتمويه السياسي ، اما وهي صادرة من دواوين ملك كان منغمساً في اللهو والترف الى اذنيه كما يبدو من تاريخ فرسايل وتاريخ مقصوراته الخاصة . ومن ملك بلغ به الطموح لتوسيع ملكه ومد سلطاته الى حد التهور كما يشهد بذلك ما آلت اليه حالة الخزينة والجيش الافرنسي من الاضمحلال والتدهور في عهده : اما وهي صادرة من دواوين الملك لويس الرابع عشر : فلا بد لنا من ان نفسرها بتفسير سياسي محض ولا بد لنا من ان نعتبر هذه الغيرة الدينية من مثله انما كان ستاراً لما

وراءها من أغراض سياسية وخطط استعمارية مدروسة ... وخصوصاً عندما نلاحظ ان موضوع الرسائل التي ارسلت اليه كان سياسياً محضاً وهو التشكي من تعيين حاكم على لبنان لا يرضى عنه زعماء الموارنة او قناصل فرنسا في لبنان .. ثم عندما نلاحظ ما جاء في النصوص المتقدمة من « ان فرنسا لم تخالف شرائعها وانظمتها وتنعم برتبة القنصلية على زعماء الموارنة الا لانها وثقت من ولاء الموارنة » .

ثم نلاحظ بعد ذلك كيف قامت قيامة زعماء فرنسا في مجلس الأعيان لأن دول اوروبا شاركت فرنسا في حماية مسيحيي لبنان وسورية ؟ على ما يتضح لك من خطـاب الكونت دي مونتا لامير سنة ١٨٤٥ وقوله « .. ان ما تقدم بسطه يدفعني الى ابداء التـأسف على التبديل الذي حدث في سياستنا العامة في الشرق ... وقوامــه الاستيعـاض عن عمـل فرنسا الانفرادي واستقلالها في التدخل في الشؤون الشرقية بعمل انضمت اليهـا فيه اربع دول معادية .

ثلاثة منها معادية طبعاً للديانة الكاثوليكية في الشرق وفي مقدمتها الروسية لان ينتمي اليها ابناء مذهب معادون لأمة نحميها ، ثم تليها انكلترة وبروسيا ولها دواع ظاهرة خاصة لعدم عضدها الكاثوليك الشرقيين ، وازاء هذه الدول الثلاث يوجد دولة رابعة كاثوليكية مثلنا هي النمسا تتوق من صميم قلبها الى اخذ مركزنا وهذه الرغبة لا يسعنا لومها عليها لكننا على ما ارى قد أسأنا عملا اذ شجعناها بقبولنا ان تقاسمنا امتيازاتنا وحقنا الخاص في تلك النواحي وقد ايدته العصور المتوالية ، واني لأخشى ان نكون قد استأصلنا بيدنا اعمق وشائج نفوذنا في الشرق ... من جراء الضعف الذي يصيب كل عمل كانت تنفرد به دولة واحـدة ثم اشتركت به خمس دول ..

واضيف الى ما تقدم ان سردينيا جعلت ذاتها في مصاف الدول الحامية وهي مصيبـة لانها وان لم يكن لها عداد بين دول الغرب العظمى فهي كاثوليكية ولها قوة بحرية معتبرة وتجارة كبيرة مع الشرق فهي تعمل ما يلائم مصلحتها . اما نحن فهل احسنا صنعاً بإحيائنا في خاطر الدول فكرة اخذ مركزنا ؟؟ » .

المحررات السياسية : م ١ ص ١٩٧ — ١٩٨

ثم على ما يبدو لك من رد وزير خارجية فرنسا على ذلك الخطاب وقوله « ياحضرات الاعيان لم انهض لاعارض ما قاله حضرة الخطيب المكرم او لالومه على الفاته نظر الندوة الى هذه المسألة فاني آسف مثله ... ولكننا (منذ سنة ١٨٤١) كنا في موقف غير مناسب

للانتصار لمسيحيّ سورية ولبنان فقد كنا اهملناهم حديثاً في مقاومتهم باشا مصر (ابراهيم باشا) وقد عضدنا الباشا ليس فقط ضد الباب العالي (الوزارة العثمانية) بل ايضاً ضد موارنة سوريا ولبنان الناهضين عليه مما اضعف موقفنا اخيراً في الاستانة».

المحررات السياسية ج١ ص١٩٩ – ٢٠٣

اثر انتقال الحكم من المعنيين الى الشهابيين في جبل عامل

انه اذا لاحظنا جميع هذه الاعتبارات والمحاولات ولاحظنا ما أظهرته فرنسا بين سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٦١ من الحرص عل اعادة النظام الاقطاعي القديم، وارجاع الاسرة الشهابية لحكم لبنان صوناً لنفوذ فرنسا في الشرق على ما يؤكده قول المسيو دي ملفيل في مجلس الاعيان الفرنسي سنة ١٨٤٦ «بيد ان الامر الثابت الاكيد المؤيد بالمحررات الرسمية العديدة .. هو ان انكلترة واصلت جهدها منذ خمس سنوات لمنع اعادة الحكم الى الامير بشير شهاب واسرته مهما كلفها ذلك، ولماذا ذلك؟ – وغير خاف على احد – لان اعادة امارة لبنان المسيحية الى ما كانت عليه ينجم عنها بسط النفوذ الفرنسي وهذا ما تأباه انكلترة.

اما المسألة الوحيدة التي تشغل بالي ونرغب جميعاً في الحصول على مزيد ايضاح بشأنها من الحكومة هي معرفة كيف لم يظهر شيء من مساعيها في مدى الخمس السنوات المذكورة لبلوغ الغرض المقصود في حين كان يجب على جميع الرجال العقلاء ان يجعلوا مرمى غاياتها اعادة امارة الجبل المسيحية الى ما كانت عليه من الاستقلال بالحكم. وكانت الندوة قد اعربت بكل جلاء عن نيتها ورغبتها الشديدة بهذا الشأن (١)».

انه اذا لاحظنا هذه الاعتبارات والمحاولات والنصوص .. بدا لنا من خلالها ان انتقال امارة لبنان من المعنيين الى الشهابيين لم يكن انتقالا طبيعياً وانما كان انتقالا مصطنعاً كي لا تظل سياسة لبنان سياسة درزية عثمانية كسياسة الامراء اليمنيين يومئذ يصعب معها تحويرها وتكييف اوضاع لبنان العربية حسب تصاميم الافرنسيين او حسب الاغراض والخطط الاستعمارية ... ولم يكن من سبيل الى مثل هذا التحوير والتبديل – آن ذلك – الا بأن ينقل حكم لبنان الى امراء مسلمين يطمأنه الى سهولة تكيّفهم وتطورهم حسب ما توحي به الاغراض والمطامع ومناهج رسل فرنسا في بلاد الشام.

وكان من المتوقع المفروض ان يؤدي هذا الانتقال – المخالف لما كانت عليه حالة الاهالي

(١) المحررات السياسية ج١ ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

وتقاليدهم الموروثة – الى فوضى عامة واضطراب شامل مخيف لا في جبل عامل فحسب بل في سائر المناطق التابعة لايالة صيدا وبخاصة ما كان منها تحت سيطرة الاحزاب اليمنية .

ثم كان من الطبيعي ان يبادر الولاة المسؤولون عن اضطراب الاوضاع وتمادي الفوضى الى اتخاذ الاجراءات المتبعة لحفظ الامن واستتباب النظام والى اصطناع الخطط المغرضة للتنكيل بحزب دون حزب وللاقتصاص من طائفة دون طائفة وللضغط على اقليم دون اقليم مما يهيء لأصحاب المآرب والغايات ان يتخذوا من هذه الاحوال والاجراءات والخطط وسيلة لتكبير شأن الامير الجديد وشأن حملته على بلاد بشارة ، وذلك بما يقدرون لمشرف ابن علي الصغير من اخطاء جسيمة ، وبما يفترضون للقبض عليه من اهوال بالغة الخطورة لا تدرك او تتصور على ما يبتغون لها من اثر « الا بحشد ثمانية آلاف مقاتل من رجال الامير واصطفافهم لخوض معركة حاسمة ينكسر فيها رجال مشرف ويهلك منهم خلق كثير ويفيض عليه وعلى اخيه » كل هذا كان او افترض بعضه وبولغ في تكبير البعض الآخر لا لاخضاع مشرف فقط ... بل ليرجع الامير بشير الى دير القمر معتزاً ؟؟ ويصير له اسم عظيم عند الدولة ؟ ويعتبر الدروز بما جرى لغيرهم ... ذلك بأن السبيل الى تغيير (اسلوب الحكم) او الى تعبيد الطريق (لبسط نفوذ فرنسا في الشرق) لا يستقيم مع الزمن اذا لم يصبح خليفة الامراء المعنيين عظيماً عند الدولة وعزيزاً مهاباً بين جميع طوائف لبنان .

جبشيت علي الزين

جاء في الامثال

* الجهل مطية ، من ركبها ذل ومن صحبها ضل .
* أجهل من عقرب . (لانها اذا مرت بالصخرة ضربتها بابرتها فلا تضرها ولكنها تضر ابرتها) .
* اجهل من فراشة .
* اجود من حاتم .
* ان الجواد قد يعثر .
* لكل جواد كبوة .
* كالمستجير من الرمضاء بالنار . (الرمضاء الارض الحارة) .
* الجار ثم الدار .
* الرفيق قبل الطريق .
* تجوع الحرة ولا تأكل بثديها .
* اجع كلبك يتبعك .
* من جال نال .
* جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى قيام الساعة .

الانانية الحمقاء

غادر الارض ليرتاد السماء ثانياً عطفيه عزاً واعتلاءا
غادر الارض ليرقى سؤددا منصب الفخر ويحتل الفضاءا
فهو اسمى ان يُرى فوق الثرى شخصه والناس في المجد سواءا
قد حباه الله فضلا فائقـاً لم يكن يحبوه الا الانبياءا
كل معنى من معانيه عُلى عبقري ساد فيه العظماء
فذوو العلم اذا اكبرتهم عنده بالفضل ـ كانوا جهلاء
وذوو الرشد اذا قـدرتهم عنده بالحزم كانوا سفهاءا
وذوو الفطنة ان اعظمتهم عنده بالوعي كانوا بلداءا
وذوو الاقدام ان تمدحهم عنده بالعزم كانوا جبناءا
وذوو الجود اذا اطربتهم عنده بالبذل كانوا بخلاءا
هكذا الفرد الاناني يرى سائر الافراد الا ّه وراءا
ظن ان المجد بالكبر ولا يعرف الكبر سفاهاً وغباءا
فانثنى يختال في ابراده شامخ الانف ويُزهى كبرياء
أخطأ الواقع فيما يرتئي فغدا يعتقد الحق علاءا
وعدا نهج المعالي جاهلا بالذي يحبوه مجداً وسناءا
ها هو الواقع يبدو كاشفاً عن ضياء الحق ستراً وخفاءا
يوقظ المغرور من غفوته باعثاً في اذنه الصما نداءا
ليس فخر المرء بالاصل وقد كان في جوهره طيناً وماءا
لا ولا في المال ان لم يكسه من نسيج البر في البذل رداءا
انما الفخر بتقوى وهدى يتحف الانسان سعداً وهناءا
انما الفخر بفعل صالح يكسب الفاعل حمداً وثناءا
والسمو الحق خلق عاطر ينفح الرغد ويستل الشقاء
هكذا الوحي على الارض زها يوضح الدرب لمن رام السماء

نزيلِ النجف الاشرف حسن طراد العاملي

زاوية مظلمة من التاريخ

بقلم نجيب صعب

بعد أن وزّع الامام علي «ع» عماله على الامصار كان عبيد الله بن العباس احدهم وكان من نصيبه إمارة اليمن ، جنة العرب وروضة الجزيرة .

كانت زوجته جويرية الكنانية في أوج الصبا والجمال ، تشربت البلاغة الكنانية ، فنشأت فصيحة شاعرة بليغة ، تعيش في كنف سيد من قريش ابن عم النبي وابن عم امير المؤمنين .

وأسعدهما الله ايام كانا في المدينة بغلامين يشعّان جمالا وتوقداً كالفرقدين .

وبعد حرب صفين اطلق معاوية انصاره للعيث في الارض التي تقع في حيازة عمال امير المؤمنين علي يبتدعون من الضرر والفساد ما لا يجيزه خلق ولا دين .

وانطلق احد هؤلاء نحو اليمن ، وكان من جملة فظائعه ان ترصّد للصبيين اليافعين ابني عبيد الله واستدرجهما بمكره الى الخلاء ، وانتضى سكيناً مرهفاً وقضى عليهما .

ثم أطلق ضحكة لئيمة وقال . الآن تمتع بالحياة يا عبيد الله . .

وانتظر الوالدان ان يأوب ابنهما ، وانتظرا واندفع الخدم والناس والام الثكلى — قبل ان تتأكد الثكل — وهي تنشد بلهفة تقطع الاحشاء :

ألا من بيّن الاخوين	امهما هي الثكلى
تسائل من رأى ابنها	وتستبقى فما تبقى
فلما استيأست رجعت	بعبرة واله حرّى
تتابع بين ولولة	وبين مدامع تترى

وفي كل يوم تزيد الشدة ويضيق الافق ، وفي ساعة اخبرت بما فعل بسر ابن ارطاة بولديها فان معاوية اخرجه لينكل بشيعة علي . ولما رأى نفسه عاجزاً عن ملاقاة الرجال ارضى سيده بفعلته النكراء هذه .

وكان هذا كافياً لان تصبح الام الثكلى في عداد المجانين تهيم على وجهها تناشد المجامع بقولها :

يا من أحس بنيّي اللذين هما كالدرتين تشظّى عنهما الصدف
يا من احس بنيّي اللذين هما سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف
يا من احس بنيّي اللذين هما مخ العظام فمخّي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت مازعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
انحى على ودجي طفلي مرهفة مشحوذة وعظيم الافك يقترف
من دلّ والهة حرّى مفجعة على حبيبين غابا اذ مضى السلف

اما عبيد الله فقد انتُزع منه هناء العيش وتبدل برجل دقيق العظم ، سقيم الجسم ، مشتعل الرأس .

وشاطره ابن عمه امير المؤمنين هذا الأسى ، ودعا على القاتل المجرم بالجنون والمروق . ويحدثنا التاريخ ان الله استجاب لوليه ، فاذا بسر ابن ارطاة مخبول يهذي ، ممسكاً بسيف من خشب وزق من جلد منفوخ ما يفتأ يضرب به بسيفه حتى تهن قواه ، وكان خبله يقوى تارة ويضعف اخرى .

.. ودخل عبيد الله بن العباس بعد سنوات على معاوية أيام ملكه ، ورأى عنده بسراً فقال له أأنت قاتل الصبيين ايها الشيخ ؟

قال بسر نعم انا قاتلهما .

قال عبيد الله اما والله لوددت ان الارض انبتتني عندك .

فقال بسر فقد انبتتك الآن عندي .

فانتفض عبيد الله كالاسد الجريح وقال ، ألا سيف ؟

فقال بسر هاك سيفي .. فلما اهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله اسرع معاوية لاخذه وهو يقول لبسر اخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك ، ذاك رجل من بني هاشم وقد وترته وقتلت ابنيه تدفع اليه سيفك ، انك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن منه لبدأني قبلك .

قال عبيد الله اجل والله وكنت اثنّي به .

وبعد فان الدين لا يمكن ان يدخل قلباً لا تمسه الرحمة ، ورغم هذا فاننا نقرأ في التاريخ ان معاوية كان امير المؤمنين . وان بسر بن ارطاة كان احد بطانته واعوانه المقربين !

كولك ــ جمهورية السنغال نجيب صعب

وادي السلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

بقلم محسن عبد الصاحب المظفر

المقدمة

النجف مدينة عامرة تحيط بمشرفها الامام علي «ع» فهي لهذا مدينة مشرفة تضم بين جوانحها الجسم الزكي الطاهر بسم امير المؤمنين علي «ع» ، وعليه فهي تحتل زعامة دينية كبرى ، جاءت الاجساد من بعد دفنه «ع» من كل حدب وصوب ، من بعيد وقريب لتلوذ الى جواره وتدفن قريباً منه فتنال بذلك شفاعه ، والذي حداني ان اكتب هذا عن مقبرة النجف امور كثيرة وكثيرة : منها ، انني لم اجد موضوعاً مستقلا قد كتب عنها غير ان هناك كلمات قصيرة متناثرة هنا وهناك في كتب التاريخ ، مع العلم ان المقبرة هذه على وساعتها اثر بارز بالغ الاهمية في اقتصاديات المدينة ومكانتها الدينية . فراود ذهني ان اجوب بين اكنافها تارة وبين طيات الكتب تارة اخرى واسطر موضوعاً علّه يفي بالمراد ، فبدأت باهتمام مفصحاً عن اثر صمت وهدوء المقبرة وما يحدث فيها من عمليات دفن وعادات توديع الموتى وتخفيف وحشتهم وغربتهم ، وقلت ان المقبرة في هدوئها وصمتها حكمة بالغة ،وذكرت بعد ذلك شيئاً عن تاريخها ، وتساءلت عن اول انسان دفن فيها واول انسان دفن بعد علي عليه السلام ، وشكل المقبرة قديماً وحديثاً وبينت التطور الملموس في اشكال القبور ،وستجدني قد وافيتك ايضاً عن السراديب التي تضمها المقبرة والمقامات المشرفة فيها وافصحت لك عن سر اختيار هذه البقعة مكاناً للدفن ، وسر تسميتها بوادي السلام . واوجزت شيئاً عن تربتها وهوائها ، والشارع الملتوي هل له من اثر في ظهور بنايات حديثة ، وستجد ان الموضوع وصف المقبرة وصفاً جغرافياً وتأريخياً وهناك في وسط الموضوع ونهايته مواضيع فرعية تزيد في تكامله تقريباً هي :

المداخل الرئيسية الى المقبرة :
مراسيم التغسيل والدفن .
المشتغلون فيها .
عملهم خدمة انسانية .
هل عملهم فيه شيء من احتكار .
العوائل المتفرغة للعمل فيها .
المقبرة مقسمة والاعمال كذلك .
الصحن الشريف ومشكلة الدفن فيه .
احصائيات .
لا بد من مشاكل .
النزاهة ضرورة لازمة .
الاموات الذين يودعون في الخارج ثم يجلبون –
الى النجف بعد حين من توديع .
المواصلات هل لها من اثر ؟
الدفن في سراديب المنازل .
الصخور المنحوتة الموضوعة على واجهات المقابر –
فن رائع عملته ايدٍ نجفية .

قلت ان مواضيع فرعية مثل هذه تزيد في تكامل الموضوع تقريباً حيث اني لم اكن قد تناولت جوانبه من كل الوجوه ولكني اذا وجدت مجالا واسعاً فتاحاً انتهزه توسعت اكثر وان طال المقام ومن الله التوفيق .

المقبرة في هدونها وصمتها حكمة بالغة

عدت بعد ان امضيت وقتاً قليلا في مقبرة تعد اليوم من اوسع مقابر العالم ان لم تكن اوسعها على الاطلاق ، عدت أتعثر لشرود ذهني وارتخاء اعضاء جسمي اثرخشوع دب في اوصالي ، كنت ارى قبوراً متزاحمة في اجوافها ناس نائمة ؛ نائمة الى يوم بعث وحساب اجسامهم كتفاً على كتف وهي واحدة ، ولكن ارواحهم سرها عندبارئها ، واعمالهم متباينة فمنهم من انتقل الى رحمة الله وجواره وبمشيئته حاملا سجلٍ اعماله مفعم بالصلاح وهو من المفلحين ، وآخرون دون ذلك بدرجات .

هدوء سائد مخيم على مقبرة ارجاؤها واسعة ، ترى هذا قبر قديم ، لرجل مات في زمان بعيد ، وهذا آخر بعد لم يجف ماء بنائه فهو حديث ، ومن بعيد سمعت بكاء وآهات امرأة تجري وراء رجل يحمل اخاها الى مخدعه الاخير وهي تنوح وتتعثر والحمال يجري مسرعاً لا يبالي ، وكأنه متعمداً يدري بأنه لا فائدة من التمهل ، ان الاسراع لتوريته في طيات الارض خير من بقائه على سطحها ، فيتفسخ ويتعفن ، الانسان المغرور الذي يملأ الدنيا ضجيجاً فيملأها حلقات ودوائر من يقذف فيها الى ان يبلغ القاع فيهدأ ويستكين ، محبباً العودة اليها ليوارى فيها ويعود تراباً .

ومن بعيد ايضاً هناك ثلة من نساء في صراخ وبكاء ، فقد مر على فقيدهن اربعون يوماً بينهن النادبة الناعية ــ تدعى « الملا » ــ وبعد فترة وجيزة ينهضن ليكونّ حلقة يجلن في وسطها لاطمات من كنّ اقرب الى الفقيد صلة ، وبعد انتهاء تلاوة وانتهاء دعاء توزع سكاير والحلوى على الجميع وتقرأ الفاتحة ، وبعد ذلك ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة بعد عويل وبكاء ، وكأن الجميع يقولون حسب ما تبديه سمات وجوههم ، الموت حق ونتيجة لا مندوحة منها نتيجة حتمها الخالق على الاحياء في دار فناء وهو درب سلكه السابقون ولا محال من سلوك الاحياء له ، فهم لاحقون وايم الحق لاحقون . وبينما انا في هذه الحال تراودني وتخالجني افكار .. وافكار في امر الدنيا وغرورها ومصير الانسان المحتم سمعت صوتاً ... مزق الصمت والوجوم ، جذبني اليه ، وهو قريب جداً قريب يقول : اللهم انزله منزلا حسناً وانت خير المنزلين ... واذا اردت ان تسأل ما هذا ؟ كان الجواب عملية دفن انسان ودع الدنيا ، وهذا الرجل الواهن الجسم الكبير السن هو الملقن .. يلقن الموتى ويكسب رزقه .. واخذ الملقن يتلو ويذكر وانا في عالم الاسى واللوعة والافكار المتضاربة اخوض « هل انت على العهد الذي فارقتنا عليه ــ الملقن مستمراً ــ من شهادة لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً ﷺ عبده ورسوله وسيد النبيين وخاتم المرسلين وان علياً امير المؤمنين وسيد الوصيين امام افترض الله طاعته على العالمين وان الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والقائم الحجة المهدي صلوات الله عليهم ائمة المؤمنين وحجج الله على الخلق اجمعين وائمتك ائمة هدى ابرار ، يا فلان اذا اتاك الملكان المقربان رسولين من عند الله تبارك وتعالى وسألاك عن ربك وعن قبلتك وعن ائمتك فلا تخف فقل في جوابهما الله ربي ومحمد ﷺ نبيي والاسلام ديني والقرآن كتابي والكعبة قبلتي وامير المؤمنين علي بن ابي طالب امامي .. » ويستمر معدداً الائمة جميعاً مذكراً اياه بهم ... ثم يقول له بأن يجيب على

اسئلة منكر ونكير « ... واعلم يا فلان ابن فلان ـ ذاكراً اسم المتوفى ـ ان الله تبارك وتعالى نعم الرب وان محمداً صلى الله عليه وآله نعم النبي وان امير المؤمنين علي بن ابي طالب واولاده الائمة الاحدى عشر نعم الائمة وان ما جاء به محمد حق وان الموت حق وسؤال منكر ونكير في القبر حق والبعث حق والنشور حق والصراط حق والميزان حق وتطاير الكتب حق والجنة حق والنار حق ، ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ...

دعاء تخشع لقدسيته النفوس ... في جو فيه حفر ، وتنزيل انسان وارجاع تراب ، ودعاء فيه توديع وتذكير ، وصمت رهيب ، ووجوه سيماء لوعة وتجهم بارزة في تقاطيعها ، مناظر تراها فترتعد منك الأوصال ، اثر عرفانك المصير المحتوم ، اثر عرفانك انك من تراب وستعود الى تراب . ابوك وامك من تراب ، فوالداك قبل ان ينشآن ويكونان قادرين على انجابك كليهما يعتمدان على الارض ، على خضار الأرض وثمراتها ولحوم الحيوانات وحليبها وهي بدورها من الارض حيث ان جلّ اعتمادها عليها وهكذا نشآ وقدرت امك بعد بلوغ من ان لا تكون مستودع لبويضات ، وابوك الى درجة وصل فيها ، تكونت لديه حيامن . نمت امك ونمى ابوك وتكونت لديهم البيوض والحيامن » التي انا وانت منها بعد بلوغ ... وهكذا دواليك .. شأن كل الأحياء من الأرض والى الارض .

ومن بعيد شاهدت نسوة يبكين ورجالا واجمين ، لم ينبس احدهم ببنت شفة ، سوى انك تسمع منهم زفرات وآهات وكأنهم يقولون ان من مات مات ولن تبقى غير الذكريات ذكريات من جمع الحسنات .

واذا ابتغيت ان تجوس في وادي السلام مقبرة النجف ـ التي تعد اليوم من أوسع مقابر العالم ، لا تجد مندوحة من قراءة ما كتب على واجهات القبور وعلى صخور نحتتها ايدي نجفية ، كلام يتفطر له القلب وعلى صخور فهو كلام مأثور ، واليك بعض ما قرأت :

فهذا مثلا طلب في حياته ان يدفن الى جوار امير المؤمنين علي «ع» فهو نعم الحامي ونعم الامام والجار ، فالانسان يرى في حياته ان الرقود في قبره عزلة ووحشة فيطلب الدفن او الرقود جنب علي «ع» والمؤمنين الآخرين الأخيار فبذلك يشهد الاطمئنان والرقود الهادىء فقد كتب على واجهة قبره :

اذا متُ فادفني مجاور حيدر ... أبا شبر اعني به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره ... ولا أتقي من منكر ونكير

وقبر آخر كتب على واجهته عبارات قيمة اغلبها باللغة العامية فيها عبرة وتذكير للأحياء من الناس وهي :

ايها الزائر قبري قف على قبري «شوية» (١)

واقرأ القرآن عندي رحمة تنزل عليّه

طالما زرت قبوراً وانا مثلك حيا

لا تغرنك حياتك انما الدنيا كفن

* * *

وآخر كتب على صخرته :

يا لك من ارض هي الأمان ، لمن بها والفوز والرضوان ، خط الياسمين وقد أرخته بها ضريح ملؤه ريحان .

* * *

وآخر كتب على صخرته :

وفدت على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد أقبح كل شيءٍ اذا كان الوفود على الكريم

* * *

وآخر كتب عليه .

رحلت من دار الفناء الى دار البقاء

يتبع محسن عبد الصاحب المظفر

امتحن قلبه بقلبك

قال رجل لعبد الله بن جعفر :

« ان فلاناً يقول انه يحبني فبماذا اعلم صدقه ؟ » .

فقال عبد الله :

« امتحن قلبه بقلبك ، فان كنت توده فانه يودك ، وشاهد ذلك قول بكر بن النطاح » .

وعلى القلوب من القلوب دلائل بالود قبل تشاهد الارواح

---

(١) شوية : تعني قليلا .

هل تتحول القارات

طرفه

مترجمة عن الفرنسية

بقلم محمد اديب الزين

- ٢ -

مترجمة عن مجلة « الكواكب » الفرنسية

اثبتنا في القسم الاول من هذا البحث ، في العدد السابق نقاش علماء الطبيعة في القرون الحالية حول برودة الارض لمحة عن انقسام اليابسة ثم موضوع : « كل شيء يزلق تحت اقدامنـــا » . والى القـــارىء الكريم المواضيع التالية :

انتقال القارات

وبعد اجتماع عدد كبير من الاخصائيين ، لقيت نظرية انتقال القارات عدداً اقل من الانصار تدريجياً . والعلماء الاميركان ، بخاصة ، لم يختارونها مطلقاً ، ومع ذلك في سنة ١٩٥٠ اجتمعت رابطة تقدم العلوم الطبيعية البريطانية وجرى التصويت على آراء ويجينر فانقسمت الأصوات بالتساوي : ٥٠٪ من المؤيدين و ٥٠٪ من المخالفين .

وكان من حجج الذين انحازوا ضد نظرية اشتقاق القارات قضية الأثقـــال . فانهم لا يتصورون قوة يمكن ان تنقل اثقالا هائلة لمسافات عظيمة كتلك الأثقال وهاتيك المسافات المبحوث عنها . عرضت تفسيرات متعددة ، وما من واحدة منها أقنعت العلماء الأخصائيين وزيادة على ذلك ، ان اشتقاق القارات حالياً بعد التحقيق نسبياً . ظن ويجينر بأنه يقدر ان يثبت ازدياد المسافة بين افريقيا واميركا . ان الملاحظات الجارية حديثاً أشارت الى حركة

الانتقال ، وان سطوح القارات تقترب من بعضها البعض وتبتعد بالتتالي بتأثير دفع هائل . ولتبرير هذا القول ذكروا بأن « غروينلاند » آخذة بالابتعاد عن الكتلة الاوروبية بسرعة تقارب ستة وثلاثين متراً في السنة . في سنة ١٩٣٠ فحص ويجيزجثث الأموات في غروينلاند فأثبتت الملاحظات الأخيرة بأن الابتعاد المزعوم غير حقيقي . ولم تثبت الملاحظات الهلكية حتى العصر الحديث وجود براهين قاطعة منتظرة . من مدة بضع سنوات قام عالمـان في طبقات الأرض ك . أ . كاستر و . ج . س . ماندس بدراسات طويلة في أميركا الجنوبية وأجروا مقابلة بين صخورها وصخور افريقيا . ولكن دراساتهم لم تسفر عن شيء سواء كان سلباً او ايجاباً .

وأخيراً ، ليس لدينا برهان قاطع على انتقال مفرز سكة من الارض ، من مكان لآخر ان دقة قياس المسافات التي أصبحت ممكنة بواسطة الاجرام الصناعية ، يجب ان تعطـي جواباً على هذا السؤال . ولكن ملاحظة كهذه ، ينبغي اجراءها خلال عـدد من السنين لتصبح قاطعة .

ليس هناك دليل يبطل آراء ويجينر ، لكن افتراضاته لا تزال غير كافيـة للحصول على تأكيد نهائي .

البراهين تحت الثلوج

يجب ان نذكر الافتراضات التي بنيت عليها نظرية ويجينر ، اذا اردنا ان نضيف قضايا جديدة ذات اهمية الى ملف هذه المسألة الهامة .

قبل العصر الثنائي ، كانت اميركا الجنوبية وافريقيا ومداغسكرواوستراليا وشبه الجزيرة الهندية والمنطقة الجنوبية ، مجموعة في منطقة « كوندوانا » ، وأراضي نصف الكرة الشمالية كانت مجموعة في منطقة « لورازيا » وفي العصر الثنائي انقسمت منطقة « كوندوانا » الى كتل انشقت بعضها عن البعض الآخر .

وبنتيجة الافتراض السابق ، يمكن أن نقول بوجود قوة قادرة على زحزحـة الأرض من مكانها .

وكل ما يؤول الى اذاعة واحدة من الافتراضات الثلاثة السالفـة الذكر ، يؤيـد نظرية ويجبنر .

في اول تقرير اذيع عن اجتماع جرى للبحث في قضايا القطب الجنوبي ، في مدينة بونس ايرس سنة ١٩٦٠ ورد ان هناك قارتان متجمدتان في القطب المتجمد الجنوبي وليس قارة

واحدة ، ان هاتان القارتان مختلفتان ، ليس فقط من وجهة تركيب التربة ، بل في طبقات الارض التي تؤلف كل منها .

تتألف القارة القطبية الجنوبية ـ الشرقية من نجد عظيم مملوء بالصخور القديمة التي يرجع تاريخها الى فترة تقدر بنصف مليون حتى المليون من السنوات ، تشبه في تركيبها الهلكي صخور انجاد اوستراليا والهند وافريقيا الجنوبية والبرازيل . اي مسافةسافرتهاهذه الصخور حتى استقرت هناك ؟ وأما القارة القطبية الجنوبية ـ الغربية فانها ليست سوى امتداد للتجعدات الطارئة على سلسلة جبال الاند وهي من تكوينات العصر الثلاثي ، اذاًهي أحدث بكثير من الشرقية . وكانوا يشكون سابقاً بهذا التصريح وفي سنة ١٨٩٥ أثبت ذلك العالم الطبيعي الجغرافي البولوني هنريك اركتوفسكي عندما عرّف هذه القارة القطبية بأنها قسماً من قارة اوستراليا .

مجموعة نباتات افريقية تحت تربة القارة الاميركية

ان تاريخ طبقات الارض ومطمورات التربة للقارة المتجمدة الجنوبية الشرقية يقدم لنا آثار المجانسة مع الاراضي المختلفة التي تكوّن قارة « كوندوانا » . يمكن ايضاً اعتبار وجود مجموعة نباتية ومجموعة حيوانية مختصة بقارة « كوندوانا » ، تمثّل بنفس الوقت مماثلة كبيرة واختلافاً معيناً مع مجموعتي نصف الكرة الشمالي .

يقدر العلماء الاميركيون بأن المطمورات الارضية التي عثروا عليها في نصف الكرة الجنوبي ـ الشرقي تختلف اختلافاً كلياً عن تلك التي وجدت في نصف الكرة الشمالي وتشبه الى حد كبير مجموعة حيوانات افريقيا الجنوبية واميركا الجنوبية في نفس الزمن .

وجدوا في نفس المكان طبقات كثيرة من الفحم تشهد بكثرة الاشجار في تلك الازمنة فاذا لم نأخذ آراء العلماء الاميركيين بعين الاعتبار وهو قولهم :

« لا ينبغي وجود هذه الطبقات الأرضية في القطب » ، تبرز لدينا فكرة القيام برحلة الى القسم الشرقي من القطب الجنوبي .

واليك شهادات اكثر اقناعاً : وهي الكتل الطينية المسماة « تيليت » والكتل النباتية المسماة « كلوسوبتاريس » . ان الكتل الطينية المذكورة هي فطور من تلك التي تنبت تحت الجليد غالباً . واما الكتل النباتية فهي مكونة من نباتات ذات اوراق عريضة من تلك التي لاتوجد عملياً الا في منطقة « كوندوانا » وهي المرتفعات القديمة من نصف الكرة الجنوبي التي تشمل اوستراليا وقسماً من الهند وما حولها .

في سنة ١٩٦٠ قام فريق من الباحثين في جامعة اوهيو باكتشاف طبقة كثيفة من الكتل الطينية في القطب الجنوبي ، ووجدوا فوق هذه الطبقة خطوطاً من الفحم موضوعة في طبقات من الحجر الرملي وفيها آثار كثيرة من الكتل النباتية . ان هذه المجموعة الهلكية والعادية وجدت في نفس الزمن في جميع أقسام منطقة كوندوانا بلا استثناء . وجدت هناك مطابقة لبعضها مطابقة فريدة من نوعها مع انها تضم مجموعة مركبة تركيباً غريباً .

كتلة مؤلفة من ثلاث قطع

ينبغي أن يعطينا علم طبقات الارض ، بدوره براهين فيما يتعلق بمنطقة « كوندوانا » فاذا كانت اراضي نصف الكرة الجنوبي قد تجمعت سابقاً ، يجب ان تترك التحولات الهلكية للعصور الاولى آثاراً ، وان هذه الآثار يجب ان تنتقل من قارة لاخرى اثناء تجمع الكتلة الاساسية . هذه هي الخبرة التي استفادها « الكس دي توا » من تجاربه ، على وجه التمام ، والتي تثبت بأن منطقة كوندوانا تعرضت قشرتها الارضية لتحولات هائلة بواسطة العوامل الطبيعية ونتيجة لتجعد القشرة الارضية على وجه العموم ، فجرى على اثر ذلك انتقال في التربة من الشرق الى الغرب او من الغرب الى الشرق . وقد اهتدى لآثار هذه التحولات بعد دراسات أجريت على اراضي اميركا الجنوبية وافريقيا الجنوبية واوستراليا ، بعد الاطلاع على دراسات قديمة اجريت على اقسام مختلفة من نصف الكرة الجنوبي . ولكنا اذا اعتبرنا الاصلاحات الحالية الجارية في الاراضي ينتج لدينا قضايا هامة بخصوص التحولات الآنفة الذكر لا تطابق بوجه من الوجوه الدراسات الجارية على طبقات الارض وتحولاتها الهلكية . وعلى عكس ذلك نرى كل قسم من منطقة كوندوانا يطابق القسم الآخر بخصوص ما يحتويه من مواد تظهر التحولات الهلكية الموحدة .

ذكريات الحجارة

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اثبت الخبراء في ايطاليا بأن الطين يترك اثناء احتراقه خطوطاً من المغناطيسية الأرضية . ان هذه الخطوط المغناطيسية ذات اثر بالغ بحيث تبقى آثارها عدة آلاف من السنين . واغرب من هذا ايضاً : قد اكتشفوا بأن الطين اذا دخل الفرن مرة ثانية تختفي الخطوط المغناطيسية الاولى ، ويثبت عليه مكانها خطوط مغناطيسية جديدة . لاحظ هذه الظاهرة الاستاذ تاليه ، بعد ان اجرى دراسات في عدد من افران الفواخير القديمة ، ولاحظ آثار تلك الخطوط المغناطيسية على قطع الفخار التي وجدها هناك .

تساءل العلماء فيما اذا كانت التقلبات الهلكية التي عملت على تكوين الصخور ، لم تثبت المغناطيسية الارضية على هذه الصخور ، اي انها لم تقم بتمثيـــل لنفس الدور الذي قامت بتمثيله عملية طبخ الطين . وعندئذ يمكن ، اثناء درس مغنطة الصخور ، تحديد الحقل الذي عملت به المغناطيسية الارضية بالنسبة لمكان وزمن المواد المراد اجراء دراسة عنها . فاذاتمت معرفة هذه المغناطيسية ، أمكن بواسطتها تحديد موقع مكان ما في تاريخ معين وأمكن التحقق من الجهة التي كانت بها كتلة ارضية معينة في زمن مقرر ، وامكن بالتالي معرفة فيما اذا كانت القارات قد احتفظت ، عبر العصور ، بأمكنتها .

اجريت التجارب الاولى في سنة ١٩٥٤ في مقاطعات ارضية واسعة وبخاصة في افران « بواتيه » الفخارية . ظهر لدى التجارب ان المسافة بين انكلترا والاقطاب المغناطيسية قد تغيرت تغييراً محسوساً . ان هذا التأكيد قادنا الى السؤال التالي : هل كانت انكلترا بموقع الاقطاب المغناطيسية التي تحركت . ان المعلومات الحالية عن المغناطيسية الأرضية تقودنا الى ان الاقطاب المغناطيسية توجد دائماً بجوار الاقطاب الجغرافية ، وان الاختلاف بالمسافة ، على الرغم من تطبيق هذه القاعدة ، يعود الى تأرجـــح مركز دوران الأرض : ان هـــذا الافتراض مرفوض غالباً .

وظلت بعيدة عن الحل النهائي ، اذ بقي ان نعلم فيما اذا كانت الحركة المارة الذكر تشمل مجموع القشرة الارضية ، او تجري الحركة على الكتل الارضية منفصلة عن بعضها وبشكل معين بالنسبة لبعضها بعضاً . ان الملاحظات الجارية في مختلف القـــارات قد أيّـــدت الافتراض الثاني (١) .

محمد أديب الزين

ولو اعجبك كثرة الخبيث

دخل رجل على قتيبة بن مسلم وكان عظيم اللحية وقتيبة خفيفها ، فقال له قتيبة : « لقد كبرت لحيتك » .

فقال الرجل : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لا يخرج الا نكداً » .

فقال قتيبة : « قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث .. » .

---

(١) اقرأ في العدد الآتي المواضيع التالية : « هل كانت اوروبا بجانب خط الاستواء ؟ ما هي القوة التي تدفع الارض ؟ مركب يتأرجح . » وهو القسم الاخير من هذا المقال ،

الربوات المقدسة

هذه قصيدة رائعة مستوحاة من وحي كربلاء المقدسة ، وقد انطبعت صورة صادقة في نفسية شاعرنا ، فانعكست مرآة مجلوة تحكي صورة المدينة المقدسة .

ربوات مقدسات عليها ... أشرق البدر في شعاع النور
وكستها يد الحيا برداء ... سندسي موشح بالزهور
وعلى دوحها تجاوبن لما ... هزها الريح ساجعات الطيور
بقعة بوركت بشاطىء واد ... أيمن اقدس لجنب الطور
اشرقت فوقها كواكب تزهو ... بسنا النور باسمات الثغور
في رباها جداول الماء تسعى ... يترنمن بينها بالخرير
وانعكاس الانوار فيها تجلى ... كتجلي العقود فوق النحور
كلما هبت الرياح عليها ... عبقتها بنافحات العبير
وترى الطل فوق روض رباها ... كعقود الحباب فوق الخمور
وغدا الغصن ينحني فوق غصن ... يرشف الخمر من ثغور الزهور
كم لطير العلوم من نغمات ... فوق تلك الغصون وقت البكور
أرقص النفس فوق طور التجلي ... ترك القلب خافقاً بالسرور
كلما غنت الحياة تغنى ... فوق دوح الوجود بين الصدور
وعليها شمس الوجود تجلت ... واستنارت بسرها المستور
واحاطت غمائم النور في افق رباها ببارق وهدير
يبسم الروض ان بكته بدمع فيه سر الحياة يوم النشور
وغدت فوقه تغرد شجواً ... ابنة الدوح في ظلال الطور
تسكب اللحن كلما جاوبتها ... ساجعات الحياة رجع الصفير
وظباء نوافر قد تبدت ... من خدور العلوم مثل البدور
برزت بعد خدرها مذ رأتني ... هائماً في الهوى بغير شعور
وأماطت عنها الحجاب وقالت ... كن قريراً وآذنت بالسفور

كربلاء — العراق ... محمد القريني

عبد الكريم الخليل والمنتدى الأدبي ★

بقلم توفيق علي برو

كان العرب والترك من جملة العناصر التي أخذت في تشكيل جمعيات بعد اعلان الدستور وقد اندفعت مختلف الأقوام الى تشكيلها وكأنها انطلقت من عقال ، وباعتبار ان قانون ١٩٠٩/٧/٧ بخصوص الجمعيات كان يحظر قيام جمعيات واحزاب ذات اهداف سياسية بتسمية قومية . فان العناصر المختلفة قد لجأت الى تشكيل هذا النوع من الجمعيات بصورة سرية لأنه لم يكن بالامكان وضع السدود امام العواطف القومية التي بدأت تغزو الشعور العام خاصة بعد ان رأت عناصر الدولة المختلفة ، ان الاتحاديين لا يتقيدون بروح القوانين التي يصدرونها هم أنفسهم فيوجهون دفة السياسة الداخلية في مصلحة العنصر التركي . أما العرب فكانت جمعياتهم إما علنية واما سرية . فما كان منها بتسميات قومية كان سرياً . واما الاخرى التي لا تحمل تسمية قومية فبعضها كان سرياً ، والجمعيات السرية الشهيرة هي التالية : الجمعية القحطانية ، جمعية العلم الاخضر ، جمعية اليد السوداء ، جمعية العهد ، جمعية الفتاة العربية .

واما الجمعيات والاحزاب والنوادي العلنية فهي التالية :

المنتدى الأدبي ، حزب اللامركزية العثماني بمصر ، الجمعية الاصلاحية في بيروت ، وجمعية البصرة الاصلاحية وغيرها من الجمعيات الصغيرة وقد عقد مؤتمر من الشبيبة العربية في باريس لبحث حقوق العرب اطلق عليه اسم (المؤتمر العربي الاول) .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان الجمعية السرية المسماة « اليد السوداء » والتي كان طالب الطب في الآستانة (داود يوسف الدبوتي) من الموصل من ابرز مؤسسيها . وكانت الغاية من تأسيسها اغتيال كل من يناويء الفكرة العربية من رجال العرب خدمة منهم للاتحاديين لقاء منافع ومطامع شخصية ، لم تتمكن من الحياة فانحلت قبل ان تمضي سنة واحدة على

★ فصل من كتاب « العرب والترك » في العهد الدستوري العثماني ص ٣٠٨ - ٣١٨ ننشره اليوم ليطلع من لم يطلع على اثر رجالاتنا في الجهاد العربي .

تأسيسها واندمج اعضاؤها في الجمعيات الكبرى (١) .

المنتدى الادبي

واما أبقى هذه الجمعيات وأخلدها ذكراً وأعظمها اثراً وفائدة للعنصر العربي كان هو المنتدى الادبي : ذا الأهداف العلمية الادبية الاجتماعية .

بعد ان الغى الاتحاديون جمعية الاخاء العربي العثماني ، في اعقاب ثورة (١٣) ابريل المضادة ، رأى فريق من شباب العرب النبهاء في الآستانة وفي مقدمتهم طالب الحقوق عبد الكريم قاسم الخليل من أبناء جبل عامل في لبنان ، ضرورة تشكيل ناد علمي يجمع شبان العرب . اذ كان عبد الكريم . عند تأسيس جمعية الاخاء العربي ـ العثماني من الذين نشطوا في الدعاية لها ، فكان يبث فكرة التآخي بين شبان العرب ، ويدعوهم بين آونة واخرى الى بناية الجمعية فيعرف بعضهم ببعض ويشرح لهم فوائد الاتحاد والوفاق ، ويذكرهم بماضي اجدادهم وتاريخهم المجيد (٢) فلما حل الاتحاديون الجمعية مع كافة فروعها والغوا جريدتها « الاخاء العثماني » بدعوى وقوع بعض ما لا يناسب في سورية عند حدوث ثورة ١٣ نيسان وظهور الأفكار الرجعية في تشكيلاتها واعضائها (٣) شعر شبان العرب بالفراغ فألفوا المنتدى الادبي في ١٦ محرم ١٣٢٧ الموافق ٨ شباط ١٩١٠ وكان القصد من ايجاده ان يجمع شبان العرب وطلابهم تحت سقفه وبين جدرانه بدلا من ان ينتشروا في المقاهي او يمضوا اوقاتهم بالبطالة متجولين من مكان الى مكان آخر فيؤمن لهم مبيتاً نظيفاً وحياة طيبة (٤) .

اما الذين اشتركوا مع عبد الكريم الخليل في تأسيسه (٥) فكانوا نخبة من طلاب العرب في الاستانة من ابرزهم : يوسف مخيبر سليمان حيدر من بعلبك ، ورفيق رزق سلوم من حمص ، سيف الدين الخطيب من دمشق ، احمد خليل الحسيني من القدس ، وكان يضم بين جدرانه شباناً من جميع الاقطار العربية ، فترى السوري والعراقي واليماني والحجازي والبرقاوي

«١» احمد عزت الاعظمي ـ القضية العربية ج ٣ صفحة ٣٩ .

«٢» المصدر السابق ـ القصية العربية ـ ج ٣ صفحة ٧ ـ ٨ .

«٣» قيادة الجيش الرابع ـ ايضاحات عن المسائل السياسية التي دققت بديوان حرب عاليه صفحة ١٠

«٤» جريدة المؤيد ـ ٥٩٩١ ، ١٧-٢-١٩١٠ ، قيادة الجيش الرابع المصدر السابق صفحة ١٠ .

«٥» كانت اول هيئة ادارية له مؤلفة من احمد جميل بك الحسيني رئيسا ، وعبد الكريم الخليل ويوسف حيدر ، وسيف الدين الخطيب ، وعزت الجندي ، وسامي الصلح ، واحمد قدري ، وعبد القادر الجزائري اعضاء ، ثم في السنة الثانية اصبح عبد الكريم الخليل رئيسا للمنتدى .

والطرابلسي والفلسطيني جنباً الى جنب يترنمون بذكر امجاد العرب ، وقد قدم احمد عزت الاعظمي المنتدى الأدبي في كتابه عن القضية العربية بقوله (هو الجمعية التي احيت الروح القومي وبثت المبادىء السامية بين طبقات الشبيبة العربية في الآستانة وخارجها ، وكانت خطته الوحيدة نشر الدعوة للقضية القومية الوطنية (١) وقال الاستاذ مصطفى الشهابي الذي عاصر الحوادث وعاش في جوها « ان هذا النادي كان مباءة العروبة في عاصمة الدولة . ففيه كان الطلاب الجدد يتلقون ممن تقدمهم في الدراسة مبادىء القومية العربية ومراميها . وفيه كانت تدرس وتناقش خطط الاتراك الاتحاديين الرامية الى تسييد القومية التركية والقضاء على القوميات السائرة في الدولة .

وكانت أهداف النادي القومية تبرز على الملأ فيما كان يلقى فيه من محاضرات وخطب، وما كان يقام فيه من حفلات ، وما كان ينشر في مجلته من بحوث وقصائد ومقالات واناشيد وطنية ، وما كان يدور فيه من أحاديث ومناقشات في الشؤون العربية سواء بين بعض اعضائه وبعض ، او بينهم وبين زوار النادي الكثيرين من نواب وساسة وموظفين وجالية عربية مقيمة في العاصمة (٢) .

لم يكن نشاط شبان العرب في تأسيسه مقتصراً عليهم فقط انما لقوا مؤازرة كبيرة من رجالات العرب السياسيين في الآستانة وفي مقدمتهم خليل حمادة باشا وزير الاوقاف ،وعبد الحميد الزهراوي ، وشفيق بك المؤيد ، ورضا الصلح ، ورشيد رضا ، وحقي العظم ، ورفيق العظم ، والطبيب حسين حيدر من بعلبك ، وطالب النقيب ، وعزيز علي المصري(بكباشي) وندرة مطران ، ونخلة مطران ، ورشدي الشمعة (٣) الذين كانوا يلقون الخطب احياناً في احتفالاته .

كانت الفكرة التي وجهت عبد الكريم هي ان تكون قواعد المنتدى الادبي مبنية على التربية الاساسية ورفع المستوى العلمي والادبي والاجتماعي لخدمة الفكرة القومية العربية ، فوضع له منهاجاً مفصلا عرضه على الشيخ رشيد رضا ، وكان يومئذ في الاستانة لاصلاح لفته ، ثم على وزير الاوقاف خليل حمادة باشا بغية تنقيح بنوده لاشتغاله في مثل هذه المؤسسات ولسعة اطلاعه وخبرته الكاملة . فرحب الوزير بهذا العمل الجليل وشجع القائمين به . وبعد

«١» احمد الاعظمي المصدر السابق ج٣ صفحة ٣ .

«٢» الامير مصطفى الشهابي ـ القومية العربية صفحة ٧١ .

«٣» قيادة الجيش الرابع المصدر السابق صفحة ١١ .

ان درس المنهاج ونقح ما نقح منه وضع للنادي اسمه المعروف ، ووعد ان يخصص لهسنوياً معونة قدرها خمسمائة ليرة عثمانية من الاوقاف على ان يكون كمعهد علمي للشباب العربي تلقى فيه المحاضرات العلمية في الليل وتؤسس فيه مكتبة قيمة ، مع اتخاذ البعض من غرفة مأوى لابناء العرب الذين لا تساعدهم حالتهم المالية على السكن في الفنادق (١) وما ان اطلع المخلصون من رجالات العرب على تأسيس المنتدى حتى اندفعوا في مساعدتهوتشجيعه فوضع شكري بك الحسيني ، محاسب وزارة المعارف ، واحد اعضاء هيئة ادارة جمعية الاخاء العربي ـ العثماني المنحلة ، تحت تصرف النادي ستين ليرة عثمانية كانت باقية لديه من صندوق تلك الجمعية ، ثم سلمه كل ما كان للجمعية من اثاث ورياش (٢) وتلقىالنادي عدا ذلك مساعدات مالية كبيرة من النائب الوطني الغيور طالب بك النقيب وزميله احمد باشا الزهير من مبعوثي البصرة . هذا فضلا عن كونه قد قام بتمثيل روايتي صلاح الدين الايوبي ، وامرىء القيس ، وجمع من ريعهما مبالغ كبيرة اضيفت الى المبالغ السابقة فتوفرت لديه القوة المالية للسير الى الامام (٣) .

لم يكن للمنتدى الادبي صحيفة تخدم اغراضه في الفترة الاولى من تأسيسه انما كان عبد الكريم الخليل يكتب هو وبعض زملائه في الجرائد العربية التي كانت تصدر في الاستانة كجريدة الحضارة لعبد الحميد الزهراوي والجرائد التي تصدر في سوريا والقاهرة واراد ان ينشىء له مجلة خاصة به غير انه عندما رأى انه قد صدرت مجلة باسم (لسان العرب) من قبل جمعية العلم الاخضر (٤) بإدارة وتحرير احمد عزت الأعظمي ، سعى عبد الكريم قاسم الخليل ان تكون هذه المجلة ناطقة باسم المنتدى ، وان يكون اسمها « المنتدى الأدبي» فكاد أن ينشب خلاف شديد وخطير بين الجمعيتين لولا تدخل ذوي الرأي من الحكماء مثل الدكتور حسين بك حيدر ، وكان وطنياً غيوراً جواداً كثير البذل ساعد المنتدى بمال

«١» احمد عزت الاعظمي المصدر السابق ج٣ صفحة ٨ ـ ٩

«٢» امين سعيد الثورة العربية الكبرى صفحة ٨

«٣» احمد الاعظمي المصدر السابق صفحة ٨ـ٩ـ١٢

«٤» تأسست هذه الجمعية وكانت سرية في الاستانة بتاريخ ايلول ١٩١٢ من قبل الدكاترةاسماعيل الصفار وداود الدبوني وعدد من الشبان والضباط العراقيين والدمشقيين والفلسطينيين كمسلم بك العطار واحمد عزت الاعظمي ومصطفى الحسيني وكثير من الطلبة بالمدارس العليا وكان القصد من تأسيسها تقوية الرابطةبين طلبة المدارس العليا وتوجيه جهودهم الى انتشال امتهم من الدرك المهين الذي وصلت اليه وكان اسم الجمعية يرمز الى العلم النجدي الاخضر لان افكار العرب ـ حسب قول الاعظمي ـ كانت متجهة الى ابن السعود والامام يحيى:احمدعزت الاعظمي المصدر السابق ج٣ صفحة ٣٥ ـ ٣٨ .

وفير (١) وعبد الحميد الزهراوي وحلت المسألة في مصلحة المنتدى الأدبي (٢) .

لم يمض زمن على تأسيس المنتدى الادبي حتى بلغ عدد من انضوى تحت لوائه ما يزيد عن ٢٨٠ شاباً وأديباً من ابناء العرب المقيمين في الاستانة وما يقرب من ٥٠٠ شاباً من طلاب المدارس العالية فيها . من مختلف الاقطار ومختلف الاديان والمذاهب ، وفتحت له فروع في شتى انحاء البلاد العربية وانتمى اليها آلاف من أبنائها (٣) فقد كان له صدى قوي فيها ، كما كان رئيسه على اتصال بالحركات الوطنية وببوادر اليقظة القومية التي تعهدها النابهون من أبناء العرب في كل مكان . وبالجمعيات الإصلاحية العربية في بيروت والبصرة وبحزب اللامركزية في مصر ، وكان له ايضاً باع طويل في عقد المؤتمر العربي الاول في باريس ، وبأقطاب المعارضة العربية في مجلس المبعوثان وخاصة بممثليها من امثال شفيق بك المؤيد ، وشكري العسلي ، وعبد الوهاب الانكليزي وعبد الحميد الزهراوي وغيرهم (٤) وعلى قول الامير مصطفى الشهابي « كان المنتدى يطوي في جنبات أعضائه نزوعاً الى الاهداف القومية وراء الاهداف الأدبية الاجتماعية الظاهرية .

على ان الذي لمسته من كل مطالعاتي المتعلقة بهذا البحث ان المسؤولين في هذا المنتدى وخاصة منهم رئيسه عبد الكريم الخليل الذي احرز رئاسته بالانتخاب من قبل الاعضاء المنتسبين اليه . كانوا حريصين على الرابطة العثمانية والوفاق مع العنصر التركي . وان الفكرة التي كانت تسيطر على أبناء العرب المثقفين ثقافة عالية هي ضرورة وجدوى احتفاظ كل قومية من القوميات العثمانية بطابعها المميز ولغتها وتقاليدها ، واحياء أمجادها وتنمية الشعور القومي فيها ضمن رابطة جامعة هي الرابطة العثمانية التي يجب ان يرفرف علمها على الجميع ، وان تنضوي القوميات تحت جناحها في نظام ديمقراطي حر ، وفي جو من الاخاء والمساواة الذي يهيء لجميع العناصر والاديان العيش الهنيء الرغيد ، والحياة الاقتصادية والاجتماعية الرافهة ، ان اكبر دليل على ذلك ان الاجتماعات العامة وحفلات الخطابة والاحتفالات في شتى المناسبات . وخاصة منها ذكرى المولد النبوي السنوية التي كان يقيمها المنتدى . كان يدعى اليها ابناء الترك من رجالات السياسة والادب والاجتماع (٥) وكان يتخلل الخطب

(١) حكم عليه جمال باشا فيما بعد بالنفي ٧ سنوات الى الاناضول حيث توفي مريضاً .

(٢) احمد عزة الاعظمي المصدر السابق ج٣ ص٣٥ - ٣٨ .

(٣) الاهرام ١٠١٣٤ ، ١٣-٧-١٩١١ ، ٩٧٦٩ ، ٥ - ٥ - ١٩١٠ .

(٤) الامير مصطفى الشهابي المصدر السابق ص ٧٠ - ٧١ .

(٥) كان ذلك بعد سنة ١٩١٢ بصورة خاصة اذ كان رجالات الاتحاديين كطلعت وجمال يحضرون الحفلات بعد ان جرى الاتفاق على حقوق العرب .

المتبادلة بين الطرفين عواطف الود والاخاء والولاء للرابطة العثمانية كما كان يتخللها استعراض لماضي العرب الزاهر ومجدهم الوضاء (١) وبيان السبل المؤدية الى تسهيل امر التعليم الصحيح والثقافة القديمة للناشئة العربية ومن الأدلة ايضاً المقالات الصحفية التي كان ينشرها كبار كتاب هذا المنتدى وفي مقدمهم الدكتور عزت الجندي عضو هيئة الادارة فيه في الجرائد العربية ومنها المؤيد ، والاهرام فالدكتور عزت الجندي (٢) حتى في اشد حملاته على الاتحاديين وفي وقت وصلت فيه الافكار القومية بعد حرب البلقان الى آخر انطلاق لها في نطاق الفترة التي ابحث فيها ، ليس عند العرب فقط ، بل عند العرب والترك على السواء ، لم يخرج عن الرابطة العثمانية ، وكل ما وصل اليه هو وكل من لف لفه من القوميين المتطرفين انه قدم العروبة على كل شيء آخر قال : اننا عرب قبل كل شيء ، المسلم عربي ، والمسيحي عربي ... و ... و ... اجل اننا عرب قبل ان نكون مسلمين ؛ والمسيحي عربي قبل ان يكون مسيحياً .. و .. و .. وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات الى الجوامع والكنائس . فاذا كنا عرباً قبل ان نكون مسلمين او مسيحيين فبالاولى ان نكون عرباً قبل ان نكون عثمانيين .. » (٣) . ولكنه لم يقل اننا عرب ولسنا عثمانيين ، فاذا كان عزت الجندي قال هذا في الشهر الرابع من عام ١٩١٣ فالاحرى به ان تكون لهجته اخف وارتباطه بالعثمانية اكثر قبل التاريخ .

كان عبد الكريم الخليل لولب المنتدى الادبي وألمع شخصية فيه . كان شعلة من النشاط

---

(١) كان من أروع هذه الحفلات حفلة افتتاح المنتدى في ٨-٢-١٩١٠ حيث حضرها رجالات العرب السياسيون في الاستانة وخطب بعضهم فيها ثم القى الشاعر العراقي معروف الرصافي قصيدة رائعة جاء فيها :

وان تكن عربي الاصل لا كذباً ... فمت لاحياء مجد كان للعرب

دع المجامع في لهو وفي طرب ... واجعل مقرك هذا المنتدي الادبي

واختتم الحفلة الموسيقي البارع وديع صبرا العربي اللبناني بعزف النشيد العربي الوطني على البيانو ، وكان قد لحنه بالاشتراك مع بعض طلبة العرب ثم ترنموا بنشيد وطني من تأليف الشاعر اللبناني الرقيق حليم دموس « المؤيد ٥٩٩١ ، ١٧-٢-١٩١٠ »

(٢) الدكتور عزت بك الجندي هو من بيت كبير له وجاهته ونفوذه في مدينة حمص وكان في الصف الرابع من المدرسة الطبية بالاستانة وكان على وشك انهاء دراسته حينما وشى به احد الجواسيس فهرب الى اوربا ثم عاد الى الاستانة بعد اعلان الدستور واكمل تحصيله ونال الشهادة ثم انغمس في ميدان العمل السياسي واخذ يكتب ويخطب دفاعاً عن حقوق العرب المهضومة ثم اشترك في الحرب الطرابلسية مع انوربك وعزيز بك المصري وفي اوائل الحرب العالمية امر جمال باشا بالقبض عليه ونفاه الى الاناضول ولما اراد ان يهرب في الطريق قتله الجنود المحافظون له وقيل انهم قتلوه بناء على الامر المعطى لهم سرا .

(٣) الاهرام ١٠٦٨٢ ، ٢٢-٤-١٩١٣ .

والذكاء نال شهادة الحقوق من مدرسة الحقوق بالآستانة في عام ١٩١٠ بدرجة التفوق(١) وقد وصفه جمال باشا في مذكراته عندما جرت مفاوضات عام ١٩١٣ بين الطرفين لبحث مطالب العرب بقوله « .. فبرز لنا شخص قصير القامة لا يزيد عمره على الثلاثين ربيعاً اسمر اللون ذو عينين واسعتين براقتين تدلان على الذكاء والاقدام هذا هو عبد الكريم الخليل ... » (٢) لقد اخلص عبد الكريم للقضية العربية وشب على حب العروبة وتمسك بأهدابها وعرف السبيل الصحيح لاعلاء مجدها ، سبيل التعليم الصحيح والتربية القومية للناشئة العربية اذ كان يفضل سلوك البناء الاجتماعي الى جانب البناء السياسي تباحث عبد الكريم مع النواب العرب حول خطة مثلي تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائية في دوائرهم فدعاهم الى حفلة اقامها لهم في حزيران يونيه سنة ١٩١١ (٣) واقترح عليهم برنامجاً يرمي الى انهاض البلاد العربية على دعامتين :

١ ـ توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اجناسهم واديانهم وعناصرهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عربيته الشريفة .

٢ ـ توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربي النفوس تربية واحدة ليسير جميع العرب في طريق واحدة والى غرض واحد (٤) .

فاستصوب النواب البرنامج الذي عرضه عليهم عبد الكريم وتعهدوا بتنفيذه بالتآزر مع المنتدى الادبي بعد ان حفل الاجتماع بالخطب الحماسية الرنانة من الحاضرين ولم يتوان رئيس المنتدى لحظة في العمل وسرعان ما شد رحال السفر الى مصر وسائر الاقطار العربية يحمل المشروع الذي تضمن ما يلي بالتلخيص :

ان يقسم كل نائب دائرة انتخابية الى أقسام تؤلف في كل منها لجنة لتعميم التعليم الابتدائي واخرى اختصاصية لترتيب برنامج لإصلاح هذه المدارس على أن تسلك خطة التوحيد ، وأن يعقد النواب مؤتمراً عاماً يحددون زمانه خلال السنة ذاتها ١٩١١ يحضره مندوبون عن هذه اللجان لدراسة جميع البرامج الموضوعة واستخلاص برنامج واحد منها يكون دستوراً للعمل في سائر البلاد العربية : وان يبحث المؤتمر مسألة توحيد الكتب والتربية لايجاد شعور

---

(١) الاهرام ٩٨٧٤ ؛ ٤-٨-١٩١٠ ،
(٢) جمال باشا مذكرات جمال ص ٩٢ .
(٣) احمد عزت الاعظمي المصدر السابق ص ١٣ - ١٤
(٤) الاهرام ١٠٣٤ ١٣-٧-١٩١١ .

واحد في نفوس طلاب جميع البلاد العربية وانشاء مدرسة لتخريج المعلمين ـ دار المعلمين ـ بطريق الاعانات ، وقد تعهد المنتدى بتضحيات مادية وأدبية في سبيل تهيئة المعلمين لهذه الدار ويتطوع اعضاء المنتدى المثقفين للتدريس في المدارس علاوة على وظائفهم او اعمالهم العادية (١) .

ولقد قوبل هذا البرنامج بالترحيب والارتياح في البلاد العربية وخاصة في مصر التي كانت أول من رحب به ونهض لمساعدته فتألفت لجنة فيها ضمت سبعة عشر شخصية كبرى من أبرزهم : احمد تيمور باشا ، محمد باشا الشريعي ، رفيق بك العظم ، الدكتور شبلي شميل . الخ للقيام به والعمل بموجبه (٢) .

في الواقع كان اهتمام المنتدى الأدبي منصباً الى الناحية الاجتماعية والاصلاح الاساسي للنهوض بالامة العربية من حيث الثقافة قبل كل شيء ، لتتبوأ مكانها اللائق في السلطنة العثمانية فكان بهذا الوصف عبارة عن معهد علمي وناد ادبي في آن واحد ، حيث كانت تعطى فيه الدروس الليلية وتعلم الطلاب اللغة التركية واللغات الاجنبية (٣) ويستفيدون من مكتبته الحافلة بالكتب العلمية في سائر فروع الثقافة . انما لم يقتصر الطلاب والمنتسبون اليه على هذا الامر بل كانوا يتناقشون في المسائل الاجتماعية والوطنية التي تجري على مسرح السياسة في الآستانة وفي تقدير قيم الرجال وتفضيلهم بعضهم على بعض . وانتقاد أقوال الجرائد والتنديد بأعمال رجال السياسة ، ويبحثون في الاحزاب السياسية في مجلس الامة وحقوق العرب ، ويعللون العلائق السياسية بين الدولة العثمانية ودول الغرب ، وفي ميزانية الدولة وغير ذلك من المواضيع (٤) .

فالمنتدى الادبي كان أول مؤسسة تعهدت فكرة القومية العربية بعنايتها ورعتها منذ اول نشوئها ، وظهرت هذه الفكرة بنوع من الوضوح في أذهان اعضائها وفي احاديثهم ومناقشاتهم ولكن في إطارها العثماني العام وتلمست طريقها الصحيح طريق العلم والمعرفة والثقافة ، ففي الخطاب الذي القاه عبد الكريم الخليل في الحفلة التي دعا اليها نواب العرب ، ترددت على لسانه كثيراً عبارة الامة العربية ، وتوحيد قوى الامة ، وحدّد فيه معالم وأركان القومية وروابطها مثل ، وحدة اللسان ، ووحدة التاريخ ، ووحدة الوطن ، ووحدة المنفعة (٥) ،

(١) الاهرام ١٠١٣٤ ، ١٣-٨-١٩١١ واحمد عزت الاعظمي المصدر السابق ص ١٣ - ٢٢
(٢) احمد عزت الاعظمي المصدر السابق ص ٢٨ .
(٣) قيادة الجيش الرابع المصدر السابق ص ١١ .
(٤) الأهرام ٩٧٦٩ ، ٥-٥-١٩٥١ من مقال بقلم السائح المتلهف ، بعنوان حياة الامة العربية .
«٥» احمد عزت الاعظمي المصدر السابق صفحة ١٣ ـــ ٢٢ من خطاب عبد الكريم الخليل .

من وحي الجمال

لا أرهب الليل ان سراً واعلانا — ان لاح حسنك فيه اينما كانا
لن يغمض الليل أجفاني على حلم — الا جلوتك فجراً راق فتانا
هناك سر خفي دق مظهره — على العقول فأعطى الكون برهانا
هذا الوجود وعين الحب ما برحت — تطل بالنور ، لو تدريه دنيانا
ما شمت غير السنا من بعد معرفتي — روح المحبة من معناك ، ليلانا
أنار حبك أفكاري وأصقلهـــا — بالوحي حيناً وبالاحلام أحيانا
الحسن بالمبسم السحري مؤتلـــق — سبحان من صاغ هذا الحسن سبحانا
انت الجمال ، سقاني الله من فمه — خمراً أطوف به في الروض نشوانا
لا أغفل الله قلبي عن محبته — ما دمت ألمحه في البدر يقظانا
رقمت حبك في قلبي وعاطفتي — أردد السحر أنغاماً وألحانا
وانثر النجم في الابداع قافية — يا طالما الفجر بين الروض غنّانا
لولاك ما عطّر الالهام ذاكرتي — ولا عرفت لهذا الشعر اوزانا
ما كان من مات بدر الحب يغمره — نوراً وينعشه روحاً وريحانا

شاعر الجبل : محمود صالح

وبيّن ان هذه الروابط موجودة في الامة العربية ، لكنه قال « ان هذه الروابط غير كافية ما لم ترتكز على أساس متين من الثقافة الموحدة والعلم الراسخ ، فكان بذلك من اوائل الذين دعوا الى الوحدة العربية او الجامعة العربية وعرفوا الطريق الصحيح اليها وشرع فعلا في العمل نحو تحقيقها عن طريق المشروع الذي تحدثت عنه .

وقد بقي المنتدى الادبي حتى عام ١٩١٥ ، وقت ان شنق جمال باشا رئيسه اثر محاكمات ديوان الحرب العرفي في عاليه مع شهداء العرب .

توفيق علي برو

«١» لاحظ بعض التفاصيل عن اسباب اعتقال عبد الكريم الخليل مع وصف موقفه صفحة ١٧٨ — ١١١ من العرفان م١ ، ج٤ .

أعمال الصيرفة عبر التاريخ

طرفه

بقلم زيد الزين

نشأت أعمال الصيرفة في أواخر القرون الوسطى كمتمم طبيعي لتوسع التجارة . وعبارة بنك مأخوذة من الكلمة الايطالية بنكو ، وكان للصيارفة القدامى في يطاليا خزانات خاصة لحفظ العملة في السوق التجاري حيث جعلوا من هذه الزوايا المنتشرة هنا وهنـاك مركزاً لمراقبة تجارتهم . وعندما يفلس أحد الصيارفة يكسر العامة خزانته ، ومن هنا نشأت كلمة افلاس بمعنى أن الخزينة المكسورة ولهذه الكلمة معنى آخر في الالمانية وهو تجمع المال .

ان المصارف في عصرنا الحديث تعتمد على القروض المختلفة التي تعطيها الى الزبائن ، بينما كان أصحاب البنوك في الماضي صيارفة فحسب ، يبادلون قطعة نقدية بقطعـة اخرى خاصة ، وان تعدد القطع النقدية في اواخر القرون الوسطى وعدم وجود عملة ثابتة ، ادياالى الاعتماد على الصيرفة . ومن نتيجة عدم قبول كل بلد عملة البلد الآخر جعل التجار يأخذون معهم الذهب والفضة في رحلاتهم ، وعندما يريدون اجراء صفقة ما فانهم يبادلونهم بعملة البلد الذي يشترون منه . ومع توسيع التجارة بدأ يتلقى الصيارفة الودائع لتنقل للتجار من مكان الى آخر ، وبدأوا يعطون القروض بفائدة . وبهذه الطريقة ، تلقىالودائع ،واقراضها الى الآخرين بفائدة ، جمعوا رأسمالا ضخماً جعلهم يعتمدون في المكان الأول على تجـارة العملة بدلا من توزيع أموالهم في عدة تجارات .

نشر الايطاليون الصيرفة على نطاق واسع في أنحاء المعمورة اذ لحقوا بالتجارةالايطالية اينما حل اربابها واينما استقروا ، فأعطوا لعملهم صفة دولية . فصـاروا يشترون ويبيعون النقود والسندات ويعطون القروض للتجار . ومن أهم الأعمال التي قاموا بهـا هي جميـع الايرادات البابوية من مختلف المناطق الاوروبية لقاء نسبة ارباح معينة لهم حوالي ٥٪ ولم يقتصر عمل الصيارفة على ما قدمناه بل ان التاريخ يحدثنا عن حوادث كثيرة انقدوا فيهـا غروشاً ورسخوا اقدام غزاة باقراضهم الاموال الى الباباوات والملوك والامراء وبتقـديم جميع الوسائل لتنظيم فرق نظامية . وعلى مر الأيام استقرضت الدول لاجراء اصـلاحات

شاملة في بلادها ، وتوصل الصيارفة لطلب حق تحصيل الضرائب والرسوم من الاهالي ، فكانوا يقومون بوظيفة الجباة والمحصلين لقاء نسبة معينة يتقاضونها .

طرأ من جراء منع الكنيسة للربى صعوبات في طريقة قرض المال لقاء فائدة . وخلال العصور الوسطى اعتبرت جميع المدفوعات المباشرة للقروض ربا يحاكم مرتكبها بأنه مرتكب خطيئة كبرى وعقابها الطرد من الدين المسيحي . وقد طرد البابا الكسندر الثالث علناً جميع المرابين . وقديماً اعتبر ارسطو ان المال بحد ذاته غير منتج . وظل الاعتقاد السائد بأنه لا يمكن للانسان ان يقترض الا اذا وجد نفسه بحاجة ماسة لذلك .

اغتنم هذه الفرصة باعتبارهم لا يخضعون لسلطة الكنيسة وتسمح لهم شرائعهم الخاصة بأخذ فائدة من غير اليهود ، فسيطروا سيطرة تامة على اقراض العملة حتى وصلت نسبة الفائدة الى ٤٣٪ وليس هذا بالرقم الكبير اذا اخذنا بعين الاعتبار عدم الاستقرار والمخاطر التي يتعرض لها الدائنون في تلك الأيام . على انه على مر الأيام بدأ المسيحيون يمارسون قرض الأموال ، وفي مقدمتهم الذين اطلق عليهم لومبادر ، وهم الايطاليون من ميلانو وجنوا وبيزا وفلورنس ولوكا وقد زاحموا اليهود مزاحمة شديدة وجاء وقت اصبحوا هم أسياد الموقف ولم يعد لليهود تلك الشجاعة في اقراض المال بعد ان خسروا كثيراً من اموالهم بين ايدي الناس ولم يقدروا على تحصيلها ولا يزال شارع لومبارد في لندن يدل على المحل الذي تجمع فيه الصيارفة الأوائل .

لم تبق العناصر الدينية على تصلبها في تفسير الشرائع كما كانت في الماضي لا سيا بعد ان تطورت الحياة الاقتصادية في اوروبا لدرجة جعلت من مفسري الشرائع يبيحون الفائدة لحد ما . فاذا كان القرض لا يدفع في وقت معين سمحت الكنيسة بفرض غرامة بسيطة في هذه الحالة واصبح للدائنين الحق في ان يحصلوا جميع الأضرار التي تلحقهم من جراء الدين ولم يصدر اي تشريع في اوروبا يضع حلا لمعدل الفائدة بعد ان وصل في بعض الأحيان الى الستين في المائة . غير انه في انكلترا ، وضع هنري معدلا للفائدة ١٠٪ وفي اسبانيا حدد فيليب الثاني بعدئذ كمعدل الفائدة بـ ١٢٪ .

من الطبيعي ان تتسع التجارة يوماً بعد يوم مما يتطلب رأسمالا اوسع بكثير من قبل فاستعملت عدة وسائل لسد متطلبات التجارة واهمها ما سمي بالقرض البحري ، وهذا ليس بدعة جديدة بل احياء لعادات وجدت في الأيام الغابرة زمن الامبراطوريات الزائلة على نطاق ضيق فالتاجر الذي يستقرض الأموال من أصحاب الرساميل من اجل تجهيز تجارته الى

الشرق يدفع علاوة على القرض تصل الى الخمسين بالمائة حسب المسافة الكبيرة او القصيرة ، اذا وصلت بضاعته سالمة وذلك لقاء مخاطر البحار . فقد كانت هذه العلاقة خمسين بالماية إلى البلاد السورية ، بينما كانت لا تتعدى العشرين بالمائة الى سردينيا او كورسيكا . وفي بعض الأحيان كان يتقاسم الدائن الأرباح مع المدين في مثل هذه الحالة . ومهما يكن من أمر ، فقد لعبت هذه الطريقة دوراً بارزاً في التجارة الغابرة وسدت حاجة ملحة نظراً للتوسع التجارة ، اذ انها لم تزود التاجر او البحار ليشتري بضائع ويشغل السفينة بل امنته ضد مختلف مخاطر البحر واستعمل القرض البحري في القرنين الرابع عشر والخامس عشر في فينيسيا وبرشلونة ومرسيليا وجنوا . وقد اعتبرت هذه الطريقة من أقدم طرق الضمان البحري .

والطريقة الثانية التي سهلت التجارة على نطاق واسع هي استعمال الحوالات المالية بدلا من حمل الأموال مع التجار مما يعرضهم لمخاطر كثيرة في الطرقات التي يمرون بها . وجرت العادة ان يتجمع عدد من العائلات التي تتعاطى الشؤون المصرفية فتؤسس فروعاً لها في كل مركز رئيسي للتجارة ، فسهلوا كثيراً على أصحاب المصالح بتنقل تجارتهم من بلد الى آخر . وكان التاجر يدفع الأموال في البلد الاول ويأخذها في البلد الثاني بموجب تحويل دون ان يتحمل مخاطر الطريق .

لعبت مدينة فلورنسا دوراً رئيسياً في تاريخ الصيرفة . فالايطاليون اصبحوا في تلك الاثناء صيارفة اوروبة . وكانت فلورنسا مدينة الصيرفة الاولى في خلال القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، نظراً للتجارة الواسعة فيها ، ولثبات عملتها لاسيا غناها بالذهب فاستغل اهاليها هذه الصفات ، وملكوا ناصية الصيرفة ليس في ايطاليا فحسب بل في اوروبا على العموم ، حتى وصلت عدد بيوت الصيرفة في فلورنسا الى الثمانين . ثم زاحمتها فرنسا لمدة قصيرة في القرن الخامس عشر حيث جمع الفرنسي شارل كير ثروة طائلة من تجارة الشرق ، فوطد علاقاته مع حكومته واعطى قروضاً قصيرة الى شارل السابع ليتابع حروبه . وبعد موته اجبر الفرنسيون الى العودة الى اهالي فلورنسا في تصريف اعمالهم المصرفية .

من أبرز العائلات في فلورنسا التي امسكت زمام الصيرفة والتجارة في القرن الرابع عشر عائلات باردي وبيروزي . اسست عائلة باردي فروعاً لأعمالها المصرفية والتجارية في بلدان كثيرة وصلت حتى شمالي انكلترة وشرقي رودوس واسست عائلة بيروزي حوالي مائة وخمسين

فرعاً في اوروبا والشرق وكانتا تقرضان أموالا كبيرة لادوار الثاني وادوار الثالث ملكي انكلترا . فاستعمل ادوار الثالث قسماً من هذه الأموال ليبدأ حرب المائة سنة . واضطر الى التوقف عن الدفع لدائنيه عندما اصيب بخسارة كبيرة في جهازه العسكري . وقبل ان ينفض صيارفة فلورنسا عنهم غبار هذه الضربة القاسية اضطروا الى اعلان افلاسهم عندما توقف ملك صقلية أيضاً عن الدفع . فكانت من أصعب الكوارث التي شاهدتها مدينة الصيارفة وصفها أحد كتابهم بقوله : « جلبت القروض الضخمة للملوك الأجانب الدمار لمدينتنا لم يعرف له مثيل في السابق » . حتى ان فلورنسا لم تسترجع ازدهارها السابق حتى في عهد عائلة مديشي التي وصلت الى تقصي مجدها في القرن الخامس عشر .

بالرغم من أن عائلة مديشي اشتغلت في الصيرفة مدة طويلة ، فان جيوفاني دي مديشي كان اول من اشتهر من هذه العائلة . عندما بدأ يزيد الثروة الكبيرة التي ورثها عن ابيه ، وكان نطاق عمله فرنسا بالاضافة الى المدن الايطالية ، واصبحت اعمال البابوات المالية تتم بواسطته . واكمل ابنه كوزيمو عمل الاب فأسس فروعاً لمصلحته في جميع انحاء الغرب ، وانتزع سيادة السوق المالي في اوروبا ، واصبح فيما بعد حاكم مدينة فلورنسا ، وبلغت العائلة اوج مجدها في عهد لورنز السياسي ، والمالي ، والشاعر والفنان ، الذي يعد من عباقرة عصره غير ان تفسير الظروف الاقتصادية والتجارية ، ومغامراته في الحقل المالي ، اديا الى انقاص ثروة العائلة في السنين الاخيرة من حياته ، ومع مماته لم يعد للعائلة تلك القوة والمجد واتجه دولاب النجاح نحو الغرب ليحرم فلورنسا من سيادتها المالية .

في القرن السادس عشر ، اشتهرت عائلة فافر الالمانية كأقوى بيت صيرفي وتجاري ، بعد ان ابتدأت عملها في الحرير ووسعت تجارتها رويداً رويداً ، من ابرز هذه العائلة جاكوب فاغر المعروف بجاكوب الغني الذي يعد من عباقرة العصر الرأسمالي الأول . وكانت الشركة التي اسستها العائلة تعمل تحت ادارته وتتعاطى مختلف الاعمال الصيرفية ، وتجارة الجملة واستثمار المناجم ، وقد وطد جاكوب علاقات طيبة مع آل هابسبورغ ومع امراء المانيا واراد الحظ ان يخدم هذه العائلة ، فقد اعطى الارشدوك سيجرنند التيرولي عائلة فاغر حصته في مناجم الفضة ، وبعدئذ حصلوا على مناجم عديدة في هنغاريا . وهذان الموردان زادا بدهشة ثروة العائلة . واصبح المثل المتعارف غني كالفاغر « على كل شفة ولسان » .

لما كان آل هابسبورغ امثال شارل الخامس وفيليب الثاني بحاجة دائمة لاستقراض الاموال

فقد اجرت عائلة فاغر صفقات مالية معهم ، وساعدت الاموال التي سلفوها لشارل على ان يرشي الناخبين ويربح العرش الملكي على منافسه فرنسيس الاول ملك فرنسا . وظلت ثروتهم تتزايد الى ان وصلت الى ذروتها ثم بدأت بالانهيار في القرن السابع عشر على اثر الافلاسات التي حصلت في اسبانيا وهولندا .

وبجانب هذه البيوت المالية اسست عدة مصارف اكبرها واثبتها كان مصرف امستردام الذي اسسه تجار امستردام في سنة ١٦٠٩ واصبح مركزاً لتجارة اوروبة العالمية ؛ عدا انه اوجد لتصحيح الاوضاع المالية الغير منتظمة السائدة في البلاد . وقد ادى هذا المصرف خدمات مالية وتجارية كبيرة ؛ غير انه اكتشف في اواخر القرن الثامن عشر على انه اعطى لبعض عملائه مبالغ اكثر بكثير من مقدرتهم المالية واقرض مبالغ كبيرة للشركة الهولندية الشرقية الهندسية ، فسحب الناس ثقتهم منه واقفل في سنة ١٨١٩ بعد ان حل محله البنك الهولندي وفي سنة ١٦٩٤ كان قد انشيء بنك انكلترا الذي لعب دوراً هاماً في تجنب الازمات المالية واعطاء الحكومة الاستقرار المالي المنشود .

زيد الزين

فضيحة الدهر

قصد الاسكندر موضعاً فخرجت عليه النساء تحاربه ، فكف عن قتالهن ، فقيل له في ذلك . فقال :

« هذا جيش اذا غلبناه فما لنا به فخر ، وان غلبنا فتلك فضيحة الدهر ... »

لا بقاء لاتفاق على نفاق

استشهد « ابن الفرات » ايام وزارته « علي بن عيسى » بغير حق ، فلم ينصره .. فلما رجع « علي » كتب الى « ابن الفرات » : لا تلمني على نكوصي في نصرتك بشهادة زور ، فانه لا بقاء لاتفاق على نفاق ، ولا وفاء لذي مين واختلاق ، وأحرى بمن تعدى الحق في مسرتك اذا رضي ، ان يتحرى الباطل في مساءتك اذا غضب ..

الغاية من التعليم

قال جون آدمز : ليست الغاية من التعليم حشر اكبر قدر من المعلومات في ذهن الطالب بحيث تصير المدارس « حوانيت لبيع المعرفة » ويصبح المدرسون عمالا في تلك الحوانيت. وانما الغاية منه توليد الرغبة في نفس الطالب الى حب العلم والبحث وتهذيب عواطفه وميوله ليصبح انساناً نبيلا .

رحلة استطلاعية

بقلم الشيخ سعيد صباح

ركبنا السيارة على اسم الله : الشيخ عبد الحسين صادق ونجله الشيخ حسن ونسيبه الشيخ عبد الكريم صادق وانا من النبطية الى بلدة بنت جبيل وذلك من نحو ثلاثين سنة وتأخرت عودتنا منها بعض يوم واقترح كبيرنا زيارة احد السادة العلماء في قريته وكان قدم حديثاً من العراق وكنت كلي رغبة وشوقاً للتعرف على نواحي الحياة في داخلية بلاد قومي فركبنا الخيل اليه وبعد تبادل السلام والتأهيلات المعتادة وبعد ان امتدح السيد اهل قريته ـ وكان اكثرهم في حضرته ـ وانهم محافظون على عاداتهم وتربيتهم الدينية فلم ينجرفوا مع الاجنبي في تقاليده وازيائه ، وكان ما اجمله السيد تولى تفصيله جاري في المجلس وكان مسناً يستدعي الاحترام وقال : ان السيد محسن لا يمكّن من يحلق لحيته ويلبس افرنجي من تقبيل يده . والعادة المتبعة ان السادة العلماء المحافظين اعتمدوا لبس القمباز والسواد الاعظم في القرى السروال الاسود الواسع السريع وليس في الحضور من يحلق لحيته ويلبس الزي الافرنجي ـ السروال الضيق ـ غيري . وكان المرجع الاكبر في العالم الشيعي اليوم السيد محسن الحكيم الطباطبائي امد الله في حياته يصطاف يومئذ في بنت جبيل وكنا مدة لبثنا هناك مع السيد حيث كنا ضيوفاً على المائدة وفي السهرة لدى المذاكرات وتبادل اللطائف والطرائف على أحسن حال ولست اشك في انه كان مسروراً جداً من وجود وفد يقربه اكثر اعضائه علماء ادباء شعراء ـ فلم استغرب مجابهة جاري لي في المجلس يقصد اساءتي على اعتبار اني ارتكبت مخالفة دينية وانا اعذره لجهله واعتقد ان محيطنا مشحون بأوهام ليست من الدين في شيء ومع الايام اصبحت وكأنها منه وان التمسك بها من الباقيات الصالحات والاستهانة بها من السيئات المرديات وان الدفاع عنها من الواجبات ـ لم استغرب ذلك بقدر استغرابي من سكوت ساداتنا العلماء ، وهم ليسوا قلة ، فلم يخطر في بال احدهم هداية العوام امثال صاحبي الذين يخطئهم العد وجلاء ما ليس من الدين عن الدين ، وان الدين لم يأمرنا على التمسك بلباس خاص وان رسول الله ﷺ لبس الجبة الرومية وهي من لباس النصارى واكتسى الطيلسان الكسروي وهو لبوس مجوس

الفرس ولبس العمامة على القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وما القلنسوة سوى البرنيطـــة على أشكال والوان .

واما حلق اللحية فقد سئل عنه الشيخ محمد عبده المصري المعروف تلميذ السيد جمال الدين الافغاني والايراني الاصل فقال : هو مكروه والاصل فيه التخنث بالتشبه بالنساء وكان قبلا حلق اللحية رذيلة ، وفي بعض التواريخ ان السلطان في العصر العباسي غضب على احدهم فأمر بحلق لحيته ومعنى هذا انه فقد اعتباره كمن فقد حقوقه المدنية وفي الاثناء جاءه العفو وكان قد ذهب نصف لحيته فقال في ذلك بعض الظرفاء :

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا — جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم ار النصف محلوقاً قعدت له — مهنئاً بالذي منها له وهبا
فقام ينشدني والدمع يخنقه — فان افضل نصفيها الذي ذهبا

اما اليوم فالعالم المتمدن بأسره تخلص من اللحية ومن لباس الرأس باستثناء رجال الدين(١) وما عدا سكان البوادي والمجاهل الذين لا عهد لهم بالموسى . وغير هؤلاء فمن لم يحلق لحيته والاصح ــ ذقنه لان لا لحية له صباح كل يوم ــعد مهملا واكثر من ذلك اذا كان على شيء من الوجاهة واما قوى الامن كالجيش والدرك فيعاقبون .

كان في صدر الاسلام النهي عن الاسراف في اللباس واطالته تيه وخيلاء واليوم نرى البسة رجال الدين تكاد تحمي الارض طولا وكان حتى زمن قريب لا يرون تعليم المرأة وانه على شيء من الكراهية الدينية اما اعدادها للحياة المهنية فتلك وصمة اجتماعية ويدحض هذا الرأي امران الاول ان المرأة المتعلمة تبدأ بتربية اطفالهـــا من الصغر فاذا جاء دور المدرسة كانوا على شيء من التهذيب والثاني ان كثيرات من الفتيات المتعلمات اللواتي لا يرغبن ان يكن كلاً على ذويهن فيستخدمن في وظائف غير مجهدة في بعض الدوائر الحكومية وفي المحال التجارية وفي الصحافة والتعليم والتمريض وغيرها ويسقن سياراتهن بأنفسهن ربما استغرب هذا التطرف في حرية المرأة ولم يستغرب ورود القرويات الجاهلات المدن يجلن في الاسواق

(١) دلت التواريخ على انه كان لقضاة الرومان لباس خاص يميزهم عن غيرهم من الناس . وفي وفيـــات الاعيان : ان القاضي ابا يوسف يعقوب في صدر الدولة العباسية هو اول من غير لباس العلماء الى الهيئة التي هم عليها في هذا الزمن وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز احد عن احد بلباسه .. من الواضح ان ميزة رجال الدين بهذا اللباس الخاص الذي هم عليه الآن ادعى لجلالة اقدارهم واحترام مقامهم واستعـــداد الناس لقبول ارشاداتهم وفتاواهم كما ان القضاة الرسميين في جميع الدول لهم لباس خاص اثناء المحاكمـــة هو (الروب المعروف) .

يبعن ويشترين مع العلم ان المرأة المتعلمة احفظ واصون لنفسها من الجاهلة .

ان شريعتنا السمحة البريئة من الحرج جعلوها في غاية الضيق والشدة وحكموا فيها العادات الموضوعة واخذوا يحشون بها عقول العوام بما لذ لهم ـ لست ادعي اننا وحدنا سرنا في هذه المتاهة لقد شاركنا فيها اخواننا السنة على مجال اوسع . . لما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند باللباس الاوروبي والاستعاضة عن العمائم الهجراء والقواويق بالطربوش استصدر فتوى من المشيخة الاسلامية في لباس السراويل القصيرة شرط ان لا تكون ضيقة لئلا يحصل التشبه بالافرنج . ولما احتل نابليون البلاد المصرية اهدى احد وجهائها وساماً فاستفتى هذا في تعليقه على صدره لانه من دولة اجنبية وليس لانه من ذهب .

هاتان دولتان اسلاميتان كبيرتان تدلان على ما كانا عليه من الجهل والغباء في امور الدين واليوم فالدولة العثمانية ــ تركيا ــ علمانية ليست دينية . . اما مصر فكلنا يعلم ان الشيخ الباقوري وزير الاوقاف السابق اباح الافطار في شهر رمضان للعامل المعيل اذا لم يكن له مورد سوى عمله والصوم يؤذيه .

ونحن ماذا فعلنا ــ اننا لا نطلب ان نكون علمانيين ــ وان كنا في دولة علمانية ولا الافطار في شهر رمضان . . وانما نتساءل هل تحررنا من دجل الدجالين وتخلصنا من انقيادنا الى من يسودنا وادركنا ان وعي الجاهل وغنى الفقير يضعف شعبية المتزعمين وبعض المعممين . وان قيمة كل امرىء ما يحسن لا ما يقول . ثم شددنا عزائماً تراخت وجمعنا كلمة تشتتت وعملنا الى ما يرفع بواقعنا الى مستوى امانينا . . . اننا بالتأكيد لم نضع شيئاً بل ما زلنا نحيا الزمن الذي كنا فيه نستطيع ان نرغب عن غيرنا ونستغني بأنفسنا عن سوانا . كأن لم يرتبط مصيرنا بمصير ١٥ طائفة ضجيج نضالها ممن حولنا يصم الآذان نحسها وكأن امرها لا يعنينا واذا كنا نرى تقدماً جزئياً عن ذي قبل فليس الفضل في ذلك لاحدمنا بل للتيار العام الجارف الذي يدفعنا من الوراء دفعاً آلياً دون ان نشعر .

يحار المرء في معرفة اسباب جمودنا منذ عشرات السنين هل نؤمن بالتطور . هذا احد علمائنا يقول منذ اكثر من الف سنة : ان الله عزوجل ينطق العلماء في كل زمان بما يشاكل اعمال ذلك الزمان . . لماذا تنبه غيرنا بسرعة تطور الايام وتخلفه فعمل بجد حتى نال التفوق.

حدثني رئيس احد الاديرة منذ ١٥ سنة قال : كان محظور علينا نحن معاشر الرهبان حمل المظلة وقص بعض شعر الرأس واللحية ولبس الجرابات والاحذية غير صنع الاديرة وركوب السيارة وغير ذلك على اعتبار انها حالة تقشف شأن رجال الدين ولكن بعد ان تغير الزمن

وما كان صالحاً بالامس لا يصلح اليوم ورأينا عدم جدوى ما نحن فيه بل لمسنا شيئاً من الزراية نقابل به من الشعب فهالنا الامر لذلك دعا الرئيس العام مجلس الرهبنة وعقد مؤتمراً تقرر فيه ليس مسايرة الشعب بل والتفوق عليه في الملبس والمركب وما اشبه واوجب على سائر الرهبان الذين هم في دور التعليم انه بعد حصولهم على علم اللاهوت ان ينالوا شهادة الفلسفة اللبنانية اي البكالوريا القسم الثاني وبذلك تفوقوا على الشعب مظهراً ومخبراً ومثل ذلك الخوارنة .

فما المبرر لعزوف مدارسنا قبلا عن العلوم العصرية لماذا لم تكن رديفاً للعلوم الدينية والدين يأمرنا ضمن اوامره ونواهيه برفع مستوانا بين الامم والشعوب وما كان رفع المستوى يوماً بغير العلم ، ليس من يجهل ان الذين يتثقفون ثقافة عصرية يحتلون مراكز اجتماعية مرموقة ومناصب حكومية رفيعة وان كسب المال ايسر لمن كان متعلماً هذه العلوم وهي عبارة عن الجغرافية والتاريخ العام والرياضيات والجبر والهندسة واللغات الاجنبية ... الخ وبها لا بغيرها تقدم غيرنا .

يؤسفنا ان يتحلى القادة الروحيون ـ يوم كان تأثيرهم على الشعب العاملي لا حد له فقد كان يتناول جميع نواحي دون استثناء ـ في اليوم العصيب عن واجباتهم تجاه شعب ساده الجهل وكان آمن بهم والجاهل لا يطلب منه ان يتعمق في تفكيره لمعرفة وضعه المتخلف ليعمل على تحسينه لذلك يجب ان يتحملوا تبعات تقصيرهم لوحدهم ، هذا التقصير الذي كان من نتائجه ان فتياننا وفتياتنا يتعلمون في مدارس غير اسلامية وتبعد الشقة بينهم وبين الدين ـ كما هو مشاهد ـ ويتركون القرية الى حيث يتطلب مستواهم الثقافي العصري وسيلحق بهم غيرهم .. هناك مدرسة داخلية تابعة للجامعة اليسوعية لا تقبل التلميذ اذا تجاوز سنه ١١ سنة ليسهل تنشئته حسب مشيئة المدرسة .

هل فطن السادة الى هذه النتيجة التي لها ما بعدها مهما قلل من قيمة خطرها بعض المكابرين على تجاهلها .

وختاماً لهذا المقال احببت اثبات الكلمة التالية من كتاب (في مهب الريح) لميخائيل نعيمة الفيلسوف اللبناني المعاصر . والله سبحانه يعلم ما بنفسه من الاديان فهو يكبر القرآن ويعده معجزة وان العمل بأوامره ونواهيه يرفع الانسان الى الله . ان معجزة العرب الكبرى هي القرآن هي وحدها التي تستطيع ان تجعل من العرب قوة اين منها قوة الاساطيل البحرية

عهد البكوات في جبل عامل

بقلم محمد كامل شعيب العاملي

فصول من مذكراتنا السياسية

- ٧ -

١ ـ تعليق على رأي الشيخ محمد عبده في احمدعرابي باشا والثورة العرابية .
٢ ـ الفارق بين ثورة عرابي وثورة الشريف حسين .

كنا اشرنا عند نشر كتب السيد الافغاني والشيخ محمد عبده واتهام الشيخ احمد عرابي بالوهن الى ان لدينا تعليقاً على هذا الاتهام لمعارضتنا رأي علامتنا المصلح من الوجهة السياسية والوطنية .

لا شك بأن فشل الثورة العرابية عام ١٨٨١ مما جعل الامة المصرية يستحوذ عليها الخمول الى حين ويؤدي بالنتيجة لانحلال الروح المعنوية في الجيش آنئذ واحتلال بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ عقب فشل الثورة واستسلام احمد عرابي باشا لاسباب جمة سنأتي على ذكرها وقد

والجوية والقنابل الجهنمية واين منها قوة المال والرجال فالاساطيل للصدأ والرجال للموت والمال للزوال اما معجزة القرآن للبقاء ذلك انها اقامت للعرب ولغير العرب هدفاً في حياتهم وكانوا بغير هدف واختطت لهم طريقاً الى الهدف وكانوا بغير طريق، وبرهنت لهم بحياة النبي وصحبه الذين ترجموا المعجزة بأنفسهم ان الهدف مستطاع بلوغه لمن سار في الطريق الا انها اصبحت اليوم وكأنها غير معجزة فقلوب العرب مغلقة دون معجزة العرب منذ ان حكموا دنياهم في دينهم .. اما المفتاح الذي اعطي لهم في القرآن فجوهرة يتبركون بلمسها ويتباهون بجمالها ولكنهم يتهربون من استعمالها فكأنها للتسلية والترفيه عن النفس فقط .

النبطية سعيد صباح

بسطها عبد الله النديم صاحب جريدة التنكيت والتبكيت ولسان حال الثورة العرابية لمصطفى كامل من بعد وسندلي بهذه الأسباب بمعرض الكلام عن مصطفى كامل في المقال الآتي بمناسبة معارضتنا لرأي السيد رشيد رضا بالكتاب الموجه على حسب رأيه من الشيخ محمد عبده لسعد باشا زغلول .

وجدير بالقول ان ذلك الاستسلام واخفاق الثورة العرابية لا يجعلان احمد عرابي موضعاً للاتهام بوطنيته وجرأته واخلاصه كما نوه بذلك الشيخ رحمه الله بكتابه للسيد الافغاني عقيب نفيه لبيروت عام ١٨٨٢ وقد سبق لنا نشره من قبل .

وذلك ان وطنية عرابي وسعد زغلول ومصطفى كامل وحتى النحاس كانت اقوى من الجيل الذي ظهروا فيه وقاموا به بتأدية رسالتهم الوطنية اذ لم تكن الانتفاضة الشعبية والقومية آخذة بالنضوج والاستكمال والاهبة اللازمة في الامة المصرية بل في كل قطر ومصر من اقطار البلاد العربية في شمال افريقيا او في جزيرة العرب ولكن لم تكن وطنية هؤلاء الافذاذ اقوى من عوامل الفشل والخذلان والنكسات التي كانت تصاب بها هذه الاقطار والطعنات في الظهر التي كانت تتعرض لها الامة المصرية وغيرها لتضافر عناصر الضعف في الامة التي اخذت بتلابيب احمد عرابي مكرهاً غير مختار وحملته على الاستسلام رغماً عن تمرده والخوالج الوطنية الجياشة في صدره .

ولا بدع فان قيام حركة عسكرية وطنية لاستخلاص البلاد وهي محتلة لا تتمتع حتى بالاستقلال الداخلي بمعناه الصحيح من يد اقوى الدول نفوذاً واوسعها سلطاناً وخاصة في مثل ذلك الحين مع قلة العدة والعدد وتهيئة الاسباب التامة لانقاذ البلاد من براثن الاحتلال لم تكن بالامر السهل المنال وغريب ان تفوت هذه التقديرات رجلا عظيماً كالعلامة الشيخ محمد عبده وان لا يجد اي مبرر لعرابي بذلك الاستسلام .

ومعلوم انه لما دخل عرابي باشا قصر عابدين على رأس جنده في اليوم التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ ذهب يحمل الى الخديوي اسماعيل مطاليب الامة ومطاليب قسم من الجيش فقط وهذا هو الخطأ في اعلان الثورة دون استكمال كل أسباب القيام بها .

وحجة القائلين بلوم عرابي على تخاذله كالشيخ محمد عبده انه سبق عهد الثورية بقليل من الزمن نواة للحزب الوطني فيها تعمل في سبيل حركة تحررية للعمل على منع الأجانب من التدخل بشؤون مصر ولكن الواقع أن رجال هذا الحزب كانوا يعملون بصورة سرية خوفاً من بطش رياض باشا رئيس الوزارة المصرية في ذلك الحين ومن ورائه الخديوي اسماعيل

والخديوي توفيق بعد عزل اسماعيل وخوفاً من نفوذ الأجانب ودسائسهم وتضامنهم مع السلطة الوطنية في مقاومة الحركة التحررية .

فحركة احمد عرابي باشا وان كانت تعبر عن ارادة الامة المصرية الا انها لم تسانده في موقفه مساندة فعالة كما كان يحدث في عهد سعد زغلول والنحاس وكما يحدث اليوم في عهد عبد الناصر ولم تكن تعبر بالوقت ذاته عن ارادة الجيش بكامله بل عن ارادة الجند المصريين لانقسام الجيش على نفسه وحمل الجنود الشراكسة وضباطهم على الوقوف في وجهه والتمرد عليه وعدم تمكينه من تحقيق أماني الامة المصرية الوطنية لا سيما وان الخديوي مع رياض باشا والوزير الشركسي عثمان رفقي كانوا يعملون على تنفيذ الشراكسة بالجيش على المصريين ولهذا السبب كان يخيم على المصريين جو من الخنوع والاستسلام والتبعية لارادة الخديوية والحكومة والشراكسة بالجيش بآن واحد ، وهذه الأسباب السلبية من المبررات التي لا تقبل الجدل والنقاش وخاصة ان الحزب الوطني لم يتألف في مصر علانية الا بعد ان بلغ السخط اشده على رياض باشا والوزير الشركسي عثمان رفقي وتحيزه لبني جنسه على حساب المصريين الذين كانوا ينعتون بالفلاحين على سبيل الاحتقار والامتهان .

اضف الى ذلك الحكم الملكي الخانع لسلطة الأجانب ونفوذهم وسيطرتهم واملاء ارادتهم لا سيما وان ذلك الحزب لم يوجد نفسه بنفسه بدافع الجرأة والتحرر بل كان صدى لحركة الجيش التي كانت غايتها الدستور والحرية واطلاق يد الحكم الوطني في الحكم فكان التقاء الجيش ـ اعني القسم المصري منه والوطنيين واتجاههما اتجاهاً واحداً في المطالبة ليس الفضل فيه مشتركاً بل عائداً الفضل فيه لتمرد الجنود المصريين على يد عرابي والثورة العرابية بالفعل واستنهاض الافغاني الامة المصرية من سباتها العميق وخمولها المشين من قبل .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان كل دعاة الحرية في الشعوب والاستقلال يتعرضون لدسائس الدول الاجنبية في الجيش وفي صفوف الامة معاً ويذوقون في بدء نهضتهم بسبب ذلك الامرين فكيف اذا ساهمت الحكومات الوطنية في ذلك وكيف كان بوسع عرابي بثورته ان ينجو من الاخطار التي تحيط بها مع تعدد العوامل المناهضة له لا سيما واحمد عرابي كان يحارب من الانكليز والافرنسيين والخديوي ورياض باشا رئيس الوزارة المصرية والوزير الشركسي عثمان رفقي والشراكسة في الجيش بآن واحد فكان من البدهي ان تكون صرخته المدوية كصرخة الحياة في سكون السبات العميق وان يفضي به الامر في الغالب الى اخفاق في الثورة لتجمع القوى المعادية لحربه والفت في عضده .

ويجب ان لا ننسى ان عرابي باشا كان رجلا عسكرياً اكثر منه رجلا سياسياً رغم انهممن تأثر بالروح الوطنية والتدريب السياسي على يد السيد الافغاني وتلميذه المصلح الشيخ محمدعبده وانه كان ممن يحضر مجلسه وتلقينه كالشيخ محمد عبده وجرجي زيدان وقاسم امـين واديب اسحاق وسعد زغلول والشيخ علي يوسف صاحب المؤيد والشيخ علي الليثي وعبد الله النديم ونجيب الحداد وفتحي زغلول واسماعيل باشا صبري واحمد زكي باشا واحمـد تيمور باشا وولي الدين يكن والدكتور شبلي شميل والدكتور يعقوب صروف والكثير من الرجالات المصريين ولم نذكر بينهم مصطفى كامل لانه كان لم يشتد ساعده بعد ويبرز الى تولي زعامة الحركة الوطنية .

فصفوف المعارضة لعرابي من الداخل والخارج وخشيةالخديوي اسماعيل وبعدهالخديوي توفيق ورياض باشا من مطامع عرابي وتضافر الاعداء عليه كما بينا وضعف الحركة الوطنية وعدم وجود اثر بارز للانتفاضة القومية وقيامه بالأمر بنفسه دون وجود مساعدين له من رجالات مصر كل واحد من هذه الاسباب كان يقف حجر عثرة في طريقه .

ونحن لا ندافع عن الرجل الا بحق في فشله بزعامة الثورة والحركة الاستقلالية وخنق تلك الخوالج في نفسه في مهدها كما تعرض مصطفى كامل بين اعوام ١٨٩٠ و ١٩٠٥ للفشل في تزعم الحركة الوطنية وعدم الانتقال بالبلاد الى الاستقلال ومثله سعد زغلول بوثبة عام ١٩١٨ وتزعم حركة الوفد فلم يتسن للامة المصرية الحصول على معاهدة الاستقلال الا عام ١٩٣٦ على يد مصطفى النحاس باشا والـذي انتقلت اليه زعامة الوفد بعد سعد زغلول باشا ثم الغى تلك المعاهدة الرئيس عبد الناصر عام ١٩٥٢ واستبدلها بأخرى وقام بتنفيذها ولو كان يشك في وطنية احمد عرابي لما عطف عبد الناصر على احفاده وذريته ولما شاد بثورته ووطنيته ببعض مواقفه ومجالسه على رؤوس الاشهاد والحقيقة اولى ان تقال لا ان تعلم فقط لذلك اخذنا العجب من صب جام غضب علامتنا الشيخ محمدعبده عليه بهذاالشكل المريب والاتهام الغريب .

ولكن علامتنا المصلح رحمه الله لم ينظر على ما يظهر للثورة العرابية الا من ناحيةالنتيجة لا من ناحية الوثبة والاخلاص المنطوي عليه وحيلولة المزالق الصعبة مع قلة الناصر وكثرة المستنصر من ابناء وطنه على غير طائل من فوزه بالنجاح .

ولو رأى هذا القائد اعواناً له لتدعيم حركته وثورته من الداخل لما باء بالفشل الذي منيت به الثورة العرابية وآب من الظفر والفوز بخفي حنين .

مما لا ريب فيه ان عرابي بالاجمال كان حليفه الفشل ولكن بذور ثورته التي قام بها اعطت نتائج حسنة ومثمرة وكانت بمثابة نواة للثورات والوثبات التي تعاقبت في مصر يتبع بعضها بعضاً كقطع السحاب .

ولو لم يكن له إلا فضل التعقيب والتنفيذ لثورة الافغاني على الاوضاع البالية في الشرق وقيامه بأول ثورة عسكرية في وادي النيل لكان ذلك وحده كافياً بنظر كل منصف لان يعطي الرجل حقه من التقدير ولا يجرده من مزايا الوطنية والثبات والاخلاص .

الفارق بين ثورة عرابي وثورة الشريف حسين

ان ظهور زعامة ما مبعثه العزة والكرامة وخلق حركة من العدم وحياة من الجمود لاسيما عند نقض الدول الاجنبية مواثيقها وعهودها وتضافر اسباب انقطاع الامل من يقظة الامة والمطالبة بحقها واستقلالها لا يحمل تبعة فشل الرسالة القائم بها وحده كما عزا الشيخ العظيم لاحمد عرابي وكما يعزو بعض المتطرفين للشريف حسين بن علي اسباب فشله وخذلانه على غير حقيقتهما اما عن طريق التغرض الناجم عن النهوس او عدم الوقوف على الحقائق وتتبع سير القضية العربية في مراحلها الواقعية وان كان الفارق بين الشريف حسين واحمد عرابي عظيماً لان عرابي مني بالفشل والخذلان بسبب تراجعه أما الشريف فقد مني بالفشل بسبب صلابته وتمسكه بمطاليبه الوطنيةوعدم تنكره لنشأته العربية الوطنية والدينية ومحـاولة تحقيق اماني الامة على جناح الطفرة وعدم التساهل بشيء من حقوقها التامة ولو قيد أنملة .

فالشريف حسين من عظام الرجال الذين انبتهم العنصرالبشري ومن عظام رجالالتاريخ الذين ابلوا بلاء حسناً بالدفاع عن قوميتهم وكرامة الامة العربية وحقهافيالحريةوالاستقلال ولم يكن من ذوي الانحياز لدولة اجنبية واستغلال مصـائب الوطن بدليـل ما لاقاه من الاضطهاد في قبرص بعد نفيه لانه كان مثال الكادح المجد الذي اعطى مثلا في التضحيـة لم يؤده احد من العرب في عهده ومن بعده بالمقياس ذاته منذ فجر الحركة العربيـة الى يومنا هذا .

فقد ذكر حافظ وهبه وزير الخارجية السعودية في عهد الملك الراحل عبد العزيز ابن سعود في كتابه الجزيرة ان بريطانيا عرضت على الشريف حسينعام١٩٢٤ انشاءامبراطورية تضم الجزيرة العربية من اقصاها الى اقصاها وتتناولضم المملكة السعودية اليها شرطارجاء قضية فلسطين لانهاء مسألة تدويل القدس التي تشبث بها البابا الأسبق فأبى ذلك على اثرعقد البيعة له بالخلافة في عمان عام ١٩٢٤ وكان من نتائج ما اوحت اليه العقيدة الوطنية ضياع

ملكه والفضل ما شهدت به الاعداء حتى انه بعدما وثب ابن السعود على عرشه وطعنه من ظهره واصبح بالعقبة اعادت بريطانيا عليه العرض ذاته باستثناء المملكة السعودية فأبى ذلك العرض وتفل بوجه ناجي الاصيل ولورانس واوصى ان يدفن بالقدس لتحمي عظامه القدس والى ذلك يشير المغفور له احمد شوقي يقول في رثائه :

انت كالحق الف الشعب يقظان وزاد ائتلافه وهو نائم

وشهادة السعوديين فيه شهادة قاطعة لا تقبل الاخذ والرد لا سيما والنزاع بينهم وبينه كان قائماً على اشده يومئذ كما هو قائم اليوم بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر بدون هوادة ولا لين .

وهذا غاية ما يتوصل اليه اعظم انسان بطريق القدرة على الثبات والتضحية بعرشه وراحته وكرامته وهو فوق الفوق بين خيار الرجال الوطنيين وما اتصفوا به من التضحيات النادرة والكرامات اللامتناهية والفضائل العجيبة النادرة .

ويقول المغفور له احمد شوقي بالشريف فيصل الكبير واشقائه من القصيدة ذاتها :

شيدوا الملك في العراق وفي الشام فسنوا الهدى وردوا المظالم

ومما لا شك فيه ان الشريف فيصل الكبير رحمه الله اتيح له ما لم يتح لأشقائه من الدور الذي لعبه وجمع شتات الامة حوله بحقبة من الزمن وانه قدم من التضحيات بالتخلي عن عرشه في دمشق ما قدمه ابوه من التضحيات بالتخلي عن عرشه في الحجاز والتمحلات الباطلة لا تدحض الحق ولا تغير وجه الحقيقة .

على ان هنالك فارقاً ملموساً بين ثورة احمد عرابي وثورة الشريف حسين لان ثورة عرابي باشا كانت ثورة عسكرية بحتة في الواقع وان كانت تحمل في طياتها رغائب الامة المصرية يومئذ كثورة الامام يحيي حميد الدين في اليمن على الترك والانكليز لتقرير مصير اليمن لا شأن للشعب ارادته بهما من الناحية القومية بينما ثورة الشريف حسين كانت ثورة عسكرية سياسية بآن واحد اذ سبق للامة العربية المطالبة بحقها في الاستقلال عن الدولة العثمانية وعلى رأسها الشريف حسين ونجله فيصل الكبير وكانت نتيجة هذه المطالبة تعليق الرجال الاحرار على أعواد المشانق عام ١٩١٦ عن طريق احكام ديوان الحرب العرفي بعاليه .

وهذا ما حدا بالنتيجة بالشريف حسين لاعلان الثورة بوجه الترك عام ١٩١٦ بعد ان اعد لها العدة عام ١٩١٥ وعقد اللواء لنجله الشريف عبد الله وبعد ان استحصل على كتاب من مكماهون سفير بريطانيا بمصر يتعهد به باسم الدولة البريطانية بالسماح للعرب بإنشاء

امبراطورية عربية وعدم مطالبتهم بديون الحرب عام ١٩١٦ ولكنه ما لبث بعدنهاية الحرب العامة ان اصطدم بمعاهدة سايكس بيكو ومعاهدة فرسايل وتقسيم البلاد العربية بموجبهما الى مناطق انتداب بين فرنسا وبريطانيا فقامت المشادة بينه وبين بريطانيا في الحجاز وفلسطين وبين نجله فيصل الكبير وبين فرنسا في سوريا ولبنان حتى الغى فيصل الكبير مفعول المعاهدتين بنشاطه الذي قام به في سوريا والعراق فليتفهم العرب جيداً ذلك .

شهدت مجلساً في عاليه في صيف العام الفائت وحواراً بين النائب العراقي والزعيم والوزير السابق اسماعيل بك غانم احد رجال المعارضة في العراق لنوري باشا السعيد وبين صديقنا المتحمس الناهض محمد علي الطاهر من رجالات فلسطين المعروفين ينحي به اسماعيل بك غانم على الاستاذ الطاهر باللائمة لعطه حق الشريف حسين بمقال نشره في الصيف الفائت في مجلة العرفان ويحمله على الرجوع عن غلطه والعودة الى حظيرة الصواب بعد أن سرد له مراحل القضية العربية ومصاعبها في بدء امرها وما عاناه في سبيلها الشريف حسين ونجله فيصل الكبير من المشاق وما لاقياه من الألاقي وما قدما من التضحيات التي تحمل في طياتها شعائر العزة والكرامة الى اقصى حدودها اللامتناهية التي تكاد تعد من المعجزات .

لنكن منصفين ونعطي كل ذي حق حقه ونضع الامور في مواضعها ولا يضيع مثقال ذرة من جهود المجاهدين والعاقبة ولا جرم للمخلصين .

محمد كامل شعيب العاملي

وعظني شيبي

قال بزر جمهر :

نصحني النصحاء ، ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتأديباً . فلم يعظني مثل شيبي ، ولا نصحني مثل فكري .. وعاداني الأعداء فلم ار اعدى الي من نفسي اذا جهلت .. وأكلت الطلب وشربت المسكر فلم أجد الذ من العافية والامن .. واكلت الصبر وشربت المر فلم ار امر من الفقر .. وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم ار حملا اثقل من الدين .. وطلبت احسن الاشياء عند الناس فلم ار شيئاً افضل من الخلق الكريم...

اقوال

ـ حين يفتقر الرجل الى زوجة ذات قلب حنون يضطر الى الكفاح في ميدانين : البيت والعالم .. وهناك يتحطم فتتحطم زوجته .

ـ النقد الاصيل رصيد هائل : يقوم المنتج وينير السبيل للمستهلك .

شعراء من جبل عامل

بقلم السيد علي ابراهيم

الشيخ محمد نجيب مروة

– ١٠ –

ولد بالزرارية سنة ١٢٩٩ وتوفي بقرية عيتا سنة ١٣٧٦ . تسخو الحياة على ابنائها بأفراد نابهين هم خير ما تعطي ، يبقون اشارة لمجدها ورمزاً لعظمتها ، وكأنها تحرص على ان يكونوا روّادها وامثلتها العليلة وشواهد لاتقان الصنعة وابداع الصانع ، وليس للتعوق ناحية واحدة ومنهجاً خاصاً ، وكثيراً ما نراه بالأشياء البسيطة العادية مظهر اعجاز ودليل مقدرة ، فنقف امام هذه الظاهرة لا نستطيع ان نفسر ونعلل واكثر النوابغ لم يمروا بدراسة منظمة رتيبة ولم يجوزوا مدارج العلم ومراقبه مثل سائر الناس وانما هم شوارد وفلتات شع نورها وبهر سناها الأبصار ، ومنهم الشيخ محمد نجيب مروة الذي لم يدخل مدرسة ولم يقرأ عند معلم غير ان والدته علمته مبادىء القراءة والكتابة ولما شبّ لزم شيوخ العلم والأدب وتتبع الكتب فأتقن اللغة وقواعدها ووجد بالشعر متنفساً لما يختلج بصدره فسلك سبيله وبرع فيه .

وكان عصامياً جعل من نفسه وابائه وطموحه سبلا للهداية وبقي سحابة عمره يبصر ويحس ويصور ، لم يمل من التأمل والاعتبار عاش مع الناس متواضعاً سهل المنال قريباً منهم ينظرون في خواطره وآثاره فيجدون نفوسهم ، فطر على الفكاهة فترك منها الشيء الكثير ، الحي الباقي وصور لنا الحياة برحلاته واسفاره ومطارحاته ومثّل مجتمعه وذكر قصصه واخباره ويعتبر شعره مصدراً في هذه الناحية وهو حتى في حالة جده وشكواه لا يستطيع ان يبكي

صادقاً، فوراء دمعته ابتسامة مشرقة لسان حالها ما يقوله ابو ماضي :

ايهذا الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا
ان شر الجناة في الارض نفس ... تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمي ... ان ترى فوقها الندى اكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئاً ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

طيب الفطرة نقي الجنان لا تمر به الاساءة الا كما يمر العابر في ناد حافل حاشد لا يعرفه الجالسون ولا يأبهون له يرمقونه بنظرة عطف واشفاق .

امتاز شعره بهذا العرض الواضح بالمواضيع المحلية التي مارسها ونشأ فيها يافعاً وكهلا وبالثمرات التي حصل عليها من تنقله واختباره وتعرفه على الوجوه والنفوس . وبالسهولة والجلاء حتى كأنك عندما تسمعه تصغي لقاص ماهر يجيد الاداء ويتكلم من قلبه دون ضيق وترويق يقدم لك نفسه وشعوره وينقل اليك احساسه ويتقرب منك ببساطة محببة اسمعه وهو يخاطب الشيب .

يا شيب ما لك قد كرهت فراقي ... وعلام قد لزمت يداك خناقي
بيضت ظاهر عارضيّ ومفرقي ... فاسود باطن قلبي الخفاق
امضيّق الاخلاق هل لك غيبة ... عني فأغدو واسع الاخلاق
نأت الشبيبة بعد طول دنوها ... مني وعافت منزلي ورواقي
وعلي في سنن المشيب وشرعها ... اضحت محرمة بغير طلاق
كم قد بكيت على الشباب لانه ... اذ سار ودعني لغير تلاق
ولكم احن الى لقاه وقربه ... بعد التفرق حنة المشتاق
ذهب الهنا وصفاء عيشي بعده ... وغدا الشيوخ الشائبون رفاقي
وفقدت شدة ساعديّ وهمتي ... ثقلت وخفت قوة الاعراق
وابيض شعري والزمان احاله ... قطناً وبارت صنعة الخلاق
وكرهت ان تحتل وجهي شيبة ... بيضاء تلمع فيه كالمزراق
ويحسن الفقهاء لي اطلاقها ... وانا اقبح مذهب الاطلاق
ويعد عندهم المخفف ذقنه ... بين البرية اكبر الفساق
ومن التقلب في عذاب جهنم ... يوم القيامة ما له من واق
كم قال لي اهل الديانة منهم ... ذهبت بدينك شفرة الحلاق
فأجبتهم كفوا فتطويل اللحى ... بعد المشيب مخالف لمذاقي

واذا ابيتم فاكتبوا ضبطاً بها ۞ والى المفوض حولوا اوراقي

واسمع قوله يصف فيه تفكيره ويذكر رأيه بالمال واصحابه :

وقائلة ارى منك المحيا ۞ يُجَلُّ عن المحاسن والجمال
وشخصك للغنى اضحى عدواً ۞ وحالك في الخصاصة شر حال
وتهجو من تشاء من الغواني ۞ وتهزأ بالكثير من الرجال
فقلت لها عداك الفهم اني ۞ بقولك يا اميمة لا ابالي
يسود المرء في ادب وعلم ۞ وليس يسود في حسن ومال
فكم في الأغنياء اولى وجوه ۞ وسام غضة بيض صقال
تراهم صامتين لضعف فهم ۞ بأندية المعارف كالبغال
وكم عبد فقير ذي علوم ۞ يعلق في رؤوسهم المخالي

ولم يسلك طريقة المديح والرثاء التي سار عليها من عاصره من الشعراء الـذين حرقوا البخور امام حاكم ظالم او متمول احمق ، ووقفوا ينشدون الحانهم ويرددون انغـامهم بواد غير ذي زرع ، ففضّل على ذلك التمشي مع فطرته ورغباته والافصاح عن مكنون صدره وهو في قصيدته (النورية) فيلسوف وان لم يقصد الفلسفة مدح غيره الملوك والامراء فقرعهم هو بمدح النور وعبث بممدوحيهم بأسلوبه البسيط اسمعه يقول في مقدمتها :

(انني منذ تطفلت على فن القريض حتى الآن ما عودت نفسي على مدح فلان بك وفلان افندي وفلان خواجا لما خصني الله عزوجل به من الاباء والعفة بل كل نظمي هزلي في سبيل الفكاهة واللطائف الأدبية المضحكة كما قيل (وللناس فيما يعشقون مذاهب) ولقد نظرت الى الطائفة النورية فوجدتها محرومة من المدح والثناء لم ينسب اليها شيء من المكارم والمفاخر ولا ذكرها بذلك ذاكر ولا عرج عليها بالمدح شاعر فمدحتها بهذه القصيدة قربة الى الله لا طمعاً بالجائزة اذ لا يوجد عند هؤلاء القوم سوى الطبول والغرابيل والحمير العرج وهذه هي القصيدة :

بفضلكم قد اقر البدو والحضر ۞ في كل ناحية يا ايها النور
ان الغرابيل لا تعزى لغيركم ۞ بشغلها ذكركم في الناس مشتهر
والعرس يزهو اذا جئتم اليه كما ۞ يزهو النبات اذا ما جاءه المطر
فكم لكم نغمات فيه قد قرنت ۞ بالرقص يأنس فيها السمع والبصر
لا تنزلون مـدى الأيام في بلد ۞ الا ويذهب منه الهم والكدر
فأنتم لسرور الناس داعية ۞ لا افلح الناس اذ هم منكم سخروا
نلتم لعمري من الدنيا بعيشكم ۞ دون الورى راحة ما نالها بشر

لا ترهبون ملوك الارض قاطبة ولا ينالكم من حكمهم ضرر
ما غادروا في بلاد الله طائفة الا بها في زمان الحرب قد ظفروا
وانتم ما نأى عن اهله احد منكم ولا مات في الهيجا لكم نفر
ونار تلك الوغى كم احرقت امماً لما غدت في نواحي الارض تستعر
وانتم لم يصلكم قط يومئذ من نار تلك الوغى جمر ولا شرر
واي قوم سواكم في معيشتهم ما أشغلت قط في الدنيا لهم فكر
لا تفلحون فتعييكم فلاحتكم وتعتريكم بها الاوصاب والضجر
وانما رزقكم في كل آونـة مهيأً في بيوت الناس مدخر
يا آل جساس فلتحيوا فان لكم مناقباً كلها بين الورى غرر
مناقب جمـة ليست تعادلها بكثرة في علاها الانجم الزهر
هل يحسن الناس في الاعراس مثلكم ضرب الطبول عليها ان هم نقروا
وهل سواكم بخلق الله من احد يوماً على المشي فوق الحبل يقتدر
كرامة خصكم باري السماء بها بمثلها في بلاد الناس يفتخر

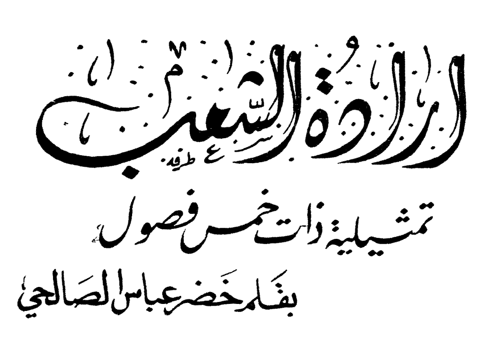
ومن جده قوله مخاطباً العرب ابّان اشتداد مظالم الاتراك :

الا فليفق بعد الرقاد وينثني الى الحرب من غلمانكم كل نائم
فحتى متى هذا القعود وقد سقت بنو الترك من اوداجكم كل صارم
وحتى متى ترضون بالضيم والعدى تروح وتغدو بينكم كالأراقم
وحتى متى تغدون في كل وجهة وتمسون في ذل من العيش دائم
اما آن ان تأبى الهوان نفوسكم فعيشكم بالذل عيش البهائم
فكم غالت الاتراك منكم اماجداً اولي عزمات كالليوث الضياغم
غدوا بين مقتول بغير جناية وبين طريد للخمول ملازم

وله من قصيدة ايام الحرب والامراض والمجاعات .

هل الزمن الماضي يعود ويرجع وتنشر اعلام السرور وترفع
ويحسن هذا الدهر بعد اساءة ويعدل من ظلم الأنام ويقلع
الا ان هذا العصر للجوع والغلا وللموت والامراض والحرب مجمع
فكم من ديار فيه من اهلها خلت فها هي بعد اليوم قفراء بلقع
وكم من بلاد اهلك الفقر اهلها ولم يبق فيها للمعيشة مطمع

بيروت علي ابراهيم



- ٢ -

الفصل الثاني

اليوم هو الجمعة الموافق للرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٢ هجرية ، وقد انبثق فجر الحرية مضمخاً بالدماء .

وها هو شارع الرشيد يموج بحشود الجماهير الشعبية الهادرة التي تضج بالعزم على البذل والفداء ، بعد ان خرجت من قوقعتها المظلمة الى عالم نيّر وضّاء ، ودبابات الجيش العراقي الثائر تخترق الجموع الثورية الصاخبة متجهة صوب مبنى وزارة الدفاع ، وهناك تلاحمت قوى الشعب والجيش ، القوى الخيرة المناضلة ؛ للقضاء على وكر الطاغية الـــذي سام الشعب مر العذاب ، واعمل في البلاد نهباً وتخريباً .

ثامر (وهو يلتفت الى ابنه ويصيح) ولدي ، ولدي (عادل) هيا بنا الى احد مراكز الشرطة لنأخذ السلاح ،لدعم كيان ثورتنا العربية التقدمية التي هي حصيلة نضال الشعب بقيادة جميع المنظمات القومية .

عادل : (في لهفة دافقة) تفضل يا ابي ... ويسرعان الخطى ، ويدخلان مخفر شرطة الدوريين ، ويتناول كل منهما بندقية وينغمران في تيار الجماهير الثورية الزاحفة لدك معاقل الطغيان بنيرانها المدمرة ، وعزيمتها المؤمنة الصادقة ..

ثامر (كبركان يقذف الحمم) يجب ان يكونا الطليعة الثورية المتحفزة للتضحية في سبيل اداء الواجب ، والجريئة في الدفاع عن الحق ، وارساء صرح العدالة ، ومناوأة الطغيـــان

والتعسف وازاحة الظلم عن الشعب ، ودق اعناق الخونة القتلة ، والسفاكين للدماء . والذين قاموا ضد الطليعة العربية الثورية بحملات تنكيلية بعيدة عن ابسط المفاهيم والقيم الانسانية ، وكانوا اداة طيعة لتنفيذ اهداف الاستعمار وترسيخ اقدامه في ارض الوطن الطيبة .

عادل (ينحني الى الارض ويلتقط منها ورقة ويصرخ في صوت عال) ا بي ، ابي ،اقرأ انه منشور شيوعي .

ثامر (ولبث مسمراً في مكانه كالمصعوق وطفق يقرأ)الى السلاح لقمع مؤامرة الاستعمار والرجعية ايها الشعب العظيم ، ان الخونة المتآمرين محصورون في ابي غريب ، ان بعض الزمر تحاول توسيع عملياتها في بعض انحاء جانب الكرخ . الجماهير الشعبية تسيطر في جميع انحاء بغداد وسائر بقاع البلاد .

اننا ندعو الجماهير لمهاجمة الجيوب الرجعية وسحقها دون رحمة وعدم الانتظار ، ان استقلالنا الوطني امام خطر مؤكد . ان مكتسبات الثورة امام خطر مؤكد .

اسحقوا المتآمرين الخونة دون رحمة ، استولوا على السلاح من مراكز الشرطة ، ومن اي مكان وجد فيه ، وهاجموا المتآمرين عملاء الاستعمار .

ان الخونة يحاولون من الجو قصف معسكر الرشيد ، ووزارة الدفاع وسائر المعسكرات التي تسيطر عليها جماهير الجنود والضباط المخلصين ، ان الزعيم عبد الكريم قاسم والعبدي والمهداوي وسائر الضباط المدافعين عن استقلالنا الوطني يمسكون الآن بدفة قيادة الجيش.

ان دحر وسحق المتآمرين هي المهمة العاجلة من اجل صيانة الاستقلال ، ومن اجل الديمقراطية .

الحزم والجرأة والاقدام لصيانة الاستقلال الوطني ، مارسوا حقوقكم الديمقراطية كاملة ان تقليص حقوق الشعب الديمقراطية ، هي التي اعطت للخونة مجال التآمر ..

الى السلاح ، الى الهجوم في كل انحاء بغداد والعراق لسحق جيوب عملاء الاستعمار المتآمرين .

بغداد في ٨ شباط ١٩٦٣ ميلادية .

الحزب الشيوعي العراقي

عادل (يبتسم ساخراً) انه منشور الخيانة الذي وزعه الشيوعيون في الساعات الاولى من الثورة ، وقد حسبوا انهم يستطيعون القضاء عليها في المهد كما فعلوا بثورة الشهيد عبد الوهاب الشواف في الموصل يوم الثامن من شهر آذار عام ١٩٥٩م ، انهم اولئك المنحرفون

لاجراء الذين رضوا لأنفسهم ان يكونوا آلة طيعة للغير ، يستخدمهم لتحقيق اغراضه لدنيئة ، والسير قدماً في الطريق المليء بالكوارث والاجرام ، ومعاداة أهداف الشعب العربي

ثامر (ينتفض صارخاً) عادل ، عادل ، كن حذراً ، متيقظاً ، فهذه فلول العصابة لانتهازية المجرمة تشهر السلاح في وجه قوات الثورة ، وجنّدت نفسها لتنفيذ الخطط المسعورة راحت ترتكب الآثام والمآسي اللاانسانية الموغلة في الاندفاع الاجرامي المحموم، فتصوب وهات بنادقها الى صدور الجنود البواسل ، وقلوب الثوار العرب ، فسقط الكثير منهم شهداء على مسرح الأحداث الدامية .. وتظل قوى الجماهير التي ارهقتها القيود منطلقة في لاتجاه التحرري العربي المعادي للاستعمار ، وموجهة ضرباتها المبيدة لعملائه المأجورين ، مضحية بدمائها من اجل ان تبقى جمهوريتنا العراقية شامخة شموخ الذرى ، صامدة كالطود الأشم بوجه الشدائد والمحن .

عادل (ولعلعة الرصاص تجلجل في آفاق بغداد ، وسحب الدخان تتكاثف قرب السقوف وحول المصابيح) ابي ، ابي لقد وصلنا الى مبنى وزارة الدفاع ، وها هي قوات جيشنا العملاق ، وطلائع الحرس القومي تسير بخطى واسعة الى النصر الساحق ، الى المجد السامق ، وتقوم بعملية القضاء على آخر مقاومة يائسة تمارسها شرذمة ضئيلة من جلاوذة عبد الكريم قاسم الذي زاول ضد شعبنا الأبي سياسة النهب والاغتصاب والتدمير ، واحدث فجوات عميقة بين صفوف الجماهير ، وانتهك حرمات الفضيلة ، ونظم الحملات الظالمة على الدول العربية المتحررة ، وسعى الى تسخير مراكز الحكومة واجهزتها لتطمين مصالحه الضيقة .

وخيم الهدوء على المكان ، وتشرب الأفق بحمرة الشفق القاني ، وكان المجلس الوطني لقيادة الثورة قد اصدر بياناً يأمر فيه منع التجول على المواطنين ... فقفل (ثامر) وولده (عادل) عائدين ادراجهما الى البيت ، وهما شاكيا السلاح بعد ان اديا واجبهما القومي في ملاحقة الشعوبيين الارجاس الذين لا يمكن ان يعملوا الا في جو مشبع بالارهاب والفوضى، وتمزيق وحدة الشعب ، ورن جرس الباب رنيناً متواصلا ، فلما فتحت (فضيلة) الباب وشاهدت زوجها وابنها يحملان بندقيتهما ..

هللت بفرحٍ غامر ، ورفعت عقيرتها بالهتاف الحار المدوي بحياة الثورة العربية الظافرة وقادتها الشجعان ، ودخل الجميع الى فناء الدارِ وسط عاصفة من الصفيقِ والأهازيج الشعبية ...

الفصل الثالث

ها هي قوات المظلات بقيادة العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت ، وعددها يزيد على الفي ضابط وجندي ، جاءت لمساندة طلائع جيش الثورة ، والقيام بعملية الاقتحام النهائية لأسوار وزارة الدفاع المنيعة ، فتوزعت الى ثلاث مجموعات تهاجم من ثلاثة اتجاهات ، وامطرت حرس عبد الكريم قاسم بوابل من النيران الثقيلة المركزة ، واضطرتها الى الانسحاب بعيداً عن الابواب الثلاثة الحصينة ، وكان الغروب قد بدأ يسدل استاره على بغداد ، وخيم الظلام الرهيب على مقر وزارة الدفاع بعد ان قطعت اسلاك النور ، وظهر كأنه مقبرة موحشة ، وتحولت بعض اقسامه الى انقاض واحجار متناثرة ، واكفهر ظلام الليل وازداد عمقاً ، وتعاظم اشتداد الهجوم الكاسح على المبنى ، واحس جنود الحرس بأنه لا امل في المقاومة ، خصوصاً بعد ان سقط عدد كبير منهم قتلى وجرحى بفعل صواريخ الطائرات ، ومدافع المظلات ، ولم يبق منهم سوى ستمائة جندي ، فألقوا سلاحهم ، واستسلموا جميعاً ، وشعر عبد الكريم قاسم بالأرض تميد به ، واسود كل شيء في عينيه ، وعراه الارتباك ، وازداد امتعاضه ، واشتد به الضيق والكرب ، وشحب وجهه شحوباً شديداً حتى شابه لون الليمون ، وداخله القلق ، واجتاحه الاضطراب ، فهرب من خلف مبنى وزارة الدفاع الى قاعة الشعب وراح يذرعها جيئة وذهاباً ، ويرتجف هلعاً ، وينتفض فرقاً ، وهناك تم القبض عليه مع فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان خليل سليم ، ونقل عبدالكريم قاسم بمدرعة والآخرون بسيارة مصفحة الى دار الاذاعة العراقية ... حيث يساقون الى نهايتهم المحتومة وهم متسربلون بأثواب الهزيمة والذل والجبن .

الفصل الرابع

في احدى غرف دار الاذاعة العراقية ظهر عبد الكريم قاسم ، وفاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد ، وكنعان خليل سليم ، وكانوا في حالة من الهوان والخنوع الى درجة يؤسف انهم ضباط في الجيش العراقي ، فقد شربوا كأس المذلة مترعة حتى آخر قطرة فيها .

واقبل السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية ومعه اعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة ..!

الرئيس عبد السلام عارف (وهو يخرج من جيبه القرآن الكريم) اسألك للحقيقة والتاريخ ان تقسم على هذا المصحف الشريف ، هل قمت انت بوضع خطة ثورة الرابع عشر من تموز .

عبد الكريم قاسم (امتقع لون وجهه حتى بات كقشر الليمون وزم شفتيه واستحال الى تمثال اخرس) .

الرئيس عبد السلام عارف (وهو يرفع المصحف ثانية) هل تستطيع ان تقسم بهذا القرآن الكريم انك كنت تعرف تفصيلات خطة ثورة الرابع عشر من تموز .

عبد الكريم قاسم (وكان شعور أليم يمزّق قلبه ، والنظرات الحزينة لا تفارق عينيه وصمت ولم يتكلم) .

الرئيس عبد السلام عارف (في حرارة وصدق) هل أنت الذي اعددت البيان الاول لثورة الرابع عشر من تموز ، وان لديك النسخة الاصلية منه .

عبد الكريم قاسم (يبدو كالصنم الاصم) .

الرئيس عبد السلام عارف (في مرارة واسف) ألم يكن القسم بالقرآن الكريم على ان من اهداف ثورة الرابع عشر من تموز هو اعلان الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة خلال مدة شهرين فقط ، وانك انت الذي حددت التاريخ .

عبد الكريم قاسم (يسكت ولم ينبس ببنت شفة) .

الرئيس عبد السلام عارف (وهو منفعل من اعماقه) ألم نكن قد اتفقنا على ان اقوم بزيارات لكل انحاء العراق ، ثم اعود الى بغداد ، واعلن للملأ نتيجة زياراتي بأن الشعب يريد الوحدة ، ويجري الاستفتاء بطريقة شعبية بسيطة ، وهي اننا نطبع بطاقتين واحدة يكتب عليها (نعم) والثانية يدوّن عليها (لا) .

عبد الكريم قاسم (يخرس) .

الرئيس عبد السلام عارف (في الم وحزن) لقد امرت باعدام الشهيد رفعت الحاج سري ، وكانت تهمته انه وضع هاتفاً خاصاً مباشراً بين وزارة الدفاع ، ومكتب الملحق العسكري في سفارة الجمهورية العربية المتحدة التي اقامت هي الاخرى جهازاً لاسلكياً للإتصال بالقاهرة ، الم تكن انت الذي امرت بذلك ، كيف رضي ضميرك بارتكاب هذه الجريمة النكراء ، وكيف تتهم السيد جمال عبد الناصر بالخيانة ، وانت تعلم انه اوصاني خيراً بك انت بالذات ، وانه كان يقول لي دائماً : عبد الكريم قاسم اخوك من زمن ... ومن مصلحة الشعب الا تختلفا ، وان تتحمله وتعامله أحسن معاملة .. ومع ذلك تقول : ان جمال عبد الناصر تآمر عليك بينما الحقيقة هو انك انت الذي تآمرت عليه ...

عبد الكريم قاسم (يستمر صامتاً مذهولا ، والألم يملأ عينيه ، والحزن ينزرع في جانحيه)

الرئيس عبد السلام عارف (يبتسم ابتسامة خفيفة) لماذا أعتديت على موظفي سفارة الجمهورية العربية المتحدة ؟ لماذا لفقت ضدهم التهم ، هل كنت تتصور ان جمال عبدالناصر سيثور لهذا التصرف الشائن ، فيسحب جميع رجاله من العراق ، ويغلق سفارته في بغداد، أكان هذا قصدك ؟ لماذا كنت تعمل ضد العروبة والقومية العربية ؟

عبد الكريم قاسم (يشحب لونه ، وترتجف يداه ، ويرتعش صوته وهو يتكلم) ابداً.. انا كنت احب القومية العربية ... وانا عقدت مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في بغداد انا كنت ادعو للدول الاسلامية والعربية .

الرئيس عبد السلام عارف (في لهجة حادة) انت شعوبي ضد القومية العربية .

عبد الكريم قاسم (جمع اطرافه المنهارة ، واخرج الكلمات من فمه المرتعش ضعيفة خائرة) انا كنت اعمل لمصلحة الفقراء ، انا بنيت آلاف البيوت الصغيرة للمعوزين .

الرئيس عبد السلام عارف (حكمك لم يكن حكم الفقراء ، كان حكم الأمراء . حكم شقيقك الأمير (حامد) والأمراء الآخرين ، اقاربك ، محاسيبك .

عبد الكريم قاسم (في استجداء وتوسل) ان كنتم قد عزمتم على اعدامنا فأرجو منكم ان لا تسحلوا جثثنا بالحبال .

الرئيس عبد السلام عارف (في اطمئنان وثقة) انه اسلوبكم ، اسلوبكم الغادر في فرض سيطرتكم الغاشمة على ابناء شعبنا الاوفياء .. اما نحن فنترفع عن اللجوء الى استعمال هذا الاسلوب المشين ..

وهنا غادر الرئيس عبد السلام عارف الغرفة ، ومعه اعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة الذين قرروا تشكيل محكمة سرية حيث اتمت اجراءاتها وفق الاصول القانونية ، فحكمت على عبد الكريم قاسم ، وفاضل عباس المهداوي ، وطه الشيخ احمد ، وكنعان خليل سليم بالاعدام رمياً بالرصاص حتى الموت ، وقد نفذ هذا الحكم في الساعة الواحدة والنصف من نهار السبت المصادف لليوم التاسع من شهر شباط سنة ١٩٦٣ .

بغداد خضر عباس الصالحي

ابواب العرفان

محمد أديب الزين

سير العلم

مترجمة عن مجلة العلم العام الاميركية

١ ــ مركب الماء واليابسة :
صنعت شركة «نيومان اندبانيت» في كاليفورنيا «المركب السيارة» الذي صنع خصيصاً لغواة صيد البر والبحر . انــه يضم اجهزة متحولة خاصة تجعل من هــذا «المركب ــ السيارة» صالحاً للسير عبر اليابسة وعلى سطح الماء .

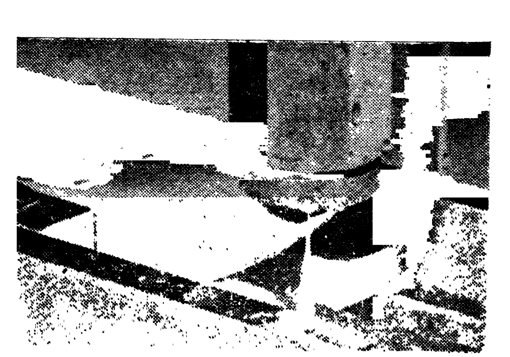


٢ ـ كواكب البحر : تصنع احدى المصانع لحساب البحرية الأميركية باخرة جديدة يمكن ان تحمل كواكب البحر . ظهر من تصميم الباخرة الجديدة بأنها ذات وزن ١٧٧٠٠ طن، طولها ٥٦٥ قدماً وعمقها ٧٦ قدماً . تسير مسافة عشرة آلاف ميل بمعدل عشرين عقدة في الساعة .

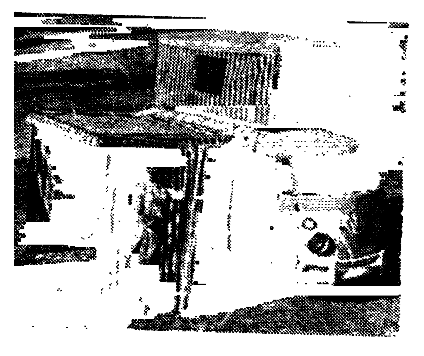
وهي ذات انتفاخ في ظهرها ، يؤلف هذا الانتفاخ مستودعاً لثلاثة اجرام حاملة قذائف تبرز هذه الاجرام للاستعمال الواحد تلو الآخر . ويتصل الجرم بمركز الباخرة بواسطــة اجهزة خاصة .

٣ ــ البرج العالمي المتكلم : ــ أنشأوا في مدينة « لوس انجلوس » في اميركا بنية يتصل بها برج طوله ١٨٥ قدماً بُني هذا البرج لحساب شركة التلفون الباسيفيكية وقد كلف بناؤه ٣١ مليون دولاراً اميركياً . في اعلى هذا البرج خمسة فروع تـُصدِر وتقبل رسائل ومشاهد « التلستار » والمكالمات التلفونية والتلفزيونية والرسائل المسجلة من والى جميع انحاء العالم .

٤ ــ النشر بقوة المياه : ــ صنع خبراء جامعة مشيغين جهازاً جديداً يعمل على نشر الاخشاب الضخمة بواسطة قوة دفع المياه . ويجري ، بواسطة هذا الجهاز ، نشر الألياف الخشبية بدون ان يترك نشاوة . وهو يحدث ضغطاً يساوي خمسين الف باوند في المربع ويتحرك بسرعة ثلاثة آلاف قدم في الثانية .



٥ ــ السيارة المخيم : ــ تفننت المصانع الاميركية كثيراً في صنع انواع السيارات التي تضم مخيمات . وآخر سيارة من هذا النوع اخرجتها شركة « فولزفاكن » يتصل بالسيارة المخيم : مقاعد تفرش فتصبح فرشاً للنوم ، وطاولة للطعام ، وحجرات وستائر . تحتوي الحجرات على بوتاغاز و برادو برميل لخزن الماء وادوات الزينة وما شاكل .



محمد اديب الزين

التقريظ والانتقاد

داود عمون

١٣٧ صفحة بقطع العرفان على ورق ابيض مصقول
مطابع مؤسسة الجمهور ، نشر « اوراق لبنانيـــة » .

مثل داود عمون جمع بين الأدب والسياسة ومكارم الأخلاق وكان من نوابغ عصره فيها جميعاً يجب أن يُكتب عنه ويُعرّف بـه ، ويُعرف قـدره ولكن كم وكم من هؤلاء تركوا مغمورين وطالتهم يد النسيان ، لأنهم لم يُتح لهم وفياً محباً للبنان ولنوابغه مثل يوسف يزبك صاحب « أوراق لبنانية » وكم ليوسف يزبك من اياد بيض على لبنان ، ادبه وتاريخه وساسته وتراثه ، لقد رفع علم الجهاد في سبيل لبنان منذ نشأته ولم يزل يحافظ عليه ، لا يترك وسيلة ولا طريقة تؤدي الى النهوض به ورفع مستواه الا ويقوم بها . فإذا حق للبنـان ان يفخر بمجاهديه ، فان يوسف يزبك يأتي في المقدمة ، وحسبك انه عدا تضلعه في الأدب والتاريخ والصحافة قد جمع في قلبه الكبير المحبة والوفاء .

واما داود عمون الأديب الشاعر البارع والسياسي المحنك واحد نوابغ لبنان ومفاخره في القرن الماضي الذي هو موضوع الكتاب والذي قضى حياته بين مصر ولبنان فقـد كان في شعره لبنانياً وطنياً عربياً وكان في سياسته حراً نزيهاً استقلالياً ، اما في شعره فاسمعه يقول من قصيدة يخاطب بها شوقي وحافظ ابراهيم شاعرا مصر :

اطوّف في الشرق علّي ارى	بلاداً تطيب لأحرارها
فلم ار الا اموراً تسو	ء وتصدع اكباد نظارها
عدمت حياتي اذا لم اقف	حياتي على نفع اقطارها
أشوقي ، أحافظ طال السكوت	وترك الأمور لأقدارها

فصوغا القوافي مصقولة وشقا الجلود بتيارها
عساها تحرك اوطاننا وتنشر ميّت افكارها

واسمعه يقول من قصيدة تحت عنوان «الملك والشعب»:

بني الشرق هبوا فقد طالما زحفتم في الدرك السافل
الى م تنامون عن حقكم وتعبث فيكم يد العاهل
ويظلمكم رجل واحد وانتم عداد الدبى النازل

واسمعه يقول في الحنين الى لبنان:

هاج اشواقي الى الدمن طائر غنّى على فنن
حبذا المصطاف في جبل ينطح الجوزاء بالقنن

وأما في السياسة وخصوصاً في تلك الأيام، أيام فرنسا والمفوضون السامون فحسبك انه برّز فيها وكان نزيهاً. اما داود عمون فيستحق منا التقدير والاعجاب واما يوسف يزبك فيستحق منا الشكر والثناء.

تحليل العاطفة في ديوان «المجاذيف الحيارى»

للشاعر محمود صبحة

المجاذيف الحيارى هي تعبير عن شتى الميول التي تعتلج في اعماقنا؛ وعن تناقض الاهواء التي تجعلنا نهباً للقلق والتوزع.

وعدا ذلك تنعكس في الديوان ظلال نفسية تعيسة، وصور تأملية بديعة، وشعور وطني صاخب لست بصدد التصدي لها وإنما توخيت ان ابرز سمات العاطفة عند الشاعر، وكيف تفتقت وترعرعت؟ وإلام تشعبت وما معالمها وحدودها ان كان ثمت لها حدود!

الميزة البارزة هي عاطفة صادقة تنبع من الحنين الروحي الذي يتسامى فوق ترابية الانسان ناشداً المثاليات. وقد طالع الشاعر بطرافته في مستهل صباه، ثم تسرب بعد اليأس ولم يعد يعثر عليه لأنه لم يحظ بنوعية الجمال الذي يبتغيه. فاذا به لا يزال ينشده ويتوق اليه. اجل، لقد انطلق ذلك الطائر السماوي من حديقة القلب وانطلق إثره الوجدان وقد تذوّق فيه معنى السعادة الحقيقية:

ايام بانت في هدوء جمالها نوراً من الاقداس فوق تصوري
روحاً رقيقاً طيباً قد عانقت روحي فهامت في الجمال العبقري

والإنسان فيه نزوع روحي يشدنا الى العلاء الى صفاء الملائكة وانسياق بهيمي يلصقه

بالرغام في قيود الشهوات ، وشاعرنا يستنكف ان يكون الحب من هذا الضرب الاخير ، فهو يؤمن بأن الغرائز المنفلتة يجب ان يضبطها التعقل وأن تتعلق بأهداب الدين وتتهذب لترفع الانسان من سفاسف طينته الى عرش روحانيته ، فيقول :

فحبي
يعيش بنفسي
توزع ما بين صبوة روحي
وشوق الجسد

ولكنه
يظل نزوعاً بغير انحراف
فأكبح في جماح الهوى
بسوط النهى
ونهج العفاف

وفي موضع آخر يقول :

ويثور بي حس التنزه رغبة ... في الدين ينبوع الرشاد المغدق

ولكنه لا يجد عروسة الاحلام التي تستحوذ على مشاعره بل وجد في نفسه ـ حيالهن ـ انفعالات اشبه ما تكون بافتعالات او نزوات عابرة ، فأصبح تائه الخطى مشتت التفكير فيقول

فكري توزّع يا له من ضائع !
وتند نفسي من مرارة واقعي
فتنيط بالمجهول عقد منازعي ... ولقد تحن الى الحبيب الاول
في جبهة الماضي البهي الطالع ... بمحبة روحية كالمشعل

وتعترضه مشكلة الفراغ العاطفي :

ومن عبقت روحه بالمنى
وحب الهوى
فصعب عليه اعتناق الفراغ

ولعل خيبة الامل هذه جعلت مشاعره تنسكب بأسى عميق لتنسج مأساة الحلم الضائع شأنه في قصيدتيه التحليليتين « اشواق حائرة » و « الزوجة الثائرة » .

هذا الجفاف العاطفي يطالعنا خلفه حنين روحي يهفو الى الحب ولكن لا يستشعر في

نفسه غير رعشات باهتة فيقول :

واسعى لاوقظ حبي

فيغفو بقلبي

فهل جف فينا صداه

وصار كظل هزل

عليه تمطى حباب الرغاب

فكلي شوق لما لا اراه

فالمجاذيف الحيارى لدلالة أبعد انما ترمي لمثل اعلى في الحب ذي الصبغات المتنوعة منساقاً مع اشواق الروح ومثل اعلى في الجمال حسب اوصافه في نسيبه وغزله .

فهو لا يزال يعاني الضياع العاطفي ولما يصل بعد الى الميناء وربما لا يصل بحتمية التطلع الى الجمال بنهم لا يقنع .

وهو يعتبر الحب :الحب المنشود رفعة وانتشاء فيقول في قصيدة « احلام الصبا » .

لقد طلّق القلب من تيّمته فصار مشاع الظبا الساحرة .

اي انه بعدما صرمت آماله بفتاته صارت تستفزه كل حسناء ومنهن من تبعث فيه الخشوع والاجلال والشوق الرقيق ومنهن من يتركنه عرضة لنوبات من الرغب المهتاج .

والعاطفة عنده تتغذى من الخيال وتمتشق الاوهام متسلقة على الحرمان .

احب الجمال

وما من وصال

فحبي خيال

غذي بعاد

وعمري انتظار

بحضن الوهاد

ويتمنى ان يندمج في تجربة غنية وان يعاوده الحب ولكنه عبثاً يرتجي

وعواطفه الحائرة مصحوبة بالتسهيد والظواهر النفسية المتقلبة يضغطها الكبت نظير مايبثه لنا في قصيدة « حرمان » التي ينشد فيها الحرية موقناً انها حسب الوازع الخلـقي والعرف الإجتماعي هي ما يدعونه بالإنفلات .

فنراه يحسد الحمام على تعاطي الغزل في حين تبقى عواطفه . « مثل المواشي الجائعات لدى مروج خالية » .

وهي مشدودة الى وتد الحرمان المادي _ مطبوعاً بحياة النكبة _ يغلّ ارادته ويعصر شعوره .

فنرى خياله الخلاق البعيد الآفاق ، كسيحاً يتعثر بالواقع المؤسف متسماً بالإنهزامية والإنسحاق .

ومعقّد الدونيّة أي عقدة النقص . ونرى كثيراً من قصائده مصحوباً بالالم النفسي ، فاسمعه يقول :

أتضيع الايام في سبل الاوهام والدهر خانق رغباتي
حسبي من طفولة زعزعتها زوبعات التشريدوالنكبات
ان في المال للرجال جناحاً يبلغ المرء طيبات الحياة
اين مني اذا قنعت بنكد كادحاً في سبيل قوت الحياة
ان نفسي تسمو الى عالم الاحلام جرياً مع المنى الزاهرات

بما في ذلك من ومضات وملامح رومانسية تجعل الكآبة ظلا له نتيجة اصطدامه بالواقع المعوق لآماله ، المتنكر لها .

ولا يسعنا الإستشهاد خشية التطويل ، وإنما نشير بهذا الصدد إلى قصائده : « تباين » و « فراق وحنين » و « عشقت فيها المعالي » .

وليست المرأة عنده جسداً فحسب ، بل روحاً ، متفتحة مهذبة فيقول .

ميولي روحية
تود الحياة سمواً
وتهوى الجمال الرقيق
ويقول ايضاً :

اهوى الفتاة اذا احداقها ارتسمت بيقظة الروح لا أصبو لتمثال

ويعرض لنا في النهاية مشكلة الزواج الفاشل الذي اقبل عليه بقلب فارغ من الحب وعلى اساس واه من عدم التماثل او الإنسجام ، الذي يخلقه التجاوب . وكأن الجمال اصبح الحب الوحيد لديه ، كما يلوح لنا في قصيدة « شيطان الهوى » بما في ذلك من صراع بين العاطفة

والواجب والعاطفة والإيمان .

وخلاصة لما بينا فالمجاذيف الحيارى هي العواطف المتضاربة في خضم الذات الهائمة ، تبلورت شعراً في اروع صياغة . تمتاز بطرافة المعاني وبعد التصور منطلقاً مع الاخيلة المجنحة كقوله :

في مقلتيها ربيع يغفو على الاشفار
وخطوها باتئاد كرقصة الانوار
اطيافها تتهادى في هدأة التيار

وقوله :

انما الحق راجع لنصابه بعدإجحاده وبعد اغتصابه
فترى الشمس قد تلثمت السحب ونور الجمال خلف حجابه
وعروس النهار لا تقبل الخسف فتنسل حرة من إهابه

وقولهايضاً :

كنت لي النغمة الاثيرة في قيثارة الحب وانطلاق البكور
ثم صارت صدى تخضله الذكرى وراء القضبان حلو العبير
درة انت رصعت هامة الفن وهانت على الزواج الحقير

وقوله :

خافت ضوؤه خفوت امانيه كأهداب سنبل في انتثاره

وروائعه كثيرة نتذوقها في مواطنها لا كنتف اوردناها على سبيل الإستشهاد .

اما عاطفته فزاخرة تمتاز بالحيوية والصدق الغني ، بعيدة الغور ، تعلق بالقلب .

واما اسلوبه فنسج متين ولغة رفيعة ، تتراوح بين الشعر الكلاسيكي والشعر الحر محتفظاً بالنغمة الموقعة ، مقتطفة من رياض التجديد ما بين معنى ومبنى ، فلا تتطفل على ادب الغير .

واذا بإنتاج محمود صبحة فريد في ذاته ، خياله رومانسي وصوره واقعية او رمزية ، وتعابيره جزلة تحشد المعاني ليستشفها العقل الثاقب من وراء السطور ، ويكتنهها القلب الذي يتعدى السطحية فيدرك الفكر في تشعبه ، والحس في مذاهبه .

وإذا بالمجاذيف الحائرة في نفس محمود صبحة مجاذيف تهدينا الى حقيقة نفوسنا .

الجامعة الاميركية مأمون الخطيب

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

العربية بين الفصحى والعامية

وكتاب ردالعامي الى الفصيح

كان شيخنا وزميلنا في المجمع العلمي العربي : الأستاذ أحمد رضا قد وضع قبيل انتقاله الى رحمة ربه – كتابه « رد العامي الى الفصيح » وهو كتاب قيم مفيد خدم به العربية خدمة جليلة وفّق فيها توفيقاً مشكوراً .

وسبقت لنا كلمة في هذا الكتاب ، رأيت أن أنقل بعضها ، وأضيف اليها مالا بد منه ، مما يتصل بموضوعنا ، نزولا عند رغبة من لا ارى لي مندوحة عن اجابة طلبه .

وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدافعوا عنها في كل مناسبة تعرض بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعماريين في العمل على إفساد لغتنا ، بالدعوة الى العامية ، وتفضيلها على الفصحى ، تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد ان كثر بين العرب من ينزعون نزعتهم ، عن سوء نية ، او سلامة طوية .

وقد عدّدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها الى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فاذا سُدّ عليهم باب ؛ واعيتهم فيه حيلة ، عمدوا الى باب آخر لعلهم يجدون فيه الثغرة التي اعوزتهم في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : ان عدد هؤلاء الهدامين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الإستماع اليهم ، ومن يدري اذا تمادى بهم الأمر وظل رجال العربية ساكتين عنهم – سواء أكان سكوت ازدراء او اعراض – ان يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون او بعضه (١) ، ومتى وجد الخرق فمن يضمن ان لا يتسع على الراقع .

---

(١) كثرت في الفترة الاخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر الى دركة ساوى فيها الزجل بل انحط عنه .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد — على زعمها — اصلاح الإملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح ، المبني على أسس راسخة وقواعد ثابتة ، يحتاج الى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، ان نفراً ممن يوثق بعربيتهم وبعروبتهم لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ، قد ذهبوا في مؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي عقد في دمشق هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الإنسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، وإذا كان العربية يطعنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه ان يكون من اشد القوم حفاظاً على آثارها ، فما ظنك بالجاهلين والهدامين .

هذه اللغة التي تلفظ حروفها كما تكتب ، لا يتبدل النطق بها أين وقعت وكيف وقعت ، وللهمزة التي يجعلها العاجزون حجة على الصعوبة ، قواعد معروفة ، وصورة حية ماثلة ، وللتائين المبسوطة والمعقودة ، وللألف المقصورة والممدودة ، قاعدة معروفة ايضاً لا تختلف ولا تتغير . يسهل حفظها ، والجري عليها . على من شدا شيئاً من العربية ، او حفظ القليل من قواعدها .

وهؤلاء الذين لا يرضيهم هذا الإملاء العربي الواضح ؛ راضون عن الإملاء في اللغات الأجنبية التي يعرفونها ، رضاء أبناء هذه اللغات نفسهم عنه ، على ما في هـــذا الإملاء من شذوذ في حروفه وفي تراكيبها . يختلف لفظ الحرف الواحد باختلاف موقعه ، فينقل الحرف من لفظ الى لفظ آخر لا نسبة بينهما ، وتلفظ الحرف عندهم ولا تكتبه ، وتكتب الحرف والأحرف ولا تلفظها . وعلى الجملة فالإملاء في لغاتهم وهو ما فصلنا بعضه ، في الكلمة التي ألقيناها في مؤتمر المجامع اللغوية — شذوذ في شذوذ ، وقد شرفت العربية عنه ، وعافاها الله وعافانا منه .

رضوا بهذا الإملاء الذي يسميه أحد علمائهم (١) Chinoiserie ولم يرضوا لنا ولا رضي بعضها بهذا الإملاء العربي بصيغته السهلة ، وقواعده البينة .

على ان من الغرائب المؤلمة هذه المعمعية المعيبة ، التي نحن عليها ، وهذا الاستسلام المخزي الذي نستسلمه — غير معكرين ولا مدافعين — كلما انتقد العربية منتقد منا ، او من غيرنا . جرى بعض المدرسين — فترة من الزمن — على لفظ بعض الحروف العربية لفظاً اجنبياً

---

(١) قالها احد علماء الفرنسيين ، والافرنسية اكثر لغات الغرب تثقيفاً وتهذيباً ، فما عسى ان يقـــال في غيرها و (Chinoiserie) من معانيها القياس الغريب المرتبك .

وهي طريقة لا وجه لها ، ولا يستقيم لها انتساق ، ورأى آخرون ان تلفظ الحروف العربية لفظاً صوتياً . وهو أسلوب قد يكون مفيداً ، ولا اعتراض لنا عليه ،فالمدرسون القائمون على عملهم ادرى منا بما هو الأوفق والأسهل .

ولكن اعتراضنا على الإنتقاد الذي زعموه سبباً لهذا التبديل في التلفظ . يقولون لك :

من شذوذ العربية ! .... ان حروفها لا انسجام بينها مفردة ومركبة . وهو ما لا مثيل له في سائر اللغات . فاذا قلت (عين) او (سين) او (قاف) او (كاف) ومثلهن كثير فكيف توفق بين حرف من هذه الأحرف في حالة الافراد ، وبينه وبين لفظه في حالة التركيب فاذا قلت : عالم مثلا او سالم فأين ذهبت الياء والنون ؟ ... واين ذهبت (الألف والفاء) و (القاف والكاف) في (قائل وكافل) وامثالها ؟

ولسنا هنا في بيان البيان الذي من أجله سمّي كل حرف باسمه الذي اطلق عليه ، ولا نحن بالذين يزعمون ان العربية بحروفها وألفاظها ، وُضعت اول ما وُضعت وضعاً علمياً من سائر وجوهها ووجوهه ، ولا بالمعترضين على الحروف تلفظ لفظاً صوتياً .

ولكنا نقول : ان العربية لم تشذ في هذا عن سائر اللغات التي جاءت بعدها ، ولا انفردت به . فما يجوز ان يؤخذ على العربية ، يجب ان يؤخذ على الحروف في جميع اللغات ، فهي في حال تركيبها تخالف ما كانت عليه في حالة افرادها فتسقط من الحرف مركباً مثل ما تسقط منه في العربية بل ما يزيد (١) .

ونخلص بعد هذا الى ما يجب على العرب من صيانة لغتهم والحفاظ عليها ، وتسفيه الاعتراضات التي يوردها بعضهم تعصباً او جهلا . واول هذه الواجبات واولاها بالعناية ، نشر العربية الفصحى واستعمالها استعمالا صحيحاً في المجالس العلمية والرسمية ، وفي المؤتمرات ، وفي حلقات الأدباء والمتأدبين ومناقشاتهم .

فالعرب لن تستقيم لهم لغتهم ما دامت لغتين مختلفتين : لغة عامية ، ولغة فصيحة . وهذا ما يجعل العرب يعانون في تعلم لغتهم وفي ضبط ألفاظها ما يقرب مما يعانون في تعلم لغة غريبة عنهم (٢) . فالحاجة الى تقريب مسافة الخلف بين اللغتين ، حاجة ملحة ولا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العالم وكأنه وطن واحد ، اذا اصيب منه قطر فكأنما اصيبت اقطاره جميعاً في تجارتها واقتصادياتها وسائر مرافقها . فكيف بالأقطار العربية !

---

(١) خذ مثل (Z) و (Y) وغيرهما . فهل تستطيع ان تحتفظ لها مركبة بصيغتها مفردة ؟

(٢) من كلمتنا في هذا الموضوع نشرتها العرفان سنة ١٩٥٢ ،

ومن وسائل هذا التقريب ، النظر في الكلمات العامية ، وتصحيحها ، ورد ما فيها من خطأ الى الفصيح . وقد عالج هذا الموضوع جمهرة من علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين ولعل اول من كتب في هذا من المتأخرين وجعله كتاباً برأسه ، الشيخ خليل اليازجي ، ولست اعرف أطبع كتابه أم بقي مخطوطاً ، والاستاذ رشيد عطية في كتابه الدليل في العامي والدخيل (١) وقد طبعه ، والأستاذ عيسى المعلوف ، وما كتبه نشر بعضه في مجلته (الآثار) وسائره لا يزال مخطوطاً ، والأمير شكيب ارسلان وكتابه موسوم بـ « القول الفصل في رد العامي في الأصل » وهو مخطوط ولم يطبع بعد (٢) . ثم كتاب الشيخ احمد رضا «ردالعامي الى الفصيح » وهو الكتاب الذي نحن في بحثه الآن .

وهذا الكتاب تُظهِر بحوثُه ما كابده صاحبه من مشقــة ، وما اقتضـاه من عنَت ومراجعة وصبر وأناة .

رتب المؤلف كتابه على الحروف الهجائية ، ولنا ان نقسم بحوثه ثلاثة اقسام :

١ ـ الكلمات التي تكثر العامة من استعمالها ، حتى يخيل الى بعض الخاصة انها عاميــة ، وليست كذلك . حدد ذكر مصادرها ، واستشهد على صحتها بشواهــد من كلام العرب الأقدمين .

٢ ـ الكلمات الصحيحة في الأصل وحرفتها العامه . فهذه ردها الى اصلها الصحيح .

٣ ـ ما ليس بصحيح ولا بعربي ، وجاء له بما هو في معناه مما استعملته العرب .

ومثل هذا الجهد الذي عاناه المؤلف لا يجوز ان يُمر به مروراً عابراً ، بكلمة ثناء مجمـلة وينتهي الأمر ، بل يستحق دراسة دقيقة تقديراً لعمل استاذنا الجليل .

هذا ما حملنا على مراجعته في بعض ألفاظ رأينا فيها غير رأيه ، قد يكون مرد اكثرها الى اختلاف اللهجات العامية ، في مختلف الأقطار العربية . بل الى اختلافهـا حتى في القطر الواحد . كان هذا . على أن نتابع الملاحظات شيئاً فشيئاً . غير ان الموت عاجله رحمه الله ، قبل ان يبدي رأيه ، في ما ابدينا رأينا فيه ، وها نحن اولاء نعيد بحثنا ، ونتابعه من حيث وقفنا . فقد يكون بين المشتغلين في هذه الموضوعات من يرى رأينا ، او يصحح ماوهمنا به.

فمن هذه التي ترددنا فيها :

---

(١) هذا اسمه فيما اذكر ولعلي على خطأ ،

(٢) نشر المجمع العلمي كتاب (بحر العوام فيما اصاب فيه العوام) لابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١ هجرية بتحقيق التنوخي . « لجنة المجلة »

تمألس : قال المؤلف : « ويقولون تمألسه وتمألس به ، اذا سخر به وهزأ . فكأنه ينزلـه منزلة المألوس وهو المجنون . وفي اللغة : السن السأ : الرجل فهومألوس . اذا اختلط وذهب عقله . والالاس الجنون . وتمألسه هذه بمعنى جعله كالمألوس . فعبث به وسخر منه كمـا يعبثون بالمجنون ، والميم زائدة لأنهـا صيغت من المـألوس على توهم الاصالة » انتهـى الصفحة الـ ٨ .

المقلسة : وقال في الصفحة الـ ٣٨٥ : « وقالوا تمقلس عليه ، اذا سخر منه ، او تنادر معه منادرة فيها سخرية . وهو من (ألقسه) يلقسه لقساً اذا عابه وشتمه ، واذاسخر منه اولقبه باللقب الرديء . او هي تمألس بالهمزة راجع ا . ل ــ س . اهـ » .

قلنا : هذا التردد في رد الكلمة الى اصل فصيح ، وهذا التخريج ــ الذي فيه ، في رأينا ــ شيء من التكلف يحملنا على التفتيش لها عن اصل آخر .

والذى نراه ان « المقلسة » هي بالقاف لا بالهمزة ، على ما تلفظها الى اليوم عامة بـني معروف ، ومن يجاورهم من اهل الشوف ، وعلى ما جاءت اخيراً في الصفحـة الـ ٣٨٥ من الكتاب .

وفي لسان العرب « التقليس : ضرب اليدين على الصدر خضوعاً . . . » و « الانحناء. » وهو ما يفعله المستهزئون بمن يستهزئون بهم . أفلا يكون رد تمقلس الى قلس اقرب منه الى « السن » او « لقس » ؟

أطم : ومن هذه البابة (اطم) بمعنى قطع ردها المؤلف الى (اتم) وقال : « وفي اللغة : اتم الشيء قطعه . . . » قلنا : وقد تكون (قطم) بالقاف ، اقرب ، وقد ذكرها الاستاذ ، ومر بها وكأنها لم ترضه .

فأى : قال : (فأى الدملة والقرحة) اذا شقها ، فانفأت . وهو من قول العرب فأى رأسه : اذا فلقه بالسيف ، او بالعصا ، ونحوهما ، نقله الجوهري عن ابي زيد .

وفي اللسان : قال الليث : فأوت رأسه فأواً وفأيته فأياً اذا فلقته بالسيف . وقيل هو ضربك قحفـه حتى ينفرج عنه الدماغ ، والانفياء والانفراج . . .

قلنا : اقرب من هذا ، واقل سنداً في التخريج ، ان ترد (فأى) الى (فقـأ) . وفي اللسان : فقأ العين ، والبترة ونحوهما ، يفقؤهما فقأ . . قلعها وبخقها (١) . . .

وفي الحديث : لو ان رجلا اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقئوا عينـه لم يكن عليهم

(١) البخق (بالتحريك) اقبح ما يكون العور .

شيء .. وكان العرب في الجاهلية ، اذا بلغ ابل الرجل منهم ألفاً ، فقأ عين بعيرمنهاوسرحه حتى لا ينتفع به .

والعامة في بني معروف الى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح . فتقول فقأ الدملة والعين ونحوهما . غير انها تستعملها مسهلة بلا همزة (١) .

دوبل : ويرى الأستاذ ان (دوبل) بمعنى اطرق برأسه الى الارض ، اخذته العامة من الدوبل وهو الخنزير . لأنه من عادة الخنزير ان يكون مطأطىء الرأس .

قلنا : لعل الاقرب ان تكون (دوبل) من (ذبل بالذال المنقوطة . وفي اللسان : ذبل النبات والغصن والانسان ، يذبل ذُبولا دق بعد الري ، فهو ذابل ، اي ذوى . وكذلك (ذبل) .. واذبله الحر ...

والعامة عندنا تقول (ذبلان) و (مذوبـل) اذا اطرق لتعب او علة او خجلا وانكساراً .

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عارف النكدي

« ام ابو الفهد » ١٢٣ سنة

في بلدة « النبي يحي » من ضواحي صيدا ، قصدت السيدة سعدى الحسنين المعروفة هناك بـ « ام ابو الفهد » ، وهي من اللاجئين الفلسطينيين ، وتبلغ من العمر ١٢٣ سنة .

واستقبلني ابنها الاصغر ، الذي تجاوز بدوره عتبة الستين .

سألته عن والدته فأجاب : « من خمس دقائق كانت هنا ... هي لا تعرف أن تقعد في البيت .. » .

ثم أرسل في طلبها ...

الساعة الثالثة بعد الظهر ، وحر آب في أشده ، إلا أنه لا يخيف « ام أبو الفهد » فقد شاهدتها تسير بطريق البيت ، لا تتكىء على عصا .

ــ مرحبا يا ستي ...

ــ أهلا وسهلا فيك ، من أنت ؟

عرفتها بنفسي . فضحكت قليلا ، وقالت : « ماذا تريد مني أن أروي لك ؟ .. »

ولدت على أيام عبد الله باشا المصري !

ــ كم لك من العمر ؟

تبسمت قليلا ، وقالت : ولدت على أيام عبد الله باشا المصري والي عكا ، وفي سن

(١) كما تستعمل (قور) وهي صحيحة ، و (فقر) ولها وجه.. يقال فقر الخرز اي ثقبه ـ وحزه ـ واثر فيه ، ومن هنا اخذت العامة قولها (فقر عينه) .

الرابعة أخذ الله مني والدتي وأخواتي وخالي ، وكان والدي قد سبقهم إلى الوفاة . فاشتغلت في الحواكير ـ البساتين ـ عند سيدي ، وكان هذا عازباً ، فورثته بعد مماته ، ثم ما لبثت أن تزوجت . وقد كتبت وثيقة زواجي بالتركية في عهد السلطان عبد الحميد . ولي الآن خمسة أولاد أحياء ، لهم أولاد وأولاد أولاد عددهم مئة ، وأنا مسرورة بهم جداً . إني أقيم اليوم عند ولدي الاصغر ، وإذا زعلت منه أذهب إلى ولدي الآخر الذي يقيم في كمب المية ومية سيراً على القدمين . وأنا أمشي كل يوم إلى عين الحلوة ، وأجوب الضواحي ... » .

وجدير بالذكر أن أقرب ضاحية تبعد عن بيت « ام أبو الفهد » ٣ كيلومترات وأبعدها ٧ كيلومترات !

لا أعرف أن أتكىء على عصا

سألتها : أين عصاك ؟..

ـ عصاي .. أنا لا أعرف ما هي العصا ، ولو أعطاني الله أن أرى أكثر . لذهبت إلى ولدي حسن الذي يقيم في حمص سيراً على القدمين » ..

ـ هل تقومين بواجب الصوم ؟

ـ أجل يا بني ، أصوم رمضان بكامله وعشرة العيد ، مع أن الدين يحلني منها . وقد ذهبت إلى الحج ثلاث مرات ... عندما كنت في فلسطين ، وزرت القدس ، وبيروت ، ولكن بيروت كانت صغيرة . أما اليوم ...

ـ وهل زرتها اليوم ؟

ـ كنت فيها عند بنتي ، ومكثت سبعة أشهر ، حتى اعتقد موظفو وكالة غوث اللاجئين انني مت .. فذهبت اليهم بنفسي . الى وكالة الغوث ... »

أحب أن أموت اليوم إذا انقطع أمل الرجوع ..

ـ أتمنى لك أن تعيشي مئتي سنة .

ـ لا يا ستي ... انا لا أحب ان أعيش ، لانني اسمع بأمراض غريبة لم تكن معروفة من قبل كالسرطان وغيره ... »

ـ هل تودين الرجوع إلى فلسطين ؟

ـ من كل بد ... ان لبنان بلد جميل ، ولكن مسقط رأس الإنسان عزيز على قلبه . إني احب ان احيا إذا كان هناك امل في الرجوع إلى فلسطين ، وبعدها اعيش اسبوعاً واموت وادفن بجانب اقربائي واحد اولادي . ان فلسطين عزيزة علي قلبنا يا ستي .. فهل تبدل انت لبنان ، ببلد غيره ؟ .. هذا مستحيل .. » .

النهار

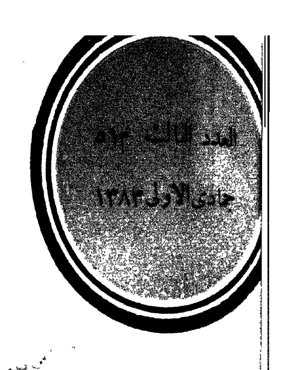
تنبيـــه هام

باب « آراء القراء ومشاكلهم » الذي قررنا فتحه في العرفان مع اهم الأخبار وخصوصاً رسالة جبهـــة التحرير الوطني في السعودية عن الأمير فيصل وموقفه اضطررنا الى تأخيرها للعدد الآتي وكل آت قريب .

انصار العرفان – العواطف النبيلة

السادة	السادة
عبد الله التل	الحاج عبد الهادي الشلبي
محمد سعيد خاتون نيجيريا	السيد احمد علي رضا نيجيريا
الشيخ محمد علي مروة سيراليون	ابراهيم حاوي كولخ
الشيخ محمد خليل الزين	جواد يحيى
الحاج علي زغيب	الشيخ علي العسيلي
السيد حسين الحسيني	الحاج عبد الرزاق الكاظمي
الدكتور اسماعيل عباس	محمد الحاج حسن احمد الخليل

مطبعة العرفان ـ صيدا تلفون : ٧٢٠١٠٥





مجلة

علمية . ادبية . سياسية . بيروت

كن بلسما ان كان دهرك مرقما

وحلاوة ان صار غيرك علقما

إن الحياة حبتك كل كنوزها

لا تبخلنّ على الحياة يبعض ما

فاعمل لاسعاد السوى وهنائهم

ان شئت تسعد في الحياة وتنعما

ما الكأس لولا الخمر الا يجاجة

والمرء لولا الحب الا اعظما

ايليا ابوماضي

البترول : وسيلة الى حياة افضل

ان الترابة (الاسمنت) المنتجة محليا تحل الآن محل حجارة البناء والخشب في تشييد بنايات ومساكن حديثة ، في ارجاء الاقطار العربية كافة . وانتاج الترابة يتطلب المرور بعمليات تسخين على درجة كبيرة من الحرارة تهيأت ، في معظم الاحوال، باستخدام زيوت وقود رخيصة التكاليف .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

مؤسسها
احمد عارف الزين

العرفان
مجلة علمية ادبية شعرية مصورة

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

الجزء الثالث — المجلد ٥١ — جمادى الاولى ١٣٨٣ — ايلول ١٩٦٣

سنتها عشرة اشهر بألف صفحة

الصفحات	الموضوع	الكاتب
٢٢٦ – ٢٢٧	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٢٢٨ – ٢٣٠	رواد الفضاء ورسالة الانبياء	محمد جواد مغنية
٢٣١ – ٢٣٢	كلمات مختارة لسيد البلغاء	علي بن ابي طالب
٢٣٣	كلمات مختارة لفيلسوف الفريكة	امين الريحاني
٢٣٤ – ٢٤٠	احمد عارف الزين	خضر عباس الصالحي
٢٤١ – ٢٤٥	خليل مطران والمرأة	روكس العزيزي
٢٤٦ – ٢٥٣	الدستور العراقي	عبد الرزاق الحسني
٢٥٣	رجوع « أبيات »	جليلة رضا
٢٥٤ – ٢٦١	نواة الاحزاب في التاريخ الاسلامي	محمد علي الزعبي
٢٦٢ – ٢٦٤	يا ذكريات « قصيدة »	عباس ابو الطوس
٢٦٥ – ٢٦٨	مع المغاوير في مغارة جعيتا	محمد قره علي
٢٦٩ – ٢٧٢	مكافحة الجوع في كل مكان	مترجمة عن الانكليزية
٢٧٣ – ٢٧٥	الشيخ موسى شرارة	علي ابراهيم
٢٧٦ – ٢٨٠	هل تتحول القارات « مترجمة »	محمد اديب الزين
٢٨١ – ٢٨٤	جذور العلم الحديث	زيد الزين
٢٨٥ – ٢٨٩	وادي السلام في النجف	محسن عبد الصاحب المظفر
٢٩٠ – ٢٩٥	ارادة الشعب	خضر عباس الصالحي
٢٩٥	الاخت الخجول « ابيات »	مهدي جاسم
٢٩٥ – ٢٩٨	صاحب العرفان في القاهرة	محمد عبدالمنعم الخفاجي
٢٩٩ – ٣٠٧	الوحدة والاتحاد بين العرب	محمد علي الطاهر
٣٠٨ – ٣٢٠	ابواب العرفان : سير العلم ، الصحة ، التقريظ والانتقاد ، آراء القراء ومشاكلهم ، اهم الاخبار والآراء	

بيني وبين القارىء

بقلم : نزار الزين

قارئي الكريم :

أيضيع العرب بين الطنين والرنين ، والشكوى والأنين ، والقذف والشتائم ترسل من هنا وهناك فتقع برداً وسلاماً وبلسما على اسرائيل ، التي تنتظر هذه الفرصة المواتية لتنفيذ مآربها وتحقيق أغراضها .

فتى نستفيق ؟! متى نكف عن مقاتلة بعضنا بعضاً ومهادنة اسرائيل ؟ لماذا تهاجمون باستمرار حكام العرب السابقين وتنسون اللاحقين .

قارئي العزيز :

لقد اصبح لبنان المفزع الوحيد تقريباً لنشر الكتب والآثار الأدبية . وان كانت العبرة بالكيف لا بالكم ، ولكن لا أدب بدون حرية ، الكبت يلجم الأديب بل يخرسه ، والحرية تنطلق به وترفعه .

وفي لبنان كان الإقبال على موسم الصيف هذا العام كبيراً جداً وبهذه المناسبة فان محبة لبنان تحتم علينا كما نقوم بالدعاية له أن ننتقد حيث يجب النقد ، وكان الاستاذ محمد علي الطاهر قد ارسل لنا مقالا بهذا العنوان :

من مضايقات الاصطياف

بقلم محمد علي الطاهر

وهو على حق فيه وكنا ننتظر قدوم موسم الصيف لنشره ، لكنه نشره في غير العرفان ولذلك لم ننشره ورأي الاستاذ الطاهر ان المقال حينما يكون فيه توجيه ونقد لا مانع من نشره في عدة صحف ، ولنا رأي آخر في هذا الموضوع ، والخلاصة ان ما اورده الاستاذ الطاهر في مقاله عن أحد الفنادق ، رأيناه قد انطبق هذه السنة في لبنان في مواضع كثيرة حيث كثر الازدحام ، مع ان الأمر يجب ان يكون بالعكس ، فكثرة الازدحام يجب ان تكون فرصة

مناسبة لزيادة اللطف والمعاملة الطيبة ، والاعتدال في الأسعار ليعود هؤلاء الينا في سنوات مقبلة ولا يقصدوا تركيا او النمسا او غيرهما من الأماكن . فقد جاءتنا شكاوي كثيرة عن بعض الفنادق والمطاعم والسواقين ، ورأينا بأم أعيننا ان من كثرت عندهم الزبائن اصبحوا لا يبالون بالناس كالسابق ، كما ان الموسى قد وصلت الى ذقننا فبينما كنا نازلين من الجبل الى صيدا ومعنا محفظة جلدية صغيرة فيها للعدد الماضي باب « آراء القراءومشاكلهم » والاخبار ومقال عن الفنان الشاعر الاستاذ محمد علي الجوني ، ومفكرتنا واوراق لنا لا تهم سوانا ، اذا بالمحفظة تختفي ظناً من الذي أخذها ان فيها ورقاً لا ورقاً ، وكان على الذي سرقها أن يعيدها على الأقل حينما رأى انها لا تحوي مالا ، بل مذكرات ومقالات وكتابات واوراق خاصة ولم يفعل . هذا وغيره من وجود بعض المواطنين غير الصالحين يضر بلبنان وبالمجتمع وبالمصلحة العامة ، فعلى المسؤولين ان ينتبهوا الى اعدادالمجتمع قبل موسم الاصطياف والعمل على تربيته ما امكن من هذه الناحية بالنشرات ، بالصحف ، بالإذاعة، بالتلفزيون، لأن موسم الاصطياف في لبنان من اهم موارده .

قارئي العزيز :

ما نورده هنا باختصار سيكون موضع بحث بعض كتاب العرفان في عدد مقبل فكأننا وإياهم على ميعاد ، والى اللقاء في الشهر المقبل .

قارئي العزيز :

تكلمنا في العددين السابقين عن الزعامة والزعماء والعلم والعلماء اما الشباب فهم قوة الامة وعرقها الحساس وقلبها النابض بقوتهم تصل إلى امانيها وبروحهم الوثابة وقلبهم الخافق تدرك مراميها وطالما نالت اكثر البلاد استقلالها عن يد الشباب ولكن شباب جبل عامل تنقصهم التربية الإجتماعية الحقة وإذا فقدت التربية الإجتماعية الحقة في مطلق شخص فقد كثيراً مما يجب ان يتحلى به كالإخلاص وعدم الغرور وغيرهما . ايها الشباب اعلموا أن سعادة الامم وخصوصاً الناشئة مثل امتنا ليس بكثرة أقوالها ولا بقوة استحكاماتها وانما سعادتها بأبنائها الذين ثقفت عقولهم وبرجالها الذين حسنت تربيتهم واستنارت بصائرهم واستقامت اخلاقهم ففي هؤلاء سعادتها الحقة وهؤلاء قوتها الرئيسية وعظمتها الجوهرية ،وضعوا نصب اعينكم قول غاندي معلم الوطنية الاكبر :الامة التي تخاف الموت لا تستقل والامة التي تخاف السجن لا تستحق ان تعيش فكونوا ايها الشباب عند حسن الظن بكم لتسعد بكم امتكم ولا تكونوا كغيركم آلة صماء يسيرها هذا الزعيم او ذاك . والى اللقاء . نزار الزين

رواد الفضاء ورسالة الأنبياء

بقلم الشيخ محمد جواد مغنية

اذا اراد انسان ، اي انسان ان ينكر مبدأ من المبادىء ، او يعترف به ، فهل يسوغ له ان ينكر عناداً ، او يؤمن تقليداً ، دون ان يستند الى منطق يستدعي الايمان ، او الجحود ؟

والجواب :

عن هذا السؤال واضح كل الوضوح .. ان النضج العقلي يحتم عليه ان يبحث ، ويضاعف الجهود في البحث والتنقيب عن الأسباب الموجبة للاعتراف ، او الإنكار ، وفي ضوئها يصدر حكمه سلباً ، او ايجاباً .. ومتى تعذرت عليه معرفة الأسباب وعجز عن اكتشاف معالم الطريق وجب عليه ان يقف موقف المحايد لا ينكر ولا يعترف ، والا كان جاهلا يؤمن ، او يجحد من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وبديهة ان جحود الجاهل كإيمانه لا وزن له من الوجهة العلمية .

سؤال ثان :

من المعقول ان نبحث وننقب عن الأسباب الموجبة في الأشياء المادية التي تقع تحت الحس والتجربة ، كما لو اردنا ان نعرف حقيقة الماء : هل هي بسيطة كما قال القدامى ، او مركبة من الاوكسجين والهيدروجين كما يقول الجدد ، اما ما لا يقع تحت الحس والتجربة اما الامور الغيبية ، كوجود الخالق ، واستمرار الحياة بعد الموت . وان الجنة لا شقاء فيها ولا نصب ، اما هذه وما اليها مما اخبر به الرسول الاعظم محمد بن عبد الله وغيره من الانبياء الكرام عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام فلا يمكن البحث فيها عن طريق الحس والتجربة وبالتالي ، فلا يصح الامر بالرجوع اليها لارتفاع الموضوع .

الجواب :

اولا — ان اسباب المعرفة لا تنحصر بالحس والتجربة ، فان هناك الفطرة والمقاييس العقلية ، فالحس سبيل الى معرفة المادة ، وعناصرها وما تحويه من قوى ، اما العلم بماوراءها فسبيله الفطرة والعقل .

وقد شرحنا ذلك مفصلا ومطولا في اكثر من كتاب من مؤلفاتنا .

ثانياً ــ ان ما في المادة من ابداع ونظام ليس الا سلسلة للتدليل على ان وراءها قوة مبدعة ومنظمة ، تماماً كدلالة الكتابة على الكاتب ، والكلام على المتكلم ، فالقول بأن المادة لا تجدي نفعاً للتدليل على الحقائق الغيبية لا يستند الى اساس .

ثالثاً ــ على افتراض ان المادة لا تكون وسيلة للايمان بما وراءها ، فيجب ايضاً ان لا تكون وسيلة لإنكاره .

رابعاً ــ ان تقدم العلوم في كل مضمار قد أتاح للانسان ان يستعمل التجربة ، ووسائل العلم الحسي ، حتى في حقائق الغيب واليك الدليل :

وصف الله سبحانه أهل الجنة في كتابه الكريم الذي انزله على نبيه العظيم ، وصفهم بقوله « لا يحزنهم الفزع الاكبر .. لا يمسهم فيها نصب » .

وقال قائل : محال ان يحيا الإنسان مع هذا الجسم بدون فزع ولا نصب ..

ويكفي للرد على هذا ان نستمع الى رواد الفضاء ، وهم يصفون احساساتهم حين دخلوا منطقة انعدام الوزن ، قال جاجارين رائد الفضاء الروسي :

اني شعرت بحالة تشبه النشوة التي يحسها شارب الخمر ، ولكن بلا تعب .

وقال شبرد رائد الفضاء الامريكي : انها حالة تشبه حالة انعدام التعب ، تماماً كطفل بلا ذاكرة ، ولكنه يشعر بالسعادة .

وقال كوبر الامريكي : كنت في تمام الانتعاش .

وقالت فالنتينا الروسية : كانت اسعد لحظات حياتي .. لقد شعرت بارتياح لا نظير له ، وتمنيت ان ابقى هكذا الى الابد .

اذن ، التجربة الحسية ساهمت مساهمة فعالة ، تماماً كما ساهم العقل والفطرة في الشهادة بإمكان الحياة بلا خوف ولا تعب التي بشر بها محمد بن عبد الله ﷺ وجميع الاديان نقول هذا : مع العلم بضآلة ما اكتشفته التجربة من حقائق الغيب غير اننا متفائلون بأن العلم الحسي سيكشف في المستقبل القريب او البعيد عن كثير من حقائق الغيب ، ويبرزها للعيان تماماً كالاشياء المحسوسة الملموسة .

وبهذا يتبين معنا ان تقدم العلم في اي مضمار هو انتصار لدين محمد ﷺ لانه دين العلم والحق وبديهة ان الحق لا يعاند الحق ، بل يؤازره ويناصره ، اذن يتحتم على كل انسان يؤمن بالعلم والحق ان يؤمن بمحمد ﷺ لان الإيمان به إيمان بهما ، وتكريمه تكريم لهما ، وجحود رسالته جحود لهما ، وللانسانية من الاساس .

وقد يهتدي عالم من العلماء ، او فيلسوف من الفلاسفة الى حقيقة تعجز عن إدراكها ، وتصورها العقول الاعتيادية ، فتردها عليه ، وتسخر منها ومنـــه ، حتى اذا مرت الايام ، وظهرت هذه الحقيقة للعيان آمنت بها الاجيال ، واصبح صاحبها الذي كان بالامس موضع السخرية والاستهزاء عنواناً للتقديس والتعظيم .

لقد اعلن الفيلسوف اليوناني « اريستاركوس » القول بدوران الارض حول الشمس عام ٢٨٠ قبل الميلاد ، فعارضه « بطليموس » مؤكداً ان الشمس هي التي تدور ، وان الارض ثابتة وسط الكون ، وظل مذهبه معتمداً مئات السنين ، حتى اعلن من جديد العالم البولوني « كوبرنيكوس » حركة الارض حول الشمس ، فهجر الناس القول الاول ، واعتنقوا الرأي الثاني ، لا كرهاً ببطليموس ، ولا حباً بنيكوس ، بل لان العلم فرض نفسه على جميع اهل المذاهب والاديان في انحاء المعمورة ، حيث يعلو سلطانه ويسمو على كل سلطان ، وبه يخلد الإنسان مدى الأجيال والأزمان .. وسيأتي اليوم الذي تدين فيه برسالة محمد ﷺ جميع الأمم في الشرق والغرب ، لا لشيء الا لان العاقبة للحق والعلم اللذين تسير معهما هذه الرسالة المقدسة جنباً إلى جنب .

ستدين الأجيال ، كل الأجيال ، برسالة محمد ﷺ عن طريق المشاهدة والتجربـــة اللتين هما اساس المنهج العلمي الحديث ، مع العلم بأن محمداً ﷺ لم يستعمـــل في حياتـــه التجربة والاختبار ـ اذن ـ تعين بحكم الواقع ان صلته الوثيقة بخـــالق الكون هي السبيل الوحيد الى معرفته بحقائق الكون وما قبله ، وما بعده .. لقـــد سبق محمد ﷺ بعلومـــه ومعارفه التقدم الإنساني بألوف السنين ، ليكون هذا السبق دليلا على وجود تلك الصلة بينه وبين العلي الأعلى .

ومن هنا افترق عن العلماء والفلاسفة والعباقرة والنابغين وكان فوق الناس اجمعين .

محمد جواد مغنية

عاقبة المال الحرام

« لا تتركن وراءك شيئاً من الثراء الحرام ، فإنك تتركه لاحد رجلين : اما رجل عمل فيه بطاعة الله ، فسَعِد بما شقيت به ، واما رجل عمل فيه بمعصية الله ، فكنت له عوناً على معصيته ، وليس احد الرجلين جديراً لتؤثره على نفسك » .

علي بن ابي طالب

كلمات مختارة
لسيد الفصحاء والبلغاء

ـ اربع من اعطيهن فقد اعطي خير الدنيا والآخرة : صدق حديث واداء امانة وعفة بطن وحسن خُلق .
ـ اربع تشين الرجل : البخل والكذب والشره وسوء الخلق .
ـ التواضع رأس العقل والتكبر رأس الجهل .
ـ البشر منظر مونق وخلق مشرق .
ـ المروءة بث المعروف وقرى الضيوف .
ـ الزموا الحق تلزمكم النجاة .
ـ اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة .
ـ استنزلوا الرزق بالصدقة .
ـ الزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة .
ـ انتهزوا فرص الخير فانها تمر مر السحاب .
ـ اتقوا البغي فانه يجلب النقم ويسلب النعم .
ـ احذروا الشح فانه يكسب المقت ويشين المحاسن و يُشيع العيوب .
ـ احذروا اهل النفاق فانهم الضالون المضلون .
ـ احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال .
ـ اياك وفعل القبيح فانه يقبح ذكرك ويكثر وزرك .
ـ اياك والغيبة فانها تُمقتك الى الله والناس وتُحبط اجرك .
ـ اياك والحرص فانه شين الدين وبئس القرين .
ـ اياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم .
ـ ان افضل اخلاق الرجال الحلم .
ـ ان اعظم المثوبات مثوبة الإنصاف .
ـ انا مع رسول الله ﷺ ومعي عترتي على الحوض ، فليأخذ أحدكم بقولنا وليعمل

بعملنا ، انا لننافس على الحوض ونذود عنه اعداءنا ونسقي منه اولياءنا ، فمن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابداً .

ــ اذا نطقت فاصدق ، اذا ملكت فارفق ، اذا اعطيت فاشكر ، اذا ابتليت فاصبر .

ــ اذا رزقت فانفق ، اذا جنيت فاعتذر .

ــ بادر الخير ترشد ، بادر الفرصة قبل ان تكون غصة .

ــ بئس الشيمة النميمة ، بئس الجار جار السوء .

ــ بر الوالدين اكبر فريضة .

ــ ثلاث لا يُستحى منهن :

خدمة الرجل ضيفه ، وقيامه لابيه ومعلمه ، وطلب الحق وان قل .

ــ رأس الإيمان الصدق ، رأس الحكمة لزوم الحق ، رأس الجهل الخُرق ، رأس الإسلام الامانة ، رأس النفاق الخيانة ، رأس العيوب الحقد ، رأس الرذائل الحسد .

ــ زكاة العلم نشره ، زكاة الجاه بذله ، زكاة الحلم الاحتمال ، زكاة المال الافضال ، زكاة القدرة الانصاف ، زين النعم صلة الرحم .

ــ شاور ذوي العقول تأمن الزلل والندم .

ــ شرف الرجل نزاهته وجماله مروءته .

ــ صحة الضمائر من أفضل الذخائر .

ــ عليكم بالتواصل والموافقة واياكم المقاطعة والمهاجرة .

ــ فخر المرء بفضله لا بأصله .

ــ فاز من اصلح عمل يومه .

ــ كل غالب بالشر مغلوب .

ــ كسب العقل كف الاذى ــ كسب الايمان لزوم الحق ونُصح الخلق .

ــ كما ترحم تُرحم ، كما تدين تُدان ، كما تتواضع تعظم ، كما تُعين تعان .

ــ من قلّت تجربته خدع ، من قلّت مبالاته صرع .

ــ من دام كسله خاب امله ، من طال امله ساء عمله .

ــ من رجاك فلا تخيب امله ، من عاند الحق لزمه الوهن

ــ من لا إخاء له لا خير فيه ، من قل أدبه كثرت مساويه .

علي بن ابي طالب

كلمات مختارة

لفيلسوف الفريكة

ــ النفوس اتربة : منها البيضاء ، ومنها السوداء ، ومنها ما لا لون له وهذه اخبثها .

ــ ويل امراء الكلام من منطق الايام .

ــ لا تتوقع من صديقك ان ينصرك اذا كنت مخطئاً ، ولا ان يجــدّ بأمرك اذا كنت به بطيئاً .

ــ افلاس في الآداب مغبته العقم والخراب .

ــ اذا كنت كاتباً لا تحرّك قلمك لتعزيز الباطل على الحق .

ــ خير الكتب كتاب لا يتركني بعد مطالعته في الحال التي ألفتها ، كتــاب يحرّك في عاطفة شريفة او فكراً سامياً ، يزحزحني من مكاني او يدفعني لازحزح من هم حولي كتاب يوقظني من سباتي العميق .

ــ شر ما يكتبه الإنسان مقال لا إيمان فيه .

ــ القوة للحق والحق لا يموت .

ــ ليكن شعاركم الطاعة في الحق والتمرد على الباطل ، ان التمرد هنا لأكبر من الطاعة.

ــ ازرع الحلم والاحسان ، تحصد السؤدد وولاء الزمان .

ــ الاركان الثلاثة :
الادب : معرفة وذوق وصناعة .
الاجتماع : علم وإلفة وسلام .
السياسة : دهاء وجرأة وثبات .

ــ ان الثراء يُذل صاحبه اذا كان لا يُبذل منه .

ــ الحياة التفاتة للماضي وتشوق للمستقبل .

ــ الحياة المثلى تعظم فيها قوة العقل وقوة الروح .

ــ الدين الحقيقي ما انار القلب والضمير فيهدي الإنسان الى خير طريق .

ــ ركن الصحة الروحية الايمان بالله .

ــ قبيل الفجر تشتد الظلمات .

ــ من يتساهل بكل شيء لا يعتقد بشيء .

امين الريحاني

أحمد عارف الزين
ذلك المجاهد الوطني الخالد

بقلم خضر عباس الصالحي

- ٣ -

وفي عام ١٩٣٦ وكانت وطأة الاستعمار قد اشتدت ، اذ زج المئات من خيرة الوطنيين في السجون ، واعدم بعضهم ، فوقف المجاهد الشيخ احمدعارف الزين الى جانب المرحومين عبد الحميد كرامي ، ورياض الصلح ضد الاستعمار ، فسيق بعضهم الى القامشلي ، والبعض الآخر الى سجن الرمل ، ثم افرج عنه فعاد الى إصدار مجلة العرفان لتبرز نشاطات الاقلام العربية ! لمناوئة الطبقة الحاكمة التي استكلبت فسلطت موجة ارهابية مسعورة على القـادة المخلصين الذين لم يهادنوا الاستعمار !

لقد عرفنا الشيخ احمد عارف الزين مثالا للكفاح الصادق ، والايمان الراسخ والرجولة الحقة ، ورمزاً للفضيلة والايثار والدفاع عن المثل الرفيعة ، والتفاني من اجل خدمة الاهداف النبيلة ، كافح عن استقلال وطنه ، وشهد ثورات سياسية واجتماعية خطيرة واشترك فيها ، واعترضته المشاكل والمتاعب والاحزان فما لان جانبه ، واندمج مع المجتمع الذي عاش فيه ، فكان شديد التأمل لما يحيط به ، ولما يكتنف بيئته من تيارات فكرية واجتماعية ، فاستوحى منها وطنيته المشبوبة ، وانسانيته الشاملة ، واستعذب الآلام ، وعرض حياته لخطر الموت في سبيل محاربة الاستعمار الذي ما زال معولا هداماً في صرح حرية الشعوب ، ورغم هـذه العوائق جميعها ، وما تتقاذفه من تيارات الشدائد والمحن ، فقد ظل من الثبات والجرأة بحيث لم يلق السلاح ، وأبي ان يريق ماء وجهه ، ويهدر كرامته ، ويدنّس سمعته الطيبة بأوضار الانتهازية والوصولية والملق . ولازم حياة القناعة والتقشف والزهد ، وبقي حر التفكير في عقيدته ، طاهر الضمير ، عف اللسان ، غنياً في معرفته ، عميقاً في فكرته ، وقلبـه فياض

بالعفاف والصفاء والمحبة ، ونفسه الكبيرة في مثل براءة الاطفال ودعتهم ، يتحلى بإحساس مرهف ، وشعور دافق ، تنبض بين جوانبه عواطف الرحمة والاخوة والطهر ! عرك الحياة وخبر شرها من خيرها ، وعاش طوال حياته يجاهد في ميدان السياسة والعلم والادب ، ويدافع عن القيم الفكرية النيرة ، وغمس قلمه السيال في ينابيع الخير والحق والنزاهة فأضاء به الظلمات التي تغشى العقول ، وخلق بكفاحه المتواصل جيلا من الشباب الواعي ، ووجه حياته الوجهة الصحيحة ، وازاح المعوقات عن طريقه للوصول الى هدف مرسوم ، ونفخ فيه من روحه ، وامده بحرارة الايمان ، ومضاء العزيمة ودله على طريق الخلاص ، فتفتحت امامه سبل الحياة ، الحياة الفضلى الناعمة في ظل الحرية الفكرية المشعة والعيش الكريم ، واصبح اهدى بصيرة ، وانفذ وعياً ، وحصن العروبة الحصين ، يتدفق حيوية ونشاطاً .

ولم تقف جهوده عند هذا الحد فحسب ، بل وهب حياته وافكاره وخلاصة تجاربه للامة العربية المجيدة التي انجبته والتي اجتاحها التيار القومي الدافق كقوة عارمة لا تقهر ، فانجرف فيه وغذاه بوطنيته الصادقة ، وحماسه الفائر وانفق زهرة العمر في البحث والدراسة والتحصيل ، وكان ذا صبر عجيب في العكوف على الكتابة في شتى نواحي الحياةالفكرية ، فبلغ شأواً كبيراً ، ونال شهرة واسعة في عالم الصحافة والتأليف ورواية الشعر وسير مشاهير الرجال الافذاذ ، اما انتاجه الادبي فقد بلغ الذروة،واتسم بالخصب واصالة المعنى ،والنضوج الفكري المكتمل ، والاسلوب السهل السلس ، ووصل الى ارفع درجات المجد ، فأجمعت القلوب على محبته ، والتعلق به ، لما تميز به من صدق وعفة وسخاء ، وحبه العميق للخير ، ولشخصيته البارعة ، ونبل خلقه ، وكبر نفسه ، وسلامة منطقه ، وروحه العربية الاصيلة . وجهاده الصامت في مناحي عديدة من الحياة المتشعبة المسالك ، وتبنيه القضايا العربية منذ مطلع شبابه !

وللدلالة على مكانته الرفيعة في دنيا الفكر ، فقد اتفقت طائفة من ارباب السياسة والقلم في لبنان على اقامة حفلة تكريمية كبرى له ، ليرفعوا من قدر الادب ويعلو من شأنه ، ذلك الادب الواقعي الموجّه البنّاء المتمثل في شخص الشيخ « احمد عارف الزين » ولمناسبةيوبيل العرفان الذهبي ، تلك المجلة الراقية التي عالجت مشاكل الامة العربية بروح الإخاء والتفاهم والمصلحة المشتركة ، ولما بذلته من تضحيات وجهد ، وما تحملته من مشقة وعناء في سبيل الذود عن امجادها وعزتها وحريتها ! ولنقدها الموضوعي للاوضاع الفاسدة ، ذلك النقد الجريء الذي كان من اهم الوسائل لبلوغ الحقيقة ووضع الامور في موضعها الصحيح ،

ولبعثها تلك الفرائد الادبية من رقدتها الابدية واخراجها الى عالم النور الوهاج .. !

وقد وقع الاختيار على السادة محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية العليا ، والاستاذ محمد جميل بيهم رئيس الكتلة الاسلامية ، ومعالي محمد صفي الدين وزير الانباء والاستاذ روبير ابيلا صاحب جريدة الزمان عن لجنة الاحتفال للاشراف على تنظيم هذا الحفل الشعبي الكبير الهام ..!

وقد اقيمت الحفلة في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاحد الموافق للثالث عشر من محرم الحرام عام ١٣٧١ هجرية والمصادف للرابع عشر من تشرين الاول سنة ١٩٥١ ميلادية وذلك في قاعة سينما ريفولي الجديدة في صيداء ، واستمرت حتى الساعة السابعة والنصف مساء ، وشملها برعايته فخامة بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ، وقد اوفد الاستاذ محمد صفي الدين وزير الانباء ممثلا عنه في الحفلة !

وفي الساعة الرابعة والربع تليت آي من الذكر الحكيم ، وقرىء النشيد الوطني ، ثم تتابع الخطباء والشعراء للاشادة بكفاحات المحتفى به ، وللكشف عن شخصيته وإيضاح معالمها ، تلك الشخصية المتميزة بصلابة الايمان ، وصدق العزيمة ، وسمو الاخلاق ، وطهارة الروح ، ونقاء النفس ، وحصافة الرأي . ثم ارتجل الاستاذ محمد صفي الدين كلمة باسم فخامة الرئيس والحكومة ثم قلد المحتفى به وسام الاستحقاق الذهبي ، تحيط به هالة من الهيبة والجلال !

وأخيراً القى المحتفى به الاستاذ الشيخ احمد عارف الزين كلمة الختام الغنية المعاني ، الجزلة الاسلوب ، المفعمة بالعواطف الكريمة ، قائلا منها :

بني قومنا من آل فهر ويعرب ... اليكم ثنائي من يراعي ومن فمي
لئن فاتني الشكر الذي استحبه ... فسوف يخط الشكر طرسي ومرقمي

باسم الله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم .

وباسم العرب الذين ضربوا المثل الاعلى بفتوحاتهم وبلغوا الذروة العليا في علومهم ومعارفهم فكانوا اساتذة اوربا فيما بلغته من اكتشاف واختراع .

وباسم لبنان العربي المزهو بمصايفه الفتانة ، وحدائقه الفينانة ، واحراجه الخضراء ، وينابيعه الجارية التي تحاكي بصفائها الدر النضيد حتى صح بها قول الشاعر :

تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

لبنان الذي اخرج اليازجيين والبستانيين والشرتونيين والخوريين وغيرهم وغيرهم من

اعلام اللغة والادب ومن أحيوا بآثارهم ومآثرهم لغة العرب .

وباسم جبل عامل الجبل الاشم الجدير بقول الشاعر :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسمابه الى النجم فرع لا ينال طويل

والذي أخرج من أعلام العلم والشعر والادب ومن عظماء الرجال ما زين صفحات التاريخ وملأ الكتب والصحف بالآثار الغر الحسان .

وباسم صيداء الغنية بآثارها ، الفخورة برجالها ، الزاهية بحدائقها الغناء وبساتينها الفيحاء وروائعها العطرة المئناف .

صيداء التي اخترع سكانها الأصليون الفينيقيون حروف الهجاء والزجاج وكانوا صلة الوصل بين الشرق والغرب .

والتي قال عن اول مطبعة انشئت فيها المرحوم العلامة الدكتور يعقوب صروف في مجلة المقتطف بمناسبة تقريظه للعراقيات .

« كأن مدينة صيداء ارادت ان تستعيد مجدها في عصر الفينيقيين فأنشئت فيها مطبعة العرفان تضاهي اعظم مطابع الشرق اتقاناً وحسن اختيار » .

صيداء التي تغنى بها كثير من الشعراء فقال المرحوم الشيخ عبد الغني النابلسي « صيداء تصيد القلوب صيداً » .

نعم باسم هؤلاء واولئك يا سادة أصوغ عقود الشكر ، وأنثر أزاهير الحمد ، وأنظم درر الثناء ، لمن قلدوني منة لا أنساها ، وحبوني عارفة في كل آونة ومناسبة أستعيد ذكراها .

وإذا كان لهذا الحفل الكريم عامة الشكر الجميل والثناء الجزيل للمشاركة بهذا اليوبيل فلا مندوحة لي عن الشكر خاصة لفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الذي جعل هذه الحفلة تحت رعايته ، ولفخامة رئيس الجمهورية السورية الذي زين الحفل بكلمته ، ولهذه اللجنة الكريمة وعلى رأسها معالي وزير الانباء السيد محمد صفي الدين وسعادة الاستاذ محمد جميل بك بيهم رئيس الكتلة الإسلامية ، والعلامة الشيخ محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية العليا .

وهؤلاء العلماء الأعلام والادباء العباقرة الذين تفضلوا وألبسوني ثوباً فضفاضاً اتيه به اعجاباً ، وانوء تحته حياءاً وخجلا ، وخلاصة القول وختامه إن لساني ويراعي عاجزان عن الشكر لذلك أتمثل بقول القائل :

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود شكرٍ فما ارضى لكم كلمي

ان الحق لا يعدم انصاراً ، حيث نستطيع ان نلمس بوضوح مبلغ المنزلة السامية التي تبوأها الشيخ احمد عارف الزين في دنيا العرب والاسلام ، وكيف ارتسم اسمه على شغاف القلوب ، بعد معاناة طويلة ، وجهد شاق ، فنجد وفرة من الشواهد ، وأدلة دامغة على كسبه محبة الناس وتقديرهم ، هي هذه النخبة المختارة من رواد الثورة الفكرية ، وأقطاب السياسة والعلم والجهاد الذين لا ترهبهم في قولة الحق سطوة جائر مستبد ، والذين سمت ارواحهم الزكية عن كل لون من ألوان المداجاة والمحاباة والدجل ، والتزموا جانب العدالة في جميع تصرفاتهم واعمالهم مهما كانت النتائج . وناصروا الحقيقة ودافعوا عنها بعناد واصرار وان كانت اخطار الموت تحدق بهم ، ولم يعرفوا الخضوع الا لله وحده ، وما وجد الخوف منفذاً الى نفوسهم الأبية ، وفي مقدمتهم المجاهد الكبير المرحوم ابو القاسم الكاشاني ، وهو من عمالقة الفكر الاسلامي واحد مفجري الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ وابرز قادتها الابطال وباعث ايران من رقدتها فقد قال :

« الاستاذ الشيخ احمد عارف الزين رجل الدين والعلم والفضل والأدب ، حامل لواء هذه الدعائم القويمة في العالمين الاسلامي والعربي ، والمجاهد المناضل في الدفاع عن الاسلام وثقافته السامية ، وتعاليم سيدنا ونبينا الأعظم ﷺ وآل بيته الهداة الميامين عليهم السلام ، وهو الذي صال وجال في ميادين العلم والأدب والصحافة والثقافة بقلمه السيال الذي لم يعرف الكلل والملل ولم تأخذه في الذود عن الحق ، والذب عن الحقيقة لومة لائم !

لقد انار الاستاذ الشيخ احمد عارف الزين بعرفانه طريق الهداية لكثير من ابناء هذا العصر ، وكانت ولم تزل مدرسة العرفان المتنقلة من اهم المعاهد الثقافية الحاملة لروح صاحبها الإصلاحية الوثابة ، والجامعة بين المدنيتين القديمة والحديثة ، والجديرة بالتقدير والإعجاب والتكريم والإعظام ..!

وسماحة العلامة الخالد المرحوم السيد محسن الامين ، وهو من رجال الرعيل الأول في مقارعة الاستعمار ، وفي طليعة التواقين للانطلاق والحرية ، والعميق في شعوره لمسؤوليته نحو امته ، والذي خلف ثروة ضخمة من المؤلفات القيمة تتناسب ومتطلبات التطور الاجتماعي الحديث فقد قال من كلمة تحمل كل معاني الحب والوفاء وروعة الفكر .

« خمسون عاماً مضت من حياة الشيخ احمد عارف الزين كانت على أفضل ما يرجى لحياة الرجال الصالحين ، وهل أفضل من وطنية خالصة ما هادنت ولا واربت ، ومن صدق في القول والعمل لم تشبه مداجاة ، ولم يخالطه رياء ، ومن جود وسماحة ما ونت ولا

شكت ، ومن نضال في سبيل الحق والوصول الى اسمى الغايات وانبل المقاصد !

اجل لم تعد حياة هذا الرجل الشريف اهدافها التي رسمها لها ، فأصدر مجلتـــه العرفان ومضى في طريقه الطويل الشاق قوي الايمان ، ثابت العقيدة ، صلب العزيمة ، يرفع صوته مهيباً ببني قومه الى التنكب عن الجمود والهمود فاذا صدمته الخطوب صمد لها غـير هياب ولا وجل حتى يذلل الصعاب ويقطع العقاب ويعود كأحسن ما كان نشاطاً واندفاعـــاً ، فاستطاعت العرفان ان تكون طيلة نصف قرن مدرسة سيارة تحمل الى طلابها حيث كانوا في السهول والجبال ووراء البحار ما أنتجته القرائح ، وأصفى ما أبدعته المواهب ، في العلم والفن والشعر والنثر ، يتطلعون اليها فيرون اخلاص صاحبها فينهلون من مواردها كل سائغ نمير ، فكم تخرج عليها شاعر مجيد ، وكاتب سديد ، وعالم رشيد ، وكم كشفت عن كنوز خبيئة من الادب الرفيع ما كانت لولاها لتظهر ، وما كان اصحابها ليعرفوا ..!

والعالم النابغ السيد المرحوم عبد الحسين شرف الدين الذي اشرق نجمه ، وطارت شهرته في العالمين العربي والاسلامي ، والذي سجل التاريخ صفحات ناصعة من جهاده المجيد ضد الاستعمار ، وقد كان آية في حدة الذكاء ، وسداد الفكر ، وطيبة القلب ، ونبل الروح ،وقد قال هذه الكلمة وهي فيض من الينابيع التي تجيش في نفسه !

(هكذا عرفنا صاحب العرفان ، صغيراً فشاباً ، ثم كهلا وشيخاً ، عرفناه مثلا صالحاً للاخلاص والصدق في القول وفي العمل ، وقد تجهز بهما في فجر النهضة العاملية ، ودلف على نورهما الى ميدان الحياة ، فكان طليعة من طلائع تلك النهضة الفتية ودعامة من دعامات عهدها المتطور !

انشأ مجلة العرفان فانبعثت في الجو العاملي والآفاق العربية اشعة باهرة النور ، وادبـــاً خصب البذور !

ثم استمر ذلك القرم العارف المجاهد لا يلوي على حـــدث ، وثبت في طريق تقطعت برفاقه ، ونفذ وحده وراء ما يقرب من نصف قرن يزحم المواكب في وجـــه لم يتجهم ، وخلق لم يتلون رغم الوعد والوعيد ، والترغيب والتهديد ، ودع عنك سجناً سيق الى ظلماته واضطهاداً خط عليه في معظم ادوار حياته .

كل ذلك ولم نسمعه مرة واحدة قال : (نعم) لأي اجنبي غاشم ، ولم نسمعه مرة واحدة قال : (لا) اذا دعاه اي امر حازم ، فهو المتقحم الباسم اذا ارجحنت الخطوب ، وهو الرائد العازم اذا تشعبت المسالك والدروب ، فلا عجب ان يصبح الصدق والثبـــات من عنوانه ، وان ينظم حاشيتي البر والبحرِ بالألاء (عرفانه) ولا عجب ان يحاط بأصـــدقاء

ومخلصين في لبنان وسورية والعراق وايران وفي شتى مطارح الغربة والنوى من الامريكتين والافريقيتين ، والكل يعرفون جهوده في سبيل الدين والمذهب ، وجهاده في سبيل العرب والادب ..!

والشيخ الجليل الزاهد المرحوم سليمان ظاهر الذي صار امثولةنادرة فيالكفاح والاخلاص والتجرد ، والذي كان يحمل بين جنبيه روحاً ثائرة ، ونفساً صافية ، فقد قال :

فكان للعارف الأبي الحر من نقمه الاتحاديين ومن لف لفهم الشيء الكثير سواءاً أكان في مجازاته بالغرامات المالية ام في السجن ام في تعطيل جريدته مما اضطره الى توقيفها بعد بلوغ سنها العام ومجموعتها الى ما كانت تعرض اليه من أبحاث شتى مختلفة النواحي اشبه بكتاب ازلي يجدر به ان يكون صفحة لامعة من تاريخ الآداب العربية ، وكانت جريدته الحرة وهي معمرة عام ومجلته التي نفخ فيها روح الحياة ، الى جهاده الوطني في العهد العثماني واتخاذ المجاهدين منزله الرحب ومطبعته ندوة للسياسة العربية ، وخاصة في اول نشوب الحرب العامة ، وقد سنحت الفرصة لتقرير مصاير الشعوب العثمانية ، وقد غامرت الدولة العثمانية بخوض ميادينها ، كانت هذه الامور الى ما يضارعها من أخطر ما واجهه العارف واخوانه من جور محكمة عاليه العرفية ، وسيف جمال السفاح ، ولم يكن عهد الاحتلال له ولعرفانه أحسن حالا ، بل لاقى منه أضعاف ما لاقاه في العهد العثماني الإتحادي ، ولم يفت ذلك كله في عضده ، ولا سهم من غرب حده ، فمضى في جهاده الصحفي والوطني ماضي العزيمة ، مؤدياً رسالته أسمى اداء ، مستخفاً بكل ما اعترض سبيله من العثرات . فأخرج لندوات العلم والأدب اسفاراً من عرفانه ، هي في الواقع موسوعة علمية ادبية اجتماعية تاريخية وطنية ، مسايرة نهضة نصف قرن في هذه النواحي مسايرة جليلة لا امت فيها ولا عوج معدودة من المراجع الكبرى ، كما كانت صلة بين ادباء الاقطار العربية وغير العربية وعلمائهم الأعلام ومدرسة سيارة تخرج بها كثير من النشء العربي العاملي وغير العاملي ولم تسد باب النشر في وجوه المتمرنين بل سايرت مواهبهم الى ان بلغوا اشدهم في المنظوم والمنثور. واما ما اسدته الى صيداء والى تاريخ جبل عامل السياسي والأدبي المنسي وجله مأخوذ من قصاصات أوراق بالية ومن مظان مختلفة ، وما ادته الى حياته الاجتماعية والوطنية وما خدمت به اللغة العربية وآدابها وما كان لها من أثر في النهضة العاملية ، وفي احكام الصلة بين المقيم والراحل وما الى ذلك من جليل الفوائد فحسب القارىء ان يتصفح مجلداتها وفيه الغنية عن الاطناب وعن التعريف بهذه اليد البيضاء للعارف العامل !

خضر عباس الصالحي

خليل مطران والمرأة

بقلم : روكس بن زائد العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان في الاردن

احب خليل مطران حباً ملك عليه لبه وقلبه ، وقد صور حبه هذا بقوله :

كنا كغصني دوحة نبتا   بل زهرتي غصن تعانقنا
بل حبتين بزهرة نمتا   وتساقتا لما تعاشقنا
نار الغرام مع الندى العذب
تمت سعادتنا على قدر   فسطت عليها غيرة القدر
اودت معاً بالعين والأثر   واستبقت الباقي من الخبر
ذكرى وتبصرة لذي لب

وفجعه الموت بالحبيبة فظل قلبه أسيراً لذلك الحب كالطائر الذي حطم جناحه فخ الصياد ويظهر ان هذا الحب الذي ذوى غصنه بين يدي الخليل قبل الأوان ، قد أذكى في قلبه حباً موجهاً للجنس النسوي بأسره . فصور لوعته في قوله :

ماتت وكل ضاحك جذل   ما للورى ولموت من جهلوا
لا قلب يبكيها ولا مقـــل   بل نبلها واللطف والأمل
وشبابها وطهارة القلب
ماتت نور الفجر مرتسم   في الماء فهو اعز مبتسم
والروض زاه بالندى شبم   والطير تصدح فيه والنسم
والزهر والأغصان في العب

فهذا الشعور الدامي العاتب على كل ضاحك جذل بعد موت الحبيبـــة ، هذا الشعور نفسه صور له ، وهو لا يدري كل انثى حبيبة تستحق منه العطف والحب والإجلال فمواقف البطولة الفذة نرى ابطالها عند خليل مطران كلهم من الأناثي . ولا عجب ، فإن الإنسان

إذا احب وكان من ذوي القلوب الكبيرة اتسع قلبه حتى يشمل ديار من يحب ، اوشعب من يحب ، او شمل الجنس كله . ومن هنا تبدأ فكرة خليل مطران في الدفاع عن المرأة ، وتعظيم شأنها في كل موقف من مواقف الجرأة والاقدام والبطولة والتحرير .

فهو مثلا في قصيدته الرائعة الخالدة (بزرجمهر) يصور لنا رجالات البلاد بالصورة التي يستحقونها من الجبن والتخاذل والنذالة ، ويصور لنا بطولة بنت الوزير تصوير المعجب . بموقفها من رسول كسرى ، وقد فضت عن وجهها القناع خلافاً لما تطلبه تقاليد القوم ، التي تحرم على الانثى نزع قناعها :

مولاي يعجب كيف لم تتقنعي قالت له : أتعجباً وسؤالا ؟
انظر وقد قتل الحكيم فهل ترى الا رسوماً حوله وظلالا ؟
فارجع الى الملك العظيم وقل له مات النصيح وعشت نعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلا فسد وارعَ النساء ودبر الأطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها لو ان في هذي الجموع رجالا

فحبه للمرأة ، كل امرأة لأنه يرى فيها وجه حبيبته ، دفعه لإبراز بطولة بنت الوزير التي ترى الجموع كلها ذليلة حقيرة يهدها الجبن والصغار ، وحبه للمرأة ، واحترامه إياها جعله يصورها صورة البطولة الفذة . فهي تحتقر كل الجموع ، ولا نرى فيها رجولة بدليل قولها :

ما كانت الحسناء ترفع سترها لو ان في هذي الجموع رجالا

ولعل اعظم بطولة تظهر في تقريعها لكسرى بقولها :

وبقيت وحدك بعده رجلا فسُد وارع النساء ودبر الاطفالا

وهي يوم تصل هؤلاء الرجال في وجوههم لا تجردهم من الرجولة وحدها ، بل تجردهم من الحس الإنساني وتجعلهم صوراً جامدة ودمى لا تتحرك .

انظر وقد قتل الحكيم فهل ترى الا رسوماً حوله وظلالا

فهذه الجرأة ، وتلك البطولة التي ابرز بها تلك الفتاة توحي لنا بالظلال النفسية التي تعكسها حبيبة مطران من وراء قبرها على قلبه وحسه وخياله .

اما الروعة والجمال وبلوغ اسمى غايات البطولة فيجلوها لنا شاعر الاقطار بقصيدته البارعة (فتاة الجبل الاسود) التي عرّضت نفسها للموت لتنقذ وطنها من استعباد الترك العثمانيين . وقد قتلت بسيفها اربعة من جنود الترك العثمانيين ،وهي مرتدية ملابس الجندية ،وقد اصلاها الترك العثمانيون وابلا من الرصاص فاقتحمتهم غير هيابة ولا وجلة من المدفع الذي كانوا

يتترسون به . لكن رفاق القتلى تكالبوا عليها فأسروها ، فقرر قائدهم قتلها في النهار التالي، فلما نضّت ثيابها ، ثم صدرها على انوثتها ، فأبلغ الموكلون بقتلها قائدهم، فأمربها فأحضرت ولما ناقشها هاله ما سمع من اجوبتها . وقد صور خليل مطران ذلك الموقف بقوله :

فأصغى الامير الى قولها ولم يستفز ولم يحقد
واعظم لنفس الفتاة وبأساً بها في الصناديد لم يعهد
وقال انقلوها الى مضرب بعدها به امهر العود
وقال لمن حوله معجباً « لها الله من اسد اصيد!
ومن حرة لن تكون ولن يكون بنوها من الاعبد
فما بلد تفتديـــه النساء كهذا الفداء بمستفيد

اجل هذه صورة ثانية من تقديس مطران وتعظيمه للمرأة . انك لتلمس في نفس هذا الشاعر الفذ عطفاً خاصاً على كل امرأة ، وكأنه كلما عالج قضية تخص امراة ، انما يعالج قضية تخص حبيبته نفسها فهو يرى فتاة الجبل الاسود تصور فتاته ، وما تعظيمه لموقفها هذا الا تعظيم لجنس المراة الذي منها حبيبته .

ولا سيما في قوله :

وقال لمن حوله معجباً لها الله من اسد اصيد
ومن حرة لن تكون ولن يكون بنوها من الاعبد

فكأن شاعرنا يقول ان حبيبته كانت مثال الجمال ، ومثال الاخلاق ، ومثال البطولة ، وانه لو قدر له ولها ان يجتمعا بالزواج وان ينسلا نسلا لكان كل ابن تنسله حبيبته اسداً لا يمكن استعباده ، فيا لعظم الحب الذي عمر قلب مطران فحوله محامياً للمرأة ، لا بل مثـــالا ينحت لها تماثيل العظمة والخلود ، فما صورها الا عظيمة جريئة ، وكأنه بهذه الصورة الجريئة يدعو المرأة الى الثورة على عبوديتها واستكانتها .

حتى الطفلة العاجزة عن الثورة والاستبسال في الحرب يصورها شاعرنا ناقمة على الطغاة والطغيان ، ويجعلها تركع متضرعة الى الله ان يسحق الطغاة وينتقم منهم ففي استعماله لكلمة الإنتقام دليل على ما طبع في هذه الطفلة من السخط على الظلم والظالمين :

حتى اذا ما المساء امسى وانسدل الليل والنهار
جثت على مهدها بما لم تعهد عليه من الوقار
شبه ملاك اعز باك عليه سيماء الانكسار

تدعو ما لقنت ولكن علمها الحزن والابتكار
يا ارحم الراحمين يا من يحمي ضعيفاً به اشجار
انصر ابي وانتقم لقومي ولا تبح هذه الديار

اما قصيدته (السيدة التاجرة) فقد انتصر فيها لاستقلال المراة الاقتصادي الـذي هو اصل لكل استقلال وبعد ان كانت المراة قعيدة بيتها ، لا يسمح لها بمواجهة الزائر الغريب في بيتها - خوفاً على اخلاقها - رأينا خليل مطران يحيي جرأتها ، واحترافها التجـارة على الرغم من كونها غنية ، ليست في حاجة الى المال ، لكن الشاعر الذي قدّس المرأة رأى في كل انطلاقه للأنثى ، رأى فيها جمالا خاصاً ، وسحراً رائعاً .

فلم تعد المراة التي اذا رأت غريباً هربت منه تعجبه ، لانه رأى في عملها هذا انها تدس في عقل ابنها الباطن الخوف من مواجهة الحياة . فلم يكتف بسفور المراة بل اراد لهـا ان تصارع الحياة ، وتنزل الى ميدان العمل ، ولم يغفل ناحية جمالها :

اتاجرة النفـائس والغوالي من الطرف المصوغة والحرير
لانت عجيبة بين الغواني كعصر بين خالية العصور
وهل عجبت لحانوت غدونا نراه مطلع القمر المنير

ويقول : وفي قوله اعجاب بالمراة وحث لها على مواصلة الثورة على التقاليد :

الا يا بنت عصر ما لحي به خطر بلا عمل خطير
حطمت القيد فيه لم تراعي سوى قيد الفضيلة في المسير
ورمت من الحياة مرام عز يشق على العصامي القدير
نعم وابيك ما للطهر حصن سوى خفر الشمائل والضمير
واي رام بين الناس مجداً فليس يعيبه غير القصور

* * *

فهذا التشجيع على احتقار التقاليد البالية ، والثورة عليها ، والوقفة المعجبة بجرأة هذه التاجرة كلها ادلة على تقديسه المراة ، تقديس الحبيب لمن يحب ، تقديس الذي لا يرى فيمن يحب الا الخير والجمال .

فخيال المرأة يطارد شاعرنا في كل موقف ، اشعة حبه تلاحقه في كل لحظة ، حتى وهو اتعس ساعات يأسه :

منفرد بصباتي منفرد بكآبتي منفرد بعنائي !...

فهو في أشد ساعات حياته حلكة تسيطر عليه فكرة الحب الموءود ، وتلذعه حرقـة .

ففي الغروب عند الخليل عبرة للحب ، وفي الغروب نزع للنهار ، نهار الحب . فيه صرعة للشمس التي تصور صرعة الموت لمن احب . ان الكون نفسه قد تقلص في تلك الحبيبة وصار صورة لها . وكل حدث في الطبيعة يوحي بما اصابها !..

فهو يرى في الغروب طمساً لليقين وباعثاً للشك ومحواً وابادة لمعالم الأشياء ، لأنه يصور له صولة الموت العاتي الجبار !

والخليل اذا انس الى العزلة ، فإنما هو يتصور نفسه خالياً الى ان يحب ، وان لم يصرح بذلك ، لكن هذا هو ما تقرأه بين كلماته وسطوره .

ونحن عندما نقول ان طيف المرأة او طيف الحبيبة لم يفارق المطران قط ، فإننا لا نعدو الحقيقة .

صحيح ان المطران لم يكتب كتاباً يدافع عن المرأة ، لكنه وقد خلع عليها وعلى اعمالها ثوب التقديس ، واحاطها بهالات البطولة وطفاواتها ، قد صنع لها ما هو اعظم من الف كتاب ، واشرع من الف دفاع . فأي دفاع عن انسان افضل من ان تصوب (١) له كل حركة من حركاته ، وتعجب لكل سكنةمن سكناته .

هذا جانب من جوانب شخصيةالمطران الشاعرة انرنا زواياه شيئاً من الإنارة . وحسبنا ذلك في هذهالعجالة .

عمان روكس بن زائد العزيزي

بشار وحماره

كان بشار ذات يوم يعبث ، وكان قد مات له حمار قبل ذلك ، فقال : رأيت حماري البارحة في النوم ، فقلت له : ويلك مالك مت ؟ قال : انك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني ، فرأيت اتاناً عند بابه ، فعشقتها فمت . وانشدني :

سيدي مل بعناني	نحو باب الاصبهاني
ان بالباب اتاناً	فضلت كل اتان
تيمتني يوم رحنا	بثناياها الحسان
وبغنج ودلال..	سل جسمي وبراني
ولها خد اسيل	مثل خد الشنفران
فبها مت ولو عش	ت اذا طال هواني

---

(١) صوب الامر ، عده صواباً ، ومن الاوهام العصرية ان الكتاب المعاصرين يعدون الكلمة بمعنى الاصلاح ، وهو وهم كبير خروج بالكلمة عما وضعت له .

الدستور العراقي

بقلم : السيد عبد الرزاق الحسني

لما اندلعت لهب الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤م رأت دول الحلفاء ان تستميل عطف العالم على قضيتها لتضمن الإنتصار لجيوشها فأعلنت انها انما تحارب لرفع الظلم عن الشعوب المضطهدة ولتحررها من السيطرة التي فرضها اعداؤها عليها . وقد اكثرت هذه الدول من الوعود المعسولة للشعوب المظلومة لتستر الشبهات التي كانت تحوم حول نياتها حتى استطاعت ان تجند ابناء البلاد التي كانت ترزح تحت نفوذها وسيطرتها ليقاتلوا في صفوفها ولم يكن مأمولا ان يحارب ابناء المستعمرات وابناء الأمم المتحالفة مع الحلفاء في سبيل ابقاء الرق الإجماعي وإنما ارادوا بهذه التضحيات ضمان حق تقرير مصيرهم وتأسيس نوع الحكم الذي ترتضيه شعوبهم . فلما انتهت الحرب المذكورة بانتصار الحلفاء ، رأت الحكومات المنتصرة ان تسبغ على البلدان التي تحررت من النير الاجنبي نعمة النظام الدستوري فنصت الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الأمم على ما يلي :

« ان بعض البلاد التي كانت في القديم تابعة للانبراطورية العثمانية وقد بلغت درجة راقية يمكن معها الإعتراف مبدئياً بكيانها كأمم مستقلة على ان تستمد الإرشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها . ان اعتبار رغبات هذه البلاد يجب ان يكون في المقام الأول في انتقاء الدولة المنتدبة » (١) .

وقد اكدت المادة الاولى من « صك الإنتداب البريطاني » الذي فرض على العراق في ٢٥ نيسان ١٩٢٠م على وجوب تمتع البلاد بنظام دستوري صريح فجاء في نصها :

« للمنتدب ان يضع في اقرب وقت ، على ان لا يتجاوز الثلاث سنوات من تاريخ تنفيذ الإنتداب ، قانوناً اساسياً للعراق يعرض على مجلس جمعية الأمم للمصادقة عليه فينشره سريعاً وهذا القانون يسن بمشورة الحكومة الوطنية ، ويبين حقوق الأهالي الساكنين ضمن البلاد ومنافعهم ورغائبهم . ويحتوي على مواد تسهل تدرّج العراق وترقيه كدولة مستقلة . وفي

(١) رسالة « تشكيلات عصبة الامم وتعاضدها » ص ٩٤ .

الفترة قبل العمل بالقانون الأساسي يجري العمل في العراق طبقاً لروح الإنتداب » (١) .

فلما قام العراقيون بثورتهم الكبرى في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠م ضد نظام الانتداب الذي فرض على بلادهم استدعت الحكومة البريطانية الأمير فيصل بن الملك حسين الى العراق ليؤلف فيه دولة عربية تعترف بهذا الانتداب على ان يفرغ في شكل معاهدة تحقق شيئاً من طموح العراقيين في الحرية والاستقلال ، وتمكن البريطانيين من تنفيذمسؤولياتهم الانتدابية امام عصبة الامم . وكان فيصل قد فقد عرشه في سوريا في ٢٥ تموز ١٩٢٠م واضطره الفرنسيون الى مغادرة الاراضي المشمولة بانتدابهم ، فلما بلغ بغداد في ٢٨ حزيران من عام ١٩٢١م قرر مجلس الوزراء للحكومة الموقتة التي كان المعتمد السامي البريطاني في العراق ألفها في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠م لتعمل تحت ارشاده ومشورته ،قرر هذاالمجلس في جلسته المنعقدة في ١١ تموز ١٩٢١ م « المناداة بسمو الامير فيصل ملكاً على العراق ، ويشترط ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية مقيدة بالقانون » (٢) .

ولما افرغت مواد الانتداب البريطاني على العراق في شكلمعاهدةوقعها الجانبانالعراقي والبريطاني في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢م اوضحت المادة الثالثة من هذه المعاهدة اسس الدستور العراقي بالنص الآتي :

« يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً اساسياً ليعرض على المجلس التأسيسي العراقي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان لايحتوي علىما يخالف نصوص هذهالمعاهدة وان يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب مصالح جميع السكان القاطنين في العراق ،ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة ، وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط ان لا تكون مخلة بالآداب والنظام العموميين . وكذلك يكفل بأن لا يكون ادنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين او لغة . ويؤمّن لجميع الطوائف عدم نكراناومساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعليم اعضائها بلغاتها الخاصة على ان يكون ذلك موافقاً لمقتضيات التعليم العامة التي تفرضها حكومة العراق . ويجب ان يعين هذا القانون الاساسي الاصول الدستورية تشريعية كانت ام تنفيذية التي ستتبع في اتخاذ القرارات في جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية » (٣) .

(١) تجد لائحة الانتداب في كتابنا « تاريخ العراق السياسي الحديث » ١ - ٨٤ .
(٢) مجموعة قرارات مجلس الوزراء للاشهر تموز آب ايلول ١٩٢١ ص٩ .
(٣) نص المعاهد في « تاريخ العراق السياسي الحديث » ج٢ ص٣٠ - ٣٩ .

« وفي وسعنا ان نلاحظ ان المادة المتقدمة الذكر لا تبين حقوق الشعب حسب ، بل المبادىء التي تقرر ان يقوم عليها نظام الحكومة العراقية ايضاً وبذلك يمكن ان تعتبر خطوة تطورية مهمة في تاريخ العراق الدستوري » (١) .

وهكذا نرى ان فكرة تكوين حكومة دستورية في العراق قد ثبتت في وثائق رسمية عديدة قبل ان تشكل الحكومة العراقية نفسها مضافاً الى الوثائق التي اعلنت اثناء الحرب كخطاب الجنرال مود فاتح بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ وكالبلاغ البريطاني ـ الفرنسي الصادر في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ والتصريحات الرسمية الاخرى . اما كيف وضع الدستور العراقي فهذا بيانه :

* * *

تألفت في خريف عام ١٩٢١م لجنة خاصة لوضع دستور المملكة العراقية قوامها الميجر هـ . يونغ ، التابع لمديرية الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات البريطانية ، والمستر ايدوين دراور مستشار وزارة العدلية في الحكومة العراقية على ان تشترك تحت اشراف المستر نيجل دافيدسن السكرتير القانوني للمعتمد السامي البريطاني وتوجيهات المعتمد نفسه ، وفي ضوء الاسس الواردة في صك الانتداب ، وصيغة البيعة للملك فيصل ، والمادة الثالثة من لائحة المعاهدة العراقية ـ البريطانية المقترحة لتحل محل صك الانتداب . فاستعانت هذه اللجنة بدستوري استراليا ونيوزيلندا ، وبدساتير بعض الممالك الصغرى ووضعت اللائحة المطلوبة ثم ارسلتها مع الميجر يونغ الى وزارة المستعمرات البريطانية في اوائل سنة ١٩٢٢م لتدقيقها فأجرت الوزارة المذكورة تعديلات هامة فيها واعادتها الى معتمدها في العراق ليرفعها الى الملك فيصل . فلما تسلّم الملك هذه اللائحة وافق مبدئياً عليها ، وامر بتشكيل لجنة لتدقيقها فتألفت اللجنة من السادة : وزير العدلية ناجي السويدي ، وزير المالية ساسون حسقيل ، وسكرتير الملك الخاص رستم حيدر . ثم انضم اليها مستشار وزارة العدلية دراور ، والمشاور الحقوقي نيجل دافيدسن . وقد وجدت هذه اللجنة ان اللائحة موضوعة البحث لا تنطبق على احوال العراق العامة ، ولا تلائم اوضاعه الخاصة ، وانها منحت الملك صلاحيات واسعة لا تقرها النظم الدستورية في البلدان الديمقراطية ، وانها تضمنت احكاماً لا تستسيغها مبادىء الثورة الفرنسية التي ضمنت حقوق الانسان منذ القرن السابع عشر فاعترضت عليها ودرست دساتير عدد من البلدان الاخرى مثل اليابان ثم اجرت استشارات واسعة مع المعتمد السامي

(١) الدكتور مجيد قدوري في كتابه « نظام الحكم في العراق » ص ٢٨ .

وسكرتيره القانوني وما لبثت ان وضعت لائحة جديدة استمدت معظم احكامهامن الدستور العثماني الذي كان معروفاً اكثر من غيره لدى اعضاء اللجنة نفسها ، ونظمت ايضاً مذكرة بالأسباب التي حملتها على وضع لائحة جديدة ثم بعثت بها وباللائحتين القديمة والحديثة الى حكومة لندن لتقول كلمتها الأخيرة ولما كان الموظفون البريطانيون في وزارة العدل البريطانية من المتشبعين بالآراء الحقوقية المستندة الى نظرية حقوق الانسان التي اقرتها الثورة الفرنسية والتي شاعت في دساتير الدول الحديثة عامة والناشئة منها بصورة خاصة بعد الحرب العالمية الاولى (حرب ١٩١٤ – ١٩١٨) عملوا على ان تكون هذه اللائحة موافقة للطرفين فتخيروا من دساتير ايران وتركية ومصر البقها واصلحها ، ومن لائحة الحكومة الفيصلية في دمشق وغيرها من الدساتير الشرقية والغربية اكثرها ملائمة لروح الشعب العراقي واتفقوا على ضم ذلك الى اللائحة القديمة المعروضة عليهم مراعين في ذلك لائحتي الانتداب والمعاهدة ،وصيغة البيعة للملك فيصل . وقد ايدوا وجهة النظر العراقية في معظم التعديلات التي ارادها الوزيران العراقيان ولا سيما فيما يتعلق « بسلطة المجالس النيابية وجعل الحكومة تحت اشراف المجلس النيابي وتحقيق مسؤولياتها امامه(١) » وكان هذا الحق قد منح للملك في اللائحة الاصلية . اما ما ايدوا به وجهة النظر البريطانية فيقول الحقوقيون عنه انه كان شذوذاً عالمياً في التشريع (٢) وكان ما يلفت النظر اليه بصورة خاصة ما جاء في الفقرة الثالثة من المادة الـ٢٦ من لائحة الدستور من جواز اصدار مراسيم تكون لها قوة قانونية لتصديق القوانين المتعلقة بالقيام بواجب المعاهدات دون عرضها على مجلس الامة في اجتماعه القادم ، كما تعرض عليه بقية المراسيم التي تصدر في اثناء عطلته لتصديقها او الغائها ، الامر الذي لا نجد له مثيلا في سائر الدساتير العالمية ويعدها البريطانيون ضرباً جديداً في الدساتير . اما ما نصت عليه المادة الرابعة عشرة بعد المئة من (اعتبار جميع البيانات والنظامات والقوانين التي اصدرها القائد العام للقوات البريطانية في العراق والحاكم الملكي العام والمندوب السامي والتي اصدرتها حكومة جلالة الملك فيصل في المدة التي مضت بين الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤م وتاريخ تنفيذ هذا القانون الاساسي تعتبر صحيحة من تاريخ تنفيذها) فمن اغرب ما نصت عليه الدساتير ، ولا سيما اذا علمنا ان بين هذه البيانات عدداً من الوعود التي منحت لغير

---

(١) مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي ص ٤٥٢ من المجلد الاول .

(٢) « ان البريطانيين الذين اشتركوا في وضع اللائحة كان الواجب الملقى على عاتقهم اكبر من واجب تأمين ادخال هذه الشروط والمواد الاخرى التي تكفل نجاح سير جهاز الدولة . فقد كان مفروضاً عليهم – بمقتضى رغبات حكومة صاحب الجلالة – ان يضمنوا بهذا القانون وضع تدابير اضافية من شأنها ان تعزز مركز بريطانية في العراق » اه . آيرلند ص ٢٩٢

العراقيين باعفاء أملاكهم المطوّبة في العراق من الضرائب العامة(١) ومصادرة بعض أموال غير منقولة لبعض العراقيين قضت الضرورة العسكرية بقيدها باسم الحكومة في حينه (٢) .

وقد صادقت وزارة المستعمرات على اللائحة بشكلها الأخير فأعيدت الى الحكومة العراقية لعرضها على المجلس التأسيسي للتصديق فعهدت بها هذه الى « لجنة خاصة بوزارة العدلية قوامها ثلاثة من الحكام وثلاثة اعضاء من الحقوقيين برئاسة وزير العدلية » (٣) وإشراك المستشار القضائي . وكان السيدان : ناجي السويدي ورؤوف الجادرجي مشاورين فيها فرأت هذه اللجنة ان هناك ضرورة قصوى لتعديل بعض المواد فدوّنت ملاحظاتها في مذكرة قدمتها الى مجلس الوزراء ليقرها فتولاها هذا بالدرس والتدقيق وكان مما عدّله فيها وجوب « منح الثقة من قبل المجالس التشريعية الى الحكومات العراقية التي ستشكل » (٤) لتتمكن من مزاولة اعمالها في جو مشبع بروح الثقة والطمأنينة فلم تر الحكومة البريطانية مانعاً من قبول هذه التعديلات ، ولا سيما بعد ان وافقت على التعديل الذي اقرته اللجنة الاولى واقره الموظفون البريطانيون المسؤولون من جعل الوزارة مسؤولة امام المجلس النيابي دون الملك .

* * *

ان من يدقّق احكام « لائحة القانون الأساسي العراقي » يرى ان شأنه شأن الدساتير الديمقراطية الاخرى فقد نص في مادته التاسعة عشرة على ان « سيادة المملكة العراقية الدستورية للامة » ولكنه اضاف الى هذا النص زيادة غير مألوفة فقوله :

« وهي — اي السيادة — وديعة الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده » بعد النص العام المتقدم ذكره يعد من مستحدثات الشارع العراقي حسب لأن الدساتير تقول عادة « ان الامة هي مصدر السلطات » او ان « السيادة تستقر في الامة » هذا الى ان القارىء

---

(١) لما ارسلت حكومة الهند حملتها العسكرية لفتح العراق الحقت بها السير برسي كوكس كمستشار سياسي للحملة فوعد هذا المستشار شيخي المحمرة والكويت باعفاء نخيل بساتينها في العراق من الضريبة فنصت لائحة القانون الاساسي العراقي على وجوب اعتبار هذا الوعد نافذ المفعول بصورة دائمة .

(٢) قتل احد الحكام السياسيين البريطانيين في النجف في ٢٠ آذار سنة ١٩٢٠ واتهم الحاج عطية ابو كلل بين من اتهم بقتله من زعماء النجف فصادرت الحكومة البريطانية عقاراً للحاج عطية لم تستطع حكومة الملك فيصل الاول برده اليه الا بقانون خاص شرعته عام ١٩٣١ .

(٣) مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي ص ٢ و ٤ من المجلد الاول .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٥٣ .

يلمس في هذه اللائحة الكثير من الاحترازات التي وضعت لتحديد السلطة التشريعية وبالتالي حقوق الشعب ويرجع سبب هذه الاحترازات الى التضارب الظاهر بين مواد المعاهدة «التي صيغت فيها بنود الانتداب صوغاً» وبينها وبين المبادىء العامة في الدساتير الديمقراطية . فقد نصت المادة الاولى من المعاهدة مثلا على ان السيادة الوطنية للعراق بينما قيدت المادة الرابعة منها ملك العراق بأن يستشير المعتمد السامي البريطاني الاستشارة التامة . وللتوفيق بين هذين الوضعين ارتؤي تقييد سلطة المجلس النيابي ازاء السلطة التنفيذية في النواحي الادارية والمالية والقضائية لئلا يشرع امراً قد لا يقره المعتمد السامي «ممثل حكومة الانتداب» فيؤول الامر الى الخراب .

فقد زيدت القوة التنفيذية مثلا في إمكان اصدار مراسيم تكون لها صفة قانونية وفي تعيين اعضاء مجلس الاعيان من قبل الملك دون الشعب ، وفي امكان عدم تصديق الملك على القوانين التي يشرعها البرلمان كما قيدت سلطة المجلس المالية فلا يجوز لنائب ان يقدم اقتراحاً بصرف اي مبلغ ، ولا يجوز لمجلس النواب ان يقر خفض النفقات المنصوص عليها في المعاهدات وكذلك خول مجلس الوزراء اصدار مراسيم مالية في حالة عدم التئام المجلس والسير بموجب ميزانيات السنين السابقة .

اما القيود القضائية التي فرضت لتقليص نفوذ السلطة التشريعية فهي ما نصت عليها المادة ٨٣ التي خولت المحكمة العليا تفسير القوانين ومحاكمة الوزراء واعضاء مجلس الأمة فضمن المعتمد السامي بهذه الوسيلة حق رفض اي قانون شرعه البرلمان ولم يرض المعتمد فان كل قانون تضعه اية وزارة لا بد ان ينال موافقة مستشارالوزارةالبريطاني قبل ارساله الى مجلس الامة فان اقره «المستشار والمعتمد» سار سيره الطبيعي وان رفضه احدهما قصد «المعتمد» الملك وطلب اليه الكف عن تصديق القانون المقترح وقد خولت الفقرة الأخيرة من المادة ٦٣ من القانون الأساسي الملك حق رفض اي قرار يتخذه مجلس الوزراء ، وله ان يعيد اي قانون يشرعه البرلمان ولا يحظى بتأييد المعتمد .

* * *

يتكون «القانون الأساسي العراقي» من مئة وثلاث وعشرين مادة مقسمة الى مقدمة بأربع مواد وعشرة ابواب . اما مواد المقدمة فتتعلق باسم القانون وشكل الحكومة وعاصمة الدولة وشكل علم الأمة ، واما الأبواب العشرة فهي :

الباب الأول في اربع عشرة مادة وتتناول بالبحث حقوق الشعب كما جاءت في لائحة حقوق الانسان .

الباب الثاني في ثماني مواد وتتناول بالبحث حقوق الملك وصلاحياته .

الباب الثالث في سبع وثلاثين مادة وتتناول بالبحث السلطة التشريعية وكيفية تعيين اعضاء مجلس الأعيان وانتخاب النواب .

الباب الرابع في اربع مواد تختص بكيفية تكوّن الوزارات ومسؤولية الوزراء .

الباب الخامس في اثنتين وعشرين مادة وتتناول بالبحث السلطة القضائية وكيفية تشكيل المحاكم ودرجاتها .

الباب السادس في تسع عشرة مادة تختص كلها بالامور المالية وفرض الضرائب وكيفية جبايتها واوجه صرفها .

الباب السابع في اربع مواد وتتناول بالبحث كيفية ادارة الاقاليم والمجالس البلدية وكذلك المجالس الطائفية .

الباب الثامن في خمس مواد وكلها تنص على اعتبار القوانين والانظمة والارادات والتعليمات الصادرة قبل وضع القانون الاساسي العراقي موضع التنفيذ مرعية الجانب سواء أكانت عسكرية ام ملكية .

الباب التاسع في مادتين تتناولان بالبحث كيفية تعديل احكام القانون الاساسي او تبديله .

الباب العاشر في اربع مواد وتتناول بالبحث كيفية اعلان الاحكام العرفية وكيفية تفسير القوانين وادارة الاوقاف وتنفيذ القانون موضوع البحث موضع التنفيذ .

* * *

هذا ومن خصائص القانون الاساسي العراقي « انه دستور ديمقراطي نيابي برلماني » فهو دستور ديمقراطي لانه يعترف بأن السيادة هي للشعب وفي هذا تقول المادة ١٩ الواردة بالباب الثاني : سيادة المملكة العراقية الدستورية للامة ، وهي وديعة الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده ، وهو دستور نيابي لانه لا يشرك الشعب مباشرة في شؤون البلاد وانما يقوم مجلس الامة باستعمال حقوق الشعب الدستورية نيابة عنه . واخيراً هو دستور برلماني لانه يقرر المسؤولية الوزارية امام مجلس النواب ويعطي الحكومة من الناحية الاخرى الحق في حل المجلس اذا قدرت ضرراً في ذلك » (١) .

(١) الدكتور مصطفى كامل في (شرح الدستور العراقي) صفحة ٢٣

رجوع

أبعد السنين الطوال الطوال
تعيدين – يا نفسي – عهد الوصال
تمدين نحو الحبيب يديك
تريدين اما ترجعيه اليك
محال ... محال
واما عاد هل تضمنيه هواه
وهل هو ام هو شخص سواه
وكيف تمر الحياة معه
وخلفكما عربدت زوبعة
ووسط الكتاب انطوت صفحات
بغير حياة .. بلا ذكريات
وفي ركن قلبيكما عالم
سجين بأسراره مبهم
وكيف تعيشين وسط الظنون
وقد تُظلمين وقد تظلمين

وفي كل يوم جراح ستنزف
فأي حديث واي تصرف
سيغدو غريباً عليك جديداً
وما مات سوف يعود وليدا
يقول احبك .. فيصرخ قلبك
لقد قالها لنساء سوايا
وقدم لي مثلهن الهدايا
واما شردت عينه الحالمة
تقولين ذكرى الهوى حائمة
ويمتد حولك ظل الكآبة
وتعلو جبين الغدير سحابة
وتحترقين ...
فهل ترجعين..

القاهرة جليلة رضا

« وسار الدستور ــ العراقي ــ رغم المصاعب المالية والتشاد العنيف حول مسئلة الجيش سيراً لا بأس به » (١) وقد عدل مرتين الاولى في ٢٩ تموز سنة ١٩٢٥ (ضمن المدة التي قررتها المادة ١١٨ منه وهي سنة واحدة) حيث تناول التعديل اموراً فرعية كجواز غياب الملك عن البلاد بقرار من مجلس الوزراء وكمنح اعضاء مجلس الامة من الاعيان والنواب بعض المخصصات . والثانية في اخريات عام ١٩٤٣ اي اثناء الحرب العالمية الثانية وقدتناول التعديل اموراً جوهرية فرضت بالاكراه والتهديد .

بغداد ــ الكرادة الشرقية السيد عبد الرزاق الحسني

---

(١) نيجل دافيدسن في خطابه (العراق او الدولة الجديدة) .

نواة الاحزاب في التاريخ الاسلامي

بقلم : محمد علي الزعبي

دهاء يهودي وحقد مجوسي وعصبيات عمياء ـ المثل العليا في المعارضة ـ
استعانة الاحزاب بالمفاهيم الدينية ـ اول مكتب ثان او طابور خامس
نموذج من المدح المسموم ـ دور المؤلفين ـ الاحزاب التي ارتدت
ثوب الدين واصبحنا نراها فرقاً ، سياسة الام والاب
الغلاة ليسوا عرباً ـ قانون التحـــدي

دهاء يهودي وحقد مجوسي وعصبيات عمياء

القرآن حذرنا من كتلة يهودية ، تشتغل بالخفاء منذ العهد النبوي ، وقد انضم لها (كمـا يتفق بهذا جميع المؤرخين دون استثناء) كتلة مجوسية .

هاتان الكتلتان ، بالتعاون مع بعض العرب الذين تعلموا من اليهود الحياة بوجهـين والنطق بلسانين .

تحالفتا على قتل عمر ، وبذرتا ما اطاح بعثمان ، وملأ قلب علي قيحاً ، واحالتا الخلافة ملكية مطلقة ، واخذتا مع الزمن شكل جمعيات سرية ، ذات اهداف مقصودة مركزة قائمة على تأويل ملتوية .

اذن هناك جذور عميقة ، تتغذى من الدهاء اليهودي ، والحقد المجوسي ، وعصبيـات عشائرية عمياء ، كانت آخر من انضوى تحت الراية الاسلامية ـ في ما يبدو للناس ـ واول من حاول تمزيقها .

لقد فتش المتحالفون في العصر النبوي ثم شرعوا يشحذون نيوبهـم مذ نهايتـه ، وتم الشحذ والتحالف والالتقاء مذ برز قرن الملك المطلق العضوض الموروث !

المثل العليا في المعارضة

نعم هناك جذور شر عميقة للاحزاب ، وهناك من يعارضون الدولة القائمة على العصبية

والحمية الجاهلية المفضية للانحراف ، وهؤلاء المعارضون هم كل ذوي الاحلام في الامةوان قادهم الحسين بن علي وحفيده زيد وابطال (فتح) ومن سار على نهجهم من ذوي العقول الاجتماعية والقلوب المؤمنة التي لا تعارض ليعلو مفرقها التيجان ولا لتجلس على العروش وتتمتع بالقصور ، بل لتحول دون النكسة لمستنقعات الجاهلية ولتنتزع السفينة حرصاً على سلامتها وبلوغها مرسى الأمان .

ذوو الوجهين واللسانين

وهناك حزب استتر بالخدمة العامة واعادة الزمام للاكفاء او (القوس لباريها) وما ان بلغ خاتمة المطاف حتى تنكر ودفعهم لتهجية .

دعوت على عمرو فمات فسرني بليت بأقوام بكيت على عمرو

اعني بهم مؤسسي الانقلاب العباسي ــ الاموي الكامنين وراء الجمعيــة الخفيــة التي ما زالت تذرع الارض الممتدة من الحميمة الى البصرة الى فارس حــتى سجلت النصر في موقعة (الزاب) .

اولئك الكامنون الذين تنكروا للاكفاء وقتلوا وزيرهم (ابا سلمة الخلال) وخلعوا على ملكهم العباسي المطلق ثوب خلافة شرعية .

استعانة الاحزاب بالمفاهيم الدينية

لقد علم المنسلخون والمنشقون كصاحب الزنيم ورئيس القرامطةوسواهما،ان اماراتهم لا تدوم الا احاطوها بمفاهيم دينية عملا بالاصطلاح السائد حينذاك فشرعوا ينازلون ملوك بغداد بنفس السلاح الذي يتذرعون به ويرون الانضواء تحت لوائهم لا يدفع خطر الدنيا ولا يكسب النجاة في الآخرة ويعللون ذلك بأن صلاة المنضرين وصيامهم وحجهم في ديار يسودها الظلم الاجتماعي طاعات مردودة لا تتجاوز سقف البيت . وما زالت تلكالاحزاب المنشقة وفي رأسها القرامطة وهم اخطر حزب شيوعي عرفه تاريخنا حتى استوت على سوقها فصالت على مكة والعراق والشام ومصر ، وتركت في افكارنا ما يذكرنا بكلمــة (رمتني بدائها وانسلت) !

اول مكتب ثان او طابور خامس

للتاريخ الفاطمي مرحلتان : مرحلة الستر او دور الستر (كما يدعونــه) من منتصف القرن الثاني الهجري حتى نهاية الثالث ، ودور الكشف (من فجر الرابع حتى آخر العهــد الفاطمي) .

رأينا في هذا العهد قوماً يخوضون بحرامه المبالغات وتبادل التهم ولكن رأينا الفاطميين كثر اتقاناً لما ندعوه الآن مكتباً ثانياً او طابوراً خامساً .

استعان هذا المكتب بالدعاوات سراً وجهراً ونظماً ونـثراً فرأينـا رجاله ينشدون مام الجمهور ابياتاً ويفسرونها بمـا اتقنوا تفسيره كقولهم على لسان القـائم (رأس الدولة الفاطمية) .

ايا اهل مشرق الله زالت حلومكم	ام اختدعت من قلة الفهم والادب
صلاتكم مع من وحجكم لمن	وغزوكم في من اجيبوا بلا كذب
صلاتكم والحج والغزو ويلكم	بشراب خمر عاكفين على الريب
الم ترني بعث الرفاهـة والكرى	وقمت بأمر الله حقاً بلا كذب
شعارهم جـدي ودعوتهم ابي	وقولهم قولي على النأي والقرب

والقصيدة طويلة (١) كلها من هذا الوزن الركيك الذي يدل على ضعف اللغة وبساطة الجمهور .

لقد كانت هذه القصيدة وامثالها تعتبر السبل لامتداد دور الكشف اذ هنـاك موظفو المكتب الثاني يسيرون مع جنود كافور مثلا ويحدثونهم عن محاسن الفاطميـين ومساوىء العباسيين ، وكانت هذه الدعاوة المتقنة تفتح القلوب وتضع على عيون الناس منظاراً مكبراً يريهم ملوك بغداد (بين وصيف وبغا) ولذاما كادت قدما المعز تلامسان شاطىء الاسكندرية حتى وجد قلوباً تستقبله راضية مطمئنة (٢) .

ولم يكن العباسيون يقفون تجاه هذه الدعاوات موقف المتفرج بل كانوا ينادون بلسان المرتزقة من الشعراء والرواة (المكتب الثاني غير المنظم) :

انى يكون وليس ذاك بكـائن لبني البنات وراثة الاعمـام ؟!

يعني ان ابن العم (الامام علياً) لا يرث شيئاً بوجود العم العباس ! اما ابناء البنت اهل البيت النبوي فليسوا داخلين في دائرة الميراث !

وهذا دليل (طبعاً برأي الشاعر ومن يردد ما في صدورهم ويرون معه الناس سلعـة ويورثها بنيه) على ان علياً محجوب بالعباس وابناءه لا يرثون شيئاً ! وما الى ذلك من المنطق الملتوي الذي لا نجده عجيباً من الذين (في كل واد يهيمون) و (يقولون ما لا يفعلون)

(١) راجع (ادب مصر الفاطمية) صفحة ١٦ .

(٢) المعز لدين الله صفحة ٩٦ والفاطميون في مصر صفحة ٨٩ .

ويميلون مع الريح ، فان دخل المعز القاهرة قالوا :

يقول بني العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس : قد قضي الأمر (١)

وان دعا خطباء الجوامع للمستضيء بعد افول شمس الفواطم قالوا :

قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصر (٢)

اذن كان الشعراء يريقون على التطاحن الدنيوي سائلا ويخلعون عليه ثوب دين ويحيطون بالملوك والأمراء والمتسلطين والاقطاعيين ليهبوا المدح جزافاً وينادون بالمبادىء التي تستفيد بها الأطراف المتطاحنة .

نموذج من المدح المسموم

ان محمداً بن هاني الأشبيلي الأندلسي ترك لنا ديواناً مشحوناً بالمبالغات والغلو بمدح الملوك فمن ذلك قوله بأحدهم :

اذا حل في ارض بناها مدائناً وان سار عن ارض غدت وهي بلقع !

سموت عن العليا الى الغاية التي ترى الشمس فيها تحت قدرك تضرع

الى غاية ما بعدها لك غاية وهل خلف افلاك السموات مطلع (٣)

وكما بالغ الشعراء بمدح الملوك بالغوا بمدح الذين يستند لهم الملوك بإقامة جوار ملكهم فرأينا شعراء الفاطميين يغالون بمدح سيدنا الامام علي غلواً لا يقره الامام ولا كرام ذريته من الأئمة والملوك ورأينا الكذب على لسان رسول الله ﷺ تارة بمدح العباس والبشارة بخلود ذريته جالسة على العروش وتارة بمدح مؤسس الملكيات المطلقة الذي انشق على الخلافة الشرعية وعبّد طريق الانشقاق والانفصال ؛ كأن رسول الله ﷺ لم يأت الا للبشائر للطامعين بالملك !

دور المؤلفين

ولم يكن المتطفلون على مائدة الفكر اقل نشاطاً من مرتزقة الشعراء ، اذ لم يراعوا في ما كتبوا حول السياسة عهداً ولا ذمة ، ولا عجب فالملوك ــ كما قال هارون الرشيد ــ سوق والناس يحضرون له ما راج فيه .

لقد مسخوا بتأويلهم المتكلّفة كثيراً من الحقائق نكتفي بحادثة نسوقها للقياس وهي قولهم لقد اسقط ابو علي منصور (الحاكم بأمر الله) فرض الزكاة !

(١) و (٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٤٤٦ وتاريخ الدولة الاسلامية لابن طباطبا .

(٣) والقصيدة ١٠٥ ابيات راجعها في ديوانه المطبوع صفحة ٣٧٩ - ٤١٢ .

قرأت هذا وعجبت من الارتجال وكدت اراه تفسيراً منحرفاً لما ذكره ابن العديم (١) اخبار الحاكم اذ نقل صورة الرسوم الذي استثنى اهل حلب من دفع خراج عام ٤٠٧هـ .

ثم وقعت على نسخة مخطوطة من السجل المعلق بخط الأمير عيسى التنوخي (٢) ترى الحاكم سامح الناس بالخمس (يعني بحصته منه بصفته من اهل البيت) !

وقد استغل الذين يعيشون على موائد السياسة هذا الخبر واولوه بما يرضي الملوك ولم يدروا — او دروا وتجاهلوا ! — ان هذا تساهل بحق شخصي او استجابة لظروف اقتضاها جو حلب وليس اسقاطاً لركن الزكاة (٣) .

الاحزاب التي ارتدت ثوب الدين
واصبحنا نراها فرقاً ، سياسة الام والاب

في ليل العصر العباسي الثاني، رأينا أحزاباً يرفع رايتها معلومون ويرسم خطوطها مجهولون — كانوا حينذاك مجهولين — !

هذه الأحزاب تنادي بعدم شرعية الخلافة العباسية وترميها من ثغرات الاسراف والانغماس بالشهوات ، ولكن نداءها يذكرنا بـ (كلمة حق اريد بها باطل) اذ لم تكتف تلك الأحزاب بالصولة على الدولة بل اخذت تتجاوزها وتصول على جذور (الاسلام نفسه) !

استغلت هذه الأحزاب واقع الدولة الممزق وانشغالها بمشاكلها الداخلية والخارجية وهجوم امراء وولاة الأطراف على ما بأيديهم من ديار وصولات عمالقة الغرب (الصليبيين) واقزام الشرق (التتر) وقتل الفكر المولّد المتجسد بمخلصي المعتزلة وجريمة القول باغلاق باب الاجتهاد التي اثمرت قلة او عدم ذوي الافكار الطليقة التي تستضيء بالقرآن وما فسره وساير اهدافه من السيرة النبوية ، وتسرب الافكار القديمة تحت اسم التصوف وانشغال كل

(١) عاش ابن العديم في القرن الذي عاش به الحاكم ، راجع تاريخه المطبوع بتحقيق الدكتور سامي الدهان صفحة ٢١٤ .

(٢) لم ار في ما وقعت عليه من المراجع ترجمة للامير عيسى الا في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى حيث جاء ما نصه :

(ولد – يعني الامير عيسى – بعد اخيه ناصرالدين). واذا علمنا ان ناصر الدين ولد في شعبان عام٧٥٢هـ وقعنا على العصر الذي عاش به الامير عيسى .

(٣) راجع ترجمة الحاكم مستقاة من عشرين مرجعاً بكتاب (الدروز ظاهرهم وباطنهم) طبع مكتبة العرفان ،

متصوف بزاويته وكل انفصالي بما سلخه من جسم الدولة وغفلة مرجع الدولة الاعلى الذي دفن نفسه في مقبرة الجهل والانانية ولم يخجل من زعم كلمة (خليفة وامير مؤمنين) .

استغلت الاحزاب هذا الليل المدلهم الحالك المخيف وأخذت تطلق على العباسيين كلمات ابالسة ، فراعنة ، ناكثين ، مرتدين ، مشركين ، ملحدين بل اخذت تتلاعب بالمفاهيم الدينية وترى فشل العباس (يعني الدولة) مقدمة للقيامة ، (وللقيامة باصطلاح تلك الاحزاب مفاهيم فرقة تكاد تأخذ وقت الباحث) .

استغلت هذا الفراغ واخذت تصول وتجول لكن في ميدان خال :

وهذه قصة تصور لنا ذاك العصر وترينا :

١ ـ هجوم تلك الاحزاب السياسية المستترة بتأويل الظاهر والباطن .

٢ ـ عدم اكتراث ملك بغداد والانفصاليين من العرب والترك والفرس والسودان ، بخطر دعاة الباطنية الا اذا مسوا مصالح العروش مساً مباشراً .

٣ ـ جهاد الذين رأوا ثغرة الدفاع شاغرة فتطوعوا لحراستها رغم قلة الانصار .

قال عبد الرحمن حباب الله في كتابه (الدليل الصادق) (١) ما نصه :

(روي ان الاستاذ ابا اسحاق الاسفرايني رضي الله عنه صعد زمن هيجان المبتدعة الى جبل لبنان وكان متعبداً لاولياء الله وخلوة لهم من النـاس فوجدهم هناك يتعبـدون فقال لهم :

(يا اكلة الحشيش ! هربتم الى هذا الموضع تتعبدون وتركتم امة النبي ﷺ في ايـدي المبتدعة ؟ فقالوا :

لا قدرة لنا على مخالطة الخلق وانت الذي اقدرك الله على ذلك ، فأنت اهله ، فرجع واشتغل بالرد على المبتدعة والف كتاب (الجامع بين الجلي والخفي) .

* * *

هذه صورة عن العصور التي رأينا بها مؤسسي الاحزاب الباطنية السياسية التي انقلبت فرقاً ورأينا عبّاد العروش يتناسون خطر الغزو الزاحف من الغرب وأقصى الشرق وينغمسون بحمئة التطاحن السياسي الداخلي الفاطمي ـ العباسي ، ورأينا الباطنية يغتنمون فرصة ذاك الليل ويزحفون شطر العقائد الجوهرية زحفاً يفضي لرفض بعض الآدميين صحابـة كانوا او ملوكاً او مؤسسي طرق صوفية او مؤسسي احزاب الى مصاف الالوهية !!

(١) القاهرة مطبعة الآداب والمؤيد عام ١٣١٦هـ ج ١ صفحة ٢٨ .

الغلاة ليسوا عرباً

على انا لا نتعصب ولا نغالي ولا نتقمص قومية حين نقول :
ان ذوي التوجيه الملتوي الذي افضى الى نكسة لا تأليه المخلوقات كالخرمي والفرغاني والكابلي والجنبلاني والديلمي والكنهوري والطرناني . . . ومن دار في فلكهم وغاص في مستنقعهم ليسوا عرباً .

اما ما نشاهده في الكتب المخطوطة والمطبوعة متعاوناً معهم من اسماء عربية فبعضهم مصاب بمرض التوصل للحكم كصاحب (الموت) وبعضهم اسماء دون مسميات (وسيأتي يوم نتحدث به عنهم) وبعضهم كتابيون ظهروا بمظهر المخلصين للاسلام وكتبوا بالعربية امثال ابن كلس .

قانون التحدي

ونحن لا نرى من الغلاة : سواء كانوا مؤسسين كالجنبلاني او مغتنمي فرصة موجة جهل تلت عصر التأسيس كالانكشارية الذين اصبحوا شيوخ طرق .
لا نرى منهم عجباً اذ احتجز امثال الجنبلاني قانون التحدي ودفع الانكشارية وابن كلس خطط مبيتة .

ولا ريب ان قانون التحدي هذا يسلط سيفه على الرقاب فيعيد السلاف يتجسد احفاده بشعور او دون شعور ، اذ كم شاهدنا جماعات اعتنقت ديناً جديداً ولكن ما زالت تنتقص من اطرافه باسم التأويل وخشية الوقوف عند حدود الحرف وغوصاً على مايدعونه مقصوداً بعيداً وجوهراً كامناً ما زالت تفعل هذا محافظة على القديم او تنفيذاً لمخطط مبيت ، حتى اصبح القديم نفس الجديد او لم يبق من الجديد الا الاسم والهيكل ! وكم شاهدنا افراداً بل امماً يستظلون براية عقائد جديدة ولكن قلوبهم لم تفارق القديمة .
فالعرب مثلا كانوا في جاهليتهم مرضى بالتنازع العشائري ثم جاء الاسلام فلم يطهر الا من عرض نفسه لشعاع شمسه اما الباقون ـ وهم السواد الذي مثل مآسي التاريخ ولا يزال يمثل ـ فقد كانوا ولا يزالون جاهلين تنازعاً وتطاحناً ، ولكنهم يلوكون او يجترون كلمة التوحيد .
نعم ان قانون التحدي خلق احزاباً سياسية تحاول النكسة فبعضها مات طفلا كالراوندية (مؤلهي ابي جعفر المنصور) والخطابية (مؤلهي الأئمة) وبعضها استطاع الاستمرار مرتدياً شتى الأثواب .

واذا علمنا ان الانسان مشدود بأغلال البيئة ادركنا اثر قانون التحدي في نفوس المؤسسين ووضعنا ايدينا على الدوافع ، ووقعنا ـ بنفس الوقت ـ على معذرة الذين لا يزالون يرددون صدى اصواتهم سواء كان المرددون عرباً او غير عرب .

وهكذا اغتنم قانون التحدي ظلمة عصور الانحطاط التي توارى بها العقل وعاد للرواسب التي اصبحت بقوة الاستمرار جزءاً من عقائد جماعات تعايشنا وتجمد حولها وتتمسك بتفاسيرها .

هذه الجماعات جماعة واحدة تعددت مفاهيمها واتفقت اهدافها .

وصفوة القول

من الطبيعي ان نرى احزاباً تعيش لخدمة المصلحة العامة واحزاباً قائمة على مبدأ (قم لأجلس مكانك) واحزاباً تغتنم الظلمة وتتعمد السطو ملتحفة تارة ثوب التوجيه الباطني المركز المبيت الذي اثمر (ماخوسية الجنبلاني) او ثوب التصوف الملتوي الانكشاري الذي اثمر الشبك والسارولية والقزلباش وساعد على تكوين اليزيدية (عباد يزيد) .

وها قد شرعت تلك الجماعات في هذا العصر تظهر مجردة من ثوبها الطارىء اذ شرعنا نرى بها افراداً يجانبون الجزئيات ويصعدون سلم الكليات والماهيات وينهجون قاعدة (ينبغي ان يذهب الموقت بذهاب وقته) .

بيروت محمد علي الزعبي

امتحان ملك لوزيره

قال ملك لأحد وزرائه ـ وقد اراد امتحانه ـ : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به : قال : فان عدمه ؟ قال : فأدب يتحلى به . قال : فان عدمه ؟ قال : فمال يستره قال : فان عدمه ؟ قال : فصاعقة تحرقه ، فتريح منه العباد والبلاد .

رجل ذو مهمة

لما خرج عبد الرحمن الداخل من البحر ، اول قدومه الاندلس ، اتوه بخمر ليشرب فأبى وقال : اني محتاج لما يزيد في عقلي ، لا لما ينقصه .

فعرفوا من ذلك قدره .

ثم اهديت اليه جارية جميلة ، فنظر اليها وقال : ان هذه لمن القلب والعين بمكان وان انا شغلت عنها بمهمتي فيما اطلبه ظلمتها ، وان لهوت بها عما اطلبه ظلمت مهمتي ، فلا حاجة لي بها الآن .

يا ذكريات

للمرحوم : عباس مهدي ابو الطوس

يا ذكريات الحب والسمر وافاك ليل الصب فانتشري
ودعي الهموم تظل عالقة بسوانح الأحلام والفكر
وتجمعي حولي مهدهدة أشواق قلب ضج من كدر
وتدفقي كالسيل مرتطماً يجتاح ما استعصى من السفر
وتحشدي والليل يحضنني والنجم لماح على البشر
وطلاقة الماضي مرفرفة كرفيف حلم مشرق الصور
والافق مزهو بروعته ومتوج مصباحة القمر

* * *

يا ذكريات الحب والسمر هات المنى ولذائذ الوطر
ومباهجاً باللهو عامرة وملاعب الصبوات في السحر
ومسرة كانت توسدني لطف الشباب العابق النضر
ايام كان الانس يجمعنا بين المروج الخضر والشجر
وتضمنا الآمال في وضح حلو السنا عريان منحسر
من هائم نشوان في فرح ومنادم بالشوق متزر
ومسامر يغفو فيوقظه مر النسيم ونفحة العطر
ومرجرج الأعطاف فاترة عيناه من تعب ومن سهر
يلهو ويظهر من محاسنه آي المفاتن صنع مبتكر
والكأس لم تنفك مترعة بأرق معتوق ومعتصر
ولواعج الأشواق ثائرة لم تدخر صبراً لمصطبر
والنفس حالمة بحاضرها تحنو عليه حنو مفتخر
لا شيء غير الكأس يشغلها عن سادر للهم منحدر

تدعو من الأهواء الطفها دعة واجملها من النذر
واعمها نفعاً لمطلب واغضها عوداً لمهتصر
من عالم بالنور متشح بالحسن مرصوف ومعتمر
بالمشرقــات تفيض من نعم وتسير من ظفر الى ظفر
بالروح يعرضها الحب بلا ثمن لقلب قد من حجر
بالسامرين يزيــدهم طرباً ليل الهوى والغنم والوطر

* * *

يا ذكريات الي باعثة ومعيدة ما فات من عمري
احرمي السكرى ورقتها وصبابتي الولهى بلا كدر
وطيوف ايام هجعن على مهد النعيم واجمل السرر
من لاهب للوجد مستعر او بارق للانس مزدهر
وسويعة غاب الحبيب بها عني ، فغام الكون في بصري
وهنيهة للعتب مفرحة ما بين معذور ومعتذر
ومهب انسام بيانعة ونظيم عقد غير منتثر
وشكاة محزون يحن هوى للراح والأحباب والسمر

* * *

يا ذكريات الحب والسمر وافاك ليل الصب فانتشري
وتهضمي نجواي واحتكمي بعواطف لولاك لم تثر
خلي الرياح تهب موحشة لم تبق ايناساً ولم تذر
ثم اطلعي ما كان من امل طلق وفي الأيام من غرر
ومن الصبابة خير منحتها ومن السعادة ابهج الصور
وهنا وثم هناك ما انتثرت كسر من النعمى على كسر
ليت المنى يا ذكريات كمـا شع الضياء ، تشع للنظر
والعيش لا تستام بهجته أيدي الزمان وسطوة الغدر
والدهر لم يبخل بمرتشف ونعيمه كالبرق لم يطر
فمن الشباب لآخر الق يزهو ومن ثمر الى ثمر
ولكل ما تصبو النفوس له باق مداه وغير مندثر

فاذا مضى امل دنا امل فأزاح ليل الهم والضجر
بل ليت والسمار ما برحوا رهن الهيام ونشوة الخدر
يتهافتون لكل امسية بيضاء فاقت غرة السحر
بجوار ساقية وآونة بجوار مرتفع ومنحدر
حتى اذا ما الصبح طالعهم والليل فر فرار مندحر
رجعوا كأن لم يحوهم سمر والكأس لم تطفح ولم تدر

* * *

يا ذكريات تحشدي زمراً وتكاثفي كسحائب المطر
ردي لي الماضي كمنبلج للصبح نوار ومزدهر

* * *

ما كنت يا عهد الهناء سوى حلم بدا يمضي بلا اثر
فاذا الكؤوس من الهوى يبس تلهو بهن عوابث الغير
واذا الملاعب قد خلون فلا سمر ولا لحن من الوتر
والوحشة السوداء حائمة ومتاعب تلوى على أخر
فيزمني ألم ويجرحني الم ومن كدر الى كدر
يا ذكريات الحب والسمر وافاك ليل الصب فانتشري

كربلاء ـ العراق عباس مهدي ابو الطوس

السائل والمسؤول

« من سأل حاجة فقد عرّض نفسه للرق ، فان قضاها المسؤول استعبده بها ، وان رده عنها رجع كلاهما ذايلا : هذا بذل البخل ، وذاك بذل الرد » .

رجل عند عبد الملك بن مروان

قال رجل لعبد الملك بن مروان : اني اريد ان اسر اليك شيئاً .

فقال عبد الملك لأصحابه : اذا شئتم . فنهضوا .

فأراد الرجل الكلام ، فقال له عبد الملك : قف ، لا تمدحني ، فأنا اعلم بنفسي منك ولا تكذبني ، فانه لا رأي لكذوب . ولا تغتب عندي احداً .

فقال الرجل : يا امير المؤمنين ، أفتأذن لي في الانصراف ؟ قال له : اذا شئت .

مع المغاوير في مغارة جعيتا

بقلم : محمد قره علي

لمناسبة مرور عشر سنوات على اكتشافها

في منتصف تشرين الفائت . وفيما كنت اتحدث الى صديقي صاحب « الحياة » الاستاذ كامل مروة قال لي : هيء نفسك صبيحة غد لتصحب المغاوير الى مغارة جعيتا ، قالها ولم يزد . اما انا فقد سمعتها همسة خفيفة اجبت عليها بالإيجاب وما هي الالحظات حتى استحالت الهمسة الى رعشة في جسدي . ثم الى موجة عارمة من الخوف والجزع . ثم الى رعدة اهتز لها كياني كله . وكان صديقي قد انطلق لمزاولة عمله . وكنت قد غادرت دار الحياة لأهيء نفسي واعدها لمرافقة المغاوير . لقد وجمت وترددت وبخاصة ساعة انتهيت الى بيتي ورأيتني بين زوجي وزغاليلي الأربعة (١) . لقد قفز شيطان الخوف الى رأسي فساورني من الظنون والتخيلات ما انا غني عنه . ورأت زوجتي علامات الاستفهام تتراقص على جبيني فهتفت بي :

ماذا هناك ؟ .

قلت : لا شيء . ثم ابتسمت وفي نفسي ما يعلم الله من امتداد لتلك المخاوف وكان الليل قد انتصف . فأويت الى مضجعي . فخشن الفراش وكان وثيراً . وتدثرت في غطائي . وما كاد يتنفس الصبح حتى رأيتني استيقظ مذعوراً من أحلام الليل القصير . وحتى رأيتني أدخل في سروالي وقميصي وحذائي وأترك البيت وهو اكثر ما يكون سكوناً وهدوءاً وانا اكثر ما اكون تلفت عين وقلب الى زوجتي وفراخها الذين كانوا لا يزالون غارقين في نوم هانيء دافيء .

كانت الساعة السادسة صباحاً ساعة كنت امام دار الحياة مع المغاوير الخمسة : سامي كركي ، فريد زغبي ، ايف ارامبورغ ، سابا مخباط ، زاهي حكيم .

---

(١) الزغاليل الاربعة هم انجال الكاتب : مأمون ، عصام ، ندى ، مؤنس ، ولم تكن الخامسة قد ولدت بعد .

لم يطل الوقت حتى كنا ستة في سيارة انها اغرب مهمة صحفية اقوم بها في حياتي على كثرة المهام التي قمت بها . لقد ركبت الجو والبر والبحر فما تملكني خوف كالذي تملكني ساعة وقفت على فوهة المغارة لاني اراني ادخل باطن الارض واناحي ، وقبل ان يحين يومي الموعود لان ادخل باطن الارض ! ومن تراه يفعل ذلك وعقله في رأسه . اللهم الا هذا النفر من المغاوير او من العقلاء المجانين . ومتى كانت البطولات والمغامرات الا ضرباً من عبقريات الجنون . نحن في الطريق الى مغارة جعيتا . الى الاحجية التي ما زالت تشغل اذهان الهواة منذ مئة وعشرين عاماً . في الطريق الى الكهف الذي ما زال يصب الحياة لأبناء بيروت آناء الليل واطراف النهار . لأنه يقذف لهم الماء الذي يشربون — نهر الكلب .

الى المغارة التي ستصبح بعد قليل من الوقت الاعجوبة الاولى ولا اقول الثامنة .

انطلقت بنا السيارة ٢٣ كيلومتراً اجتزنا خلالها انطلياس ، ذوق مكايل ، عينطورة ، ثم جعيتا .

نحن الآن امام كنيسة جعيتا التي تقوم على كتف الجبل المواجه الى « القرنة الحمراء » . اننا على ارتفاع يبلغ ٣٤٠ متراً وعلينا ان ننحدر الى اعماق الوادي مسافة ٣٠٠ متر وها نحن اولاء ننحدر خطوة خطوة . وقلوبنا على ايدينا . زلة قدم واحدة كافية للوصول فجأة وبدون يقظة الى اعماق الوادي السحيق البعيد .

لقد قطعنا المسافة وظهورنا مثقلة بزاد العبور من ملبس ومأكل .

وبعد خمسين دقيقة كنا ندور حول صخر ضخم كبير لننتهي الى فجوة صغيرة من الأرض قبل نهاية المنحدر .

لقد استدار كل منا على نفسه . ونزل الى تلك الفجوة التي تشبه ابتسامة اللئيم او الحقود وقد نبت على جانبيها ومن قلب صخرها الضخم شجرتان من البطم البري . وما كدنا ننزل الى تلك الفجوة حتى رأينا انفسنا وكأننا في فك حوت كبير .

ها قد نزعنا البستنا وارتدينا اثواب الحمام والأحذية الليفية . ثم انرنا المصابيح في الأيدي وعلى الرؤوس ورفعنا الأحمال على الظهور . لقد حان الوقت لان نمر في الثغرة المظلمة نحو المغارة . ويبلغ ارتفاعها ٧٠ سنتيمتراً ، اجل سبعين سنتيمتراً ننتهي بعدها الى تلك الدنيا الواسعة . فلم لا يكون القبر وهي ليست ارحم منه طريقاً الى الآخرة ... وانحنى كل منا على نفسه حتى اصبح كقوس النداف . وولجنا الظلمة فتذكرت المأثور من القول : الداخل مفقود والخارج مولود .

ما كدنا نلج مضيق المدخل الخانق المرعب حتى انتهينا الى فسحـــة اقل حسناتهـــا ان باستطاعتك ان ترفع رأسك فيها وان تنظر امامك في ضوء المصابيح المشعة في جباهنا وايدينا لترى كهفاً رفيعاً استدارت جنباته بالعجيب العجيب من صور الطبيعة وآياتها . ومشينا بعد ذاك خطوات اين منها المشية على الصراط المستقيم ، على الحافة اللزجة . اذا زلت بك القدم هويت . واذا افلتت يدك عما يشبه الصابون مما تقبض عليه لتستعين به في تثبيت خطـــاك هويت ايضاً . وان زاغ بك البصر او الفؤاد هويت وهويت .

ثم سلم الله سبحانه وانتهى بنا النزول الى فسحة رحبة ما كدنا نضيء القناديل الكاربيرية فيها حتى رأينا ما يكاد يخطف الابصار .

رأينا اعمدة صخرية حفرها الماء على مر الزمن . وعليها خيوط مجدولة لماعة . وحبال براقة اخاذة آية للناظرين . ورأينا صخراً يشبه الشيخ العجوز الوقور جاثياً حول تلك الاعمدة رأيناه جاثياً منصتاً ، وكدنا نسمعه مقهقهاً . فخيل الينا ان الطبيعة ارادت يوماً ان تداعب النحاتين والرسامين . فضحكت ولكن على تلك الصورة . ورأينا بحيرة من الماء لم نر لها مثيلاً من قبل في الصفاء والضياء . وسمعنا هدير النهر المنساب الدافىء كأنه قهقهة الف مارد وسط المغارة .

ومضى كل مغوار الى عمله : هذا يشغل نار مصباحه وذاك ينفخ عوامته الهوائية . اما انا فقد كنت احدق في السقف وما تدلى منه من صور وشلالات متجمدة .

لقد ركب احد الرفاق عوامته ومضى فتبعه بصري حتى اذا غاب عن عيني في امتداد سحيق تهيأ الآخرون للحاق به .

لقد وقفت ساعتئذ حيث وقف منذ مئة سنة ونيف الصيـــاد الاميركي طمسن . اول من اكتشف تلك المغارة . وانتهيت الى المكان الذي وقف عنده المهندس المائي الاميركي مكسويل عام ١٨٧٣ . وتابع الرفاق سيرهم تحت نظري الى قلب المغارة الفسيحة .

ثم سرت معهم مئات الامتار مصعداً مصوباً . ميامناً مياسراً . لقد سرت معهم فشهدت العجب العجاب . شهدت الفسحات الواسعة . والممرات الضيقة . والاعمدة التي بناهـــا رذاذ الماء فاذا هي اقوى على الزمن واصلب من الصلب والحديـــد ومن كل ما يصنـــع الانسان ! وشهدت الحبال التي جدلتها الطبيعة ايضاً فعلمت انها اقوى من حبال الصواري والمنشئات واخلد .

اول مرة في هذا العمر القصير تجلت لي عظمة الطبيعة ومعجزاتها وآياتها وما ابدعتـــه

من شلالات مياه ، وبحيرات وانهار دافقة وسواق ، جبال وكهوف ، ساحات ومضايق ، اواوين وغرف واروقة :

صور وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يبسم
انظر فما زالت تطل من الثرى صور تكاد لحسنها تتكلم

لقد قطع المغاوير فيما بعد خلال رحلتهم الاسبوعية داخل المغارة العجيبة ٣٧٥٠ متراً ، تعرضوا خلالها الى الوان من الخطر والخوف والعذاب ليس يعلم بها الا الله . لو رأيتهم وهم يسيرون كما تسير صغار المعزى على شفير الف هاوية وهاوية . او رأيتهم وقد تدلوا بالحبال الى الاعماق لكشف المجهول . او رأيتهم وقد ارتفعوا عشرات الامتار الى بعض الفسحات ليأخذوا قسطهم الليلي من الراحة او رأيت كما رأوا ورأيت من الابداع والجمال لاشفقت علينا ودعوت لنا . ولحسدتنا وتمنيت ان تكون احدنا .

لم اقض ليلي معهم بل لقد درت على نفسي خارجاً من المغارة التي تساوى فيها الليل والنهار .

المغارة التي تسود فيها ظلمة الارض . لقد غادرتها وانا اردد : الداخل مفقود والخارج مولود .

غادرتها وبنفسي ان اعود اليها ولكن بعد ان تأخذ حكومتنا بأسباب اعدادها فتنيرها وتوسع مدخلها .

غادرتها وانا اكثر ما اكون ايماناً بالله سبحانه الذي اودع سر عظمته كل شيء من هذه الدنيا .

غادرتها وكأنني نفضت عني كفني يوم البعث .

بيروت محمد قره علي

حب المأمون للورد

كان المأمون معجباً بالورد يحبه ويهواه . رفع اليه مرة ان حائكاً يعمل السنة كلها لا يتعطل في عيد ولا جمعة . فاذا ظهر الورد طوى عمله ، وغرد بصوت عال :

طاب الزمان وجاء الورد فاصطحبوا ما دام للورد ازهار وانوار

فاذا انقضى الورد عاد الى عمله .

فقال المأمون : لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغي ان نعينه على هذه المروءة وامر ان يدفع له في كل سنة عشرة آلاف درهم في زمن الورد .

مكافحة الجوع في كل مكان

مترجمة عن الانكليزية

« .. انه يعمل مع مساعديه لمحاولة انقاذ ٥٠٠ مليون نسمة من الموت جوعاً » .

يعاني نصف سكان العالم تقريباً ، البالغ عددهم ثلاثة آلاف مليون نسمة ، من سوء التغذية بصورة خطرة . ومن هؤلاء يتضور جوعاً زهاء ٥٠٠ مليون شخص ، ولا سيما في المناطق المتخلفة في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية بينما يتسبب سوء التغذية في قتل ٢٥مليون شخص آخرين سنوياً وينهك قوى ملايين آخرين .

ولأول مرة في التاريخ يشن هجوم علمي على هذه المشكلة الكبيرة . على نطاق عالمي ، اذ تقوم منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة ببذل جهودها ، لمساعدة الدول التي تعاني نقصاً في التغذية على استغلال مواردها الطبيعية بطريقة افضل .

وقد اوفدت منظمة الاغذية والزراعة خلال الخمسة عشر عاماً الماضية الف بعثة الى حوالي ٨٠ دولة ، وقدمت هذه البعثات مساعدات جوهرية لرفع مستويات المعيشة في اسوأ المناطق متاعب . وقد زادت الجمهورية العربية المتحدة مثلا انتاجها من الارز الى ثلاثة امثاله عن طريق انتاج انواع جيدة من الارز باستخدام ماء النيل في ري آلاف الافدنة بالصحراء وتقوم سيلان باستصلاح ٣١ الف كيلومتر مربع من الاراضي البور وتحويلها الى مزارع ناجحة ، كما زادت كمبوديا التي تفتقر الى البروتين انتاجها من البيض الذي تضعه الدجاجات التي تربى بطريقة سليمة وتغذية افضل بنسبة ٥٠٪ .

ويرجع الفضل الى خبراء الاغذية والزراعة في المنظمة الدولية في انجاز الأعمال العظيمة التي قامت بها الحكومات التي قدموا اليها نصائحهم ومشورتهم ، ومئات الالوف من الناس الذين انتفعوا بها ، وقد جمعت منظمة الاغذية والزراعة ١٤٠٠ من الخبراء من عدة دول ، بينهم مربي الماشية الاميركي ، والاخصائي الهولندي في الحشائش ، والخبير الالماني في مصايد الاسماك ، وزارع الارز الهولندي ، وساحر الفاكهة الايطالي .. هذا الى جانب الكيميائيين واخصائيي التغذية ، والمهندسين ويعمل عادة في الميدان ٦٠٠ منهم على الأقل ، فرادى

او جماعات – ويمكثون هناك شهوراً ، وفي كثير من الاحيان اعواماً .. ويقول الدكتور « بينااي رانجان سن » الهندي المدير العام للمنظمة الذي يبلغ الرابعة والستين من عمره والذي لا يكل من العمل ان لدينا اشخاصاً عمليين بصفة اساسية وهم يستطيعون العمل والشرح بأيديهم .

ولعل الدكتور كروزروطريقة طهوه العجيبة تعد مثلا في هذا الصدد فقد عرضت الحكومة التونسية منذ ثلاث سنوات على منظمة الاغذية والزراعة مشكلة عاجلة تعدنموذجاً للكثير مما يحتويه جدول اعمال المنظمة بلا انقطاع فقد قرر التونسيون الذين كانوا يعتمدون على فرنسا كسوق لسردينهم ان يبيعوا كميات اكبر من هذه الاسماك الصغيرة محلياً .

واوفد اليهم الدكتور سن ، رودلف كروزر الاستاذ بمعهد صناعة الاسماك الشهير في همبورج بالمانيا الغربية ... ووجد كروزر ان الشعب الذي يعيش في الحزام الساحلي الضيق لديه الاسماك الطازجة ، واللحوم ، والفاكهة والخضر – وهي اغذية متوازنة القيمة الغذائية بصفة عامة اما في المناطق الداخلية البعيدة ، فيعيش كثير من الناس على البلح والخبز ، مما يؤدي الى انتشار الانيميا (فقر الدم) وتضخم الغدة الدرقية وكساح الاطفال ،والبلاجرا .

وخطرت للدكتور كروزر فكرة وهي بما ان الاسماك الطازجة لا يمكن حفظها في الحر اثناء نقلها الى الداخل على ظهور الحمير والجمال (وهما الوسيلة الوحيدةللنقل في اغلب نواحي البلاد) .. فقد يكون من المستطاع اعداد وجبة من السمك كاملة النضج من التوابل التي تلائم الذوق العربي وحفظها في علب تنقل الى داخل البلاد ، فتتحسن صحة وقوة سكان المناطق الداخلية البعيدة الى حد كبير .

وامضى الدكتور كروزر بمساعدة ثلاث سيدات من اهل البلاد عدة شهور في تجربة كل ما يمكن عمله على السردين ، كالغلى (السلق) والتمليح ، والتخليل ، والتتبيل بكل انواع التوابل العربية . وكانت هيئة من المحلفين المحليين تتذوق كل طبخة . وكان الحكم في كل الأحوال هو كلمة : « فظيع »

وتصادف ان دخل الدكتور كروزر ذات يوم مطعماً عربياً للأسماك في تونس في منطقة الميناء ، وما كاد يتناول اول قضمة من (الطبق المحلي) بتوابلها حتى لسعت لسانه فهب على قدميه . وقال بعد ذلك : « لقد ادركت عندئذ غلطتي الحمقاء فقد ظننت اني اصنع (طبخة) تلائم الذوق العربي ، ولكني لم افعل .. وعندما اضفنا حفنات من البهارفي (طبختنا) التالية تحمست هيئة المحلفين !.

وتناول العرب في المناطق الداخلية الطبخة في ابتهاج وسرور ... وعاد الدكتور كروزز الى مقر المنظمة في روما ، بعد ان ترك صيغة التركيب وعدداً من الطهاة المدربين في تونس وهو يشعر بأنه قد بدأ عملا جديداً .. ويقول الدكتور كروزز انها مساهمة صغيرة فقط ، ولكن نجاحها يساعدنا على ان نتبين ما يمكننا عمله في جهات اخرى . ويسافر مبعوثو منظمة التغذية والزراعة الى ابعد المناطق السحيقة في العالم . وقد اوفد فيلهلم شولتس خبير صناعة الالبان السويسري الى نيبال بناء على طلب تلقته المنظمة . ليعلم رعاة الهملايا الرحل على حدود التبت ، صناعة الزبد والجبن لسكان المناطق المنخفضة ، وبدأت اراضي المراعي على ارتفاع ٤٥٠٠ متر ، وكان عليه ان ينقل اليها على ظهور الحمالين ادوات فصل اللبن عن القشدة وادوات خض اللبن ، ومكابس الجبن ... واصبح لدى هؤلاء الرعاة الرحل خلال اربع سنوات حرفة اساسية هي صناعة منتجات الالبان وتجد جبنهم الآن سوقاً رائجة في العاصمة « كاتامندو » .

ويقول الدكتور سن : « لقد اضطررنا في كثير من الحالات الى التغلب لا على عناد الطبيعة فحسب ، بل وعلى الجهل والخرافات والتقاليد المتأصلة منذ قرون ، وعادت المخلوقات البشرية التي لا تقل عن العناد » . وعلى الساحل الغربي لافريقيا ، اظهرت « جان ستيكل » ، وهي فتاة كندية ممتلئة نشاطاً ، كيف يمكن التغلب على مشكلة تثيرها العادات القديمة .

فقد اكتشفت غانا اولا ، ثم سيراليون اللتان برزتا الى العالم الحديث في السنوات القليلة الماضية ، انهما تواجهان معدلا مروعاً في عدد الوفيات حتى سن السادسة . واوفدت المنظمة مس ستيكل بناء على استغاثة هاتين الحكومتين ، الى منطقة عملها ، التي قطعت في سبيل الوصول اليها ٦٥٠٠ كيلومتر . وهناك وجدت القتلة المعهودين : وهم القذارة ، وسوء التغذية والجهل !

وكانت المشكلة الكبرى امامها هي الطريقة البدائية في اعداد الطعام . فقد كانت قذارة يدي الطاهي ، واواني الطبخ عند الاسرة ، والملاعق المغلفة بالأقذار التي يحرك بها الطعام الخالي من البروتين ، كفيلة بوجود نسبة هائلة من الامراض من المهد الى اللحد .

ومع ذلك فقد وجدت « مس ستيكل » حلفاء اقوياء في مواقد طينية من ابتكار هنود امريكا ، وزعيم شاب ذكي اسمه « كامانجابواجيبوا » ... وكان الموقد الذي عرفت امره من المهندسين الامريكيين ، من السهل بناؤه من الطين اللزج من اقرب رابية ، وهو لا يحتاج الا لقليل من الوقود ويمكن استخدامه داخل البيوت وخارجها لطهي مجموعة جديدة تماماً

من الاطعمة .. ويستخدم منه آلاف في الوقت الحاضر .

وفي نفس الوقت الذي يتم فيه مثل هذه المشروعات الصغيرة ، تجد فيه مشروعات كبرى القوة الدافعة لها ، فعندما اصبح السودان جمهورية مستقلة في عام ١٩٥٦ ، اوفد الدكتور سن ثلاثة من رجاله هم مهندس الماني ، وخبير هندي في زراعة الارز ، وخبير بريطاني في زراعة الاشجار لمساعدة الحكومة المناضلة .

وقام الامريكي جيمس هـ . اليوت بتدريب عشرات من الرجـــال المتحمسين ليكونوا خبراء في قيـــادة الجرارات وادوات حرث الارض حتى استطـــاعوا في اسبوع واحـــد حفر وبناء خزان كان يستغرق بناؤه شهوراً من قبل .. وقد اصبح لحوالي مليوني شخص يعيشون في مديرية « كردفان » وحدها وهي مديرية جافة حارة مساحتها ٣٥٠ الف كيلومتر مربع على حافة الصحراء ، الماء الكافي على مدار السنة لا لزراعتهم فحسب ، بل وللشرب في وفرة وامان ؛ وغسل الملابس ايضاً . وهي كماليات لم تكن معروفة من قبل ..

وكانت اسعد تجربة حديثة للدكتور سن ، هي نجاح حملة منظمة الاغذية والزراعة «للتحرر من الجوع » التي بدأت منذ عامين . واسهمت فيها مصانع الادوية السويسرية بما قيمته آلاف الدولارات من العقاقير المضادة لأمراض الماشية .. وقد اشتركت في هذه الحملة اكثر من ٤٠ دولة .

ولمنظمة الأغذية والزراعة خمسة برامج اساسية وهي :

١ ــ احصاء الموارد الطبيعية في العالم .

٢ ــ غزو مئات الالوف من الكيلومترات من الاراضي الصالحة للزراعة في العـــالم . بالري والصرف ، وزرع الغابات وبالطرق الحديثة للزرع والتسميد ، والحرث الميكانيكي .

٣ ــ انتاج الاعلاف والماشية التي تناسب الاجواء المختلفة واحوال التربة والسكان .

٤ ــ توسيع مصائد الاسماك في المحيطات والمناطق الداخلية في الدول المتخلفة ، وتوزيع هذا الكنز على المناطق الداخلية السحيقة المفتقرة اليه عن طريق انشاء مصانع جديدة للتعبئة وتصنيع هذه المنتجات .

٥ ــ تعليم الحكومات والشعوب كيفية استغـــلال ما لديهم الى اقصى حـــد ممكن بأفضل وسيلة .

ويقول الدكتور سن : « سوف تمضي ولا شك عشرات السنين قبل الوصول الى اهدافنا ومع ذلك فقد بدأنا ، ونحن نعرف الى اين نسير .. »

شعراء من جبل عامل

طرفه

بقلم السيد علي ابراهيم

الشيخ موسى شرارة

ولد في بنت جبيل سنة ١٢٦٧ وتوفي فيها سنة ١٣٠٤ ان القلة الكريمة صاحبة الرسالة السامية في الحياة ، التي تحمل من مشاعل النبوة قبس ، ومن فيض الآلهة نور ، هي ثمينة نادرة لا يجود الزمان بمثلها ، تترك بعدها آثاراً خالدة لا يمحوها مرور الغداة وكر العشي : ولو جردت الحياة من مصابيحها هذه نصل لونها ، وتغير معناها ، وتبدلت محاسنها .

ولله بهؤلاء الاشخاص قصد ، لا يحمله سواهم ، ولا يضطلع بعبئه غيرهم ، والغريب المعجز بشأنهم ، انهم يتطلعون دائماً للمستقبل البعيد ، فتراهم بعدمغادرتهم هذه الدنيا لداريخ ملك ، وللحياة رصيد ، لا يتعرف الفناء لاشخاصهم واسمائهم ، يطلعون عليك مع طلوع الشمس ، ويطلون مع بزوغ كل فجر .

استأثر حب الاصلاح والتجديد والهدم والبناء برغائب الشيخ موسى شرارة كلها ، فكان من مدرسة الشيخ محمد عبده ، والسيد جمال الدين الافغاني وغيرهم من الاعلام الخالدين ، ولم يقتصر ميله الآسر على تطوير الاوضاع التي عاشها وعاش منها جبله في المجتمع الذي تكتل حوله فتألق فيه ، ولكنه تعدى ذلك لادخال مفاهيم جديدة على الفقه والاصول وفهم الدين فهماً سهلا واضحاً ينفذ للجوهر ويعني باللباب ، ولم يترك الشعر والادب والمحاضرات فاعتنى فيها ونبه الى التفنن في اساليب الشعر والنثر وعقد لذلك المجالس وفتح باب الانتقاد .

تلقى دراسته الدينية والادبية بالنجف الاشرف . ويقول عنه صاحب امل الآمل .

تقدم في العراق على جميع المشتغلين ، وصارت له محبة في قلوب عموم اهل العراق حتى بغداد والحلة وشاع ذكره بالفضل والجامعية .

وليس هذا الرأي لصاحب امل الآمل وحده فهو معروف بين اقرانه ولداته الذين طلبوا العلم معه ، وبعد هذه المرحلة من حياته عاد لجبل عامل فنشر العلم واحيا معالم الدين وانشأ في بنت جبيل مدرسة علمية اشرف على التدريس فيها وقد تتلمذ عليه الاساطين من العلماء وادخل تحسيناً على طريقة التدريس وبنى المسجد الكبير ، وكان دائم التطلع للآفاق البعيدة المدى واسلوبه طبيعي سهل لا عسر فيه ولا حرج بالفهم والتفهيم ، وله مع رجال الدين الجامدين معارك ومناظرات ، وانتصر فيها لثقة الخاصة والعامة بعلمه ودينه وصلاحه، وتروى عنه اقاصيص طريفة شائعة تحدث عن ذكائه الوقاد وفطرته السليمة وطبعه المرح ، اذكر منها قصته مع شيخ حانين ، ويبدو انه عرف عنه التحرش بالعلماء وايذاؤهم امام العامة دون ان يكون من رجال العلم المعروفين بالفضيلة ، وساقه نكد الطالع للتعرض للشيخ موسى في حشد من الناس ، فلم يدخل معه بالموضوع الذي اراد لئلا يجادل فبه بالباطل ، ولكنه التفت اليه ببراءة وسأله فيما اذا كان يقرأ ويكتب ... وبعد ذلك سأله ان يعد له الحروف الهجائية ، وعندما وصل بالعدد لحرف (لا) قال له ما هو سر جمع اللام والالف بعد ذكرهما منفردين ، ولماذا لم تجمع الميم مع الالف او النون مع الالف ؟ فبهت الشيخ وعند ذلك انبّه وحذّره من التعرّض للعلماء والقى عليه درساً بالاخلاق .

ويلفت النظر بشعره الذي ترك، إنه مرآة صافية لنفس حر ابي تتحلى بالشرف والوفاء، فاسمعه يتألم من قطيعة صديق :

كم ذا يقاطعني من لا اقاطعه ... وتشرب اللوم جهلا بي مسامعه
ان مال مني لاوهام ووادعني ... فانني وذمامي لا اوادعه
ليس التلون من خيمي ومن شيمي ... اذا تلون من ساءت صنائعه
ولا اصانع اخواناً صحبتهم ... فما خليلك يوماً من تصانعه
وشمت برق التجافي من اخ ذهبت ... به الظنون بواد ضاق واسعه
سرى يؤم بها غرباً ومسلكها ... شرق فسدّت بداجيه مطالعه
فمل بها للفضاء الرحب واسر بها ... مع الصباح فلا تخفى شوارعه
جرى الهوى منه مجرى النفس فانصبغت ... به على يد هماز وشائعه
شربت رنقاً اجاجاً من موارده ... وماء حبي له راقت مشارعه

واسمعه يشكو :

أفي كل يوم لي خليل مفارق ... ودمع به انسان عيني غارق
وفي كل يوم لوعة ترقص الحشى ... وقلب اذا ما اومض البرق خافق

ابى الدهر الا ان يرنق مشربي ... ولا مورد لى منه صاف ورائق
واخفي جوى بين الاضالع كامناً ... ويبديه شجوي كلما حن عاشق
اراعي السهى والطرف لا يأنف الكرى ... وكيف ينام الليل صب مفارق

وعندما يتملكه الحنين يفيض بمثل هذه الروائع :

ما لنفسي ذابت وطارت شعاعاً ... ولقلبي اثر الظعائن ضاعا
ذهب الصبر والآسى يوم بانوا ... وتنادوا فيه الوداع الوداعا
غادروني مثل الخيال صريعاً ... والفت الآلام والاوجاعا
اخذوا مهجتي ولبي وابقوا ... نفساً خافتاً جوى والتياعا

ويخاطب قلبه بقوله :

الا ايها القلب الذي قاده الحب ... افق ان امر الحب ايسره صعب
اذا كان لا يسليك طول تجنب ... وصد ولا يشفيك من غلة قرب
فما انت الا هالك ومعذب ... رهين بأيدي الشوق ملتهب صب
تكلفني ما لا اطيق من الهوى ... وترحل عني حين حل بي الخطب
ولي عزمة قدارهف الحزم حدها ... تقاصر عن ادراكها الانجم الشهب

ونعرف قيمة هذا الشعر عندما نفكر بالعصر الذي قيل فيه ، فان الباحث عندما يرجع للآثار الباقية من انتاج شعراء ذلك العصر يجد ركاماً من الالفاظ فوق ركـام ، وصوراً واشكالا تملها العين ويمجها الطبع ، نفتش فيها عن عاطفة صادقة وفكرة واضحة وقليلا ما نجد ذلك ، وترى الشاعر الذي تفهمه وتأنس به وتسير معه من اول الطريق تحفـة نادرة تحتضنها بشوق وتخشى عليها من التلف والضياع ؛ وترتاح نفسك وفكرك وقلبك عنـدما تستعرض امثال هذه الصور التي تركها الشيخ الجليل

خليلي هيا وانشدا اين مهجتي ... فقد ظعنت عني وشط مرامها
واني لفي شغل بنفسي عن الورى ... وشغلي بها عمن سواها جمامها
ولم يبق لى في خلة الناس مطمع ... فقد قل من يرعى لديه ذمامها
أأرجو صفاء من قلوب كأنها ... صفا الصم ان تصدع عناك التئامها
وما كل ارض تنبت الزرع يانعاً ... وان انبتت كان النتاج حطامها
وما الناس الا خابط اثر خابط ... بليل على عمياء مرخى زمامها
وكم فيهم من يعجب الناس منظراً ... ويعجب بين السحب مرأى جهامها

بيروت علي ابراهيم

هل تتحول القارات

طرفه

مترجمة عن الفرنسية

بقلم محمد اديب الزين

- ٣ -

(مترجمة عن مجلة الكواكب الفرنسية)

اثبتنا في القسم الثاني من هذا البحث ، في العدد السابق ، مواضيع : انتقال القارات ، البراهين تحت الثلوج ، مجموعة نباتات افريقية تحت تربة القارة الافريقية ، كتلة مؤلفة من ثلاث قطع ، وذكريات الحجارة ، والى القارىء الكريم المواضيع التالية ، وهي خاتمة هذا البحث .

هل كانت اوروبا بجانب خط الاستواء

وهكذا يمكن القول بأن علم المغناطيسية سوف يمكنها ان تكشف الستار عن عمل تحول القارات طبقاً لنظرية ويجينر . وقد أخذت الدراسات بهـذا الخصوص ، خلال السنوات الأخيرة ، طابعاً جدياً وصاخباً على نطاق واسع ، وبخاصة تلك الدراسات الـتي أجراها جماعة من الباحثين ، تحلقوا حول الاستاذ الانكليزي باتريك بلاكيت الذي حاز على جائزة « نوبل » في الطبيعيات سنة ١٩٥٨ .

ثم أعاد بلاكيت حديثاً جمع النتائج التي جرى الحصول عليها في أمكنة معينة من الكرة الأرضية وتمكن أن يرسم أول مصور للتحولات الأرضية الناجمة عن المغناطيسية .

اذا أخذنا بعين الإعتبار مقالع الفحم الأوروبية أمكن أن نجـد ، في عصر التفحم ، منطقة ذات مناخ حار ، مقلعاً للفحم ، حصل الظن بأنه تكوّن في برهة زاخرة بالنباتات

الوفيرة . ظهرت اوروبا على مصور بلاكيت تتحرك وهي مملوءة بمناجم فحم تتكون، وذلك في ٤٠٠ الى ٣٥٠ مليون سنة قبل التاريخ ، في منطقة استوائية .

ولدى دراسة حفائر المرجان يمكن وضع باريس في هذا التاريخ على درجتين من درجات العرض الشمالي وأما الدراسة المغناطيسية فتضعها على خمس درجات من درجات العرض الشمالي .

وهذه قضية أساسية تؤيد نظريات ويجينر . وإذا تخيلنا ، بالنتيجة ، بأن المغناطيسية لا تأخذ بعين الإعتبار التحولات الأرضية طولا فلا يجب أن يمنع ذلك من أن نرى على مصور بلاكيت اثباتاً ساطعاً « لحلم الشاعر الكبير » المذكور آنفاً .

القوة التي تدفع العالم

ان الظنون ، حتى تلك التي يمكن أن يظهرها المستقبل ، لاتكفي. بقي علينا أن نكتشف القوة الهائلة القادرة على جعل القارات تنتقل آلاف الكيلومترات من مراكزها الأصيلة الى مراكز نائية .

وهنا سندرس ايضاً مناطق القسم الجنوبي من الكرة الأرضية ، دراسة تنير الطريق أمام الباحثين.

ان القسم الجليدي من القطبين المتجمدين الذي تصل كثافة الجليد فيه الى ٤٥٠٠ متر من السمك احياناً ، و ٢٠٠٠ متر في الحالات الوسطى ، تبلغ كثافة هذا القسم ثلاثين مليوناً من الكيلومترات المكعبة من الجليد .

تشكل هذه الكتلة الأرضية كثافة قارة . ولا شك ان الجليد يشكل قوة هائلة ويحدث ضغطاً عظيماً على قشرة الأرض . ولكن لدونة الجليد ، بالنسبة للأراضي الصخرية ، تجعل منه ركناً صالحاً لقياس الأعمال المختلفة التي تجري في قشرة الأرض : (التأكل ، التفسخ ، الإنتقال .. الخ .) ان درجة لدونة الجليد ، بوصفها معروفة جيداً ، يعتقد الأخصائي الإنكليزي بالثلوج (كوردون دي روبين) بأنه يتمكن أن يستخدم هذه النتائج في دراسة تكوين وحركات القشرة الأرضية . وقد كان السبّاق في هذا المضمار البحاثة الأميركي جوهانس ويرتمان الذي اعتقد بأن دراسة الثلوج تبرهن على اشتقاق القارات وتحولها .

واستناداً الى أعمال الدراسة في الكتلة الجليدية تبين ان اختلافاً في الحرارة يبلغ ثلاثين درجة بميزان سنتيغراد في غلاف الأرض تحت الأوقيانوسات ، وهذا يكفي ، بالنسبة لعمليات القوى التي تحرك القشرة الجليدية ، لتفسير انتقال القارات .

ان الثلاثين درجة من الحرارة التي تزيد في مكان عن مكان آخر ، هل هي القوة التي يفتش عنها علماءالطبيعة ؟!

مركب يتأرجح

واليك ما هو اكثر دهشاً أيضاً . نظر أحد علماء الطبيعة في الفضاء بغية تخمين ما يجري تحت أرجلنا . يتألف فضاء الأرض من طبقات مرصوفة فوق بعضها بالتتابع . وكل طبقة مؤلفةمن مواد تختلف كثافتها عن مواد الطبقة التي تليها . فطبقةالهواءالمتصلة بالارض ، والتي يبلغ علوها اثني عشر كيلومتراً ، هي طبقة كثيفة نسبياً ، يطوف بها سوائل تنتج قوى مختلفة كان سبب وجودها : دوران الارض ، المغناطيسية الأرضية ، الاحداث الشعاعية،الغازات المختلفة وغير ذلك .. وتلي الطبقة الاولى هذه ، الطبقة المسماة طبقة الايونات (ايونوسفير) وهي طبقة اقل كثافة من الاولى واكثر هدوءاً .

أليست طبقات فضاء الأرض خاضعة لقوى متشابهة ؟ اذاً لماذا لم يتألف باطن الارض من طبقات متشابهة كما هي الحال في الفضاء ؟ وعلى العكس ، ان قشرة الارض تتعرض لقوة التآكل ، تتطور وتتحول بدون انقطاع . وستصبح الجبال بعد بضع ملايين من السنين في جوف طبقات الارض المنزلقة ، فهي اذاً تشبه الى حد قليل مركباً تتأرجح حمولته ذات اليمين وذات الشمال . وهذا التأرجح يحرك المياه التي تحمل المركب .

ان القوى الداخلية ، الا تكفي لتحريك الكتل الارضية التي تعوم فوق الكتلة المسماة (ماكما) ، وهي كتلة ذائبة تفيض بتأثير الاندفاعات البركانية وتولّد ، بعد البرودة ، كتلا صخرية مختلفة التركيب والامتزاج المعدني ، ولكنها متشابهة في التركيب الكيميائي . بينما لا تنقص الكتل الارضية قوى الارتكاز . هناك قوة المستنقعات ، القوة الدافعة ، الضغط الداخلي ، القوة الدافعة نحو الاقطاب والتي يمتد مفعولها نحو محور الارض والتي قد تكون سبباً فعالا في جعل حركة دوران الكوكب بطيئة .

ان الكرة الارضية ليست كتلةميتةوقاحلة.انها عالم مشبع بالغليان . فالضغطوالمغناطيسية وقوة الاشعاع والاعمال الكيميائية والجاذبية ، كل هذه القضايا تجعل من أرضنا كتلة دائمة الحركة ، دائمة التطور .

هناك دراسات حديثة ذات قيمة مهمة وأساسية فيهذا الموضوع . انها تشير الى الناحية التي يبحث عنها العلماء . انها ، ولا شك ، مطابقة لآراء العالم بالجغرافيا الطبيعية الاميركي شارل هابكود ، الذي اقترب ببحثه من نظرية (كتلة الجليد القطبية) ، ولكنبطريقةمخالفة

تماماً لنظرية ويرتمان . انه ، اي هابكود ، يؤكد بأن مركز الحركة في كتلة الجليد القطبية يبتعد مقدار خمسمائة كيلومتر عن القطب الجنوبي . وهذا البعد عن المركز لهكذا كتلة قطبية ذو اثر فعال على الكرة الارضية التي تدور وتشكل قوّة تلقي الاضطراب . وهذا العمل يمكن ، بنفس الوقت ، ان يغير اتجاه محور حركة الارض اذا لم يؤمن خط الاستواء قوة عليا ثابتة .

ويقدر هابكود ، مع ذلك ، بأن هذه القوة ، اي قوة الاندفاع الجليدي ، تهيج حركة القشرة الارضية البطيئة ، التي تنزلق على الطبقات اللزجة من غلاف الكرة الارضية . يتضح لنا ، اذاً ، بأن هابكود يعاكس ويجينر ايضاً . فهو لا يقرر انتقال القارات بالنسبة لبعضها بعضاً ، ولكنه يظن فقط بأن هناك انزلاق جماعي ، يدل عليه ما يرى من آثار في الحفر المتقابلة العظيمة الحجم التي اكتشفت حديثاً في قعر الاوقيانوس .

اذا لحظنا الحالة العملية للمعرفة الفينا هذه النظرية الجديدة قد عرضها صاحبها لينقض بها نظرية انتقال القارات . ولا يمنعنا شيء ان نفكر بأنّ افتراضاً كهذا سوف لا يُعرض على بساط البحث في المستقبل القريب . وان ويجينر نفسه لم يرفض سابقاً فكرة الحركة الجماعية لقشرة الكرة الارضية . وان ملاحظات علماء الطبيعة التي لا تنقطع والتي تتم في ايامنا هذه بسرعة ، بالنسبة للوسائط الفنية الهائلة التي تؤمنها العلوم الطبيعية الحديثة . قد ساعدت مساعدات فعالة في تجاربهم التي تقود الى تفسير اسرار الكون .

خذ مثلا لذلك : جرى حديثاً اكتشاف سلسلة جبال ، في قعر المحيط الاطلسي ، تقطع صخوراً عظيمة تحت المياه ، على عمق الف متر ، وتسير هذه السلسلة الجبلية من الشمال الى الجنوب بدون انقطاع ، وبانتظام مدهش تقطع سواحل اميركا الجنوبية والسواحل الافريقية وان هذا الاكتشاف العظيم لم يجر استغلاله بعد . وعلى علماء الطبيعة ان يقوموا بملاحظات كثيرة في المستقبل ليمكن تفسير هذه الظاهرة الجيؤلوجية المدهشة . وعندما يجري اكتشاف الاسباب ، يمكن عندئذ ولا شك ، الاقتراب من الحقيقة حول اصل القارات .

خذ مثلا آخر : لم يعرف للآن لماذا تبيض حنكليس اوروبا في بحر « ساركاس » ــ وهو قسم من المحيط الاطلسي بجوار بلاد المكسيك ــ قاطعة مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر في الاطلسي بينما مثيلاتها من الحنكليس التي على شواطيء اليابان او اوستراليا تختار أمكنة لبيوضها بقرب امكنة سكنها . فاذا افترضنا بأن اميركا واوروبا كانتا ــ في الأزمنة السالفة من العصور السحيقة في البعد ــ قريبتان من بعضهما بعضاً ، يمكن ان نعتبر بأن المحيط الاطلسي لم يكن

عظيماً كما هو الآن وكان من الممكن أن يقطع بمـــدة قصيرة في تلك العصور ، وتمكنت الحنكليس أن تقطع هذا المحيط بالنظر لتقارب القارات ، اما وقد اصبحت المسافة في عصرنا بين قارتي اميركا واوروبا عظيمة ، تصل الى عدة آلاف من الكيلومترات ، فاستفدنا من هذه الظاهرة إمكانية اشتقاق القارات .

الى هنا لم يحصل لدينا ما يؤكد هذا الاشتقاق ويثبته . ولكنـــا على كل حال اردنا ان نعرض الافتراضات الحديثة التي توصل لها علم الطبيعة . ويجينر دفع نظريته بعيـــداً عن الموضوع . اجرى حساب سرعة انتقال القارات ومقدار سعتها وزمن انتقالها ، باختصـــار كلي . ان نظرية ناضجة لا خلاف فيها من عدة نقاط سوف تظهر جلية ولا تخدع احداً .

ان نظرية انتقال القارات يمكن ان لا تظهر جلية ، فيما بعد ، حسب أفكار ويجينر . فاذا كانت قضية انتقال القارات سيجري إثباتها أخيراً ، حتى ولو كان هذا الإثبات بشكل مخالف جداً لما تخيله مخترع النظرية ويجينر فانـــه يستحق عندئـــذ لقب « شاعر عظيم » او « صاحب خيالات في عالم الطبيعة » ، مثل هؤلاء الذين تجاسروا بأن يفكروا بقضايا لم يفكر بها من قبلهم حتى لم يفكر بها أحد في عصرهم ، وكانت أفكارهم خطوات لمعرفـــة البشر فيما بعد .

محمد اديب الزين

شاعر وطائر

طير على شباكنا مترنم — والنور يدفق من كوى الإصباح
والسمع مفتوح يتابع عاشقاً — ينهل في التعبير والإفصاح
وجناحه ما يستقر مصفقـــاً — فأكاد أحسب في الجناح جناحي
وحكاية قلّت وان هي صورت — بعض الذي يجري على الأرواح
فهناك حيث تلفتت نظراته — إلف يرف على شذى فواح
لا زلت أرقد بالفراش ممتعاً — بغنائه كالمرتوى بالراح
يبدو السكون على جوانب غرفتي — والقلب صاح والتذوق صاحي
والعين تتبع طائراً متنقلا — يختال في شباكنا المفراح
وأود لو الف القصائد سمعه — فتثيب اقداح الهوى أقداحي

الاسكندرية احمد محمود عرفة



ترسخ جذور العلم الحديث الى اواخر القرون الوسطى . ففي اوائلها كانت هنالك حاجة ماسة الى العلوم ، بعد ان طغى اللاهوت على الثقافة العامة ، وسيطرت تعاليم الكنيسة على افكار الانسان وحيويته . ومهما اكتسب الانسان من علوم على الارض فلا قيمة له ان لم يفقه التعاليم الدينية . فمنذ القرن العاشر كان الميل العلمي نحو غوامض الطبيعة بطيئاً ، لكن منذ القرن الثالث عشر ، بدأ البحث والتنقيب والاهتمام بالقضايا العلمية ، فقد ظل الناس عدة قرون يعتمدون على ارسطو في الفلسفة والعلوم ، وعلى غايلن في الطب ، وعلى بتولومي في الفلك ، وعلى بليني الاكبر في العلوم الطبيعية . ثم ادى البحث الى العمل الجدي في هذا الحقل .

لخص لنا ليونارد دي فنشي مختلف مراحل العلوم التي يمكن ان يصل اليها الانسان في مخطوطاته العلمية . وقد يكون من المستغرب ان يعالج هذا الفنان الذي اشتهر بريشته الفنية البديعة ، مسائل متفرقة تتعلق بالانسان والحيوان والنباتات والعالم المادي . ففي عالم ساد الاعتقاد فيه بأن الشمس تدور حول الارض كتب ليونارد « ان الشمس لا تتحرك » وفي جملة اخرى كتب « الارض هي النجم » وعن القمر قال : « ليس للقمر نور بحد ذاته ومع ذلك فهو مضيء بسبب جسم آخر . وعندما تكلم عن نبضات القلب ، يتصور المرء بأنه اكتشف الدورة الدموية قبل مائة عام من هارفي لكن لا يعلم القوانين التي تسودها . وبحث في جميع فروع العلم العسكري ، من القبائل الى تصميم غواصة رفض ان يصفها نظراً لطبيعة الإنسان الشيطانية الذي يرتكب مذابح في قعر البحر بتكسير السفن وفكر بعدئذ في استعمال الغازات في الحرب ، ومن اجل ان يكتشف سر الطيران درس ليونارد العصافير وكل مخلوق يطير ، ووضع تصاميم لآلات طائرة على ضوء ملاحظاته ، ورسماً لمظلة مع العبارة التالية : « اي شخص يملك خيمة بعلو وعرض معين يمكنه الهبوط من اي علو مهما

كان كبيراً دون اي خوف من الإصابة بالضرر ، وورد في بعض أوراقه ان الحركة هي سبب الحياة ، وان كل عمل من الطبيعة تنجزه بنفسها في أسرع وقت ممكن وبطريقةمباشرة سجل ليونارد ملاحظاته وآراءه واستنتاجاته في مسوداته معالجاً سلسلة من المواضيع تشكل دائرة معارض وقد وجدت عنده اكثر من خمسة آلاف ورقة دون على صفحاتها ملاحظاته وما دامت لم تنشر فلم تحدث ذلك التأثير الذى كان متوقعاً لها لو نشرت في كتب تتداولها أيدي المجموع .

لعل الحدث الهام في تاريخ العلم الحديث كانت نظرية كوبرنيك التي نشرت في سنة ١٥٤٣ لقد كانت نظرية بتولومي هي السائدة في القرون الوسطى ، وعاش كلوديوس بتولومي في مصر خلال القرن الثاني بعد الميلاد . ثم أعلن نظريته المشهورة أن الأرض ثابتة في وسط العالم ، وتدور حولها الشمس والنجوم ، وقبلت هذه النظرية دون أي جدل عدة قرون ، اذ انها وافقت الشعور العام من جهة وتلاءمت مع النظرية الدينية التي اعتبرت الإنسان الغاية الرئيسية في هذا العالم . فقد خلق الكون ليخدم حاجات الإنسان ، فمن الطبيعي ان نرى الارض ، ملجأ الانسان ، مركزاً للمخلوقات ، عبر عن وجهة النظر هذه لومباردوس الذي كتب يقول : « كما وجد الإنسان ليخدم الله ، هكذا وجد الكون ليخدم الإنسان . لذلك وضع الإنسان وسط العالم ليكون خادماً ومخدوماً » .

ومع ان الإعتقاد بثبات الارض وسط الكون كان عاماً في القرون الوسطى ، لم يكن كذلك في القديم . فبين القدامى اعتقد عدد من الفلاسفة في حركة الارض . فبشر البياغوريون ان الارض تدور حول محورها ، واعتقد قليل بأنها تدور حول الشمس التي في الوسط لكن هذه الآراء لم تتلق تأييداً بسبب مناقضتها للشعور العام . ثم ان بتولومي دحض هذه النظرية عندما برهن بأنه اذا تحركت الارض فانها تكسب سرعة هائلة تعرض ما عليها للفناء . وظهر علماء آخرون حاولوا دحض ادعاءات بتولومي فلم يوفقوا ، الى ان جاء كوبرنيك ينشر نظريته ويؤمن الذين جاءوا بعده قبولها .

لم يعرف سوى الشيء القليل عن طفولة كوبرنيك غير انه بعد ان تلقى علومه الابتدائية دخل جامعة غراكو ، وفي سنة ١٤٩٦ عبر الالب الى بولونيا ، وفي السنة التالية عين كاهناً في كاتدرائية فرونبرغ في وطنه حيث امن دخلا يكفيه لسد حاجاته . وتتلمذ اثناء وجوده في بولونيا على استاذه دومينيكو دي نافارا الذي انتقد نظرية بتولومي علناً ودون اي خوف وسنحت فرصة وجوده في وظيفته للتفرغ لدراسة مأخذه على النظام البتولومي الذي اكثر ما لفت نظره فيه تعقيده .

اقتنع كوبرنيك بأن قوانين الطبيعة سهلة ومتناسبة فكرس جهده ليكشف تفاسير اخرى عن الخليقة فاعتمد على كتابات الفلاسفة الكلاسيكيين ، واكتشف منها على ان فريقاً من المفكرين القدامى لصقوا صفة الحركة بالارض . ومن هذه الفكرة كون استنتاجاته بأن الشمس هي مركز النظام الشمسي ، والارض هي احدى النجوم التي تدور حول الشمس في مسافات مختلفة . وان كان انطلق من افكار فلاسفة غيره ، بيد ان نظريته الأساسية جاءت نتيجة لتفكيره وجهده الخاص لانه هو نفسه فيلسوف ومتعمق بالرياضيات ، وليس فلكياً محترفاً . وان كانت بعض ملاحظاته غير دقيقة تماماً فهذا يعود الى افتقاره الى الوسائل الرئيسية للبحث العلمي والى نظرته الضعيفة الى الامور .

جسد كوبرنيك نتائج تفكيره وملاحظاته في كتابه عن دوران الأجسام السماوية . وظل وقتاً طويلاً يعمل في مخطوطته ، يراجعها مراراً ويعيد النظر في استنتاجاته اولا وثانياً وثالثاً كل ذلك لأنه خاف ردة الفعل التي يمكن ان تحدثها مثل هذه النظرية في الاوساط آنذاك . فتردد كثيراً في نشرها فكتب يقول : « عندما أتصور كيفية ظهور مثل هذه النظرية ترددت فيما اذا كنت سأنشر كتابي ، او اذا كان من الافضل لي ان اتبع البياغوريين وغيرهم الذين تركوا نظريتهم للتقاليد ولاصدقائهم الى ان اقنعه بالنهاية صديق له بنشر الكتاب الذي ظهر في سنة ١٥٤٣ ووصلت نسخة منه الى كوبرنيك في اليوم الذي لاقى فيه حتفه . ولتجنب النقد العنيف للكتاب لم يتبين عمل كوبرنيك بأنه حقيقة ثورية يجب الاعتقاد بها ونبذ الحقائق الاخرى ، بل صور عمله بأنه استنتاج عالم في هذا المجال كبقية الاستنتاجات المنشورة على الملأ .

بالرغم من عدم إظهار نظرية كوبرنيك بالمظهر العنيف الذي كان يجب ان تظهر فيه فقد لاقت معارضة عنيفة في الوقت الذي ظل الناس يؤمنون بنظرية بتولومي اكثر من الف سنة كانت جميع السلطات الدينية والزمنية تساند انتشارها وترسيخ الاعتقاد بها ، فانتقد نظرية كوبرنيك كالفن ولوثر واتباعهم . ولم تحرك الكنيسة الكاثوليكية ساكناً . في بادىء الأمر الا عندما اتخذها جيوردانو ترينو اساساً لفلسفته . ولم يقتصر رفض نظرية كوبرنيك على رجال الدين فحسب بل ظل الفلكيون والرياضيون والمثقفون حوالي قرن ونصف بعد نشرها ليقبلوا بها ، بفضل علماء امثال برا ، كبلر ، غاليلو ، ونيوتن .

اقتصر عمل الفلكي الدنمركي برا ، على الملاحظة ، فقد شيد مرصداً صغيراً اعطاه اياه الملك فريدريك الثاني ملك الدانمارك حيث قضى اكثر من عشرين سنة يدرس القمر والكواكب والنجوم ويلاحظ حركاتها . وبالنتيجة رفض نظرية كوبرنيك ، واخذ بالنظرية

التي تضع الارض وسط العالم غير ان المعطيات التي اعتمد عليها ، والمعلومات التي جمعها عن موقع الكواكب ، تعكس تماماً نظريته ، وادت الى تقوية النظرية التي لم يأخذ بها ، مما جعل اكثر الذين تمعنوا في حججه الى اعتناق النظرية العكسية اي نظرية كوبرنيك ، وبعد موته استنتج جون كيلر ، مساعد براه الذي لم يقدر ان يلاحظ الكواكب لضعف نظره، استنتج من دراسات براه قوانين حركات الكواكب ، وناقض نظرية ارسطو للحركة الدائرية ، وبرهن على ان كوبرنيك على حق في نظريته ودافع بشدة عنها في مؤلفه عن نظرية كوبرنيك وجاء بعده غاليلو الايطالي الذي اختار والده له تعلم الطب ، فدخل الجامعة على هذا الاساس ولكنه اهمل تعلم الطب لميله للفلسفة ، والرياضيات والميكانيك وعين استاذاً للرياضيات في جامعة بيتزا وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وبعد ثلاث سنوات عين في جامعة بادوا حيث قضى ثمانية عشر عاماً من انتج سني حياته .

لقد وضع هذا العالم كثيراً من المعادلات العلمية واشتهر كثيراً بدراساته الفلكية ففي بدء حياته لم يؤيد آراء كوبرنيك ، لكنه ظل صامداً ثم كتب الى كبلر يناقشه في هذه الآراء ، واجرى عدة تجارب بواسطة التلسكوب حتى توصل الى تأييد كوبرنيك بحرارة . انه عمل كثيراً حتى بنى التلسكوب ، وهو اول عالم استعمل التلسكوب في الاكتشافات الفلكية ومن البديهي ان هذه الآلة ساعدته في كثير من الاكتشافات المهمة ، اذ وجد ان القمر بدلا من ان ينير نفسه فانه يضاء بالانعكاس ، وبرهن على ان الوديان والجبال تحيط بالقمر مما يدحض رأي أرسطو بأن القمر هو كرة كاملة . كما وانه يعود لغاليلو اكتشاف كواكب جوبيتر الاربعة ، ورأى نقاط متحركة في الشمس مما يثبت دوران الارض حول محورها . اذ أدى تأييد غاليلو لنظرية كوبرنيك وعمله المتواصل في سبيل تثبيتها ودحض آراء أخصامه ، ادى كل ذلك الى خصامه مع الكنيسة ، ولتحاشي هذا الخصام سكت مدة ليفجر قنبلته المنتظرة احسن انتاج في حياته الذي اعطاه عنوان : حوار يتعلق بالنظامين الرئيسيين للعالم ، وفيه يظهر تأييد غوليلو لنظرية كوبرنيك بالبراهين العلمية والحجج الدامغه مما جعل له عدة مؤيدين .

كرس غاليلو السنين الأخيره من حياته لدراسة الميكانيك ، فنشر كتابه حوار عن الحركة الذي وضع فيه اساس دراسة الميكانيك ، ويمكن اعتباره ايضاً مقدمة لإنتاج نيوتن في قوانين الحركة . وبعد ان نشره اصبح اعمى وفقد سمعه لكنه ظل يعمل حتى وفاته وبعد وفاته بسنة واحدة ولد نيوتن ، الذي اوصل نظرية كوبرنيك الى القمة ، وكان له الفضل الكبير في تطوير النظريات العلمية ووضع نظريات جديدة نتيجة عمله المتواصل وجهده المشكور في الحقل العلمي .

زيد الزين

وادي السلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

بقلم محسن عبد الصاحب المظفر

– ٢ –

وآخر كتب على صخرته :

قف على قبري قليلا ذاكراً من ربيع العمر يا مر الشباب

* * *

وآخر كتب على صخرته :

يا قارىء كتابي .. ابكي على شبابي
بالامس كنت حياً . واليوم في التراب

* * *

وآخر كتب على صخرته :

بقربك لذنا والقبور كثيرة ولكن من يحمي الجوار قليل

* * *

وآخر كتب على صخرته عند واجهة قبره :

ذهب العمر فأضحى حلماً وشبابي قد غدا رهن التراب

* * *

وبناية كتب على واجهتها :

كل من عليها فان ، ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

* * *

وقبر آخر كتب على واجهته :

بنيتم قـبري على الطريق ارجو الفاتحة من الصديق

* * *

وآخر :

مودتي لأمير النحل تكفيني بعدموتي وتجهيزي وتكفيني

* * *

وآخر :

طينتي عجنت من قبل تكويني بحب علي فكيف النار تكويني

* * *

وآخر كتب عليه وعلى واجهات قبور امثاله كثيرة بعض هذه العبارات :

هو الباقي ، هو الحي الذي لا يموت ، يا الله ، يا محمد ، يا علي .

* * *

وآخر كتب على صخرته هذه الآية :

يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربكراضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي

* * *

وعبارة اخرى كتبت :

قد ارتحل من دار الفناء الى دار البقاء وهذا قبر يبدو انه لفتاة غادرت الدنيـا وهي في ريعان الشباب وعمر الورد ... تدل العبارات على لوعة الأم الرؤوم الشديدة وحزنها المرير على فقدها ابنتها ، فلذة الكبد بل الكبد كله :

دعوني على ابنتي أبكي واندب ففي القلب نار الفراق وتلهب

وما كان ظني ان يفرق بيننا وسرعةهذا الموتما كنتاحسب

* * *

وتجد قبوراً كثيرة كتبت على واجهاتها عبارات حكمية ومواعظ مأثورة وآيات وسور من القرآن وبالاخص سورة الفاتحة والاخلاص ، بينما تجـد ان اغلب القبور كتب عليهـا هذا القول :

كل من عليها فان .. ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام .

وفي جانب آخر من القبور هناك قبر يرقد فيه طبيب شاب كتب على قبره :

هاهنا يرقد في عفرِ الثرى المعي وهب الطب حيـاة

والى جانب لحده لحد لشاب كتب على واجهتههذه العبارة :

برعم رف فيه ماء الشباب قد جف لهف نفسي عليه

وهذا بيت من الشعر دون على واجهته قبور عديدة يذكر النـــاس بيومهم المحتوم وان طال العمر ، فلا مفر من حقيقة واقعة .. حقيقة الموت والبيت هو :

كل ابن انثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

وقرأت ايضاً على واجهات قبور كثيرة :

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ..

وقرأت في مجال آخر وعلى قبر يروي قصة موت صاحبه ، وكيف عالجته المنية وداهمته الاقدار ، وهو ذاهب لقضاء حاجة ، وكسب معاش ، وكان ذلك وقت الظهيرة وهو قد أطل على فجر الشباب ، واذا بالشباب الشارخ بحيوته ، وغضارته ، ويفعه يغدو رهن تراب ويستحيل الى رميم ورفات ... وهو أثناء ذلك يرشد الاحياء من الناس ان يرعووا عن غيهم ويطلب منهم كبح جماح جبروتهم ، وان لا يمشوا في الارض مرحيين وبسلوك لا يرتضيه الله فعبارات وصف الواقعة هذه التي داهمت الشاب تترجى امن البرية والاتعاظ لعـــل في ذلك يثمر نصح ويفيد إرشاد :

وهذا قبر آخر امامي كتب عليه وكأنه هو الذي يتكلم :

فيا من قد ثوى في طي لحد لك البشرى بجنات النعيم
وفاجئتك المنون بلا انتظار ولا داء أمضى من القديم

وعلى قبر آخر دون ما يأتي :

هنا يرقد العبد المطيع لربه بخير واحسان من الله يسعد
وحياه رضوان النعيم مبشراً بجنات عدن والشفيع محمد
دعاه الى زهد الجنان مؤرخاً شهيداً مضى للزهد عبد موحد

وهذا يقول وكأنه يتكلم :

قد انتقلت من دار المحنة والغرور .. الى دار الراحة والسرور .

ويا اخي القارىء تمعن معي الآن ما ينصح به هذا الشيخ المترف الذي ابهجته الدنيا فلم يزرع لآخرته قدر ما زرع لدنياه يوم لا ينفع ندم حيث يقول :

يا قارىء الفـــاظ السطور اترك الدنيا ودع فيها الغرور
انني كنت شيخاً كبيراً مترفاً هاأنا اصبحت من اهل القبور

وآخر يرجو من الاحياء الفاتحة والدعاء له ولباقي الموتي المؤمنين الرحمة والغفران وهو

يروي طلبه هذا على طريقة « الآبوذية العراقية » :

كلمن يود حيدر بنيته على اليسقي من الكوثر بنيته
يخوتي على الدرب كبرى بنيته رجائي الفاتحة من اليمر بيه

وقد رسم على واجهات بعض القبور اواني تدل على كرم الميت وطيب نفسه او تدل احياناً على العمل الذي كان يزاوله في دنياه ، فقد ترسم اواني القهوة لتدل على حسن ضيافته وإبائه وشهامته او قد يرسم منجلا ليدل على انه فلاحاً خدم ارضه المعطاء فجاد وجادت بخير مغدق على مجتمعه فكان خير انسان للانسانية ولهذا فهو قد ودعها وهو مرتاح الضمير راض عن نفسه فعسى الله يرضى عنه ، او توضع على صخرة القبر ادوات الحدادة او البناء لتدل على العمل الذي كان يحترفه الميت في حياته والى آخر ما يشبه ذلك . وكثيراً ما يذكر على واجهات القبور اسباب موت الذين انضووا تحت طياتها ، هذا دهس وهذا قتل وهذا سقط من فوق ، وهذا غار الى تحت في ماء فمات اختناقاً .

عزيزي القارىء ان تسمح لي في ان اعتذر فاني قد اطلت عليك المقام وأجهدتك قليلا وانا لم اكن قد دخلت في صلب الموضوع الذي أريد تبيانه عن مقبرة النجف ولكن ربما اكتسبت عبرة ، وانا لا أريد ان اورث في نفسك شيئاً يقال له التشاؤم وترك المرح ، المرح الذي هو ضرورة لرفاه النفس ونبراس سعادتها ، ولكني وصفت لك خلجات جالت في ذهني وانا ادلف اوسع مقبرة تضم رفات اناس عديدين كانوا احياء مثلنا ، ودونت لك ما دون على واجهات قبورهم . اذن فلنتمهل ما دمنا زائلين ، ولنتعاون ونستفيد من دنيانا ونفيد ونخلد ذكرى حسنة ما دمنا سنكون في هذا الكون نسياً منسياً ، فلنسر على الأرض بخطوات متزنة ما دمنا منها وسنعود اليها ، نعمل ونمرح عليها باتزان ولياقة حسب ما ترتضيه الاخلاق وتبتغيه المثل العليا .

أما الآن فدعني اعود واقول كما بدأت مقبرة النجف بل وادي السلام في هدوئها وصمتها حكمة بالغة .

المقبرة في التاريخ

ان تاريخ هذه المقبرة يبدأ من بعد كشف قبر الإمام علي «ع» ، فحين خرج الرشيد ذات يوم ـ كما تنص على ذلك كتب التاريخ ـ الى ظاهر الكوفة يتصيد ، وهناك حمر وحشية وغزلان فكان كلما القي الصقور والكلاب عليها لجأت الى كثيب رملي هناك فترجع عنها الصقور والكلاب فتعجب الرشيد من ذلك ورجع الى الكوفة وطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ الكوفة ، انه قبر امير المؤمنين علي «ع» فأمر هرون الرشيد فبنيت عليه

قبة وأخذ الناس زيارته ودفن موتاهم جواره (١) ومن هنا يبدأ تاريخ المقبرة هذه التي اتخذت هذا المكان بالذات ويقدر عمرها بـ (١٣٥٠) سنة تقريباً منذ بدء تكون الغواة لها .

وروي ان امير المؤمنين ، في حياته نظر الى ظهر الكوفة ، فقال : ما أحسن منظرك وأطيب قعرك اللهم اجعله قبري (٢) .

وروي ايضاً ان امير المؤمنين «ع» كان اذا اراد خلوة بنفسه اتى الى طرف الغري فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف ... وإذا برجل قد أقبل من البر راكباً على ناقته وقدامه جنازة . فحين رأى علياً «ع» قصده حتى وصل اليه وسلم عليه ، فرد عليه السلام وقال له : من اين ؟ قال : من اليمن . قال : وما هذه الجنازة التي معك ؟ قال : جنازة والدي اتيت لأدفنها في هذه الأرض . فقال له «ع» : لم لا تدفنه في أرضكم ؟ فقال: اوصى الي بذلك وقال انه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال له «ع» : أتعرف ذلك الرجل قال : لا ، قال علي «ع» : أفاد الله ذلك الرجل قم فادفن أباك (٣) .

ويذكر انه بسبب تواتر الأخبار عن فضل هذه البقعة المقدسة وانتشار صيتها في حياة أمير المؤمنين «ع» فعليه يكون قد دفن اناس كثيرون قبل ان يدفن فيها مشرفها «ع» (٤) .

لماذا سميت بوادي السلام

قد يكون اسم المقبرة او عنوان المقال داع لسؤال ومحرض على استفسار لماذا دعيت بهذا الإسم « وادي السلام » ؟ اسلام فيها يسود احياء يدبون بين اكنافها يعملون ويرجون نيل مغفرة ويترحمون لمن سبق ، ام سلام وامان يسود من وري ضمن طبقاتها ؟ الاخبار المتواترة تذكر وتؤكد وهي خير جواب في كون مقبرة النجف هي مجمع وسيع الرقعة لجميع ارواح المؤمنين ، ومزية اخرى مدعاة لاطمئنان وسلام هي رفع حساب عمن دفن فيها ، لا شك بقصد تخفيف عقاب لمن استجار وجاور . وتروي كتب التاريخ . ولتسند ما روت غرض تأكيد والقول تسديد ، ان وادي السلام بمعنى « وادي السلامة » انه آمن من كل آفة من آفات الأرض وحشراتها كل هذه الامور مجتمعة سبيل لأمن يرجوه مودعي الدنيا ينال في وادي السلام والاحياء الذين يزورونها يجدون ما يجدون من سلام وامان فكل من دخلها دخل قلبه الخشوع والرهبة رهبة من مصير محتوم فمنهم من يترحم ومنهم من يستغفر محسن عبد الصاحب المظفر

(١) كتاب الانوار الحسينية والشعائر الاسلامية (مطبعة هور ببمبئي سنة ١٣٤٦) « لشيخ العراقين عبد الرضا آل كاشف الغطاء النجفي » .

(٢) راجع كتاب سفينة البحار ١ ، ٢ .

(٣) ارشاد القلوب ـ للديلمي ص ١٧٣ وراجع سفينة البحار جزء ١ ، ٢ ايضاً .

(٤) راجع ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ من كتاب ماضي النجف وحاضرها للمرحوم العلامة المؤرخ جعفر محبوبة



- ٣ -

الفصل الاخير

في بهو صغير ، وقد علقت على أحد جدرانه صورة السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية ، وفي جانب منه وضع تلفزيون وماكنة للخياطة ، ومشجب للملابس ، ودولاب للكتب والمجلات والصحف ، وكان الوقت ليلا ، وقد جلس ثامر وزوجته وأولادهما ينظرون بشوق عظيم الى شاشة التلفزيون ، وقد تجسدت في ملامح وجوههم الفرحة الكبرى ، حيث كانت تعرض صور عبد الكريم قاسم وزمرته الخائنة بعد تنفيذ حكم الاعدام فيهم .

ثامر : (وهو يتطلع الى السماء التي كانت نجومها تلمع كالدراري) أرأيت كيف كانت نهاية السفاح المجرم عبد الكريم قاسم الذي حرّف مبادىء ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة ، وعاث بأهدافها النبيلة ، ونكث بالعهد . وغدر بإخوانه الضباط الاحرار واعلنها حكومة مستبدة غوغائية ، وأطلق للاذاعة والصحف عنان الاضاليل لتشنها حرباً اعتدائية على الجمهورية العربية المتحدة . وراح يمارس أقسى الوان القمع والبطش ازاء العناصر القومية المخلصة التي كانت تحارب الظلم ، وتثور على الاستبداد من أجل تحقيق عدالة اجتماعية يرتع في ظلها الناس !

فضيلة : (وقد أخذ وجهها تعبيراً قاسياً) ان هذا الحاكم العميل قد أشعلها حرباً شعواء على المكافحين الأفذاذ فزج في المعتقلات آلاف المواطنين الابرياء ، مما لم يسبق له مثيل ،

(١) تمثيلية ذات خمسة فصول وقد كتبت خطأ خمس .

ولم يجرؤ على ارتكاب فعلته الاجرامية احد . وسعى الى التفريط بالمصالح الوطنية ، وترك الشعب يرسف بأغلال العبودية ، وأرسل الموت والدمار الينا . وحجب عنا شمس الحياة ، ونور المعرفة ، وانغمس في الملاهي والترف .

ثامر : (وقد اتخذ سمت التفكير والتذمر) لقد عم ظلمه الصارخ كل القوميات المتآخية في العراق ... حيث عمد الى وضع خطة جهنمية للقضاء على اخواننا الاكراد ، وحشد لها كل الامكانيات الهائلة .. فكانت الغارات الجوية تتوالى على القرى الوادعة فتصليها بالصواريخ ، وتنشر فيها الفناء والرعب والذعر ، وتسقط مئات الضحايا من الرجال والنساء والاطفال ، وتحرق الارياف والمزارع والحقول .

فضيلة : (وكانت عيناها ترسلان نظرات صارمة حادة) ان الآثام والشرور التي اقترفها ضد القوى الوطنية الواعية لا تحصى ، تلك القوى الخيرة التي تريد أن تنطلق من أسر القيود وتسعى لإيجاد حياة كريمة لها وللاجيال القادمة ، وتتحرر من نير الاستعمار ، وتعدو في خط سيرها التطوري الى الامام ، نحو مستقبل لا يحده افق .. ولكن الطاغية الأثيم سد عليها منافذ النور ، وأصابها بجراح مميتة في صميم كرامتها ، وسلط عليها القتلة المجرمين السفاكين للدماء من الشعوبيين الحاقدين الذين تجردوا من انسانيتهم ، وانقلبوا الى وحوش مفترسة مسعورة ، نكلوا بالمواطنين الغيارى شر تنكيل ، وعاثوا في البلاد فساداً ، وزرعوا في العقول الساذجة بذور الكفر والإلحاد ، وأشاعوا في المجتمع الخلاعة والأباحية والمجون ، وشوهوا معالم الاخلاق والوطنية والدين ، وحاولوا تضليل الافكار ، وتزييف الحقائق ، وتسميم الآراء ، والتشكيك بمفاخر امجادنا العربية الاصيلة .. وهذه جراح الملايين من ابناء شعبنا العظيم تنزف دماً ..!

ثامر (وهو يتطلع الى انطلاقة فجر جديد) ان عبد الكريم قاسم مهما سعى الى شق وحدة الصف العربي ، وعزل العراق عن شقيقاته الدول العربية ، باطلاق الشائعات وافتعال المؤامرات ، وتزوير ارادة الجماهير بشتى الوسائل القمعية ، وفي جو مملوء بالدس والوقيعة ، ومهما اعتمد من أساليب وحشية تهدف الى ابادة شعب يكافح من اجل وجوده وفي سبيل كرامة العيش وعزته ، فان الشباب الثوري الواعي لمسؤولية التاريخ من ضباط وجنود جيشنا الشجاع الذي تميز بتماسكه واندماجه بقوى الشعب المناضلة قد عمل على نشوب عدة ثورات وطنية متلاحقة ضد النظام الجائر .. واليوم وفي هذا الصباح الباكر بالذات قد عمد الى صروح الظلم فدكها ، وأطلع الفجر الجديد الذي يضيء معالم الحياة لنا ؛ وللاجيال

المتعاقبة ..!

فضيلة : (وقد أشرقت نفسها فرحاً) ان ثورة الرابع عشر من رمضان المجيدة ، ثورة عقيدة وشهامة وإيمان ، انها حركة جماهيرية شاملة ، وحصيلة كفاح شعب ظـــل ردحاً من الزمن يرزح تحت أقسى القيود ويعاني أبشع ألوان الاضطهاد ، وسيق الآلاف من خـــيرة أبناء جيلنا المثقف الى المعتقلات والمنافي والسجون،هذا الجيل الواعي المتمرد على الاوضاع الشاذة ، والنظم البالية ، والاعمال التعسفية التي يمارسها حكام العهد القاسمي الاسود .. انها تعبير حي عن ارادة الشعب ، قامت لتصحيح الانحراف ، وانقـــاذ البلاد من هوة الفساد السحيقة التي تردت فيها ، انطلقت من الايمان الثوري ، والارادة الواعية ،والتصميم الاكيد فاندفعت جماهير الشعب بعاطفتها القومية الجياشة ، ونبل عقيدتها الاصيلة ، وايمانها بعروبتها وبحق امتها في الحياة الكريمة ، لشد ازر الجيش الذي هو امل الشعب الوحيد في خلاصه من حكم طاغية مجنون ، فزحفت جموع الشباب الى ميادين الصراع المرير تقاتل بعزم وصلابة مؤمنة بالنصر ، مستبشرة بالشهادة في سبيل اعلاء كلمة الله ، ورفع راية القوميةالعربية فوق اعالي الذرى . فسقط العديد من الشهداء مضرجين بدمائهم وهم صامدونعلىارض المعركة فكانوا مثلا رائعاً في سخاء البذل ، وجلال الفداء ، وكانوا النور الذي بدد ظلامالشعوبيين وأضاء للانسان العربي درب الكرامة والعزة والتقدم ، بإيمانهم الصلب ، وثباتهم الصامد ، وروحهم الثوري ..!

ثامر : (وهو يسحب أنفاساً طويلة من الدخان ويتوجع) ان اجراءات عبـــد الكريم قاسم الحمقاء ، لم تقف عند هذا الحد فحسب ، بل تعدته الى اشواط موغلة في الاجرام .. فعمد الى تحريف نصوص القرآن العظيم ، فأصدر قانون الاحوال الشخصية الذيأمربموجبه على ان يكون الزواج بامرأة واحدة ، ومن يخالف ذلك فإنه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة واحدة ، او بالغرامة بما لا يزيد على مائة دينار ، او بهما ... كما انه جعل نصيب المرأة من الميراث كنصيب الرجل .. وبهذا قضى على آخر سلطة دينية ، لأن الدين في نظره يضر بمصلحة الشعب ويرجع به القهقرى .

فضيلة : (وهي مثقلة بالهم والاسى) ان زبانية عبد الكريم قاسممن الشعوبيين الموتورين امتدت ايديهم الاثيمة الى تزوير وقائع تاريخنا العربي الحافل بالبطولات والامجاد الثورية ، فراحوا يكيلون الثناء والمديح جزافاً لرجال روسيا والصين ، ويهملون ذكرمفكري العروبة الإحرار ، ويتناسون نتاج عبقرياتهم الخلاقة في كل الميادين ، وتستولي عليهم رهبة مفاجئة،

وترتعد فرائصهم فزعاً ، وتشتعل في عروقهم نار حقد دفين ضد (جمال عبد الناصر) باعث القومية العربية من مرقدها ، وملهب العزائم في نفوس جيلنا القلق الحائر ووقف وراء كل شعب عربي يكافح لدحر الاستعمار ، وتحطيم الاستبداد ، وسحق العملاء ، والثائر المظفر الذي هتفت بحبه القلوب من المحيط الى الخليج .

ثامر : (وهو كمرجل يغلي بالسخط) هؤلاء الشعوبيون لقد نفخوا في نار الاحقاد ، وزرعوا درب الوطنية بأشواك الفرقة والانقسام ، وساموا الانسان العربي اسوأ المظالم ، لقد سجلوا صفحات دامية في تاريخ العراق الحديث ، فما تورعوا عن قتل الابرياء من رجال ونساء واطفال ، ولا عن تعلق الجثث الممزقة عارية على فروع الاشجار ، وضحايانا في كركوك الباسلة الذين دفنوهم احياء ومثلوا بهم سحلا وتقتيلا وتشويهاً مما تقشعر له الابدان وتشيب لهم نواصي الولدان وهم الشهداء : عثمان خضر ، وعطا خير الله ، وأنور عباس ، ونهاد فؤاد ، وجهاد فؤاد ، وجمعة قنبر ، وحسيب جاج علي ، وعادل عبدالحميد ، وقاسم النفطجي ، واحسان خير الله ، وحاج نجم عبد الله ، ومحمد آوجي ، وصلاح الدين آوجي ، ونور الدين عزيز ، وفاتح يونس ، وشاكر زينل ، وكاظم بكتاش ، وعبد الخالق اسماعيل وزهير عزت جاسم ، وابراهيم رمضان ، وسيد غني محمد ، وعبد الله احمد ، وكمال عبدالصمد وان ما فعلوه بالمرحوم (جاهد فخر الدين) اذ فقأوا عينيه ، وربطوه بسيارتين مختلفتي الاتجاه وهو حي فشقوه شقين ، خلافاً لأبسط القواعد الانسانية ، وفي الموصل قلعة العروبة الصامدة ، أجهزوا على الفتاة العذراء (حفصة العمري) ومزقوا جسدها الطاهر برصاص الغدر والانتقام ، وعلقوا اوصالها على اعمدة النور . وتوجوا اعمالهم الاجرامية بالوقوف في وجه الزحف الثوري الهائل ، وفتحوا نيران رشاشاتهم على ضباطنا وجنودنا البواسل الذين اندفعوا لخوض المعركة تحدوهم فكرة صلبة ، فجاءت محاولتهم تلك دليلا جديداً على خيانتهم لتربة الوطن المقدسة .

فضيلة : (وهي تستشيط غيظاً) ان عدو الشعب عبد الكريم قاسم الذي عمد في سبيل ترسيخ دعائم حكمه الرهيب الذي يحمل في طياته عوامل تفسخه وانهياره الى ابعاد كل العناصر القومية المخلصة وشل نشاطها ، والتنكيل بها ، فذهب آلاف من زهور الشباب الوطنيين ضحايا لغدر الشيوعيين الذين حادوا عن الطريق السوي فضربوا كل من لا يسير وفق خططهم الجهنمية ، وزرعوا الدم والقتل والتشريد في جميع انحاء البلاد ، فأصبح جو العراق مشحوناً بالارهاب والطغيان والظلم ، وتردى الوضع السياسي فيه . وتخلفت مسيرتنا

عن الركب الحضاري المعاصر . ودفعت بنا الى التنكب عن طريق التطور ، وبات وطننا الحبيب مسرحاً للبطالة والفوضى ، وأناخ علينا ليل الاضطهاد بكلكله الثقيل، ومزق رصاص الغدر أجساد أبطالنا الطاهرة ، وعلقت العذارى عاريات على جذوع الأشجار ، ولم تجد نفعاً ، صيحات الأرامل ، ودموع اليتامى ، وبكاء الثكالى ، فانفجر بركان المد الثوري العام ، وشب لهيب الثورة الشعبية ، ثورة الرابع عشر من رمضان المباركة ، الثورة المعبرة عن المحتوى المرحلي للقومية العربية المتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية ، والتي تشجب السير في طريق الإجرام الدموي .. والتي تستمد أهدافها من مصالح وحاجات الملايين ، والتي غدت مصدر سعادة وقوة وانطلاق للعراق ، تلك الثورة التي قضت القضاء المبرم على أعدائنا الشعوبيين الألداء . وعلى الواقع الفاسد الذي نعيشه وتحرر الفلاح من عبودية الأرض وتخلص العامل من استغلال أرباب المصانع ، وبث الرعب والهلع في قلوب الطغاة الذين سعوا الى تمزيق أوصال الشعب العربي ، الثورة التي بددت ظلمة العهد البغيض ، عهد الطواغيت واقتلعت جذور الفساد وأطاحت بدعائمه ، وفرضت التأكيد على تجسيد المثل العليا في مجتمعنا العربي المنشود ، وأظهرت وجه العراق العربي المشرق ، واثبتت اصالته الثورية ، وروحه التحررية ... انها الثورة العارمة التي أشعل فتيلها المجلس الوطني ، فكان قلبها النابض ، وفكرها المنطلق ، ولسانها الناطق ، وكان على تماس بالشعب ، فامتلك رصيد التأييد الشعبي .

ثامر : (وقد اشرقت ابتسامة عريضة على وجهه) واليوم وبعد سنين طويلة حافلة بالجهاد الدامي ، مليئة بالآلام والمآسي المروعة ، وبعد ان اغرق عبد الكريم قاسم ثرى الوطن الطهور بسيل من الدماء الزكية ، وشق وحدة الصف العربي ، واختلق الأزمات الدولية المفتعلة ، وقاسى المفكرون الأحرار صنوف العذاب المرير ، واستقبلوا السجون بصدور رحبة مؤمنة ، يطل وجه العراق العربي الأصيل على العالم ، ويهب شعبه البطل عن بكرة ابيه، يملؤه الإيمان بالنصر، فيدعم ثورة جيشنا الباسل في صبيحة الرابع عشر من رمضان ذلك الجيش المناضل النبيل الذي آلى على نفسه انقاذ البلاد من الحكم الإرهابي الجائر، ليقيم عهداً جديداً من الكرامة والحرية .

انه شعبنا العربي الجبار الذي ما عرف الخضوع يوماً لأي حاكم مستبد ، ولن يرضى بأن تمس عقيدته بشيء . فوقف صفاً واحداً لمساندة الثورة ، والعمل على تحقيق أهدافها الثورية التقدمية ، وصيانة الجمهورية الفتية ، والدفاع عنها بالمهج والأرواح ضد كل طامع اثيم ..

الاخت الخجول

قولي له ، لفكرك السادر ... وحسك المحنط الفاتر
وللخرافات التي عشتها ... وللغرور الكاذب الباطر
وللأكاذيب التي جدتها ... يا لحساب الأبله القاصر
وظاهر البهرج في قشره ... كم يخدع البهرج في الظاهر
ودلك الطافي على طيشه ... وطيشك المسعور والساعر
ورأيك التائه في سوقه ... وقلبك المضارب التاجر
أختاه ، قولي للأماني التي ... خنقتها في مهدها الطاهر
وللشباب الحلو في ريـــه ... كيف ذوى في عينك الحاذر
وصبحك المشرق في نوره ... كيف غفا في ليلك الساجر
خذلت اختاه ولا تنكري ... لا يدفع الخذلان عن ناكر
دفنت من جهلك كون الحياة ... خلف سراب حظك العاثر
يامن تعشقت الهوى الشاعري ... قتلتني انا الهوى الشاعري

* * *

أختاه ما عدنا سوى أخوة ... تربطنا الذكرى بلا آمر
وعلنـــا نخجل من بعضنا ... أتخجلين مثلي الآخر ؟؟

كربلاء ــ العراق مهدي جاسم

فسطع نور العدالة والحرية والحق على ربوع بلادنا العزيزة ، وخرج عراقنـــا الحبيب عن عزلته السياسية ليسهم مع الدول العربية المتحررة في تحقيق أمانيها القوميـــة ، وتفتحت أمامه أبواب المستقبل الزاهر ، وتعاظمت قوى الخير ، وأصبحت نهاية عبد الكريم قاسم عبرة لكل معتبر ، بعد أن مني بالانسحاق التام تحت ضربات أقدام الشعب الثائر ، كل الشعب الذي بات العيون الساهرة للحفاظ على مكتسبات الثورة .

لقد علمتنا احداث التاريخ ان ارادة الشعب المؤمنة بحقها في الحياة هي المنتصرة دائمـــاً وابداً . وليس لأحد مهما عظم ان يقف بوجه ارادة الشعب الجبارة ..!

بغداد خضر عباس الصالحي

صاحب العرفان في القاهرة

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي

– ١ –

كانت أمنية عزيزة ان نرى نزار الزين الأديب الحر ، والكاتب النزيه ، والمفكر الثائر ، والمجاهد الصادق ، والمسلم الغيور على دينه ، والداعية الى الإصلاح ، بيننا في القاهرة .

في عام ١٩٦٠ و ١٩٦١ بشرتنا رسائله بحضوره الى القاهرة ، ولكن الأمنية ، امنيتنا نحن ، لم تتحقق .

وفي أحد أمسيات الثلاثاء من شهر المحرم من هذا العام ، ويوم الثلاثاء موعد انعقاد الندوة الاسبوعية الادبية لرابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، رأيت بطاقة تحمل اسم نزار الزين والفندق الذي نزل به ، وكان قد حضر مبكراً وتركها في منتدانا الأدبي ، وذهب الى الفندق طلباً للراحة .

فكان ذلك إيذاناً بقدومه الى القاهرة ، وبشرى طيبة ساقها الحظ الى اخوانه من الادباء والمفكرين في الجمهورية العربية المتحدة .

واسم نزار الزين – كما عرفناه من بعد – يحمل الصلابة في الرأي والاعتداد بالنفس والاعتزاز برسالة القلم ، والشجاعة في الحق ، ويحمل فوق ذلك شرف الاعتداد برسالة الصحافة ، وعدم الانحراف بها لأية ناحية ، مهما كلفه ذلك من تضحية وارهاق وعنت .

وسعيت الى نزار الزين لأهنئه بسلامة الوصول ، فرأيت جسماً ناحلاً ، وثغراً باسماً ، وتواضعاً في عزة ، وشمماً في عفة ، ومن وراء ذلك كله عقل راجح ، ورأي صائب ، وذهن ثاقب ، وذكاء مطبوع ، ووفاء غير مصنوع .

وجلسنا مع نزار جلسة جميلة الذكريات والقاهرة تتراءى لنا صفحتها البديعة ، ونحن نتأملها من فندق افرست الذي يقع في الدور الخامس عشر من عمارة شاهقة تطل على ميدان رمسيس وعلى محطة القاهرة للمواصلات الحديدية .

وجلس معنا طائفة من الأدباء من بينهم : الأديب الحجازي علي حسن عسال ، والأديب التونسي محمد العيساوي الجمني ، والأديب العراقي قاسم الخطاط ، والشاعر كيلاني سند ، والشاعر كامل أمين ، وسواهم ومعنا كذلك صاحب (الاوتيل) ووكيله اللذان رحبا بصاحب العرفان ترحيباً بالغاً ، وبعد قليل حضر سماحة مفتي جبل لبنان فضيلة الشيخ محمد علي جوزو .

وتردد على الفندق الكثيرون من المفكرين والأدباء وزعماء العروبة : من بينهم القائد العربي عبد الله التل ، والملحق الثقافي لسفارة لبنان الدكتور مصطفى الرافعي ، والشاعر الكبير محمد مصطفى الماحي ، والأديب المصري الكبير وديع فلسطين ، والناقد الكبير الاستاذ مصطفى السحرتي ، والاديبة العربية سلوى الحوماني وسواهم ودعي الزين الى مآدب كثيرة.
ودعت رابطة الادب الحديث الى حفل تكريمي اقامته ، وتحدث فيه لفيف من الادباء والنقاد ، من بينهم : الخطاط وكيلاني سند وكامل امين والجمني والخفاجي وسواهم .



صاحب العرفان يلقي كلمته في حفلة الشاي التي اقامها عبد الله بك التل

ودعاه القائد العربي عبد الله التل الى حفلة شاي في داره بمصر الجديدة ، حضرها من الادباء المصريين : محمد مصطفى الماحي ، وديع فلسطين ، كامل السوافيري ، رضوان ابراهيم ، كامل امين وسواهم ، ومن الادباء العراقيين : قاسم الخطاط ، ولؤي الراوي ،

ومعهم سماحة فضيلة الشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان والدكتور مصطفى الرافعي ولفيف من شباب لبنان في القاهرة ، وغيرهم من شباب العالم العربي كالجني وغيره وتحدث القائد العربي ، والجوزو ، والرافعي ، والخفاجي ، والماحي ووديع فلسطين عن نزار ، ثم تحدث نزار حديثاً طويلا ليته ينشره .

وفي امسية اخرى حضرنا حفلة شاي اخرى بدار الشاعر المصري الكبير محمد مصطفى الماحي حضرها الكثير من الادباء والشعراء من بينهم : وديع فلسطين ، والصحفي المصري الكبير طاهر الطناحي ، والسوافيري ، والاستاذ سيد ابراهيم ، ورضوان ابراهيم ، وكامل امين ، والجني ، وقاسم خطاط ، وحضرها كذلك سماحة الشيخ الجوزو والدكتور الرافعي والقائد العربي الجليل عبد الله التل ، وسواهم ، ودارت فيها الاحاديث الجميلة والذكريات العذبة والفكاهات الممتعة والكثير من اخبار العرب والعروبة خلال ثلث قرن،وذكر الجميع جهاد صاحب العرفان المغفور له الشيخ احمد عارف الزين بالتقدير والاجلال والوفاء .

وخلال اقامة صاحب العرفان في القاهرة زار السحرتي في منزله حيث كان معتكفاً لوعكة خفيفة ، وزار الاهرام ، والازهر ، وخان الخليلي وسواها ، وطاف بمكتبات القاهرة ، وشاهد الكثير من معالمها ، وحضر حفلة تكريم الجنود المصريين العائدين من اليمن .. ونشرت كثير من الصحف اخباراً عن زيارته للقاهرة ، وود لو يجتمع به الكثير من كتابها وادبائها لولا الصيف الذي يغادر القاهرة فيه الكثيرون منهم الى المصايف المصرية .

وزار الزين كذلك ندوة الاديب الحجازي عبد الله عبد الجبار في داره المطلة على النيل بالجيزة .

وبعد قليل غادرنا صاحب العرفان ، حيث عاد الى لبنان تاركاً في نفوسنا اجمل الذكريات لاطيب لقاء في القاهرة .

وليت العلامة الكبير اديب العروبة الاستاذ روكس العزيزي كان معنا في القاهرة ليحتفي معنا بصديقه نزار الزين ، وليته يسجل انطباعاته عن زيارة صاحب العرفان للاردن .

وتحية الاخوة والعروبة الى نزار الصحفي الحر والاديب الثائر ، وصاحب القلم النزيه تحية له في جهاده الصادق من اجل خدمة الفكر العربي الاسلامي ، وتضحياته الكبيرة من اجل الدفاع عن حرية الرأي وشرف الكلمة .

القاهرة محمد عبد المنعم الخفاجي

الوحدة والاتحاد بين العرب

المغرب العربي الكبير ورجالات الجزائر ونكبة فلسطين

وجه مندوب « العرفان » في بيروت الاسئلة التالية الى الاستاذ السيد محمد علي الطاهر منشيء جريدة « الشورى » بمصر ، ونزيل لبنان اليوم ، فأجاب عليها بصراحة نشكره عليها ، وهي :

سألنا الاستاذ محمد علي الطاهر هل ترون ان في الامكان قيام الوحدة او الاتحاد في العالم العربي مرة اخرى ؟

فقال الاستاذ : ان التجربة التي شهدناها في السنين الاخيرة بوحدة مصر وسورية ، واتحاد اليمن بمصر ، لم تكن موفقة مع الاسف وكانت غير مشجعة ، واسباب ذلك كثيرة واهمها بعد الشقة بين هذه الاقطار غير المتصل بعضها ببعض ، ولذلك فإن عدم وجود الاتصال الارضي بينها كان من اسباب اخفاقها ، فالاتصال الارضي إذن لا بد منه ليتم التفاعل بين شعوب الوحدة او الاتحاد ، كما ان اختلاف الثقافات والعادات بين الاقطار التي شهدنا توحيدها واتحادها ، كان اختلافاً شاسعاً ، وهناك استحالة الامتزاج والتوافق والتفاهم بين الحكم الجمهوري الحديث جداً ، والحكم الملكي المطلق العتيق جداً ، وصعوبة الانسجام بين الحكم الدستوري وغير الدستوري . وبين الدول البرلمانية وغير البرلمانية ، فهذه الأسباب التي اجملت ذكرها تعتبر كافية في نظري لفصم الوحدة والاتحاد اللذين كنت اتمنى دوامهما ، او على الأقل ان لا يقع العداء بين المنفصمين عند الانفصال ، بل كان الأحسن لو تم فض الشراكة بينهم بالتفاهم والتراضي بدون وقوع زعل ولا سب ولا شتائم ولذلك فإني استبعد قيام وحدات عربية او اتحادات قبل عشرين او ثلاثين عاماً ..وهناك اسباب كثيرة لوقوع الانفصال لا تتسع بعض الصدور لتحمل شرح اسبابها بصراحة .

ومهما يكن من امر فأصحاب السلطان والحكم عند الجهات الثلاث التي انفصلت عن بعضها بعضاً يعرفون حقيقة اسباب تلك الخيبة ، ولكنهم لا يقولونها ولا يفصحون عنها . وما دام الامر كما ذكرت فأنا غير مستعد لتلقي الغضب من حكامنا ان شرحتها او نشرتها !

فما دام اصحاب الشأن انفسهم يفضلون كتمانها عن شعوبنا العربية المهيضة الحائرة بين حكام لا يتفقون على شيء الا اذا فرضه عليهم الاجانب الاقوياء فالخطب ليس بهين !!

المغرب العربي

وسألنا الاستاذ الطاهر عن رأيه في مستقبل المغرب العربي ؟

فقال : ان استقلال الجزائر الذي كان مباركاً على الدنيا وليس على العرب وحدهم سيكون من العوامل الفعالة في استقرار نسبي يساعد علي توحيد العالم العربي المغربي ، الذي أراه اقرب تحقيقاً ووقوعاً من مشروع جمع العالم العربي المشرقي الذي فجعنا ببواكيره منذ سنة واحدة فقط ..

فالمغرب العربي يجب تحديد موقعه اولا لتعرف كيف يمكن تحقيق توحيده ، فهذا المغرب المتصل ببعضه ارضاً وبحراً وجواً ، يمتد من اطراف السلوم والصحراء المغربية المصرية حتى شواطىء المحيط الاطلنطي ، فيطوي بين جناحيه ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الاقصى ، فهذا الامتياز وحده يكفي لجعل الوحدات او الاتحادات بين اقطار المغرب العربي ممكنة وسهلة التحقيق ، ولا سيما ان سكان هذه الاقطار الاربعة كلهم مغاربة ، وكلهم عرب ، وعوائدهم وطراز حياتهم جميعاً متشابهة ، حتى ان بعض الباحثين استدلوا على وحدة المغرب الطبيعية من كون جميع سكانه في اقطاره الاربعة يكتبون بخط متشابه وبحروف متشابهة ، كما انفردوا بأكلة الكسكسي ، وشرب الشاي الاخضر المغلي مع النعناع ، في كؤوس زجاجية متشابهة في اشكالها وفي احجامها .. كما ان لباس الجميع يكاد يكون واحداً ، وكله مأخوذ في الاصل عن الزي الروماني القديم ، بتحوير بسيط في بعض اقطار المغرب دون بعض ، يضاف الى ذلك وحدة الدين والجنس والمذهب في المغرب العربي ، واكثريتهم على مذهب الامام مالك .

وهناك اسباب اخرى سأشير اليها اشارة فقط حتى لا يتخابث بعض الناس ويقول اني اغمز من قناة بعض الدول المشرقية ، او اجرح احساساتها ، وذلك المالك والجمهوريات المغربية لم تتنازع علناً على شيء بالعنف او الحدة ، بالرغم من كثرة ما ثار بينها من خلافات فقد قامت خلافاتها ــ وكان بعضها حاداً ــ ثم انفضت بدون ان تنطلق قذيفة واحدة من الفاظ السب والشتم من بعضها ضد بعض ...

علاقة الاستاذ بالجزائر

وسألنا الاستاذ الطاهر عما اذا كانت هناك علاقات سابقة بينه وبين مجاهدي الجزا

السياسيين قبل ثورة الجزائر التي أدت الى الاستقلال ؟

فرد الاستاذ قائلا : ان علاقتي بالجزائريين ابتدأت منذ اصدرت جريدتي « الشورى » في مصر سنة ١٩٢٤ قبل ٣٨ عاماً ، وقد كانت الصلة في اول أمرها بالهجوم على المستعمر الفرنسي الكبير المسيو جونار الحاكم العام للجزائر والنائب الفرنسي مورينو صاحب مشروع منع تداول اللغة العربية في الجزائر نهائياً ، وعلى الشيخ الاستعماري الشيخ قدور بن غبريط الشهير واعوانه ، وفي اولهم الشيخ مامي اسماعيل رئيس تحرير جريدة النجـــاح التي كان يصدرها هذا الشخص لحساب فرنسا في مدينة الجزائر ، والشيخ كحول مفتي تلك البلاد الذي قتله اهلها لشدة وقاحته عليهم واستماتته في سبيل فرنسا .

كما وقع الاتصال . والتعاون بيني وبين فضلاء الجهاد الجزائريين السياسيين والدينيين ، وفي اولهم واقدمهم العلامة المجاهد ابراهيم طفيش احداعلام وادي مزاب بصحراءالجزائر الذي كانت فرنسا قد ابعدته الى تونس ثم ابعدته من تونس فهاجر الى مصر ، وهو الآن سفير امامة عمان بالقاهرة ومندوبها في جامعة الدول العربية بمصر ، ثم الاستاذ الشيخ ابو اليقظان صاحب جريدة وادي مزاب ، وبعده بالاساتذة الطيب العقبي والسعيد الزاهري ومصالي الحاج « قبل انشقاقهم » والاستاذ احمد توفيق المدني منذ ابعدته فرنسا من تونس الى الجزائر وهو الآن من وزراء الجمهورية الجزائرية المستقلة ، ثم كان الاتصال الاكبر بالمرحوم الامام عبد الحميد بن باديس منشيء ورئيس جمعية علماء الجزائر وصحفها العديدة ومدارسها القرآنية التي حفظت اللغة العربية وحرست الدين الاسلامي في البلاد الجزائرية ، فكانت ثورة الاستقلال من ثمراتها ، وبعد ذلك تم التعارف الشخصي والتعاون الفعلي في القاهرة بيني وبين المرحوم الاستاذ المجاهد الفضيل الورتلاني منذ نزل مصر قادماً من باريس سنة ١٩٣٧ الى ان توفي بانقره في تركيا سنه ١٩٥٨ بعد ان انقطع رحمه الله ببيروت التي كان يعيش فيها بلا باسبور ولا جنسية ، فدبرت له امر الحصول على الجنسية المغربية بهمة صديقي الزعيم علال الفاسي عندما زرت المغرب في تلك السنة بدعوة من السيد احمد بلافريج رئيس الوزارة المغربية ، وكنت قبلها بعشر سنين قد توفقت في تخليص الورتلاني من ورطة الحجز الاجباري في الباخرة سنة ١٩٤٨ التي (انحبس) فيها نحو شهرين عندما اتهمه ملوك العرب اذ ذاك بالاشتراك في اغتيال الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن ، فانقاذ الورتلاني من تلك الباخرة لها قصة لا بد يوماً من تسطيرها ونشرها لانها كانت مأساة محزنة ذات شجون . . .

واما العلامة الأكبر خليفة بن باديس وحافظ تراثه الشيخ البشير الابراهيمي المجاهد والخطيب المنقطع النظير ، فقد التقيت به في مصر وفي دمشق ، وأخيراً في الصيف الماضي في لبنان ، وكانت علاقتنا الشخصية قد ابتدأت منذ هاجر الابراهيمي من الجزائر في سبيل الله سنة ١٩٥١ الى اوروبا ثم طاف بعد مصر بديار الشام والكويت والحجاز ونجد والعراق والباكستان والبحرين وتونس ، ثم عاد الى مصر ، ومنها أقر الله عينه بالعودة الى وطنه الجزائر المستقلة ، كما أسعده بامامة الالوف من الناس في اول صلاة جمعة اقيمت في المسجد الاعظم بعد انقاذ الجزائر ، وهو يوم تاريخي نحمد الله الذي اكرمنا حين ابقانا احياء لنشهد يوم تحقيقه ، وبذلك تم للعالم العربي استخلاص الشاطىء الشرقي من البحر المتوسط من ايدي المستعمرين ، ابتداء من طنجة امام جبل طارق غرباً ، حتى حدود تركيا عند الاسكندرونة شرقاً ، مروراً بتطوان والجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين ولبنان وسورية ، وبذلك اصبح يحق لنا نحن العرب ان نقول عن البحر المتوسط انه (بحرنا) ! لأننا نملك وحدنا من سواحله اكثر مما تملك جميع الشعوب والامم والدول التي تعيش على شواطئه الاخرى .

ولا تلق بالا ايها العربي الى وجود دويلة اليهود على شواطئنا واندساسها بيننا وقطعها الطريق بين دنيانا العربية في آسيا عن دنيانا بافريقيا ، فهي شوكة لا بد من قلعها وعنصر غريب عنا لا بد من ابعاده عن ارضنا مهما كان من حماية الاستعمار لهؤلاء اليهود الدخلاء الاوغاد ، ومهما اطال الاستعمار في مدة وجودهم على ارضنا ، فلا بد من تصفية حسابهم حتماً بمجرد زوال الشقاق القائم الآن بين الدول العربية اصلحها الله وشفاها من هذا الداء الوبيل الذي ألم بها ...

كيف حال فلسطين ومصيرها

ثم سألنا الاستاذ محمد علي الطاهر عن قضية فلسطين من حيث هي ، ومصيرها وكيف السبيل الى انقاذها ؟

فقال : ان الدول العربية الآن غير جادة في معالجة امور فلسطين ، كما انها في الوقت نفسه تعرف السبيل الى تخليصها مزهو الاطباق على العصابات اليهودية الاجنبية التي تحتل اهم مناطق فلسطين واعز نواحيها وتطلق على نفسها لقب دولة ، ولكن الدول العربية تتجاهل هذا الحل في حين انها تعرفه جيداً جداً .. كما ان الدول العربية تعرف ان كل يوم يمر عليها وعلى اليهود لما يزيد في قوتهم ويضعف من قوة اهل فلسطين وقوة الدول العربية نفسها ..

مثال ذلك تمسك الدول العربية بقرار هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ الذي رفضناه وقبله اليهود ، فحكامنا الذين يقفون في ساحة الامم المتحدة من حين الى آخر ويطالبون بتنفيذ هذا القرار ، لا يطلبونه لكونه يحقق آمالنا ، ولا عن قناعة منها بأن ذلك القرار هو الطريق المثالي لحفظ حقوقنا وحقوقها بل لأن اليهود اليوم يرفضونه بعد ان اصبحوا في مركز امتن بكثير من مركزهم في سنة ١٩٤٧ ولا سيما بعد ان هزموا سنة ١٩٤٨ الدول العربية السبع في الحروب والسياسة ، بل ان ملك الاردن الاسبق عبد الله قد منحهم فوق ذلك بدون حرب ولا قتال مناطق واسعة شاسعة عامرة بسكانها وجبالها وقراها ومواقعها الحربية ومرافقها الحيوية من ارض وينابيع وسكك حديدية وغابات جبلية، وارضاً مزروعة ومشجرة بالزيتون والبرتقال ، بما يساوي مئات الملايين من الجنيهات مع تشريد مئة الف انسان غير الذين شردهم اليهود قبل الهدنة الذليلة المعيبة في يوليو ١٩٤٨ .

كما ان الملك عبد الله قد مكن اليهود من الاستيلاء على جانب كبير من سواحل البحر الميت ايضاً ، وهذا كله فوق الذي نزعه اليهود من ايدي الدول العربية بالقوة قهراً وياللأسف الشديد والحزن المقيم ..

فكيف تطلب الدول العربية الآن من اليهود ان يتنازلوا عن تلك الغنائم الكثيرة وكيف يفرطون بهذا المكسب وبالتفوق الذي نالوه علينا عسكرياً وسياسياً ؟

والملك عبد الله

اما الافجع من كل ذلك فهو ان الملك عبد الله القائد العام لجيوش الدول العربية السبع كان يتصل بالتلفون بالخواجة (شرتوك) رئيس حكومة عصابات اسرائيل ، ويتقابل (بغولدا مايير) التي عينت وزيرة للخارجية اليهودية ، وقد فضح هذه الاحداث الخائنة العقيد عبد الله التل احد قواد جيش الاردن في كتابه القيم الذي دون فيه احداث نكبة فلسطين وتاريخها ، كما انه فضح الملك عبد الله ومذكراته الحبيبة الرقيقة الى شرتوك رئيس حكومة اليهود حين كان يخاطبه بيا (عزيزي شرتوك) وقد نشرها القائد التل اذذاك بصحف القاهرة مصورة بالزنكوغراف ثم اثبتها في كتابه المشار اليه وكل ذلك مما جعل الناس لا يتعجبون من ضياع فلسطين ، بل يتعجبون من عدم ضياعها ما دامت قضيتها قد آلت الى ايدي الخائنين والمفرطين وكل من لا يهمه امرها ولا يبالي بمصيرها ..

انشودة التقسيم

لقد رفضنا نحن اهلي فلسطين واصحابها الشرعيين قرار هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ من

اول وهلة ولا نزال حتى اليوم نرفضه جملة وتفصيلا ، لان هذا التقسيم القديم الذي تقبله الدول العربية وتطالب بتنفيذه انما هو عبارة عن (اخذ حقنا نحن الفلسطينيين) واغداقه على اليهود ، لانه يقضي لهم بأخذ ارضنا وان يقيموا عليها (الدولة اليهودية) التي نعتبر وجودها من حيث هو عدواناً علينا فالخلاف والجدل القائم بين الدول العربية وبين هيئة الامم انما هو على الكمية وليس على الكيفية ، لان معناه ان الدول العربية ترضى بالاقتصار على دولة يهودية صغيرة كما رسمتها الهيئة العالمية سنة ١٩٤٧ واليهود يريدونها كما هي الآن في ايديهم على ان يقوموا بتوسيع « دولة اسرائيل » في المستقبل ، فالدهر طويلة ايامه والزمان يمشي في ركابهم ..

ثم لو فرضنا انه خطر لليهود ان يحرجوا الدول العربية ويكشفوها وذلك بأن يقوموا ذات يوم ويباغتوها بقبول تقسيم فلسطين الذي قررته هيئة الامم سنة ١٩٤٧ والذي تطالب الدول العربية بتطبيقه فان معناه الاعتراف بدولة اليهود ومعنى رجوع اللاجئين الهاربين لوطنهم هو ان يعيشوا تحت سلطان اليهود كرعايا وعبيد لهم ومعنى تعويض من يرفض العودة ان يقبض هذا الفلسطيني التعويض ويتنازل عن حقه في وطنه ..

ان معنى قبول دولنا العربية لهذا الحل الذي تقيد نفسها به من حين الى آخر سيحرجها احراجاً شديداً ، لانه بمثابة اعتراف بدولة يهودية اصغر من التي نراها اليوم امامنا تخزق عيوننا بوجودها بين سمعنا وبصرنا بعد ان غلبتنا على أمرنا ثم لا تترك فرصة تمر بدون ان تهددنا بالهجوم على دولنا العربية وبالاخص على سورية والاردن ولبنان مع بذاءة ما يوجها ساسة اليهود وجرائدهم للعرب كافة من سباب وشتائم وسخرية على صورة لا يتحملها انسان يشعر بألم الاهانة او يغضب للكرامة ، حتى ولو كان إحساسه اسمك من جلد التمساح .. !

والنتيجة انه لا اليهود يقبلون بقرار سنة ١٩٤٧ ولا نحن الفلسطينيين نقبل به . فعلى الدول العربية اذن ان تبحث لنفسها وللفلسطينيين عن مخرج جدي ينقذنا جميعاً من الهاوية التي انحدرنا اليها بفعل ايدي الذين قبضوا على مصير فلسطين بدون ان يفقهوا شيئاً عن ملابساتها ولا عن خطورتها وحسبك ان تتأمل غباوة حكام الدول العربية الذين نادوا بالملك عبد الله بن الحسين سنة ١٩٤٨ قائداً عاماً لجيوش الدول العربية كلها لتعرف خطورة التفريط بل الاستهتار الذي نال فلسطين واهلها الابطال الذين امسوا شهداء على ايدي حكام من الاهل والاخوة وابناء العمومة ، اولئك الحكام الذين ما احسنوا النجدة ولا مكنونا من الإمساك بزمام امورنا عندما كنا في وطننا فقد حلوا تشكيلات جهادنا وتولوا زمامنا برغم

انوفنا بحجة انهم حكومات رسمية ذات جيوش نظامية ، فلما جد الجد اذا بالمنقذين يهربون عنا بجيوشهم الجرارة بغتة ومعهم اسلحتنا القليلة التي كنا نقاتل بها الانكليز واليهود معاً مدة ثلاثين عاماً ..

فلسطين بين شقين

ومهما يكن من امر ، وسواء أكان الذي أصابنا قد صدر من دولنا العربية عن اجتهاد سياسي ام كان دجلا وخداعاً للشعوب العربية وبقصد تهدئة الفلسطينيين فهناك حاقات لا تزال مفقودة من سياق « قصة فلسطين » وهي انه لا دولنا العربية جادة في حل عقدتها ولا هيئة الامم جادة في ايجاد وسيلة لحلها . ولولا ان مندوب لجنة الاغاثة او التضليل المعدة لاسكات اللاجئين الفلسطينيين واشغالهم عن وطنهم بدعوى اغاثتهم واطعامهم يضطر الى تقديم تقريره السنوي لهيئة الامم عن حال ضحاياها الفلسطينيين لما فتح احد سيرة فلسطين في تلك الهيئة الدولية المنحوسة ...

ومن يقرأ اخبار مأساة فلسطين امام هيئة الامم في اواخر سنة ١٩٦٢ يتضح له انها اصبحت منذ سنة ١٩٤٨ ملهاة للساسة العاطلين عن الاعمال الجدية الى الاهتمام بالمناورات الكيدية ،يجد قضية فلسطين قد تجمدت عند تلك الاعانة التافهة ، ثم وقفت المسألة عندطلب وضع حارس على أملاك اللاجئين فرفض ..

وهنا قد يسأل سائل لماذا لم تفكر دولنا العربية في هذه الحراسة منذ اربعة عشر عاماً وقبل ان يندرس العمران العربي بفلسطين ويزول معه العين والاثر وتمحى عنه الاشباح والصور بموت اصحابه الغياب عنه وتتبدد مستنداته التي زالت من دنيا الوجود ؟

والغريب انه كلما اعتدت دويلة اليهود على الدول العربية ركض اولياء امورنا الى الجنرال الاوربي الذي يرأس القوة الدولية بفلسطين يشكون اليه عدوان اليهود كأنه اصبح (الحاكم العام) للدول العربية فلا تبرم شيئاً الا بإذنه وبأمره ؟

في حين ان نقض الهدنة بذلك العدوان الذي يشكون منه يعطيهم الحق بالقيام بهجوم عام على اليهود فوراً من جميع الجبهات العربية والبطش بهم .

المصارحة والخوف

وهناك شيء مفقود بين الدول العربية وبين رعاياها ، وهو انهم لا يستطيعون الافضاء علناً بما يحسون به برغم تردده في خواطرهم وتهامسهم به في خلواتهم ونجواهم ، وكل ذلك بسبب الخوف والفزع من حكوماتهم ومن اتهامهم بالخيانة والزندقة والهرطقة للوطنية ...

وقد تنبهت اسرائيل وشياطينها الى هذه الحالة فاستغلتها حين وقف مندوبها في هيئة الامم المتحدة بأواسط شهر نوفمبر ١٩٦٠ يتحدى الدول العربية بقوله عن هذه النقطة بالذات انه « يرضى بأن يقوم اي مندوب محايد بزيارة اسرائيل ليرى بنفسه ان الاقلية العربية فيها تتمتع بحياة ديمقراطية لا يتمتع بها العرب في اي مكان في البلاد العربية » .

قرأت هذا في بعض صحفنا العربية في حينه وعندي قصاصته واني اسأل حكوماتنا المقصودة : « أصحيح ان المندوب قد قال هذا ؟ وماذا صنع مندوبو الدول العربية في هيئة الامم مع هذا اليهودي الوقح ؟ ولماذا لم يقبلوا ذلك التحدي ولم يبرهنوا للملأ على انه كان كاذباً ، وان يسمحوا ببعثة محايدة تزور البلاد العربية ؟ » .

لقد سألت احد مبعوثي الدول العربية عن صحة هذه القصة فقال نعم انها صحيحة وانه لم يجسر لا هو ولا غيره من متكلمي الدول العربية الفصحاء على تكذيب مندوب اليهود . لان معظم شعوبنا العربية تعيش تحت الأحكام العرفية والرقابة وتحت احكام الطوارىء بلا برلمانات ولا دساتير ، ولا صحافة حرة ، فكيف نقبل تحدي ذلك العدو اللئيم الذي يعرف عن عيوننا اكثر مما نعرف ؟ ومن ذااللذي يستطيع في بلادنا الفلانية او الفلانية او الفلانية ان يفتح فمه بالاعتراض على تصرف واحد من تخبيص حكومته برأي يخالف رأيها او الافضاء بشيء لا يرضي بعض حكامنا ؟ .. ثم اننا الى جانب ذلك نطالع عندما نكون في خارج بلادنا صحف اسرائيل الحافلة بنقد اليهود لحكومتهم اليهودية وحكامهم والحملة عليهم وتوجيههم وردهم الى الصواب ، ولذلك سكتنا على التحدي اليهودي وانوفنا في الرغام ، ولكننا مع ذلك لم نتورع عن المكابرة يومها والاستهزاء بمندوب اليهود واظهاره امام الناس بمظهر المهرج الكذاب لنفلت من سلاطته علينا ، هكذا قال المندوب العربي . واني اميل الى تصديق هذه الرواية ، لاني اتذكر ان حكومة الاردن قد سحبت قبل ذلك مندوبها الاستاذ عيسى البندك من هيئة الامم منذ بضع سنين بسبب استعماله الصراحة الكاملة ضد الدول الاستعمارية، بل ان الحكومة السعودية قد اسكتت في منتصف شهر ديسمبر ١٩٦٢ مندوبها الرئيسي بهيئة الامم المتحدة السيد احمد الشقيري واستدعته الى الرياض (لتأنيبه وتأديبه) لتطاوله على امريكا (ولية النعم) وحارسة اسرائيل وكافلة الاستعمار في هذا القرن الاسود على الحريات العالمية جمعاء ...

انني اقصد بما اسطره هنا ان اصارح حكوماتنا العربية بما يجول في الصدور ، وغمزاً لابائها واثارة لشممها لعل انفها يضطرم بالنخوة العربية وبالغضب مما وصلنا اليه ..

خلاصة الخلاصة

وفي النهاية اقول ان الدول العربية مسؤولة الى حد كبير عن تفاقم الخطر من اسرائيل وتفاقم اسرائيل نفسها ، لان دولنا واولياء امورنا تجاهاوا الحقيقة وكتموها عن شعوبهم ، ومنعوا الشعوب من الشكوى من هذا الخطر واعتبروا من ينبه حكومته وقومه زنديقاً ومارقاً وانهزامياً ..

وفي خلال ذلك ضاع حق الفلسطينيين ، وضاعوا هم أنفسهم مع كرامتهم وانسانيتهم . وقضية فلسطين اليوم باتت اسوأ منها بالامس ، وستكون غداً اسوأ منها اليوم وهلم جرا .. وسيسأل الجيل المقبل الحائر جيلنا الحاضر وخصوصاً العنصر الحاكم عما كان وعما سيكون ، لان الرواية لم تتم فصولا ..

والجيش الفلسطيني اين هو ؟

وسألنا الاستاذ محمد على الطاهر :

لماذا لا يقتدي الفلسطينيون بالجزائريين باقامة حكومة فلسطينية مسلحة على حدود اسرائيل لاعداد الزحف على اليهود الاعداء كما صنع الجزائريون بالهجوم على فرنسا من اراضي تونس والمغرب ؟

فقال الاستاذ الطاهر : ارشدني اولا الى حكومة عربية متحمسة لفلسطين ضد اسرائيل وتسمح للفلسطينيين باتخاذ ارضها مقراً لتدريب الفلسطينيين ومنطلقاً للهجوم المسلح على اليهود ، ثم اسألني بعد ذلك هذا السؤال واكثر منه ... ثم تابع الاستاذ الطاهر كلامه قائلا ان الهيئة العربية الفلسطينية العليا لم تستطع ايجاد بلد عربي يسمح لها بأن تصدر فيه نشرة اخبارية عن شؤون فلسطين بدون ان تتستر وتدون في رأس النشرة انها تصدر عن مكتبها في نيويورك ..

فاذا كان اصدار النشرة الاخبارية يحتاج الى هذا التكتم والتحفظ فكيف يمكن للفلسطينيين التجمع والتدريب العسكري والزحف على اليهود بالسلاح ؟

بل ان بعض الدول العربية لا تسمح للفلسطينيين بالعمل والشغل في بلادها لكسب القوت ، وها هم فيها يتسولون سراً ! لان قوانينها تحظر التسول .. واذن فلولا صدقات الدول المنتسبة الى هيئة الامم المتحدة ـ ومن بينها اسرائيل ويا للخجل ، لماتوا عند بعض اخوانهم بعد اذلالهم جوعاً ..

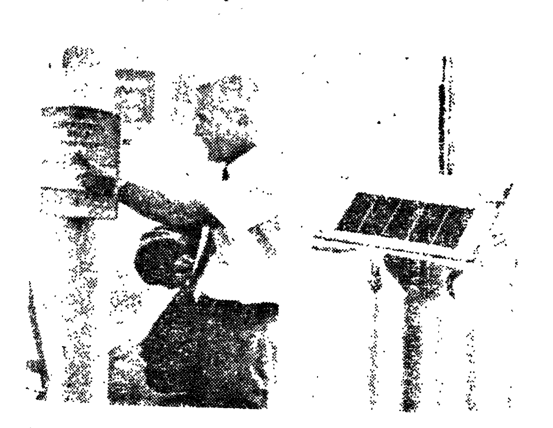
مندوب العرفان

أبواب العرفان

محمد أديب الزين

سير العلم

مترجمة عن مجلة العلم العام الاميركية



١ ـ أشعة الشمس تسعف مدير المحرك : ـ صنعت إحدى الشركات جهازاً شمسياً خاصاً ، يسعف مدير المحرك . يتألف هذا الجهاز من بطارية مركبة على عمود ، تجمع نور الشمس وتؤلف منه قوتها يتصل بالعمود صندوق له زر . ثم يتصل هذا الجهاز بالمحرك . فإذا حدث طارىء ازعج مدير المحرك ، وكان بحاجة إلى النجدة ، يضغط على الزر ، فيعلي الجهاز إشارة لاسلكية إلى غرفة الإسعاف في دائرة الشرطة .

٢ ـ الرصيف العائم : ـ صنعت شركة « إيروجت » في كاليفورنيا (رصيفاً عائماً) يحمل اثقالا قد يبلغ وزنها ثمانية آلاف طن ، ويتنقل على الشاطىء حسب الحاجة ، ذهاباً وذات اليمين وذات الشمال وصعوداً وهبوطاً .

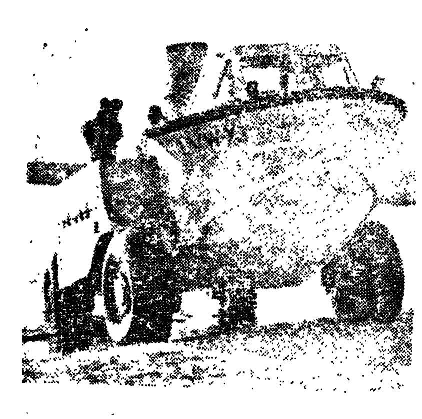
ان هذا الرصيف العائم قد ساعد في أعمال النقل في الميناء مساعدة فعالة أدت إلى تخفيف اعباء كبيرة عن العمال .



٣ ـ منشار كهربائي جديد : ـ صنعت إحدى الشركـــات في كاليفورنيـــا منشاراً كهربائياً جديداً ، صنع له مراس ،وهي أربطة مثبتة على منضدة أو مناضد تساعد على أعمال مختلفة لقطع الأخشاب المختلفـــة الاحجـــام والاشكال . ان المنضدة المساعدة تخفف الضغط عن المنضدة الرئيسية وتجعلها اكثر مرونة واكثر قابلية لاحتمال الاثقال تحت المنشار .

يتصل بهذا الجهاز الحديث مثقب يقوم بثقب ما ينبغي إثبات ثقوب به من قطـــع الاخشاب ، ويعطل عن العمل في حالة لا لزوم له بتاتاً .

ويرى العامل فوائد لا تحصى لهذه الاربطة وذلك عندما يود صنع زخارف خاصة على الاخشاب او في اطرافها ، ويوفر عليه استعمال بعض الآلات المخصصة لهذا الغرض .



٤ ـ مركب برمائي جديد : ـ صنعوا حديثاً في اميركا مركباً برمائياً جديداً يزحف على اليابسة ويمخر عباب البحر .

يحمل هذا المركب البرمائي خمسة اطنان من الاثقال ويسير بها بسرعة خمسة وثلاثين ميلا في الساعة .

د ـ قطار ياباني سريع : ـ صنعوا حديثاً في اليابان قطاراً سريعاً ، يسير بـــين طوكيو واوساكا بواسطة محرك كهربائي سريع . معدل سرعة هذا القطار ١٣٨ ميلا في الساعة ، وقد تصل السرعة احياناً الى ١٥١ ميلا في الساعة .

محمد اديب الزين

الصحة وتدبير المنزل

كيف نعيش بلا ملينات

مترجمة عن الانكليزية

« على الرغم من كل ما تسمعه .. فان امعاءك قادرة تماماً على العناية بنفسها » .

ان اعلانات الراديو والتليفزيون التي لا تنقطع تتحدث عن فضائل « الانتظام » والايحاء بأن الصحة الجديدة المشرقة والقوة الجديدة والبشرة الصافية يمكن تحقيقها بتناول بعض أنواع العقاقير الملينة .. واعلانات الصحف والمجلات تضرب على نفس الوتر ، وكانت النتيجة أن الانفاق على هذه العقاقير يزداد باطراد طوال الخمسة والعشرين عاماً الماضية (وقد انفق الشعب الأمريكي ١٦٢ مليون دولار عليها في العام الماضي) .

واستخدام العقاقير المسهلة دون تمييز حماقة وقد يكون خطراً في بعض الاحيان ، فهي تتدخل في امتصاص الاطعمة من الامعاء الدقيقة بطريقة ملائمة ، وفي اعادة امتصاص الصوديوم والبوتاسيوم البالغي الاهمية في الامعاء الغليظة ، انالزيوت المعدنية تلتقط الفيتامينات القابلة للذوبان في الزيت كفيتامين « أ » و « د » وتكتسحها من الجسم كما ان كل العقاقير الملينة تقلل انتاج فيتامينات « ب » في الامعاء الغليظة .

ان استخدام الملينات يمكن ان يخفي بعض الأمراض التي يكون الامساك من أعراضها كأمراض الامعاء المعدية مثلا ، او قد تكتم اشارات الانذار للامعاء الملتوية ، وفي حالات القرحة والسرطان ، هذا فضلا عن ان اكثر العقاقير الملينة الشائعة الاستعمال ذات اثر مهيج قوي ، واذا استخدمت بانتظام فانها تزيد تنبيه عضلات الامعاء الى حدالترهل المرهق وهكذا تسبب الامساك الذي يفترض انها تكافحه .

وفي اوائل القرن الحالي استولت نظرية التسمم الذاتي على خيال الجمهور ، وهي النظرية

التي تزعم ان فضلات الامعاء اذا بقيت في الجسم فانها تسمم الدم وتؤدي الى الصداع والتعب وغيرهما من الاعراض التعسة .. ولكن الاطباء الاكثر حكمة اشاروا الى انه اذا كان هناك تسمم جهازي فعلي ، فانه لن يتلاشى بمجرد تحريك الامعاء ، كما ان السكير لن يسترد وعيه بسرعة اذا تقيأ .. والواقع ان اية سموم موجودة تتحول الى مركبات غير ضارة يتم التخلص منها عن طريق الكلى والكبد .

ولكن فكرة السموم في الامعاء لا تزال تسيطر بقوة على اذهان الجمهور .. ويعتقد الملايين من الناس ان القولون في حاجة الى غسيل منتظم ويقول الاطباء ان هؤلاء الناس يجب ان يعرفوا انه ليست هناك طريقه عامة لهذا الانتظام ، فليس من الامور غير العادية ان تتحرك أحشاء بعض الناس مرة واحدة فقط في الاسبوع .

ان الفهم الاكثر وضوحاً لمنطقة الأمعاء يستطيع ان يفعل الكثير للقضاء على الأفكار الرائمة التي يدأب بعض صانعي العقاقير الملينة على ترديدها بصفة دائمة .. فعلى الرغم من ان الأمعاء الدقيقة التي يتراوح طولها بين ٢٠ و ٢٥ متراً تبدو أشبه بغلاف مفرد من السجق لا يثير منظره أي اهتمام ، فانها في الحقيقة مصنع كيميائي عجيب يحطم الاطعمة الى اجزاء يسهل استخدامها ، وتقوم الامعاء الدقيقة بمساعدة كمية من الصفراء التي تفرزها الكبد تتراوح بين لتر ونصف لتر بالاضافة الى كمية مماثلة من عصير هضمي من البنكرياس بتحويل النشا الى سكريات يمكن استخدامها والبروتينات الى احماض امينية ، والدهنيات الى احماض دهنية ، ويساعد على التعجيل بهذه العملية كمية تتراوح بين ٥ و ١٠ لترات من افراز يومي تقوم به العشرون مليون غدة الموجودة في الأمعاء الدقيقة وتمتص ملايين من الخمليات الدقيقة في بطانة الأمعاء البروتينات المهضومة والنشويات وتنقلها الى مجرى الدم، وترسل الدهون الى الجهاز الليمفاوي .

وبعد فترة تتراوح بين ٣ و ١٥ ساعة يتكون خليط كثيف من المخاط والخلايا التي تتساقط من جدران الأمعاء بالإضافة الى بقايا أطعمة لم تهضم ، ويصل هذا الخليط الى الأمعاء الغليظة التي يتراوح طولها بين خمس وست أقدام ، او القولون .. وهنا تتطلب عملية اعادة الامتصاص فترة تتراوح بين ٣ و ٤ ساعات او اكثر احياناً . في حين ان الأمعاء الدقيقة تكاد تكون معقمة تماماً . فان الأمعاء الغليظة تزدحم بالجراثيم واكثرها جراثيم صديقة وليست عدواً وهي تصنع الفيتامينات القيمة (ب) و (ك) ، وربما فيتامينات اخرى .

والوظيفة الأساسية للأمعاء الغليظة هي استخراج الماء والأملاح من المادة التي تتلقاها

من الأمعاء الدقيقة ، ولولا ذلك لاختل توازن السوائل والمعادن البالغة الأهمية في الجسم ، واكثر المواليد الذين يموتون حقيقة نتيجة لفقد السوائل في الجسم ، إذ يمر الطعام خلال الأمعاء الغليظة بسرعة بالغة الى حد انها لا تجد الوقت الكافي لاستخراج الماء منه ، وعندما تدفع العقاقير الملينة الطعام خلال الأمعاء الغليظة بسرعة شديدة ، فانها تفقد البوتاسيوم الثمين فاذا كانت الخسارة معتدلة ، فان الإنسان لا يشعر بأكثر من ضعف في العضلات، أما إذا كانت كبيرة ، فإن عضلات القلب والتنفس قد يصيبها الضرر .

وهناك أشياء كثيرة يمكن أن تحدث اضطراباً في سلسلة النشاط الهضمي العادية ، فالتوتر العصبي والغضب في طليعة الجناة في هذا المجال ، وبمساعدة منظار « التعريج السيني » ـ وهو أداة انبوبية يمكن بوساطتها النظر مباشرة داخل القولون ـ لاحظ علماء الأبحاث اثر التوتر على المتطوعين وعندما يشعر الإنسان بغضب او قلق فان الانبوبة الوردية اللون في العادة تصبح حمراء قانية وتصيبها تقلصات وهذا يؤدي الى بطء او إيقاف النشاط العادي للأحشاء ويتيح للامعاء السفلى امتصاص الكثير من السائل من الفضلات التي تمر خلالها ، وقد يؤدي ذلك إلى الإمساك .

ويميل الأطباء اليوم الى الاعتقاد بأن القلق هو السبب الرئيسي للإمساك ، كما يعتقدون أيضاً ان القلق المتزايد بشأن القضاء عليه يمكن أن يكون الجاني الأساسي . وقد تحدث أحد الأخصائيين عن الاضطرابات الهضمية فقال : « ليس القولون هو الشيء الذي يحتاج الى علاج .. بل الإنسان الذي يحيط به ! » .

ويغيظ الإنسان عادة أن يفقد حركة امعائه يوماً او بعض يوم فيتناول مادة ملينة ليفرغ كل محتويات الامعاء ، ولا يدرك اكثر الإنسان أنه قد تمر ثلاثة أيام قبل ان تمتلىء منطقة الأمعاء مرة أخرى وتستأنف وظيفتها العادية فإذا لاحظ الإنسان انعدام النشاط في تلك الفترة ، ابتلع مليناً آخر .. وهكذا تبدأ الخطوات الاولى نحو ادمان العقاقير الملينة .

وتندرج المواد الملينة والمسهلة تحت ثلاث طبقات بصفة عامة هي : الزيوت المعدنية التي تعمل باعتبارها أدوات تشحيم ، والمسهلات الملحية ، كأملاح ابسوم وسترات المانيزيا والمياه المعدنية الخ .. وهي تجذب الماء من الأنسجة إلى الأمعاء والعقاقير المنبهة كالكسكرة ، والسنامكي ، و « الفينولو فتالين » الذي يستخدم في الأدوية الجاهزة على نطاق واسع ويلهب جدران الأمعاء ويزيد قدرتها على الحركة . وكل هذه المواد تشترك في نفس العيوب

بصفة أساسية وإن تفاوتت في درجاتها . ومع الاستخدام المستمر لها ، تقل وظيفة الأمعاء الطبيعيـــة .

ولا شك أن هناك مواقف يكون استخدام الملينات فيها سليماً ، كافراغ الامعاء استعداداً لاجراء عملية جراحية او استخدام اشعة اكس ، وبالنسبة لمرضى المستشفيات الذين يتكاسل الهضم عندهم بسبب نقص التمرينات الرياضيه ، والشيوخ الذين أصبحت قنواتهم الهضمية في حالة لا تستطيع معها أن تؤدي وظيفتها الطبيعية .

ولكن إساءة استخدام هذه المواد بلغت نسبة تنذر بالخطر .. وقد كشفت دراسة أجرتها أخيراً رابطة المستهلكين ببريطانيا ان ربع الامهات اللواتي سئلن ، كن يعطين أطفالهن مواد ملينة بصفة منتظمة ، سواء أكانوا في حاجة اليها أم لا .. والسبب في ذلك هو الرغبة في تفادي الإمساك !..

وكثير من البالغين يشتركون في نفس تلك الأفكـــار الحمقاء معتقدين أنهم في حاجة إلى تنظيف أمعائهم في فترات منتظمة ، ولا شك ان كل ما يحدث هو اختلال عملية الهضم الحيويـــة ...

ترى كيف يتسنى القضاء على عادة تناول هذه العقاقير الملينة الغادرة .

ان الأطباء ينصحون عادة بتناول السوائل بوفرة — ربما ستة أقداح من الماء يومياً — مع غذاء يحوي كميات وفيرة من الفاكهة المطهوة والخضر ذات الأوراق الخشنـــة ، مـــع الاستجابة فوراً لنداء الطبيعة كلما جاء .. فالتأجيل المتكرر يمكن أن يؤدي فعلا إلى الإمساك .

ويؤكد الاطباء مبدأ يرشدنا جميعاً وهو : دع الامعاء وشأنها .. فهي قادرة تماماً على العناية بنفسها ، فاذا حدثت أية متاعب فعلا ، فاذهب الى الطبيب فهو أقدر من سواه على وصف العلاج لك .

من رأى ظبياً يصيد

يذكرون أن المأمون خرج ذات يوم لصيد الظباء فاصطادته غادة حسناء فقال :

خرجنا الى صيد الظباء فصادني ... هناك غزال أدمج العين أحور
وصاد فؤادي اذ رماني بسهمه ... وسهم غزال الإنس طرف ومحجر
فيا من رأى ظبياً يصيد ومن رأى ... أخا قنص يصطاد قهراً ويقسر ؟

آراء القراء ومشاكلهم

ارسل لنا الصديق السيد يونس صفي الدين كتاباً يصف فيه باختصار ما رآه في الحجاز اثناء قيامه بفريضة الحج سنة ١٣٨٢ ، وهو ينتقد ما وجده في مكة المكرمة والمدينة المنورة من فقدان للنظافة التامة وان البعوض والبرغش لم يزل يسرح ويمرح في هاتين المدينتين بينما كان يأمل بوجود البترول في السعودية والإمكانيات المادية ان تكون المدينتين المقدستين قد اصبحتا من اجمل واعظم مدن العالم ؟! كما انه يقترح تنظيم الطواف نظراً لكثرة الازدحام .

وفي كتاب ثان يرجو من فخامة الرئيس الذي عرف بحبه للحق والعدل ويهمه تأمين العدالة الاجتماعية في لبنان ان يهتم في إعطاء الشيعة حقوقهم المهضومة . فنحن نحيل كلمته الى مرجعها ولم يزل لنا الامل الكبير بفخامة الرئيس ان يكون للمهضومين والمحرومين قبل غيرهم . كما انه يقول انه يسمع بالإذاعة اللبنانية دائماً عن البلدان ذات الآثار القديمة وآثارها وما وجد بها ولا يؤتى على ذكر صور ، لماذا ؟!

وارسل لنا السيد محمد حسين شعبان تلميذ الكلية الجعفرية ونجل الصديق السيد حسين فياض شعبان المهاجر في كابالا سيراليون قصيدة يرثي بها رفيقه السيد حسن محمد مروة نقتطف منها الابيات التالية :

حسن وذكراه تظل بخاطري ... لا الدهر يمحوها ولا النسيان
كنا صديقي إلفة ومحبة ... ابداً يكلل روحنا عرفان
قد كنت يا حسن مثال شجاعة ... عربية يزهو بها الخلان
حسن عرفت الاكثرين صداقة ... وخبرتهم والكل بعدك خانوا
وبقيت وحدك للوفا احدوثة ... لا الكون ينساها ولا الإنسان

التقريظ والانتقاد

المملكة العربية السعودية كما عرفتها

بقلم : الحاج امين المميز

بـ ٦٣٨ صفحة من الحجم الكبير ومطبوعة بالمونوتايب
ويطلب من دار الكتاب اللبناني — بيروت

هذه مذكرات دبلوماسية دونها الحاج امين المميز مؤلف كتاب « الانكليز كما عرفتهم» وكتاب « امريكا كما رأيتها » والوزير المفوض السابق للعراق في المملكة العربية السعودية ، والحائز على الجائزة الاولى للمجمع العلمي العراقي لعام ١٩٥٢ .

ان من يُلقي نظرة على هذا الكتاب يرى أنه ، كما ذكر المؤلف في المقدمة ، لا ينم عن أية اتجاهات فكرية او عقائدية او سياسية خاصة ، فهو لا يتعدى كونه يوميات شخصية تصطبغ على العموم بالصبغة الموضوعية » . غير ان هذه المذكرات لا تقتصر على قضايا خاصة او حياة شخصية عاشها رجل دبلوماسي ، بل تتعداها الى الوقائع التاريخية والسياسية والاجتماعية التي عاصرها في تلك الحقبة صادرة عن لهجة صادقة لا مواربة فيها ولا تدليس ، وجرأة نادرة لا تزلف فيها ولا تملق ، لقد هدف الى قول الحقيقة ، والحقيقة عندما يكون هدفها الاخلاص ، وتؤيد بالوقائع والاثباتات انما تصبح جزءاً من التاريخ .

اذا جلنا مع المؤلف في كتابه ، نراه يبدأ بوصف رد الفعل الذي احدثه في نفسه تعيينه في السعودية ، واتصاله برجال السياسة العراقيين ، ومصادفة زيارة الملك سعود للقاهرة في سنة ١٩٥٠ ، والبحث في العراق في الحلف التركي الباكستاني ، كل هذه الامور من صلب السياسة الدائرة آنذاك في الشرق العربي وتشكل موضوع الساعة . ثم ينتقل الى وصف مروره

في لبنان الى حين وصوله الى السعودية ومقابلة الملك السعودي ، ومن هنا تبدأ الحلقات المفقودة من الوضع السعودي بالظهور في كتابات المؤلف الذي لم يترك شاردة ولا واردة مما شاهده وسمعه ولمسه الا وكتب عنه بصراحة ما بعدها صراحة ، من العلاقات السعودية العراقية المتدهورة آنذاك الى التزاحم الامريكي والبريطاني في السعودية ، مروراً بسانتجون فيلبي وسلسلة من الشخصيات التي لعبت دورها الهام في السياسة السعودية ، الى بعض اسرار العائلة المالكة الشخصية والاشخاص الذين يدورون في فلكهم الى كثير من الشؤون والشجون التي لا مجال لذكرها في هذه العجالة بل نترك للقارىء النبيه التمعن في معانيها ومغزاها ، والحكم على كثير من القضايا التي نشأت بذورها في تلك الحقبة ولا تزال تتصارع على مسرح الاحداث اليوم ،

هذه نظرة عجلى على هذا المؤلف النفيس على ان نعود فيما بعد الى دراسة وافية عنه .

« ميم »



معركة البلديات

كانت هذه السنة معركة البلديات حامية في كثير من المناطق اللبنانية لانها اعتبرت مقدمة للانتخابات النيابية التي تجري في العام الآتي اما في صيدا فقد فازت قائمة الاستاذ معروف سعد نائب صيدا وانتخب هو للرئاسة والدكتور رفيق حنينة لنيابة الرئاسة والاستاذ عبد المنعم شعيب مساعداً له .

وفي النبطية فازت قائمة السيد احمد هادي الصباغ رئيس البلديـــة السابق وقد اعيـــد انتخابه للرئاسة .

وفي كيفون فازت القائمة الموحدة واعيد انتخاب السيد عبد الهادي سعد رئيس البلدية السابق للرئاسة والسيد فؤاد الحكيم لامانة السر .

وقد تأجلت الإنتخابات في صور لـ ١٥ ايلول ولغاية كتابة هذه الكلمات لم تحدث بعد.

ويطول بنا الشرح اذا اردنا ان ننشر عن باقي البلديات فنتمنى على الناجحين ان يعملوا على رفع مستوى بلادهم والنهوض بها فان العصر في هذه الايام لا يرحم من لا يعمل ، بل يرفضه وينفضه .

حفلة كيفون الخيرية بمناسبة المولد

احيت جمعية كيفون الخيرية حفلة بمناسبة المولد النبوي الشريف تكلم فيها كل من السادة رئيس الجمعية السيد فوزي سعد ، الشيخ محمد جواد مغنية ، الاستاذ خليل خير الله ، الشيخ محمد حسين شمس الدين، الاستاذ ابراهيم بري « قصيدة » وكان عريف الحفلة السيد فؤاد الحكيم امين سر الجمعية اما كلمة الاديب الكبير الاستاذ خليل خير الله رئيس بلدية بحمدون فكانت ككل خطبه بليغة رائعة ، لقد آمن بنبيه وبمحمد وبالحقيقة فأجاد وابدع ، وقد عقب على كلمته فضيلة العلامة مغنية بكلمة ثناء .

وبهذه المناسبة ننشر الكتاب الآتي الذي وردنا من رئيس جمعية كيفون الخيرية :

حضرة رئيس تحرير مجلة العرفان الزاهرة المحترم

تحية واحتراماً ... وبعد نرجو حضرتكم نشر النبأ التالي :

وردنا من رئيس جمعية كيفون الخيرية السيد فوزي سعد ما يلي :

لقد قام السيد حسن عسيران بجولة اثناء وجوده في مدينة دكار ـ افريقيا لجمع التبرعات لمسجد كيفون ، وننشر فيما يلي قائمة بأسماء المتبرعين .

١٠٠٠٠ فرنك افريقي كل من السيدين حسن عسيران ، علي الرز ، ٨٠٠٠ فاعل خير ، ٥٠٠٠ كل من نايف درويش ، ادمون ابو جودة ، ٢٠٠٠ معروف خشاب ، فؤاد فلفلة ، جورج حاج ، ١٠٠٠ حسن خشاب ، اميدا مارديني ، جميل قصير ، علي محمد حب الله ، عبد الله غندور ، احمد الساروط ، محمد فخري ، محمود فخري ، هاشم يزبك ، ميشال بلبل ، عادل حسن ، الحاج آجي لوة ، موسى سليمان ، خليل عميس ، سلمان عميس ، عبد الحسين قديح ، رشيد شرف الدين ، يوسف قصير ، علي سعيد فخري ، عز الدين اخوان ، عابر سبيل ، حكمت قصير ، سلمان خضرا ، كامل عاصي ، عادل فخري ، ابراهيم روفايل ، حسن درويش ، قاسم عز الدين ، محمو حاراتي ، فاعل خير ، محسن سليمان ، عبد الله مروة ، مخول حجار ، ابراهيم فردون ، ٥٠٠ غازي شمس ، المستعين بالله ، متبرع .

رئيس الجمعية : فوزي سعد

عودة السيد الصدر من رحلته

قام سماحة العلامة السيد موسى الصدر بجولة علمية استطلاعية في اوربا والمغرب العربي وبعد عودته اقيم له على المطار استقبال شعبي حافل . فنرحب بسماحته ونتمنى له التوفيق في جميع اعماله .

مأثرة الحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان الجديدة

تبرع المحسن الشهير والسري المفضال الحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان ببناء مسجد في محلة « سيروب » في صيدا قرب الميه وميه ، كما تبرع بخمسة آلاف ليرة لمسجد يحمر البقاع وقد أضاف بذلك الى مآثره الكثيرة واعماله الغر ما يستحق عليه كل شكر وثناء .

الاعياد السياحية

كان لبنان في هذا الصيف مسرحاً لاعياد سياحية كثيرة في جميع انحائه ، وقد زادته جمالا على جمال .

فوز لبنانيين بالسنغال

جاءنا من السنغال النبأ التالي :

فاز كل من فيصل حسين نصر الله وإم السعود حسين نصر الله وعدنان حبيب نصر الله بشهادة السرتفيكا السنغالية ويمنح للدراسة الثانوية والعليا على نفقة حكومة جمهورية السنغال الفتية ، كذلك فاز بشهادة السرتفيكا كل من شريف الرضي نصر الله وزينات فضل الله نصر الله .

والجدير بالذكر ان فيصل حسين نصر الله كان ترتيبه الاول في شهادة السرتفيكا لإقليم ديوربل ويبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة .

مع الشباب حول العالم

سويدي في الثامنة عشرة من عمره يقوم باختراع ينال جائزة امريكية .

نظمت مدينة البيكيورك في الولايات المتحدة مسابقة للقائمين ببحوث علمية من الشباب وقد فاز بإحدى جوائز هذه المسابقة فتى سويدي في الثامنة عشرة من عمره ، من بلدة ستوكهولم يدعى أنديربرام ، حصل في نفس الوقت على درجة الشرف من اللجنة الامريكية للطاقة الذرية . ولقد تقدم العلماء الشبان الى هذه المسابقة بـ ٤١١ اختراعاً وفد معظمها من الولايات المتحدة وكندا والمكسيك . اما انديربرام الذي جاء ترتيبه الرابع في هذه المسابقة فقد اخترع آلة حاسبة تستطيع حل المعادلات التفاضلية من الدرجة الثانية .

وقد سبق ان حصل انديربرام ايضاً على الجائزة الاولى في المسابقة التي عقدت للمخترعين من شباب السويد وذلك نظير اختراعه لهذه الآلة الحاسبة التي لا تربو تكاليف صنعها على ٥٠٠ كورن سويدي اي مائة دولار امريكي . (آراء اليونسكو)

النصر والارادة القوية حليفان لا يفترقان

نظمت في الفيلبين مسابقة في تصميم الاعلانات تحت رعاية جامعة ايلويلو المركزية ، ومما أثار دهشة الجميع ان الذي فاز بالجائزتين الاولى والثانية شاب مبتور اليدين يدعى روميو جولز ويبلغ الثانية والعشرين من عمره .

ومنذ ست سنوات مضت لم يكن هذا الفنان الموهوب يهتم بالرسم بتاتاً ، بل كانت العلوم تستحوذ على كل انتباهه واهتمامه ، وذات يوم كان روميو جولز يعد مخلوطاً من بعض المواد التي يستخدمها في صنع صاروخ من انتاجه واذ بالمواد تنفجر فتفتك بيديه وساعديه

وعقب هذا الحادث بدأ الفتى يقوم ببعض الرسومات اثناء فترة النقاهة التي قضاها في مستشفى مانيلا ، وقد لفتت رسوماته الاولى نظر فنان من الفيلبين يدعى فرناندو وامروزولو فقرر ان يلقنه دروساً في الرسم والتصوير ، ثم استأنف جولز دراساته في الكيمياء بعد شفائه .

لقد كانت دهشة الحكم لا تقدر عندما علموا بالظروف التي اتم فيها هذا الشاب النبيغ رسم الإعلانات الفائزة والتي يصور أحدها صراع الامم المتحدة من أجل السلام .

(آراء اليونسكو)

الاحتفال بمولد الامام الصادق في خرمشهر – ايران

بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على مولد الامام الصادق عليه السلام اقام آية الله الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني في خرمشهر – ايران يوم ١٧ ربيع الاول وهو ذكرى ولادة الامام حفلة كبرى لذكرى هذا الامام العظيم تكلم فيها عدد من الخطباء والشعراء عن الامام الصادق وحياته واثره ، فلسماحة الشيخ الخاقاني شكرنا على هذه اللفتة الكريمـة فالامام الصادق بالرغم مما كتب عنه لم يُعط حقه من التقدير والتعظيم .

دعوة الرئيس شهاب لزيارة بغداد

العراق يؤكد احترامه لكيان لبنان

قابل السيد طالب حسين شبيب وزير خارجية العراق الرئيس اللواء فؤاد شهـاب . وسلمه رسالة من المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية تضمنت تحيات الرئيس العراقي ووجه للرئيس اللبناني دعوة لزيارة العراق .

تعزيز الكيان اللبناني

ان رسالة المشير عارف ودعوته للرئيس اللبناني ما هي الا تعبير عما يكنه عراق الثورة من احترام وتقدير للرئيس اللبناني الجليل وتأكيده لسياسة العراق النابعة من الإيمان بأهمية لبنان العزيز في كافة المجالات العربية والدولية وفي الحقول الثقافية والاقتصادية .

وان العراق يؤمن ايماناً مخلصاً بأن خدمة لبنان وشعبه من قبل اشقائه العرب لا تكون الا بتعزيز كيان لبنان وترسيخ وحدته الوطنيه . كما ان حكومة العراق تعتبر مصلحة لبنان جزءاً من مصلحة العراق ذاته .

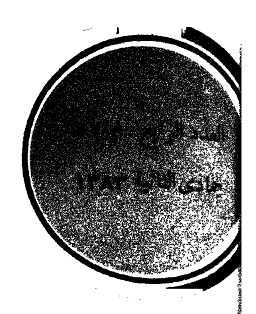
ولهذا فانها افسحت المجال لزيارة لبنان من قبل كل عراقي يرغب بزيارتـه وشجعه الاصطياف في الربوع اللبنانية .

الوفيات

توفي في صور الوجيه السيد سليم حلاوي فأقيم له مأتم واسبوع حافلين .

ونعيت الينا من الدوير السيدة سهيلة قرينة الاستاذ كاظم خطيط .

تعازينا لآلهم وذويهم .



العرفان

مجلة
علمية . أدبية . سياسية

شكاية قلب بالأسى نابض العرق
الى قائم الدستور والسا
فهل أيها الدستور تسمع شاكياً
بك اليوم يرجو أن يحق
فماذا عسى يجدي سقوط وزارة
إذا لم تقم أخرى على الحـ
ولسنا نريد اليوم حكماً عليهم
ولكن نناديهم وندعو الى الـ

البترول : وسيلة الى حياة افضل

تفد الى ميناء بيروت وتقلع منه في كل عام ، في المتوسط ، اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ باخرة ، حامـلة معها اكثر مـن ١،٦٠٠،٠٠٠ طن من البضائع . هذه البواخر الناقلة لآلاف من السلع (في عملية التبادل التجاري العالمي المتزايد دائما) تسير كلها تقريبا بمنتجات البترول .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان
مجلة علمية ادبية شهرية مصورة

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

الجزء الرابع — المجلد ٥١ — جمادى الآخر ١٣٨٣ — تشرين الاول ١٩٦٣

سنتها عشرة اشهر بألف صفحة

	الموضوع	الكاتب
٣٢٢ — ٣٢٤	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٣٢٦ — ٣٢٨	التبصير والمبصرون	محمد جواد مغنية
٣٢٩ — ٣٣١	حيرة الباحث	وديع فلسطين
٣٣٢ — ٣٣٦	احمد عارف الزين	خضر عباس الصالحي
٣٣٧ — ٣٤٠	الندوة وعصر التوحيد	غريغوار حداد
٣٤١ — ٣٤٩	اخوان الصفا	محمد علي الزعبي
٣٥٠ — ٣٥٢	تكلمي « قصيدة »	ابراهيم بري
٣٥٣ — ٣٥٤	مرحباً بالجديد	احمد زكي ابو شادي
٣٥٥ — ٣٦٠	خواطر مصطاف في لبنان	محسن جمال الدين
٣٦١	جبع « قصيدة »	فتى الجبل
٣٦٢ — ٣٦٥	نحو اتجاه ثقافي موحد	محمد عبد المنعم خفاجي
٣٦٦ — ٣٦٩	السيد علي محمود الامين	علي ابراهيم
٣٧٠ — ٣٧١	حي اللواء « قصيدة »	سعيد فياض
٣٧٢ — ٣٧٦	مصدر القانون عند الشعوب البدائية	زيد الزين
٣٧٧ — ٣٨٢	حبابة « تمثيلية »	رشيد وهبي
٣٨٣ — ٣٨٥	الرجل الذي أضحك باريس	مترجمة
٣٨٦ — ٣٨٧	طرائف سنغالية «شعر»	ابراهيم حاوي
٣٨٨ — ٣٩٢	محمد علي جناح	أ . م . مختار
٣٩٣ — ٤٠٠	العقوبات في الاسلام	صادق مهدي الحسيني
٤٠١ — ٤١٦	ابواب العرفان : القصة ، سير العلم ، التقريظ والانتقاد ، المراسلة والمناظرة اهم الاخبار والآراء	

بيني وبين القارئ (١)

بقلم : نزار الزين

قارئي العزيز :

هناك امور تكاد تكون معلومة ومع ذلك فان بعض المجلات تنبه عنها في اولى صفحاتها وقد كتبت عنها العرفان اكثر من مرة ونجد الآن انها لم تزل تحتاج الى توضيح وهي ان ما يكتبه كتّاب العرفان موقعا بإمضاءاتهم يحمل آراءهم وافكارهم وقد تكون هذه الآراء والافكار موافقة لآرائنا وافكارنا وقد تكون مخالفة . وانا ننشر ذلك عملا بحرية النشر . لأن الادب المكبوت بدون حرية معناه لا « ادب » كما ان الصحافة بدون حرية معناها «لا صحافة » . وان باب الرد عندنا اي باب المراسلة والمناظرة مفتوح على مصراعيه فالحقيقة بنت البحث والنقد الذي يجرح هو النقد المبني على الواقع ، اما النقد البعيد عن الحقيقة فلا يجرح احداً ولا يطال احداً ، على انه يمكن لمن يرى ان احد الكتاب قد ظلم شخصا في كتابته ان يرد عليه ويدعم حجته بالبراهين ، وفي ذلك تقدير ارفع لذلك الشخص اذ يكون موضع بحث الناس لا اهمالهم .

اما قضية الطائفية وعدمها فمما يبرهن انا لسنا طائفيين انا ننتقد جماعتنا قبل غيرهم ولا نبالي بكلام الذين يقولون يجب ان توفر جماعتك من النقد .حتى انا رددنا قول القائلين بقدسية العلماء وبرهنا ان القدسية تكون للعمل المنتج المخلص لا للشخص . فلا عصمة الآن ، وان كان العلماء هم خلفاء المعصومين وحجتهم على الناس ولكن ما كل عالم بعامل ولا كل عامل بمخلص . ان الذين يريدون ان نسكت عن شعوذاتهم وخزعبلاتهم لنكون في نظرهم بدرجة رفيعة ، هؤلاء : خاب فألهم وساء ظنهم . فنحن لهم ولغيرهم بالمرصاد، ان احسنوا شكرناهم واثنينا عليهم وان اساءوا حاسبناهم .

واما القول بأنا يجب ان نترك المطالبة بحقوق الطائفة للزعماء والشعب فهذا قول فيه ما فيه من وهم : فالزعماء قد ثبت انهم لانفسهم لا للناس ، وشعبنا قد تأكد انه يمتاز بالوعي

وباللاوعي فهو للآن اضعف من ان يطالب بحقه ..

اما العرفان فلسان الشعب الناطق وحسامه الصارم والمدافعة عن المذهب والمطالبة بحقوق الطائفة عن مبدأ وعقيدة . واما المذهب فقلنا ولم نزل نكرر بأنا في شأنه مدافعون لامهاجمون نسكت ، نتناسى ، نتغاضى ، طلبا للالفة والمحبة ولكن اذا ما هوجمنا بغير حق ولا يمكن ان نهاجم بحق ، صُلنا صولة الاسد .

قارئي الكريم :

اما من جهة حقوقنا المهضومة . حقوقنا الضائعة . حقوقنا التي يبدو ان المسؤولين لا يريدون ان يهتموا بها او يحققوها مع الاسف ، فإنا نصر على ملاحقتها والمطالبة بها ، وان اصرارنا على مبدأ المشاركة الوطنية يعني إيماننا ببقاء لبنان وطن الإلفة والمحبة والوحدة الوطنية هذه المشاركة لا تكون بالوظائف : هذا تضليل وزاري ، فنحن نؤكد ونثبت ان هذه المشاركة يجب ان تبدأ بالحكم ، ليشعر الناس ان الحكم مشاركة ، وان الوطن يُبنى بالمساواة والعدل والمحبة . لا بالنفاق والتنابذ والاحتيال والغدر .

هناك حقائق تكونت عندنا ، وهناك وقائع تسربت الينا ، نعيذ العهد منها ، ونأمل ان يعمل لها حلا سريعاً بالحكمة ، فالرئيس شهاب عنوان بارز من عناوين الطهارة والنبـــل ، من عناوين الشرف والمحبة هذه الوقائع نكتمها . لأنا لا نريد ان نهدم ما يبنيه العهد طوال خمس سنوات . ولانا ندرك يقيناً بأن العهد بعيد عن هذه الأمور بعد الأرض عن السماء . ولكن المسؤولين عن هذه الأمور يجب أن يلقوا العتاب الذي يستحقون ، ويجب ان يعرفوا واجبهم ويقدروا مسؤولياتهم .

هذه المشاركة التي نعني يجب ان تشمل جميع مرافق الحياة في لبنان ، كل المؤسسات ، كل المراكز ، كل المجالات ، سواء كانت سياسية او اقتصادية او اجتماعية او فكرية .

ونأسف ان نقول بأن المشاركة في الحـــكم تكـــاد تكون مفقودة ، كل ذلك يعود الى شخصية رئيس الحكومة ، وميوعة ممثلينا في الوزارة ، وممثلينا في مجلس النواب ، ونحن لا نقول ذلك اعتباطاً بل نؤيد ما نقوله بالبراهين والوقائع : خذ مثلا قضية الليطاني التي تبناها رئيس الحكومة ايام معارضته ونسيها ايام رئاسته ، وكان يجب أن يبدأ هذا المشروع في الجنوب . ولكن ميوعة نواب الجنوب جعله يبدأ في غير الجنوب ، وكان ان توقف المشروع وتلك اكبر فضيحة شهدها الإنسان في لبنان ، وقضية تعيين مدير عام للشيعـــة ومحافظ للشيعة وقاضي شرع جعفري لطرابلس و . و . الخ .

ولو اردنا ان نسرد لك ايها القارىء غير ذلك من أمثال التوزيع الصحفي وغيره وغيره لخشينا ان نفقد كل امل في اي انسان وفي كل شيء في لبنان انا نحب فخامة الرئيس شهاب ونحترمه ونقدّر نزاهته ونبله ، ولذلك نطرح هذه القضايا بمثل هذه الصراحة ،لأن صديقك من صَدَقك لا من صدّقك .

قارئي العزيز :

نحن ندرس قضية النهوض بالعرفان الى مستوى أرفع ، ونعطيها المكان الذي تستحقه، وان كانت العقبات تقف للآن في وجهنا فلا بد ان شاء الله ان يأتي يوم قريب تجد فيه عرفانك تحتل القمة ، ولكن على طريقتنا وطريقة العلماء والادباء الذين امتازوا بعمق التفكير والرزانة ، لا على طريقة الشباب المائع .

قارئي الكريم :

التعاون هو الأساس في كل عمل ، فكن للعرفان ساعداً وظهيراً فهي منك ولك نهوضها يبعث على نهوضك وارتفاعها يعني ارتفاعك .

قارئي الكريم :

في السنة الماضية حينما سألنا القراء عن كتاب العرفان وأيهم يفضلون ، تلطّف البعض وأجابنا على هذا الموضوع وكان الاستاذ خضر عباس الصالحي من الكتـــاب الذين نالوا استحسان القراء ووافق بعضهم على ان ننشر له مقالا وقصة في عدد واحد ، مع انا لاننشر اكثر من مقال او قصيدة او قصة لكاتب واحد في عدد واحد ، اما هذه السنة فقد كانت تمثيليته التي نشرتها له العرفان في اعدادها الثلاثة الاولى موضع اعتراض بعض القراء ونقمتهم عليه . وانا نتمنى ان تكون جميع مقالات وابحاث العرفان موضع اعجاب جميـــع القراء ، انما نقولها بكل تواضع انه لا يمكن ان تعجب جميع مقالات وأبحاث اية مجـــلة او صحيفة او كتاب جميع القراء . ولكن كلما عرفنا رغبة قرائنا كلما سعينا لنيل اعجابهم بشرط ان يكون ذلك معقولا ومقبولا ، لا جامداً متحجراً ولا مائعاً مستهتراً .

ـ ضاق نطاق هذا العدد عن الكثير من الاخبار منها كلمتنا عن الآنسة العبقرية « ريا علم الدين » وعن يوبيل زميلتنا جريدة « اليوم » الفضي وعن حفلات نقابة الصحافة اللبنانية الرائعة للصحفيين الاجانب .

ـ سننشر في العدد القادم اسماء انصار العرفان وعواطفهم النبيلة نحوه مع اسماء وكلاء العرفان في اكثر الجهات .

والى الملتقى القريب .

نزار الزين

فرع لبنك انترا في نيويورك

نيويورك ١٠/١٠/٦٣

افتتح اليوم في مدينة نيويورك فرع بنك انترا الجديد باحتفال كبير تحت رعاية معالي الاستاذ فيليب تقلا وزير الخارجية والمغتربين وبحضور عدد كبير من ممثلي المصارف الدولية والاوساط العالية والرجال الرسميين والهيئات الدبلوماسية وبعض وفود الدول العربية لدى الامم المتحدة ووجوه الجالية اللبنانية وقد رحب السيد يوسف بيدس رئيس مجلس ادارة البنك ومديره العام بالحضور والقى كلمة جاء فيها :

« اننا نؤمن بالنظام الاقتصادي الحر الذي يساعد على قيام اقتصاد ثابت وحقيقي ويمكن الشعب من قطف ثمار مجهوده ونحن في لبنان عشنا ونشأنا في ظلال هذا النظام الاقتصادي وانا واثق بأن توجيهات فخامة رئيسنا المفدى اللواء فؤاد شهاب ونظامنا الديمقراطي الجمهوري ستسير بلبنان دائماً نحو الازدهار والاستقرار » .

ثم تولى معالي الاستاذ تقلا قطع شريط الافتتاح ايذاناً بافتتاح العمل في فرع نيويورك في البناية التي تحمل اسم « بيت لبنان » ويرتفع عليها علمه .

وقد اقام في المساء السيد يوسف بيدس مأدبة عشاء في فندق ولدورف استوريا حضرها بالاضافة الى معالي الوزير تقلا كبار الشخصيات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية .

التبصير والمبصرون ★

طرفة

بقلم الشيخ محمد جواد مغنية

أتبصّرون

كنا ثلاثة : العلامة السيد هاشم معروف صاحب « تاريخ الفقه الجعفري » والعلامة الشيخ عبد الله نعمة صاحب « فلاسفة الشيعة » كنا نتمشى ذات مساء على طريق مطار بيروت نلتمس النزهة والترويح ، فقلت لهما : سيظن البعض اننا مبصّرون نخرج الفأل ، ونعرف الضمير والبخت ..

وحين وصلنا الى مفترق جلسنا على رابية هناك ، وما ان استقر بنا الجلوس ، حتى قصدنا شاب ، وقال : أتبصّرون ؟ اي تضربون الودع ، وتعرفون الضمائر والحظوظ .. فقال الشيخ نعمة : عجبا كيف صدقت نبوءتك بهذه السرعة ؟.

السيد محسن الامين

وتحضرني بهذه المناسبة حادثة طريفة جداً .. حصلت مع شيخ الطائفة السيد محسن الامين صاحب « اعيان الشيعة » تدل فيما تدل على روحه الطيب ، ومرحه العفيف وانطلاقه على سجيته الصافية التي لا تعرف التعالي والتزمت ، على عظمة صاحبها ، وعلو مقامه ..

ذهب السيد في ذات يوم من بيروت الى دمشق فوقفت السيارة قليلا في بلدة شتورا ، ومن عادة أهلها ان يعرضوا سلعهم على المسافرين ، فجاء رجل الى راكبي السيارة ، ومنهم السيد ، « وهو فيهم كأحدهم » وعرض ان يبيعهم الخمر ، ولما يئس او كاد نظر الى السيد — وهو لا يعرف حقيقته — وقال له : اشتر منه .. انه خمر زحلاوي (١) ..

فأجابه السيد بهدوء وبساطة : « ادخرنا حاجتنا منه من اول السنة » .. فظن الرجل ان السيد قد اشترى كمية وافرة من الخمر تكفيه وأفراد عائلته طوال ايام السنة فتركه ومضى لسبيله

عود على بدء

اعود الى قصتنا نحن الثلاثة ، ومسألة التبصير ومعرفة الضمير .. معلوم ان « المبصرون » يزيفون الحقائق ويموهون ويحتالون على الناس ، ليعيشوا من هذه السبيل .. وما واحد نحن الثلاثة يسلك هذا الطريق ، ولله الحمد .. بل جميعنا نستنكره ، وننعي عليه وعلى اهله

★ فصل من كتاب باشرت بوضعه منذ ايام . وربما اسميته « تجاربي » .

(١) نسبة الى بلدة زحلة المعروفة بلبنان بجودة خمورها .

اذن . ما هو سر الاشتباه والالتباس ؟

الجواب ان نوعا من « المبصرين » قد اتخذ هذا الزي ، زينا نحن رجال الدين شعاراً يتسترون به ، ويختفون وراءه بجهلهم ونفاقهم .. وكان السائل قد رأى افراداً من هذا النوع ، فقاس الجميع على البعض ، والنوع على الفرد ..

البريء بذنب المجرم

وكثيراً ما يصادف العالم النبيل افراداً يغمطونه حقه ويتجاهلون مكانه ، ويقيسونه بأحط الناس ، اذا لم يكونوا على معرفة من علمه وواقعه ، يتجاهلونه لالشيء الا لانهم رأوا جاهلا يتسم بسمة اهل العلم ، او عالما يقف موقفا لا يشرفه ، رأوه يستدر عطف الناس ، ليتصدقوا عليه (١) او رأوه خطيبا في المحافل يكبر ويهلل لاهل الجاه والمال ، او سمعوا باتصالاته المشبوهة ، وما الى ذلك مما لا يتفق وكرامة العلم والدين ، وهذا الشعار المقدس ، رأوا هذا الشذوذ من البعض فقاسوا الغائب على الشاهد ، واخذوا الطيب بوزر الخبيث ، كما هو الشأن في منطق الجموع .

وقد بليت اكثر من مرة بمن لا يعرفني بالذات ، وعاملني بما لا يشعر بالاحترام ، لالشيء الا لأنه يحمل في ذهنه صورة سيئة لاهل هذا اللباس بوجه العموم .. وكنت أعذره بيني وبين نفسي ، لاني مقصود بالنوع لا بالذات ، والتي التبعة على اولئك الذين وقفوا المواقف المشينة . وكانوا السبب والباعث الاول .

هذا ، الى اننا نحن رجال الدين مكلفون بحكم منصبنا ان نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر .. وفي الوقت نفسه لنا أهواء وميول ، كسائر الناس ، فإذا انحرف أحدنا قليلا مع ميوله بانت مسافة الخلف بين قوله وعمله ، وجاءت المسؤولية والملامة .. وإذا مال غيرنا مع شهواته فالمسؤولية عليه اقل واخف ، لانه لم يتخذ لنفسه شعار المرشد الصالح ، لذا قال قائل لمن يلبس هذا الشعار : اما ان تفعل كما تلبس ، واما ان تلبس كما تفعل .

نصيحة

وانصح من يبتغي الراحة وهدوء البال من الاخوان ان لا يفكر ولا يولي اي اهتمام للاحترامات والاعتبارات ، لان الاهتمام بها بالاضافة الى عدم جدواه فانه يفتح ابوابا للوهم

(١) في السنوات الاخيرة ابتلينا نحن الشيعة بلبنان بكارثة لا ندري كيف الخلاص منها ؟ ذلك ان افراداً من ايران وغيرها يؤمون لبنان مطلقين اللحى مكورين العمائم .. يتنقلون من حانوت الى حانوت ، ومن مسجد الى مسجد ببيروت مجمع العناصر والطوائف ، وبعضهم يذهب الى الكنائس بدون خجل يشحذون ويستجدون ، ولا يتقون الله في انفسهم ولا دينهم ولا طائفتهم ، حتى اظهرونا نحن الشيعة بلبنان بأبشع مظاهر الخزي والعار . فهل من مجير ؟ هل من ناصح ورادع لهم من قومهم وعنصرهم ان لم يكن رادع من دينهم وضميرهم .

والتخيل بدون أساس ، فيتخيل غير العدو عدواً ، لانه لم يقدم له الاحترام اللائق بزعمه ، كما يتخيل الفاسق عادلا ، والانتهازي مخلصا ،لانهما عرفا كيف يظهران له التقدير والاحترام ويستغلان ما فيه من ضعف .

لقد ظن المسكين لسذاجته ان تواضعهما له هو تواضع للعلم والدين ، وخفي عليه انهما لم يفعلا ما فعلا الا لمآرب اخرى ، فأصدر حكمه عليهما بالعدل والاخلاص .

ولو سار على سجيته ، ولم يتطلب ويترقب التعظيم والتكريم لم يطمع احد باستغلاله . ولما فسر بمنطق الدين حوادث لا تمت اليه بسبب ، وبالتالي ،استطاع معرفة المزيف من الاصيل

اقول هذا بعد ان جربت واختبرت ، فلقد بقيت امداً غير قصير اشرح بمنطق لم يمله علي الا حب الذات .. ولكن طول الايام ، والدراسات المتواصلة اشعرتني بهذه الاخطاء ، والآن احاول جهدي ان اتجنبها وابتعد عنها .. وكثيراً ما يبلغني عن شخص ما اكره ،ويذكرني بما انا بريء منه ، وبعيد عنه ، فأسامح وأتجاهل كبحا للنفس الامارة التي ترحب وتبتسم للخطايا والاخطاء

بين الدافع الخاص والدافع العام

وتقول : رأيناك تنتقد بشدة افراداً ، او نوعا من الناس ، وتعلن عليهم حربا لا هوادة فيها في كتبك ، وفي الصحف والمجالس والمحافل ، فأين التسامح والتجاهل ؟

الجواب :

اني اغالب نفسي واجاهدها . حيث اخاف واخشى ان يكون الدافع والمحرك لي هوى ذاتيا ، وشهوة شخصية . فأمسك نفسي عندها واتجاهل ، اما اذا شعرت من نفسي التجرد الى الحق ، وكنت على يقين من مرضاة الله والضمير فاني اقدم ، ولا اكترث بالعواقب مهما كانت وتكون .. والفرق بعيد بين الثأر للنفس . وبين الثأر للحق .

ومن هنا اقف لمن حاول ، او يحاول ان يمس من قريب او بعيد المذهب ، او النجف الاشرف ، والهيئة العلمية الدينية بوجه العموم ، واضربه مقاتله بأقوى سلاح وامضاه : ولا ادعه حتى ارد مكيدته الى قلبه مدحوراً ، وحتى يصير عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعظين .

اجل ، قد يجتمع الامران معا ، فيسيء الي من يبالغ في الاساءة الى الدين والعلم والانسانية وهذا امر طبيعي ما دام كل منا يسير في طريق ، فأعلنها عليه حربا شعواء بدافع الانتصار للحق فيما احسب واعتقد .. ولا ادري ان كان انتصاري للحق مشوبا بالثأر لنفسي ، اوان هذه الشائبة الخبيثة تضاعف من حماسي .. ومهما يكن ، فاني على يقين من تجردي للحق وحده .

والله من وراء القصد .

محمد جواد مغنية

حيرة الباحث (١)

بقلم وديع فلسطين

قبل المطبعة ، كانت الكتب تدوّن على الحجارة او الطين او جلود الغزال او ورق بردي ، وكانت تنسخ وتستنسخ ويعاد استنساخها فلا تخلو في مرحلة من هاته المراحل من غلط وغفلة ، وهي بعد لا تتداول الا في اضيق الحدود لأن الكتاب الثمين كان ينسخ بضع عشرات من المرات ، وهذا كل حظه من الرواج والذيوع .

وكان الشعر يروى بألسنة الحفظة والرواة فلا يعدم تحريفاً وتزييفاً عن قصد او عن غير قصد ، ولا يعدم عدواناً عليه من آفة النسيان ينال منه في مواضع من قصيدة بعينها وفي قصائد بأسرها ، ولا يعدم ضياعاً كاملا بسبب وفاة الرواية قبل ان يحفظ المعاصرون له هذا الشعر .

ثم جاءت المطبعة فجعلت الكتاب في كل يد ، وحفظت الآثار الفكرية كما دوّنها أصحابها ــ الا من خطأ مطبعي مستدرك ــ ويسّرت على الباحثين متابعة كل قديم وجديد من الكتب المطبوعة .

وما فتىء المعنيون بالمخطوطات يطالعوننا كل يوم بما ضبطوه او كشفوه او حققوه من هذه الآثار الأدبية التي سبقت عصر المطبعة ادراكاً منهم بأن في التراث ثغرات ينبغي سدها وان هناك ادباء وشعراء وباحثين يتعين التعريف بهم بعدما تناثرت مؤلفاتهم المخطوطة في انحاء من العالم شتى .

بيد ان المطبعة قد اوقعت الباحثين في حيرة جديدة ، هي حيرتهم تلقاء حصر هذا النتاج الفكري الحاشد الذي تقذف به دور الطباعة كل يوم بل كل ساعة ، وانّى للباحثين ان

---

(١) كتب الينا الاديب الكبير الاستاذ وديع فلسطين مع هذا المقال رسالة مملوءة بالعاطفة والتقدير تنم عن سمو ادبه الرفيع وهو يبشرنا بانضمامه الى انصار العرفان المعنويين ، حياه الله واكثر من امثاله .

يعرفوا ما صدر وما هو قيد الصدور من كتب في كل صقع من أصقاع العالم بلغات لا يعرف لها عدد وبأقلام كتاب منهم المهرة الموهوبون ذوو الصدارة ومنهم المبتدئون السطحيون المقتحمون للميدان ؟ وانّى لهم أن يحصروا ما ينشر من فصول في الصحف والدوريات الأدبية والعلمية والمتخصصة بعدما كان عددها يكاثر نجوم السماء .

ان هذه لحيرة كبرى يجابهها امناء المكتبات من ناحية والمشتغلون بالبحث من ناحية اخرى ولا يتصدى لعلاجها في عالمنا العربي الا قلة من الأفراد لا تنقصهم الهمة والمثابرة والرغبة في الكمال ولكن جهودهم قد تتقاصر عن بلوغ هذا الكمال المنشود . ومثل هذه الجهود ينبغي استحثاثها والاستزادة منها تيسيراً لأسباب البحث على طلابه .

وبغير هذا الحصر الشامل للآثار الفكرية على صعيد عربي جامع سيظل الباحثون هدفاً للنقاد ينعون عليهم انهم غفلوا عن هذا المرجع او عزّ عليهم رصد ذلك المقال وستبقى في كتب الباحثين فجوات ولو صغيرة تتأبّى على الاستدراك .

وهذا الحصر يتناول موضوعات شتى : حصر لأسماء المشتغلين بحركة التأليف في ميادين الفكر جميعاً — وحصر لأسماء المشتغلين بالترجمة . وحصر لأسماء الكتب وفقاً لموضوعاتها ، وفهرسة شاملة للدوريات العلمية والأدبية التي يصح للباحث ان يسترشد بها في بحثه .

ولعل اضخم عمل تم في هذا الباب هو كتاب « مصادر الدراسة الأدبية » بجزئيه للدكتور يوسف أسعد داغر ، وهو كتاب نتوق الى رؤية أجزائه التالية منشورة على الملأ الأدبي لأنه سجل لا نعرف له ضرباً في كتب المراجع العربية ونندهش ان نرى رجلا فرداً يقوم بمثل هذا الحصر الدقيق على منهج علمي سليم فيقدم للباحثين أيادي تجل عن الحصر .

ولكننا لا ننظر الى هذا الكتاب وأمثاله الا على انها مقدمة لعملية الحصر الشاملة التي لا مفر من اتمامها ذات يوم لضرورتها القصوى في كل مبحث ادبي او علمي او فكري .

وفي ايام الدراسة الجامعية كنا نكثر من الرجوع الى كتاب Reader' Guide to Periodical studies الذي يصدر في الولايات المتحدة كل عام وتصدر له ملاحق دورية فقد كان هذا الكتاب الضخم فهرساً شاملا لغالبية المجلات التي تصدر في بلاد القارة الامريكية ، فإذا بحثنا عن موضوع لقينا امامنا مئات من مراجعه تربي على حاجة البحث وتفيض .

ولقد تنبهت بعض الدوريات الادبية الى ضرورة الفهرسة لاعدادها ولو مرة في كل عام عندما تطوي المجلة عاماً منصرما وتستقبل عاما جديداً ، بيد ان هذه الفهارس تكاد تقتصر على اسماء الكتاب وعنوانات الموضوعات وهي في حاجة الى مزيد من التوسع في الفهرسة حتى تقضي للباحث لبانته في لحظة .

ثم ان هذه الفهرسة لمقالات الباحثين تهون مهمة توحيد المصطلحات العلمية التي تسعى مجامع اللغة العربية جاهدة في سبيل تحقيقها . ذلك بأن الباحث الجديد يستدل من هاته الفهارس على مواضع المقالات التي سبق لغيره كتابتها في مجال اهتمامه فإن قرأها انتفع بما فيها من مصطلحات وألفاظ واختار منها ما قد استقر في التداول او ما قد استقام في اداء المعنى اداء واضحا .

ومثل هذا الحصر وتلك الفهرسة لازمان لمنع التكرار في الحياة الأدبية . فلو عرف مترجم مثلا ان كتابا بعينه سبقت ترجمته مرة او مرتين فسيكف يده عن هذا الكتاب ، وينصرف الى غيره من التراجم . صحيح ان تعدد الترجمات للعمل الادبي الواحد يساعد على المقارنة بينها والمفاضلة بين اساليبها ويطوع للقارىء فهم المعنى بجلاء ، غير ان الاحجى ان يتجه المترجمون بجهودهم الى الميادين الابكار فما زالت امامهم تبعات لا نهاية لها في هذا الباب .

لقد كانت ميادين الفكر والثقافة قبل ابتداع المطبعة تعاني لونا من ألوان المجاعة ، وكان اقتناء الكتب في حد ذاته من الامور الشاقة لندرة الكتب وتوزع مخطوطاتها في أيدي الأفراد . اما اليوم فان الحياة الفكرية والثقافية باتت تعاني تخمة في الكتب حتى ضاقت المكتبات بمجلداتها واضطرت الى تصوير الكتب والمخطوطات والصحف بالأفلام المصغرة لتستوعب اصغر حيز ممكن في جنبات تلك الدور .

ولكن ضخامة هذه الاعباء الفكريـــة لا تؤدي الى تثبيط همة الباحثين والدارسين، بل تؤدي ، على نقيض ذلك ، الى حفزهم حفزاً يوسّع نطاق المعارف ويثري الحياة الفكرية بثمرات العقول في كل عصر ومصر .

القاهرة — وديع فلسطين

أحمد عارف الزين

ذلك المجاهد الوطني الخالد

بقلم : خضر عباس الصالحي

– ٤ –

والشيخ العالم الورع المرحوم احمد رضا الذي بلغ ما بلغ من رفيع المكانة لجهوده الجبارة المثمرة في مضامير العلم والأدب والأبحاث المستفيضة . حيث قال :

عرفت أخانا المجاهد الحر الشيخ احمد عارف الزين وهو وليد في صبوته بمالي ولأبي من علاقة الوداد الصحيح الصريح بين أبيه وآله الكرام ، وعرفته وهو تلميذ في مدرستنا الوطنية التي أنشأها في النبطية فقيد العلم والتقى استاذنا المرحوم المقدس السيد حسن يوسف الحسيني. عرفته يومئذ بامتيازه بين أقرانه باجتهاده وأدبه وأخلاقه الفاضلة وحسن ذوقه وطهارة وجدانه ، وعرفته بعد أن ترك المدرسة وقد برا قلمه للجهاد المقدس في سبيل الأمة والوطن . وطلع بمجلة العرفان على الديار العربية مدرسة سيارة للناشئة ، ومنهلا عذباً للعلم والثقافة تنشر طرائف وروائع العلم من هدايا افاضل العلماء والشعراء ، ومنها لآلىء النظم والنثر ودرر الفرائد وغرر الفوائد وبدائع الحكمة ومحاسن الآداب ونفائس التاريخ !

طلع علينا بهذه المجلة منذ نصف قرن وكان مدير هذه المدرسة وقائد زمامها ومصرف أعنتها الباذل لها روحه وماله المتحمل في سبيل نهضتها ومبدئها كل عناء واضطهاد ، فيوماً في سجون الاتحاديين اعداء العرب والعروبة ، ويوماً في الديوان العرفي في عاليه رهن التحقيق الغاشم ، ويوماً في اضطهاد الفرنسيين المحتلين الغاصبين ، وهو في كل ذلك لم يلن جانبه ، ولم يه عزمه ولا فل غربه ، كان كيابس العود الصليب كلما رضضته ازداد توقده وأسرع في اشتعاله ..

والنطاسي الإنساني البارع المرحوم شريف عسيران رسم صورة صادقة لهذا الفكر اللامع الحر حيث قال « لا أتذكر بالضبط التاريخ الذي هبط فيه صاحب العرفان صيداء . وكان

في حظ التعرف به وأظنه كان حوالي سنة ١٩٠٦ وكنت حينئذ طالبـاً في مدرسة الفنون الأميركية ، وقد تمكنت أواصر الصداقة بيننا ، بالإضافة الى اواصر القرابة حين بـدأت ادرسه اللغة الانكليزية ـ وناهيك بإنكليزيتي في ذلك العهد ـ واولى انطباعاتي عنه ، انه كان نظيفاً ومرتباً جداً في بيته ، اتبع الطريقة العصرية في حياته الشخصية وفي تربية اولاده، وطعامه وشرابه ، وكان يستمد معلوماته من المجلات العربية المصرية وخاصة المقتطف حتى انه كان يسرف احياناً في تطبيق النظريات العصرية ، وأبرز ما أعجبني من أخلاقه واجتهاده الشديد فقد عكف على دراسة اللغة الفرنسية والانكليزية بالاضافة الى مطالعاته الواسعة في الصحف العربية المختلفة » .

وان من خير الدلائل على ادبه القوي الاسلوب ، الرصين العبارة ، هذه الكلمة النفيسة التي قالها في رثاء المرحوم المؤرخ الشهير عيسى اسكندر المعلوف ، للإعلاء من شأن العاملين في حقول الوطنية والعلم والأدب ، فإنها تموج بدفقة عاطفية ، ومهارة في تصوير دقـائق المشاعر . وروح الإخلاص وروعة المنطق ، وقد طافت في مخيلتـه مواكب الذكريات ، فصورها تصويراً صادقاً ، وعبر تعبيراً دقيقاً حاراً عن نفس مفجوعة ، وأفصح عن جذوة أحاسيسه الفائرة ، بدافع من النبل الأصيل ، تثير في القارىء مختلف المشاعر والأفكار والصور فقد انطوت على قسط وفير من البلاغة والجمال الفني والصياغة المعبرة الملأى بالعواطف الحارة والدقة في اختيار الألفاظ الموحية ، والاسلوب المرن العفوي . اذ قال :

« يعز علي وأيم الحق ان اقف لك مؤبناً ايها الصديق الصـدوق الوفي ، ولكن الموت خط على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، ولو أردت ان اعبر عن اسفي الشديد لفقدك لاحتجت الى مجلد ضخم ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ،فانك كنت من خيرة الأصدقاء الذين عرفتهم وخبرتهم ، وقد امتزت عن أقرانك بخلة الوفاء لأبعد حد ، هذا ما كنت اشعر به . ولا شك بأن جميع اصدقائك يشاركونني بهذا الشعور ، والوفاء خلة شريفة ، قليلون جداً الذين يحفظونها ويحافظون عليها .

وكما امتزت بالوفاء بل جمعت اليه كل خصال الخير ، امتزت على أقرانك بصفات كثيرة كلها مدعاة للفخر ، واهمها انك كنت من الرواد الأول الـذين غاصوا على التاريـخ ، فاستخرجوا درره ، وخططوا نظمه ، وذلك بعد عصر من الانحطاط مريع ، والتاريخ كما لا يخفى حياة الأمة ، ومنها غرامك بجمع الكتب النادرة ، لا سيما المخطوطة منها ، فلقد جمعت مكتبة كبيرة ، ولئن ابتاعت القسم الاكبر منها الجامعة الاميركيـة فقد بقيت وقفـاً على نخبة المطالعين .

وما زلت أذكر زياراتي المتكررة لك في زحلة وبيروت ، ورأيتك مرة ويداك الكريمتان ملوثتان (بالسراس) لانك كنت ترتب مكتبتك الحافلة ، ولعل ذلك كان أثنــاء الحرب العالمية الثانية ، أما في بيروت وقد لازمت أخيراً فراشك فلم نكن نذكر كتاباً الا وتنهض من فراشك رغم عجزك وشيخوختك وتحضر الكتاب المطلوب ، وكم أريتنا التذكرة المعلوفية التي تبلغ (١٤) مجلداً وهي مليئة بالفوائد والفرائد عصارة مئات من الكتب التي ضمتها مكتبتك وكم كنت تتمنى ان تطبع في حياتك .

ولم لا تقوم لجان لإحياء ذكرى فريق من العظماء امثالك الذين كانت حيــاتهم ليست لهم وحدهم بل للانسانية جمعاء كالمرحومين البستانيين واليازجيين والدكتور يعقوب صروف والشيخ ابراهيم المنذر والشيخ احمد رضا والشيخ مصطفى الغلاييني وغيرهم من العباقرة .

فرحمك الله عدد حسناتك الحسان . ومتعنا ببقاء أنجالك النجوم السواطع والذين حياتهم امتداد لحياتك والسلام عليك مع الخالدين » .

لقد تقدم به العمر واتعبته السنون ، ولكن عزيمته في الكفاح ظلت تنمو مع الايام وتزداد توهجاً واتقاداً . . وكان يحب جمال الطبيعة ، وسحر الكون ، وصفاء السماء ، ونضرة الربيع وابتسامة الزهر ، وروعــة الشفق ، وان هذه الالوان الاخاذة قد امدتــه بخصب الفكرة وانطلاقها ، والاديب العربي الكبير نزار الزين يكتب عن والده الخالد (احمد عارف الزين) قبل رحلته الى ايران فيقول : « كان من عادته طيب الله ثراه ان يستيقظ مع الفجر فيصلي الصبح ويقرأ القرآن ، ثم ينزل الى الجنينة في الشتاء والربيع ويصعد الى الحرج في الصيف وذلك للرياضة واستجلاء مناظر الطبيعة ووضع المخطط اليومي ، وكنت احياناً ألحق به الى الحرج ، واحياناً اتكاسل فلا اصعد ، وصادف يوم الثــلاثاء في ٤ تشرين الاول اي يوم سفره ان جمعنا الحرج بكيفون في الصباح الباكر وجلسنا على صخرة عالية مشرفة في وسط الحرج تسمى الآن (صخرة الشيخ عارف) وبقينا هناك ساعة من الزمن كرر علي يومها وصيته التي كان قد اوصاني اياها بأن يدفن في النجف الاشرف ،لانه احب النجف والراقد في النجف واهل النجف ، كما اوصاني بالمجلة اكثر من مرة وكان من عادته ان يسافر كثيراً ويوصيني بكل شيء الا بالمجلة لانه يعلم بأنها تصدر في غيابه كما في حضوره ، وعــدنا الى البيت ثم سافر الى بيروت قبل الظهر ولحقت به بعد الظهر ، ثم ذهبنا مساء الى المطار بسيارة السيد ياسر نعمة الذي كان مصطافاً بجوارنا بكيفون فأنسنا بجواره ، وكان موعــد سفر الطائرة الساعة السابعة والنصف ولم تسافر الا الساعة التاسعة ، وكان رحمه الله يوزع ابتسامته على المودعين الذين عج بهم المطار ويحدثهم بأحاديثه الطلية العذبة ، وقبل النزول

الطائرة لبس عباءته الحريرية المقصبة والناس من ورائه يحيونه ويعظمونه ، يا للعريس في من ارز لبنان الى الجنة لينفذ وصيته بنفسه ليرقد بجوار الامام الثامن الضامن ، لقد ابى ان يكون عالة على غيره في مماته ولم يكن عالة على احد في حياته ، نعم كيف لا يذهب الى ايران وهو لم يزر بعد الامام الغريب ولم يطلع على المخطوطات والكتب النفيسة في مكتباتها ، وهو الحريص على احياء العلم والتاريخ ، كتبت عنه الصحف الشيء الكثير أذاعت النعي الإذاعة اللبنانية مراراً مع كلمة عنه ، وكذلك حدث عنه التلفزيون » .

ففي يوم الاثنين الموافق للخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٨٠ هجرية والمصادف ليوم السابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٦٠ ميلادية حملت اسلاك البرق من مشهد الامام الشهيد علي بن موسى الرضا «ع» النبأ المؤلم الى العالم الاسلامي والعربي لوفاة الشيخ احمد عارف الزين . وتردد نعيه بين ارجاء الوجود وكان له وقعه العميق في النفوس التي جنت ثمرة جهاده . اذ انه بعد ان ادى واجب الزيارة وصلى في الحضرة المقدسة . ولما هم بالخروج فاضت روحه الطاهرة . ودفن في الحضرة الرضوية الشريفة مع كبار العلماء الخالدين بعد تشييع حافل عظيم ، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة . .

وفي يوم الاحد الموافق للثالث من جمادى الاولى سنة ١٣٨٠ هجرية والمصادف للخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٦٠ ميلادية اقيم له في صيدا حفل تأبيني كبير اشترك فيه اعلام الخطابة والشعر . وكان يوماً مشهوداً منقطع النظير ، فلم تسع الناس البيوت والساحات وهم في وجوم مذهل . وامتلأت النفوس بالحسرة ، وطحنتها الآلام والحيرة ، وانتابها احساس مروع ضاعف اساها وشعرت بغصة تخنقها واعتلجت الهموم في صدرها وهي في مهب عواصف نفسية راحت تذرف دموع اللوعة والاسى ، وتسكب آهات الشوق والحنين والتذكار .

ان الجماهير المثقفة الواعية لشديدة الاهتمام بأشخاص القادة المفكرين بقدر ماهي شديدة الاحساس بكل ما يصدر عنهم من آراء وأفكار : .

لقد سكت هذا القلب الانساني الكبير المثقل بهموم الناس بعد ان ظل يخفق سبعاً وسبعين عاماً ولم يستطع الاستعمار بكل ما يملك من دسائس ومغريات وسجون ان يقتل فيه روح المقاومة والكفاح والثورة ... وكان جل اهتمامه فضح محاولات العملاء الخونة الرامية الى التضحيح باستقلال البلاد .

وانطفأت تلك الشعلة الوطنية المتوقدة التي مزقت بنورها الوهاج ظلام الجهل والضلال

والهوان ، وتركت تراثاً ادبياً خالداً ينير الدرب للأجيال القادمة ، لتبني حياة جديدة على اسس تكفل لها السعادة والامن والاستقرار في فجر غدها المأمول .

وجف ينبوع ذلك الفكر الدافق المعطاء الغني بالصفاء والعذوبة ونصاعة التعابير ،والذي نزع الى التجديد اسلوباً وموضوعا ، فشاد مجداً ادبيا شاهقا وطيد الاركان ، راسخ الدعائم واحتل مكانه بين الصفوة من ذوي العقول الممتازة ، وارباب المجد والخلود والتفوق ونزاهة الهدف ، والمسعي النبيل والعمل الجاد على تحقيق حرية الشعوب التي دنست ارضها الطيبة اقدام المستعمرين الجناة . ليوفر للانسان اينما كان ، الحياة السعيدة،ويضمن له قدراً كافيا من الحرية الفكرية ، وطوّف بآفاق الشرف فترك ابرز الآثار في ادبه الصاعد من الاعماق . . .

إنه في الطليعة من المكافحين الاحرار فكانت حياته سلسلة من النضال والآلام والطموح يدفعه شعوره بالتحدي ضد قوى الظلم والتعسف والطغيان ، وقلبه طافح بالايمان،وفي نفسه ميل اصيل الى الارتباط بالحياة الاجتماعية العامة ، والنفاذ الى صميم الواقع ، وروحه متفتح للخير في كل اتجاهاته ومراميه ، وقيمه الايجابية العميقة وحياته الفكرية الواعية ،وكان لكفاحه الوطني ابلغ الاثر في استنهاض الشعب وإصلاح احوال المجتمع .

لقد كان في قرارة نفسه انسانا طيبا متساميا ، عميق الفكرة الانسانية ، فسعى دائما الا تنقطع رابطته بالشعب ، رابطة الحب والوفاء والثقة المتبادلة ، كسر حدة النفس وكبح جماحها ودعا الى الطلاقة والتفاؤل والاقبال على الحياة .

لقد ترك هذا الانسان الطيب في نفوس عارفي فضله وعلمه وكفاحه أثراً عميقا لبساطته وطيبته ولطفه وتقواه ، وأثار فقده المفاجيء في نفسي كثيراً من الآلام التي لايخمدلها اواره واهتز له وجداني ، وطغت علي موجة من الحزن ، واعتصر الالم قلبي ، وانا استعرض صور حياته التي زخرت بأعاصير الخطوب ، وانفعلت بتيار المطامح المختلفة ، فأستوحي من سيرته العطرة معاني الجهاد المرير ، والمثل الاخلاقية السامية ، واشعر بنفسي مسوقا للكتابة عنه ، لتخليد مآثره الحميدة . وما احسبني بموف هذا المجاهد العربي الثائر حقه ، فهو اعظم من ان تلم بجوانب حياته المشرقة الانوار هذه الدراسة المقتضبة . .

انه سيبقى رمزاً فذاً للعبقرية والتفاني والنضال ، ماثلا في اذهان الناس ، خالداً في جهاده وادبه وتضحياته خلود الانسانية . فقد سجله التاريخ في اروع صفحاته الذهبية .

بغداد خضر عباس الصالحي

الندوة وعصر التوحيد

بقلم :الاب غريغوار حداد

بالرغم من مظاهر القوة والعنف ومن الحروب الباردة او الدامية التي لا تزال تقض مضجع البشر وتهز العالم ، فان عالمنا ينتقل في عصرنا من طور الى طور ، من طور الانقسام الى طور التوحيد .

كان الناس الى الآن يتباعدون ويتباغضون وينقسمون ويتحاربون.

بلاد ضد بلاد ، ومنطقة ضد منطقة ، ومدينة ضد مدينة ، وقرية ضد قرية .

طبقة اجتماعية ضد طبقة اجتماعية ، وعنصرانساني ضد عنصر انساني .

دين ضد دين ، وطائفة ضد طائفة ، ومذهب ضد مذهب .

رئيس ضد رئيس ، وزعيم ضد زعيم ، وفرد ضد فرد .

والآن تشير البوادر من كل الجهات وعلى كل المستويات ، من مستوى الفردحتى مستوى العالم كله ان عصر الانقسام آخذ بالزوال ، وان عصراً جديداً ينبثق فجره ويطل على جميع الآفاق : عصر التقارب والتفاهم والتعاون ... عصر التوحيد .

فكأن البشرية جمعاء في الطور الماضي تقسمت وتحللت الى عناصرها التي تركبت منها : جماعات وأفراداً ، جماعات من كل الأنواع . استقلت بعضها عن بعض بسبب فوارقها ، وافراداتحرروا واصبح كل فرد عالماً في ذاته مستقلا عن الآخرين .

النزعة نحو الاستقلال ونحو الحريةونحو اكتمال الشخصية. الفردية والجماعية ، جعلت تلك الانقسامات تتوالى على مر العصور الماضية . وكان لا بد في كل انقسام من ثورة المتحرر على الذي يتحرر منه ، وكانت كل ثورةحرباً .

اما اليوم ، فبالرغم مما بقي في العالم من ثورات ، هناك وعي ينضج بضرورة التوافق والتكامل . وهناك سعي التوحيد على صعيد الفرد والجماعة والبلاد والعالم . وغير مستبعد ان تتم الثورات من الآن فصاعداً بالسلم لا بالحرب ، بالتعاون لا بالتطاحن .

ذاك ان الانسان اخذ يكتشف ذاته الحقيقية ، اخذ يكتشف قيمته العظمى ، لا كفرد

حر منعزل ، بل كعضو في جسم هو العالم ، بل الكون ، عضو له استقلاله ولكن له مسؤوليته ايضاً ، كعضو هو جزء من كل .

كما ان المجتمع ، المجتمع الصغير (العائلة والبيئة وكل جماعة منظمة) والمجتمع الكبير (الدولة والعالم) اخذ يكتشف يوماً بعد يوم قيمة هذا الفرد ، كعضو له استقلاله ، وله ضرورته في تكوين الجسم الكامل .

* * *

والدين :

كان الدين ، او بالأحرى المفهوم الخاطىء للدين ، سبباً لخلافات وحروب لا عد لها : مسيحية ضد اسلام ، وإسلام ضد مسيحية ، وشيعة ضد سنة ، وكنيسة شرقية ضد كنيسة غربية ، وبروتستانت ضد كاثوليك ..

كان الإيمان بالتوحيد الإلهي سبباً للحرب بين توحيد وتوحيد.

لأن الانتباه كان موجهاً نحو المبادىء والأفكار النظرية ، اما الانسان الفرد فكان نسياً منسياً بل كان يضحى على مذبح المبادىء والعقائد الدينية .. بل في اكثر الأحيان على مذبح الأنانية والكبرياء وغريزة البقاء ، المتحججة بالمبادىء والعقائد والدين !

اما اليوم فإن الدين يرجع ، في نفوس الناس ــ عندما يؤمنون ــ الى مفهومه الصحيح.

كان الجهاد في سبيل الله محاربة من لا يؤمنون .

اما اليوم فيرجع المؤمنون الى تفسير النبي الكريم وتمييزه بين الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر ، والجهاد الاكبر جهاد النفس ضد ذاتها الأمارة بالسوء .

كانت الصليبية التي فاخروا بها في العصور الوسطى ، محاربة المسيحيين للمسلمين ،لاجل استرجاع القبر المقدس . اما اليوم فالمسيحيون الحقيقيون يخجلون من هذه الصفحات في تاريخهم ، ويرجعون الى الصليبية التي علمها المسيح اذ قال : من أراد ان يتبعني ، فليكفر بنفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني .

كان كافراً فقط من لا يؤمن بالله ، اما اليوم فالكافر ايضاً من لا يؤمن بالانسان .

كان مشركاً من لا يؤمن بتوحيد الله ، اما اليوم فالمشرك ايضاً من لا يؤمن بتوحيد البشر ...

* * *

لهذا فالهدف الاسمى في عصرنا « الذي يستحق ان يضحي الانسان في سبيله بوقتا

وصحته وماله وكل طاقاته : هو توحيد البشر ، على صعيد العالم والدولة والمجتمع والجماعات والافراد .

ومن لم يكن هذا هدفه الاخير مهما كانت اهدافه الاخرى سامية ، فانه لايزال متأخراً في عصرنا عن ركب الانسانية ، ولا يزال متخلفاً انسانياً ، مهما كان متطوراً اقتصادياً واجتماعياً .

وكل نشاط ، في عصرنا ، لا يوجه اخيراً الى هذا التوحيد ، لهو نشاط فاشل ، او على الاقل نافل ، يذهب آجلا ام عاجلاً ادراج الرياح .

☆ ☆ ☆

وكيف التوحيد بين البشر وهم منقسمون تلك الانقسامات المتنوعة ، افراداً وجماعات ومجتمعات ودولا وطوائف وأدياناً وطبقات وعناصر ؟

من المبادىء الشائعة : « ان اردت السلم فهيء الحرب » . هذا المبدأ ، الذي اذا اوجد السلام مرة اوجد الحرب مرات عديدة ، يمكننا اخذه بغير معناه السياسي العقيم :

ان اردت السلام والتوحيد بين الناس ، فهيء الحرب على ما يقسّم الناس !

وما يقسم الناس ؟

الفقر والجوع والمرض

والانانية والكبرياء وحب السلطة وحب السيادة.

والجهل على أنواعه ، الديني والعلمي . وقد قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : « الناس اعداء ما جهلوا » .

لذا ، ان اردنا السلام والتوحيد بين الناس ، يجب ان نشن الحرب ، مهيأة ، مدروسة ، منظمة ، على الفقر ، والجوع ، والمرض ، والجهل ، والانانية ، والكبرياء وحب السلطة والسيادة .

هذا ما يسمى في عصرنا بالعمل الاجتماعي الانمائي .

☆ ☆ ☆

وهذا دون شك ما تريده الندوة الثقافية الاجتماعية والقيمون عليها واعضاؤها .

محاربة الفقر والجوع والمرض والجهل في القماطية عند الافراد والعائلات المتخلفة .

ومكافحة الانانية والكبرياء وحب السيادة لدى المتطورين اقتصادياً واجتماعياً .

تجمع للقوى في سبيل هذه المحاربة وهذه المكافحة .

وانفتاح على سائر القوى الخيرة العاملة في المنطقة .
وانفتاح مع قوى المنطقة على سائر الطاقات العاملة في لبنان .
قيمة هذه الندوة لا شك بعدد الخدمات الفردية التي تؤديها لاهالي البلدة .
ولكن قيمتها الكبرى التي تتعدى هذه ، انها تدخل في نطاق الحركة العامة العصرية للتوحيد بين البشر .

قيمتها انها توحد بين اعضائها ، وكانوا قبلا مشتتين ، كل يبحث عن مصالحه وانانيته.
قيمتها انها توحد بينهم وتجعل منهم خلية صالحة . عاملة ، حية في المجتمع .
قيمتها انها توحد بين اهالي اعضائها الذين يتحدون على صعيد البلدة في سبيل خيرها العام
قيمتها انها يد ممتدة من القرية لتتلاقى مع اية يد اخرى من اية بلدة اخرى في قضاء عاليه . او في اية بقعة من لبنان ، للعمل يداً بيد في سبيل خير الوطن العام وخير الانسانية جمعاء .

قيمتها انها تجمع كل سنة منذ ان انشئت ، في مثل هذا اليوم ، نخبة من رجالات لبنان تعددت مشاربهم وعقائدهم واديانهم ، في بعض هنيهات من الوحدة النفسانية الغنية ، التي تحسب في العمر ، اذا ما قيّمت ساعاته، من اثمن الهنيهات .

* * *

فلو كان لنا في كل بلدة من لبنان وفي كل حي من مدنه ، ندوة او جمعية او حركة اجتماعية او ثقافية ، تستوحي المبادىء التوحيدية التي تكلمنا عنها ، ولو امتدت الايدي للتعاون بين هذه المؤسسات ، ومن خلالها بين الاعضاء . لاسرعنا الخطى في لبنان نحو التوحيد بين ابنائه ، والقضاء على الكثير من عناصر التفرقة والتقسيم الموجودة فيه ، وقربنا من المجتمع الافضل الذي يتوق اليه كل انسان .

... لا سيما ان في لبنان اليوم رئيساً اعلى ، هدفه الاسمى التوحيد بين اللبنانيين واعطاء الجميع حقوقهم ، وتنمية كل الحقول المتخلفة . ونزع كل اسباب النزاع . ادامه الله لنا وجعل هذه الروح التوحيدية تتغلغل في قلوب الجميع خالقة المحبة والخدمة والاخلاص عند الجميع .

والسلام عليكم وعلى كل من اتبع هذا الصراط المستقيم .

غريغوار حداد

اخوان الصفا سوفسطائيو العرب

بقلم الشيخ محمد علي الزعبي

– ١ –

مقصد اخوان الصفا ـ الباطنية قبل الإخوان وبعدهم ـ الكتمان هو الحرف الاول من ابجدية الاخوان ـ مدخل اخوان الصفا الذي رأوه مفضياً الى مقصدهم ١ ـ الاخوان والفلسفة : أ ـ خرافة العقل الكلي ـ ب ـ الفرق بين الوحي والفلسفة ج ـ نموذج من التناقض ـ قصة التناسخ د ـ ديك سقراط ٢ ـ التأويل اذا تعذرت الحقيقة يصار الى المجاز ـ اخوان الصفا في ميزان ابن سينا والفارابي وابن عربي وابي العلاء وابن رشد وابن خلدون ـ اخوان الصفا سوفسطائيو العرب ـ الدكتور جبران جبور واخوان الصفا .

مقصد اخوان الصفا

اخوان الصفا ـ وان سدل التاريخ حجاباً يحول دون لمس اشخاص اكثرهم ـ تركوا في رسائلهم ما يخوّلنا وضع اليد على ما يتلجلج في نفوسهم ، اذ « لا يزال الرجل في فسحة من أمره حتى يكتب » .

ليس من أهدافهم الانتصار لدين كالاسلام والمسيحية ، او لمذهب سياسي كالعباسيين والطالبيين ولو تظاهروا بخدمة ذرية اسماعيل بن الامام الصادق ، او لمذهب فقهي او فلسفي ...

بل لهم مقصدان رددوا الاول : (انتزاع ما بقي من دفة الحكم بيد العباسيين ودفعها للاسماعيليين) ولمّحوا للثاني (اجتثاث جذور العرب باجتثاث جذور الاسلام) .

اجل مقصدان ، استتر الاخوان توصلا لهما بكلمة (توحيد) التي تشير باصطلاحهم الى جمع كلمة الناس وتجعل من الأجزاء التي استقاها الاخوان من الفلسفة الوثنية : اليونانية والمجوسية والصابئية ، وغلفوها بمفاهيم ملتوية الصقوها بالرسالات السماوية .
تجعل من هذا حجر زاوية ترفرف عليها راية القائم التي تضع الحد الفاصل بين عهدي الستر والكشف .

الباطنية قبل الاخوان وبعدهم

كانت اليزدانية والجرجاسية (المجوسية والصابئية) وسواهما من الفكر القديم الذي ارتدت بيد الباطنية ثوباً جديداً ، كانت قبل الاخوان تتسلل في الظلام كبخار يحاول تلمس نقطة ينفذ منها ، ولكنها اصبحت بيد الاخوان تنفذ من باب واسع ،هو باب التفاسير المتكلفة والمنطق الذي فقد كثيراً من مقدماته السليمة ، فجاءت نتائجه مبتورة .

الكتمان هو الحرف الاول من ابجدية الاخوان

امتطى الاخوان جواد الكتمان ، حرصاً على مقصديهم لا سيما المقصد الأول — قيام القائم الذي اشاروا له بالعيد الأول ورأوه مقصوداً بكلمات (قيامة ، بعث ، نشور ، حساب ، دينونة) التي وردت بالكتب السماوية ، اذ دولة بني العباس — باصطلاح الاخوان — هي دولة الدنيا المشحونة بالأكدار والهموم . اما دولة القائم فدولة الجنة التي لا تزورها الهموم ولا ينصرم منها النعيم .
وقد عللوا هذا الكتمان تعليلات شتى فرووا عن فيتاغور (لا تضع تماثيل الملائكة على فصوص الخواتم) وأرونا ارسطو وافلاطون يحذفان بعض المقدمات ويسدلان الكتمان على بعض النتائج .
ولم يكتف الاخوان بالتوكأ على الفلسفة ، بل ألصقوا بالمسيح جملا لم نرها بالأناجيل ورأوا فواتح بعض سور القرآن اسراراً بين الله والمختارين من عباده وصرحوا بـأن لجميع الكتب المقدسة معان عميقة ، ومرموزات مقصودة ، عرفها المصطفون وجهلها الظاهريون النصيّون الحرفيون السطحيون الحشويون العامة ، الذين لا يهمهم من البحر الا الفواقع الملقاة على رميلات ساحله ، ولم يفت الاخوان ان يستخدموا الأدب ويرنموا بختام جولتهم قول شاعرهم :

فمن منح الجهّال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

مدخل اخوان الصفا الذي رأوه مفضيا الى مقصديهم :

الفلسفةوالتأويل :

اتفق جميع المؤرخين علىوفاةاسماعيل قبل وفاة والده الإمام الصادق ، ولكنالاخوان وحدهم أبوا الا رؤيته حياً بعد وفاة والده ! ولذا قلّدوه وسام الإمامة ثم رفعوا منزلته فوضعوا على كتفه أعباء رسالة عالمية تنسخ جميع الشرائع والرسالات ، بل رأوه العقل الكلي وفسروه بقولهم : جوهر بسيط روحاني يشبه الله من حيث الصفا فاض من اللهاوحدد منه مشتملا بالقوة (١) على ما وجد من المخلوقات وسيوجد وسوف يوجد !

من هذا العقل الكلي او الكائن الأول الذي تأنّس اسماعيل خاتم الرسل والشرائع صاحب الشريعة العارية من التكاليف التي لا توصف بالظاهرة او بالباطنة بل بالرحمة ، انبثقت النفس الكلية التي منحت كل حي حياته وأدارت الأفلاك وكوّنت الهيولى (المادة) الاولى وما نتج منها .

وقد برع الاخوان بالتشبيه فقالوا : ان انبثاق العقل الاول من الله ، كانبثاق نور الشمس من الشمس ، اما استفادة النفس الكلية من العقل فكاستفادة نور القمر من نور الشمس .

* * *

ولا ريب ان القارىء الذي يطيل النظر في مقدمات هذا المدخل يضع يده على النتيجة ويلمس المقصدين ويرى ابدال الوحدانية المطلقة بوحدانية متجسدة ووضع حد لامتداد الاسلام ، نتيجة مفضية لها !!

لقد قطعت هذه النتيجة على الاخوان مجرى تفكيرهم السليم وذكّرتنا بكلمة (الغاية تعمي وتصم) وأرتنا الاخوان يتوكأون ـ توصلا للمقصدين ـ تارة على الفلسفة وطوراً على التأويل .

١ ـ الاخوان والفلسفة :

أ ـ خرافة العقل الكلي

كان اكثر الوثنيين في العالم ومنهم الفلاسفة امثال افلاطون وارسطو ، يرون بالكواكب ارواحاً إلهية تسيرها وتنظم حركتها ، ولكن الفيلسوف (اناكسجوراس) توصل بعقله لكلمة

(١) كلمة بالقوة اصطلاح فلسفي قديم ـ حديث فالشجرة مثلا كرسي بالقوة ، اي بها الخشب الذي يمكن جعله كرسياً ، فاذا نشر وصقل وسمر فهو كرسي بالفعل .

(لا بد ان يكون وراء تلك الارواح عقل يدبّرها).

وقد أخذت كلمة (عقل) هذه حقولا من كتب الفلاسفة وما زالوا يتجاذبونها ويشبعونها شرحاً وتعليقاً ويضعونها تحت المجهر الذي يكبّرها ويضخمها حتى رأينا العقل بعد أجيال كلياً وفاعلا ومنفعلا ومستفاداً ... يفكر في نفسه ومصدره فينبثق منه عقل ثان ثم ينبثق من الثاني ثالث ...، وهكذا حتى العقل العاشر.

وقد اقام الاخوان على هذه الخرافة قصوراً وناطحات سحاب وضموا له لا سيما بعدان وصفوه بواهب الصور قصة النفس الكلية والفيض والصـدور والاشراق وسواهـا من رواسب تاسوعات افلوطين او تاسوعات احد تلاميذه المنسوبة له وانتهوا القول بالالوهيـة المجسدة التي أرتنا الله يأتي خلقه بخلقه كخلقه تارة حالا وطوراً متأنساً وطوراً متجلياً وآناً قوة تتخلل اجزاء الوجود (وحدة الوجود).

ب ـ الفرق بين الفلسفة والوحي

نعم رأى الاخوان الحقيقة مجزأة فاستندوا لكلمة افلاطون (ما ظفر بالحق كله واحد وحده) وشرعوا يرفعون الفلاسفة لمصاف الرسل ويرونهم جميعاً يستقون من العقل الكلي (اسماعيل: مصدر الرسالات والفلسفات ومبدؤها وختامها! بل رأوا ما استقاه الفلاسفة زاداً للمختارين وما استقاه الرسل زاداً للعامة!

ولذا شرعوا يعطفون الفلسفة على الشريعة ويقولون: الشريعة الفلسفيـة، العبـادة الفلسفية، التنسك الفلسفي، الدعاء الافـلاطوني، التوسل الارسطـاليسي، القنوت الهـرمسي.

آمن الاخوان بهذا ــ او تظاهروا بالايمان به ــ وما زالوا يجهدون للعثور على شبه دليل يدعمون به رأيهم العجيب الذي خيّلوه للمستجيبين **توحيداً** حتى عثروا على قصة سقراط.

صبح شريفون ــ احد المعجبين بسقراط ــ معبد دلفي وسأل الكاهنة، هل بين الرجال من هو اكثر كلمة من سقراط؟ فأجابت: لا.

ورغم ان سقراط علل هذا بقوله (لأنني ــ على الاقل ــ اعترف بخطئي اذا اخطئت ــ حمّل الاخوان هذه القصة الواهية المتهافتة أكـثر من قدرتهـا ورأوا سقراط وسواه من الحكماء معرّضين لاشراق العقل الكلي الذي منحهم من الحكمة ما يتفـق مع ذوي العقول المختارة ويمنح الرسل والانبياء (بصفته ملاك الوحي) ما يناسب سواد الناس.

اجل حمّلوا هذه القصة اكثر من قدرتها ناسين ان كاهنة دلفي تتكلم ارتجالا وتفوه بكلمات

تحتمل على الأقل تفسيرين كقولها اجابة على سؤال : على اي جيش ستدور الدائرة (الجيش الفارسي او اليوناني) (ستهلك امبراطورية عظيمة).

وهكذا صادفت هذه الروايـة هوى في قـلوب الاخوان فأقاموا على حجرهـا ما أقاموا ناسين أسمال التناقض الفلسفي التي لم يستطع محاولو التوفيق : (فيلون وابيـلا وابن رشد)ترقيعها !!

ج ـ نموذج من التناقض ـ قصة التناسخ

التناقض بين الفلاسفة (ومنهم السبعة المعصومون برأي الاخوان بدهي واكثر من ان يحصر وان اخذنا هنا قصة التناسخ وحدها ، اذ معلوم ان التناسخ اناخ على رقاب كل اوجل الامم القديمة ولا يزال عالقاً في من يذكرنا بها من معاصرينا كالبوذيين مثلا .

ادخله فيثاغور وافلاطون دائرة الفلسفة ، فرأى افلاطون النفس في عالم المثل السعيدة مطمئنة . وقد صكت جسماً ترابياً فان صادفته حكيما عادت بعد فراقه للمثل ، والا عادت لمخلوق اضعف شأناً تطهيراً لها اوانتقاماً منها .

ومن الجميل ان ارسطو نفسه ـ تلميذ افلاطون ـ ناقش نظرية استاذه وردها اذ لم يجد النفس مسؤولة عن الانحراف ولا ينبغي ان تحمل تبعة دور لم يمثله ، بل شبه ارسطو علاقة النفس بالبدن بعلاقة نغمات المزمار بالمزمار ، يعني ان النغمات ليست مسؤولة عن التنـاسق او عدمه بل المسؤولية على المزمار نفسه .

ورغم هذا احتفظ الاخوان بالتناسخ اذ هو ثروة يزدانية جرجاسية بوذية برهميـة ... ليناودوا : ان فلاناً هو فلان ولو فصلت بين ولادة جسديهما عصور وباعدت دهور ، ولذا وضع الاخوان على لسان الامام علي بن ابي طالب (انا ارسطاليس هذه الامة) وذهبوا في تفسيرمذاهب يعرفها الفائزون بالاطلاع على المخطوطات وشروحهـا المكتوبة وغـير المكتوبـة .

ومن العجب ان الاخوان لا يكادون يتبعون رأياً في موضع حتى يكروا عليه هدمـاً ونقضاً في موضع آخر فهم في ص ١٣٨ من المجلد العاشر يرون النفس التي تعرف الأسرار العميقة تنحط حين فراق الجسد لهاوية البهيمية ، اما التي نعمت بتلك المعرفة فتنهض الى رتبة الملائكة . ثم يقولون في ص ١٦٢ من ذاك المولد نفسه (ان الروح اذا خرجت تأنف من العودة للبدن) .

ومما يجدر ذكره ان افلاطون يرى الرجل قد يتقمص امرأة واحمد بن حائط ـ اليهودي

المختفي تحت ثوب الاعتزال – يزعم ان الشهوانيين يتقمصون بغالا ، حرماناً لهم وتشفياً منهم كي يعلموا انهم جاءوا بسبب تخمتهم السابقة اذ (الجزاء من جنس العمل).

... ثم انقضى عصر الاخوان فأخذت الشروح والحواشي تنهال على تركتهم التناسلية وترينا – علاوة على القمص – نسخاً وفسخاً ورسخاً ومسخاً ووسخاً ، وتستقرأ التركة اليونانية وتستنتج ما فات الاخوان استنتاجه .

مثلا شاهد الشرّاح كلمة الفيلسوف اليوناني (امبيذه قيس) : (الذرات التي يتكون منها الوجود محدودة) فما زالوا يجهدون أنفسهم في محاولة المعنى الباطني – كعادتهم – حتى لقنوا تلاميذهم (الأرواح لا تزيد ولا تنقص).

د - ديك سقراط

لقد استجار الاخوان بالمقدمات البتراء ففاقوا من قبلهم تأويلا وعبّدوا الطريق لمن بعدهم ، ولذا اوّلوا ما شاءوا من أخبار الفلاسفة تأويلا يتبرأ منه الفلاسفة .

مثلا ، قيل ان سقراط قال لأحد تلاميذه ، وهو يواجه الموت : (ان لفلان بذمتي ديكاً فاوفه اياه) .

هذا ما نراه بترجمة سقراط ، وقد اقام الاخوان على هذه القصة قصوراً فزعموا ان سقراط اوصى عند موته بذبح ديك في الهيكل قرباناً للآلهة .

وكأن الاخوان – وفيهم دون ريب الصابئة او المتأثرون بالفكر الصابئي – اغتنموا قصة الديك وشرعوا يتذكرون ماله في الطقوس الصابئية من مكانة مرموقة اذ يرونه مخلوقاً على صورة ملاك قدماه تحت الأرض ورأسه تحت العرش .

وقد أثّرت قصة الديك الاخوانية بكثير من خلفهم الذي عاش برواسب الماضي وما زال يشرحها ويضع عليها (فلفلا وقرنفلا) حتى بورك الديك واصبح (طاووساً) وانتقل من ملاك الى رئيس ملائكة او إله شر .

بل دفعت الجرأة المزدوجة بعدم الايمان قوماً فوضعوا على لسان رسول الله ﷺ ، حول الديك ما لم يقله ، كما نرى في الأحاديث الموضوعة .

وهكذا ذهب الاخوان ولم يذهب ديكهم السقراطي اذ لا يزال عالقاً في الطقوس اليزيدية كما نرى في (الجلوة ومصحف رش) وسواهم من الفرق التي تعيش للآن في معاطن الصابئة كالشبك وغيرها من الفرق التي لا تخرج عن دائرة (البويوروق) .

٥ - الاخوان والخرافات الصابئية

لقد بعث الاخوان خرافات الصابئة تحت اسم الفلسفة ، فألحقوا الطلاسم والعزائم وتأثير الكواكب ومعرفة ايام الحرب والسلم والسعد والنحس وسواها من اضاحيك عجائب الحروف والأوفاق التي تكفل بجمعها وتخليدها كتاب (شمس المعارف) للبوني الصابئي ، ألحقوا هذا كله بالفلسفة .

ويظهر ان هناك خرافات صابئية عز على الاخوان تركها دون تسجيل ، ولذا سجلوها منسوبة لافلاطون ، منها قصة الراعي الذي عثر على خاتم،ان ادار فصّه لظاهر الكف شاهده الحاضرون او لباطن الكف لم يستطيعوا مشاهدته رغم وجوده ،ومنها قصة قميص آدم المزركش يصور جميع الوحوش فاذا لبسه الصياد وشاهد وحشاً فما عليه الا ان يضع كفه على صورته في القميص يقف ذاك الوحش جامداً .

وكأن الاخوان عجزوا عن إسناد ما يريدون لحكماء معروفين كسقراط او لمدارس فلسفية معروفة كالمشائين ، فشرعوا يلصقون ما شاءوا بمجهولين كالحكيم (فاردموس ومدرجة الاقعورسية) .

لقد وقف اخوان الصفا تجاه الفلسفة موقف الذي يحافظ على المعنى ويبدل القافية : أنسوا بقول فيثاغور : (ان المجتمع فسد ولا بد من تطهيره بالفلسفة) فأبدلوا كلمة مجتمع بشريعة ورأوها (فسدت ودنست بالضلالات) وجعلوها مرجوحة بالفلسفة .

وأنسوا بالأعداد الفيثاغورية ورأوها بيت قصيدهم ورأس مالهم وضموا لها (طبعاً عملا بسنة التطور) ما زعموه اسراراً ورموز حروف ونادوا بلسان أحد اقطابهم (زيد بن رفاعة) « ان نقطة الباء من تحت ونقطتي التاء من فوق واهمال الالف ... ليس امراً مرتجلا بل اسراراً خفيت على المحرومين .

وانسوا برأي « منيذ وقليس حول العناصر الأربعة : الماء الهواء التراب والنار » فأضافوا لها اربعات « اليبوسة ، البرودة ، الرطوبة ، والحرارة » « الربيع الصيف الشتاء والخريف » « الشمال الجنوب الصبا والدبور » « النبات المعدن الحيوان والانسان » .

* * *

بهذا - كما يرى القارىء - جمعت رسالة الاخوان ثروة السلف الباطني واحاطتها بمفاهيم خلعت عليها ثوباً خيلته فلسفياً ودفعته للتخلف كقواعد للقياس ، فالتقى السلف والخلف وان تغايرت الديار وتعددت الاسماء وتباينت المعاول .

٢ – التأويل :

سمع بعض تلاميذ سقراط (العلم هو الفضيلة) اي طريقها والمدخل المفضي للظفر بها .
وما ان بلغت فلول السوفسطائية الذين أحالوا الدواء داء حتى قالوا :

« حيث ان العلم هو الفضيلة اي ثمرة العلم الفضيلة ، فعلينا ان نلتقط الثمرة دون ان نجهد انفسنا بمشقة تحصيد اذ المقصود الفضيلة وجد العلم ام لم يوجد » .

وقد ضرب على هذه الوتيرة نفسها اخوان الصفا بتفسيرهم اركان الاسلام الخمسة فقالوا : « المقصود من القيام بالاركان سعادة المجتمع ونحن قد نذرنا انفسنا لها سواء قمنا بهذه الاركان عملياً ام لم نقم » .

ولا عجب فقد حاول سلف الاخوان كالحلاج مثلا ان ينقضوا الاركان بيد التأويل ولكن الاخوان فاقوا من قبلهم فزعموا أن لها معانيا خفيت الا عليهم فاكتفوا بالعبادات الفلسفية التي لا تزيد على تنسك يوم اول الشهرويوموسطه ويوم آخره ، كما اكتفوا بالاعياد الصابئية واليزدانية وخيلوا للمستجيبين ان هذا تذكار لتقلب الطبيعة .

* * *

لقد تجاهل الاخوان — تنفيذ الخطط اجمعوا على تنفيذها ليلا — ان تأويل الصريح الذي لا يحتمل تأويلا ، دليل على شيء كامن بنفس المأوّل الذي يحاول اعلانه سواء حالفته النصوص واللغة والقرائن ام ناكرته .

لقد تجاهلوا ان العاقل لا يلجأ للتأويل الا اذا كان العقل السليم يثبت ان التمسك بالمعنى الحرفي يفضي لمعان لا تنسجم مع مقاصد المتكلم او مع واقع الحياة .

اذا تعذرت الحقيقة يصار الى المجاز

تجاهل الاخوان هذه القاعدة اللغوية الفقهية القانونية النابعة من صميم الحياة التي ترينا التأويل لا يستطيع هبوط ساحة احتملت الحقيقة وتشير الى ان تأويل ما لم يتعذر فهمه على ضوء الحقيقة يفضي لأضرار اجتماعية .

لقد تجاهل الاخوان — وهم اساطين تفسير التركة الافلوطينية الحديثة — ان « فيلون » الفيلسوف اليهودي الافلوطيني ما زال يبلغ بتأويل اوامرونواهي وقصص العهد القديم اكراما يعني الفلسفة حتى بلغ مرحلة تأليه عزير عزرا (١) .

---

(١) قال قوم بألوهية عزير ثم زالوا وزالت هذه العقيدة معهم ، وقد حققنا هذا في كتابنا (دين ابراهيم

وقد خشي مجلس الجالوت (١) من انزلاقات (فيلون) وحذر من مخاطرها الفيلسوف ليهودي الهولاندي باروخ سبينوزا (٢) ونادى ان تفسير التوراة يجب ان يكون بالتوراة لا بالفلسفة اليونانية وغيرها كما خشي ابو حامد الغزالي (٣) وابن رشد (٤) من فتح باب التأويل ـ غير المشروط ـ الذي لم يجد مستنداً الا الاعداد والحروف الابجديةوجزما بأنه يثمر اعتقادات غريبة ويخلق احزابا وفرقا متباينة واتفقا بأنه تعد على النصوص الصريحة او جهل بمقاصدها .

وكان ابن رشد تعمد الرد على الاخوان ومن ضرب على وتيرتهم فقال « ان الدين يرمي بشعائره واوامره ونواهيه الى غايات خلقية واجتماعية بها صلاح المجتمع وسعادته » وقال : « ان العبادات تؤدي للمصلحة الاجتماعية الخلقية » «٥» .

ولم يقل « علينا ان ننفذ لتلك الغايات دون المرور بتلك الشعائر والاوامر والنواهي » كما اراد الاخوان .

محمد علي الزعبي

يا رب

يا رب لا تجعل سبيلا للمنى	متهدما واحبُ النفوس نفيسا
وامنن على القفر الجديب بجنة	وانشر على ثوب الظلام شموسا
واملأ كؤوس الملهمين بخمرة	من ذاقها ذاق النعيم كؤوسا
وانظر الى ايامهم متعطفا	وارفع الى قمم الشموخ رؤوسا
واجبر من الطير الكسير جناحه	حتى يعود على الغصون جليسا
مترنما يهب الزمان روائعا	ويسيل في السمع الرهيف دروسا
يا رب قد صاح الشعور معبراً	فجلا أليما في الفؤاد حبيسا
ما زال يستهديك حتى صعّدت	أنفاسه من حرها تقديسا

الاسكندرية احمد محمود عرفة

(١) حول مهمة الجالوت (رياسة الجالية)في التاريخ اليهودي راجع كتابنا(اسرائيل بنت بريطانيا البكر)
(٢) عاش ومات في القرن السابع عشر للميلاد .
(٣) راجع كتابيه (قانون التأويل) و (الفرق بين الاسلام والزندقة) .
(٤) راجع كتابه (الكشف) .
(٥) راجع كتابه (تهافت الفلاسفة) ص ٥٢٧ و ٥٨١ و ٥٨٤ من طبعة الاب بويج بيروت ١٩٣٠ تجد بحوث القيمة حول هذا الموضوع .

تكلمي

نظم : ابراهيم بري

يا ندوة السمر الشهي تكلمي عن مأثرات شبابك المتعلم
انا في فنائك واقف فكأنني شخص تسمّر عند مدخل زمزم
ما دار عبلة غير رسم دارس لولا قصائد عنتر المتيم
فهو الذي نسج الخلود لعبلة ولدارها ، بقصيده المترنم
« فنود تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرها المتبسم

* * *

فلرب كوخ في تواضعه غدا افقا يمر عليه ركب الانجم
ولرب بيت في ضيافة اهله أمسى ملاذ التائه المتألم
فإذا به يسمو وينهض للعلا واذا بنا فيه نلوذ ونحتمي
واذا بنا نلقى الكمال بظله في شوق مغرمة ولهفة مغرم

* * *

مرحى كمال المخلصين . . ويا هلا بالقائد الفذ الذي لم يُهزم
بأكفه رفع المنار لصحبه ليروا الهداية في الطريق المظلم
وجبينه حاشا الاباء فما انحنى يوما لسطوة ظالم متظلم
انا لنلتمس الخلاص بكفه من قبضة الزمن اللئيم المجرم
من قسوة الشرع الذي لعبت به كف الغني بجرأة وتهكم
ما ان يخلص ذاته من طلسم حتى تدحرجه الاكف لطلسم
شتان بين فتى تزعم امة وفتى يقلد خطوة المتزعم

* * *

مرحى لأشبال الجهاد تسارعوا للذب عن حرم الفقير المعدم
ما تاجروا بدم الرفاق كغيرهم كلا ، ولا ركعوا امام الدرهم

انا واياكم شباب رسالة فيحاء تنفح بالعبير الاكرم
دمنا اشتراكي المزاج وارضنا في موعدلقطاف اخصبموسم
ما دام رائدنا الثبات ، فاننا للضيم لم نخضع ولم نستسلم

* * *

غدنا يهيب بنا ، يصيح مناديا يا امة العرب ازحفي وتقدمي
العلم بين يديك صاف ورده فتعلمي ما شئت منه وعلمي
لك اومأ الحكم العتيد بطرفه فاذا حكمت حذار ان تتحكمي

* * *

لولاانحراف الغابرين وظلمهم لم ينصدع مجد ولم يتهدم
تلكالعروشهوتوقدسحبالبلى قدميه فوق زجاجها المتحطم
من اين يحضنها البقاء وحولها أنات محروم وجهشة معدم

* * *

هي صرخة الانسانيطلب حقه من جاره المتسلط المتنعم
ولسوف نبني صرح عزتنا بها بعناد منتحر وعزم مصمم
من وقفة «الشحاذ» يطلب قرشه فوقالرصيف بلهجة المسترحم
يرنو لأبهة الغني بنظرة خرساء تنضحبالدموع وبالدم

* * *

من مصرعالعمال ينزف جرحهم ذهبا تدفق في جيوب المتخم
يبنون منجمه على اشلائهم واليه يرجع كسب ذاك المنجم

* * *

من حيرة الاعمى تجر به العصا في زحمة الدرب الخفي المبهم
يمشيعلى ضوء الخيال يشع من اعماق اعماق الفؤاد الملهم

* * *

من معولالفلاحيقدح في الثرى ناراً تئز بصدره المتضرم
ويدق اضلاع الصخور بآلة صماء تكتسح الصخور فترتمي

* * *

تقضي المروءة ان نصون بلادنا — من كل غائلة وكل تهجم

* * *

لبنان كان حمى الشريد ، وموئلا — فيه الخلائق تستجير وتحتمي
او صورة رسم الإله خطوطها — بيراعه ، وشبيهها لم يرسم
جر الجفاء عليه ذيل غبائه — وانسل فيه مثل صل ارقم
والطائفية فيه امست حية — رقطا تعض بنابها المتسمم
وبه امتيازات الدخيل تأممت — الا المحبة فيه لم تتأمم

* * *

اني اصارحكم بلهجة مخلص — والحق والكلم المبين على فمي
ولقد تلعثمني الصراحة في الهوى — لكنني بالحق لم اتلعثم
فاذا مضينا في العناد فاننا — نضع البلاد على شفير جهنم

* * *

قولوا لأبناء المسيح تبادلوا — قبل الحنان مع الشباب المسلم
وليبق كل فتى وراء حدوده — عند التهافت لاقتسام المغنم
حاشا الإله ، ونحن جبلة كفه — في ان يميز فاطما عن مريم

* * *

هذي رسالتنا ، وتلك خطوطها — وضحت امام العاقل المتفهم
حسبي ، اذا اعتز الأنام بدينهم — اني الى دين المحبة انتمي

ابراهيم بري

الرسول الكريم يحكم بين خصمين

يروى عن النبي ﷺ ان رجلين اختصما اليه في مواريث واشياء قد درست . فقال عليه السلام : « لعل احدكم ان يكون الحن بحجته من الآخر فمن قضيت له من حق اخيه فإنما اقطع له قطعة من النار » .

فقال كل واحد من الرجلين : « يا رسول الله ، حقي هذا لصاحبي .

فقال : « لا ولكن اذهبا فتوخيا ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه »

مرحباً بالجديد

صفحة من مذكرات المرحوم أحمد زكي ابو شادي المخطوطة ★

مرحباً بالجديد حتى ولو كان جديداً من الأذى واللهيب !
قد اضعنا عاماً وعاماً حيارى ومشينا على الشقاء الرهيب !
ودفنّا بالأمس ذعراً وآلاماً ، وكم بددت أعز قلوب
واصطحبنا (١) في مأمل ما له معنى ازاء البلاء والتعذيب
هدنة هذه ليوم عصيب ، مستهين بكل يوم عصيب
قبل أن نعرف السلام ونشفى ـ ليت شعري ـ من داء هذه الحروب

وقد شعت الفرحة في كل مكان اتيح لي التنقل فيه ساعة الظهيرة بين شوارع الاسكندرية الفرنجية . وكانت كعكات رأس السنة ــ على رغم أزمة الحرب التي تتفرع عليها أزمات ــ تتهادى فوق أيدي الخدم النوبيين كأنها عرائس الأحلام محمولة على أيدي أتباعها من الجن الى حيث معابد التقديس تحت راية باخوس (٢) .

أليس هؤلاء من بناته وقد قدمن من مدينته بالرمل ليجمعن احب الطرائف التي يفتنّ في احتسائها وفي تذوقها والدهن العزيز !

وعدت الى بيتي قانعاً بمتعة (ليدي هاملتون) التي سأراها بعد الظهر في سينما رويال بصحبة ابنتي (صفية) . وقد كانت هذه الدراما بل المأساة متعة فنية حقاً ، فلما انتهيت الى

(★) كان المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي طيب الله ثراه قد اوصى لنا بمذكراته ، وطلب ان تصدر هذه المذكرات باسمينا بعد ان اضع لها مقدمة واعلق عليها بما اراه مناسباً . وقد حالت ظروف قاهرة دون طبعها ـ الى الآن ـ وهذه احدى يومياته نخص بها العرفان الشهيرة في عددها الجديد ،

روكس بن زائد العزيزي
ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان

(١) اشارة الى تناول شراب الصباح تحية لرأس السنة .
(٢) إله الخمر عند الرومان ويسميه اليونان ديونيزوس .

منزلي اخيراً اتاح لي حديث الاعجاب بتمثيل (فيفين لي) لدور إماليري هاملتون ، وبتمثيل (لورنس اوليفير . لدور لورد نلسون ، وبالإخراج الفني البديع الجريء الذي اشتهر بـه (الكسندر كوردا . أتاح لي فرصة الاستعارة مرة اخرى من زوجتي لكتاب (حياة ليدي هاملتون) تأليف (هربرت بيلي) فقضيت شطراً من ليلتي اطالعــه او بالاحرى اجدد مطالعتـــه .

وقد زاد الكتاب سحراً ومهابة وقداسة في نظري بعد أن تشربت ذلك الفن التمثيـلي الرائع ، والنسخة التي الى جانبي لها مهابتها اصلا لا لفخامة طبعها وصورها فحسب بل لانها قبل ذلك النسخة الأصلية التي سجل عليها المؤلف بخطه اهداءها الى الشاعر الفكتوري العظيم الجرنون تشارلس سونبرن ، وكان ذلك بتاريخ ٥ ابريل سنة ١٩٠٧ اي قبل وفاة سونبرن بسنتين ، وأتيح لزوجتي ان تشتريها في سنة ١٩١٦ من تركة ذلك الشاعر العظيم ، فاعتزت بها من ذلك الوقت . ويذكرني سونبرن بشوقي ، فقد فتن كلاهما اهل زمانـــه بموسيقـــاه الساحرة حتى اختلت الموازين والتعاريف والتقديرات ولا استثني من ذلك صديقي الدكتور زكي مبارك الذي أملت عليه شجاعته الأدبية مقالا بديعاً عن (الشوقيات) في العدد الأخير من الرسالة ، وقد حالت الشواغل دون التمعن الكافي فيه ، فلأتركه الى الغد . لقد اشتـد هطول المطر في صحبة عاصفة شديدة ، وما في مثل هذا الجو تطيب المطالعة الليلية المتأخرة ، وحسبي من غنم اليوم اني عشت مرتين في فترة رائعة من التاريخ الحي .

احمد زكي ابو شادي

بعض الاقدام لا تزل عند روائح المال

كان لزبيدة زوجة الرشيد سبحة من يواقيت رمانية حباتها في حجم البنــدق ، وكانت اشترتها بخمسين الف دينار . وجرى بين الرشيد وبينها ذكر زهد عمــارة بن حمزة وعـلو همته ، فقالت :

ان الأقدام الثابتة تزل عن مواطئها عند روائح المال ، فادع به وهب له سبحتي هذه ، فان ردها عرفنا زهده .

ففعل . وخلا الرشيد به في أمر مهم ، ثم أهداه السبحة ، فوضعها عمارة بين يديه بعد شكر بره . ولما قام تركها مكانها .

فقالت زبيدة : قد نسيها فاتبعه خادماً بها !

فرجع الخادم قائلا : « ان عمارة قد وهبها لي » . فأعطته زبيدة الف دينار وارتجعتها منه .

خواطر مصطاف في لبنان

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

اعتاد ابناء الامة العربية ممن عشقوا لبنان ان يصطافوا في ربوعه ، ويمتعوا النفوس في جباله وهضابه ، وبين أوديته وعند سواحله . يستوحي منه الشعراء أغاريدهم ، ويأخذ منه الكتاب أفكارهم ، ويتناجى في ظلال صنوبره وسنديانه العشاق المولهون ويتدارس في قضايا الساعة الساسة المحنكون ويتعاقد فيه التجار النشيطون !

والكل من هؤلاء واولئك اذا زاروه عادوا الى اوطانهم وفي نفوسهم لوعة ، وفي قلوبهم جمرة لفراقه ، لقصر أشهر الصيف فيه ، وطولها في غيره ، لأن ساعات المرح في جنباته كثيرة وفي سوحه وافرة ، وفي ملاهيه وأنديته متوفرة .

غير ان كل هذا لا يمنع المصطاف المحب للبنان ، والمقدّر لشعبه ونبوغه ، والمخلص لأبنائه ، والمعجب بأمجاده ، ان يقول كلمة الحق ، ويشير الى مواطن العلة ، ويتفحص جوانب الحقيقة ، ليصل الى جوهرها ومكنونها ، ومن اتساع قلوب اللبنانيين ، وعقولهم ، ومحبتهم ، ما يشفع له ؟

سارحة والرب راعيها

كتب أحد السواق هذه العبارة على سيارته ، وكانت سرعتها في الساعة حوالي ثمانين كيلومتراً ، على طريق بحمدون المحطة ــ بيروت ــ منحدرة في منعطفات متعرجة ، كأنها التواءات افاعي الصحراء !! وهو يلتفت يمنة ويسرة ، يتحدث مع جاره مرة ، فاتحاً الراديو تارة اخرى ، ساباً زميله في المهنة لأنه سبقه بضع خطوات ، مالىء الجو ضجة وصخباً ، ان قلت له مهلا في سيرك ، فأرواح الناس ليست ملكاً لك جأر كالثور المصارع ، وان خاطبته بشدة صرخ بكلمات كأنها شواظ من جهنم ، « سارحة والرب راعيها ! » .

التفت إليّ جاري الذي كان راكباً معنا وهو من أعالي جرود لبنان . قال لي ثق ياأخي العراقي : يا ضيفنا الكريم اني كل يوم اودع اهلي عندما اذهب الى عملي بهذه السيارات ، كما

لو كنت مسافراً الى اميركا ، خوفاً بأن لا أعود اليهم سالماً مساء ، كل هذا خشية من طيش السواقين عندنا في لبنان وسرعتهم الجنونية !

ان (مفوضية السياحة والاصطياف) ملزمة في رعاية نفوس الناس والحفاظ على راحتهم وايجاد مصلحة نقل عامة لنقل الركاب . تكون تحت رعايتها وادارة شؤونها لتلافي الأخطار ولحفظ كرامات الناس وأرواحهم ضيوفاً ومواطنين .

السائق هو مرآة البلاد ، واكثر الناس احتكاكاً بمن يزورها ، ويسكنها ، يعلم الاسرار ، ويسمع الاخبار ، ويحمل في واسطته الارواح الغالية . وينقل النفوس المقدسة . ولا اعتقد ان وقوف بضعة أنفار من شرطة السير في منعطفات بعض الطرق كاف لردع سواق موسم الاصطياف وتهذيب أخلاقهم .

وفي حكاية (المصطافة الهندية) التي نقلتها صحيفة كبيرة من صحف بيروت لدليل على ما نقول (١) قالت الصحيفة بعنوان :

« الطريق الى بحمدون » :

« لبنان بحكم موقعه الجغرافي وطبيعة مناخه اصبح بلداً سياحياً ومركزه هذا يدر عليه أرباحاً طائلة تشكل دعامة هامة للاقتصاد اللبناني » .

والواجب اذن ان يحفظ لبنان هذه النعمة التي خصه الله بها وان يزيل العقبات التي يمكن ان تعترض المصطاف والسائح وخصوصاً من اللا أخلاقيين الذين لا يقدرون المسؤولية ولا القيم الاخلاقية واخص بقولي ذلك السائق الذي طلبت منه وهي امرأة هندية ان يوصلها الى بحمدون حيث تقيم وعائلة كويتية .

كان ذلك في العاصمة عند المساء فوافق السائق بعد أن قبض ضعف ما يستحق وسار ولكن المرأة لم تصل الى بحمدون بل وصلت الى بلدة السعديات جنوب الدامور فسألت المرأة عن الطريق فقال لها : هذه هي الطريق مختصرة فقالت : لا أظن ذلك لان بحمدون بلا بحر فأجاب السائق : ان في لبنان بلدين بحمدون الجبل وبحمدون الجنوب وها قد وصلنا بحمدون الجنوب وبإمكانك أن تنزلي الآن . ونزلت المرأة خوفاً وبكت في الظلام ... وعاد السائق الى بيروت منتصراً « ضحكته رطل » لقد تباهى بفعلته هذه أمام زملائه « انه شاطر » فما رأيكم ورأي زملائه بعد ان اشترى المهانة لنفسه ولوطنه بأبخس ثمن . حقاً انه تافه وحرام

---

(١) راجع جريدة (صوت العروبة) العدد ١٤٥٠ س١٦ في ٢٧ آب ١٩٦٣ في باب (المنبر الحر) ص ٥ بقلم الاستاذ (م . كعوش) .

على من كان على شاكلته ان يتظلل بظل لبنان بلد الحرية والكرامة » .

وبعد كل هذا نرى من يحمي هؤلاء ، ويصون مصالحهم لانهم من اتبــاع « فلان » وخاصة « علان » .

واين المراكز الرسمية لمفوضية السياحة والاصطياف ، في مدن الاصطياف ، لــترى ما يحدث ، ولتسمع ما يقال ؟ ان لها دائرة في العاصمة (بيروت) لا يعرف مقرها الا الاقلون كي لا تزعج نفسها بمشاكل المصطافين ، وفي قضايا المواطنين . ولها من طبع المصورات ، ورسم الخرائط ، ووضع التسعيرات ما يشغلها عن هذه الامور الثانوية !!

المطرب الذري ، والراقصة الصاروخية

كل شيء ينفق في لبنان ، وخاصة في فصل الصيف ، فالبضاعة الكــاسدة في اماكن اخرى ، تجد لها سوقاً رائجة ، في هذا البلد . والسر ان المصطافــين الذين لم يتعب بعضهم بالمال التي يحملها معه . يجد لزاماً عليه ان ينفقها في أتفه الاسباب والمغريات .

والغريب ان الصحافة اللبنانية تساهم بقسط كبير في الدعاية الكاذبة لمثل هذه البضاعة الكاسدة . بينما لا تقرأ الا بضعة اسطر منزوية عن تقدير أديب ، وتكريم شاعر ، جاءت للاستهلاك المحلي . وتراها تنشر الاخبار والاعلانات عن اغاني المطرب (الكبير) والمطربة الكبيرة وتصف الاول (بالذري) والثانية (بالصاروخية) وكل شيء مجهول مغمور صغير تكبره الدعاية الصحفية اللبنانية . بالنابغة ، والمبدع ، والفنــان . وما يتبــع ذلك من صفات ونعوت !!؟

تكريم العاملين وملكات الجمال

اذا كان للجمال من ملكات ، فلماذا لا يعطى نصيب لملكات القبح مثلا . مع ان الجمال لا تظهر ميزته دون وجود القبح !!

ان التسابق على قيام ملكات الجمال شيء حسن لكن الذي حضرناه وطالعناه في الصحف عن وجوه الملكات تجعلك تشك في أذواق المحكمين ، وفي طهــارة ضمائرهم ، وفي عدالة موازينهم .

فلماذا لا تقام مباريات للشعر والادب ، ومسابقات للأذكياء والنوابغ ، والاديبــات الفاضلات ، والكاتبات والصحافيات ؟؟ السبب انما بوجود مباريات الجمال ، تفتح قناني الخمور ، وتسيل اقداح اللذة ، وتنتشر روائح النشوة المحرمة ، وتهدر كرامات الحسن ، وتعرض بضائع برسم البيع ، والمتاجرة ، والمصاهرة .

ان بلداً كلبنان تزخر جباله وهضابه وأوديته وسواحله بالمبدعين ،الاذكياء ،المهرة يجب ان تكون مبارياته غير مقتصرة على الجمال وحده بل تتعداه الى مجالات اخرى ، ترفع من اسمه ، وتقدر ابناءه ، وتشيد بمآثرهم ، واعمالهم وبطولاتهم حتى يصح قول الشاعر الاخ (سعيد فياض) من قصيدته (موطن العلياء) (١) .

« انا من لبنان ، ارض الطيب والسحر الحلال »
« موطن العلياء والنعماء ، والبيض العوالي »
زفني أهلي الى المجد ، وما زلت فتيا
فاحتضنت المكرمات الغر ، والقلب الابيا
وتطلعت الى الافق ، فأبصرت الثريا
تنحني فوق أعالي موطني ، شيئاً فشيا
وعلى مفرقها ظل النجوم المتلالي
ينثر النور ، على سهلي ، وبحري ، وجبالي

المهاجر الاستاذ العسراوي

في زيارة قصيرة لرأس المتن وكان معي الاستاذ (ابو امين) وديع ملاعب من بيصور اجتمعنا في مجلس الاستاذ عجاج نويهض ، بالمغترب اللبناني المعروف في الاوساط الثقافية البرازيلية (بسان باولو) الاستاذ نجيب عسراوي ، سكرتير المعهد البرازيلي للثقافة العربية. وهو من الذين مثلوا العراق تبرعاً منه في الاجتماعات الادبية والعلمية ، والقى عدة محاضرات عن العبقرية العربية واثرها في البرازيل . وفي مختلف الاحاديث التي جال فيها ، وتحدث بشؤونها ، رأيته الرجل المثقف الصريح المدرك ، المجرب ، لاوضاع وطنه،والمهجري الذي عاش فيه أغلب عمره .

وكانت أغلب أحاديث الضيوف ، تنحصر في لبنان وقضاياه وعروبته ، فقال الاستاذ نويهض : ان العروبة تنحصر في هذا البلد في جبال عاملة ، وجبال المردة ، وجبال بني معروف ، وهذه الجبال اللبنانية ، هي الاساس في وجود عروبة لبنان ، من حيث شمائل سكانها ، وتقاليدهم القديمة .

ولم تؤثر على لبنان وعروبته ، الا الثقافات الغربية التي وفدت عليه منذ مطلع القرن التاسع عشر . والثقافة هي السلاح ذو الحدين ، يُحارب به ، ويحارب فيه . وأشار بصراحة

(١) راجع (هنا بيروت مجلة الاذاعة اللبنانية لشهر آب ١٩٦٣ ص٣) .

المثقف الى قضية الطائفية ، في هذا البلد وهي التي تعوق لبنان عن السير قدماً نحو المجالات الواسعة ، والتماسك المتين .

واراد احد الحاضرين ، ان ينفي قوة الصراع الطائفي في لبنان ويبرهن على ذلك . فأجابه الاستاذ العسراوي . اننا دائماً مع شدة الاسف نعالج قضايانا في الشرق بروح العاطفة ، ونداوي الداء في ظواهره ، دون ان نصل الى اسبابه وجذوره فلهذا تفشل دائماً السبل لحل مشاكلنا . ثم دلّل على قوله بأن هناك طفلين يعيشان سوية منذ الطفولة في قرية لبنانية وهما مختلفان طائفة ، نراهما منذ الصغر متجاورين محبة ، واتصالا ، وتفاهماً . ولكن سرعان ما يشبا عن طوق الحداثة ، ويربط بينهما الحب ، ويطلب الشاب يد الفتاة الاوتنبعث الطائفية من جذورها ، وتمد برأسها وتقول : بأن هذا دينه كذا وهذه طائفتها كذا ، فالدين يمنع ، والطائفة لا ترتضي بذلك وتنقلب الجيرة الى عداوة ، والمحبة الى جفاء ، وتكون النتيجة اما دماء تراق ، او نفوس تزهق ، او بعد لا عودة فيه .

وقد سألته : وهل مثل هذا في المهجر ؟ فقال : لا يوجد الا بقاياه عندنا هناك، لاتصال العرب مع غيرهم من الامم .

واستطلعت رأيه عن حالة الادب واللغة العربية في المهاجر ، فأجاب لقد ضعف شأنها وقلّت صحفها ، ومات اكثر المدافعين ، والمتكلمين فيها ، وانطوت صحائف امهر الكتاب والشعراء البارزين هناك في تلك الاوساط ، او رجع بعضهم عائداً الى وطنه القديم .

قلت : حبذا لو تهتم وزارات التربية والتعليم والثقافة عندنا في بلاد الشرق العربي، لتلافي الامر ، ولصيانة روح اللغة العربية وتراثها في المهاجر البعيدة . فترسل البعوث وتفتح المدارس والمعاهد ، تعلم فيها اللغة ، وتقوم بنشر الدعاية الصحيحة عن بلادها ، وسكانها ، وشعوبها . والاستاذ الماهر يقوم في مجال عمله ، اذا نصف ، وقدر ، واحترم اكثر مما يقوم به الاديب ، داخل منزله ، والسفير في سفارته ، والصحفي وراء مكتبه .

انا ضيف عندكم

أجرت مدامعي هذه الكلمة عندما سمعتها من فم والد الاستاذ وديع ملاعب . وهو الشيخ (ابو نجيب) يوسف امين ملاعب من بيصور ، الذي أقعدته الحياة عن العمل ، وأضعفت هيكله ، ولكنها لم تضعف روحه ، ولم تذهب تفاؤله وبشاشته مع كبر سنه . جئناه متوسطين لامر يخص احد ابنائه فقال :

يا اولادي انا ضيف عندكم ، انتم اهل الدار ، اعملوا ما ترونه مناسباً ، اهلا وسهلا بمن

دخل هذا البيت . هو صاحبه ونحن ضيوفه ، ان هذا الشيخ الجليل اعطانا بقوله هذا عظات وعبرا . وعرض لنا ملامحاً عن حقيقة الحياة وصوراً . ومنحنا دروساً بأن الطمع والجشع والانانية ، وحب المادة ، والتكالب عليها والغطرسة والجبروت كلها زائلة . وما نحن الا الضيوف المسافرون في هذه الدنيا شئنا ام ابينا . اخبرنا بذلك الواقع ، وجسّمته لنا المودة وذكرته لنا كتب التاريخ ، وصوّرته لنا الحوادث .

وما على الضعيف الا ان يكون خفيف الظل ، طيب النفس ، سمح القلب ، محباً لاهله ، ومضيفيه ، وعشيرته واصحابه ، حتى يذكر بطيب الاعمال ، وحسن الاخلاق ، وجميل الاحدوثة .

ودعنا الشيخ الوالد ، الذي استعرضت شخصيته أمامنا بعض احداث التاريخ اللبناني العربي . وكفاح ابنائه ومقاومتهم للمستعمرين ، هنا وهناك ، ولا يخفى ان الشيخ ابو نجيب كانت لا تفوته المعارك الوطنية في بلاده . وفي معارك المجاهد سلطان باشا الاطرش في جبل الدروز .

حي الله لبنان وابناءه كم فيه من صور ، وعبر ، وأحداث ، ومفاتن ، يحتاج لكل واحد منها مقال . ولكل موقف فيه حديث (١) والرحمة الواسعة لذلك الشيخ الذي وافته منيته بعد تسطير هذه الاحرف ، وتلك الزيارة .

بغداد محسن جمال الدين

عمران بن حطان والحجاج

لما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ، فقال عمران لبئسما أدبك أهلك يا حجاج ! كيف امنت ان اجيبك بمثل ما لقيتني به ، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها ؟

فأطرق الحجاج استحياء وقال : خلوا عنه فخرج الى اصحابه فقالوا : والله ما أطلقك الا الله . فارجع الى حربه معنا . فقال : هيهات . غل يداً مطلقها ، وأسر رقبة معتقها .

العقد المستعصية

ـــ ليس لثلاث حيلة : فقر يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ، ومرض يمازجه هرم .

(١) سنوافي (العرفان) الاغر بمقالات ودراسات اخرى عن اتصالاتنا الادبية ، وزياراتنا الاخوية ، في ربوعه ، مع طائفة من ابنائه الكرام ، اصحاب الادب والعلم والشعر فيه ،

جبع

زار الشاعر جبعاً فأوحت له هذه الأبيات على صعوبة القافية وندرتها :

جبع توسطت الجما … ل وكل جوهرة وسط
هي نقطة في جيمه … والحرف زين بالنقط
يا جنة في أرضها … عقد الجمان قد انفرط
سبحان من اضفى الجما … ل على رباك وما غمط
نمط من الحسن المجسد … لا يعادله نمط
للأرض قد نزلت من الفر … دوس لكن بالغلط
انهارها تعلو الهضا … ب وبعد لأي تنبسط
تجري كذوب من لجين … على ربيع مختلط
يا حبذا زهر بروضك … ان تماسك او سقط
والصبح فيك اذا اعتلى … والليل فيك اذا هبط
فتن العيون تجمعت … برباك يا جبع فقط
رسم الإله جمـالها … خطاً ووشحه بخط
وجبالها الخضراء تز … خر بالجمال وتغتبط
وعلى «القبي» مفاتن … ما حاد عنها الحسن قط
تستمتع الأبصار فيه … بين كثبان وشط
هما درتان تآختا … دهراً وضمهما صفط
بدمشق تزهو غوطة … ورباك تزهو بالغُوط
يشفي العليل نسيم صبحك … ان تنفس او نشط
حسب الحقيقة ان تقال … فلا غلو ولا شطط
شيّبت ناصية الزمان … وشيب روضك ما وخط
اين الغزاة وعهدهم … والعرب قومك والنبط
نزلوا سريعاً من علٍ … كالطير قد علّى وحط
وبقيت شامخة على الأيام … في ابهى خطط
ألهمت قبلي شاعراً (١) … اطرى جمالك واشترط

فتى الجبل

---

(١) اشارة الى ابيات الشاعر احمد الصافي النجفي التي وصف فيها جبع وصفاً رائعاً ولكنه اشترط في نهاية الابيات شرطاً لا نوافق عليه .

نحو اتجاه ثقافي موحد في بلادي

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

نجحت ثورتنا القومية والوطنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأصبحت المسافة بيننا اليوم في هذه النواحي وبين ماضينا القريب والبعيد شاسعة ، واذا تلفتنا الى حالتنا قبل أحد عشر عاماً هالنا الفرق بينها وبين حالتنا اليوم وأدركنا الى اي مدى وصلنا اليه في هذا الأمد القصير .

ولكن الأمر الذي يجب أن نتدبره جميعاً اليوم وأن ندرسه دراسة نزيهة ، هو الجانب الثقافي من جوانب حياتنا المضيئة المشرقة التي نعتز بها .

الجانب الثقافي الذي هو محور حياتنا كلها وأساسها ، وهو الركن الكبير في حضارتنا على طول عصور التاريخ ومحورها .

الجانب الثقافي الذي يعد اكبر سفير وأعظم دعاية لمصر في العالمين العربي والاسلامي بل في انحاء العالم كافة .

الجانب الثقافي الذي مثلته جامعة الأزهر على مر الأجيال ، ثم جامعاتنا المعاصرة وصحفنا ومجلاتنا الثقافية العتيدة ، وفي مقدمتها مجلة الرسالة المصرية التي أدت لمصر وللعروبة وللاسلام واللغة العربية وآدابها وثقافاتها ، وللحضارة المصرية القديمة والحديثة أجل الخدمات وكذلك آزرتها في مهمتها مجلات : الثقافة والكاتب المصري ومجلة علم النفس ، ومن قبل مجلة المقتطف وغيرها من المجلات الذائعة الشهرة والاثر في كل مكان . كما مثلته كذلك هيئاتنا الأدبية ومعاهدنا الثقافية ومجامعنا اللغوية والعلمية وسواها من مظاهر الحيوية الثقافية .

وقد أثمر هذا النشاط الثقافي ، وأتى أكله وحمل كل عربي وكل مسلم على أن يعتبر مصر قبلته وان ييمم وجهه شطر القاهرة مركز هذا النشاط ومحوره وحمل العرب كلهم على اعتناق فكرة القومية العربية والوحدة العربية عن ايمان وعقيدة . وخرج ادباء وشعرا وكتاباً يحملون رسالة العروبة ، ويعبرون عن آمالهم ، وفي مقدمتهم حافظ وشوقي ومحر

والرصافي ومطران والزهاوي والشبيبي والشاعر القروي والياس فرحات والأخطل الصغير وابو ريشة ثم ابو شادي وناجي وعلي محمود طـه والشابي والتيجـاني بشير وغيرهم من الشعراء ، والمنفلوطي وطه حسين والزيات والعقـادوسواهم من الكتـاب . ممن حملوا رسالة العربية والعروبة وتعلم على آرائهم وكتبهم شباب العالم العربي والاسلامي طيلة نصف قرن او يزيد .

– ٢ –

وحياتنا الثقافية اليوم من ناحية الكم ضخمة هائلة . ومن ناحية الكيف والاثر هزيلة ضئيلة والعامل الا كبر الذي يوجهها اليوم هو عامل الاستمرار ، اي استمرار الحركة . الى جانب عامل الدعاية وحدها . واذا اردنا ان نصور حياتنا الثقافيه اليوم تصويراً يقربها من الحقيقة والواقع والتصور امكننا ان نلتمسها فيما يلي :

١ – الاهتمام بالكم وحده دون الاهتمام بالكيف او بالتوجيه ، او بالأثر المـترتب على ذلك .. الفروع الثقافية كثيرة جداً تنشأ لحاجة ولغير حاجة . وتترك لأناس لا يملكون القدرة على احداث الثمرة المطلوبة منها . لا يملكون القدرة على التخطيط والتوجيه . لا يعرفون وضع برامج لها : ولا يحاسبون انفسهم على نتائجها .. جامعاتنا اصبحت كثيرة . والأساتذة اصبحوا اكثر من الكثير ولكن الانتاج قليل : والبيئة الجامعية فقيرة في كل شيء واهـتمام الاستاذ بكتابه وتوزيعه والاعلان عنه واكراه الطلاب عليـه يفوق اهتمامـه بكل شيء ويضحي من اجله بكل شيء حتى بالجانب العلمي والمناهج مضطربة يدخلهـا التغيـير والتبديل كل عام وقدرة الاستاذ على صقل عقليات طلابه وعلى خلق النبوغ والموهبة فيهم محدودة ضعيفة .

وتنشأ الجامعات صورة مكررة من الجامعات الموجودة فكل جامعة لا بـد ان تحتوي على كلية حقوق وكلية آداب وكلية زراعة وكلية طب وكلية تجارة .. الخ وكل كلية تشابه مثيلتها في كل شيء تقريباً .. بينما كان في الامكان ان تقوم جامعة للصناعة وتنشأ لها كليات ومعاهد في الأمكنة التي تستدعي انشاءها فيها ، وتقوم كذلك جامعة للزراعـة . واخرى للتجارة والاقتصاد . وجامعة للطب ، واخرى للهندسة ، وللبحرية وللطـيران وللجيش ، وللآداب الخ ... وفروع كل جامعة يخصص كل منها بفرع من فروع الدراسة في الجامعة ، فجامعة الآداب مثلا يخصص فرع منها للغات الاوربية والشرقية ، وفرع للآداب العربيـة والشرقية والغربية ، وفرع للفنون ، وفرع للفلسفة ، وفرع للصحافة وفرع للأعلام ، وفرع

المكتبات الى آخره ، ففرع منها في القاهرة وفرع في الاسكندرية مثـلا ، وفرع في أسيوط الخ .. وبذلك ننتقل الى ملاحظة التخصص في التعليم الجامعـي والى عدم التشابه بين الكليات والجامعات المختلفة وقد اردنا ان ننشيء جامعة الأزهر الجديدة التي لها كيان وطابع شخصي مستقل على مر الأجيال : فلم نزد على ان تصورنا اية جامعة حاليـة . فأردنا ان نجعلها على مثالها ؟ كلية للهندسة واخرى للزراعة وثالثة للطب ورابعـة للهندسة وخامسة المعاملات التجارية الخ .. من حيث يقتضي تطوير هذه الجامعة وقانونها التطوير الثوري ان تحافظ على طابعها المتميز . وان نزيد في محاولة تميزها عن غيرها من الجامعات . وهذا هو ما يحافظ عليه ويعمل من أجله الزعيم البطل جمال عبد الناصر ، الذي يعبر بالهامه عن مشاعر امته وارادتها اصدق تعبير ..

واذا نظرنا اليوم الى كليات الادب وجدنا :

أ ـ في جامعة القاهرة كليتان للآداب : كلية الآداب وكلية دار العلوم .

ب ـ في جامعة الازهر كلية للآداب هي كلية الدراسات العربية .

ج ـ في جامعة عين شمس كلية للآداب .

د ـ في جامعة الاسكندرية كلية للآداب .

هـ ـ ولا بد ايضاً ان يكون التخطيط موضوعاً على انشاء كليات للآداب في جامعات اسيوط والمنصورة وطنطا والقناة .

كليات متشابهة في البرامج والتخطيط والنظم دون ان تكون لكل كلية منها شخصيـة مستقلة متميزة .

٢ ـ التنابذ الثقافي .. فبيئاتنا الثقافية تحارب بعضها البعض الآخر ، يهدم بعضها ما يبنيه البعض الآخر . وفي كل هيئة منها أحزاب ثقافية بعضها ينتمي الى الازهر والآخر الى دار العلوم والثالث الى جامعة القاهرة والرابع الى جامعة الاسكندرية والخامس الى المعاهد العليا والسادس والآخرون ينتمون الى شهادات الخبرة والتجربة والحياة . وكل فريق من هؤلاء يتعصب لنفسه ويحارب الفريق الآخر ... وكان لدينا الى زمن قريب روابط بعضها رابطة خريجي جامعات انكلترا . والاخرى خريجو فرنسا والثالثة خريجو جامعات المانيا الخ .. مما يدل على مدى ما بلغنا اليه في حياتنا الثقافية من عصبيات وتجمعات .. بل الاغرب من ذلك كله ان يحكم المشرفون على النشاط الثقافي في الصحف والاذاعة واجهزة الاعـلام المختلفة هذه الطائفية الثقافية في اعمالهم . وان تكون ادارات الثقافة في وزارات الدولة كذلك واضحاً لهذه الحزبية الثقافية والبغيضة . وان تحارب مقالة او يحارب انتاج لان صاحبه من

معهد غير المعهد الذي تخرج منه طائفة المتحكمين والمنتفعين في هذا الفرع الثقافي .. الى غير ذلك من مظاهر هذه العصبيات التي تتحكم كل التحكم في حياتنا الثقافية .

٣ ـ الاهتمام بالصلات الشخصية وبالاسماء قبل الاهتمام بالعمل الثقافي وحده . والشواهد على ذلك كثيرة جداً لا تحصى .. ومن مظاهر ذلك ان نجد شخصاً واحداً يسند اليه عضوية عشرات اللجان ، ويسند اليه كذلك الكثير من الأعمال دون تمييز او كفاية او مقدرة .

٤ ـ فقدان القدرة على الابتكار والاهتمام بالاعمال العادية ، بل تفضيلها أحياناً على الجديدة . وذلك اثر للعوامل السابقة ونتيجة لها .. الى غير ذلك من مظاهر الضعف في حياتنا الثقافية المعاصرة .

ـ ٣ ـ

والشيء الذي اريده ، واريد ان اخلص اليه اخيراً ، وادعو اليه بشدة وإلحاح .. هو وجوب انشاء اكاديمية مصرية ذات فروع متخصصة ينضوي تحتها جميع فروع النشاط الثقافي بالجمهورية العربية المتحدة ، كإدارات وفروع ، وهيئات ثقافية تابعة لها .. من مثل المجلس الاعلى للفنون والآداب ـ المجمع اللغوي ـ الإدارات الثقافية في مختلف الوزارات ـ دار الكتب ـ المؤسسة الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ الدار القومية ـ الهيئات الادبية والثقافية الجمعيات التي لها نشاط ثقافي مثل : الجمعية الجغرافية ، وجمعية الاحصاء والتشريع ـ ومن مثل جمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحيين المركز القومي للبحوث المجلات الثقافية ادارة التراث بوزارة الارشاد معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

هذه الاكاديمية يكون لها ميزانيتها وشخصيتها المعنوية ولا مانع من ان تضاف اليها جميع الجامعات كفروع مستقلة لها واجهزة الاعلام المختلفة في الجمهورية العربية المتحدة وتتبع اداريا رياسة الجمهورية . ويشرف عليها مجلس اعلى تمثل فيه وزارة الثقافة والارشاد ، والتعليم العالي والتربية والتعليم .

ان انشاء مثل هذه الاكاديمية المتخصصة في جميع فروع الثقافة .. سيكون ثورة جديدة في جمهوريتنا الفتية .. ولسوف يتناول المجلس الاعلى المشرف عليها كل اعمالها بالتخطيط والتوجيه والرعاية والتطوير والتوحيد والتعاون المثمر الفعال ..

ولا بد ان تؤدى هذه الاكاديمية رسالتها الجليلة في خدمة الثقافة والحضارة العربية وفي توجيه جميع القوى المفكرة في جمهوريتنا نحو اتجاه ثقافي موحد بإذن الله .

القاهرة محمد عبد المنعم خفاجي

شعراء من جبل عامل

بقلم السيد علي ابراهيم

السيد علي محمود الامين

ولد في شقراء سنة ١٢٧٦ هجرية وتوفي فيها سنة ١٣٢٨ .

يعد هذا السيد الجليل مثلا فريداً في حب الاصلاح والعمل ونقاء السريرة وحسن السيرة بالمدة القليلة التي قضاها في دست الرئاسة فقد عاجلته المنية قبل اتمام رسالته وكثيراً ما نراها تستهدف الاعلام من الناس بسهامها قبل الاوان الطبيعي فكأن الحياة لا تسخو على ابنائها ببعض ثمارها الناضجة اليانعة :

كان رحمه الله محمود النقيبة موفقاً في اموره حلو العشرة حسن المحاضرة على جانب عظيم من رجاحة العقل وكرم الطباع وإصابة الرأي وشرف النفس اتفقت على حبه وتعظيمه الناس من جميع المذاهب فكان بذلك كما هو رجل الدين الواعي رسالة ربه المدرك حقيقة الشريعة ، رمز السلام في الآرض ، وسر خير ، وجوهر محبة ، وأول عمل قام به بعد رجوعه من دار هجرته في العراق ، هو تجديد مدرسة أجداده ، في شقراء ، شرع في بنائها قبل داره فتوافدت عليها الطلاب من جميع الاقطار وتخرج منها علماء أفاضل وبقيت مدة طويلة زاهرة بالعلوم والمعارف ، وهو بهذا يعطي دليلا ثانياً على سموه وارتفاعه عن الرغائب الحقيرة ، فالغاية التي يقصد هي أنبل من الحصول على مال او جاه ، وانما هي نضال وجهاد في سبيل العقيدة ، فهو تارة يهفو لتأسيس دار للعلم وبناء مسجد وطوراً لكتاب نفيس يبذل الوسع في سبيل نشره كما فعل في كتاب مفتاح الكرامة فقد اوفد العلماء لمصر لطبعه وتنقيحه .

كانت من أبرز صفاته الكياسة والورع والتعقل والحزم في فض الخصومات والقضاء بين الناس يوم كان المرجع الديني ينظر بأكثر قضايا المواطنين ويحلها بطريقة سعيدة لا تكلف الناس جهداً ولا عناء ، وكم هي جميلة تلك الايام التي خلت وذهبت بالصفاء والسعادة، يوم كان للناس قادة وسراة يرجعون اليهم ويحترمونهم ويخضعون لحكمهم طوعاً ورضاً دون ان يمس ذلك بكرامتهم وعزة نفوسهم .

هو شاعر مرهف الاحساس تتدفق شاعريته بشتى الصور والالوان، ويملك طاقة عجيبة لاختيار اللفظ الانيق الذي يعبر عن شعوره ، ولم يكن له من بواعث الشعر ودوافع الوحي والإلهام غير مجالس الاخوان والاصفياء ومطارحة الادباء بالمنتزهات الجميلة في جنوب لبنان فوقف يستنطق الآثار الخالدة الباقية ، فاسمعه يقف أمام قلعة دوبيه التي جدد بناءها الشيخ ظاهر بن نصار النصار وفيها اختبأ الامير يونس المعني بولديه ملحم وحمدان من وجه احمد باشا والي صيدا المازحف بعساكره لمحاربة اخيه فخر الدين كما التجأ الامير فخر الدين الى قلعة شقيف تيرون سنة ١٠٤٤ .

قفا نسأل عن الحصن المشيد ... وعمن حل فيه من الجنود
فقد طال السهى شرفاً وفخراً ... بمن علاه ذي البطش الشديد
وكم أضحت بلا نكد زماناً ... مغانيه مرابض للاسود
وكم برحابه ربطت جياد ... بها الايام حلّت اي جيد
وكم شربوا لدى مغناه كأساً ... معتقة على نغمات عود
قضى حق الحفاظ به رجال ... قد انطبعوا على حفظ العهود
وحلّت في مرابعه اسود ... ضراغم كم تحلت بالبنود
وكم حسدتهم قدماً ملوك ... عليه فكان غيضاً للحسود
هموا دعموا القباب به فأضحت ... مناخ المجتدين من الوفود
بدت لقصوره شرفات عز ... تحدثنا عن الشرف التليد
وكم فيه مراصد للأعادي ... تصدهم عن المرمى البعيد
اذا ما سددوا منها سهاماً ... أصابوا القوم عن رأي سديد
تأسس فوق رابية كؤد ... يصد بها العدو عن الصعود

وله يصف مجلساً في القلعة المذكورة :

نحن في قلعة وحصن منيع ... خيّمت حولنا جنود الربيع

وبذاك الثغر المصون جموع للأقاحي تحصّنت بجموع
ولدينا الشقيف ناضل حتى صبغ الارض جيده بالنجيع
ولورد الرياض شوكة بأس ظهرت في خلال تلك الربوع
وقنا الياسمين مذ مال نحو النرجس الغض خرّ اي صريع
ويدالقطر خوف بأس الاعادي نسجت للربى اعز دروع
ما ترى الجو قد تنكب قوساً وانتضى البرق غرب سيف صنيع
وغدت خوف ذا وذاك عيون السحب تبكي على الربى بدموع

وتحدث عنهم مجالس الادب انهم كانوا فئة كريمة رعت عهد الجمال ولبّت دعوة الحسن في الطبيعة على الربى والسفوح ، وفي السهول والمروج ، والمنعطفات والوديان ، فهم بين لهو وطرب ، وانشاد شعر ومساجلة حديث ، يرجعون لسيرة الماضين من الادباء باحثين بالآثار منقبين مستلهمين علماء نقاد يحسنون التقدير والتقييم ، فئة كريمة لم يكن لها هدف سوى الدعوة للخير ونشر العلم والفضل وتعميم الاحسان وبث مكارم الاخلاق والتحلّي بالفضائل والصفات العالية ، وتشجيع المعروف والعمل به وجلاء الاريحية والنجدة للعيون المترقبة اليقظى ، ويكون السيد بينهم قطب الرحى ومحور الخواطر المندفعة الجياشة ، ولا يلبث قليلا حتى يتحرك فيه طبع الشاعر وحافز الالهام فيخاطب وادي السلوقي بقوله :

طرّزت ثرة السحاب الدفوق بصنوف الازهار وادي السلوقي
وجرت كاللجين فيه مياه راق سلساها بلا راووق
فوق حصباء كالدراري تزهو ببريق يفوق لمع البروق
وزها روضه الانيق ونفس الصب تهفو لكل روض أنيق
كم ترى من بنفسج واقاح في رباه ونرجس وشقيق
وخطيب من الورود ينادي حيهلا على ورود الرحيق
وعلى ضفتيه اثل ورند ومن البان كل غصن وريق
لاعبته الصبا فعانق غصن آخراً مثل شائق ومشوق
فلقد لذ للمحبين فيه نشوة من صبوحه والغبوق
خلته مذ كسا السحاب رباه ببرود الشقيق وادي العقيق
فتق الزهر في ثراه نسيم فحبانا بنشر مسك فتيق

قام للنور فيه سوق عناق فاق في حسنه على كل سوق
وغنا الطير فيه أغنى الندامى عن أغاني أسحق بالموسيقي
قم بنا نركب الطريق اليه ضل من ضل عنه نهج الطريق
فالى مثله تحج بنو اللهو وتأتي من كل فج عميق
فوق اكوار ضمر ناجيات او على سرج كل مهر عتيق
يسبق الطرف ان جرى الطرف منها ويفوت السهام عند المروق
واذا راح يصحب الريح قالت بي رفقاً يا صاحبي وشقيقي
كامل الخلق والمحاسن يزهو بإهاب مضمخ بالخلوق
زاحم الشهب مذنزا فأصابت بين عينيه غرة العيوق

ولهم محاورات ومناظرات ينتظمون فيها جماعات تهب لنجدة الداعي ، فما هو ان ينبعث شاعر بقافية شرود ، حتى يتلقفها اخوان له اصفياء فيجعلونها موضوعاً لنجوى وعنواناً لحديث ، وشرارة توقد ناراً أدبية لا يخمد أوارها ، وقد يكون الباعث لكل هذا تفضيل مهد من مهود الجمال على غيره كما يقول السيد في بركة المرج .

بركة المجد لا عدتك الغوادي كم تروّت لديك غلة صادي
راق ماء ما بين روض أنيق في ثراها ورق تغريد شادي
زانها نرجس ونور أقاح بين آس معطر الابراد
فغدا موجها محط رحال لوفود الوراد والرواد
لمع الماء صافياً في ثراها فأرتنا السماء بين الوهاد
طرزتها يد الرياض فأضحى فائقاً حسنها على كل نادي
وعجبنا والشهب تلمع فيها من ضرام في مائها ذي اتقاد
هي بين الأزهار شمس تبدت وضح الصبح بين شهب بوادي
آنست مقلتي بها نور انس ظل فيها لمبتغي الانس هادي
حسدتها عين السلوقي حتى سفحت دمعها على سفح وادي
تلك قرت عيناً وذي شأنها النوح وسح الدموع سح الغوادي
بين هذي وتلك بون بعيد عرفته جماعة الوراد

علي ابراهيم

حي اللواء وحي الجيش والعلما(١)

نظم : سعيد فياض

حي اللواء وحي الجيش والعلما ... وعانق الشط في لبنان والقمما
يا شعر . يانشوة الابداع ، ياقطعا ... من كل حس الذوق الرفيع نما
وانثر على واحة الأرز التي انسلخت ... من جنة الحسن ، عطر يصبغ الديما
وشنّف القلب والأسماع في بلد ... زكا تراباً وأنساماً وطاب سما
حيث الربيع خصيب في مرابعه ... يستقبل الصبح والامساء مبتسما
لو غابت الشمس عن كل الدنا بقيت ... في حضن أجوائه تستعذب النسما
جباله وشواطيه تحف بها ... أمجاد أمس فريد عزز القيما
رعا الجمال وذر الطيب فانتشيا ... وحول أرجائه الخضراء قد انسجما
وسار بالحرف من صيدون عبر دنا ... أضلّها الجهل يبغي سوقها قدما
فكان للجود ان ينمو على يده ... لما استحال عطاء هذب الأمما
وعلّم الناس ان الفكر ما ارتفعت ... راياته البيض لو لم يتخذه حمى
فهو العطاء على كل الدروب سرى ... دفقاً من البذل ، لم ينضب ولا فطما
وهو الشجاعة . ان خطب ألمّ به ... وما تصرم فيها العزم او ثلما
نجد الشريد ، وغوث المعتفين ومن ... نبا به دهره ، واعتل او سقما
المانح الخير ذا عقل وذا خلق ... والمانع الحيف عن مستضعف هزما
اعطى ويعطي وحسب الفخر ما بذلت ... نعماه من مكرمات تقطر الشمما
وحسبنا من عطاياه التي ازدحمت ... (شهاب) فجر مشع مزق الظلما
أطل كالشمس يفري ليل محنتنا ... وينثر النور لم يبخل ، ولا سئما
يوم انتخى في بلادي الشر وانعدمت ... اخوة ، وغدونا ننكر الذمما
ويوم سرنا ودرب الحقد يدفعنا ... نحو الفناء فكدنا نلتقي العدما

---

(١) بمناسبة الذكرى الخامسة لتولي فخامة اللواء الامير فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية فاضت قرائح الشعراء وانطلقت اقلام الكتاب معددة مناقب الرئيس وآثاره واعماله . وها هو الشاعر الاستاذ سعيد فياض من المظلومين اذ لم يجدوا له حتى زاوية في وزارة الانباء يبرز في هذا الميدان .

ويوم زلت بنا الأقدام وارتطمت صدورنا بعداء أذهل الشما
ويوم عشنا على أحقادنا ، وغدت تهمي المحاجر دمعاً والقلوب دما
فاستأصل الحقد في أيــد معودة على الجميل ، ولم يترك بنا ورما
وردّنا لسداد الرأي منطقه وقد عصيناه فاستأنى وما برما
حتى غدا لجميع الناس محتكماً ووالداً حانياً براً .. ومعتصما
تنبو الرغاب بنا حيناً ، فيدفعها بحكمة الرفق ، وهو العزم لو عزما
وتستبد ببعض القوم مظلمة فيتقيها ، ولم يحقد ، ولا انتقما
يسوسنا وأياد الحلم رائده أكرم به حاكماً بالعنف ما وصما
ويتقي الله فينا عند مجهلة اذ استوى عنده القسطاس ما حكما
تلقاه في الصبح يرعى الناس في دعة وفي الدجى يعبــد الخلاق محتشما
ما كان للجاه يوماً ان يند بــه نحو المباهج ، وهو الحر لو اثما
حاشاه ان يرتوي من غير حكمته او ان يرى بسوى الإيثار متسما

* * *

ايلول . . . سوف تظل الدهر مؤتلقاً في كل ذهن ، نميراً سلسل النعما
فيك اعتلى الحاكم العدل الذي بزغت شموس أضوائه . . لا تعرف القدما
هو الأمير اللواء الفذ . قد عظمت أحسابه . . . وهو في اعماله عظما
تاج الملوك نضار زخرفته يــد وتاجه عن نياط القلب ما انفصما
وكل عرش على هام القلوب علا يبقى خلوداً ببقيا الدهر ملتحــما

سعيد فياض

ثلاثة

قال بعض العقلاء : « امسكوا المعروف عن ثلاثة : عن اللئيم فانه بمنزلة الأرض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذي صنعت اليه انما هو خوفاً من فحشه ، والأحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه » .

تفاحة وتفاحة

أهدت جارية الى المهدي تفاحة ، فأعجب بهذه الهدية وقال :

تفاحة من عند نفاحة جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدري أأبصرتهـــا يقظان أم أبصرتها في الرقاد

مصدر القانون عند الشعوب البدائية

بقلم زيد الزين

اذا كان من الصعوبة بمكان إعطاء تعريف كامل لكلمة القانون فهنالك مهمة أصعب وهي معرفة بدايته . فاذا تعمقنا بعيداً عبر التاريخ نرى شكلا من أشكال القانون في الوجود لأن العادات مصدر القانون . ولعل قانون حمورابي هو أقدم قانون مكتوب ويمتاز بالتطور الذي أدخله على مجتمع ذلك الزمان اذ حل نظام عدلي محل الثأر . وأوجب أن تعاقب الجرائم بموجب القانون . عدا عن الحماية التي اعطيت للأرامل والأيتام والحقوق الممنوحة للنساء . ومن المحتمل انه وجدت قوانين وشرائع منذ مئات السنين قبل حمورابي فجاءت شريعة حمورابي لتبلور هذه المفاهيم في قانون مكتوب .

اعتبر فريق من العلماء على ان صعوبة معرفة طبيعة ومصدر القانون في المجتمعات البدائية انما تعود لعدم وجود سلطة عامة مسؤولة تستطيع وضع التشريعات وإعلان القوانين فليس هنالك اداة الحكم الصحيحة لسن وتطبيق القوانين في مجتمع بدائي يخضع للعادات التي تملي عليه كل عمل وتفكير وحتى كل كلمة ينطق بها . لكن بالرغم من عدم وجود شرائع مكتوبة ومحاكم وقضاة وشرطة في تلك المجتمعات فقد كوّنت العادات المتبعة مجموعة من القواعد كانت تطبق بدافع خفي وبقوة الاستمرار دون أن يشعر احد بأنها تقوم مقام قانون مكتوب كذلك سادت آنئذ القوانين الوضعية التي كانت تقوم مقام القانون المدني. اذ كانت العادات المتبعة من قبل قبيلة ما تعرف بها القبيلة الاخرى فتتفادى ارتكاب ما تحرمه غيرها على أساس المعاملة بالمثل وليس هنا مجال للخوض في بحث الروابط بين القبائل المختلفة بل ما يهمنا هو الوصول الى مصدر القانون ، ونوه السير هنري ماين بأنه من الأسهل معرفة مصدر المشرعين من معرفة مصدر القانون فالمشرعين الأول كانوا يدّعون بأنهم يقومون بعملهم بموجب الصلاحيات الممنوحة لهم من قوى ما وراء الطبيعة من مصدر إلهي . فالحاكم او الملك يقوم بوظيفة القاضي . وهو إما ان يكون قائداً في الجيش او كاهناً ، هذا نادراً ما يحصل لأن الذي يدعي السلطة كان فريق ممن نسميهم بالسحرة او المشعوذين فكان الرجل منهم يدّعي بأنه أخضع قوى الطبيعة لإرادته فهو قادر على كل شيء وصالح وقادر على إيذاء أخصامه

ونشأت طبقة من الأطباء الذين كانوا يثرثرون ويهدّون ، فهم يشفون من الأمراض وهم الذين ينزلون الأمطار ويوزعون الخيرات على الناس . ولا تمضي مدة طويلة حتى يتزعم القبيلة ويصبح السلطان المطلق فيها يأمر وينهي بمشيئته . لكن الأوضاع لم تبق على هذا المنوال ، اذ هبت على العالم موجات فكرية وحضارية مختلفة اقتلعت جذور الشعوذة لتبني مجتمعاً أساسه العلم ورائده النظام . وقد تركت الأنظمة القديمة آثاراً في بعض البلدان كما وأنها أثرت في تكوين القانون وتطوره .

اعتبر الميكادو في اليابان شخصية فريدة تجسدت فيها القدرة الإلهية المنزلة آلهة الشمس أما تيراسو اوميكامي ، الآلهة التي تسيطر على العالم . ونص دستور اليابان لسنة ١٨٨٩ بأن الامبراطور مقدس ومعصوم وعبادته حقيقة واقعة لأنه بنظرهم هو ابن السماء .

وفي الصين في عهد الامبراطورية كان يوجد عدة أشخاص آلهة عددهم حوالي ١٠٦ ثلاثون منهم في تيبت و١٩ في منغوليا الشمالية و ٥٧ في منغوليا الجنوبية . أما اعظم هؤلاء الآلهة البشريين فهو الامبراطور الذي يتمركز بين يديه السلطان والذي يمارس سلطة ليس فقط على السكان فحسب بل على هؤلاء الآلهة . وعند قدماء المصريين مارس الملك سلطة سماوية فهو الإله الصالح الذي يجب عبادته وهو ابن الشمس محاط بالتيجان الشمسية ومسلح بالأسلحة الشمسية والصورة الحية على الأرض لأبيه ثم الهليوبولي .

أما قدماء ملوك اليونان وايطاليا فقد كانوا يعتبرون أنفسهم كهنة وملوكاً ورؤساء دول غير أنه عندما يفقد الحاكم صفة الكهنوت فلا يمكنه ان يبقى ملكاً . وقد ابرزت التقاليد جميع الملوك الرومان كهنة ، الاول كان رومولوس الذي انشأ وفقاً للطقوس الدينية . وفي ظل الدستور الملكي جمع الملك بين القيادة العسكرية ورئاسة الكهنوت يساعده في بعض صلاحياته مجلس الشيوخ ومجلس الشعب . على ان الاعتقاد السائد في روما بأنه لا يمكن لاحد ان يكون حاكماً عادلا اذا لم يكن يعرف القانون ولا يمكن لاحد معرفة القانون لم اذا يتعمق في الدين .

طرأت على فكرة الملكية المطلقة عدة تطورات عبر السنين وكانت الصفة الدينية تنزع منه وترجع اليه تارة اخرى وحصلت عدة محاولات لنزع هالة القدسية عن شخص الملك خلال مدة من الزمن ثم عادت الفكرة لتحتل مكانتها على العرش من جديد كما يظهر لنا من قصة سفير ادوار الثالث . ففي سنة ١٣٤٠ بعث ادوار الثالث بسفيره الأخ فرنسوا الى دوقة فينيسية ليدعمه في الحرب ضد فرنسا ويقول الرواة بأن السفير اراد ان يبرهن كيف

ان ادوار بذل جهوداً جبارة لتجنب الحرب وان الملك بعث لهذه الغاية برسالة الى فيليب دي فالو مقترحاً عدة حلول لتسوية النزاع واحدها ان فيليب دي فالو هو الملك الحقيقي لفرنسا ومن اجل ذلك عليه ان يبرهن هذه الحقيقة اما بتعريض نفسه الى الذئاب المفترسة لان الذئاب لا تؤذي الملك الحقيقي او بطريقة اخرى عليه ان يشفي العليل من علته المستعصية وهنالك شك في ان يكون الملك قد كتب مثل هذه الرسالة او ان تكون من وضع سفيره لغايات دبلوماسية فالمهم انه يستنتج منها بأن الرجال المتعلمين كانوا لا يزالون يعتقدون بالصفة المقدسة للملك . وبعد مائتي سنة وضع كاهن من شارت دستوراً صدق فيما بعد بالبرلمان في باريس نص فيه على ان الالوهية الملصقة بالملوك غير ناتجة عن الطبيعة بل من خلال البركة السماوية فالطاعة العمياء واجب مقدس . واخيراً كتب بوسويه قائلا : ايها الملوك لكم من سلطتكم وتحملون على جباهكم صفة الالوهية .

اذا تعمقنا في تاريخ المجتمع البشري نرى انه لم يعبر عن القوانين كتابة لعدة اجيال ، اذ انه كثيراً ما كانوا يعتمدون على الذاكرة وتتداولها الايام جيلا بعد جيل . هذه هي الطريقة التقليدية لتطبيق القوانين والتي لعبت دوراً هاماً ليس بالنسبة للقوانين فحسب بل بالنسبة لبقية آفاق الحياة . ومضى وقت اعتمدت قوانين اكثر البلدان الاوروبية على عادات الشعب حتى ان هذه المرحلة مرت بها بلاد انكلترا مع ان قانونها غير مكتوب وتطبق العادات ، لقد مضى الآن ذلك الوقت بالرغم من وجود الكثير من القوانين الملصقة بالعادات الحقيقية لكل شعب في العالم . فبين البدو لا يزال القانون غير مكتوب ويعتمد لوجوده على الانظمة التي يتلقاها الابن عن الاب .

مر كل نظام قانوني لفترة ما في هذه المرحلة التقليدية ففي الايام الاولى للقانون الهندوسي كانت الكتابة غير معروفة وكان الاعتماد بالدرجة الاولى على الذاكرة . فمصادر القانون كانت الاشياء التي تسمع والاشياء التي يمكن تذكرها . ومن المعلوم ان ذاكرة الانسان معرضة لكثير من العيوب التي تتوافر عدة عوامل في تقويتها وروى لنا ارسطو ان شعباً الاغاتيريين عبروا عن قوانينهم بالاغنية قبل معرفتهم الكتابة لئلا ينسوها . وعبر غيرهم من الشعوب بالامثال والشعارات حتى يتمكنوا من حفظها او تذكرها بسهولة ثم ساد مبدأ فلسفي ثابت باستعمال حكمة ما يتناقلها الناس وتتضمن العلاقات بين الرجال والنساء ، الآباء والابناء ، الاسياد والخدم ، والبائع والشاري . انها موجودة في جميع اللغات وبين كافة الشعوب ومنها ما هو عبارة عن محاولة لتوحيد حكمة الاجيال في ابسط شكل مثل

صديق عند الاستقراض وعدو عند المطالبة « والكفيل مصيره الافلاس » ومنهـــا ما تحذر تنصح مثل : المجتمع يولد النزاع ومن الشائع انها تتضمن من صورة منطقية حية مثل تربط بقر بقرونها ويربط الرجال بأقوالهم .

ادى تواتر الامثال القانونية الى نشوء جماعـــات صغيرة ذات ذاكرة قويـــة احتكرت معرفة القانون مدعية لنفسها إجادة المبادىء الاساسية التي يجب حل الخلافات على اساسها في بعض المجتمعات كانت سلطة معرفة القانون وتطبيقه محصورة بموظف مدني . فبين الاسكندنافيين القدامى احتل رجل القانون اعلى مركز مدني . اذ كان الحارس الامين لقانون المقاطعة ومن المتوجب عليه احاطة الشعب بالمعلومات القانونية والاصول الواجب اتباعها امام المحاكم .

لم يكن الحصول على المعلومات القانونية من اختصاص رجل واحد بل فئة من الاشخاص وقد اعتمد الاسلام على حفاظ القرآن بعد موت النبي من اجل تسيـــير امور الدولة . وفي اليونان القديمة كان الملك هو القاضي بصفته حافظاً لقوانين زيوس ومفسراً لقانون المجتمع غير المكتوب . لم يكن يعمل وحده ففي مشهد محاكمة اشيليوس لا يوجد اي ذكر للملك حتى ان هوميروس في اشعاره القديمة يذكر اكثر من قاض خاصة وان بعض النبلاء ساعدوا الملك لتضلعهم في القانون المتعارف عليه آنذاك .

من الواضح انه مما قوى سلطة الجماعة على ممر العصور كون اعضائها من رجال الدين حيث التقى القانون مع الدين في كثير من الاوقات وكونهم من الذين يحفظون هذه المسائل لقوة ذاكرتهم . وعندما عرف الانسان فن الكتابة رفض رجال القانون كتابة معلوماتهم في البداية واعتبروا ذلك انتقاصاً لمقدرتهم وفتح مجالا للتلاعب بالنصوص التي لا يفقههـــا غيرهم . وعندما رغب الرومان كتابة قانونهم الفوا لجنة من عشرة اشخاص كتبوه على عشر لوحات من الخشب والنحاس الاصفر اقيمت خصيصاً للعامة في الميدان الرئيسي . ثم اضيفت لوحتان عليهما واصبح ينظر الى هذه اللوحات الاثني عشرة بكل احترام وحافظت عـــلى سلطتها مدة طويلة بالرغم من صلابتها اذ كان للشكليات اهمية كبرى فلا يمكن ان يتم العقد الا اذا لفظت الكلمات المفروضة واقل غلطة او نقص في الكلمات من شأنـــه ان يبطـــل العقد . فالشكل كل شيء ولا اهمية مطلقاً لروح القانون لكن لا يغرب عن اذهاننا تأثـــير كتابة القوانين على الشعب اذ اصبحت في متناول الجميع بعد ما كانت مقتصرة على فئة قليلة فتحررت من الجميع .

وبالنتيجة فان الوحي المقدس الذي يرجح ان اكثر القوانين استوحت مصدرها منه ، وقد عنصراً محتماً من عدم التمييز في جوهرها . غير ان بقاء القانون في مرحلة المتعارف عليها كان قابلا للنمو والتعديل والتطور اثناء انتقاله من حقبة الى حقبة اخرى وبالرغم من طغيان فئة قليلة ادعت معرفة القانون دون غيرها لم يكن هنالك اي ميل نحو تعديل القانون طالما كان في افواه الرواة . وبرزت هذه الفكرة عندما استقر القانون في شكله المكتوب واصبح النظام القانوني لاول مرة ثابتاً عاماً ومعروفاً وبرز القانون من فترة الغموض والابهام والشك التي سيطرت عليه لمدة من الزمن ليظهر قوياً بين ايدي الجمهور . فالقانون المنطوق بقي مدة كل شيء بالنسبة لجميع الناس بينما القانون المكتوب ظل هو نفسه قانوناً واحداً لجميع الناس .

زيد الزين

صلة عائشة بنت طلحة للغريض

ذكر انه حجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فجاءتها الثريا واخواتها ونساء اهل مكة القرشيات وغيرهن ، وكان الغريض المغني ممن جاء . فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة . فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما امرت لها به عائشة بنت طلحة ، والغريض بالباب . فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له : اغفلناك وذهبت عن قلوبنا . فقال : ما انا ببارح عن بابها او آخذ بحظي منها ، فانها كريمة بنت كرام واندفع يغني بشعر جميل :

تذكرت ليلى والفؤاد عميد وشطت نواها والمزار بعيد

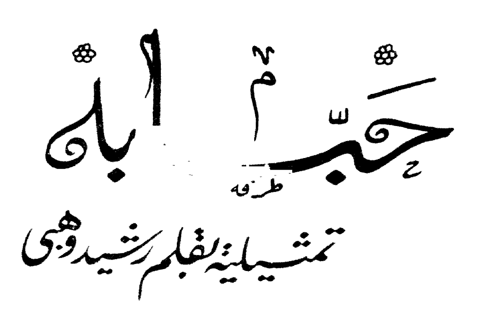
فقالت : ويلكم ! هذا مولى العبلات بالباب يذكر بنفسه ، هاتوه . فدخل . فلما رآنه ضحكت وقالت : لم اعلم مكانك . ثم دعت له بأشياء امرت له بها ، ثم قالت له : ان غنيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا — لشيء سمعته — فغناها من شعر كثيّر .

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي الى اليوم اخفي حبها واداجن
واحمل في ليلى لقوم ضغينة وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقالت له : ما عدوت ما في نفسي ، ووصلته واجزلت اليه :

قول لاعرابي

سمع اعرابي يقول لصديق له : دع ما يسبق الى القلوب انكاره ، وان كان عندك اعتذار فليس من حكى عنك نكراً ، توسعه فيك عذرا .



— ١ —

الاشخاص

يزيد بن عبد الملك	الخليفة
حبابة	قينة
مازن وعمرو	رسولا الخليفة
ابن لاحق	سيد حبابة
مسلمة	اخو الخليفة
سعدة بنت عبد الله	زوجة الخليفة وام مروان
مروان	ابن الخليفة يزيد
ابو امامة	شاعر

غلام ـ جارية او عبد خصي

الزمان : خلافة يزيد بن عبد الملك (٧٢٤م ـ ١٠٥ﻫ »

حبابـــة

— ١ —

(مازن وعمرو وقد اشرفا على قصر ابن لاحق، اصوات والحان)

مازن : لقد وصلنا .

عمرو : أهذا قصره ؟
مازن : نعم هذا قصر ابن لاحق .
عمرو : وما هذه الالحان التي اسمعها ، وما هذه الضجة والصياح ؟ لكأني بهم يحتفلون بعرس .
مازن : واي عرس ؟ ان منزلا فيه حبابة لخليق بعرس دائم كل ليلة وكل صباح ومساء وهذا ما جرت به عادة ابن لاحق . يفتح ابواب قصره لخلانه وضيوفه ، القرباء والغرباء الذين يفدون اليه من كل مكان لا لشيء الا للسماع من حبابة التي طبقت شهرتها الآفاق . ما بلغني مرة ان ابن لاحق رد زائراً او ضيفاً قط وما اتاه صاحب حاجة من اقصى البلاد وادناها الا قضيت حاجته مهما تكبد من جهد او مال ، زاد الله ابن لاحق كرماً ومروءة .
عمرو : اراك تثني عليه ، ما يهمنا هو ان نبلغه طلب امير المؤمنين . اتراه يرد طلبه ؟
مازن : هو مطلب عسير . ولكنني لا اخاله يجرؤ على رده .
(يطرق احدهما الباب)
الخادم : من بالباب .
مازن : رسولا الخليفة لابن لاحق .
الخادم : على الرحب والسعة ، تفضلا .
الخادم : (في المجلس) رسولا امير المؤمنين يستأذنان .
ابن لاحق : (بصوت خافت) ترى ما خطب امير المؤمنين الآن ؟ (بصوت اعلى) ليتفضلا بالدخول .
مازن وعمرو : السلام عليكم .
ابن لاحق : وعليكما السلام . اهلا وسهلا ، قد شرفتما مجلسنا الليلة . تفضلا بالجلوس .
مازن : زدتنا شرفاً ، زادك الله علواً .
(يرتفع صوت حبابة) :

العين تظهر كتماني وتبديه	والقلب يكتم ما ضمنته فيه
فكيف ينكتم المكتوم بينهما	والعين تظهره والقلب يخفيه

مازن : (وهو ساه) تكاد والله تخرجني عن وعيي . كدت الوم امير المؤمنين عن تعلقه بها ولكن ...
ابن لاحق : (مقاطعاً بوجل) امير المؤمنين ؟
مازن : (يرتد الى نفسه) قد بعثنا امير المؤمنين يزيد بن عبدالملك اليك بطلب شراء حبابة

ابن لاحق : يطلب حبابة ؟
مازن : نعم فما تقول في ذلك ؟
ابن لاحق : (يسكت) .
مازن : ماذا ترى يا ابن لاحق ؟
ابن لاحق : (مطرقاً واجماً) لا أدري والله ما أقول وما تعودت طيلة حيـاتي ان ارد لباً مهما كان واياً كان صاحبه . ولو طلب يزيد روحي لبذلتها له . اما حبابة فهي اغلى من روحي عندي (رفع رأسه) والله لا ابيع حبابة ولو قايضني يزيد بخلافه .
عمرو : أتجرؤ على الرفض يا ابن لاحق ؟
ابن لاحق (بأسى) لا حيلة لي ... لا حيلة لي في ذلك .

(لحظة صمت ، يهمان بالخروج)

مازن : إإذن لنا .
ابن لاحق : هكذا سريعاً ؟ بلغا امير المؤمنين اسفي . مع السلامة .
(يخرجان)
مازن (لعمرو وهما في الخارج) : لا يلام ابن لاحق والله . لو كانت حبابة عنـدي وتركتها لحظة لقتلت نفسي . هيا بنا يا عمرو...

- ٢ -

(في مجلس الخليفة يزيد)

يزيد : (في تلهف) ارأيتماها ؟ رأيتما حبابة ؟
مازن : نعم يا امير المؤمنين .
يزيد : ومتى تكون عندي ؟ متى ؟
مازن وعمرو : (يصمتان)
يزيد : مالكما صامتين ؟ تكلما . اردكما ابن لاحق ؟
عمرو : (بصوت منخفض) نعم .
يزيد : (بغضب) الويل له . الويل لك يا ابن لاحق . اين رئيس شرطتي ؟ اين زياد ؟ عليّ به .
الحاجب (ينادي) سعدة زوجة امير المؤمنين .
يزيد : سعدة ؟ (لمازن وعمرو والحضور) تفضلوا بالخروج .

(يخرجون ، لحظة ، تدخل سعدة)

سعدة : السلام على امير المؤمنين .

يزيد : ما مجيئك الآن ؟

سعدة : ما بال امير المؤمنين غاضباً في اوائل عهده بالخلافة . اما قرت عيناك بها ؟

يزيد (يهدأ) آه يا سعدة . كيف تقر عينيّ بالخلافـة . واعجز عن الحصـول على شيء اشتهيه .

سعدة : أهناك ما يُعجز خليفة رسول الله ، المتحكم برقاب عبيده . ترى ما ذاك ؟

يزيد : جارية .. حبابة المكية جارية ابن لاحق لعنه الله . لقد رد من بعثته في طلبهـا (يصيح كأنه تذكر شيئاً) اين زياد ؟

سعدة : وما تريد منه ؟

يزيد : اريد ان يأتيني برأس ابن لاحق . اريد ان ابطش به وان اظفر بحبابة عنوة .

سعدة : مالك وذلك . اتريد ان يبلغ الناس انك فتكت بابن لاحق لاجل جارية ؟ اتريد ان ترمى بالظلم وما مضى عليك شهر في الخلافة .

يزيد : اريد حبابة .. اريد حبابة . سعدة ، ماذا افعل ؟

سعدة : انا آتيك بها .

يزيد : انت ؟

سعدة : نعم ولي عليك حاجة .

يزيد : آتني بها ولك حاجات ... متى اسمعك يا حبابة ... متى ؟ ..

- ٣ -

(سعدة وولدها مروان)

سعدة : إهنأ يا مروان . ستكون ولاية العهد لك إن شاء الله .

مروان : حقاً يا والدتي اعلم ان ولاية العهد لمسلمة عمي . ان ابي يقول لك دائماً عني انني غبي ولا يريدني ولياً لعهده ولكن ماذا فعلت يا امي ؟

سعدة : لي حاجة مقبولة عند امير المؤمنين اذا اتيت له بالجارية حبابة من عند ابن لاحق

مروان : وكيف ستأتين له بها ؟

سعدة : وهل تخاف الا افعل . ها انذا ذاهبة اليها الآن .

مروان : وماذا تقولين لها ؟

سعدة : احرضها على ترك ابن لاحق . سأذكرها بجمالها الباهر وصوتها الساحر وذكائها وظرفها وعلمها ثم كيف تقبل ان تكون بهذا كله جارية من جواري ابن لاحق . سأذكرها انه لا يليق بها سوى قصر الخليفة حيث يطير ذكرها ويقوى سلطانها ونفوذها .

مروان : او تنجحين يا اماه ؟

سعدة : الايام امامنا يا مروان وسترى .

— ٤ —

(في قصر ابن لاحق)

ابن لاحق : اين حبابة ؟ لي ساعة ادعوها ولا تجيب .

الغلام : مولاي كلما ادعوها تتعلل بشتى الأسباب .

ابن لاحق : نعم هي على غير عادتها معي . لا ادري ما بالها في هذه الايام . هاهي اخيراً

حبابة : (ببرود) السلام عليك .

ابن لاحق : وعليك السلام ياحبابة . تعالي الى جانبي (لحظة) مالك ساهمة مطرقة ياحبابة؟

حبابة : ما بي شيء يامولاي .

ابن لاحق : ما سمعت لك صوتاً في هذه الايام . واذا غنيتنـــا رأيت الحزن يطفر من عينك ؟ اطلبي ما تشائين يا حبابة لا اعز عنك شيئاً .

حبابة : مالي حاجة بشيء يا مولاي .

ابن لاحق : بلى قولي .

حبابة : هي نزوة يا مولاي تسيطر على فكري صباح مساء . عنـــدما افكر في نفسي اذكر انني جارية مملوكة لا حول لها ولا طول . ارى سيداتي هنا يأمرن وينهين . فأذكر رقي وعبوديتي لمن يشتريني بالمال .

ابن لاحق : انت حرة يا حبابة ، اذا كان ذلك ما يحزنك .

حبابة : أحقاً ما تقول يا ابن لاحق ؟

ابن لاحق : هو الحق كل الحق . اتغنيني صوتاً الآن ؟

حبابة : (تنهض) لا الآن ولا بعد الآن يا ابن لاحق .

ابن لاحق : ويلك اتذهبين هكذا يا حبابة ؟ اتهجرينني ؟

حبابة : سأترك القصر الساعة الى غير رجعة .

ابن لاحق : هكذا تفعلين بي يا حبابة . ارحميني .. ارحميني .

حبابة : وداعاً يا ابن لاحق سأذكر فضلك .

ابن لاحق : (يصرخ جزعاً) حبابة .. اجننت تعالي الي ، لا تهجريني يا حبابة حبابة ... حبابة ...

– ٥ –

(في قصر الخليفة)

يزيد : ما وراءك يا سعدة .

سعدة : ابشر يا مولاي . ما تمنيته صار اليوم عندك .

يزيد : من ؟ اتعنين حبابة ؟

سعدة : نعم يا مولاي هي . اترى أنني صدقت في كلامي . لقد بذلت الدر والمال كي آتيك بها وانال رضاك يا مولاي .

يزيد : (بلهفة) اين هي ؟ ادخلها بالله ادخلها .

سعدة : ادخلي يا حبابة

(تدخل)

حبابة (بصوت منخفض) السلام على امير المؤمنين .

يزيد : وعليك السلام يا حبابة . لكم انتظرت اليوم الذي اراك فيه هنا في قصري . كم انا مسرور بك يا حبابة . يا غلام مر مدبرة القصر ان تفرد لحبابة جناحاً ولتلب لها جميع طلباتها (يخاطب حبابة) اني بشوق لسماعك يا حبابة آتيك مساء .

حبابة : انا طوع امر مولاي .

يزيد : (للغلام) قد حبابة الى قصرها يا غلام . (الى سعدة بعد لحظة) اذكري حاجتك يا سعدة .

سعدة : ما اريد شيئاً اكثر من ان أراك مسروراً ولكن سأطلب لولدي ، اني اشتهي ان ترضى عنه .

يزيد : رضيت .

سعدة : وان توليه عهدك .

يزيد : (يطرق لحظة وقد فوجيء) لولا انك اشترطت يا سعدة . قد وليته . فاذكري بقية حاجاتك .

سعدة : ما بقيت لي حاجة بعد ...

يتبع

صيدا رشيد وهبي

الرجل الذي اضحك باريس

مترجمة

« كانت آخر كلمته « اني لا اكره الا
شيئاً واحداً .. هو الكراهية ! »

لعل آخر العظماء من رواد مقاهي باريس هو الكاتب المسرحي الشهير (تريستان برنار) ومن المؤكد انه كان اكثرهم اعزازاً وشعبية .. فكلما ظهر في مكان عام كان الناس ينادونه باسمه الاول سواء أكانوا يعرفونه ام لا .. وحتى الآن ، وبعد ١٥ عاماً على وفاته ، فان ذكر اسم (تريستان) لا يشير الا الى شخص واحد فقط .. هو (تريستان برنار) الذي اطلق عليه الروائي رولان دور جيليه اسم : (فيلسوف الابتسامة) .

والمسرحيات التي اشاع بها برنار البهجة في باريس ، (لغو ممتع) .

ولقد كان برنار لا يخفي كراهيته للجهد الذي يبذله في كتابة مسرحياته الهزلية الجذابة . بخلاف انتاجه الذي يبدو وكأنه لم يبذل فيه اي جهد ، عمل شاق مرهق . كان يؤجله كلما استطاع الى ذلك سبيلا وكان اذا اقترح عليه احدهم ان يأتي لزيارته قال له : (ارجوك ان تحضر ، ومن الافضل ان يكون ذلك في الصباح .. فذلك هو الوقت الذي اعمل فيه) وحدث ذات مساء قبل ان يأوي الى فراشه للنوم – وقد اعتزم ان يبدأ العمل مبكراً في اليوم التالي – ان قال لخادمته : (اليزا ، ايقظيني في السابعة فاذا لم استيقظ حتى الثامنة ، فلا تزعجيني حتى الظهر .) وعندما قال له احد رجال النادي : (ليس هناك مكان انام فيه هنيئاً كقاعة المطالعة الكبرى في النادي) رد عليه برنار قائلا : (ذلك لأنك لم تجرب مكتبي)

ولم يكن تريستان يستطيع ان يغضب مطلقاً . حدث مرة ان صدمه عرضاً عامل يحمل ساعة حائط ضخمة عتيقة .. وبدلا من ان يغضب نفض الغبار عن نفسه وابدى ملاحظة ذاع صيتها ، وكثر اقتباسها ، وهي : (لماذا لا تستخدم ساعة يد مثل كل الناس .) .

وذات مرة قال للخادم في احد المطاعم بعد ان قدم له طبق الحساء انه آسف لانه لا يستطيع ان يتناوله وحمل الخادم الحساء ، ثم عاد اليه بنوع آخر .. فقال له برنار انه ما زال آسفاً لأنه لا يستطيع ان يتناول هذا الصنف ايضاً .. وعندئذ اقبل صاحب المطعم مسرعاً ،

واحتج بأنه لم يحدث مطلقاً ان شكا احد الزبائن من انواع الحساء التي يقدمونها من قبل ، فأجابه برنار مؤمناً على كلامه : (انني واثق انها لذيذة) ولكنني لم احصل على ملعقة .

وبعد ان اصبح برنار من كبار كتاب المسرح والفكاهة في بلاده ، عرض عليه زميله الكاتب المسرحي (موريس دوناي) ان يقدم طلباً للانضمام الى الاكاديمية الفرنسية وكانت تعقيدات طلب العضوية بين (الخالدين) معروفة جيداً . ولم تكن اقلها خطاب التقديم الاول الذي ينبغي ان يكون درة من درر الكتابة الانشائية الرائعة ، وان يكتب بخط اليد بعناية على ورق فاخر ، ويقدم رسمياً للسكرتير الدائم .. ولم يكن تريستان ليستطيع ان يزعج نفسه بمثل هذه الشكليات ، فكتب خطابه بإهمال ، وشق الخطاب طريقه حتى وصل الى مكتب السكرتير الدائم . وقبل ان يفيق السكرتير من اثر الصدمة ، وصل خطاب ثان من تريستان يقول فيه انه بعد مزيد من التفكير ، قرر الا يتقدم لعضوية الاكاديمية ! وشرح تريستان الامر فيما بعد قائلا : (ان السترة الرسمية تكلف كثيراً ، وسوف انتظر حتى يموت عضو له نفس حجمي) .

ولم يكن هذا استعراضاً لجرأته وبراعته ، ولكنه كان نموذجاً لعدم اكتراثه الفطري . فقد كان لا يكترث بالرسميات ، مهملا في ثيابه الى حد شنيع وكان رباط عنقه معوجاً دائماً وحذاؤه غير لامع ، ولم يكن في ثيابه شيء يناسب بطريقة لائقة . ولم يكن يهمه الى ان يصل الى حفل عشاء انيق في سترة مسائية ، وبنطلون عتيق !

وكان تريستان لا يأبه للمال ايضاً . فقد ربح كثيراً ، ولكنه لم يكن يعرف اين تذهب النقود .. وقد ادهشه يوماً ان يعرف انه على وشك الافلاس ووبخه محاميه كما يفعل الانسان مع الاطفال . وقال له انه ينبغي ان يخفض مصروفاته . فصاح برنار قائلا : (كلا ! ان لدي من المزعجات ما يكفي من غير حرمان) ، ولكنه سحب رصيده كله من بنك فرنسا لتسوية ديونه . وبينما كان يغادر البنك ، مر بالحارس المسلح الذي يرابط امام المدخل ، فأحنى له رأسه وقال : (اشكرك يا صديقي .. تستطيع ان تنصرف الآن) .

ولقد زادت متاعبه المالية بسبب كرمه الذي بلغ حد الاسراف . فلم يكن يستطيع ان يمر بمتسول دون ان يعطيه شيئاً ، حتى شاع بين المتسولين انه هدف سهل ، وقد اعتاد متسول عجوز ان يرابط بانتظام خارج منزل برنار وحدث ذات صباح في اواخر شهر يوليو ان رآه تريستان وهو يقف في مكانه المعتاد ، فأعطاه مبلغاً كبيراً وقال له : (انني مسافر غداً الى نورماندي ، وهذا مبلغ لشهرين مقدما . فمن حقك ان تأخذ اجازة انت الآخر) .

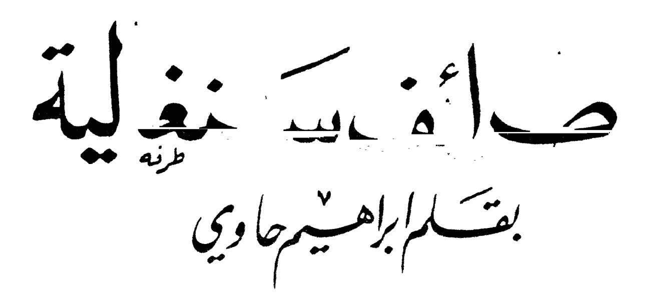
وقال برنار يوما : (ليس من العسير ان يكون الشخص سريع النكتة اذا كان خبيثا).
ولكنه لم يكن خبيثا ابداً .. ولقد كتب ابنه (جان جاك) في مذكرات رقيقة جذابة يقول (ان فكاهته كانت قناعا للعاطفة ، بل كانت في بعض الاحيان ضحكات الكروب) .

وكان برنار يتمتع بمقدرة كبيرة على الحب . وقد كتب يقول : (ان الانسان يتحدث عن اوهام الذين يحبون ، وكان من الافضل ان يتحدث عن عمى اولئك الذين لا يحبون).
ولم يعرف هو مثل هذا العمى ، فقد كان يعبد اسرته ، وتصوره مذكرات ابنــه ابا مرحا ساخراً . وكان يقوم بأعمال مفاجئة حمقاء في المنزل ، فينهض اثناء تناول الطعــام ، ويضع منشفة على ذراعه ويقلد رئيس الخدم المتعاظم في الفنادق ، او يختفي من الغرفة اثناء مأدبة عشاء ، ليعود مدة دقيقة او دقيقتين ، في هيئة سياد قادم من الشمال المتجمد ! كــان يقول معترفا : (انني لن ادخل الطفولة ثانية ، لانني لم ابرح قط المرحلة الاولى) .

وعندما جاء النازي بعد انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية ، اعتقل برنار بين من اعتقلوا ، وكان يومئذ في السابعة والسبعين من عمره والقي به في عربة بضاعة قذرة مزدحمة، وارسل شمالا الى معسكر الرعب في (درانسي) .

وكالسنوات التي عاشها من قبل مع اسرته في كوخهم الهادىء في بريتاني ، كان برنار يملأ كثيراً من ساعاته التي لا نهاية لها بتلاوة أساطير (لافونتين) واغنيات فيرلين واشعار كورني في البطولة . وكان المستمعون فرنسيين : ولعل صوت اديبهم القومي قد اشاع الهدوء في نفوس اولئك الذين قدر لهم الموت .

ونجا تريستان بحياته من معسكر الرعب . على الرغم من ان حفيــده هلك في معسكر (موتهاوسن) .. وعاد الى باريس رجلا محطما .. وكان قد اصبح اصم ، وعندما اقترح عليه اصدقاؤه ان يستعين بجهاز للسمع ، رفض الفكرة قائلا :
(وما الفائدة ؟ ان الانسان لا يسمع الا نفس الاشياء) .
ومع انه كان مرهقا ، مهموما ، فان قلبه لم يكن ينطوي على ايــة مرارة .. وكــان يقــول :
(ان الاحزان والمحن لم تغيرني .. وانني اكره شيئا واحداً فقط ... هو الكراهية !) .



البطولة

سنة ١٩٤٥ تبارز ملاكم اميركي في الجيش الاميركي وشاب عربي (١) لبناني في مدينة دكار وبانتصار الشاب العربي اللبناني اوحيت الأبيات التالية للشاعر لتتلى في حفلة تقام للبطل العربي :

حي البطولة في العرب حي العريقة بالنسب
حي الألى شادوا بها صرح الفضيلة والقبب
حي التي شادوا بها مجداً تطاوله الشهب

* * *

يا ذا الذي في حلبة الأبطال أحرزت القصب
وفيت حق بطولة العرب الكرام كما يجب
واريت خصمك بعدما طاولته ورأى العجب
عزماً يخيب ما يظن العلج من عجز العرب
وصمدت تلقى لكمه بعزيمة تأبى الهرب
حتى اذا خارت قواه ولم يحصل ما طلب
أحكمت فيه لكمة من عزم ساعدك الصلب
فهوت عليه تهده وهوى صريعاً وانقلب
ولوى يجرجر خائبا ذيل الهزيمة وانسحب
ووقفت وقفة باسل كالليث يقدمه الغضب

(١) هو المأسوف على البطولة والشباب فيه حسين فرحات .

متطلعا تلقى على ما التف حولك من صخب
درس البطولة والعزيمة والشجاعة عن كثب
وتقول هكذا كانوا أسلافنا القوم النجب

الشاعر واللحية

اطلق شاعر لحيته او ذقنه عدة اسابيع بإلحاح من بعض معاشريه ممارسا الصبر في تركها ثم كانت الابيات التالية :

الذقن

واقسم ماتركتك عفوقصدي ولكن كنت لي بالرغم عني
طلبت قلاكمنذ فجر عمري ولم تك مرة يا ذقن مني
اصدك داخلا من اي باب فتدخل واغلا من غير اذني
اشد عليك بالموسى نهاراً ولي طمع بليل المطمئن
فتغزوني وقد ذهبت جهودي سدى حيث الصباح ولاكأني
وهكذا في مدى خمسين عاما سجال حربنا من غير طعن

* * *

احاذر طلعة الشمطاء رؤيا كأن بطلعها اشباح جن
وقالوا حلقها في الدين خرق وفي اعفائها نيل التمني
فقلت . . . .
اذات الهم ان افلحت يوما وكان لك ظهيراً كبر سني
فإنك بعد يومك لن تعودي وقد اسلمت موسي للمسنّ
وهيئت الشفار مشحّذات من «الجيليت» تقطع اي ذقن
سأمحوك وأذروك هباء ولم اندم عليك بقرع سني
فيا اخسا اللحا طلعا وشكلا ويا غرض الهجاء متى اكنّي
فكم ادميت فيك الجلد حكاً وخدشاً حيث حرّك لي يعنّي
سأحكم جازما لا مستشيراً بحلقك لا اصيخ لمن يلمني
فما اعفو ولا ارضى فداء فلا تسترفدي عطفي ومنّي

كولك — السنغال: ابراهيم حاوي

القائد الأعظم محمد علي جناح (١)
نبذة من تاريخ حياته

ولد مؤسس الباكستان محمد علي جناح الذي يلقبه الباكستانيون « بالقائد الأعظم » عن احترام وتقدير ... في ٢٥ كانون الأول ١٨٧٦ بمدينة كراتشي . وقد تلقى علومه الأولية في كراتشي ، وظهرت عليه منذ صغره مخايل النجابة والذكاء كما تميز بالنشاط والطموح لكي يصبح رجلا عظيماً . فلا عجب اذن ان ادرك العظمة بمزاياه النادرة وسعة تفكيره . وتصميمه المكين.

وبعد ان فاز بامتحان شهادة « المتريك » وعمره ١٦ عاماً سافر الى انكلترة حيث تخصص بالقانون ونال شهادة المحاماة سنة ١٨٩٦ من جامعة لنكولن . ولدى عودته الى الهند بدأ يمارس المحاماة في كراتشي وعمره ٢٠ عاماً . ثم انتقل في ما بعد الى بومباي حيث انشأ مكتباً ناجحاً للمحاماة . ومنذ مطلع القرن العشرين بدأ يساهم في حركة تحرير البلاد وفي سنة ١٩١٠ انتخب عضواً في المجلس التشريعي الامبراطوري وظل مشتركاً في المجلس التشريعي وفي الجمعية المركزية التي خلفته طوال اكثر من ثلاثين سنة . وفي سنة ١٩١٣ انضم الى الرابطة الاسلامية وهي منظمة انشئت سنة ١٩٠٦ للمحافظة على الحقوق المشروعة للمسلمين الذين كانوا يبلغ عددهم ثلث سكان البلاد . واصبح رئيساً للرابطة الاسلامية لعموم سكان الهند في سنة ١٩١٦ . وقد ناضل طيلة حياته السياسية الحافلة بحماسة وإقدام في سبيل مصالح المسلمين العادلة واصبح بطل الدفاع عن قضيتهم بكل اندفاع وشجاعة .

وقد اقتنع من خلال تجاربه الكثيرة ان مصالح المسلمين السياسية وكيانهم الثقافي المتميز لا يمكن ان تظل مصانة بعد انسحاب الحكم البريطاني من شبه القارة الهندية الباكستانية فكان ان وضع نصب عينيه مشروعاً يقضي بإنشاء وطن منفصل للمسلمين هو الباكستان في المناطق التي يشكل المسلمون فيها الاكثرية . وفي سنة ١٩٤٠ اتخذ قرار باكستان التاريخي في لاهور الذي يطالب بإنشاء الباكستان كدولة مستقلة ذات سيادة . ومنذ ذلك الحين اصبح تحقيق الباكستان الشغل الشاغل لجناح والهدف الرئيسي الذي كرس نفسه للاحقته

(١) ننشرها بمناسبة ذكراه .

ثبات واصرار . وكان ان نجح في النهاية بجعل فكرة الباكستان مقبولة لدى حزب المؤتمر الوطني الهندي ــ المنظمة الهندوسية السياسية في الهند ــ وكذلك لدى الحكومة البريطانية ، كل ذلك بفضل حنكته السياسية النادرة ، وحججه الدستورية ، ودفاعه الذكي البارع .

واصبح القائد الاعظم محمد علي جناح اول حاكم عام لباكستان بعد تأسيسها كدولة مستقلة في ١٤ آب ١٩٤٧ . وكان ان توفي بكراتشي في ١١ ايلول ١٩٤٨ .

اثر جناح في النهضة الاسلامية

بقلم : أ . م . مختار

كان نشوء الباكستان كدولة مستقلة ذات سيادة في ١٤ آب ١٩٤٧ بوحي زعامة القائد الأعظم محمد علي جناح نتيجة منطقية للكفاح الجريء الذي قام به المسلمون في شبه القارة الهندية الباكستانية .

وكان المسلمون قد وجدوا انفسهم في موقف حرج عند قيام الامبراطورية الهنديـــة . وكان اول رد فعل لديهم هو إبقاء انفسهم بمعزل عن الهيئة السياسية وتجنب كل ما من شأنه مخالف لطريقة حياتهم . وقد وجدوا تعزية في ماضيهم المجيد واكتفوا بمركزهم كأمة جردت من السلطة بعد ان حكمت الهند ٧٠٠ سنة ، وكانت حالتهم في تلك الفترة الحرجـــة بائسة تقريباً . وقد اصابهم تدهور معنوي ودمار اقتصادي وجمود ثقافي ، وكان العلامة السيـــد احمد خان اول زعيم مسلم تحقق وضعهم المؤسف وسعى الى احلال تفاهم افضل بين المسلمين وحكومة الهند البريطانية . ولكي يوقظ المسلمين من غفوتهم وحياتهم الجامدة ناشدهم الأخذ بالتعليم العصري ومماشاة مجرى الزمن المتبدل بحيث لا يظلون بمعزل عن التقدم المادي والفكري وفي سنة ١٨٧٧ أسس كلية عليكرة الشرقية التي اصبحت في ما بعد جامعة عليكرة الاسلامية والعصب الحساس لحركة الاصلاح الاسلامية .

وفي تاريخ النهضة الاسلامية كانت الحركات الفكرية التي شنها السيـــد احمد خان على درجة بالغة من الأهمية وشأنها في ذلك شأن اليقظة السياسية التي بعثها جناح . وكان مولانا ألطاف حسين عالي (١٨٣٧ ــ ١٩١٩) في قصيدته الشهيرة « ارتفاع وسقوط الاسلام » قد أيقظ المسلمين من سباتهم العميق . وكذلك وضع الدكتور نذير احمـــد (١٨٣٦ ــ ١٩١٢) بواسطة قصصه امثولة حية من اجل بعث مجتمع المسلمين . وكان ان اعطى تاريخ الاسلام معنى جديداً من قبل المحاضر الكبير السيد امير علي (١٨٤٩ ــ ١٩٢٩) عن طريق كتبه ومؤلفاته ، بينما ساهم مولانا شبلي نعماني (١٨٥٧ ــ ١٩١٩) في النهضة الاسلامية بالهند

عن طريق دراساته النقدية . وكان الدكتور محمد اقبال (١٨٧٣ — ١٩٣٨) الشاعر الفيلسوف اول من بعث ودعا الى فكرة انشاء وطن منفصل للمسلمين .

وازاء هذه اللمحة التاريخية الخاطفة نستطيع ان ننظر الى حياة جناح ومنجزاته بوضوح اكثر .

كانت معتقدات جناح السياسية مبنية على مبادىء راسخة ، وكان من حيث عقليته متسامحاً وصبوراً . ومهما حدث كان يفضل انتظار مجيء التبديلات على مهل بواسطة الوسائل السلمية والدستورية .

وقد ولد جناح في ٢٥ كانون الاول ١٨٧٦ وبدأ حياته العامة كعضو في المجلس التشريعي الامبراطوري عام ١٩١٠ ، وفي المراحل الاولى من حياته كان وطنياً متحمساً في نظرته وتفكيره وكفاحه من اجل الحرية الهندية . وبفضل جهوده توصل الى عقد تفاهم بين حزب المؤتمر الهندي وحزب الرابطة الاسلامية وهما المنظمتان السياسيتان الرئيسيتان في الهند غير المجزأة ، واتفقا على تنفيذ مشروع للاصلاحات كمرحلة معينة نحو الحكم الذاتي وبفضل جهوده وقع الحزبان « حلف لاكنو » الشهير سنة ١٩١٦ الذي يقضي بالتعاون بين الحزبين . ولكن روح التفاوت والتقارب التي حققها جناح لم تعش طويلا ، اذما لبث حزب المؤتمر ان بدل موقفه ولم يبد سوى اهتمام قليل بمصالح المسلمين المشروعة . وهكذا خابت آمال جناح وتحقق انه لا فائدة من قيام تفاهم مشترك مع حزب المؤتمر .

وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) نشأت حركتان ذات مغزى عظيم في الهند ، اذ بدأ حزب المؤتمر بزعامة غاندي حركة « عدم التعاون » بينما كان المسلمون اكثر قلقاً حول مصير تركيا فبدأوا حركة الخلافة تحت زعامة مولانا محمد علي وقد أدت هاتان الحركتان الى نشوء تحالف بين الهندوس والمسلمين . ولكن بعد انهيار حركة الخلافة انفصل المسلمون والهندوس كل في اتجاه ، وعلى اثر اصلاحات عام ١٩١٩ رفض حزب المؤتمر الاشتراك في المجلس التشريعي الذي انشيء حديثاً . وأصبح جناح زعيم حزب مستقل يتألف من المسلمين في المجلس التشريعي المركزي .

وفي سنة ١٩٢٧ بعثت الحكومة البريطانية بلجنة سيمون لوضع توصيات بشأن الشكل الدستوري المقبل للهند . وقد قاطع حزب الرابطة الاسلامية اللجنة . وفي ذلك الحين قدم جناح مشروعه الشهير المتضمن ١٤ نقطة حدد فيها بعبارات واضحة المطالب الضرورية

لحماية حقوق المسلمين ، وفي سنة ١٩٣٠ دعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وطلب الزعماء المسلمون ان ينص الدستور المقبل على حماية حقوق المسلمين وفي حوالي تلك الفترة عقدت الرابطة الاسلامية اجتماعاً في الله آباد برئاسة الشاعر الفيلسوف الكبير الدكتور اقبال . وفي تلك الاجتماعات التاريخية طالب اقبال بإقامة دولة اسلامية في شبه القارة . وقال : « ... اود ان ارى البنجاب واقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوشستان مندمجة في دولة واحدة ذات حكم ذاتي داخل الامبراطورية البريطانية اوبدونها وهي تبدو لي المصير النهائي للمسلمين » .

ونتيجة لذلك أصبح هذا الطلب بإنشاء وطن منفصل الهدف السياسي الرئيسي للمسلمين في الهند غير المجزأة وكرس جناح نفسه بكليته لتحقيق الفكرة التي تنبأ بها اقبال . وكخطوة اولى لم يشكل جناح حزب الرابطة الاسلامية في المجلس التشريعي فحسب ، بل دعا أيضاً الى عقد اجتماع لهذا الحزب في بومباي عام ١٩٣٦ حيث تقرر الاشتراك في الانتخابات التي قررتها حكومة الهند بموجب قانون ١٩٣٥ . وفي السنة التالية وضع جناح برنامجاً اكثر فعالية للامة الاسلامية .

واصبحت الرابطة الاسلامية تحت زعامة جناح ثاني اكبر حزب سياسي في شبه القارة . ومن سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٤٧ كانت زعامة جناح من الحيوية والنشاط والقوة بحيث ان الرابطة الاسلامية لم تجعل من نفسها فقط معبرة عن آمال المسلمين بل اتخذت ايضاً قرارها الخطير بتبديل هدفها من الحصول على حكومة مسؤولة الى الاستقلال التام .

وانتقل جناح الى المرحلة الثانية ، وفي الاجتماع التاريخي الذي عقدته الرابطة في لاهور سنة ١٩٤٠ اتخذ قرار باكستان الشهير وطلب تحقيقه في مناطق اطراف شبه القارة حيث يشكل المسلمون اكثرية ساحقة لتأليف دولة منفصلة وكان هذا القرار نقطة تحول في التاريخ السياسي للمسلمين الهنود في ذلك الحين ، ومهد الطريق لانشاء الباكستان .

وفي السنوات التي تلت اتخاذ هذا القرار التاريخي بشأن قيام باكستان اخذ جناح يدافع باصرار عن فكرة انشاء الوطن المنفصل للمسلمين في الهند غير المجزأة ، وكان يعتقد ان ذلك هو المشروع المعقول الوحيد لحل عقدة الاستقلال الهندي . ولتحقيق هذه الغاية مضى يجاهد باصرار وعناد ، ويكافح بشجاعة ونجاح ضد قوى الحكام البريطانيين وحزب المؤتمر الذي يسيطر عليه الهندوس . وكانت حججه مقنعة ، ووسائله لتحقيق هدفه السياسي سلمية

ودستورية بكاملها . وليس من المبالغة في شيء القول انه ليس هناك اي مثل مشابه في تاريخ الكفاح السياسي في العالم من اجل تحقيق هدف مشابه بالاعتماد فقط على الوسائل الدستورية ضمن وقت قصير . ولكن جناح كان رجلا استثنائياً ، وهو لم يحمل فقط البريطانيين على التسليم بفكرة طلب انشاء باكستان بل توصل الى اقناع حزب المؤتمر الهندوسي للموافقة عليها كحل وحيد لاستقلال الهند .

ولكن جناح لم يعش سوى سنة ونيف بعد انشاء الباكستان (توفي في ١١ ايلول ١٩٤٨) حيث شاهد بأم عينه ولادة امة جديدة هي اكبر دولة اسلامية في العالم ، وتوفي وهو في اوج مجده وشأنه في ذلك شأن الرجال القلائل الذين عاشوا مثله وشاهدوا تحقيق ما جعلوا حياتهم وقفاً عليه من مهمة جسيمة .

أ . م . مختار

بشار وتلميذه سلم الخاسر

غضب بشار على سلم الخاسر . وكان من تلامذته ورواته . فاستشفع عنده بجماعة من اخوانه . فجاءوه في أمره . فقال : كل حاجة لكم مقضية الا سلما . قالوا : ما جئناك الا في سلم ، ولا بد ان ترضى عنه لنا . قال : فأين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام اليه سلم وقبل رأسه ومثل بين يديه وقال له : يا ابا معاذ ، خريجك واديبك . قال : يا سلم ، من الذي يقول :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال : انت يا ابا معاذ ، جعلني الله فداك . قال : فمن الذي يقول :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

قال : خريجك يقول ذلك — يعني نفسه — قال : أفتأخذ معانيّ التي عنيت بها وتعبت في استنباطها ، فتكسوها الفاظاً اخف من الفاظي ، حتى يروى ما تقول ويذهب شعري ! لا ارضى عنك ابداً . قال : فما زال يتضرع اليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه .

كلمات لجبران

— عندما فهمت أسرار الحياة تشوقت الى الموت ، لانه اعمق اسرار الحياة .

— من يشغله صوت الماضي لا يستطيع مخاطبة المستقبل .

— من يفعل الخير لارضاء نفسه ، لا يستحق المديح .

— ما أفصحني متكلماً عن القشور . وما اعياني عن اللباب .

العقوبات في الاسلام

بقلم السيد صادق مهدي الحسيني

- ٢ -

الاسلام يفوق الكل

والاسلام هو الذي فاق القوانين ، ورقى عن جميع الأنظمة العقوبية ، سواء منها في العصرين الغابر والحاضر ... فقد كان المسلمون في ظل إجراء حدوده في أتم الراحة وأكمل اطمئنان !!

واليك مقتطفات موجزة عن تأريخه المشرق :

١ – يكفينا دليلا على أن الاسلام أقدر لنفي القلق والاجرامات عن المجتمعات بتشريعاته الجزائية .. ان نعلم ان حد السرقة لم تنفذ الا ست مرات في ظرف اربعمائة سنة (١) في تلك الدولة الاسلامية الكبيرة ، الشاسعة الاراضي ، التي امتدت على اكثر نقاط العالم كله ، رغم ما كانت السرقة مبتذلة في الجاهلية ، ورغم ان الناس كانوا جديدي عهد بالاسلام !!

بينما نرى « امريكا » التي لا تبلغ نفوسها عدد المسلمين آنذاك تستنجد العالم لإنقاذها من ست ملايين « ٦٠٠٠٠٠٠ » لص في ربع قرن !!

٢ – « وان سارقاً اعترف على نفسه بالسرقة ، فأحضروه مجلس « المعتصم » الخليفة العباسي ، كي يجري عليه الحد . ولكن الخليفة لم يعرف حده ، فأحضر فقهاء بغداد ، وفيهم « ابن أبي داود » والإمام العظيم « محمد بن علي الجواد (ع) » ... فسألهم : من أين يقطع يد السارق ؟

---

(١) انظر : « الاخلاق والاداب » النشرة الاسلامية المجاهدة الشهيرة ، الكربلائية ، السنة الاولى ، العدد الثامن ، « ظلال السلام في الاسلام » .

فقال « ابن ابي داود » : من مفصل الكف ، واستدل بآيـة التسليـم : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » (١) .

ولكن العلماء اطبقوا على قطع اليد من المرفق ، مستدلين بآيـة الوضوء : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم » (٢) .

كل ذلك والإمام الجواد «ع» لا يتكلم بشيء ، حتى التفت اليه « المعتصم » قائـلا : وما تقول ؟

غير ان الامام «ع» لا يريد الرد على هؤلاء .

فقال : قالوا وسمعت !

فتطلع المعتصم الى رأي جديد يضمره الإمام «ع» . فألحّ عليه قائلا لا رأي لي عنـد هؤلاء .. بالله عليك الا ما حكمت .

فقال الإمام «ع» : « ان النبي ﷺ أمر ان توضع المواضع السبعة (التي منها الكفان) في السجود على الارض ، يقول الله الحكيم : « ان المساجد لله » (٣) فلا تقطع الكف التي هي من المساجد ، تقطع الاصابع الأربعة فحسب »(٤) .

فانظر كيف استطاع الاسلام ـ بهذه العقوبات ـ ان يقضي على جرائم الفساد ، وان يمحو السرقة من ديوان القضاة ، حتى نسوا حدها ؟

فكان القاضي ، او الخليفة ، لا يرى ـ في جميع عمره ـ سرقـة واحدة ، ليكون على علم من حدها !!

٣ ـ ان الحجاز كانت مضرب الأمثال في كثر الجرائم ، وشناعة الجنايات ، وكـان الناس فيها في ضجيج وعجيج عن هدر الأموال ، والأعراض ، والدماء ... فقد كان المقيم والمسافر ـ على حد سواء ـ لا يأمن على ماله ، ولا على نفسه ، ولا على عرضه ، في بلادها وقفارها ، في النهار ، وفي الليل ...

وقد كانت الدول ترسل مع رعاياها ـ الحجاج ـ قوات مسلحة ، لتأمين سلامتهم ورد الاعتداءات عنهم ...

ومع ذلك فلم تكن تستطيع هذه القوات الخاصة ، ولا كانت القوات الحجازية ، بقادرة على إعادة الأمن ، وكبح جماح العصابات المجرمة ، ومنعها عن سلب الناس ، وظل حمـا

(١) النساء ٤٦ (٢) المائدة ٩ (٣) الجن ١٨
(٤) نشرة « الاخلاق والآداب » نفس المقال .

الامن ـ في الحجاز ـ عاجزين عن حماية الجمهور ـ رغم التشديد القاسي في العقوبات التي كانت تجري هناك ـ .

فهذا الحجاز مع هذا كله أصبحت ـ حين تطبيق طرف من التشريعات الجزائية الاسلامية ـ وقد ساد الأمن بلاد الحجاز ، وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين ، وانتهى عهد الخطف ، والنهب ، وقطع الطريق ... وظلت الجرائم القديمة في ذمة التاريخ ، تروى فلا يكاد يصدقها من لم يشهدها .

وبعد ان كان الناس يسمعون أشنع أخبار الاجرام عن الحجاز ، اصبحوا يستمعون الى أعجب الأنباء عن استتباب الامن ، والسكون ...

فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام ـ المزدحم بالحجاج والقاطنين ـ فلا يكاد يذهب الى دائرة الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه كما فقد منه معروضاً للتعرف عليه ، وهذا يفقد امتعته وييأس من ردها ، ولكنه يجد الشرطة يبحثون عنه ، ليردوا اليه فقيدته ...

وبعد ان كان الأمن يعجز عن حفظه قوات عسكرية من الداخل والخارج اصبح الامن بحفنة من الشرطة المحليين (١) .

ولكن : من المؤسف حقاً ان ترجع الحجاز ـ هذه الايام رجوعها القهقرى ـ الى حالتها اللا امينة الاولية التعسة .. فتفشي السرقة ، وتكثر الجنايات ، وتسير فيها انواع الاجرامات . وان تعود فيها كل ما كانت من همجية ، ووحشية ، وشقاء . قبل تطبيق بعض العقوبات الاسلامية فيها .. رغم ان الشرطة كثيرة ، والحرس عدد الرمال ..

وما كل ذلك الا من تدخل الاجانب فيها ، وتغلغلهم في بلاد الاسلام ، واستعمار دول المسلمين ..

٤ ـ ان علماء الاسلام ـ قبل تجريد الغرب المسلمين عن الاسلام ـ كانوا يقومون بإجراء الحدود او التغريرات على الجناة والمجرمين فهذا العالم الجليل الملقب بـ « حجة الاسلام الشفتي » كان يجري الحدود باصبهان ، وهذا السيد محمد علي صاحب كتاب القوامع كان يجري العقوبات الاسلامية بكرمانشاه ، وهذا السيد عدنان كان يجريها بالبصرة ، وهذا ، وهذا ، وهذا .

وقد نقل عن السيد محمد علي انه اتى بساحر فأمر بقتله تمسكاً بالحديث الشريف :

---

(١) التشريع الجنائي الاسلامي بتصرف .

« ساحر المسلمين يقتل » بالرغم من ان الساحر قال له : « ان قتلتني تموت » فقال له السيد فليكن ، وأمر بقتله .

وقد حدثني بعض : ان رجلا شرب الخمر ببلدة كربلاء المقدسة ، وشهد عليه الشهود . وثبتت شهادتهم عند الحاكم الشرعي ، فأمر بجلده ثمانين سوط .

فأتى به الى المحل العام في قلب البلدة الذي يسمى الآن بـ « الميدان » على منظر من الناس ومشهد . واجرى عليه الحد . فارتدع الناس عن شرب الخمر !

وغير ذلك من القضايا التي كادت ان تنفي كل اجرام . فكاد ان لا يرى في طول البلاد وعرضها زان ولا سارق ولا قاطع طريق ولا ساحر ولاشارب خمر ولا فحاش ولا ولا ولا

واكبر دليل على ذلك انك لو تصفحت التواريخ ، ونظرت فيها ـ زمان تطبيق عقوبات الاسلام ـ لما رأيت للجنايات الا اثراً ضئيلا ، وذكراً قليلا .. فترى ـ مثلا ـ يذكر التاريخ ان الزنا وقع في الاسلام مرات معدودة ، مرة في زمن الخليفة الفلاني ، واخرى بعدها بعشرات السنين ، واخرى بعده بمائة سنة . او ان السرقة صارت في الاسلام ـ في ظرف اربعمائة سنة ـ ست مرات (١) وهكذا ... وهكذا ...

بينما نرى اليوم كل بقعة من بقع الأرض ، وكل مدينة من مدن العالم لا تكون سنة واحدة الا والجنايات تعد فيها بالمئات والالوف ... والعالم كله لو جمعت الاجرامات التي تقع فيه في سنة واحدة لعدّ ذلك بمآت الملايين .

فهل العقوبات الإسلامية تجدر بأن تحكم العالم ام العقوبات الحالية ، التي ملئت الدنيا ـ بمن فيها ـ قلقاً ، واضطراباً ، وإجراماً ؟!

او هل عقوبات الإسلام ترفع القلق ام غيرها ؟!

وبالنتيجة أإن الإسلام يفوق القوانين ام لا ؟!

فلينظر المنصف ، وليحكم!

بين الاسلام والقوانين البشرية

القانون يتكون في جماعة ضئيلة : قانوناً واحداً ، ثم اثنين ، ثم ثلاثة ... وهكذا تزداد شعبه ، وتتكثر فروعه مهما دعت الحاجة اليها .. ويتطور مع المجتمع قدر ما تطور المجتمع وكلما توسعت أفكار المجتمع ، وتقدموا في الآداب والعلوم ، تنوعت فروع القانون وازدادت .

(١) مر عليك في ص (١٧) .

فالقانون متأخر عن الجماعة لأنهم ألفوه ، ووضعوا اصوله وفروعه .

ثم بعد تراكم الأفكار ، ومرور القرون الكثيرة عليه ، وتطوره نحو الرقي والكمال ، ترى اليوم . وهو العصر الذي يقول عنه البعض : « العصر الذهبي » الذي بلغ فيه العلم الحديث قمته . والاكتشافات غايتها – تقريباً – ... كل ذلك مع ان القوانين مشحونة بالمخالفات ، والأنظمة مليئة بالنقائص والزوائد ، يقطعون يوماً ، ويبرمون آخر ، وهلم جرا ...

اما الإسلام فلم يكن طفلة مع جماعة تكبر وتنمو حسب توسعة افكارها ، وتتطور حيث تطورت الجماعة . وانما هو مجموعة قوانين وضعها إله الكون ، ورب البشر – العالم بداء البشرية ودوائها أحسن من غيره – لجميع الإنسانية عامة في جميع أدوارها ، وتطوراتها ، وألوانها ... لا لقوم معينين ، او زمن محدود ، او تطور غير آخر .. وهو الذي انزله الله تعالى شابة مكتملة ، وشريعة شاملة جامعة ، لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً فسيّر الجماعة أمامه .

ولم يبلغ نزول هذا القانون ثلثاً وعشرين سنة ، حتى نزلت الآية الكريمة : « اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) .

فلم يكد يرى أحد فيه نقطة ضعف ، ولا خرقاً وإبراماً ، ولم يكن يتغير قانون من قوانينه – بعد مضي الثلاث والعشرين سنة – يوماً ما ، مهما اختلفت القرون ، ومشت الناس نحو الرقي والتقدم .

وتتلخص الفروق الأساسية بين القوانين الإسلامية والقوانين البشرية ، في النقاط التالية :

١ – القانون الوضعي متأخر عن الجماعة ، لانهم وضعوه ، والشريعة الإسلامية مقدمة عليهم ، وهي المسيرة لهم .

٢ – القانون الوضعي من وضع البشر الذي لم يعرف بعد نفسه – مع تقدمه العلمي الباهر – فكيف يستطيع أن يضع قانونا يسيّر البشرية ؟

اما الإسلام فهو من صنع الله العظيم خالق البشر ، وجاعل كل شيء ، والعالم بكل ما يقال له : « شيء » والقادر عليه .

القانون الوضعي قد يتكون من الملايين ... فان هذا القانون الذي يحكم عالمنا اليوم كم مرت عليه الايدي ، ووضعوا ، وعدّلوا ، ونقضوا ، وابرموا ، وهدموا ، وبنوا ، و و و حتى بلغ هذا اليوم وقد كان نتيجة أفكار الملايين من البشر ، ومع هذا فهو مليء بالعيوب والنقائص بعد .

---

(١) المائدة : ٣ .

أما الإسلام فقد سنه الله تعالى ، دون اي تعديل او تحويل ، او خرق او وصل .

٤ ـ القانون لا يصلح ـ مهما تكثرت فروعه ـ الا للقطر والوقت المحدودين . فإن أعم الأنظمة هي « الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان » وهي ـ ايضاً ـ لا تكاد تكون صالحة لأن تحكم الدنيا كلها .

أما الإسلام وضعت للناس عامة ، وللبشرية كلها ، صالحاً لكل ومكان ، كما قال الله تعالى مخاطباً لنبيه : « وما أرسلناك الا كافة للناس ... » (١)

ولو ان العالم ـ جميعه ـ اعتنقوا تعاليم الإسلام ، وانضموا الى ركب المسلمين ، عاملين على منهاج الشريعة ، لكانت الدنيا غير هذه ، وكان الناس يرفرف عليهم الأمن ، والطمأنينة ، والخير ، والحب ، والسعادة ...

قال الله تعالى : « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون » (٢) .

٥ ـ القانون يندثر بسمو الجماعة ورقيها ، فيتغير مهما ارتفع مستوى الجماعة ، فإنا لو نظرنا الى اية دولة ، لرأينا قانونها ـ قبل عشرات السنين ـ غير القانون الذي يحكمها اليوم .

اما شريعة الإسلام : فهي سامية دائماً ، فكلما سمت الجماعة ، وتطور النـاس ، وبلغوا اعلى مبلغ الإنسانية ، فان الإسلام بقوانينه الأبدية يحفظ لها مستواها .

مع ان القانون يتغير ويتبدل كل قرن آلاف المرات ، بينما الشريعة زودت بالثبات والبقاء فنصوصها لا تقبل النقض او الابرام .

* * *

هذه هي الفروق الأساسية بين القوانين الأرضية . والشريعة الإسلامية ، وربما كانت هناك فروق اخرى ، نبلغها ...

ولكن هذه تكفي لتكون دليلا : على ان الشريعة مزودة بالكمال ، والنمو ، والبقاء ، وبالعكس منها القوانين البشرية . ولذا نرى اليوم الذي تسود العالم قوانين الغرب والشرق ، يسود العالم ايضاً القلق والاضطراب العجيبين ، حتى تألفت المجتمعات البشريـة من زمر متناحرة ، فكل يهدد الآخر بالتدمير والهلاك ، وكل يغش غيره ، وكل لا يؤمّن أحداً على شيء ، وكل يفر من أقرب قراباته خشية الوبال ، وكل يريـد أن يتفوق هو وحـده على من سواه ... !!!

---

(١) سبأ ٢١

(٢) الاعراف ٩٤

وبذلك سادت العالم معها المهاترات ، والمنازعات ، والقتل ، والسحل ، والخراب .
فلا الحكومات في أمن من الحكومات والشعوب ، ولا الشعوب في راحة عن الحكومات والشعوب الاخرى .

فالحاكم ، والعالم ، ورجل الشارع ، والفلاح ، والمثري ، والفقير ، والرئيس والمرؤوس لا يعلم كيف يصبح ؟
أيصبح حياً ام مقتولا ؟؟
قلق الضمير ، مرتبك الأعصاب !!
ان هذه ومئات من أمثالها ناجمة من سيادة هذه القوانين الوضعية الهوجاء على الناس ، ومن جراء ترك شريعة الإسلام القديمة .

وبالعكس من هذه تماماً ، لو كانت الشريعة تحكم العالم ، ونظام السماء يطبق في الأرض لكان العالم جنة ترفرف على أهله الرفاه ، والراحة ، والسكينة ، والاطمئنان ، والإخاء . .
فالصديق لا يهاب صديقه ، والاخ لا يؤمن أخاه ، والحاكم لا يجوز ، والناس لا يتمردون على الأحكام ، والمثري لا يبخل . والفقير لا يتحير ، والحكومة لا تخاف الشعب والحكومات . والشعوب لا تحذر الحكومة والشعوب ، والعالِمُ مطاع ، والجاهل لا يستنكف و و و . . . كما كان كل ذلك حينما كان منهاج المسلمين حكومة وشعباً الإسلام ودستورهم القرآن ، يسيرون على هداهما ، وينعمون بظلهما .

فهل بعد ذلك نسير في ركاب المدنية (المزعومة !!) التي لا تريد لنا الا الهلاك ؟
وهل بعد هذا ندع الشريعة الإسلامية ونستبدل بها قوانين تافهة ناقصة ؟
وهل بعد العلم الا العمل ، وبعد العمل الا الثبات ؟

الوقاية قبل الجناية

ان مما انفرد به الإسلام ، وسمى لأجله قوانين الأرض العقوبية كلها : انه يقي المجتمع من الجنايات قبل وقوعها ، فهو يبحث اولا وقبل كل شيء عن الأسباب التي تبعث على وقوع الجرائم . والتدهور في الفساد ، فيضع لها حدوداً تلائم الطبيعة البشرية ، ويوفر على الناس ما يغنيهم عن اتيان الجنايات ، وقاية لهم عن الانهماك في الجرائم ، وحصناً للبشرية ـ جمعاء ـ عن القلق والاضطراب .

وهنا نضع انموذجاً واحداً عن بعض الجرائم ، واسبابها ، والدوافع اليها ، وكيف وضع الاسلام سداً رصينة للقضاء على الجنايات من جذورها قبل ان تقع ، وتمكن من خلق مجتمع

كريم في ظل السعادة والرفاه ... وكيف ان المستعمرين فتكوا بالمسلمين حيث أشاعوا فيهم اسباب الجنايات الفتاكة ، والآفات الإجتماعية الموبوءة ...!

الزنا ومنشأه

ينشأ الزنا في الغالب من الأسباب التالية :

١ ـ النظر الى الأجنبيات والأجانب .

٢ ـ السفور والتبرج .

٣ ـ الاختلاط بين الرجال والنساء .

٤ ـ معاشرة أقران السوء .

٥ ـ حوانيت المراقص والفواحش .

٦ ـ المسكرات .

٧ ـ عدم الإيمان بالله تعالى .

٨ ـ انتشار الكتب والجرائد والمجلات الخلاعية ، والأفلام السينمائية والتلفزيونية والتصاوير المستهترة المائعة .

٩ ـ انعدام الحياء والغيرة من النساء والرجال .

١٠ ـ التصعيب في أمر الزواج .

١١ ـ خوف الفقر .

١٢ ـ فساد السلطات .

والإسلام يكرّس جهوده ، ويؤكد التأكيد الشديد على رفع هذه الأسباب :

فنراه يحرم النظر الى النساء الأجنبيات ، والرجال الأجانب ، لما في ذلك من نشر بوادر الزنا ، والتدهور في القذرات الصحية ، والأخلاقية . والإجتماعية ، و و و .

يقول الله تعالى ، « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ... وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ... » (١)

في حين انه يضع عقوبة التغرير (٢) على من ارتكب هذا الحرام .

صادق مهدي الحسيني

---

(١) النور ٣٠ - ٣١

(٢) يأتي تفسير التغرير ومعناه في آخر الكتاب تحت عنوان « الجنايات وعقوباتها » .

ابواب العرفان

قصة عراقيـــة

وراء السراب !

بقلم خضر عباس الصالحي

كان (سالم) في ميعة العمر وسيم الطلعة ، سبط القوام ، عصبي المزاج ، انفعالي الشعور . وان اول ما لفت نظره ، واستثار اهتمامه بعد نضوج وعيه الفكري هو المرأة ... وانطبعت في ذهنه صورة الفتاة التي يحلم بها لتكون شريكة حياته ... وهي ذات شعر متموج يتـــألق تحت ضوء القمر ، وقامة مديدة ، وخصر دقيق ، ونهد منتفض الحلمة ، وشفتين قرمزيتين ظامئتين الى العقل ، وجسد بض يسقيه معين الشباب النضر ، فكان يغرق في صمت مطبق ، مقلباً وجوه الرأي ، وبرأسه تعصف الافكـــار ، وفي نفسه تعتمل شتى الاحـــاسيس والانفعالات .

وعرف منذ كان تلميذاً بالميل الى قرض الشعر ، والارتشاف من ينابيع الثقافات الانسانية الشاملة . فكان يزجي أوقات فراغه بالمطالعة في كتب الادب والنقد والتاريخ ، ليدفع فنه الى الاكتمال والتطور ، يغلب على قصائده الجانب الوجداني الذاتي ، وسخر موهبته الادبية للتغني بمفاتن المرأة ، وللتعبير عن رغباته المكبوتة ، وما يكنه في وليجة نفسه ، وكانت المعاني العميقة ترد على خاطره عفواً كالوحي النازل على ملهم ، وقصائده مما يصدق نعتها بالشعر الرمزي الذي يغلفه الغموض ، فيستعصي على الفهم ، ويتأبى على الذهن المجرد !

ولم يكد يحصل على راتب الوظيفة حتى سيطرت عليه فكرة الزواج فيجد فيها لطاقته الجنسية متنفساً ، ولعل اسوأ الاخطار التي يرتكبها الانسان في حياته هو ان يتزوج امرأة لم تكتحل عيناه بمرآها ، او يجتمع بها للتعرف عليها عن كثب ، فيستشرفهامن الاعماق ، ويسبر كوامن نفسيتها فيكون راضياً عنها في قرارته ، هانئاً بها في اطوائه ..!

وما لبث ان تزوج بعد المواعيد المعسولة التي تخدر الاعصاب ، ولكن زوجته كانت خلافاً للآمال التي قد ساورت نفسه ، فأذهلته المفاجأة ، وطغى في وجهه الشحوب ، واختلج في قلبه الشجى ، واضطرمت في نفسه اللظى ، وشعر بدمه يجمد في عروقه ، وكأن قلبه قد كص عن الخفقان ، وتجسمت امام بصره الزائغ حقيقة الفشل المروع الذي مني به ، وافقد الحزن صوابه ، وصار في حالة يرثى لها من الهياج العصبي ، فأبدى نحوها فتوراً . وعاملها بازدراء !

وأخذت زوجته تستدرجه للبوح بما يخفيه ، بعد ان استيقظت شياطين الريب في نفسها . فيلوذ بصمت رتيب ، يكظم حقده ، ويكبت غضبه ، ويمر بفترة ركود فكري قاتل . واصبح في وضع لا يحسد عليه ، فيسترسل ويغلو في وصف آلامه واحزانه ، ويرتاد المقاهي ليلعب النرد مع اصدقائه الذين لا يجدون من أمرهم رشداً ، ويسرد لهم الحكايات والقصص التافهة !

وباتت زوجته لا تقع له على ظل ، ويدب الشك في قلبها ، وتصيبها رعدة فتختلج شفتاها حتى لتخرج انفاسها محمومة فتنفجر باكية دون وعي ، وتشعر بخوف يخالطه يأس شديد . وان وجهها قد تجهم ، وبدا عليه القلق ، فأرادت ان تضع حداً لصراعها النفسي ، فقرعت باب الغرفة ودخلت عليه ، وكانت الساعة تهدف الى العاشرة مساء ، وقد ارمض عينيها البكاء ، ورسخ في اعماقها اعتقاد انه لا يحبها ، ونظرت اليه في فزع ، وعيناها ما تزالان تدمعان ، وقلبها يخفق . وتكاد تنكفيء على وجهها ، وبصوت خافت فيه رنة حزن ، وبعبارات تبعث على العطف والشفقة ، قالت :

ــ احس برغبة ملحة ان اعرف سر عدم اكتراثك بي ، فإني لا اجد اي مبرر يسوغ لك قضاء فراغك بعيداً عن البيت . وهزت رأسها بأسف وعادت تقول :

ــ ليتك تعلم مبلغ ما اكنه لك من حب صادق ملك علي جوانب نفسي ، ومسارب روحي ... قالت ذلك وهي تلهث وترتعد لفرط ما بها من هلع واضطراب ، وكل جارحة فيها تخفق مع قلبها ..!

وشعر (سالم) كأن قبضة من حديد قد أطبقت على عنقه ، لانه رأى في حديثها معه جرحاً لكبريائه ، وتطاولا عليه ، وكان وجهه شاحباً وعضلاته متقلصة ، وحدجها بنظرة قاسية صعقت من شدتها ، وسرت فيه روح الثورة ، واغذته رعدة الغضب ، وزم شفتيه وصمت لحظة وصرخ مرتعباً :

ـ لا تتدخلي في شؤوني الخاصة ، وما عليك الا الخضوع والاستكانة . وان كل ما ادليت به من قول هو مجرد تصور في غير محله ، وعندما رفع يده الى جبينه ليزيح خصلات الشعر المتهدلة عليه ، احس بالعرق البارد يكسو جلده ، وانتشى بخمرة الظفر ، وملأت النشوة رأسه . واشرقت على وجهه ابتسامة حالمة ، وأغرق في الضحك ، وتنصل من أخطائه ببشعة بلباقة . وحذرها من ارتكاب امثال هذا العمل الاستفزازي المشين ، وطفق يسومها الخسف والهوان ، ولم يشفق عليها مما أصابها من تصدع ، وبصر بها جامدة في مكانها ، وهي ترمقه بنظرة شاردة ، وردها على اعقابها خاسئة ، فغادرت الغرفة كاسفة البال ، وفي عينيها تجول الدموع ، وشيعها في منصرفها بابتسامة شماتة وتشفٍ وفتح النافذة استجلاباً للنسمات الرقاق وزقزقة العصافير تتجاوب في الوادي ثم يحملها النسيم الى بعيد ! وابتسم (سالم) عن رضا وابتهاج ، وعاش لحظات قصاراً يعلل نفسه بالاماني ، وراح يجتر ماضيه ، مستوفز الاحساس ملتهب الشعور ، وقد تواثبت الى مخيلته صور شتى !

لم يكن (سالم) على قدر وافر من سعة المال ، فقد سلخ في الوظيفة سنوات طوالا وهو يقضم خبزه في دموع الحاجة ، ولكن الناس قد خيل اليهم انه يتقلب في اعطاف النعيم ، فتنبعث من أعينهم نظرات الحسد والغيرة ، وكان يعادي بشدة أمثال هؤلاء الذين سلكوا هذا الاتجاه الخاطىء ، ويغاير النمط الذي درجوا عليه ، ولم يكن يشمئز من شيء اشمئزازه من الانانية ، فلم يرتكب امراً مشيناً ، ولم ينجرف بتيارات الرذيلة !

واتفق مع زوجته على السكنى مع اهلها الذين علق الآمال على مساعدتهم ، وتحت تأثير عوامل مختلفة وطدت الزوجة العزم على تنفيذ هذه الفكرة الطارئة !

ولما حانت ساعة الرحيل ، فتحت الزوجة عينيها الغائرتين وكادت تحجم عن السفر ، ومضت في تحقيق خطتها الرامية الى عرقلة مساعيه في الحصول على موافقتها لامتثال اوامره وبدت على شفتيها لمحة اكتئاب وقالت بصوت تخنقه العبرات .

ـ لن اطاوعك في هذا الشأن ... وكانت الحقيقة التي لا تستطيع التهرب من اعلانها

هي اظهاره الجفاء والقطيعة لها ، مع انها تحيطه بهالة من بسماتها اللطاف ، وكان جهاله عميقاً نابعاً من أغوار نفسها .

فتلقى (سالم) النبأ في وجوم ، وعاوده الخوف . ونصحها بالاقلاع عن عنادها . واتهمها بضيق النظرة ، وتبلد الذهنية التي تعالج بها المشاكل وتعمل على إضعاف الصلات بينهما ، وقال لها :

ــ اذا استمرت حالنا على هذا المنوال فستعقبها نكبة مؤلمة .

فبقيت واجمة ساكنة ، لا تستطيع البوح بمكنونات نفسها ، والإفصاح عن الاسرار التي تكتنفها ، وصاحت مفزوعة متألمة .

ــ اني اعتذر عن إمكانية اعطاء قول فصل في هذا الامر ، قالت ذلك بصوت مبحوح وعيناها واسعتان من الخوف .

وكان (سالم) يطالع في نظراتها الصافية قلبها ككتاب مفتوح ابيض الصفحات ، فهدأ من روعها ، ولم تلبث ان احست بنفسها تغذ الخطى الى دار والديها ، وتعاني ضغط الزحام من حولها !

وكانت قرية جميلة راقدة في احضان الاوراد والزهور تلك التي يقطنها اهلها ، وطرقا الباب فخرج اليهما ابوها ، وهو يمشي في تثاقل ، منحني الظهر متقوسه ، وقد اشتعل رأسه شيباً ، وألحت عليه الشيخوخة وبلغ ارذل العمر . فاستقبلهما بحفاوة بالغة ، وأفرد لهما جناحاً خاصاً من منزله الريفي المتواضع .

ومضت الايام تترى ، وكانت اخت زوجة (سالم) تلم بها زائرة ، وقد نفذ صوتها الى قلبه كما ينفذ النغم الرخيم في السمع المرهف ، طفق يحدق بها مفتوناً ، وصار قلبه لا يفيض الا بحبها ، وكان بلهجته الساحرة يدخل على قلبها الواناً من المسرات ، وانه ليصعب الحكم على مدى استجابتها له ، فقد كان لقاؤها الاخير له مخيباً للآمال ، اذ ضربت صفحاً عنه ، بعد أن خشيت مغبة هذا اللقاء على سمعتها . وانه خليق بأن يجعل أسرتها كلها مضغة في الأفواه ، فتثلم عرضها ، وتصيب شرف العائلة بجرح لن يندمل ، ثم لم تلبث ان تصبح جثة هامدة تتخبط في بركة الدماء ، ولكن كلامه العذب جرفها في تياره ، وأسكرتها فكرة الرحيل بصحبة هذه الغادة الساحرة المجللة بغدائر شعرها المتألق كالنار ، وقد صارت أوفر شباباً وفتنة . كغصن وارف من شجرة يانعة ، وكانت تملأه عاطفة الإعجاب بها ، اذ حرك صوتها الحنون أوتار قلبه ، وانصرف عن التفكير بزوجته ، وكان والدها العجوز قد أغمض

عينيه وفاضت روحه ، ولم تستطع إنقاذه من براثن موت وشيك بعد أن قاربت نهايتـه ، فأبرقت عينا (سالم) فرحاً وتيقظت الرذائل التي تمكنت من نفسه ، وخلا له الجو ، فشرع يكثر من مغازلة اخت زوجته ، ويقتفي بواعث نظراتها الجائعة ، فكانا يلتقيان ويشبعان نهم الحب بتبادل القبل الحارة ... وبينما هما في غمرة عناقهما اللافح أحسا بحركة عندباب الغرفة فباغته خوف مريع ، وتحطم ناي الغرام ، واضمحل نداء الوجد ، ودلفت الزوجة الى الداخل فرأت زوجها مع اختها وقد علت وجههما سحابة من القلق والارتباك ، وعرفت كل شيء وكان موقفاً دقيقاً للغاية ساعد على إذكاء نيران الألم في قلبها ، ويتجانف عن واقع الشرف ، ولا يتلبس به الا رجل يتمرغ في الحمأ والوحل ، وهمست في سويداء نفسها ان لا حاجة الى تعجل الحوادث ، ولا بد من احباط هذه النوازع التي توحيها الدوافع البشرية الدنيئـة ، فالتمعت مقلتاها بنظرات الحيرة والاضطراب ، وخرجت لا تلوي على شيء !

وهنالك في هيكل العزلة جابهته بالحقيقة المرة معززة بأدلة قوية لا يرقى اليها الرد ، وفي هذه اللحظة الرهيبة لم يعد (سالم) لها نداً في المنطق والحجة وصواب التفكير ، وقالت له : وفي تضاعيف عباراتها الأسف البالغ .

– ان عملك هذا له اكثر من مغزى ، فأنت تهدف إلى إلحاق العار بنا ، فتسمنـا بميسم الذل . وان محاولاتك القذرة هذه لا يمكن ممارستها في بيتي ، وحري بك ان لا تدع العاطفة الرعناء تتغلب على عقلك الهادىء الرصين ، واني لم اقصد ايلامك على الإطـلاق ، قالت ذلك وبدأت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة ...

وكان (سالم) يستمع الى نبرات صوتها الحزينة ، وفكره شارد في مهمه بعيـد ، فان اعصار الحب يعصف في كيانه بشدة هائلة !

وتتابعت الأيام متثاقلة ، وكان لهيب الحب يتقد في قلبي العاشقين فكانا يلتقيـان تحت ستائر الظلام ، ويقبعان في احدى منعطفات البيت لينغمسا في لذائذ القبلات العارمة لإطفاء جذوة الأشواق المستعرة ، وإخماد مجامر الحنين الصاخب في نفسيهما ..

ومر الزمن سريعاً واذا بحبيبة (سالم) تسقط مريضة ، وارتعدت فرائصه ، وتشنجت أعصابه ، حينما رآها في باحة المستشفى تطغى على سحنتها صفرة الموتى ، نحيلة الجسد ، شاحبة اللون ، ذابلة الشفتين ، وقد تهالكت بجسمها المهزول على الكرسي ، وهي ترمق زائريهـا بنظرات ذاهلة ترتسم فيها علائم الصخور والانكماش .

وظل (سالم) يتردد عليها وهي آخذة بالانتكاس والتردي ، وكانت الشمس ترعش في

افق المغيب ، وتهبط الى مهواة عميقة عندما ذهب ليتفقد صحتها ، وكانت مسجاة على سريرها والطبيب يجري لها عملية نقل الدم وهي في النزع الأخير ، ولما وقعت عينه عليها لم يستمالك ان اجهش بالبكاء ، وأحس بالألم يعتصر روحه ، وزوبعة الحسن تقطع نياط قلبه .

وكان موتها متوقعاً بين لحظة واخرى ، ولكن الأقدار شاءت الا ان تسبغ عليها ثوب العافية ، فأبلت من علتها الوبيلة ، وتدفق دم النشاط في وجنتيها ، وتفجر نبع الحيوية في اعراقها ، فلاحت كزهرة متفتحة على شفاه الربيع ، ويتحدر في احشائها دفء الحياة وري الجمال الأخاذ .

وما عتمت ان خطبها رجل لا يمت لها بصلة بعد ان رآها مصادفة تغذ الخطى حثيثاً في عرض الطريق ، مكتملة النضوج ، ثائرة النهدين ، فوقع اسير فتنتها الطاغية ، وسحر ملامحها الجذابة .

وفي ليلة الزفاف ، كانت السماء صحواً ، والقمر يسكب أشعته الفضية على سعف النخيل وأوراق شجر البرتقال ، وفوق ضفاف دجلة التي تعانقها الامواج العابثة ، وفي هذا الوقت بالذات تحرك رتل من السيارات يقل حبيبة (سالم) الى زوجها المقيم في احدى القرى التابعة لمدينة الحلة ، وزغاريد النسوة تشق آماد الفضاء بغبطة لا حد لها .

وفي عتمة الليل الرهيب لاح شبح رجل ، هزيل الجسم ، أشعث الشعر ، مقدود القسمات يهرول وراء السيارات المنطلقة كالسهم المارق ، فاقد الوعي ، مبهور الانفاس ، يتطاير الزبد من شدقيه ، وظل يركض بلا جدوى وراء السراب !

بغداد خضر عباس الصالحي

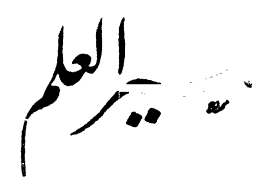
علية بنت المهدي

كانت علية لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجاري الكلام ، ولها ألحان حسان ، وعلقت بغلام اسمه رشا ، وفيه تقول :

اضحى الفؤاد ابزينبا صباً كئيباً متعبا
فجعلت زينب سترة وكتمت أمراً معجبا

فنمى الامر الى اخيها الرشيد فأبعده ، وقيل قتله ، وعلقت بعده بغلام اسمه طل ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرته لاقتلنك . فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ : « فان لم يصبها وابل فما نهى عنه امير المؤمنين » ، فضحك الرشيد .

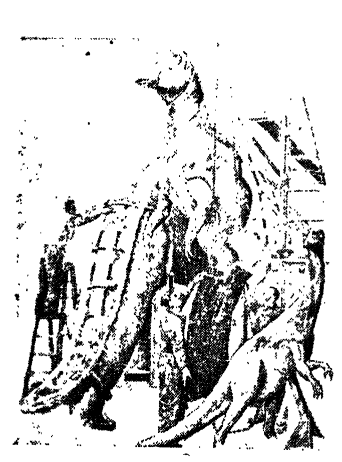
محمد أديب الزين



مترجمة عن مجلة "العلم" العام الاميركية

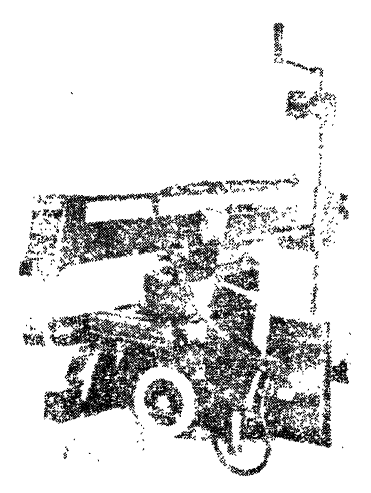


١ ــ مظلات ورقية : ــ صنع « اولين ماتيزون » تصميماً لقماش مصنوع من الورق يستخدم لصنع المظلات والخيم الكبيرة والصغيرة . ان هذا القماش الورقي يـقي من الشمس فيمكن استخدامه لعدة مرات ، ويقي من المطر ، من وابل وطل ولو دام بضع ساعات ، وعندئذ يطرح بعد استعماله مرة واحدة . واما اذا اصابه رذاذ بعض الوقت فيمكن استخدامه مرة ثانية وثالثة .



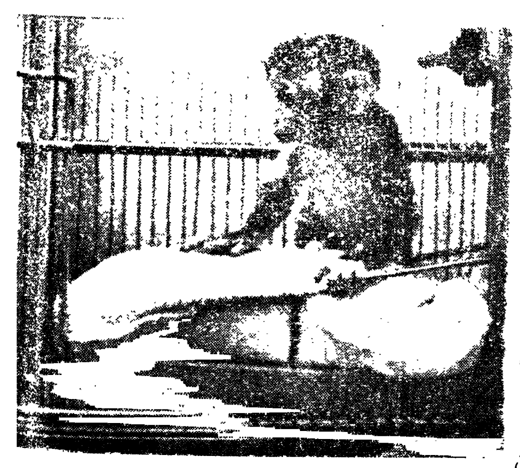
٢ ــ عودة الى ما قبل التاريخ : لاول مرة منذ ملايين السنين يسير قطيع من حيوانات «الدينوزور» وهو حيوان زاحف منقرض ، عبر نهر الهيدسون . تسعة من هذه الزاحفات العظام ستتخذ طريقها الى متحف نيويورك . وهناك ستقضي سنتين تتمرغ في اوراق النباتات وفي المستنقعات وبين مقـذوفات البراكين وكأنها تعيش في جو عصر الزحافات . من مدة صنع النحات لويس بول جوناس تمثالا للحيوان المسمى « برونتوسورس » وهو من حيوانات ماقبل التاريخ وقد دعوه « الدبابة المتحجرة » . وقد شق هذا النحات طريقه في زحمة النحاتين الكثر ولمع اسمه كنحات مشهور . وقد اتخذ خيوط الزجاج مادة لعمله الناجح . صنع جوناس اول تصميم لاول حيوان ، وكان كأنه الحيوان القديم . ثم اصبح صنع الثمانية عملا نمطياً . ابتـدأ اولا

بصنع هيكل الحيوان ، ثم غطّاه بدرع من الخشب ، استعمله كقالب . وصب فوق القالب الصلصال ، ثم أجرى عملية الصقل والدهان . وألبس القالب ثوباً من خيوط الزجاج المتصلة ببعضها البعض بأربطة ومواد لاصقة . ثم استخدم فنه ببراعة الى ان ظهر تمثال أشبه ما يكون بحيوان ما قبل التاريخ .



٣ ـ منشار كهربائي حديث : ـ اخرجت احدى المصانع منشاراً كهربائياً جديداً . لهذا المنشار ثلاثة محاور ويتصل كل محور بمحرك يختلف عن رفيقه . يقوم هذا المنشار بأعمال صناعية باهرة : من شحذ وصقل وثقب ونشر وصنع أبدان الاعمدة والقوالب وما شا كل من الاعمال المختصة بالنجارين الذين يقومون بالتزامات البنايات الشاهقة .

٤ ـ القردة تعمل : ـ استوردت الولايات المتحدة الاميركية مائتي الف قرد من جهات مختلفة ، واكثرها من الهند . والغرض من هذه القردة استخدامها في الابحاث الطبية . ويجري تربية هذه القردة ورعايتها والاشراف على تناسلها في مركز الابحاث في « اوريغون » .



اصبح هؤلاء القرود يألفون الانسان ويألفون الطعام الذي يقدم لهم . واما القرد الذي يجلب حديثاً من الحرج ، فيلزمه مدة تسعين يوماً من العناية الخاصة ليصبح اليفاً كرفاقه الذي أتوا قبله .

محمد اديب الزين

المراسلة والمناظرة

حول عصر مشرف ومزرعة مشرف

بعد اطلاعي على الجزء الاول من مجلة العرفان الغراء لسنة ١٣٨٣ في زوايا التاريخ اللبناني عن مزرعة مشرف بقلم الشيخ علي الزين وتحقيقه العلمي فيما لابس عصر مشرف بن علي الصغير من صراع حزبي ومناورات سياسية اشترك فيها لبنان مع باريس والاستانة وارتيابه في بعضها قلت في التصحيح (جبل عامل او مزرعة مشرف) :

رسم الاديب بعقله وخياله … آثار عزة عامل وجماله
جبل الاباة وكهفها وعرينها … من ضمها بيمينه وشماله
سجد السحاب على متون هضابه … والبحر منطرحاً على أذياله
وسمائه الصافي ونشر نسيمه … بالطيب بين سهوله وجباله
وزهوره بين المروج وفي الربى … تزهو عليه كشمسه وهلاله

* * *

يا شيخنا المفضال من ندعوله … ليكثر الرحمن من أمثاله
لا تبخس التاريخ جوهر مجده … وسموه بالفخر في ابطاله
آثار (مشرف) لا تزال عظيمة … ودياره تنبيك عن أحواله
ولديك رمز المجد من تاريخه … يروي حديث الفخر عن افعاله
في موقع الساحات(١) ساحات الوغى … ويلوح في الميدان(٢) رسم قتاله
لا ريب في التاريخ بعد ثبوته … بثقاته والحق في أقواله
ما اسم مزرعة(٣) يضير بمنزل … خلع الزمان عليه ثوب جماله

---

(١) موقع الساحات في مزرعة مشرف من جهة الغرب حيث طريق البلدة الرئيسي وهي تتسع لآلاف عديدة من الرجال .

(٢) الميدان شمالي البلدة حيث كانت المعركة بين الشهابي ومشرف وفيه مقبرة كبيرة يقال لها مقبرة الميدان او مقبرة القتلى .

(٣) مزرعة مشرف التابعة لقضاء صور حالياً هي فسيحة الأرجاء قد كستها يد المشيئة هيبة وجمالا بنيت على مرتفع [illegible] عن سطح البحر اربعمائة وخمسة وعشرون متراً وعدد نفوسها خمسمائة شخص وموقعها استراتيجي

يعتز بالعرب الاباة ولم يزل ... يزهو بنور جماله ورجاله

ما كان نقال الحديث كشاعر ... في موطن يعتز في اطلاله

لبناننا وطن الاباة وارزه ... رمز العلى والمجد في استقلاله

علي محمد وزني

ضحيتان

تأليف الاستاذ جورج مصروعة

طبع دار المجـــاني

ملخص هذه القصة ان طالبة مسيحية المعتقد كانت تدرس في الجامعة أعجبت بزميل لها مسلم وتطور الإعجاب الى هوى جارف كتمته حيناً ولكنها باحت بسرها لاخيها العائد من مقر هجرته في إحدى البلاد الافريقية فساندها في ذلك الامر مع والدتها ثم مع أبناء قريتهم ومنهم خالها القسيس الذي تخلى عن معارضته وتمت الخطبة وفي إحدى الزيارات المتبـــادلة شاهد اخوها اخت الخطيب فمال اليها ولكن أهلها حجبوها عنه ورفضوا قيام اية مودة بينه وبين ابنتهم فكان ان فسخت الطالبة الخطبة ورافقت اخاها الى مقر هجرته حيث عاشت في شبه عزلة وانتهت بها الحال الى مصح للأمراض السارية في لبنان حيث قضت نحبها بحضور الطبيب الذي هو خطيبها السابق والذي كان بحالة تدعو للرثاء .

حصين وهي متوسطة بين الساحل والجبل حيث تمتد أحراشها شرقاً الى قرب تبنين وحاريص وغرباً سهوفـــا السحنونية ومرج الصفرا حتى قرب عيتيت وقانا وجنوبا وادي عاشور وطريقـــه الذي كان يربط بين لبنان وفلسطين وفيه كانت تمر القوافل سابقاً وشمالا محرونة وجويا ومساحة ارضها تعادل مساحة اكبر ارض بلدة في تلك الناحية وفيها آثار فينيقية ورومانية واسلامية مشرفية منها دار الشيخ مشرف وان يكن اخنى عليه الدهر وعبثت به أيادي الظلم والجور من بعده فلم تزل آثار عظمته ظاهرة مثل مواقع التحصينات في الجدران الضخمة والرمايات ومما نقلوه مشايخ البلدة انه كان للدار بوابتان الاولى غربية للجنود وعامة للناس والثانية شرقية لحريم الشيخ مشرف حين خروجهم للنزهة في البساتين والجنينة التي تتصل بالدار كما اني سألتهم عن أبيات الشعر والتاريخ فقالوا ان المرحوم الشيخ حسين سليمان قد نقل بلاطة الرخام التي نقش عليها الشعر والتاريخ الى البياض وهي قرية تبعد ما يقارب الميل عن مزرعة مشرف وقد استعمل جميع الوسائل حتى استخلصهم من ايادي ظالمة مستبدة في ذاك العصر وذلك غيرة وشهامة منه وحفاظاً على الآثار القديمة وحيث انه كان مسكن أجداده سابقاً في المزرعة وقد أثبت لنا ذلك ولده العلامة الشيخ سليمان والأبيات منقوشة بخط جميل وقد نظرناها كما يلي

بسم الله الرحمن الرحيم

قسماً بما حاطت أباطح مكة ... ومنى وآيات الكتاب المنزل

لم ابنها طمع الخلود وانمـــا ... هي زينة الدنيا لأهل المنزل

وبعده اسم مشرف والتاريخ كما ذكر المؤرخون .

والقصصي يريد إظهار طائفته بمظهر المتسامح وإلقاء اللوم على الإسلام والمسلمين وان اعجب فلسهولة اقتناع اهل الخطيبة وخالها القسيس وهذا عكس ما نعرف فان في بلدتنا امرأة من معلقة زحلة او القرى المحيطة بها تدعى نبيهة حداد كانت مسيحية وأسلمت وأسلم معها أبناؤها وهم في سن الرجال ولكن أملاكهم وأرزاقهم في بلدتهم السابقة انتهبت ولم يتمكنوا من الحصول على قرش واحد . فهل للسيد مصروعة ان يتكرم ويقابل قسيس تلك البلدة لرد أملاك السادة حداد لذويها ما دام الامر كما تفضل وذكر وأما عذر أهل الخطيب المسلمين بعدم تزويج ابنتهم لرجل مسيحي فجوابه بما يلي :

سأل مسيحي مسلماً لماذا نحن نرضى بتزويجكم بناتنا وانتم ترفضون المعاملة بالمثل فما كان من المسلم الا ان اجابه نعم نحن اعترفنا بعيسى «ع» فزوجتمونا ولو انكم اعترفتم بمحمد ﷺ ورفضنا تزويجكم لكان لكم علينا حق العتب .

فما رأي الاستاذ مصروعة هل هذا كلام مردود ؟

جويا ــ نزيل نيجيريا محمد خاتون

الملك عبد الله وقضية فلسطين

وآراء في مقال محمد علي الطاهر

كنا نود التريث للكلام عن المغفور له الملك عبد الله بن الحسين في مذكراتنا التي نتابع نشرها في العرفان ولكن الصديق محمد علي الطاهر أحد رجالات فلسطين المعروفين لم يمهلنا بعض الوقت فقطع علينا الطريق بمقاله الوحدة والاتحاد بين العرب في العدد الثالث المجلد ٥١ المؤرخ في جمادى الاولى عام ١٣٨٣ هجرية ص ٣٠٣ حيث عزا ضياع فلسطين الى الملك الراحل وحمل عليه حملة منكرة مستشهداً بعبد الله بك التل .

بعد أن أباحت الدولة العثمانية في اواخر عهدها لليهود التملك بفلسطين أخذت الهجرة تتدفق بعد إعلان الإنتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩١٨ عملا بمعاهدتي سايكس بيكو وفرساييل حتى قامت الثورة في فلسطين عام ١٩٣٦ وامتدت الى وقوع الحرب العامة الاخيرة ولمست بريطانيا بعد الحرب العامة حراجة موقفها لدى الفلسطينيين وزيادة الفتك في جيشها والاغتيالات المتتابعة فقررت إخلاء فلسطين فوجهت عام ١٩٤٦ كتاباً للدول العربية تعلمها به عزمها على مغادرة فلسطين فتقدم الملك عبد الله واحتل الضفة الشرقيـــة واحتلت مصر منطقة غزة وعين لبنان الامير عبد العزيز شهاب محافظ لبنان الجنوبي حاكماً على الجليـــل الغربي بمرسوم فلم يكن من ترومن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الا ان شد أزر اليهود

الذين أعلنوا عام ١٩٤٧ حقوقهم في الاقسام الباقية من فلسطين وشدت أزرهم اكثر الدول العربية وكانت السوفييت أول دولة اعترفت رسمياً باسرائيل وتبادلت معها التعاون مستوردة منها الحمضيات لقاء ما تشحنه لها من البضائع عن طريق تركيا.

وفي عام ١٩٤٧ استدعى الملك عبد الله نوري السعيد لعمان وابن أخيه الامير عبد الإله واتفق معهما على حشد الجيش العراقي الى جانب الجيش الاردني لمهاجمة اسرائيل في بدء عهدها وحداثة ميلادها فخشيت السعودية والسيد شكري القوتلي والملك الراحل عبد العزيز ابن السعود أن يضم الملك عبد الله بهذه الطريقة فلسطين بكاملها اليه فعقد وزراء خارجية الدول العربية اجتماعاً في فندق سرسق بصوفر في ١٥ ايلول ١٩٤٧ وقرروا به بعد الاخذ والرد التوجه الى عمان وإقناع الملك عبد الله بضرورة قبوله بانضمام الدول العربية واختياره قائداً لجيوشها فتوجهوا تواً الى عمان ولما عرضوا عليه اقتراحهم رفض ذلك على مرأى منا ومسمع فأصروا بحجة ان كل دولة عربية ملاصقة لاسرائيل وان لبنان مجاورها من الجليل الغربي وسوريا من الجليل الشرقي والسعودية من العقبة ومصر من العقبة وغزة وان مهاجمتها من الجهات الخمس ادعى للفوز والنصر فلم يزالوا آخذين بأنامله لثماً وتقبيلا حتى أغروه وحملوه على القبول.

ولما قال لهم ان ذلك يستدعي إلغاء المعونة المادية البريطانية تعهدوا له بأن الجامعة تتقدم بذلك فما وقعت الحرب حتى وضعت السعودية قسطها في البنك باسم الاردن ولم تدفعه للدولة وتمنعت سوريا ومصر عن دفع بارة واحدة بينما بريطانيا منعت معونتها وبينما الدول وقفت من الحرب الاسرائيلية الاردنية موقف المتفرج وبدلا من المساعدة عمدوا لتأليف حكومة تحت رئاسة المرحوم احمـــد حلمـــي باشا وأدى الامر لانقسام الجيش الاردني على نفسه لقطع المعونة والمرتبات عنه بسبب حجب المعونة البريطانية وحصر الفقيد الراحل همه بمهاجمة تل أبيب وقذفها بالمدافع فسحبت قسماً من قوتها وهاجمت به الجناح القبلي الذي لم تكن به غير حامية اردنية ضئيلة حتى وقعت الهدنة في إبريل عام ١٩٤٨ .

ورأى الفقيد الملك عبد الله بتسمية حكومة عموم فلسطين ان وراء الاكمة ما وراءهـــا فذهب بنفسه للمصافاة مع الملك فاروق والملك الراحل عبد العزيز ابن سعود لإعادة الكرة على إسرائيل بقلوب صافية فما وطئت رجله الاردن حتى بدأت المؤامرات عليـــه وانتهت باغتياله عام ١٩٥١ رحمه الله .

هذه نبذة وجيزة عن القضيه الفلسـطينية باختصار نزفها للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وما يذكر الا اولوا الالباب .

محمد كامل شعيب العاملي

التقريظ والانتقاد

القواعد العامة للفقه الجعفري

أصدرت دار النشر للجامعيين كتاب « القواعد العامة للفقه الجعفري » للعلامة السيد هاشم معروف .

وقد وفق المؤلف كل التوفيق في عرض هذه القواعد بدقة وأمانة وباسلوبه البين الواضح وذكر العديد منها مجيداً في الترتيب والتبويب . كما أحسن في ارجاعها الى ادلتها ومصادرها التي اعتمدها فقهاء الإمامية .

وقد يسرها بذلك لكل طالب وراغب ، وجعلها في متناول كل مؤلف وكاتب ، حتى لم يبق عذراً لمن يجهل او يتجاهل ما لدى الإمامية من التشريع وقواعده .. وبذلك نعرف ما لهذا السفر اليتيم من أهمية وفوائد .

ولا غرو فقد عودنا المؤلف في كتابه الاول عقيدة الشيعة ، والثاني تاريخ الفقه الجعفري ان يقدم الدليل تلو الدليل على صفاء فطرته ، وسعة اطلاعه ، وبعد نظره ، والإخلاص للحق وأهله .

اعيان الشيعة

الجزء الثالث والخمسون

يتابع الاستاذ الكبير السيد حسن الامين إصدار هذه الموسوعة الاسلامية العربية الكبرى متمماً بذلك رسالة والده العظيم السيد محسن الأمين .

وبانتهاء الجزء الثاني والخمسين انتهت الاسماء المرتبة على حروف المعجم وانتهى حرف الياء وتبدأ في هذا الجزء المستدركات التي فاتت الاجزاء السابقة واهمها مستدركات حرف الالف . وهذا الجزء كله في مستدركات حرف الالف . وبعض الاسماء كلها جديدة فاتت المؤلف في مواضعها ، وبعضها تتمة للترجمات التي نشرت في الاجزاء السابقة .

ومن تراجم العامليين في هذا الجزء ترجمة الشيخ ابراهيم مروة نزيل قم ودفينها ، كما ان فيه ترجمة السيد ابو الحسن الاصفهاني المرجع الاكبر في وقته .

وقد جرى هذا الجزء على ما جرت عليه الاجزاء السابقة من دقة التحقيق وعمق البحث وشمول الموضوع .

وبقية الاجزاء حتى الجزء السادس والخمسين اصبحت مهيأة للصدور . «ص»

الصابئون في حاضرهم وماضيهم

تأليف السيد عبد الرزاق الحسني ـ مطبعة العرفان ـ صيدا

لا يزال المؤرخ العراقي الشهير السيد عبد الرزاق الحسني يوالي طبع كتبه التاريخية المفيدة وقد ظهر له حديثاً الطبعة الثالثة من كتابه « الصابئون في حاضرهم وماضيهم » وهو دراسة مستفيضة عن هذه الطائفة ، تستند الى مشاهدات شخصية وتتبعات دقيقة ، وتبحث في الصابئة قديماً وحديثاً ، وتكلم عن معتقداتهم الروحية ، وفرقهم الدينية ، وكتبهم المقدسة ، وعلى يحيى بن زكريا الذي ينتمون اليه ، وتضم بين دفتيها ادق المعلومات وأصدقها عن طقوسهم الدينية ، وعاداتهم الاجتماعية ، واعيادهم القومية ، وعدد نفوسهم ومساكنهم وصناعاتهم ، والمحرمات عندهم . كل ذلك باسلوب علمي محض كما عودنا المؤلف في سائر مؤلفاته ، فقد صدر له حتى الآن في العقائد والاديان عدا عن هذا الكتاب الكتب التالية : اليزيديون ، البابيون والبهائيون . تعريف الشيعة ، الخوارج في الإسلام ، الصابئة قديماً وحديثاً ، عبدة الشيطان في العراق ، البابيون في التاريخ ، امافي التاريخ السياسي فقد صدرت له المؤلفات التالية : تاريخ الوزارات العراقية في عشرة مجلدات ، تاريخ العراق السياسي الحديث في ثلاثة مجلدات ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب في مجلدين ، الأسرار الخفية في حوادث سنة ١٩٤١ ، الثورة العراقية الكبرى ، العراق في ظل المعاهدات ، اسرار الانقلاب ، وبالاضافة الى ذلك كله له المؤلفات التالية ، العراق قديماً وحديثاً ، تاريخ الصحافة العراقية ، تاريخ البلدان العراقية ، الاغاني الشعبية ، تاريخ الثورة العراقية ، المراقد المقدسة في العراق .

أمد الله في حياة مؤرخنا الكبير ليظل يمد المكتبة العربية بأمثال هذه التحف الفريدة .

هكذا عرفتهم

تأليف : جعفر الخليلي

هذه خواطر عن أناس أفذاذ عاشوا بعض الاحيان لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم امثال السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائري وسعد صالح وغيرهم . ولا شك ان تحليل مثل هذه الشخصيات بقلم اديب كبير مثل الاستاذ الخليلي انما يعكس واقع هؤلاء الحقيقي ويكشف عن عدة نواح في حياتهم لم تنشر بعد ، اذ ان الاستاذ الخليلي لم يدخل رأساً في سر وميزات كل شخصية بل عرض اولا مراحل كثيرة مر بها حتى تعرف بكل مهم ، وهذا الوصف انما هو أدب قائم بذاته ، فيه

أهم الأخبار والآراء

حفلة الندوة الثقافية بالقماطية

أقامت الندوة الثقافية بالقماطية حفلة خطابية بمناسبة دخولها في عامها السابع تحت رعاية معالي الوزير الذي تحمل سيارته النمرة رقم ٧ اي الاستاذ كمال جنبلاط وزير الداخليــة . وكانت حفلة موفقة بما جمعت من حضور وما تلي فيها من خطب . فمن كلمة رئيس الندوة الاستاذ ضاهر حمزة الى كلمة سماحة العلامة السيد موسى الصدر فكلمة سيادة الاب غريغوار حداد فخطاب الدكتور عدنان حيدر فخطاب الوزير فقصيدة الاستاذ ابراهيم بري ، وقد نشرنا في غير مكان من هذا العدد كلمة الاب غريغوار وقصيدة الاستاذ بري . وكان عريف

الكثير من الواقع ، والكثير من الطرافة ، اذ يشعر المرء وهو يرافق المؤلف في وصفه بأنه أمام مفاجآت عديدة تلذ قراءتها ، لا سيما الاسلوب البــديع الذي اتصف به الخليــلي في جميع كتاباته .

فها هو عندما يصف ناحية من نواحي حياة السيد محسن الامــين ، يسهب في وصف تحريمه الضرب بالسيوف وبالسلاسل في يوم عاشوراء ومقاومـــة الذين يستعملون الطبول والصنوج والابواق وغيرها في تسيير مواكب العزاء بيوم عاشوراء وكيف اتخذ هذا التحريم خصومه ذريعة لمهاجمته ، وما تفرع عن ذلك من تأييد ومعارضة ، مما يتشوق القــارىء لقراءة كل كلمة كتبت في الموضوع . وكذلك عندما تكلم عن الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء يصف قصة مقابلة الريحاني للشيخ ومراسلاته له ، وما تركت هذه المقابلة من نقــد لدى كثير من المتعصبين والجامدين ، واشتراكه في المؤتمر الاسلامي ومصاحبة السيد صالح الحلي له . وغيرها من الطرائف النادرة التي مرت في حياة هؤلاء الاشخاص ، والتي عرف الناس قسماً منها ، وبقي قسم كبير غامض ، جاء أديبنا الخليلي ليكشف كل ذلك ويوضح جميع الملابسات التي رافقت كل قضية .

ان كتاب الخليلي جدير بأن يقرأه الادباء وطلاب التاريخ وطلاب الحقيقة .

« ميم »

الحفلة الاستاذ علي الحاج رئيس بلدية القماطية ولا ننسى هنا زنبرك حفلات الندوة الاستاذ زين صلّوخ . نتمنى للندوة كل توفيق وللقماطية كل تقدم .

حفلة حسين عاصي على شرف السيد محمد تقي الحكيم

يمتاز سماحة العلامة السيد محمد تقي الحكيم عدا علمه وفضله واجتهاده برزانته واعتداله وتواضعه وهذا كله مما يجب ان يمتاز به العلماء ، ولكنا نجد مع الاسف ان الكثير منهم لا يتحلى بهذه الصفات ، والسيد التقي الحكيم عميد كلية الفقه بالنجف الاشرف ، وقد نشر له مؤخراً السيد حسين عاصي كتاب « الاصول العامة للفقه المقارن » وهو كتاب له قيمته نبدي رأينا فيه فيما بعد . وبمناسبة صدور هذا الكتاب وقرب عودة السيد الى العراق اقام له صاحب مكتبة الاندلس حفلة عشاء جمعت العديد من العلماء والادباء والصحفيين والسياسيين وغيرهم وقد تكلم صاحب الدعوة مرحباً ورد عليه المحتفى به بكلمة شكر ، ثم تكلم الاستاذ محمد قره علي وقلب الحفلة الى سوق عكاظ ، فمن قصيدة للاستاذ عمر ابو ريشة الى تعليقات لسماحة العلامة السيد موسى الصدر . ولم ينفرط العقد الا في ساعة متأخرة من الليل .

محاضرة السيد الصدر عن الزهراء

بمناسبة ذكرى وفاة الزهراء عليها السلام دعت جمعية كيفون الخيرية الى الاستماع لمحاضرة القاها سماحة العلامة السيد موسى الصدر في نادي جمعية كيفون الخيرية عن الزهراء وكانت محاضرة رائعة عن حياة الزهراء وعلمها وفضلها وجهادها ووفاتها . والسيد الصدر يبدي نشاطاً محسوساً وملموساً في الميدان العلمي والديني يشكر عليه .

الوفيات

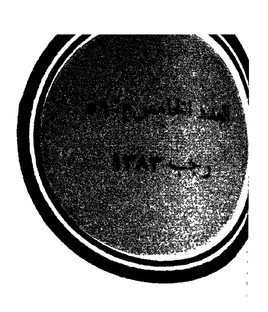
ــ توفي في قليا ــ البقاع عن عمر ناهز الثمانين الشيخ علي زين الوجيه الاديب الشاعر الكريم . وقد اقيم له في بلده مأتم واسبوع حافلان حاشدان .

ــ وتوفي في بيروت الاستاذ عبد الله دبوس القائد العام للكشاف والناظر العام في الكلية الاسلامية سابقاً .

ــ وتوفي غرقاً في النهر المأسوف على زهرة شبابه هاني جواد الاخوي وقد اقيم له في صور اسبوع حافل .

ــ وتوفي في النبطية السيد رضا موسى سليمان وقد اقيم له حفلة اسبوع في مسقط رأسه شقراء

تعازينا الحارة لآلهم وذويهم .



مجلة

...ية أدبية ...

لي موطن في ربوع النيل أعظ...
ولي هنا في حماكم ...
إني رأيت على أهرامها حللاً
من الجلال أراه فو...
لم يمح منها ولا من حسن جدتها
على التعاقب ما يمحو الجد...
حسبت نفسي نزيلاً بينكم فإذا
أهلي وصحبي وأحبابي و...

حافظ ابراهيم

البترول : وسيلة الى حياة افضل

تفد الى ميناء بيروت وتقلع منه في كل عام ، في المتوسط ، اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ باخرة ، حامـلة معها اكثر مـن ١،٦٠٠،٠٠٠ طن من البضائع . هذه البواخر الناقلة لآلاف من السلع (في عملية التبادل التجاري العالمي المتزايد دائما) تسير كلها تقريبا بمنتجات البترول .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية ادبية شهرية مصورة

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

سنتها عشرة اشهر بألف صفحة   تلفون : ٧٢٠١٠٥

الجزء الخامس   المجلد ٥١   رجب ١٣٨٣   تشرين الثاني ١٩٦٣

	الموضوع	الكاتب
٤١٨ – ٤٢١	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٤٢٢ – ٤٢٨	الاصول العامة للفقه المقارن	محمد جواد مغنية
٤٢٩ – ٤٣٢	في سبيل السلام والرفاهية	محمود محمد باز
٤٣٣ – ٤٣٩	من اساتذة الجيل	روكس العزيزي
٤٤٠ – ٤٤٣	رسالة الاسلام في عالم اليوم	محمد عبد المنعم خفاجي
٤٤٤ – ٤٤٨	اخوان الصفا	محمد علي الزعبي
٤٤٨	بلا عنوان	سعيد فياض
٤٤٩ – ٤٥٠	الله « قصيدة »	احمد حيدر
٤٥١ – ٤٦٢	لماذا يشقى الاديب في بلادنا	خضر عباس الصالحي
٤٦٣ – ٤٦٦	الشيخ بهاء الدين العاملي	علي ابراهيم
٤٦٧ – ٤٧١	مفهوم القانون عند شيشرون	زيد الدين
٤٧٢	ذات ليلة « قصيدة »	كامل سليمان سليمان
٤٧٣ – ٤٨٣	حبابة « تمثيلية »	رشيد وهبي
٤٨٤ – ٤٨٨	السيد محمد مهدي القزويني الحائري	سلمان هادي الطعمة
٤٨٩ – ٤٩٦	العقوبات في الاسلام	صادق مهدي الحسيني
٤٩٧ – ٤٩٨	طرائف سنغالية « شعر »	ابراهيم حاوي
٤٩٩ – ٥٠٢	مقبرة وادي السلام بالنجف	محسن عبد الصاحب المظفر
٥٠٣ – ٥٠٥	تتمة مقال	محمود محمد باز

٥٠٦ – ٥٢٨ ابواب العرفان : المراسلة والمناظرة ، واذا الصحف نشرت ، سير العلم ، الزراعة والصناعة ، بريد المهجر ، آراء القراء ومشاكلهم ، السؤال والجواب التقريظ والانتقاد ، اهم الاخبار والآراء .

بيني وبين القارئ

بقلم : نزار الزين

قارئي العزيز :

عجباً للبعض لا ينظرون الى الأمور الا من حيث مصلحتهم ومنفعتهم ويبيحون لأنفسهم ما لا يبيحون لغيرهم فكأن الله خلقهم من طينة غير طينة البشر ، او لأنهم يقسمون أنفسهم الى قسمين : قسم مع هذا الزعيم وقسم آخر مع ذاك اي انهم يحوزون المجد من أطرافه ويستفيدون في المنافع الخاصة من هنا وهناك فلا تفوتهم منفعة . عالم ديني طبع ديوان شعر في مطبعتنا وفي هذا الديوان قصيدة يعرّض بها ناظمها بالمرحوم المقدس السيد محسن الأمين مؤلف أعيان الشيعة وكفى وغيره من المؤلفات القيمة وصاحب الفضل الكبير على المدرسة المحسنية والمدرسة اليوسفية في دمشق وكنت منذ مدة أريد أن أكتب كلمة عن هذا الرجل العظيم والسيد السند ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها حتى جاءت المناسبة الآن ، ومن عاشر هذا السيد مثلما عاشرناه واتصل به مثلما اتصلنا ، تمكن أن يأخذ فكرة شاملة عنه ، انه العسل المصفى والماء الصافي العذب يؤخذ من ينبوعه ، وماذا أحدثك عنه والحديث عنه يأخذ لا عدداً من العرفان بل مجلداً ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله كان ينزل ضيفاً علينا لطبع كتبه ، فنأنس به ونحن صغار كما يأنس الطفل برضع ثدي امه ، لا تقعّر ، لا تصنّع لا عجرفة ولا ادعاء ، وما عليك الا أن تقتبس من علمه وتنهل من فضله وترتوي من خلقه وطيب حديثه ، وبعد ذلك كنا نلتقي به في دمشق ، فنأكل معه المجدرة وبقلة الفول وكأننا نأكل أشهى الأطعمة ونجلس معه على تلك السدة الصغيرة في داره بين أوراقه وكتبه فنلاحظ انا في حضرة رجل نذر نفسه للعلم والدين ، ومرة ضفناه على الغداء مع سيدي الوالد رحمه الله وجماعة غيره وكنت صغيراً وكان الغداء دسماً ، فلما دخل الى البيت همست في أذن والدي « لقد فاضت مكارم السيد » فابتسم الوالد عليه الرحمة لحشريتي ، واذا بالسيد يُقبل فلم يسمع ما قلته ولكن سرعة بديهته جعلته يعرفه فقال لي : « انِ الكريم مع والدك ليس كريماً يابني »

وبعد قليل سألني هل خطك جيد أو انه كخطي وخط أبيك ، فقلت له إنه جيد فقال لنجرب ولما أيقن من جودته دفع إليّ بأوراق لتبييضها فقلت له لم ننتفع شيئاً يا مولانا أتريد أن تأخذ ثمن الغداء فأجاب على الفور رحمه الله : « لو لم يعلم والدك انك مثله تعطي اكثر مما تأخذ لم يبدأ باصطحابك معه منذ الآن » أما عن عفته ونزاهته وتحويله ما كان يعطى له للمدارس والفقراء فهذا تضيق به هذه العجالة وهو معروف ويرويه الخاص والعام .

عالم أديب غريب عنا وبعيد عن طائفتنا عضو في المجمع العلمي سألني مرة عن عالم أديب قديم وبعد مراجعة كتب الأدب لم نعثر عنه على شيء يُذكر ، قال العالم المعاصر لو كان هذا العالم الأديب شيعياً لرجعنا الى « أعيان الشيعة » وعرفنا عنه ما نريد ، نعم إلى أعيان الشيعة والفضل ما شهد به غيرنا ، واذا أردت الآن أن تؤلف فما هي مراجعك ؟ العرفان وأعيان الشيعة قبل كل شيء ومع ذلك ينكر شيخي فضلهما .

في دمشق عاصمة الأمويين وفي المجمع العلمي العربي بدمشق حيث كان رئيسه كرد علي وما أدراك ما كرد علي نحو الشيعة ، فرض السيد محسن احترامه واحترام عقيدته ، ولقد رثاه خلفه في المجمع العلمي الدكتور حكمة هاشم بأبلغ ما يكون الرثاء ، ومما قاله : «ومن المؤسف انكم تركتم زميلكم المرحوم السيد محسن بعض الأحيان ينتقدكم في مسائل تبين انه صاحب الحق فيها » اذاً لم يتهاون السيد محسن عليه الرحمة في عقيدته أبداً ، ولكن ماذا يأخذون عليه. لم يُرد أن نكون مهزلة للناس ولم يشأ أن نكون أضحوكة للأغراب ، نمثل أدواراً لا تليق بهذا العصر واذا آمكن هضمها في العراق وإيران فلا يمكن هضمها في لبنان .

قارئي الكريم :

هذا هو المرحوم المقدس السيد محسن الأمين الذي استباح شيخنا العالم الديني الذي أشرنا اليه في مقدمة هذا الكلام أن يطعنه بعد موته وينشر قصيدة تعرّض به ، كأنه ليس من علماء الدين ، أما أنا الذي انتقدت دون أن أسمي شخصاً او اعرض بشخص في مقالي بالعدد الثالث من هذا المجلد او انتقدت اعمالا شاذة وتصرفات مخزية فيقول هذا الشيخ في كتاب أرسله الي بأني في هذا المقال قد تعرضت لسخط الله وخلقه وانه قد قطع اشتراكه بالعرفان، واظن ان شيخنا مخطىء في ذلك كله فأنا لا أقبض معاشاً دون ان اعمل ولا آكل مال الوقف ولا ولا ولا الخ مما يطول شرحه وبحثه حتى اتعرض لسخط الله وان كانت لي سيئة فلي مقابلها مئة حسنة واما سخط الخلق فقد تلقيت منه وحده احتجاجاً على مقالي واما من غيره فقد تلقيت عشرات التهاني : يقول أحد علماء الدين المنتجين المخلصين وهو من الذين

يعملون دون عجيج او ضجيج ويخدمون العرفان خدمات كثيرة يقول في آخر كتابه : ذلك العتبي حتى ترضى يا استاذ ولا زلت موفقاً » وقد أخجلني كثيراً في ذلك ولكن ما أجمل تواضع العلماء . ويقول عالم ديني آخر : « ان من يعد الحياة كفاحاً وعملا ليكبر جهادك – يا نزار – في مجال الذود عن حياض العقيدة والمبدأ ، والذب عن الفكرة المقدسة ، تمر بك الحوادث إثر الحوادث ، والمزعجات اثر المزعجات وانت كالجبل صموداً الخ . وكل قائمة لأنصار العرفان يلاحظ القارىء انها لا تخلو من اسم عالم ديني او اكثر .

ووردنا من غير علماء الدين كثير مثل هذا ولكنا سددنا باب « بريد القراء » ولولا ذلك لاطلع الشيخ عليها جميعاً ووجد ان سخطه كان رضى عند غيره .

ولا أدري لماذا حينما ينتقد الانسان أو يعالج موضوعاً عاماً لا يتنطح الا هؤلاء ومن على شاكلتهم أترى لانهم يرتابون في انفسهم ويشكّون في اخلاصهم ،فهم المقصودون دون تسمية وهم المتهمون ولو حسنت النية .

ويقول شيخي : « لماذا لا تفعل كما يفعل المسيحيون والسنة انهم لا يتعرضون لرجال الدين عندهم » وهذا دليل على سعة اطلاعه !!! أما المسيحيون فلم يوفروا حتى البابا والكرادلة ولماذا نبعد انه لا يعرف لغة اجنبية ، ولكن الا يطالع ما يكتبه ادباء لبنان امثال : جبران والريحاني ونعيمة وكرم ملحم كرم وغيرهم وغيرهم لا ماله وللمطالعة ووجع الرأس . انه يقبض معاشاً وكفى ، ومشايخ الازهر هل وقّرهم جماعتهم بحق وبدون حق ! كلا ولكن هذه أمور يعرفها من يطالع ، من هو على مجرى الحياة ، وشيخي بعيد عن هذا ، كم تمنيت ان يبقى كما كان بعيداً عن العنعنات والحزازات فلا ينقاد في آخر حياته لغيره من قريب او بعيد .

وأما قطعه الاشتراك فهو يعلم اني قطعت عنه الاشتراك منذ اول السنة ولم أُعد ارسال المجلة له الا بعد ان طلب وألحّ في الطلب ،وبعد قطعه الاشتراك وردتني اشتراكات كثيرة جديدة والحمد لله كما كثر انصار العرفان . فما تحرش احد بالعرفان ونجح ،لان العرفان : قوية بنفسها ، قوية بأنصارها ، قوية بمؤيديها ، قوية بأنها مع الحق .

قارئي العزيز

مقالك هذا كان له ضجة ، ومقالك ذاك كان له دويّ ،هذه هي حجة بعضهم بألا ننتقد وما قيمة المقال اذا لم تكن له ضجة ، وما قيمة النقد اذا لم يكن له دوي وتأثير ، التوجيه الصحيح لا يعرف مسايرة ومداورة ، ولا كبير وصغير بل يعرف الحق والواقع والى الملتقى .

نزار الزين

الاصول العامة للفقه المقارن

للعلامة السيد محمد تقي الحكيم

بقلم محمد جواد مغنية

الكتاب والكاتب

قال الامام «ع» : « رسولك ترجمان عقلك ، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك » فالكتاب اذن صورة صادقة عن وعي كاتبه ، ومدى معرفته ـ ما في ذلك ريب ـ ولكن هل يعبر الكتاب عن مدرسة الكاتب ، تماماً كما يعبر عنه بالذات .. فإذا الف نجفي او ازهري كتاباً استطعنا ان نعرف حقيقة النجف والأزهر من كتاب هذا المؤلف كائناً من كان .

ويتضح الجواب من هذا التساؤل : هل يسوغ لعاقل ان يحدد الدين والعلم ، او الأدب والفلسفة ، او الطب والهندسة او فن البناء والتصوير او اي معنى من المعاني العامة ، ومفهوم من المفاهيم الكلية هل يسوغ له ان يحدد شيئاً من هذه من خلال معرفته لرجل يتسم بسمة اهلها وارباها !؟...

هل يسوغ لك ان تقول : كل الأطباء مشعوذون ، لأن هذا الدعي غرر بالمريض ، وأودى بحياته ؟.. وان كل الشعراء لا يحسنون وزن الشعر ، لأن هذا المتطفل لا يحسنه ولا يعرف شيئاً من « التفاعيل والتفعيلات » .

كلا ، ان الغريب الدخيل على الفن لا يمثل شيئاً منه ، ولا من المدرسة التي خرج منها تماماً كما دخل ، مع فارق واحد : هو انه دخلها جاهلاً بسيطاً لا يضر ولا ينفع ، وخرج منها جاهلا مركباً يضر ، ولا ينفع .

اما الخبير الاصيل الذي اخلص لخبرته ومهنته ، اما من اوتي الكفاءة والموهبة واوقف قلبه وعقله ووقته لعلم من العلوم ، او فن من الفنون فان كتابه ـ ولا ريب ـ يمثل مدرسة المؤلف ، تماماً كما يمثل الكاتب بالذات ، بل هو احدى السبل القويمة لمعرفة الفن الذي يتخصص به المؤلف ، وانصرف اليه بكله ، ومن هنا وجد تاريخ العلوم والفنون ، وبلغ في

عصرنا شأواً عظيماً ، بخاصة في المعاهد والجامعات .

كتب نيرة مشرقة

وعلى هذا الأساس نستطيع القول ، ان كتاب « الذريعة » للآغا بزرك ، و « الغدير » للأميني ، و « فلسفتنا » للسيد الصدر ، و « تاريخ الفقه الجعفري » للشيخ عبد الله نعمة . و « الاصول العامة » للسيد محمد تقي الحكيم (١) نستطيع القول ان هذه المؤلفات بمجموعها تمثل النجف ، كما هي ، او قل : ان كل مؤلف منها يمثل ناحية من عظمة النجف ، وافقاً من آفاقها ، ويصور مرحلة نيرة مشرقة من التاريخ العلمي للنجف الاشرف ، واسأل الله سبحانه المزيد ، فان الفراغ ما زال عميقاً وشاسعاً . .

ثورة في التشريع الاسلامي

نحن الآن ازاء ثورة في التشريع الاسلامي ، ثورة في عرضه وتيسيره ، وثورة في اذاعته ونشره على الدنيا ، عربها وعجمها ، قاصيها ودانيها ، المسلم منها ، وغير المسلم فمن كتاب الفقه على المذاهب الاربعة الى كتب تاريخ التشريع الاسلامي والاحوال الشخصية ومن كتاب مصادر الحق في الاسلام الى كتب التشريع الاسلامي لغير المسلمين ، والعقوبات والجنايات الى اصول الفقه والاسرة في الاسلام ، والمبادىء العامة في التشريع الاسلامي الى كتاب الحلال والحرام الى غير ذلك من الابواب والموضوعات التي استوعبت كتبها واجهات المكاتب ، وشغلت المطابع ليل نهار .

اما المصدر الاول لهذه اليقظة . وهذا النشاط فهو القاهرة ، وبصورة أخص الجامع الازهر . . وماذا فعلنا نحن ازاء هذا الانتاج الضخم في التشريع ؟ . . لا شيء على علم بأن تلك الكتب على كثرتها وتنوعها قد تجاهلت الشيعة ، وتشريعهم اصولا وفروعاً .

وهنا مكان الخطر . . لقد انتشرت هذه الكتب بين المحامين والحقوقيين في كليات الحقوق واكثر طلابها او الكثير منهم من شباب الشيعة . . وغير بعيد ان تكون هذه الكتب في يوم ما مجالا لرجال التشريع الحديث ، يرجعون اليها ويخرّجون بعض تشريعاتهم عليها بمعزل عن أصول الشيعة وقواعدهم وأحكامهم مع ان في فقه الشيعة واصولهم من السعة

---

(١) ظهر في هذة الآونة آثار للكبار في النجف ، لها اهميتها ـ نظرياً ـ في عالم التشريع ، ولكنها لم تخرج عن القاعدة والاستهلاك المحلي ، لاخراجها القديم ، واسلوبها الصعب المستصعب ، ولا ادري ان كان العلماء يطبقون حديث الضعف المستضعف على مؤلفاتهم ومهما يكن فكلامنا عن الآثار التي اوجدت النجف اسواقاً في الخارج .

واليسر والاجتهاد الذي يتجاوب مع الحياة ما ليس في فقـه اي مذهب من مذاهب السنة اطلاقـاً .

وأظن ـ وان كان الظن لا يغني عن الحق شيئاً ـ ان هناك مؤامرة مدروسة ضد فقه الشيعة ، وما يتصل به ، وان هذه المؤامرة جاءت بوحي من الخارج .. والا بمـاذا نفسر ترجمة كتاب لا شيء فيه يذكر للشيعة ترجمته الى اللغة الفارسية وتدريسه في جامعة طهران لطلاب الشيعة وشبابهم ؟! لماذا ترجم هذا الكتاب ولم يترجم كتاب « المبادىء العامة للفقه الجعفري » مثلا مع ان اسم الكتابين واحد وموضوعهما واحد ولا فرق سوى ان المترجم للسنة والمهمل للشيعة .

هذا ، وايران شيعية جعفرية اثني عشرية دولة وشعباً ، تماماً كصاحب الكتاب الذي لم يترجم ..

لقد فهمنا السر لترجمة كتاب الإمام علي ، وكتاب فلاسفة الشيعة وكتاب اهل البيت الى اللغة الفارسية اما ترجمة كتاب في التشريع السني فقط لا غير وتدريسه والعمـل على انتشاره في بلد شيعي كـإيران فلا نفهم له سراً الا على أساس المؤامرة الاستعماريـة الصهيونية البابية .

ومهما يكن فقد تنبه لهذا الخطر الداهم العلامتان : السيد هاشم معروف ، والسيد محمد تقي الحكيم ، فأخرج الأول كتاب « تاريخ الفقه الجعفري » و كتاب « المبادىء العامةللفقه الجعفري » وسد الكتابان فراغاً كبيراً ولله الحمد ونحن على موعد مع صاحبهما لإنجاز الثالث ان شاء الله . والف الثاني كتاب « الاصول العامة للفقه المقارن » الذي نحن بصدده والامل وطيد ان تتوافر الجهود لنقرأ المزيد في هذا الميدان :

ولو وجد الوعي والإخلاص معاً لكرسنا جميع القوى لتحقيق هذا الهدف الاسمى ، ولسلكت اولي الشأن اليه كل سبيل ، ولكنه ـ يا للأسف ـ أبعد ما يكون عن أذهـانهم وافهامهم .. بل اقول بلا تحفظ : ان سكوتهم يومىء الى انهم لا يشعرون بتخلفنـا عن الركب . ولا بالحاجة الى نشر تراث الآل وعلومهم على الملأ ولابالتبشير والتعريفبالمذهب وعظمته .. واي شيء ادل على ذلك من تجاهلهم او تجاهل الكثير منهم لتلك الكتب الـتي اشرت اليها في الفقرة السابعة ، والتي أسمعت صوت النجف من لا يعرف عنها شيئاً ورفعت من شأن الدين والمذهب ، بوجه عام ومن شأنهم انفسهم بوجه خاص !؟.

ومن يصدق ان كتاب « الاصول العامة » لولا دار الاندلس ببيروت لم ير النور الان

يشاء الله ؟.. مع العلم بأن صاحبه من اساتذة النجف ووضع كتابه من الفه الى يائه في النجف والله سبحانه المسؤول ان لا يقف بعض الاخوان من تلك الآثار التي ادت رسالة الدين والعلم بجدارة واخلاص ان لا يقف منها موقف المعارض المتطرف ، لمجرد انها لم تصدر عن قلمه الشريف .

الاصول العامة

قلت : ان كلامي الآن عن الكتاب الأخير « الاصول العامة للفقه المقارن » بقلم السيد محمد تقي الحكيم . وقد توجد مضامين الكتاب متفرقة في العديد من كتب الاصول ولكن هذا الجمع بين اصول الشيعة والسنة ، والمقارنة بينها على اساس المنطق وهذا العرض من الترتيب والتبويب والايضاح ان هذه لا توجد مجتمعة في كتاب الا كتاب السيد الحكيم . فإنه — على وجه العموم — يهدم جانباً غير يسير من اسوار الغموض والتعقيد التي احيطت بكتب الاصول قديمها وحديثها ويجعل هذا العلم اكثر وضوحاً واقرب الى الافهام من ذي قبل .. كما قضى على الحدود والحواجز التي بقيت قروناً تفصل بين اقوال السنة والشيعة من حيث الجمع والتأليف رغم ما بينها من التداخل والاشتراك في كثير من الاصول والمبادىء .

ان كتب الاصول التي بين ايدينا فيها عرض وتسجيل ، وفيها نقد وتحليل ولكن لا مقارنة فيها بين اقوال المذاهب ، كما ان العرض جاف وموحش ، والنقد لا يعرف منهجه الا العليم الخبير .. اما السيد الحكيم فقد ابتدأ اولا بعرض منهجه والطريقة التي اعتمدها في ابحاثه ، وهي الانتقال مباشرة او بالواسطة من الأوليات البديهية والملمسات الضرورية الى القضايا النظرية فالمؤلف لا يقبل شيئاً مهما كان الا اذا رجع الى اصل يقبله الجميع ، اما اذا رجع الى شيء خاص ، كعلم زيد دون عمرو فليس بشيء يعتمد عليه للفصل بين الخطأ والصواب والحق والباطل ، وهذا النهج - كما ترى - يحمل شارات فلسفية واضحة .

وقد اعتمده كبار الاصوليين ، ولكنهم لم يكشفوا عنه صراحة بل تركوه الى فهم القارىء الذي افترضوا فيه المعرفة بالمنطق فتصيده من الثنايا والزوايا فكان الطالب المسكين ومعه اكثر من استاذ يرون العبارات والاقوال ولا يرون منهج اصحابها اما السيد فقد طرح منهجه امام كل طالب وقارىء قبل ان يخط كلمة واحدة ، ليكون الاستاذ والتلميذ على بصيرة من الاسباب والنتائج .

وبعد ان ذكر المنهج شرع في تفسير الألفاظ التي دأب الاصوليين على استخدامها ، وحددها تحديداً علمياً دقيقاً ، وبين ما تنطوي عليه من عناصر وأجزاء ليكون القارىء على

علم من الآراء والافكار التي ترتبط بهذه الالفاظ ارتباطاً وثيقاً .

ثم عرّف الفقه المقارن ، وغير المقارن ، والاصول المقارنة وغير المقارنة وفسر الأحكام وانواعها واصنافها .. وقد وقفت عند قوله في الصفحات الاولى وهو يحدد موضوع علم الخلاف .. « والمراد بالموضوع هنا ما يبحث عن عواضه الذاتية والغريبة .. لان الاختصار على الذاتيه وحدها لا يفي بموضوعات المسائل لاي علم من العلوم » .. وقفت هنا ، لان العلوم انما تتمايز بتمايز موضوعاتها والعوارض الغريبة ليس لها موضوع معين ، فكيف واين وبماذا يبحث عنها ؟.. اللهم ان يقال .. انها غريبة ، وكفى .

الكتاب والسنة

ثم انتقل المؤلف الى الكلام عن الكتاب والسنة ، ووفى الاصل الاول حقه واستدل على الاخذ بظاهره ، وتنزيهه عن التحريف برجوع المسلمين اليه واخذهم الدين عنه اصولا وفروعا في كل مصر وعصر ، بخاصة اهل البيت الاطهـــار ورد على من قال بالتحريف واستدل عليه بقوله تعالى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » رده بلزوم الدور ، اذ مع الشك في تحريف القرآن لا يصح الاستدلال به على عدم تحريفه ، لانه استدلال بالشيء على الشيء نفسه .

ويلاحظ بأن الذين استدلوا بهذه الآية وما اليها انما استدلوا بها على نفي النقصان مع التسالم على ان هذه الآية قطعية الصدور وعليه فلا دور ، والحق ان ما قاله المؤلف لا يتنافى مع ملاحظتنا هذه ، لأنه بنى لزوم الدور على فرض الشك بالآية لا على فرض التسالم عليها كما هو فرضنا نحن .

واما الأصل الثاني وهو السنة فقد بحث السيد أقسامها وطرق اثباتها القطعية وغير القطعية ونسبتها الى الكتاب ، وما يتصل بهذا الباب واشبعها درسا وتحقيقا بما لا يقبل المزيد وقد تجلت مقدرتـــه في ايراد الحجج الدامغة التي ابطل بها ادلة القائلين بأن سنة الصحابة حجة متبعة ، وفيما اورده من البراهين والشواهد على ان سنة اهل البيت هي سنة الرسول بالذات ، وان الراد عليهم راد على الله وكتابه وعلى النبي وسنته .

ورغم ان هذا البحث ليس من صميم اصول الفقه ، وان مت اليه بسبب ولذا لم يتعرض له الاصوليون في كتبهم ، وتركوه الى كتب العقائد فاني رأيت التعرض له امراً تستدعيه الضرورة لان المؤلف تعرض لسنة الصحابة ونقدها نقداً علميا مجرداً وأبطل الركون اليها

فكان لا بد وان يذكر سنة اهل البيت ويوضح مكان الفرق والتضاد بينهما كي لا يربط متوهم بين الاثنتين ويخلط بين الضدين .

اجل ذكر المؤلف في صفحة ١٢٩ « إشكال ودفع » يتصلان بالسنة النبوية فتسنبت لو اهمل ذكرهما ، بخاصة ان عرض الاشكال وتقريره جاء باسلوب اسهل واوضح من عرض الدفع .

الحسن والقبح

ثم ذكر بقية الاصول والقواعد المتفق عليها ، والمتخلف فيها بين السنة من جهة ، وبين الشيعة من جهة ، وبين افراد كل مذهب بعضهم ببعض ، وكلمتنا تضيق عن الاشارة الى الجميع ولا بد وان ضاق المقال ، من إبداء الاعجاب بفصل التحسين والتقبيح والعقليين فان من قرأه يخرج بالنتيجة التالية :

ان كل من انكر ادراك العقل للحسن والقبح فقد أنكر - من حيث يريد او لا يريد - الخير والشر في الواقع وانه لا مصدر لهذين ، تماما كما يقول المثاليون والسفسطائيون من انه لا سماء ولا ارض ولا شيء الا ما يتصوره المتصور .

القياس

ونبه السيد في فصل القياس الى خطأ الذين نسبوا الى الشيعة نفي القياس عقلا بقول مطلق واثبت انهم يعملون به اذا كان الطريق اليه قطعيا (١) ويهملونه اذا كان ظنيا ، لتحريم العمل بالظن بوجه عام ، ولورود النهي الخاص عن الاخذ بالقياسات الظنية .

وكان يخيل الي اني سأقرأ في فصل القياس تنبيها جديراً بعناية المؤلف واهتمامه ولكنه تخطاه لسبب هو اعلم به ، اما التنبيه فهو اني لاحظت وانا اتتبع فقه المذاهب ومصادره ان ابا حنيفة كان يقدم القياس على نص القرآن الكريم في جملة من فتاويه .. من ذلك .

ان الله سبحانه يقول : « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم » آية ٤ من النساء وقال ابو حنيفة : بل تعطى اليهم اموالهم ، وان لم يؤنس منهم الرشد (ابن عابدين ج ٥ باب الحجر) وهذه عبارته بالحرف الواحد « واعلم ان الحجر عند ابي حنيفة على الحر البالغ العاقل لا يجوز بسبب السفه » (٢) .

---

(١) مع وجود القطع يكون هو الحجة لا القياس وعليه تكون النسبة صحيحة ، هذا الى ان القياس من وظيفة المجتهد والمجتهد هو الذي يعمل بظنه الذي قام الدليل عليه من الشرع والشيعة يقولون كل ظن ينشأ من القياس لا دليل عليه .. اذن القياس بوجه العموم عندهم لا يعول عليه ، لانه من الظنون غير المعتبرة .

(٢) المراد بالسفيه هو المبذر الذي يضع امواله في غير مواضعها العادية ، وهذا قد يكون بالغاً عاقلا ، ولكنه غير رشيد .

هذا مع العلم بأن الإمامية والشافعية والمالكية والحنابلة وابا يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي ابي حنيفة اتفقوا جميعا على الاخذ بظاهر الآية .

وايضا قال تعالى « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وقال ابو حنيفة « ان لم يكن للمفلس مال ، وطلب غرماؤه حبسه ، وهو يقول « لا مال لي حبسه الحاكم » (فتح القدير ٧ باب الحجر » .

ولعل السيد المؤلف ، ترك هذا التنبيه في فصل القياس الى ما ذكره في (صفحة ٣٩٢) من غلو الطوفي في تقديم المصالح المرسلة على النصوص والاجماع .. ومهما يكن فقد كشف المؤلف عن مساوىء القياس كأصل للتشريع واثبت بالارقام انه لا يقف امام النقد والتمحيص واذا اشار علماء الاصول الجعفريون الى القياس اشارة عابرة في كتبهم ، ولم يطيلوا الكلام فيه . لان بطلانه عندهم من المسلمات فإن المؤلف ، قد تبسط وأطال ، ليثبت للمؤمنين به انهم على ضلال .

وهكذا لم يكتف السيد بالاشارة والنظرة السريعة السطحية الى الاستحسان والمصالح المرسلة والذرائع والتصويب وسد باب الاجتهاد بل توغل في استطلاعها ومعرفة حقائقها واسبابها ومداركها وبين النتائج الوخيمة المترتبة على تطبيقها والاخذ بها وبالتالي صفّى بمنطق العلم والدين اصول الفقه ومصادره من كل شائبة تشين الاسلام ، وكل ما هو دخيل على شريعة سيد الانام كالقياس والاستحسان وما اليهما .

جهد وصبر

ولا ادري كم قضى المؤلف في وضع هذا الكتاب ولكني اعلم علم اليقين انه يستند الى كفاح وصبر طويلين ودراسات واسعة، ونظرات ثاقبة' واليك واحدة من هذه النظرات .

قال الامام الصادق « اعرضوهما ـ اي الحديثين المتعارضين ـ على اخبار العامة ، فما وافق اخبارهم فذروه ، وما خالف اخبارهم فخذوه » .

وقال السيد الحكيم في تفسير العامة ص ٣٦٩ : « المراد بالعامة هنا اولئك الرعاع وقادتهم من الفقهاء الذين كانوا يسيرون بركاب الحكام ، ويبررون لهم تصرفاتهم بما يضعون من احاديث حتى انتشر الوضع على عهدهم انتشاراً فظيعا » .

وهكذا يسلم الذكي الحاذق اذا فوجيء بمثل هذا الموقف الحرج والموضوع الشائك ؛ دون ان يتعسف في التأويل ويجني على الحق ..

خطر الكتاب

وبعد ، فاني اعرف الناس بخطر هذا الكتاب ، وكل كتاب جديد يعكس ما لدى الشيعة من تراث وكنوز في التشريع والفلسفة والعقيدة حتى أسماء الكتب والمؤلفات يعكس هذه وما اليها بأسلوب يقربها من الاذواق والافهام .. ولست اعرف تراثاً اعظم واضخم من التراث الذي تركه لنا أهل البيت عليهم السلام ولا تعاليم تتقارب وتتجاوب مع القلوب والعقول في جميع العصور كتعاليمهم ولكن المشكلة مشكلة الخبراء الفنيين ، والعلماء الاختصاصيين .

ان آثار أئمتنا الاطهار ، وعلمائهم الابرار كقوى الطبيعة لا يبلغها الاحصاء وكما ان استخراج هذه والانتفاع بها يحتاج الى العلم والعمل كذلك كنوز الآل تحتاج الى العلماء العاملين في هذا المضمار ، ومن المؤسف انهم لا يتجاوزون عدد الاصابع ومنهم صاحب « الاصول العامة » .. ولو امكن استثمار قوى الطبيعة بكاملها لعم الرخاء العالم بأسره ؛ ونفس الشيء يقال في آثارهم عليهم أفضل الصلوات لو امكن فهمها وتفهيمها ونشرها كاملة على حقيقتها لعمت بركاتها ودامت الى يوم يبعثون .

وبالتالي ، فهذه اشارة سريعة الى الكتاب ، وليست تعريفاً به وله من جميع جهاته . كيف ؟ .. وقد بلغ قرابة الـ ٨٠٠ صفحة بالقطع الكبير ، وكلها عرض لأقوال الكبار . وتراث السالفين ، ودراسات ومقارنات على أساس العلم والمنطق .

اكثر الله سبحانه فينا من امثال السيد التقي الحكيم الدائبين على العلم والعمل لنشر الحق واعلاء كلمته .

محمد جواد مغنية

انصار العرفان – العواطف النبلة

السادة	السادة
زيد الكاظمي	محمد قبازرد
يعقوب البهبهاني	عبد الوهاب علي نقي
عبد الصمد عبد الله معرفي	حاج ابراهيم حسين معرفي
قاسم علي اسيري	عيسى عبد الله بهمن
عبد الحسين بهمن	ابراهيم اخريبط
جواد حيدر	احمد وجواد عرمان

في سبيل السلام والرفاهية

حقوق الانسان

بقلم : محمود محمد باز

ن معاني الفطرة المستقرة في قلب كل انسان ، تمتلك عليه أقطار أحاسيسه ، واعماق نفسه . لتكون وسيلة في نهضة انسانية رائعة ، تعيد للإنسان كرامته ، وتهيء له أمنه ورفاهيته ..

ان هذه المعاني الكريمة ، هي الخطوط الاولى في كيان الانسان وسعادته ... فهي مقدسات امسه وحاضره ومستقبله ، وقد حصل عليها ، وكافح في سبيلها عبر الاجيال المتطاولة . يقررها ويزكيها ويعلنها ، ويتفاوض عليها ، ويتقاتل في سبيلها . ويستخلصها من براثن الجهل والحماقة !! والزور والظلم والطغيان !! وفي نهاية المطاف صاغها الانسان في وثيقة مقدسة . اعلنها في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ في قصر شايو بباريس ، وجاء في مقدمة موادها :

(يولد الناس جميعاً احراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وكلهم قد وهب الرشد والضمير . وعليهم ان يعامل بعضهم بعضاً بروح الاخاء) .

(يحق لكل فرد ان يستمتع بجميع الحقوق والحريات ، المنصوص عليها في هذا الاعلان دون تفرقة او تمييز من اي نوع ، كالتمييز بين السلالة او اللون ، او الجنس او اللغة ، او الدين او الرأي السياسي او غيره من الآراء ، او الاصل القومي او الاجتماعي او الثروة او غيرها من الاوضاع ، ولا يجوز فضلا عما تقدم ـ ان يكون هناك تمييز على اساس الوضع السياسي او القانوني او الدولي للبلد الذي ينتمي اليه ، سواء أكان هذا البلد مستقلا ام تحت الوصاية ، ام خاضعاً لدولة اخرى) .

(لكل انسان الحق في الحياة والحرية والامن الشخصي) .

(لا يجوز استعباد اي انسان او استرقاقه ، فالرق والاتجار بالعبيد محرمان في كافة اشكالها) .

تلك بعض حقوق الانسان ، التي تضمنتها هيئة الامم المتحدة ، لكل فرد ولكل شعب في العالم ، وقد كافحت الانسانية في سبيل الحصول عليها كفاح العرق والدم والدموع ...

وما فشلت عصبة الامم ، فقامت بالرغم من مواثيقها نيران حرب عالمية ثانية ، في اقل من ربع قرن من تأسيسها !! الا لتجنبها هذه الحقوق ، والاغضاء عن اهدارها في كافة الاقطار الضعيفة ! وعدم اعتراف الدول الكبرى بهذه الحقوق للدول الصغرى ! ومن ثم كان ذلك اشارة وتمهيداً للحرب الثانية .. فتطلع الناس للسلام .. واستمع العالم الى صوت الرئيس الاميركي ـ فرانكلين روزفلت ـ في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٤١ يبشر بالمستقبل السعيد القائم على الحريات الأربع : حريات الخطابة ، والعبادة ، والتحرر من العوز ومن الخوف. وختمها بقوله : (وضعت الولايات المتحدة ايمانها بالحرية بين يدي الله ، والحرية انما هي سيادة الحقوق الانسانية في كل مكان من العالم) .

تلك هي حقوق الانسان حيث كان ، وحقوق الامم حيث كانت ، وواجبات هيئة الامم المتحدة في كل وقت ، و قِبَل كل امة ... حقوق ينبض بها كل قلب ، وتفيض بها كل عاطفة .

وهي السبيل لامنه وسلامته .. وامن العالم وسلامته ...

وليست هذه الحقوق جديدة على عصبة الامم او هيئة الامم ، وانما هي حقوق الانسان التي ولدت معه ، حيث انطلق يجول الآفاق ، باحثاً عن خيره ورفاهيته ، باسطاً يمينه لكل انسان يتعاون معه في اخاء ومودة .

ثم اصابته نكسة في تفكيره ، فقدس حقوقه قبل الناس ، وتعاظم ان يعترف للناس بحقوقهم !! فبغى الانسان القوي ، على اخيه الانسان الضعيف ، وهضم الانسان الغني حقوق اخيه الفقير !

وكان ان رأت الانسانية ـ على مر الزمن ـ هداة ومرشدين وأنبياء ، يقودون ركب الانسان الى الخير والتعاون والاخاء ويبصرون الانسان برسالته .

ولا نكاد نجد في التاريخ المعروف امة تخلو من هؤلاء الدعاة الكرام ، والشاهد دليل الغائب . والمسطور ضياء على غير المسطور ... وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز

(وان من امة الا خلا فيها نذير) ويقول: (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...)

والنذير: كل داعية للخير، وعبادة الله: رمز الاستقامة وحب الخير للناس، والعمل الصالح، واجتناب الطاغوت: رمز البعد عن الآثام والطغيان ..

وهذه صفحات التاريخ شاهدة .. ففلسفة اليونان في الغرب – وهي اقدم فلسفة معروفة له – وحكمة الشرق في مصر والهند وفارس ... كلها قدست حقوق الانسان وكرامته، وحقه في الحياة والامن والرخاء، وحرية الشعوب وحقها في التقدم والرفاهية.

ثم فلسفة الخير والحق والعدالة، التي تسود وتتخلل أحاديث الساسة والقادة اليوم، ومفاوضاتهم وأمانيهم، وآمال شعوبهم، انما هي نبع ذلك المعين الكريم من حكمة الآباء، ووحي السماء للأنبياء، الذين قدموا أجل الرسالات والخطط والتشريعات، لحفظ كرامة الانسان، ورفاهية الشعوب في إخاء ووفاء.

ولتراجع كل الدول تاريخها المسطور، وحكمتها المقدسة، تجد حتماً سجلا زاخراً من الكفاح المرير لأجدادها، في سبيل التخلص من الحقد والانانية، والبغي والعدوان .. ثم تقرير حقوق الانسان وكرامته في داخل حياتها وتشريعاتها او بإجبار اعدائها ومستعمريها على الاعتراف بذلك، ومنحها حريتها وامنها

ولا نكاد نستثني امة من الامم ... من دول العالم الكبرى كأمريكا وروسيا .. الى الصغرى كفيتنام وكمبوديا ...

على ان اجل هذه الصفحات حقاً في تقرير هذه الحقوق، واجل الكفاح فعلا .. كان في صفحات الأنبياء. وكفاح المرسلين ... ثم في صفحات الحكماء والفلاسفة والمرشدين ... صفحات من الحكمة تبدد الجهل، وكفاح من النور يبدد الظلام.

ولنستعرض بعض هذه الصفحات:

هذا إخناتون الفرعون المصري. جامع ديانات رع وآمون، في عبادة واحدة لإله واحد رب السموات والارض والشمس والقمر يقول: (ان الإله الواحد لا يوجد في الحروب ولا في انتصاراتها، ولكنه يوجد في الأزهار والأشجار .. ان المساواة بين الناس واجبة في شؤونهم الدنيوية، كمساواتهم أمام الإله الواحد، فهو انما يحيا في الحق ...) كما دعا الى تربية العقول بالعلم، وتساوى بالفعل مع بقية الشعب هو وحاشيته ..

ولعل احدث الآراء ما يقول: (ان يوسف النبي لم يكن من الهكسوس كما يشاع، وانما

كان وزير إخناتون فكان هو صاحب إلهاماته ، ووسيط وحي السماء في حياته ... والشبه واضح بين حكمته والآية الكريمة القائلة : (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ، أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله ، أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم) .

ان هذه الدعوة للخير ، والخضوع للإله الواحد ، كانت اناشيد المعرفة في العصور القديمة وطريق السلام ، وتطور الحضارة .. فهذا (بتاح حتب) و (كاجمني) من الدولة القديمة (ومريكا رع) من العهد الاقطاعي الاول ، (وامتحات) (وسحتب اب رع) (وخيتي) من الدولة الوسطى (وآنى) (وامتموبي) من الدولة الحديثة ، من اصحاب الحكمة في هذه العصور . ومن قول حكيم للملك (مريكـــا رع) : (اقم العـــدل لتوطد مكانك فوق الارض ، وواسي الحزين وأسس آثارك على حب الناس) (ان الانسان الذي يصل الى الآخرة دون خطيئة ، فانه سيثوى هناك ويمشي مرحاً مثل القديسين الخالدين) .

وكما انصتت مصر القديمة لحكمة الخالدين في النيل ، اصغت لمثلها في ارض الرافدين بالعراق والشام ، في عهد حضارة (سومر) التي شاعت فيها شريعة (حمورابي) ومنها : (اني حمورابي الأمير الأعلى ، عابد الآلهة كي أنشد العدالة في العالم ، وأقضي على الأشرار الآثمين ، وأمنع الاقوياء ان يظلموا الضعفاء ، وانشر النور في الأرض ، وأرعى مصالح الناس ... ان الشرائع العادلة ، قد رفع منارها الملك الحكيم (حمورابي) فأقام بها دعائم ثابتة لحكومة طاهرة صالحة ... انا الحاكم الحفيظ عليها في قلبي حملت أهل (سومر واكد) وبحكمتي قيدتهم حتى لا يظلم الاقوياء الضعفاء ، وحتى ينال العدالة اليتيم والارملة) ..

وقد مر على هذه الحكم ما يزيد عن ٤٠٠٠ عام حتى قيل : كأنها مصدر تشريع موسى عليه السلام ، او قد سبقهما معاً تشريع ينبع واياهما من معين واحد .

وطبيعي لن يكون غير ذلك ، فمصدر حكمة الناس في الارض ، انما هو نور الوحي من السماء ، او الهام العباقرة بنفحة علوية من رب الوجود ..

واننا لنجد مثل هذه الحكم الداعية للعدالة والخير والحق في تاريخ الهند : فقد كان فيها بوذا ، والصين : فقد كان فيها كونفشيوس ، وفارس : فكان فيها زرادشت .

فاذا ما فتحنا صفحات الانبياء الكرام اخيراً ، وجدنا هذه الحقوق تتبلور في رشد وكمال وقوة ، وتأخذ من حياة أربابها سهراً ونصباً ، وكفاحاً مريراً في تقريرها .. و

البقية على الصفحة ٥٠٣

من أساتذة الجيل

الأستاذ حبيب الخوري، كيف عرفته؟

من قلم روكس العزيزي

دعيت لحضور حفلة ، لخريجي مدرسة المطران في عمـــان سنة ١٩٤١ ، وكان خطيب الحفلة رجل ربعة نحيف الجسم أنيق الملبس ، جهوري الصوت ، فصيح اللهجـــة ، وكان موضوعه « اي الرجال المهذب ؟ » .

اشهد اني أحببت يوم ذاك لو ان الرجل أطال حديثه .

كان يرتجل كلمته ارتجالا ، وكانت الأقوال تأتيه إرسالا . وكانت أفكاره مرتبة، كأنه قد أعد الخطبة اعداداً ،وقرأها قراءة .

أعجب الحاضرون ببراعة الخطيب ، وبداهته ونهض رئيس الوزراء ، وشكر المحاضر، قائلا « لقد أفدت من المحاضرة كثيراً » .

* * *

وفي صيف سنة ١٩٤٢ ، دعيت لتعليم الأدب العربي في كلية تراسانتة المقدسية ، وفيما انا متوجه الى الكلية التقيت بصديق ، هو لي بمنزلة اب روحي ، فابتدرني قائلا ، « الى كلية تراسانتة ؟ » .

ان شاء الله أجبت !

قال محدثي : « رئيس الكلية لطيف جداً ، لكن الجو حوله موبوء لأنه مشحون بالمرتزقة ذوي النفوس المريضة ، الذين يستغلون جهل الرئيس للغة العربية ويخلقون المشاكل ليوهموا الرئيس ، أنه لولا وجودهم ما سارت الأمور !.. »

* * *

وصلت الى الكلية ، فقدمت الى كاهن نبيل المظهر ، هادىء لطيف ، استقبلني ببشاشته وحولني الى قاعة الاستقبال ، لأواجه مفتش اللغة العربية في حكومة الانتداب الاستـــاذ

حبيب الخوري .

القاعة رحبة ، وكان يجلس في صدرها الرجل الذي سمعته يتكلم في مدرسة المطران سنة ١٩٤١ ، رحب بي بلطف ، فشعرت وأنا أصافحه انه يتمتع بمزايا خاصة . وان فيه اخلاصاً وبراءة . وانه من هذا النوع الذي يحاول ان يكتشف ما عند الناس من مواهب .

* * *

بدأ حديثه بقوله : « أعرفت أن الكاهن الذي استقبلك وقدمك الي هو رئيس الكلية (يسكال كنسل) قلت : (كل ما أعرف ان هذا الكاهن لطيف للغاية !) .

ان فراستك في محلها ، اجاب محدثي .

وبعد ان سألني عن بلدي وعشيرتي سؤال العارف تحول الحديث الى المناهج المدرسية. وما فيها من خير ، وما عليها من مآخذ ، ثم تناولنا الكتب المدرسية ، وقد كنت أبدي رأيي فيها بصراحة ، وكان الرجل يصغي إصغاء المقدر لما اقول . وقد فاتني ان اذكر اني كنت ألبس يومذاك شعار الأرادنة ـ الحطة والعقال ـ وكان المفروض ان يضفي هذا الشعار على آرائي المغلفة بالعلم والتعليم غشاء من الرمية ، لكن جليسي كان يزن ما أقول . وهو يناقشني ليتأكد من ثقتي بما أقول . فإذا وضح له بالبرهان . ظهر السرور في وجهه .

انقضت ساعة وأكثر ، والحديث متصل بيننا ، ينتقل من الأدب والأدباء ، الى قواعد اللغة ، والبلاغة والعروض ، وخير ما ألف في هذا الباب من الكتب المدرسية ، وقد كان له آراء خاصة هذه بعضها !

* * *

من آراء الاستاذ حبيب الخوري

من آرائه . ان الاشتغال في النحو ، وباب التاريخ ، مجهدة للطالب مضيعة للوقت وان الممنوع من الصرف تحذلق لا خير فيه وان الكثيرين من علماء النحو قد خرجوا بهذا العلم عن سماحة الفطرة العربية ، وان واجب المعلمين اعادة الفطرة الى سماحتها . بمخاطبة الطلاب باللغة العربية الفصحى . ومما قاله : انا لا افهم كيف نحاول احياء اللغة الفصحى في نفوس طلابنا ، ونحن نشرح لهم دروس الفصحى من قواعد وبلاغة وعروض وأدب باللغة العامية ؟ ان هذا عندي يشبه من يريد ان يعلم الناس اصول الدين بالشتائم ! »

ولما تعرضنا الى ذكر الكتب المدرسية التي الفت في قواعد اللغة العربية ، اجاب : « ان

الجزء الثاني من كتاب مبادىء اللغة العربية للمعلم رشيد الشرتوني هو اعجوبة الشرتوني . اما الجزء الرابع من هذا الكتاب فيكاد يكون خلاصة لكل ما ألف قديماً في هذا الباب ، وتعليمه يحتاج الى تبحر من المعلم ، وسعة اطلاع ، والا مات الكتاب بين يدي المعلم، وكان وسيلة تنفير للطالب .

* * *

ولما وازنّا بين اللغة العربية ، وغيرها من اللغات ، تحمس الاستاذ وكاد ينهض من مجلسه وقال : لقد كان الامام الكرملي ملهماً يوم قال في كتابه النفيس الخالد (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) الذي حاول المستشرقون وأده .

اجل لقد كان ملهماً يوم قال : « ليعلم غيرهم ــ غير العرب ــ ان لسان العرب فوق كل لسان ولا تدانيها لسان اخرى ، من ألسنة العالم جمالا ، ولا تركيباً ، ولا اصولا ، ولا ولا ... ولا ... »

فهل عرفت في الدنيا لغة تستطيع ان تشتق من احدى كلماتها مائة واربعين كلمة ، غير اللغة العربية ؟ يشير بذلك الى الصيغ التي تشتق من الفعل مضروبة بمزيدات الفعل الثلاثي العشرة .

* * *

وعندما جاء ذكر البلاغة ابتسم قائلا : كان الغرض الاساسي من علم البلاغة ، ان يساعدنا على ادراك الجمال في النص العربي ، والتمكن من تذوق ما في الأدب العربي من سحر ، وجاء تعليم البلاغة قاتلا للروح ، مشوهاً للجمال . لأنه انتزع الكلمة من مكانها ، وأفقدها رونقها وطعمها . كما لو ان انساناً بهره جمال تمثال ، فأراد أن يبرهن للناس على ما في ذلك التمثال من السحر ، فأخذ مطرقة ، وحطم اليدين والرجلين والرأس والجذع وبعد ان حوله كومة من الحجارة ، أخذ يشرح التناسب الذي كان يضفي على التمثال جماله .

* * *

وحينما ذكر شعراء العصر الحاضر ، قال بإيجاز بارع !

أ ـ الشاعر القروي شاعر القومية العربية ، لا بل ضميرها .

ب ـ الأخطل الصغير بلبل من بلابل الشعر ،

ج ـ شوقي عند العرب يشبه كيبلخ عند الانكليز وكورني عند الفرنسيين ، ولعله تعويض عن المتنبي .

د ــ حافظ ابراهيم شاعر حقيقي لأنه يغترف من نفس عاشت تجارب البؤس .

هـ ــ وخليل مطران مجدد لشباب الشعر العربي ! وموسع لآفاقه .

* * *

ولست أدري كيف قادنا الحديث الى خليل السكاكيني ، كتابه (الجديد) .

اجل لما ذكر خليل السكاكيني اعتدل الاستاذ الخوري في جلسته ، وقال : ان الذين لم يخالطوا السكاكيني يجهلون قيمته ولعل السر في قيمته الذاتية نابع من تواضعه ، وشجاعته ، وصراحته التي لا ترهب ومن انسانيته السمحة ، ومن آرائه المبتكرة المخالفة لما تواضع عليه الناس فالسكاكيني ، مثلا : لا يؤمن بالقصاص وسيلة للاصلاح ، او اسلوباً من أساليب التربيـــة .

وعندي انه مصيب . لان البشر خلقوا وهم ينقادون للمصلحة ، او اللطف ، ولنا في الحشرات نفسها برهان . فأنت تستطيع ان تجمع أسراباً من الذباب ، على قطرة من العسل ، ولا تستطيع ان تجمع مثلها على برميل من الخل

اما الجديد ، فتتجلى عبقرية السكاكيني في اربعين صفحة من جزئه الأول .

* * *

سألته عما ألف ، فأجاب : « اذا كنت تقصد تأليفاً نافعاً ، فقد ألفت حقاً ، اذ أفضيت بآرائي لتلاميذي الذين احبهم ويحبونني . فأنا يوم كنت مديراً للكلية العربية ، كنت أشعر بالزمالة المخلصة بيني وبين تلاميذي ، وهذا يكفيني » .

أما الكتابة المادية ، فقد ألفت كتاباً في الجغرافية . بالاشتراك مع أحد الزملاء .

وذكر لي ان له كتباً وآراء جديدة في قواعد اللغة . وان نشرها سيثير ضجة .

ورأيه الخاص في قواعد اللغة العربية ، فهو ان الصرف يجب ان يعلم كله اولا . لأنه معجزة اللغة العربية ، وهو عملي ، وأصعب من النحو .

* * *

ثم تحول من القاعة الى غرفة رئيس الكلية . وقد شعرت بأن الصداقة توثقت بيننا ، فلقد أحسست بعد تلك الجلسة انه من الذين يستحقون ان يوثق بهم . وبعـــد نحو عشرين دقيقة دعاني الرئيس للتوقيع على الاتفاقية .

من اللحظة التي تسلمت فيها عملي شعرت بأن الجو الذي حذرني منه ذاك الصديق تحمل شيئاً ينفث من سمومه فاحتطت للأمر ، بدقة جعلت الرئيس نفسه يشكر الأستـــاذ حبيب

الخوري على انه اوصى بي . ولا أكذب الله . اني اغتبطت يوم كنت أرى الاستاذ حبيب الخوري يصافحني بحرارة ، وهو يقول : « عطّر الله سمعتك ، وطيّب الثناء عليك . فلقد بيضت وجهي !.»

* * *

انتهت السنة المدرسية ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ ، فاجتاز طلاب الصف المنتهي كلهم امتحان المترك الفلسطيني بتفوق عال في اللغة العربية ، فكان الاستاذ حبيب الخوري اول المهنئين لي واستدعاني الرئيس قائلا : « سيكون شكري لك ، وتقديري عملياً هذه المرة ، وسيزاد راتبك في الشهر ثلاثة عشر جنيهاً » وابتسم قائلا : « أعتقد ان لا شؤم في المال ، خصوصاً وان الفرنسيين يعدون هذا الرقم فألا حسناً ، وحظاًسعيداً . »

لقد كنت أحس ان في الجو سحباً ، وكان يبددها الأستاذ حبيب الخوري ، بزياراته المتواصلة للكلية ، فما أعرف أنه رأى اجتهاداً مني . وأغفل التنويه به ،وكان اذا رأى ابتكاراً ابتكرته يعرضه في المدارس التي يزورها ، منوهاً بعملي .

* * *

هنا ، أخذت السعايات ــ في الكلية ــ تتجه الى الأستاذ حبيب الخوري نفسه ، وقد أخذت السعايات طابع الغيرة على موارد الكلية ، فما دام العزيزي قادراً على إنجاز العمل بدقة فماذا ندفع مكافأة لمن يزكيه ، وهو عندنا في غنى عن هذه التزكية ؟

وجاءت الفرصة التي تنحى فيها حبيب الخوري عن كلية تراسانتة المقدسية ، فقد دعي الأستاذ حبيب الخوري لإلقاء كلمة في خريجي الكلية التي كان يرأسها المرحوم خليل السكاكيني . فأثنى الأستاذ الخوري ثناء طيباً على تلك الكلية ، ونوه بجهود المرحوم السكاكيني ، وبجهود أساتذة تلك الكلية ، واتفق ان بعض اولئك الأساتذة خرج من كلية تراسانتةالمقدسية مفاجئاً لإدارتها . وهنا قد تم حبك الدسيسة ، فالأستاذ حبيب الخوري يزكي أعمال خصوم الكلية ويطري جهودهم .

وجه رئيس الكلية كلمة شكر شفهية للأستاذ حبيب الخوري ، وطلب اليه أن لا يعود الى الإشراف على الدائرة العربية في كلية تراسانتة ولا يزورها زيارة خاصة . عدا الزيارات التي يفرضها عليه واجبه الحكومي !...

* * *

زرت الأستاذ حبيب الخوري في منزله الهادىء اللطيف في الطالبية ــ القدس فلقيني لقاء الأخ الطيب . والصديق الوفي فرأيت السر في سماحته النفسية في منزله ذاك وفي خزانة كتب

زاخرة بكل نفيس ولا سيما ما يتعلق باللغة العربية من البحوث لأنه يهيم بهذه اللغة هياماً ذلك الى كونه مخلصاً لعروبته .

وقد سبق ان اشرت الى رأيه الخاص في قواعد اللغة العربية فهو يرى ان معجزة اللغة العربية كامنة في الاشتقاق .

وهو يرى انه يجيب ان يقتصر في تعليم النحو ، على القواعد الأساسية التي لا غنى عنها ، خاصة تلك القواعد التي يظهر الخطأ فيها كتابة لا لفظاً . ويرى انه يجب ان يصرف النظر عن اختلافات النحويين التي يدعوها حضرته (خرفشات النحويين) .

* * *

يرى ان الأدب وتاريخه والمطالعة الواعية المثمرة والاهتمام باسلوب التعبير (الانشاء) اهم ما يجب ان يوجه اليه الطالب لتنمو فيه ملكة حب اللغة ومتى احب الطالب لغته الى حد العشق والهيام فأمته بخير . ومما يجدر ذكره ان هذا الاستاذ الخير جعل طلابه يعشقون اللغة العربية فنبغ منهم كثيرون من الكتاب المعاصرين وكبار المربين الذين يوجهون دفة التعليم في العالم العربي .

ويرى ان المعلم مهما بلغت خبرته فان الاخلاص يقضي عليه ان يعد دروسه كل مرة كأنما هو متقدم على اجتياز امتحان لأن التعليم عبارة عن حل مشاكل يومية .

ولهذا الأستاذ براعة خاصة في الترجمة من اللغة الانكليزية واليها ارتجالا وكتابة .

* * *

ولما حلت النكبة المشؤومة ، عاد الأستاذ حبيب الخوري يخدم امته ولغته بتوجيه المدارس الخاصة الى ما فيه خير اللغة وعدت اراه في كلية تراسانتة في عمـــان ايام كنت مسؤولا عن القسم العربي فيها .

فما رأيت الأيام تبدل فيه شيئاً ولا رأيته ساخطاً او متبرماً ولعله قد صغرت في عينه الدنيا لما رأى فيها من الفجائع التي لا يتحملها الا رجل عمر قلبه الايمان وأصبح شديد الصلبة بربه

ولقد عظم الرجل في نظري يوم رأيته يلقى أعظم المصائب بتسليم وصبر يشبه صبر كبار المتصوفين والفلاسفة فقد نكب بولديه بعد ان اتما علومهما الجامعية وقبل أن يجـــني من رياضهما زهرة !

وقد تولى تربية كريماته الثلاث خير تربية !

أ ـ فأولاهن السيدة وداد تدير الكلية الأهلية للبنات وهي سيدة عاقلة ناضجة التفكير ،

ولها أثر ملحوظ في نهضة المرأة في الأردن .

ب ـ والثانية السيدة الدكتورة سلوى ولعلها أول طبيبة عربية عرفتها فلسطين ، برهنت على أعظم ألمعية وهي تختص في أمراض المناطق الحارة . وهي اليوم مسؤولة كبرى في منظمة الصحة العالمية في الشرق الأوسط اي مستشارة ومفتشة للأمراض النسائية وامراض المناطق الحارة في سبع عشرة مملكة وجمهورية .

ج ـ وصغراهن علمت فترة في الجامعة اللبنانية في سوق الغرب وساعدت وما زالت تساعد السيدة (طرشا) احدى زعيمات الحركة النسوية في لبنان هذا بالاضافة الى ما تهب من حياتها ، لسعادة بيتها وزوجها وأولادها .

* * *

وقد مضى من عمره خمساً وستين سنة يخدم امته في الميدان التهذيبي وما زال يهب خبرته للكليات والمدارس الخاصة والاهلية التي تعتمد عليه في التوجيه والارشاد .

لقد كان هذا الاستاذ ممن أسهموا في إذكاء النهضة الأدبية في الديار المقدسة فلقد كان هناك نهضتان :

أ ـ النهضة التي أسسها المرحوم نخلة زريق .

ب ـ والنهضة التي كان من أركانها الأستاذ حبيب الخوري وتلاميذه في الكلية العربية.

والاستاذ من مواليد كفرياسيف قضاء عكا سنة ١٨٧٩ .

حقاً لو كان لي ان اقترح لاقترحت ان يحلى صدره بأرقى الاوسمة اقراراً بفضله وتقديراً لاخلاصه . لانه ركن من اركان نهضة هذه اللغة في هذه الديار .

عمان روكس العزيزي

فصل الايجاز

قال رجل لسويد بن منجوف ، وقد أطال الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قوم من العرب : « يا هذا ! أتيت مرعى غير مرعاك ، أفلا ادلك عليه ؟ » .

قال : نعم .

قال : قل « اما بعد فإن الصلح بقاء الاحوال والآجال وحفظ الاموال ، والسلام » فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا التراث » .

رسالة الإسلام في عالم اليوم

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الاسلام ديننا الخالد العظيم ، ورسالة السماء الى محمد بن عبد الله ﷺ والشريعة التي نزل بها كتاب كريم ، هو القرآن ، دستورها وناموسها الاكبر .

وهو الدين الذي نزل هدى ورحمة للعالمين واحدث تطبيقه لاول مرة في مكة ثم المدينة ثم جزيرة العرب نفسها على يد الرسول الاطهر ثورة لم تشهدها الانسانية من قبل ولا من بعد واصلاحاً لم يكن يحلم به بشر ولا زلنا حتى اليوم لا نستطيع ان نصل الى مداه الكبير ثم استمر في مده العظيم فطبقه الخلفاء الراشدون في البلاد التي دخلت في ظلال الاسلام وانضوى تحت لوائه الملايين في الشمال والجنوب والشرق والغرب فرحين مهللين مكبرين مستبشرين بعهد من الحرية والاخاء والتعاون والمساواة والعدالة والرفاهية لبني البشر جميعا وعاملين على تأثيل حضارة ومدنية جديدة لم تشهدها البشرية من قبل ... دين جارى التطور في كل زمان ومكان وجابه الطغيان وانتصر عليه في كل بيئة وعصر .. ولم تقف امامه مشكلة من المشكلات ولم يزعم منصف في اي جيل ان منطق الاسلام لا يجاري العقل والحياة ولم يستطع اصحاب الدعوات الجديدة ان يزعموا ان دعواتهم على ما هيء لها احيانا من دعاية وقوة ومساندة النفوذ او المال قد نالت بعض ما ناله دين الاسلام في سنوات معدودات من ثقة الجماهير وايمانها به واقبالها على اعتناقه والدخول فيه .

دين لا زالت اصوله ودعواته حلم البشرية بعدما وصلت اليه من تطور وتقدم وحضارة ولا زالت اصوله الفكرية والروحية تحمل الى العالم الامن والسلام والرخاء وهو بعد جديد في كل وقت عظيم في كل حين .. جليل في كل عين .. رفيع في كل عقل ..

دين وضع اصولا واضحة لاصلاح جميع مجالات الحياة ونواحي النشاط الانساني . وسبق « الديكارتين » الى تقديم الشك امام كل بحث وترك التقليد . والى الايمان بما يؤدي اليه الدليل كما سبق (بيكون) الى المذهب العلمي . وسبق فلاسفة الاجتماع الى وضع اصوله ولم يجعل للمعرفة الانسانية حداً من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حداً يمكن ان يصل

اليه الانسان من معارف .واقام مبادئه على سمو الغاية الادبية فحسب،دون النظر الى التعليلات الاقتصادية والمادية للأشياء ووحد بين الاجناس والعناصر والالوان ... ودعا الى اخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لاحد على احد الا بالتقوى والعمل الصالح . وجمع الكثير من الامم والشعوب تحت ظلال ما عجز عن تحقيقه كل القوادو الدول ... هذامع العدالة في الحكم. ومع الايمان بالحرية والشورى والاخاء والمساواة وتطبيقها ومع العمل على نشر الامن والرفاهية والوئام والسلام بين بني البشر جميعا .

- ٢ -

لم يقف الاسلام واصوله ومبادئه الكريمة حائراً امام اية مشكلة من مشكلات الحياة في كل عصر وكل بيئة بل وجد الحلول العادلة لكل ما جد وما يجد على سطح الارض من جديد .

كانت رسالته دائما التبشير بقيم انسانية رفيعة . لم يقل ابداً وفي احرج الازمان والمحن ان الغاية تبرر الوسيلة . لم يزعم الاسلام انه وصي على البشر وانه مستعمر في الارض بل دعا دائما الى الايمان بأصوله كحل اساسي لجميع مشكلات المضطهدين والمستعمرين والذين وقف بهم التأخر عن متابعة سير الحياة ... نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب دعا الى ان تتولى كل امة امور نفسها في ظلال مبادئه ودعواته واصوله قاوم كل من وقف في سبيل دعوته لان من يفعل ذلك فهو يقف في وجه الحياة نفسها ليؤخر سير الزمن .

حل جميع العصبيات وابطلها وكل المشكلات وازالها وجميع العقد النفسية والروحية عند جميع الناس ووضع مكانها حب الخير والتعاون والرحمة وحب الوئام والسلام والبر والشفقة وهذب العواطف والمشاعر الانسانية وطهرها وسما بها وجمل الحياة امام الناس وجعلها تعاونا ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ومد في آفاقه الامل بما دعا اليه من الثقة برحمة الله وفضله وفرجه .قابل الاسلام آلاف الدعوات والمبادىء والافكار الجديدة ومع ذلك لم تستطع احداها ان تجاريه في حيويته وبساطته ومثاليته وعظمة مبادئه واصوله وواجه آلاف الطغاة ومع ذلك لم يستطع واحد منهم ان يقف سيره المحتوم او يعطل رسالته المنيرة او ينتصر على مبادىء الاسلام الجليلة العظيمة .

وحملت شعوب الاسلام دائما الى العالم والى الحياة في كل العصور والاجيال وبفضل دينهم العظيم رسالة التقدم والحضارة رسالة الحرية والعدالة ورسالة المحبة والسلام والاخاء والشورى والتعاون بين الناس جميعا .

ودخل الناس في دين الله افواجا في كل عصر وجيل وفي كل زمان ومكان .

قد تقول ان المسلمين في العصور الاخيرة قد اخذ منهم الغرب زمام قيادة العالم وحاربهم في دينهم واموالهم واعراضهم حربا شديدة واعترتهم فترة من النوم والجمود والجهل ... ولكن ذلك كله لم يكن السبب فيه دينهم بل السبب انصرافهم عن تعاليمه ومجاراتهم للغرب وحضارته في كل شيء وخصوماتهم بعضهم ببعض .. ولاسباب اخرى لا تخفى على احد اليوم والشيء الوحيد الذي يمكن ان يعيد القوة والسيادة الى امم الاسلام هو عودتهم الى دينهم ورجوعهم الى حضارتهم وتاريخهم وتراثهم واقبالهم على تربية ابنائهم تربية اسلامية صحيحة .

- ٣ -

والآن ما هي رسالة الاسلام في عالم اليوم ؟

تتلخص اصول الاسلام في العقيدة الاسلامية وفي المبادىء الأساسية للمجتمع الاسلامي وفي نظام العبادة للمسلم وفي الاسس التي يبنى عليها كيان الامة الاسلامية .. وفي افكار الاسلام الاساسية في خدمة الحياة نفسها ..

اما من حيث العقيدة فهي عقدة انسانية تؤمن بالله ورسالة محمد وبرسل الله جميعا لا تفرق بين احد منهم .. ومن حيث نظام العبادة للفرد المسلم فهو يتلخص في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج .. الى وجوب اعتناقه للفضائل الانسانية الاخوي من صدق ووفاء ورحمة وشفقة وايثار وبر وامانة الخ ...

ومن حيث مبادىء المجتمع الاساسية في الاسلام فهي تقوم على :

١ ـ الشعور بالمسؤولية . ٢ ـ التعاون التام .

٣ ـ العدالة الكاملة والتزامها .

٤ ـ المساواة بين جميع افراد المجتمع في الحقوق والواجبات .

٥ ـ الحرية لكل الناس والطبقات .

٦ ـ نشر الرخاء بين جميع الناس .

٧ ـ توفير العمل وجعله حقا لكل احد .

٨ ـ كفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وايصالها لكل الناس بالمجان ما دام ذلك ممكنا .

٩ ـ مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته دون ما تأخير .

١٠ ـ السهر على خدمة المجتمع وخدمة الامن بكل وسيلة .

١١ ـ محاربة كل ألوان الفساد الاجتماعي والرذائل الاجتماعية والخلقية والقضاء عليها

الى غير ذلك من مبادىء ليس هنا مكان لشرحها .

ومن حيث الاسس التي يبنى عليها كيان الامة الاسلامية فتتلخص في الشورى ـ السلام بين طبقات الامة ـ العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي ـ القضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية الا ما يرجع الى العمل وخدمة الامة ـ نشر التعليم وجعله حقا لكل فرد ـ الى آخره .

اما افكار الاسلام في خدمة الحياة فهي ترجع الى مبادئه في تحرير الارقام والمستعبدين والمستضعفين وفي نشر السلام ، وفي تبادل التجارة بين امم الارض ، وفي نشر الثقافة والحضارة ومساعدة الامم المتخلفة ، وفي الانتصار لكل ضعيف ومظلوم ، وفي العمل على تقدم الحياة واثرائها بكل جديد نافع ، ومبتكر صالح ـ الخ .

ورسالة الاسلام في عالم اليوم تستمد جوهره وحقيقة مبادئه العامة وفي الامكان اجمالها فيما يأتي :

١ ـ نشر الروحية في عالم اليوم الذي تغلبت عليه المادية وحكمة فلسفاتها الجائرة .

٢ ـ الدعوة الى الاخوة الانسانية في عالم اليوم المليء بالاحقاد وبالاسباب التي تهدد السلام العالمي في كل لحظة .

٣ ـ الدعوة الى تحرير العناصر والشعوب المستعبدة لان ذلك من جوهر الاسلام وطبيعته

٤ ـ العمل من اجل ثقافة جديدة مثالية .

٥ ـ نشر اعمال المفكرين المسلمين ومبادىء الاسلام وبطولات ابطاله وقواده ومواقف زعمائه وقادته بكل لغة لتكون تراثاً للناس يستهدون بها ويسترشدون بسموها .

٦ ـ الكشف عن اصول الحضارة الاسلامية واعمالها في خدمة العالم ونشر ملخصات عنها بكل لغة .

٧ ـ انشاء معاهد ثقافية واسلامية في جميع انحاء العالم لنشر الثقافة العربية الاسلامية .

٨ ـ كتابة التاريخ الاسلامي في موسوعة عربية باسلوب جديد يتفق مع تطور الحياة والفكر العالمي المعاصر .

٩ ـ نشر مفاخر الاسلام في خدمة الشعوب التي استظلت بظلاله وفي النهوض بها وكل ما اسداه اليها الحكم الاسلامي في نهضة وتقدم وحضارة ورقي .

١٠ ـ الدعوة الى مبادىء الاسلام الاساسية في الحرية والشورى والمساواة والتكافل الاجتماعي والاخاء والعدالة وغير ذلك هذا قليل من كثير مما يجب عمله ومما يستطيع الاسلام خدمة الحياة والحضارة والعالم في مجاله وما ذلك على الله ولا على الاسلام وشعوبه بعزيز .

القاهرة محمد عبد المنعم خفاجي

اخوان الصفا سوفسطائيو العرب

بقلم الشيخ محمد علي الزعبي

- ٢ -

سوفسطائيو العرب

هؤلاء هم اخوان الصفا سوفسطائيو العرب اذ حاولوا جمع أعظم سلاح ممكن من المعرفة بكل النواحي التي تفضي لمقصديهم الشهيرين — والمعرفة سلاح نافع للخير والشر — ليغرسوا بصدور فرائسهم الساذجة بذور الشك حتى بالعقل ونواميس الأخلاق الثابتة التي لا ينال منها مر الدهور وكر العصور .

فعل الإخوان هذا كله متوكئين — كالسوفسطائية — على عكاز الفلسفة واحترام جميع الكتب والمذاهب فلاحظوا أخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم وميولهم العقائدية (الروحية والسياسية والفكرية) واحتفظوا لكل فريسة بمدية واقتنصوا كل سائرة بالفتح المعد لها ، وبذروا بنهاية الجولة بذور الريب حتى في الشمس (الإسلام) التي بهرت عيون ذوي العيون وأنارت بصائر ذوي البصائر

ولا عجب فقد طغى الحقد السياسي الشعوبي المجوسي الصابئي على عيونهم فأصبحوا كالمصاب بداء الصفراء لا يرى في الدنيا الا الأصفر ، وستروا هذا الدهاء الهدّام بثوب حكماء اليونان اذ هم حينذاك كل شيء بالفكر ، وتوسلوا لهذا كله بالاستئثار بتهجين العباسيين ومساعدة آل اسماعيل من الطالبيين ، ولكن أبت أقلامهم الا نفث بعض ماتكن صدورهم فصرحوا بأنهم يودون انتزاعه ودفعه لجيل كامل !

لقد زعموا دون خجل ، ان الشريعة دنست بالضلالات ولا بد من غسلها بالفلسفة ورأوا هذا **توحيداً** يجمع ذوي الأديان المتعددة والمذاهب الفلسفية المتباينة بنقطة واحدة ونادوا — **كما نادى** السوفسطائيون — :

(ان ما ذهبنا له حقائق ثابتة ومعارف مجسمة وقد فزنا وحدنا بالوقوع على الحق كنه)

ناسين ان الحقائق ليست بساحة يزدان وجرجاس ومن دعوه (عاذيمون) !

أجل هم سوفسطائيونا الفائزون بالجائزة الاولى في حلبة سباق المغالطة، فهاهي ذه رسائلهم تتفق مع طليعة الباطنية (الحلاج) في اسقاط ركن الحلج اذ هو يراه طوافاً حول غرفة في بيته ، اما هم فيرونه طوافاً حول الأرض : (التي يحلها التلاميذ المستجيبون) .

لقد وصف سقراط السوفسطائي بقوله : (ينتحل الحكمة ويتوارى بها) وعرّفه بقوله : (صائد . تاجر ، صانع ، مجادل) .

ولو بعث سقراط وشاهد الإخوان لما أضاف لهذا الوصف والتعريف كلمة اذ ان احدهم :

١ ـ صائد يقتنص الناس بضروب مختلفة من الشباك والفخاخ والحيل اللفظية البارعة ويتعمد صيد الشباب لا سيما ذوي الثروة والجاه ويقدم لهم ما يستهويهم ويدفعهم لمعرفة مادعاه سراً مصوناً وعميقاً عميقاً ويخيل لهم ان العودة لدراسة الأديان السماوية ومحاولة الوقوع على مرموزاتها استئناف يتوقف عليه جمال الحياة .

٢ ـ تاجر . اذ المستجيب حريص على فوائد دنيوية ضمنها له مجلس الإخوان الأعلى (الإخوان الفضلاء) الذين شرعوا بمعرفة السر منذ الخامسة عشرة من العمر وما زالوا يجدون للاستزادة منه حتى نيفوا على الخمسين .

فان كان (المستجيب) موظفاً اوصوا به ـ او تواصوا به ـ وأثنوا عليه ودعموا مركزه وجهدوا لترقيته ، وان كان متمولا عملوا على حمايته وجهدوا لتخفيف الضرائب عنه ، وان كان معوزاً واسوه بما تيسر من مال ومتاع . وان كان تلميذاً هيئوا له ما يبلغه مراده ،وان زاهداً ضمنوا له حياة هادئة في الملكوت الأعلى .

بل كثيراً ما رأينا مستجيباً متمولا يضم لبيته مستجيباً غنياً في الفكر مدقعاً في المال ليتعاونا (على امر الدين والدنيا) لتصبح خدمتهما الإخوانية مضاعفة مثمرة .

٣ - صانع يبني ما خططه مجلس الإخوان وأمر بتنفيذه ويصدع بما أمر ، ولا ينفذ ثم يعترض ان كان هناك مجال للاعتراض ، كما نرى النظام العسكري بل ينفذ دون اعتراض ويرى المجلس الأعلى يأمر بما هو محاط بالعصمة !

: ـ مجادل لقد زود الأخ نفسه ـ لا سيا ان بلغ درجة الفضلاء ـ بمعلومات متفرقة وتسلح بأنواع مستحوذة من الأسلحة ، ونزل ميداناً خالياً الا من العزل الذين يصفقون

لكل ذي قيثارة ، اذ لا يكاد يوجد في من يغزوهم لا سيا في مخايم الأعراب وشغاف وهاد السواد من يضارعه جدلا .

الاخوان في ميزان القرون المنصرمة

لئن كانت البصرة أول بلد فتح عينيه على مؤامرات اخوان الصفا منذ ١٣ قرناً فان سواه من حواضر آسيا وافريقيا والاندلس لم يكن محروماً من الاطلاع .

لقد نظرها الخالدون في صفحات تاريخ الفلسفة والتصوف والأدب الفلسفي والسياسي من نوافذ مختلفة فأنس بها ابن سينا والفارابي وابن عربي وابو العلاء وابن هاني الأندلسي لأنها صادفت أهواء مختلفة في نفوسهم ، ونازلها الغزالي متدرعاً بالنصوص المحكمة التي لا يحوم حولها التأويل ووقف ابن رشد موقف المتأمل الذي يود لو اصدر حكماً ذا شعبتين : نقدية بالشطر الفلسفي وقطعية سلبية بالشطر العقائدي ؟

لقد حاول في منهاجه التوفيقي ان يفسر العقول بالملائكة ونسي (الفقيه الفيلسوف) ولكل جواد كبوة ان العقول التي تدور حولها الفلسفة منبثقة من الله ونائبة عنه وخالقة ومدبرة ويكمن بالكلي منها ــ بالقوة ــ ما كان وما سيكون وهي عشرة او احدى عشر . اما الملائكة فعباد مخلوقون (يفعلون ما يؤمرون) .

اما ابن خلدون فقد حارب خرافة العقل الكلي ورأى مستنداً لأفلاطون (معرفة ماوراء الحس ظنية) ولذا احترم آراء الفلاسفة لكن بالمحسوسات كالحساب والهندسة والطب وحذر من ترديد ما ذهبوا له حول معرفة الأخبار بواسطة الكواكب وسماع أنغامها ــ كما زعم فيثاغور ــ بل طلب من الدولة ان تضرب على يد الذين يتخذون الكواكب والسحر والطلاسم والعزائم والزايرجة والأوفاق وسيلة لابتزاز اموال الناس .

* * *

وهكذا اتفق أقطاب الروح والفكر والاجتماع كالغزالي وابن رشد وابن خلدون على ان للفلاسفة في دائرة ما وراء المحسوس اخطاء وقد صرح ابن رشد ــ كما صرح بعده كنت ــ قائلا (يجب ان نؤمن بالله ونصدق بالبعث والخلود من طريق الإيمان المطلق) .

اي ينبغي ان يتدارع دارس الفلسفة بدرع النصوص القطعية المحكمة المعصومة كي يدرس الفلسفة كبار رجال الدين ويتمتع بلذة دراسة الدين كبار رجال الفلسفة اذ من درسها (لا سيما الذين يقفون بساحلها) وهم عزّل من معرفة الإسلام لم يسلموا من مصائبها .

هل اخوان الصفا مصلحون دينيون

هذا ومن العجب ان الشعب اليوناني مذ ٢٥ قرنا عرف سوفسطائيـة على الاخلاق والعقائد والقيم فتنكر لهم وطمس آثارهم ، اما نحن فلا نزال نحترم سوفسطائيينا ونحشو أفكار أبنائنا بالتوائهم المقصود ونقول عنهم بلسان الدكتور جبور عبد النور (سعوا للاصـلاح الاجتماعي والديني) .

تعليق

اخوان الصفا وان استعصت على المحققين بعض أسمـائهم ، مكشوفون من خـلال رسائلهم فقد تناولها الباحثون على مدى القرون وكان آخرهم ابن خلدون الذي مات عقلنا بموتـه !

ستة قرون سلخناها بعد ابن خلدون مدفونين في ناووس الإنحطـاط تتقاذفنـا أمواج الجهل والتفكك وينظرنا الطامعون الشرهون الغزاة بالعـين التي ينظر بها الجـائع الى حانوت الجزار .

ثم كان هذا القرن بدء النهاية فوصل الإنحطاط حده وشرع ينقلب الى ضده وأرانا من ابنائنا نخبة محتارة .

هذه النخبة ضمت لدراسة الفلك والفلسفة من خلال قانون التجربة اطلاعا واعيا شاملا عميقا ولمست التأثير الذي نفثه الإخوان في فكرنا العقائدي .

هذه النخبة بلغت سن الرشد الفكري فوضعت موروثاتها على بساط البحث وقارنتهـا بالفكر الإخواني فانهارت امامها نظرية العقل الكلي العتيقة البالية ورأت التأويل المدعم بالأعداد والحروف والعناصر مسكوكات ليست جديدة بالاستمرار والتداول .

هذه النخبة سبقت المستشرق (دي بور) (١) الذي رأى تأثير اخوان الصفا في كثيرين ممن يعايشوننا وكتبت بقلم ثقافتها (اذا وقعت على مصدر الداء برىء المرض) .

هذه النخبة شاهدت في مخطوطاتها وشروحها إبدال اركان الاسلام الخمسة بكلمات لا ظل لها من الواقع بل لا تعدو ان نراها تفسيراً جديداً لرأي الاخوان السوفسطائي الذي يزعمونه تحريراً وينادون (نحن نأخذ الفضيلة دون ان نجهد انفسنا بتحصيل العلم » اي ونحمل الرسالة التي كلف الله بها المصلين الصائمين الحاجين المزكين المعترفين بوحدانية الله ورسالة خاتم الرسل دون ان نجهد انفسنا بالقيام بهذه الاركان عمليا !!

(١) راجع كتابه (في الفلسفة الاسلامية) ص ١١٣ الترجمة العربية لمحمد عبد الهادي ابي ريدة .

مراجع

قد لا يثير تعجب القارىء مما نقلناه عن امثال الغزالي وابن رشد وابن عربي... وقد يقصر تعجبه على جرأة اخوان الصفا ويود لوشاهدهم في المراجع الاصيلة ولذا نشير عليه بمراجعته.

١ - ص ٢٠٢ و ٢١٢ - ٢١٥ و ٢٢١ من كتاب (الفلسفة الاسلامية) لخليل الجر.
٢ - ابن خلدون - المقدمة - طبع القاهرة عام ١٣٢٢ﻫ ص ٤٣٢ .
٣ - رسائل اخوان الصفا نفسها طبعة صادر بيروت ١٣٧٦ وهي محفوظة بدار الكتب اللبنانية .

راجع مجلد ٦ - ٣٤٤ و ٨ - ١٦٤ و ٢٩٣ ومجلد ١٠ - ١٣٨ و ١٦٢ - ١٦٤ ومجلد ١١ - ٤٠ و ١٦٦ و ١٦٧ و ٢١٥ و ٢٦٤ - ٢٧٠ - ٢٧٣ و ٢٨٦ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٤ .

بيروت محمد علي الزعبي
دكتور بالفلسفة

بلاعنوان

عرفته وصرير الجوع في فمه ... يلوكه بلسان ناتىء العفن
وكان يركض خلفي بعد مسغبة ... علته ،حتى بدا في غاية الوهن
يحاول القرب مني وهو في ضعة ... اذل من اتن هامت بلا رسن
يرنو الي بعين نصف مغمضة ... من العياء كمشدود الى كفن
ليوقظ الرفق في نفس معودة ... على الجميل، فهاجت آهه شجني
ورحت اعطيه مما كنت املكه ... ما رد عنه مرير الجوع والحزن
واتقي الله فيه يوم ما ملكت ... يداه غير قميص كاشف البدن
وبعد عامين مرا ، صرت ألمحه ... بين الكواعب جراراً لكل غني
وبعد مد من التهريج متصل ... توشح الخز واستعلى على المحن
وصار كالهر منفوشا على كبر ... رغم الهزال بعظم كاشح السمن
وراح ينظرني في عين منتفش ... كجاهل يحسب الياقوت كالمدرن
اذا تكلم دوّى صوته ورسا ... في السمع مثل طنين النحل في الأذن
ثمالة هو من رجس ومن سفه ... ما طهّرتها شآبيب من الدمن
وحفنة من وقاحات يضيق بها ... حتى الولوع بحب الوحش والاتن

سعيد فياض

الله

نظم : احمد حيدر

هذه القصيدة من ديوان « اللهب الأخضر » المعد للطبع

انا لا اصدق غير ما شاهدته ‏ ‏ ‏ ‏ إلاك وحدك خالقي قدّرته
الله كنت جحدتـــه وعبدته ‏ ‏ ‏ ‏ وكفرت في نعماه واستغفرته
وحسبت نفسي ذرة من ذراته

هذا الوجود بنشوة من سكره ‏ ‏ ‏ ‏ خطرت معالمه بصفحة فكره
فاذا غرائبه ودقة سره ‏ ‏ ‏ ‏ وجلال قدرته ومحكم أمره
وتفلك الأفلاك في سماواته

رفع السماء كما يشاء وانارها ‏ ‏ ‏ ‏ ودحا البسيطة تحتها وادارها
والشمس ارسل في الفضاء اوارها ‏ ‏ ‏ ‏ والبدر كان وما يزال شعارها
والنجم يسبح في مدى ظلماته

هذي الكواكب والنجوم تناثرت ‏ ‏ ‏ ‏ من فيضه فتباعدت وتجاورت
وتنافرت عن بعضها وتآزرت ‏ ‏ ‏ ‏ وتنافست وتجاذبت وتضافرت
وتلألأت بالنور من شرفاته

كم في المجرة من شموس تسطع ‏ ‏ ‏ ‏ وعلى جوانبها نجوم تلمع
تتولد الأنوار منها وتطلع ‏ ‏ ‏ ‏ وتمور في ابراجها وتشعشع
عبر الفضاء وترف في جنباته

هذا الفضاء الرحب عبر سمائه ‏ ‏ ‏ ‏ والأرض تسبح في معين ضيائه
هو فضلة من حسنه وروائه ‏ ‏ ‏ ‏ وبقية من خيره وعطائه
والخلق كل الخلق من حسناته

النيرات تطايرت من نوره ‏ ‏ ‏ ‏ مثل الشرار يضيء في ديجوره

ما قيمة الدنيا تجاه سعيره والكون كل الكون من اكسيره
وسكونه ينبيك عن حركاته

هو سلكن متحرك لا يهدأ وظلامه لضيائه لا يطفىء
متوحد في سعيه متجزء تتحول الأشياء منه وتبدأ
فيه الحياة بكل موجوداته

هذا الشمول لكل ما لم يخلق وبما يغيب عن العيون وما بقي
ليل عبوس في نهار مشرق ونعيم عيش في جحيم مطبق
والكل منه وفيه كل حياته

هو واحد في كل شيء يوجد متوزع في الكائنات موحد
تتحول الأشياء او تتولد وكما يشاء متى يشاء تجدد
وهو الذي يبقى على حالاته

العلم قصر عن مدى اسواره والعقل لم يدرك مدى اغواره
والكون كل الكون من أنواره مستحدث لم ندر من اخباره
الا الأقل وفيه كل سماته

كرسيه وسع السماء وزانها والأرض ثبّت في الوجود كيانها
والنار فجر حوله بركانها وازال عنها ضبابها ودخانها
حتى رأينا النور من سبحاته

احمد حيدر

الاعمى وزوجته

ضرب رجل كفيف زوجته ضرباً مبرحاً فقالت له :

ــ انت معذور لأنك لم تر حسني وجمالي .

فأجابها الزوج :

ــ لو كنت كذلك ما تركك لي اصحاب النظر !

بلاغة اعرابية

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : وقفت علينا اعرابية فقالت : يا قوم تعثر بنا الدهر اذ قل منا الشكر ، وفارقنا الغنى ، وحالفنا الفقر ، فرحم الله امرأً فهم بعقل ، واعطى من فضلٍ ، وواسي من كفاف ، واعان على عفاف .

لماذا يشقى الأديب في بلادنا[١]

بقلم خضر عباس الصالحي

يقوم الأدب بدور خطير في تطوير الحياة وازدهارها ، وبث روح التسامح ، وحب الخير ، والتعاطف بين الناس ، والتعبير عن متطلبات الحياة الجديدة ومشكلاتها الإجتماعية ، والإفصاح عن اصطراع التيارات الخفية في دخائل النفس ، ورسم الشخصيات ، وتتبع اللمحات الإنسانية الفنية ، والإستجابة للمؤثرات المثيرة في حياتنا الراهنة ، والتعبير بشكل عفوي عن أماني الجيل الطالع في الانطلاق والطموح والحرية . والنزوع الى وصف خواطر النفس الإنسانية ، وأعمق مشكلات الإنسان وتجاربه ، واستخلاص الدروس والعبر الخالدات منها ، والثورة على الأوضاع الجامدة المتزمتة في إطار حياة امتنا العربية وتطورها ، وإلهاب الروح الجهادية العالية فيها ، وتغذية الحركة الجماهيرية الخيرة التي هي حجر الزاوية في ضمان استقلال الوطن وتقدمه ، والإيمان القوي بالحرية وتقديسها !

وليس هناك بطبيعة الحال ممن لم يدرك حقيقة الأدب بوضوح تام . من انه تعبير عن الحياة على اختلاف صورها وأشكالها ، والوقوف بحزم وقوة ضد كل المؤامرات والدسائس الرامية للنيل من حرية وسيادة الشعوب ، ومساندة كفاحها العادل من اجل التضامن والرخاء والتقدم ، ومحاربة كل ما يجرح كرامة الانسان ...

وان الأدباء عنصر نشيط في التركيب البنائي للمجتمع ، وهم يتفاعلون مع احداث شعوبهم مع آمالها وامانيها ويؤدون رسالة اجتماعية بعيدة المدى . ويكرسون جهودهم الفكرية الخلاقة لخدمة البشرية ، وخير الإنسانية ، ويعبرون عن عواطف الجماهير ، وينفعلون بالحياة انفعالية صادقة ، ويجاهدون لتحقيق امل الشعوب ورغبتها في العيش برفاه وسعادة واطمئنان ، ويقاومون كل من يسعى لعرقلة سيرها في الركب الإنساني الصاعد نحو ذرى المجد والعزة والسؤدد ..!

ولعل من المناسب هنا ان نشير باعتزاز وفخر الى بعض رواد الثورة الفكرية ، وحملة مشاعل الحرية من ادبائنا العرب المعاصرين على سبيل المثال لا الحصر ، اولئك الأدباء الذين عملوا على اغناء الأدب الإنساني الهادف المنزه عن الأغراض الدنيئة ، وشهوة الإستئثار ،

والمعبر عن أماني الشعوب المكافحة من اجل تحقيق وتعزيز الإستقلال الوطني ، والمشبع برغبة مستعرة في جعل حياة الناس جميلة سعيدة ، والذي تشيع فيه انوار التفاؤل والوعي الجماهيري العظيم ، والإيمان بمستقبل الإنسانية الخالي من الإستعمار والإستثمار والعبودية ...!

وان هؤلاء الأدباء الأحرار بسبب من مواقفهم المشرفة عانوا اشد الوان الإضطهاد والتعسف والبطش ، وعاشوا في عالم مشحون بالعذاب والتمزق والقلق ، وحوربوا في ارزاقهم ، وتعرضوا هم وزوجاتهم واطفالهم للجوع والفاقة والعوز ، مما دعا الشاعر العربي الخالد ايليا ابو ماضي ان يقول:

اشقى البرية نفساً صاحب الهمم   واتعس الخلق حظاً صاحب القلم

وقال ايضاً :

تعس الحظ وهل اتعس من   شاعر في امة محتضرة
يقرأ الناظر في مقلته   ثورة ظاهرة مستترة

وقال الشاعر احمد محرم :

انأى الرجال عن المروءة ظالم   سام الاديب مهانة وصغارا
وأبرهم ببلاده متأدب   يرعى لها ادباءها الابرارا

وبشارة الخوري من شعراء لبنان الطليعيين الذين شاركوا في تطوير الشعر العربي الحديث واسهموا بقسطهم في الكفاح ضد الحكم الإستعماري الرجعي ، والانتفاض بوجه كل طاغية جائر يسوق الشعب بالنار والحديد لبلوغ مآربه الاجرامية ...! ان هذا الشاعر الذي تحدوه الرغبة الصادقة للعمل المخلص في سبيل المصلحة العامة ، لقد وقع اكثر من مرة فريسة انتقام القوى الاستعمارية الباغية ، ولحقت به شتى صنوف الآلام والنكبات والمحن ، فقال :

واشقى شقي في الورى قلب شاعر   نبا الحظ عنه والتقى الحب والفقر
ففي كل افق من امانيه مأتم   وفي كل عضو من جوارحه قبر

وكان الشاعر الخالد الياس ابو شبكة الذي اتخذ من الصراحة والجرأة والصدق العاطفي منهجاً لشعره ، ممن لقي في جميع مراحل حياته ابشع الوان الاعراض والعقوق والغبن . وظل غير عابيء بما تتلاطم حوله من أمواج ، وما تهب عليه من اعاصير ، فقد كان يتمتع بروح عالية من البسالة والصمود والتضحية ، وهو شاعر رقيق الحس ، فياض الشعور ، مشبوب العاطفة ، عبّر بإخلاص وعمق عن شعوره المتدفق ، وإحساسه المتوهج ... ومن ينابيع شاعريته السخية انبجست قيم ومفاهيم عاطفية رائعة ، وعرف بكراهيته الشديدة للاستعمار

الغاصب ، وتميز بصدق وطنيته الصافية ، وعمق حبه لبلاده ، ذلك الحب النقي الطاهر الذي ملك عليه كل احاسيسه ومشاعره ، وهو القائل .

يا بلادي لك قلبي لك آمالي وحبي
وجهادي
يا بلادي

انت هذا العطر يأتي من فم الوادي مع الصبح الطري
انت كل الحسن انت نظرة الله الى القلب البري
وعيون الكـوثر
وسرير الاعصر
وجلال الخلد باد
يـا بـلادي

ينشر المجد عليك راية من مفرقيك
وينادي يا بلادي
عبق الالهام فيـك ماليءارضك اعراف السماء
يتمشى في بنيـك فهم امس ملوك الشعراء
ورعاة انبيـاء
واباة حلفـاء
وهم اليوم معادي
يا بلادي

قالت الدنيا : جبيني لم يكن لو لم تكوني
انت كالفجر فتيه
انت كالشمس غنيه لم يهن في راحتيك الذهب
يأخذ الشعر رويه منك والحكمة فيك الادب
طهري اليوم دمي
وغداً كوني فمي
يسترح فيك رمادي
يا بلادي

وهكذا يمضي الياس أبو شبكة صعداً نحو قمة مجده الفني المبدع الخلاق ، فيرسم الظلال والألوان التي تنعكس على وجدانه ، كالبلبل الغريد بحب وطنه ، ويهيم به هياماً يدنو من الذوبان فيه ، ويضرب أروع الأمثلة في صفاء الوطنية ، ونقاء السريرة ، وسمو الهدف ، وجيشان العاطفة ، وشعره الوجداني الرقيق ينساب في نفس القارىء وقلبه وعقله انسياب الخمرة ، يعبر بشكل تلقائي عفوي عن شاعرية مرهفة .. ولكنه بالرغم من عبقريته الفذة ، وموهبته الأصيلة ، وما قدّمه من ضروب التضحيات في ميدان الفكر والأدب والصحافة ، بقي طوال حياته يعيش في جو خانق من الحرمان الشديد ، ويدورفي دوامة من الأسى والخيبة والحيرة ، لم يذق عدا شظف العيش ، ولم يأكل غير الألم ، ولم يشرب الا الحزن ، ولم يلبس سوى الكآبة ، ولا يكاد يحصل حتى على قوته اليومي لسد الرمق ، وظل مهملا منسياً كأنه لا يثير اهتماماً لدى رجال السلطة وأرباب النفوذ في لبنان الأشم مصدر الإشعاع الفكري ، وهذا هو الشاعر الملهم الموهوب الذي كانت قيثارته الإنسانية تسكب في النفوس الأمل والمحبة والطيبة والطموح ، وتحسس آلام شعبه ، وعبّر عن كفاحه وتحفّزه ، وقصائده المستوحاة من جو بيئته ، وقصصه الشعرية الممتعة ، تعد بحق فتحاً جديداً في أدبنا العربي المعاصر من حيث الفكرة وطريقة العرض والمعاني الحية المؤثرة ، وانه ليهزني حتى الأعماق كلما قرأت قوله :

وما زلت في الدنيا أطوف بخمرتي ... وحولي شعب هازىء بوفائي
الى ان دهاني اليأس فاخترت عزلة ... أفتش فيها عن حطام رجائي

وكان يسقي شعره بدماء قلبه المثخن بالجراح ، ويغمس قلمه في قرارة الآلام ، ويلفه جو الضياع والعذاب والحزن فيقول :

اجرح القلب واسق شعرك منه ... فدم القلب خمرة الأقلام
مصدر الصدق في الشعور هو القلب وفي القلب مهبط الإلهام
واذا انت لم تعذب وتغمس ... قلماً في قرارة الآلام
فقوافيك زخرف وبريق ... كحطام في مدفن من رخام

وكابد شعراؤنا المهجريون المزيد من النوائب والمشاق والفقر ، سواء في ربوع أوطانهم او في ديار الغربة ، وقد تطرق بعضهم الى تصوير حياتهم الكئيبة في أشعارهم تصويراً مؤثراً بحيث يترك في نفس القارىء إحساساً عميقاً قوياً بالمرارة واللوعة ، وهذا الشاعر اليـاس فرحات المفعم برباطة الجأش ، وقوة العزيمة ، وثبات الجنان يقول :

اني لأحمل ثقل الفقر منتصباً عالي الجبين والتي الدهر مبتسما
وليس فقري طفلا عمره سنة لكنه توأمي لما نموت نما

وقال :

طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة طويت بها الأصقاع أسعى وأدأب
أغرب خلف الرزق وهو مشرّق وأقسم لو شرقت كان يغرّب

وقال :

ولي في حنايا الضلوع فؤاد لغير المصائب لم يخفق
لقد أرضعتني صروف الزمان لبان الشقاء ولم تشفق
خلقت شقياً وعشت شقياً وأحسب اني أموت شقي

وبلغ الألم بالشاعر نعمة الحاج مبلغاً كبيراً بحيث تمنى أنه لم يولد فيرى الوجود ،وجوده المشحون بالأرزاء والعناء والنحس فيقول :

لو كان أمري في يدي لوددت ان لم اولد
لم ألق غير النحس في أمسي فماذا في غدي
لم يبق غير ثمالة في الكأس للقلب الصدي
فولادتي بدء الممات ويوم موتي مولدي

وكان الشاعر يشاهد عن كثب كل وغد أثيم ينال ما يبتغيه من ألوان الرفاه والهناء ، بينما البريء الذي لم يرتكب جرماً ، ولم تتلوث يداه بإثم ، لم يحصل على غير التعاسة والشقاء والأذى ، ولا يشرب الجهول سوى شهد الحياة ، ولا يعب النابغ الا كؤوس العلقم حتى الثمالة ، ويمنى الجاهدون بخيبة أمل مريرة ، ويفوز القاعدون بالمغانم والأرباح الطائلة فيتساءل وعلائم الدهشة والإستغراب بادية على وجهه قائلا :

لماذا ينال الأثيم الهناء ويشقى البريء ولم يأثم
ويحظى الجهول بشهد الحياة وذو العقل والفضل بالعلقم
وكم جاهد خاب في سعيه وكم قاعد فاز بالمغنم
وأين العدالة في عالم سرى الشر في جوه الأقتم

والشاعر مسعود سماحة كان بائعاً جوالا يحمل بضاعته على ظهره ، ويدور بها في الأرياف والقرى ، ويقرع الابواب منادياً عليها ، ويلج الغابات ، ويتوغل في البراري ، ويصارع العواصف الثلجية تحت ظلام الليل الداجي ، فإذا ما أنهكه التعب ، وأضناه الإرهاق ،

توسد صخرة ، ورأسه على ذراعه ، وخنجره فوق صدره ، وغط في نوم عميق غير مبال بالاهوال والمآزق الحرجة التي يتعرض لها ، وهو يقاسي كل هذا من أجل الكسب الحلال، والكدح الشريف ، ويرفض بإباء وشمم ان يكون عالة على غيره فيقول .

كم طويت القفار مشياً وحملي	فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الابواب غير مبال	بكلال ، او قر فصل وحر
كم ولجت الغابات والليل داج	ووميض البروق شمسي وبدري
كم توسدت صخرة وذراعي	تحت رأسي وخنجري فوق صدري

وفي مصر التي تعتبر مركز الحركة الثقافية في العـــالم العربي ، وملتقى أحرار الفكر . ومطمح أنظار عشاق الادب ، ورواد الفن ، في هذا البلد بالذات ، كان الاديب في العهد المباد تطارده الفئة العميلة الباغية ، وتتقاذفه تيارات البؤس الجارفة بلا هوادة .

وهذا الشاعر محمود ابو الوفا يقدم لنا لوحة فنية لواقعه المؤلم ، تبدو واضحة الخطوط، بينة الالوان ، فهو يعلن ثورته العارمة على أبيه الذي خلفه للمصاعب والآهات ، وان أمثاله من الآباء الذين يتزوجون لإشباع شهواتهم الآنية لا مصير لهم غير نار الجحيم ، لما اقترفوا من عدوان صارخ على أبنائهم الابرياء ، وهو لا يفتأ يسأل أباه في حسرة وتوجع قائلا : ما ضرك يا أبت لو حرّمت الزواج على نفسك ، وعشت زاهداً متقشفاً فلم تنجبني وتقذف بي لقمة سائغة بين مخالب الويلات والفاقة والشجون ، فيقول :

آبي وفي النار مثوى كل والدة	ووالد أنجبا للبؤس أمثالي
خلفتني فوضعت الحبل في عنقي	تشده كف دهر جد ختّال
ما كان ضرك لومن غير صاحبة	قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

ولعل عبد الحميد الديب يمثل مأساة الاديب في مصر أروع تمثيل ، حيث كان هذا الشاعر هدفاً لاقسى أنواع الفاقة والعوز والتشرد ، وطالما قضى الليالي السود متسكعاً على أرصفة شوارع القاهرة بدون مأوى ، وأنياب الجوع تقطع أحشاءه ، وطوفان الإفلاس يحتدم حوله بعنف ، وأفاعي الاحزان تنفث سمومها في أعماقه بلا رحمة . مع انه كان من أصحاب المواهب الشعرية الجديرة بكل فخر واعتزاز ، وهو يصف فترة شبابه التي هي أجمل وأمتع ما في حياة كل إنسان فيقول :

أنا لا أرى في شبابي لذة	لهفي على مرح الشباب وعجبه
من كان توأمه الشقاء وصنوه	فشبابه حرب عليه كشيبه

ويقدم لنا انموذجاً آخر من معاناته وعذاباته فيقول :

ذبحتم الشاة قرباناً لعيدكم والدهر قدمني للبؤس قربانا
من كان يحسدني فليرتقب سحراً اني على الجوع أطوي الارض حيرانا
او يلتمسني لدى الخمار يحبسني في السجن طوراً وفي حانوته آنا

وقال مخاطباً فصل الشتاء ، وهو يعاني قسوة البرد ، وغائلة الجوع ، وفقدان الكساء ، وانعدام الدفء .

إيه يا فصل الشتاء يا عدو الفقراء
خانني فيك غذائي خانني فيك كسائي
حين عز الدفء في دا ري ودور الاصدقاء
قلت لله تعالى اجعل النار جزائي

أما ما لقيه الادباء الاحرار في العراق من إهمال وبؤس وسجن ، فحدث ولا حرج ، فقد وضعت العقبات أمام إمكانياتهم الادبية المبدعة ، وكمت أفواههم ، وصودرت حرياتهم العامة . وهدرت آدميتهم ، وخنقت أفكارهم النيرة في مهدها ، وزج البعض منهم في مقابر السجون والمعتقلات ، ونزح البعض الآخر خارج البلاد ، فراراً من الجور والهوان والمسغبة بعد أن طوردوا من قبل الزمرة الباغية للنكاية بهم ، والاساءة اليهم ، ولكن تلك الاجراءات التعسفية بشتى أشكالها ، وكل صورها ، والتي كانت تقوم على الظلم والارهاب والاستبداد لم تفت في أعضادهم فحسب ، بل كانت خير محفز لهم على مواصلة نشر أفكار الحريـة والكفاح والسعادة ، وإعلان الثورة بوجه الطغمة الحاكمة التي كانت عوناً على التدهور ، وسنداً للرجعية ، واستمروا في نضالهم البطولي العنيد بهمة متعاظمة لخير الوطن وحريتـه وكرامته ...!

وهذا الشاعر محمد بهجت الاثرى الذي اعتقلته سلطات العهد المبـاد مدة أربع سنوات لعدم تفريطه بحقوق وطنه المشروعة ، والنزول عند رغبة النفر الضال ، والسير وراء ركب المستعمرين ، يقول بجرأة واعتداد وثقة ...!

ساطلب الحق لا أخشى به بشراً وان يجر علي الكيد والفندا
وما أبالي ونصر الحق من أربي ان عشت كالحق في الايام مضطهدا

والشاعر محمود الحبوبي يضع النقاط على الحروف حينما يصف عيش الاديب وظروفه القاسية في بلد كالعراق الذي كان كافراً بأرباب القرائح المبدعة فيقول :

بلد يعيش به الاديب غريباً أشقى الورى من عاش فيه أديبا
يجلو الكروب عن الانام ولم يزل من كربة اوفى الانام نصيبا
ويذوب قلباً كي يرى شركـاءه في الشعب أهنأ أنفساً وقلوبا
ولع بإنماء الحياة لقومه حتى تجف حياته وتذوبا

وفي العراق يعرف جميع معاصري الرصافي ، ان هذا الشاعر الخالد بلغ أعلى مراتب البؤس . وصار يضرب المثل بتعاسته وإملاقه ، وضيق ذات يده ، حتى نزلت به الحال الى انه كان لا يملك من الثياب ما يستر بها جسمه غير الاسمال الرثة البالية ، فيضطر الى ملازمة داره ، فلا يغادرها الا تحت سجوف الظلام الدامس كأنه خفّاش يخاف ضوء النهار فيقول:

فقد رقت ثيابي اليوم حتى تكاد تذوب من مس الهواء
غدت شفافة حتى كـأني لبست بهن أثواب الرياء
لبست قرار بيتي في نهاري ولم أخلعه الا في المساء
فإن جاء المساء لبست منه ظلاماً ما تمزق بالضياء
وصرت أجول كالخفاش ليلا وألجأ في النهار الى الضراء

وصمد الرصافي في وجه النوازل والاحداث صموداً رائعاً تظهر فيه قوة الشخصية ، ومضاء العزيمة . وروعة الإباء ، فقد سكن الخان القديم ، وظل كالمسافر تتقاذفه الدروب وعاش معيشة الغرباء . في وطنه الذي لا يقدّم فيه سوى المجرم الشرير ، ويحتقر الاديب ، كل أديب له أثر كبير في النفوس ، وصدى عميق في القلوب ، فتثار حوله زوابع الدعايات المريبة ، واللغط المزعج . فقال :

سكنت الخان في بلدي كـأني أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيه لاني اليوم في وطني غريب
يقدم فيهم الشرير دفعاً لشرتـه ويحتقر الاديب

واضطر ان يبارح العراق الى سورية تخلصا من الظلم المنصب عليه ، وهو يودع بغداد بهذه الابيات التي تتفجر أسى وضجراً وتذمراً .

فيقول :

ويل لبغداد ممـا سوف تذكره عني وعنها الليالي في الدواوين
لقد سقيت بفيض الدمع أربعها على جوانب واد ليس يسقيني
أفي المروءة ان يعتز جاهلها وان اكون بها في قبضة الهون

ولا بد ان نذكر ان هذا الشاعر ليس وحده في الميدان ، فهناك محمد صالح بحر العلوم شاعر الشعب المعبّر عن آماله وآلامه ، وقد وهب حياته للشعب ، واسترخص حريته في سبيل الدفاع عن كرامة الوطن وحقوقه المغتصبة ، فاكتسب ثقة الشعب وحبه واحترامه ، وقصائده تنزع في عمومها نحو الكفاح للتحرر من السيطرة الاجنبية ، وتمس صميم مصالح الشعب ، ومكافحة الدعوات والافكار الاستعمارية ، والانصراف الى العمل الانشائي المثمر وانتهاج اسلوب جديد للتعبير يتلاءم وتطور المجتمعات الحديثة ، والافصاح عن ثورة الحقد الكامنة في أعماق الشعب ضد المستعمرين الغاصبين الذين بدلا من ان يستجيبوا الى صوت العقل ركبوا رؤوسهم ، وراحوا ينكلون بالشاعر أفظع تنكيل ، ويلقون به في أقبية التحقيقات الجنائية الرهيبة ، ويمارسون معه ألوان العذاب من ضرب وصفع وتعليق من اليدين في الهواء ، وسكب الماء البارد عليه في عز الشتاء !

وبالرغم من أنه ظل يتنقل بين سجون العراق التي هي أشبه بقبور الاموات زهاء عشرين عاما ، لكنه كان في كل مرة يطلق فيها سراحه ليتنسم عبير الحرية يؤكد من جديد على أنه سيمضي في اداء الرسالة المقدسة التي أخذها على عاتقه بثقة وتصميم وحزم ، حتى تنتصر قضية شعبه العادلة ...

وكانت السجون تعمّق من وطنيته وتعلقه بشعبه ، وتشدد من صلابته في تحدي الاستعمار ومجابهته ، وهو القائل :

كيف تحلو لي الحياة وعمري ... قد تقضى ما بين نفي وحبس
أأنا المخلص الوحيد لابقى ... هدفا يشتفي به كل جبس
تذبل العاصفات زهرة عيشي ... وتبيح الاهواء إزهاق نفسي

وقصائده الوطنية يصور فيها عن طبع اصيل ، حبه للشعب ، وطموحه الى المستقبل الزاهر مما جعلته قريبا من قلب الشعب الذي رفع مقامه في نظر الجماهير ، الجماهير التي استوحت منه الروح الكفاحية ، والتفاني في العمل ...!

ومن تجربة حياته اليومية استمد هذه الابيات الملفعة بضباب المرارة ، حيث يقول فيها :

يقولون لي جرب نصيبك مرة ... فقلت نصيبي في الشقاء مجرب
أيمنحني ثغر الحياة ابتسامة ... ووجه حياتي عابس متحجب
وحولي من الآلام جيش يسوؤه ... بأني الى أعدائه أتقرب
ترعرعت فيه وانتسبت لسلكه ... فصرت اليه لا لقومي أنسب

ولمحمد صالح بحر العلوم رباعية بعنوان (الشاعر النافر) وفيها يفصح عن ذلك الشاعر الذي يعيش في عزلة عن الناس ، ويكتم نفثاته الحرى في حنايا صدره خوفا من كيــد بني عصره الذين لا يفقهون الحكمة البليغة التي تنطوي عليها أشعاره ...!

والذي يبدو واضحا ان الشاعر محمــد صالح بحر العلوم ممن لا يؤمنون بشعر الابراج العاجية ، وهو نفسه من رواد الحركة الفكرية الشعبية في العراق ، ومن المواطنين الاحرار الذين استوعبوا بكل أمانة وإخلاص أهداف شعبهم في شتى مراحل تطورها الموضوعي ، حيث قال :

لم ينفر الشاعر من غيره	يكتم ما ينفث من صدره
الا لأن الناس لم يفقهوا	موارد الحكمة في شعره
فاضطر ان يلبث في عزلة	تنجيه من كيد بني عصره
وعزلة الشاعر في بيته	كوحشة الميت في قبره

ومن الإنصاف في هذا المجال أن نذكر الشاعر العراقي المهاجر أحمد الصافي النجفي الذي كرّس كل حياته لشعره ، ولم يتفرغ الا له وحده ، ذلك الشعر الذي تتجسم فيه كل المثل والقيم والأخلاق الطيبة ، والنزوع الى عبادة الجمال والحقوالحرية . وتبني الأهداف الواضحة المعالم ، السامية الأغراض ، الخالية من كل شائبة تشوبها !

ان هذا الشاعر الذي تحلى كفاحه بروح المثابرة والأناة والصبر ، وهو يشق الطريق مهما عظمت المتاعب من أجل أن يبني الشعب العربي مستقبله ومجده ، كان وسيبقى ينبوعاً ثراً لا ينضب للأفكار النيرة التي أيقظت فينا أحاسيس الفضيلة والطيبة والنبل ، وان المواضيع التي يتصدى لتصويرها بالغة الأهمية للأجيال الصاعدة ، ولما فيها من خير للبشرية جمعاء . وظل متفاعلا مع روح الشعب ، محققاً ما عليه من الوجائب الوطنية الشريفة ، داعماً نضالات كل الشعوب في العالم ، خادماً أماني امته العربية المجيدة ، مسترخصاً البذل والعطاء في سبيل إنجاح قضية وطنه العادلة ... ان هذا الشاعر نفسه ذاق ألوان العذاب ثمناً لخدمة المبادىء الإنسانية النبيلة ، واضطر الى مجابهة الكثير من الصعاب ، وتمنى معانقة الموت على عجل ليتحرر من قيود آلامه الصدئة فقال :

ارى الموت احلى واعظم نعمة	وكم انا ادعوه فلم يستمع صوتي
وليس يموت البائسون بسرعة	لأن حياة البؤس شر من الموت

وهو الذي بنى من الشعر ابياتاً خالدات على مر العصور ، ولكنه لم يتمكن طيلة عمره الا

بشيد بيتاً واحداً من القصب يأوي اليه ، ويسكن فيه ، وذلك لانه خدم الادب الرفيع خدمة حقيقية دون ان يتمسح بأذيال الطغاة المشعوذين الذين يسخرون الشعر لترويج افكارهم المضللة ، وإشاعة اباطيلهم المغرضة ، وجعله سلعة رخيصة تباع بأبخس الاثمان في سوق الخيانة والقرصنة والعار ، فيقول :

يا صاحبي إثأرا لي واحرقا كتبي   او حصلا ديتي من مهنة الأدب
بنيت للشعر ابياتاً مشيدة   وما بنيت بها بيتاً من القصب

وبدون تعليق ، ندرج هذه الابيات الشعرية المشوبة بالالم الممض ، وقد نظمها الشاعر بعد ان احس مبلغ الاسى المروّع لقلبه ، ليقف القارىء بنفسه على ضخامة المأساة المؤلمة التي آلت اليها حياة احمد الصافي النجفي حيث يقول :

استقبل الستين مستوحشاً   لا اهل ، لا مال ، ولا ولد
الدرب مهما سرت لا ينتهي   والليل مهما عشت يمتد
تعوّد الشوك على مهجتي   من بعد ما قاطعها الورد
عكازتي من أمل واهن   امشي بها والجسم ينهد

وليس ادعى الى الإغتباط من ان نرى المسؤولين يتمنون جهود المفكرين ويقدرونها حق قدرها . ويدعمون مواقفهم المجيدة ضد الفئات المجردة من ضمير الإنسان ، والتي تمزقت الستر المهلهلة عن وجوهها الكالحة ...!

ومن القول المعاد التأكيد على انه من الزم الواجبات الملحة ، فسح المجال الواسع امام الاديب ليكتب ويتكلم ويناقش بمحض اختياره دون ضغط او اكراه ، والعمل على اطلاق حرية الفكر من عقالها ، فالإنتاج الادبي لا ينمو ويتطور ويزدهر ، الا في جو فسيح من الرعاية والحرية والتقدير !

انه لظلم ما بعده ظلم ان يضطهد الاديب ويجوع في بلادنا العربية الملأى بكنوز دفينة من المعادن النفيسة ، وغابات النخيل الشاسعة ، وحقول القمح الواسعة ، والتي تجري في حنايا تربتها الخصبة انهار الذهب الاسود بغزارة ...!

وانه لغبن فاحش ان تغلق منافذ الرزق الشريف في وجه الاديب ، في حين يستمتع بخيرات بلادنا انصاف المثقفين والانتهازيين ، وحملة الاقلام المأجورة ، ورافعوا الشعارات

الوطنية المزيفة الذين يلبسون لكل حال لبوسها ، ويعملون في غاية الجشع واللؤم والانانية للاطاحة باستقلال وطنهم ، وربطه بعجلات الاستعمار ، ولن يدخروا وسعاً في نفث سموم التفرقة بين أبناء البلدالواحد ..!

لقد حان الوقت الذي فيه يجب رفع الحيف عن الاديب ، وشجب جميع ما يلحق بهمن اضطهاد واذى ، وازالة ما يوضع في طريقه من عوائق وأشواك ، والقضاء على كل ما هو باعث للقلق والإضطراب في نفسه ، ورد اعتباره ، واحاطته بهالة من الإكبار ،وإيجادالعمل اللائق به ليكون بإمكانه التفرغ على الدروس والبحث والكتابة ...! وتشجيعه عن طريق مده بالإعانات المالية لطبع مؤلفاته ونشرها بين الجماهير للاستفادة منها ..!

ولنا من الثقة والامل بأن المشرفين على شؤون الحكم والذين بأيديهم مقاليد الامور سيغيرون موقفهم غير الودي والمحفز تجاه الاديب حرصاً على صيانة المواهب والكفاءات من الهدر والتمزق والضياع !

وفي العراق بدأ الاديب بعد اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز الخالدة يحتل مكانة سامية في المجتمع ، سيما بعد تأسيس (جمعية اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين) تلك الجمعية التي اثبتت منذ بزوغ فجرها على حيويتها ونشاطها وتضافر جهود اعضائها من اجل انعاش الحركة الادبية وشد ازر القائمين بها ، لانهم الطليعة المثقفة الواعية في شعبنا العربي المتحرر المكافح ، وحربة دامية موجهة الى صدور المستعمرين الادنياء ..!

ولست مبالغاً اذا قلت : ان العناية الفائقة بالاديب انتصار عظيم للحق ، وفشل ذريع للباطل ...!

وان على الاديب اليوم بالذات مسؤولية ضخمة في تهيئة الاذهان ، وتعبئة الجهود وحشد القوى الشعبية لتحرير كل جزء من أجزاء وطننا العربي الكبير ، وترسيخ كيان الحركات التحررية في فلسطين وعمان وعدن !

وان كل اديب حر مخلص من ادبائنا المعاصرين يؤدي هذا الواجب الوطني والإنساني احسن اداء ...!

فلماذا يشقى الاديب ؟

بغداد خضر عباس الصالحي

شعراء من جبل عامل

بقلم السيد علي ابراهيم

الشيخ بهاء الدين العاملي

ولد سنة ٩٥٣ﻫ وتوفي ١٠٣١ﻫ ، وهو من المع الشخصيات العلمية والفكرية التي برزت في عصره .

يقول عنه الشيخ محمد رضا الشبيبي وزير معارف العراق السابق واحد اعلام الفكر العربي المعاصر ما يلي :

لقد استرعى نظري وانا اتصفح مختلف الاسفار والتصانيف لتقييد ما يتصل منها بالفلسفة الاسلامية ، ان جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي حافلة بفوائد وشوارد فلسفية مضافاً الى بحوثه الأخرى ، وانه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه عقلية ونقلية ، ووفق في التأليف فيها وفي جملتها الفقه والاصول والحديث والتفسير واللغة وعلومها والحكمة والفنون الرياضية

ولم يقف منه الشبيبي وحده هذا الموقف فقد بهر الكثرة الساحقة من العلماء والباحثين بفضله وفنونه العجيبة ، والواقع ان عقله الجبار شمل جهات متعددة من العلم يصعب منالها على غيره حتى ان آثاره في الفلك والهندسة والرياضيات مرجع لكثير من العلماء ومنبع يستقي منه طلاب المدارس والجامعات ، ويظهر الاتجاه الصوفي بآثاره ومؤلفاته ويتضح ذلك لمن رجع الى كتابه الكشكول ، ويحار الفكر في هذه الاحاطة الموجودة لديه الى اي مدى تصل فتراه احياناً مع الحوات ومروضي الحيوانات وسائر ارباب الحرف والصناعات ،

ويعود تفننه هذا لما استفاد من سياحته الطويلة التي استمرت ثلاثين سنة ، ولما لاقى فيها من رجال ، وتلقى عنهم واحتك بمواهب وافكار فأخذ منها واعطى ولما شاهد من مناظر مختلفة وطرائق للحياة متباينة .

وتربو مؤلفاته على الخمسين كتاباً اكثرها اعيد طبعه وتقوم شهرتـه على بعضها مثـل خلاصة الحساب ، التي طبعت في ايران والهند واسطمبول ومصر وترجمت الى الالمانيـة والافرنسية وتشريع الافلاك ، وكتاب الكشكول الذي طبع مراراً في مصر والعراق ويعتبر من اعظم الكتب واكثرها فائدة جمع فيه شوارد وطرائف من العلوم المختلفة ، فبينما انت تمشي معه في مسألة رياضية او هندسية ، اذابه ينقلك للفقه وتفسير القرآن ، ثم اذا بك امام نكتة ماجنة وطريفة ساحرة تعجب من وجودها في سفر جليل لعالم ديني كبير ، وتلمح بين هذي وتلك مجالات التصوف والعرفان بنفثات الشيخ ونفحاته ، لا يريد بمختلف الاحوال لقارئه الملال من الصور والالوان .

اما شعره فيمتاز بالسهولة والوضوح فتراه قصة متشابكة طويلة النفس تتحدث عن همة صاحبها وعلو شأنه وكيف يناضل ويسمو كأن المتنبي لم يقصد غيره عندما قال .

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمله العشر

لم يقنع بالحياة الهادئة البسيطة التي ترضي ضعاف الناس ويهفو لها من يطلب المتع والملذات كثيراً ما خاطب نفسه بقول الشاعر :

لي عند بدر السما والمشتري ارب فحلّقي لها لكي تبلغي اربي

وقيمة شعره انه يمثل شعور رجل عصامي يترك نفسه على سجيتها ويعمد احياناً للبث والشكوى فيقول :

خليلي مالي والزمان كأنما يطالبني في كل يوم بأوتار
فأبعد احبابي واخلى مرابعي وابدلني من كل صفو بأكدار
وعادل بي من كان اقصى مرامه من المجدان يسمو الى عشر معشاري
اذا دك طود الصبر من وقع حادث فطود اصطباري شامخ غير منهار
ومعضلة دهماء لا يهتدي لهـا طريق ولا يهدي الى ضوئها الساري
تشيب النواصي دون حل رموزها ويحجم عن اغوارها كل مغوار
اجلت جياد الفكر في حلباتها ووجهت تلقاها صوائب انظاري
فأبرزت من مستورها كل غامض وثقفت منها كل قسور سوار

أأضرع للبلوى واغضي على القذى — وارضى بما يرضى به كل مخوار
وافرح من دهري بلذة ساعة — واقنع من عيشي بقرص واطمار
اذا لا ورى زندي ولا عز جانبي — ولا بزغت في قمة المجد اقماري
ولا بل كفي بالسماح ولا سرت — بطيب أحاديث الركاب واخباري
اخالط ابناء الزمان بمقتضى — عقولهم كي لا يفوهوا بإنكار
واظهر اني مثلهم تستفزني — صروف الليالي باحتلاء وإمرار
واني ضاوي القلب مستوفز النهى — أسرُّ بيسر او امل بإعسار
وما علموا اني امرؤ لا يروعني — توالي الرزايا في عشي وإبكار

واني استمع اليه وهو يناجي نفسه ويريد الحديث عن اشواقه ولواعج فؤاده فأحار في هذه الظاهرة الغريبة ، اعجب كيف يؤثرفيّ واحبه ولا امله ، مع اعترافي ببساطة عرضه وادائه وانحدار المستوى الفني فيه من القمم الى السفوح ولكن صدق الشعور والبعد عن التصنع يجعل من هذا الشعر الذي تسمع شيئاً محبباً قريباً للقلوب والنفوس :

احبتنا ان البعاد لقتال — فهل حيلة للقرب منكم فنحتال
ايا دارنا بالاثل لا زال هامياً — بربعك مسكي الغلالة هطال
ويا جيرتي طال البعاد فهل ارى — يساعدني في القرب حظ وإقبال
وهل يسعف الدهر الخؤن بزورة — على رغم ايامي بها يسعد البال
خليلي قد طال المقام على القذى — وحال على ذي الحال يا قوم احوال
الى كم ارى في مربع الذل ثاوياً — وفي الحال اخلال وفي المال اقلال
سأغسل رجس الذل عني بنهضة — يقل بها حل ويكثر ترحال
واركب متن البيد سيراً الى العلى — وما كل قوّال اذا قال فعّال
أأقنع بالمر النقيع وارتوي — وبالقرب مني سلسبيل وسلسال
اذا لا امدت بالسماحة راحتي — ولا ثار لي يوم الكريهة قسطال
ولا هم قلبي بالمعالي ونيلها — ولا كان لي عن موقف الذل اجفال

وهو في مصر مواطن قريب الدار مع اهله واحبابه ، شأنه بذلك شأن اعلام لبنان الذين وجدوا في القاهرة متنفسا لهمومهم وشجونهم ، لمع نجمهم فيها وانتشر علمهم وفضلهم ، فأفادوا واستفادوا ، وكان لهم بتاريخ نهضة العرب شأن بارز ومقام رفيع اسمعه يقول :

يا مصر سقيا لك من جنة — قطوفها يانعة دانيه

ترابها كالتبر في لطفـــه وماؤها كالفضة الصافيـــه
لما انخت الركب في ارضها أنسيت احبابي واصحابيه

وله من قصيدة يصور فيها حبه وغرامه ، وكأنه يرمز للمحبوب الذي يقصده الصوفيون وتتجلى فيها المعاني العرفانية وتبدو روعتها بسهولتها ووقعها الموسيقي ورشاقـــة الفاظهـــا وانتقائها بمهارة .

خلياني بلوعتي وغرامي يا خليلي واذهبا بسلام
قد دعاني الهوى ولبّا لبي فدعاني ولا تطيلا ملامي
ان من ذاق نشوة الحب يوما لا يبالي بكثرة اللوام
خامرت خمرة المحبة عقـــلي وتمشت في مفاصلي وعظامي
فعلى الحلم والوقار صلاة وعلى العقل الف الف سلام
هل سبيل الى وقوف بوادي الجزع يا صاحبيّ او المام
ايها السائر الملـــح اذا ما جئت نجداً فعج بوادي الخزام
وتجاوز عن ذي المجاز وعرج عادلا عن يمين ذاك المقام
واذا ما بلغت حزوى فبلـــغ جيرة الحي يا اخيّ سلام
وانشدن قلبي المعنى لديهم فلقد ضاع بين تلك الخيام
واذا ما رثوا لحالي فسلهم ان يمنّوا ولو بطيف منام
يا نزولا بذي الاراك الى كم تنقضي في فراقـــكم اعوامي
ما سرت نسمة ولا ناح في الدوح حمام الا وحان حمامي
اين ايامنا بشرقي نجـــد يا رعاها الإله من ايام
حيث غصن الشباب غض وروض العيش قد طرزته ايدي الغمام
وزماني مساعدي واياديي اللهو نحو المنى تجر زمامي

علي ابراهيم

كنت أكون احمقين

دخل جحا ذات يوم دار الرحا « فجعل يأخذ من قمح الناس ويجعله في قفته ، فقيل له « لاي شيء تصنع هذا ؟ »

فقال : لاني احمق . فقيل له : « فلم لا تجعل من قمحك في قفاف الناس ؟ » .

فقال : اذن اكون احمقين .

مفهوم القانون عند شيشرون

بقلم زيد الزين

كانت نظرية الحق الطبيعي من أمتن العوامل الفكرية التي خدمت العقل الإجتماعي واستعملت كأداة لنقد العادات والتقاليد والتشريع . فالتقليد السائد خلال القرون الوسطى هو اللجوء الى قانون الطبيعة المتعارف عليه في اليونان . وهذه العبارة قانون الطبيعة استعملها الصوفيون اليونان الذين انتقدوا قوانين وعادات المدن التي كانت تشكل كل منها دولة قائمة بذاتها ، وأصبحت هذه العبارة النظرية المتداولة في أواخر عهد الجمهورية الرومانية . فهي بالتالي المبدأ الذي يناسب طبيعة الإنسان بصفته كائناً اجتماعياً وعقلانياً .

لقد تبلورت اتجاهات الحياة السياسية لليونان بإنتاج شيشرون الذي انتشر في المجتمع الروماني في العهد الهيليني ، فقد حوّل الرواقيون نظرية ارسطو عن التطور الى نظرية الطبيعة الانسانية والدافع الباطن لكل انسان بأن يحكم نفسه بنفسه ، كما وان نظرية اليونان عن المساواة المقتصرة على النخبة من المواطنين توسعت لتطبق على جميع الناس ليس فقط بالمساهمة في الخدمات العامة بل ايضاً باخضاع الجميع للقانون وتطبيقه على الجميع . وبانتشار الامبراطورية الرومانية أصبح القانون عاماً وثابتاً بعد أن كان عرضة للتغيير والتبديل وفقاً لرغبات الحاكم او لارادة بلدة او مدينة . اي ان القانون اصبح يتألف من مجموعة قوانين لجميع الأمم خاصة بعد ان عمد الرومان الى تشريع قانون موحد لجميع الشعوب الخاضعة لنفوذهم .

في هذه الفترة سادت الشريعة الطبيعية التي نشرها الرواقيون خاصة باناتيوس الذي شذب النظرية الرواقية بالشكل الذي اتت الى شيشيرون . اذ دعت رواقية باناتيوس الى شمول القانون الطبيعي بمساواتها جميع الناس في موجب معاملاتهم بالعدل وفي حقهم ان يعاملوا بالعدل وادى الاعتقاد بالقانون الطبيعي الى الايمان بمجتمع مطلق لجميع الناس فتجسدت هذه الفكرة بالقانون الروماني واخذها عنه رجال الكنيسة . ومن هذين المصدرين انطلقت نحو مدينة الغرب ، وعبرت عنها كتابات شيشرون اصدق تعبير اذ ظلت كتبه الأكثر انتشاراً في جميع انحاء اوروبا لمدة قرون .

عاش شيشرون من سنة ١٠٦ الى السنة ٤٣ قبل الميلاد ومع انه كون نفسه بنفسه فقد

ايد الارستقراطيين وكان يتطلع دائماً الى الأيام القديمة عندما سيطرت الارستقراطيـة على الحكم وكانت بيدها السلطة المطلقة . ولم يكن منتظراً من رجل عصامي ان ينحو هذا المنحى مما وضع العراقيل في وجه اشتغاله بالسياسة في وقت تميز ببروز قوة الأحزاب الشعبية وعندما شغل وظيفة مستشار في السنة ٦٣ قبل الميلاد قضى على المؤامرة الكاتلينية في مهدها واعدم قادتها . وحكمت عليه المحاكم الرومانية بالنفي في السنة ٥٨ عندما لوحق بأنه يعمل خلافاً للدستور ثم عاد الى رومة بعد سنة غير ان وجود الحكم الثلاثي وقف عائقاً في وجه طموحه السياسي فكرس نفسه للادب والفلسفة . وبعد مقتل القيصر في السنـة ٤٤ تزعم شيشرون معارضة انطونيوس . وعند تجدد الحكم الثلاثي حكم عليه بدون محاكمـة وقتـله جنود انطونيو .

هدف شيشرون في آرائه الى اعادة الدستور الجمهوري الى ما كان قبل ادخال اصلاحات تيبيريوس غراكوس الشعبية عليه وذلك كوسيلة لنشر برنامج الارستقراطيين والمحافظين وجعله أداة الحكم للشعب . لكن مثل هذا البرنامج آني ، وما يهمنا من اعمال شيشرون هو تأثيره على القانون الروماني وعلى النظرية السياسية اذ ان اهتمامه بسيطرة القانون وتشديده على الشعب كمصدر للسلطة اصبحا المصدر الرئيسي لنظرية العقد الاجتماعي حتى ان المشرعين الرومان تبنوها كما ظهرت في فتاوي جوستنيان فإرادة الامبراطور قوة القانون . لأن الشعب تنازل له عن سلطته وصلاحياته . واستعمل رجال الكنيسة آراء شيشرون عن الحق الطبيعي كأساس لنظرية الحق الالهي . لا سيما تشديده على مساواة جميع النـاس امام القـانون ، موجب الدولة لتأمين العدالة ، والسلطة المطلقة للحكومات الشرعية الدستورية ونشر هذه الآراء في كتابيه : الجمهورية والقوانين .

بحث شيشرون في كتابه « القوانين » المبادىء العامة للقانون والمساواة ، وشرح طبيعة العدالة مع مقارنتها بطبيعة الانسان ومبادىء القوانين المدنية التي تنظم مشاكل المواطنين المدنية والمحلية .

اعتبر اليونان بأن القانون يتضمن توزيعاً عادلا للحاجات واعتبر الرومان بأنه يتضمن تمييزاً متساوياً بين الحق والباطل غير ان التعريف الحقيقي للقانون يتضمن هاتين الصفتين مجتمعتين . ولا يمكن ان يوجد سوى عدالة اساسية واحدة التي تسيطر على المجتمع ، وقانون واحد ينشىء هذه العدالة هو الادراك الصحيح الذي يؤدي الى القاعدة العامة لجميع المباحات والمحظورات . وكل من يهمل هذا القانون سواء كان مكتوباً او غير مكتوب يجب اعتبا

مجرماً او شريراً . على ان الشيء الأساسي الواجب معرفته مدى الدور الذي تلعبه الطبيعة في هذا المجال ، فما لم تتلاءم الطبيعة مع مقتضيات القانون تفقد الفضائل الانسانية ميزتها وماذا عن تلك الصفات مثل الكرم ، الوطنية او الصداقة واين يمكن ان نجد الرغبة في اللطف والعطاء والوفاء ، هذه الصفات التي تنبع من ميلنا الطبيعي لمحبة وتعزيز امثالنا واصحابنا . هذا هو الأساس المتين للعدالة الذي بدونه ، لا تفقد فقط الرحمة بين الناس بل تنعدم الرسالة الدينية ايضاً .

لا يمكن ايجاد نظام قادر على التفرقة بين قانون صالح وقانون غير صالح سوى ضميرنا وادراكنا اللذين يمكناننا من التمييز بين العدالة والظلم ، وبين الشرف والخيانة .

فالحواس ادخلت في عقولنا المبادىء الأولية للأشياء واعطتنا معرفة عامة بها بحيث نقدر ان نجمع مع الفضيلة كل صفة شريفة وقويمة ، ومع الرذيلة ما هي ساقطة ومنافية للأخلاق . ومن جميع الصفات يتوجب علينا إجراء مقارنة بين الصالحة منها وغير الصالحة بالنسبة لطبيعة الأشياء الأساسية نفسها لا سيما وان الصلاح ليس طريقة في التفكير ، بل هو كما هو بقوة معناه . واذا كان خلاف ذلك أمكن عندئذ للرأي وحده ان ينشىء الفضيلة والسعادة وهذا ابعد الافتراضات . وما دمنا نحكم على الحسن والعاطل بطبيعة كل منهما ، وما داما هما بحد ذاتهما اسس الشرف والرذيلة . وجب علينا ان نحكم بنفس الطريقة على جميع الصفات الشريفة بواسطة قانون الطبيعة دون اي تحيز او عاطفة ، لكن ميلنا الثابت لقانون الطبيعة تقف في وجه قضية الطبقات والاختلاف في الآراء .

فالعدالة والمساواة مرغوبان لذاتهما ، اذ ان جميع الناس الشرفاء يحبون العدالة والمساواة من اجل اقامة العدل وتركيز مبدأ التساوي امام القانون ، وذلك بتأثير عاطفتهم ، وهذا ينطبق ايضاً على الحق وعلى الحرية وعلى بقية الفضائل الضرورية لحياة الفرد . والتي يجب ان تمارس مجاناً دون اي مقابل .

واذا اخذنا بالفرضية المضادة وقسنا الفضيلة بمجرد المنفعة والفائدة المرجوة منها وليس بما تستحقه ، نصل الى نتيجة حتمية ، الى بؤرة الموبقات ، لأنه ما دامت وجهة نظر الانسان تنصب على المنفعة الشخصية دون غيرها ، يبتعد رويداً رويداً عن جادة الصواب ، وتتجه نحو الشر طالما انه يجني فائدة منه وماذا يصبح مصير الصداقة المقدسة اذا لم نحب اصدقاءنا من اجل ذاتيتهم بكل مشاعرنا ، وهل لنا ان نهجرهم اذا لم نجن اية مساعدة منهم ؟ فما دامت الصداقة تبقى ضمن اطارها المخلص وطريقها الصحيح ، كذلك يصبح المجتمع

والمساواة والعدالة المثل العليا في هذا المضمار لأنها مرغوبة لذاتها . ويقتضي ان نطبق القانون من اجل اراحة ضميرنا ولدافع الخير في نفوسنا وليس من اجل الخوف من القانون والفزع من الأحكام والعقوبات فحسب ، خاصة وان للروح منزلة قوية في نظر الانسان الشريف ، لأن المال والشهرة والجمال والفن تتضاءل قيمتها عندما نمتلكها ، كما وان مدة التمتع بها غير اكيدة .

هذا ما اقره اعقل الفلاسفة ، ان القانون لم يكن في يوم من الأيام بدعة الأذكياء ، ولم يكتشف عند تطور المجتمع بل هو مبدأ ابدي يسيطر على العالم بأجمعه ويأمر باتباع الحق ؛ ويمنع الباطل . لأجل هذا ؛ فإن القانون الأعلى هو العقل الالهي ؛ اما القانون الذي يختلف في جميع العصور والأمم كان من وضع الشعب لانه وضع للمحافظة على الشعب ؛ وحفظ النظام في البلاد وصالح المجتمع . وبالنتيجة فانه لا يوجد اي قانون سوى قانون العدالة الذي يجب فرضه على الجميع وكل ما عداه فلا يمكن اعتباره بمثابة قانون. فقوانين تيتيوس وايوليوس تعتبر ملغاة لانها غير عادلة وقوانين ليفيوس ايضاً .

ان المبدأ الاساسي ؛ لرأي شيشرون في جميع المجتمعات هو ان الآلهة هم حكام واسياد كل شيء ؛ وجميع الحوادث تسير بتأثيرهم وحكمتهم فهم يعرفون ماذا يفعل كل انسان ويلاحظون اعماله فيما اذا كانت جيدة او سيئة ويفرقون بين الرجال الصالحين والاشرار .

اقترن مفهوم الحق الطبيعي بمفهوم الحق الالهي في عهد الكنيسة المسيحية في بادىء الامر واستولى على قسم كبير من تفكير الآباء المسيحيين مثل اوريجيني وسانت اومبروز وسانت جيروم ؛ اذ انهم تكلموا عن الحق الطبيعي واعتبروه مثل الحق الإلهي يسيران جنبا الى جنب ولاحظ ايزيدور في القرن السابع بأن جميع القوانين انما هي إلهية او انسانية . وتعتمد القوانين السماوية على الطبيعة بينما تعتمد الثانية على العادات التي تختلف من مجتمع لآخر . وانتشرت هذه الفكرة فيما بعد فكتب غراتيان بأنه يتحكم بالانسان شيئان : القانون الطبيعي والعادات ؛ فالاول موجود في القانون وفي الكتاب حيث يؤمر كل امرىء بأن يعمل للآخرين ما يجب ان يعمله لنفسه ؛ وكان لهذه الفكرة تأثير كبير في المستقبل ففي القرون الوسطى اعتبر القانون الطبيعي جزء من الحق الالهي ؛ وكتب سانت توماس قائلا ان المخلوق البشري لكونه خاضعا للبركة الإلهية ؛ يشارك في الحق الازلي الذي له ميل طبيعي خاص نحو عمل معين وهدف امثل . وهذه المشاركة تسمى القانون الطبيعي . فمن المفروض ان الطبيعة هي نتيجة حتمية لارادة الله هذه الارادة المعروفة بأنها ارادة عقلية والتي اخذ العقل البشري

حق تفسيرها . لعبت نظرية القانون الطبيعي دوراً بارزاً في القرون الوسطى فاق الدور الذي لعبته ايام روما القديمة لان تأثيرها تعدى المؤسسات القانونية الى المؤسسات السياسية والسلطة الملكية .

لا يزال المصدر الحقيقي للقانون الطبيعي موضع جدل . غير انه من المسلم به ان جميع الناس متفقون على وجوده وعلى موجب تطبيقه وعلى ان سلطته مستمدة من قوة لا يتجرأ احد على مخالفتها فأعظم قوة على الارض كانت خاضعة لانظمة القانون الطبيعي . فهو فوق الحكام وفوق الشعب . ولا يمكن تعديله بقانون او بمرسوم . او بقرار من الشعب او تبعا للعادات . فكل ما يتنافى مع مبادىء القانون الطبيعي يعتبر باطلا . وشيشرون نفسه اعلن بأن القانون الحقيقي هو الادراك الصحيح والمتناسب مع الطبيعة كما وانه نوه بأن قانون الشعوب المتناسب يجب ان يشكل جزءاً من قانون كل دولة مع انه توجد مسائل كثيرة يتمتع فيها كل مجتمع بالحرية التامة لتطبيق انظمته الخاصة .

وبالنتيجة فما لا شك فيه ان آراء شيشرون في كتابه القوانين كان لها اثرها الفعال في القانون الروماني وفي تفكير رجال الكنيسة وسيطرت مدة طويلة على قوانين عدة بلدان .

زيد الزين

رد مفحم

دخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة خشنة وعلى الاحنف مثلها . فلما مثلا بين يدي معاوية ازدراهما فقال النمر :

– يا امير المؤمنين ! ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها .

فضيلة الحلم

قال بعض الحكماء : الحلم عدة للسفيه . وجنة من كيد العدو . وانك لن تقابل سفيها بالاعراض عن قوله الا اذللت نفسه . وفللت حده . وسللت عليه سيوفا من شواهد حلمك عنه . فتولوا لك الانتقام منه .

وقال آخر : العجلة مكسبة للمذمة . مجلبة للندامة . منفرة لاهل الثقة . مانعة من سداد الرغبة .

غمة محب

فديتك اعدائي كثير وشقتي بعيد. واشياعي لديك قليل
وكنت اذا ما جئت جئت بعلة فأفنيت علاتي فكيف اقول ؟

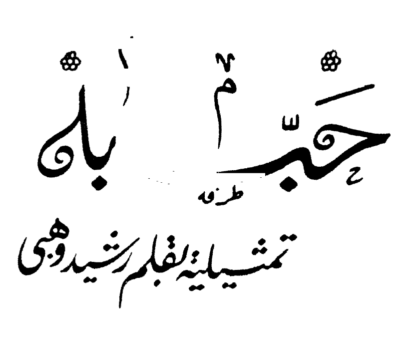
ذات ليلة

وتلفع الكون .. البطـــاح بملاءة سودا الوشاح
ذا الليل حنّ مواسياً مثل الممرضة الجراح
للعاشق المضنى الذي سهر الليالي ما استراح
والبدر شعشع في السما هيمان مطلوق السراح
والطير في اوكارها هدأت ونامت بارتياح
الا انا وحدي انا اسري تحدثني الرياح
عن بسمة الامل المشع .. عن المنى اعني « نجاح » (١)
وجلست تحت شجيرة مأوى العصافير المباح
هي عيشة مع ربنا في اللانهاية في السماح
هو حبنا الاعصار فجر من عذابات الجراح
شعراً يهدهد كالهوى معنى الحياة وما يتاح
يممت شطر شجيرتي والفكر مشغول بصاح
وسهرت ليلي سامري نتشاكى من ظلم الملاح
البدر شاحب ما به يذوي ؟! أأضناه النواح ؟
هذي الطيور تأهبت كيما تؤذن للصباح
وتهيت في من قد غفى من حطّم القيد استراح
ما بالها فرحانة ظنت بأن الفجر لاح ؟!
لم لا أغرد مثلها او ما احب الانشراح
... ذا الليل يلفظ آخر الانفاس .. ان الصبح صاح
او هل ملاك قد اتى فغفوت .. بلسم لي الجراح
وسرحت في ملكوت أحلامي تهدهدها « نجاح »
حتى نهضت معللي وصل تحقق وارتياح
اذ ايقظتني قبلة والكون قبّله الصباح
فكأن قطرات الندى قد عللت زهر الاقاح

البياض كامل سليمان سليمان

---

(١) اسم الحبيبة .



-٢-

-٦-

(في القصر، مجلس شعر وطرب) .

حبابة : تحية يا مولاي .

يزيد : الف تحية يا مولاتي تعالي الى جانبي اطفئي اشواقي ولهفي يا حبابة .

حبابة : في الصباح وتدعونني الى القصر ؟

يزيد : بل كل ساعة يا حبابة ودقيقة . لا استطيع البعد عنك ابداً . كلما خطر لي انك وحدك في قصرك اغار عليك ...

حبابة : مم يامولاي ؟

يزيد : لا ادري يا حبابة؟ربما من الهواء الذي يحيط بك فيأخذ شيئاً من شذاك وعطرك . انا لا اطيق بعدك ابداً يا حبابة . لا اطيق ان يسمع صوتك احد . اسقيني يا حبابة واشربي وغني صوتاً ينقلني الى الجنة ، الى السماء بين الملائكة .

حبابة : امر مولاي . (تأخذ عودها وتغني) .

أأفاق صب من هوى فأفيقا   أو خان عهداً او اطاع شفيقا

يزيد : لا يا حبابة ما افيق من هواك ولا اخون عهدك ما حييت . ولن اطيع شفيقاً او عاذلاً في هواك . انت الحياة وانت الروح .

غلام : (يدخل) ابو امامة يستأذن بالمثول بين يديّ مولاي .

يزيد : ويلك أهذا وقت المقابلة .

حبابة : ومن ابو امامة هذا يا مولاي ؟

يزيد : هو شاعر ظريف صادقته ايام الصبا وكنت قد وعدته بقضاء جميع حاجاته اذا وليت الخلافة ولعله جاء يريد قضاء الوعد . أندعه يدخل ؟

حبابة : من غير اللائق رده . ليدخل واذن لي بالتحدث اليه .

يزيد : كما تشائين يا حبابة . والله لا ارد لك طلباً (للغلام) ليدخل .

(لحظة)

ابو امامة : السلام عليكما .

يزيد وحبابة : وعليك السلام .

حبابة : اهلا وسهلا . ترى ما أفضى بك الينا الساعة ؟

ابو امامة : جئت انشد مولاي ابياتاً مطلعها :

لأنت مثال الشمس لاستر دونها فكيف انا وحدي على ظلامها

حبابة : والله لن يكون عليك ظلامها ابداً .

ابو امامة : كنت ادعو الله في السر ان ارى امور الخلافة بين يديك نظامها

حبابة : ولقد رأيت ذلك والحمد لله .

ابو امامة : فلما اتاني ما اردت تباشرت بناتي وقلن العام لا شك عامها

حبابة : فهو عامهن ايضاً ان شاء الله ...

ابو امامة : وكنت امني النفس منك اميرنا اماني ارجو ان يتم تمامها

حبابة : سيتمها الله عليك بلا تأخير فسل حاجتك ؟

ابو امامة : ثياب جديدة .

حبابة : لك مائة ثوب جديد من ثياب الخليفة .

ابو امامة : وشيء يعينني على الأيام .

حبابة : ومائة الف درهم وجاريتان وخادم .

ابو امامة : ودار تضمني .

حبابة : بل ضيعة من ضياع بني عامر .

ابو امامة : (متشككاً) ماذا يرى امير المؤمنين ؟

يزيد: ويحك . ان ماتقوله وماتأمر به حبابة لايستطيع احد ان يخالفها فيه حتى ولو كان امير المؤمنين . يا غلام قد ابو امامة الى الوزير يهبه ما ذكرت حبابة .

(الغلام وابو امامة يخرجان)

يزيد : امرك مطاع يا مولاتي . والله لا ادري أسيد انا ام عبدلك يا حبابة . هات اسمعينا

حبابة : (تغني)

كريم قريش حين ينسب والذي	أقرت له بالملك كهلا وامردا
وليس وان اعطاك في اليوم مانعاً	اذا عدت من اضعاف اعطائه غدا
اصاب تلاد المال في الحمد انه	امام هوى يجري على ما تعودا
تشرب مجداً من ابيه وجده	وقد ورثا بنيان مجد تشيدا

يزيد : لمن الشعر يا حبابة ؟

حبابة : لشاعر يتعذب في ظلام السجون ، للأحوص .

يزيد : أيمدحني به ؟

حبابة : ومن غيرك يُمدح يا امير المؤمنين ؟

يزيد : والله لقد سجنه سليمان اخي ظلما . يا غلام امرنا باطلاق قيد الاحوص واجزال عطائه .

حبابة : ان اكثر ما اغنيك به من شعره يا مولاي . هو شاعر لطيف المعاني ، خفيف العبارة . (تغني) .

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطر	ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبي لم املك تذكركم	اوعرّسوا فهموم النفس والسهر

يزيد : (وقد اشتد به الطرب) يا الله (يضع وسادة على رأسه ويدور في الدار وهو يرقص) اطير ... اطير يا حبابة ؟

حبابة : ولمن تدع الناس ؟

يزيد : اليك . هل رأيت احداً اطرب مني ؟

حبابة : نعم . مولاي القديم ابن مينا .

يزيد : (مغتاظا) ابن مينا اطرب مني ؟ذاك الصعلوك ؟ليحمل ابن مينا مقيداً الساعة . بعداً لذلك المدعي . (تدخل سلامة) (١) ها هي سلامة . تعالي هنا .

---

(١) جارية مغنية من جواري يزيد وزميلة لحبابة تلقت معها اصول الغناء في دار جميلة المكية .

سلامة : (تجلس) السلام على أمير المؤمنين .
يزيد : وعليك السلام . أيتكما غنتني ما في نفسي فلها ما تطلب .
سلامة : أيسمح أمير المؤمنين (تغني) :

حلفت برب مكة والهدايا   وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التنائي فاسمعيــه   احب الي من بصري وسمعي

يزيد : أحسنت يا سلامة ولكن لم تصيبي ما في نفسي . ألا تنشدي شيئاً يا حبابة ؟
حبابة (تأخذ عودها وتغني) :

خلق من بني كنانة حولي   بفلسطين يسرعون الركوبا
هزئت ان رأت مشيباً برأسي   لا تلومي ذوائبي ان تشيبا

يزيد : هو ذاك وربي . ما تطلبين ؟
حبابة (بدلال) : تهبني سلامة .
يزيد : اطلبي غيرها .
حبابة : وهي ومالها .
يزيد : هي ومالها لك .
سلامة : ويلي . أتهبني لجارية مثلي (تخاطب حبابة) وأنت أبلغ من غنجك ودالتك على أمير المؤمنين أن تستوهبيني منه وانا اختك ورفيقة صباك .
حبابة : يا أختي انا لا انسى فضلك ولا انكر صداقتك انما اردت مداعبتك قليلا فلا تخشي شيئاً .
غلام : ابن مينا بالباب .
حبابة : ليدخل .
(يدخل ابن مينا وهو يرسف في أغلاله)
ابن مينا (وقد فوجىء برؤية حبابة) : حبابة ... سقا الله ايامك ولياليك .
حبابة : اهلا بك يا ابن مينا .أتسمع مني صوتاً ؟
ابن مينا : وهل من شيء احب الي من ذلك . سماعك لحظة املي ومناي. والله ما بعثنا زاهداً فيك يا حبابة (يخاطب الخليفة) يا امير المؤمنين ، ما بال يداي قد كبلتهما السلاسل فك قيدي روحي فداك .
يزيد : حرر يداه يا غلام .

حبابة (تغني) :

يا ليتني اذا هجع النا ... س ونام الكلام صاحبها
في ليلة لا يرى بها احد ... يسعى علينا الا كواكبها

ابن مينا (وقد ملكه الطرب فشق قميصه) واطرباه (يسكب الخمر على لحيته ويلقي بنفسه على شمعة في ركن المجلس) .

حبابة (تضحك) احذر يا ابن مينا .. تحترق لحيتك .

ابن مينا (وقد احترقت لحيته) : الحريق .. الحريق يا امير المؤمنين .

يزيد (وقد ارتمى من الضحك) : عليك اللعنة يا ابن مينا انك لأطرب النـــاس ورب الكعبــة . لــك مني الف دينار ومن حبابة مثلها وارجع الى دارك ولا ترنا وجهك .

حبابة : أرأيت يا مولاي ؟

يزيد : بأبي انت وامي يا حبابة . تخرجين المرء عن عقله فما يدري أحي هو في الأرض ام ميت في السماء او هو بينهما يحلق في الأجواء بين الملائكة والنجوم .

- ٧ -

(مقصورة حبابة)

حبابة (تغني) :

كان لي يا يزيد حبك حينا ... كاد يقضي عليّ لما التقينا
يعلم الله انكم لو نأيتم ... او قربتم احب شيء لدينا

يزيد (يدخل) لكم اتمنى ذلك يا حبابة .

حبابة . (وقد فاجأها يزيد) أسمعتني ؟

يزيد : نعم سمعتك وانا داخل . أتحبينني يا حبابة ؟

حبابة : انت تعلم ما بقلبي يا مولاي .

يزيد : انت مولاتي يا حبابة (وقد جلس) انشدنا اليوم الأقنى قصيدة من الشعر فكافأناه بعشرة آلاف دينار . ما تقولين يا حبابة .

حبابة : ارى انه مبلغ كبير . واذا كان كل من انشدك بيتا من الشعر لهمثل ذلك لكان امرهم يطول .

يزيد : والله لن اعود لمثلها ابداً . وجاءنا رسول من زيد بن عمارة واليـنــا في فارس فعلمنا ان الوالي يتصرف في امور الولاية دون الرجوع الينا فاستبقيت الرسول حتى استشيرك

فماذا ترين ؟

حبابة : ارى ان خلع ذلك الوالي آمن لك من وثباته .

يزيد : غداً افعل ان شاء الله . وقد جاءتني سعدة تذكرني بوعدي لها .

حبابة : وما وعدك لها ؟

يزيد : ولاية العهد لابنها مروان .

حبابة : ذلك الأبله الغرير . لكأني بك تريد أن تسلم رعيتك لغلام لا يفقه من امورها شيئا ليجرّ على الناس الوبال .

يزيد : أترين ان اخي مسلمة اولى بها ؟

حبابة : اذا شئت .

يزيد : هو ذلك يا حبابة . مري اصنع . ما دمت الى جانبي ، فأمري اليك . انا انت يا حبابة .

- ٨ -

(مجلس الخليفة)

يزيد : ما عندك يامسلمة .

مسلمة : انا ربيب نعمتك وولي عهدك يا امير المؤمنين فإذا اذنت لي ان اتجاسر واقول شيئا في نفسي .

يزيد : قل ما في نفسك يا مسلمة وأنت مطمئن .

مسلمة : يا امير المؤمنين . انك وليت الخلافة في اعقاب عمر بن عبد العزيز وقد كان يسهر على شؤون رعيته وكان همه نشر العدل بين الناس ورفع الحيف عنهم فكيف يكون من امر الشعب حين يقارن بينك وبينه فيراك قد انصرفت الى غانية استسلمت لها وجعلت مقاليد الخلافة بين يديها . لا ادري والله ما الذي يهمس به جلساؤك حين يرونك جالساً تصرف شؤون الدولة وقد ضُرِبَتْ بيمينك ستارة تجلس خلفها حبابة ويدك خلف الستارة تقبض بها على يدها . لقد تشاغلت بها يا امير المؤمنين وبغنائها عن النظر في الأمور وها هي ذي الوفود واصحاب الظلامات ببابك تمضي بهم الأيام لا يؤذن لهم وأنت عنهم غافل .

يزيد : (صمت) صدقت يا مسلمة . يا غلام إرفع الشراب . يا مسلمة لن أقرب احداً بعد اليوم ولن أرى حبابة فاستبشروا خيراً . وها انذا خارج لاصلي بالناس . اللهم أعني على ترك حبابة . اللهم عفوك .

- ٩ -

(مقصورة حبابة)

حبابة :

الا لا تلمهُ اليوم ان يتبلدا	فقد غلب المحزون ان يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني	ومن شاء آسى في البعاد واسعدا
واني وان فيّذت في طلب الصبا	لأعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ماتلــذُّ وتشتهي	وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا

يزيد : (وقد سمعها عفواً) حبابة . اين انت يا حبابة . في الحديقة ؟ انتظري (يدخل) حبابة . يا معبودتي لكم قاسيت من بعدك استغفرك هاتي يديك اقبلها تعالي الى مقصورتي تعالي (بعد برهة) ايها الغلام ايقظ الخدم والجواري . مر بإعداد مجلس الشراب بالعجل . الى الأبد يا حبابة انا معك تحت تصرفك .

حبابة : كم أحن الى الماضي يا مولاي . ترى من كان العاذل الحاسد الذي فرق شملنا .

يزيد : قاتلك الله يا مسلمة (بصوت مرتفع) ادعوالي مسلمة في الحال . والله لألقمنــه حجراً في فيه . كان مشير السوء هات الشراب يا غلام . الليلة حتى الصباح شرباً وغنــاء مع حبابة .

حبابة : بعد طول الفراق يا مولاي . أولي عهدك من أغراك بهجرنا ؟

يزيد : نعم مشير السوء . والله لاخلعه من ولاية الخلافة . واعتقك واتزوجك وسيكون لي ولياً للعهد من صلبي ومنك يا حبابة نعم سأتزوجك امام الله والناس حتى لا يعذلني في غرامك احد .

الغلام : مسلمة يا مولاي .

يزيد : لاتحية ولا سلام . أسمعت قبلا صوت حبابة ؟

مسلمة : لا يا مولاي .

يزيد : أجلس يا مسلمة وسأسمعُك حبابة ولك ان تقرر رأيك .

حبابة (تغني)

يا موقد النار بالعلياء من أضم	اوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم
يا موقد النار اوقدهــا فان لها	شبا يهيج فؤاد العاشق الدم

(مسلمة قد شُدِهَ)

يزيد : مالك لا تهدأ على حال يا مسلمة .

مسلمة : كيف بالله اقطع برأي في هذا الغناء وانا استمع اليه بغير الشراب .

يزيد (ضاحكاً) اسقه يا غلام .

مسلمة (يشرب) فديتك بنفسي يا امير المؤمنين .. هلا اذنت لها ان تغني ثانية ؟

يزيد : غننا يا حبابة .

حبابة : واني لاهواها واهوى لقاءها كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

يزيد : اراك كدت تخرج من جلدك .

مسلمة : اغفر لي يا امير المؤمنين ملامتي لك . فوالله انك لعلى حق .. فان ساعة واحدة في مجلس كهذا لتعدل لذائذ الدنيا بأسرها . لا ابقى الله فماً يجرؤ على عذلك ولومك .

— ١٠ —

(سعدة ومروان)

مروان : ارأيت ابي ماذا فعل ؟ لقد ولى مسلمة .

سعدة : نعم لقد بلغني ذلك . اعلم ان كل ذلك من تدبير من تسمى حبابة . لوددت لو انها لم تخلق . سعيت حتى احضرتها لقصر الخليفة حتى ظهرت فيه وطار ذكرها ثم هـا هي تجحد فضلي جحوداً منكراً ، وتؤلب الخليفة ضد ولدي . والله لاكيدن لها ما وسعني الكيد لتدفعن حياتها ثمناً لذلك .

مروان : مالك ولذلك يا اماه .

سعدة : اسكت انت ودعني وشأني . ايتها الجارية ، اذهبي الى « قدوس » يسلمك شيئاً في لفافة ، فأتني به ولا تخبري احداً .

— ١١ —

(يزيد وحبابة)

يزيد : هللي يا حبابة ،غداً تقام الافراح احتفالا بعرسنا . غداً سأفرغ اموالي سأنثرها على الناس سأمد الموائد العامرة للرائح والغادي . الشراب ، الغناء ، الموسيقى . الافراح في كل مكان كلها مبعثها قلبي يا حبابة . غدا كل شيء ايتها العزيزة (يسمع صوتاً) مَن عند الباب

سعدة (وقد دخلت) سعدة يا مولاي . كم بودي ان اهنئك يا مولاي . ولقد احضرت لكم عشاءكم الليلة .

يزيد : ضعيه واخرجي .

(بعد برهة)

حبابة : لكم أثارت الرائحة شهيتي . اواه ما ألذ الطعام (تأكل)

يزيد : ألا تشربين معي يا حبابة . اذن اسمعينا شيئاً (بعد برهة) مالك صامتة ؟ أمتعبة انت ؟

حبابة : لا ادري هو دوار اعتراني ... يا الله ما هذا الألم المي شديد ... مولاي اسعفني ..

يزيد : (يصرخ) حبابة .. ايها الغلمان . ايها الخدم .عليّ بطبيب القصر ..علي بالطبيب.

حبابة (تحتضر) لا فائدة يا مولاي هو السم يقطع احشائي . ما بيدي حيلة يا يزيد افارقك عندما تريدني الى جانبك .كانت حياتي ملكاً لك ...لست بآسفة على نفسي ..ولكن على سعادتك الضائعة ... ترى أيتحاب بعدنا اثنان ... كما احببتك ... واحببتني لك ... الله .. يا يزيد .. يزيد ..

يزيد : واهاً قلبي .. نفسي .. روحي .

حبابة : ابق يدي .. بين يديك .. لا تتركها . لقد .. انتهيت ... يزيد ... يز ....

(يدخل مسلمة)

يزيد : (يصرخ مفجوعاً) حبابة . حبابة اجيبي يا حبابة ... (ينشج) رباه اماتت حبابة انا هي فكيف تموت دوني حبابة .. اين انت اجيبي .. ماتت اذن كيف ؟كيف؟(١)

مسلمة : هذا قضاء الله .

يزيد (بحزن بالغ) كانت حية منذ لحظة كيف تموتين ولا اموت .. يجب ان اموت. اموت . اكاد اقتل نفسي . يا إلهي رحمتك .. رحمتك ...(يصرخ) ، انطلق يا غلام وابحث عن سعدة وآتني بها في الحال .. لن تذهبي وحدك يا حبابة انا في اثرك (يبكي ، لحظة . تدخل سعدة) هذا انت لعنة الله عليك الى يوم القيامة . اعطني سيفك يا مسلمة .. (تصرخ) وددت لو ان لك الف عنق لقطعتها . عنقاً واحدة لا تكفي مقابل قلامة من ظفر حبابة . موتي لا ردك الله (يضرب عنقها بسيفه . يبكي ثم يصرخ) اخرجوا عني الى الجحيم .لا تدعوا لدي شيئاً سوى حبابة . حبابة..(يخرجون) سأقيم عندك حتى اموت . لن اتناول طعاماً ولا شراباً حتى اتبعك . لن تذهبي وحدك .. لن تذهبي وحدك ...

(١) تذكر رواية اخرى ان حبابة شرقت بحبة رمان فماتت .

- ١٢ -

(مسلمة ومازن ويزيد)

مسلمة : اين كنت يا مازن ؟

مازن : في الشام مع رسول امير المؤمنين الى واليها . تُرى كيف حال امير المؤمنين الآن؟ قد بلغني اعتزاله ومرضه وانا في الشام فسعيت اليه على عجل .

مسلمة : لا تسل يا مازن . حالة امير المؤمنين لا تسُر عدواً ولا صديقاً . له اليوم خمسة عشر يوماً معتزلا محتجباً في حجرته المجاورة مطرقاً ، ضارباً بذقنه على صدره لا يكلم احداً ولا يأذن لأحد ان يكلمه . لا ينطق الا باسمها ولا يخرج من حجرته الا الى زيارتهـا حيث يترك العنان لدموعه ويأخذ بالتفجع عند قبرها متمثلا بقول كُثَيِّر :

فان تسل عنها او تدع الصبا　　　فباليأس نسلو عنها لا بالتجلد

مازن : قبرها ؟ قبر من ؟

مسلمة : الم يخبرك احد ؟ قبر حبابة .

مازن : ويلي . اماتت حبابة ؟ كيف ؟ ومتى ؟

مسلمة : نعم . دُس لها السم في الطعام ولم تُجد فيها حيلة فقضت . اترى غيرها يستطيع ان يسعد او يفجع امير المؤمنين ؟روى الله ثراك ياحبابة .

مازن : ماتت حبابة اذن .

مسلمة : ابقى يزيد جثتها بين يديه اربعة ايام وهو يشم رائحتها ويرشفها حتى ادركهـا البلى وتعفنت . ثم انني دخلت عليه مع اهله عنوة وتوسلت اليه ان يكرمها بدفنها فأبى الا انه رضخ بعد جهد وطلب ان يصلي عليها بنفسه فحذرناه العاقبة ، واقوال الناس حتى قبل ان اصلي عليها . وهكذا دفنت حبابة وكأنه دفن نفسه معها حياً . وبعد ايام من دفنها اشتاقها فأمر بنبشها وإخراجها حتى يراها ، فعاب الناس عليه ذلك فرجع عن رأيه ولكن الحنين اليها عاوده فألح في إخراجها من القبر فأخرِجت وقد تغير وجهها وتشوه فقيل له : اتق الله يا امير المؤمنين ! الا ترى كيف صارت ؟ فقال : ما رأيتها قط احسن منها اليوم .

غلام : سيدي مسلمة .. امير المؤمنين يدعوك .

مسلمة : لبيك يا يزيد ..

يزيد (بصوت ضعيف) .. مسلمة .. اخي .

مسلمة : فداك نفسي يا امير المؤمنين .

يزيد : ليت الإنسان يستطيع ان يفدي غيره بنفسه لفديتُك اذن يا حبابة . كيف ترى يا مسلمة ؟ أليس عجيباً ان افقد روحي واظل حياً الى اليوم ؟ لقد تأخرت ... تـأخرت عنك يا حبابة .

مازن : (يخاطب مسلمة) اراه يهذي .

مسلمة (غاصاً بريقه) له الله .

يزيد : أ .. ابقيت .. قبرها مفتوحاً .. يا مسلمة ؟

مسلمة (ينشج) كما امرت يا مولاي .

يزيد : اذا مت ... فعجلوا دفني ... ووسدوني عند قدميها ... نعم عند قدميها . و تجلوا ان ... ترووا قصتي معها ... قصة خليفـة ... له حول ... وطول ... يقتـله عشق جارية ... اسمها حبابة . حبابة ... لن تنتظري ... بعد ... الآن ... انت تموتين الآن . حبابة ...

مسلمة : مولاي .. مولاي ..

مازن : لقد قضى يزيد يا مسلمة . دعه هادئاً واعملوا بدفنه كما اوصى لم تروِ لنا السنون والأجيال قصة اروع من قصتك مع حبابة عن الحب والوفاء . ستظل قصة غرام يزيد وحبابة تُنقل وتكتب وتروى ما دام في الكون انسان له قلب ..

صيدا رشيد وهبي

العرفان : ولكن الخلفاء والحكـام الذين يتلهون بالعشق والغرام مصيرهم الى زوال . وان الوفاء للضمير وللأمانة على ولاية الأمور بإخلاص قبل الوفاء للحب او لأي شيء آخر يجب ان يكون عند الذين يتولون شؤون المسلمين وأمور الناس .

الحلقة المفرغة

كان لفاطمة بنت الحوأب الأنمارية ، امرأة زياد العبسي ، سبعة اولاد ذكور من نجباء العرب . فسئلت يوماً : اي اولادك الأفضل ؟

فأجابت : الربيع .. لا بل عمارة .. لا بل فلان .. لا بل فلان .. ثم قالت : ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل . انهم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها !

الحياة والموت

ان كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وان كان شيء فوق الموت فالمرض ، وان كان شيء مثل الحياة فالغنى ، وان كان شيء مثل الموت فالفقر .

شعراء من كربلاء

السيد محمد مهدي القزويني الحائري

١٢٨٧ - ١٣٤١هـ

بقلم : سلمان هادي الطعمة

مولده ونشأته

هو السيد محمد مهدي بن السيد محمد طاهر بن السيد مهدي بن السيد محمد باقر بن السيدعبد الكريم القزويني الموسوي الحائري . ولد عام ١٢٨٧هـ في مدينة كربلاء ، بلد العلم والأدب والجهاد . وترعرع في أحضان اسرة علمية عرفت بـ « آل القزويني » ذات الأعراق والأمجاد ودرس على علماء الفقه والأصول والعروض .

ومما يجدر التنويه عنه في هذا المقام ان هذه السلالة الكريمة انجبت العديد من العلماء والشعراء الذين كانت لهم مكانتهم الرفيعة في تاريخ العراق . ومن بين هؤلاء نبغ الزعيم الديني الكبير السيد ابراهيم القزويني الشهير بـ « صاحب الضوابط » (١) الذي تتلمذ عليه عدد غفير من اهل الفضل والأدب . وبرز فيهم العلامة السيد محمد هاشم والسيد محمد رضا والسيد محمد ابراهيم والعلامة المجاهد السيد حسين القزويني احد رجالات الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ .

(١) وردت ترجمته في كثير من المصنفات ومنها كتاب « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة جزء ١ صفحة ١٠٤ ، واعيان الشيعة ، وقصص العلماء ، وروضات الجنات ، والكنى والالقاب وطبقات اعلام الشيعة .

والعلامة السيد محمد حسن القزويني الشهير بـ « الحاج اقامير » مؤلف التصانيف والتآليف ومنها « الامامة الكبرى » الذي يقع في ثمان اجزاء ، طبع منه الجزء الأول وقد دونت في مقدمته ترجمة حياته مع تعداد لعلماء الأسرة الجليلة بقلم الشاب الأديب السيد مرتضى القزويني

ومن بين عائلته جلهم علماء نبغ هذا الشاعر العالم السيد محمد مهدي الذي هو مدار حديثنا الآن . وشاعرنا احد هؤلاء النجوم التي لمعت في سماء الأدب وطبقت شهرتهم الاندية والمجالس وكان جده السيد مهدي من اشهر علماء كربلاء وله في حادثة « نجيب باشا » مواقف حاسمة واياد بيضاء لا سيما مع صهره « السيد وهاب السيد محمد علي آل طعمة » (١) خازن روضتي الحسين والعباس «ع» وحاكم كربلاء المطلق ونقيب الاشراف .

وما ان وصل العقد الخامس من عمره حتى اصبح شاعرنا مرجعاً يؤمه الطلبة من مختلف الارجاء ، وكان من بين هؤلاء التلاميذ الشاعران الشعبيان السيد عبد الحميد آل طعمة والشيخ عبد الكريم الكربلائي فتعلما على يديه دروس الدين والفقه وعلم العروض .. ودار الزمن دورته فتوفي السيد عبد الحميد آل طعمة ، ورثاه استاذه بقصيدة اظهر فيها اسفه الشديد وحزنه المرير على تلميذه البار الذي عاش عمراً قصيراً كعمر الررد . وبقي يرسل قصائده ويعالج نظم الشعر حتى احرزت قصائده استحساناً منقطع النظير في كافة المجالس الادبية المنتشرة هنا وهناك . ونظم في جميع الفنون الشعرية غير انه اكثر في الرثاء والتباكي على اهل البيت «ع» وقد تمكن ان يجمع شعره في ديوان صغير ما زال في حوزة احفاده . وفي عام ١٣٥١ هـ وافاه الاجل المحتوم وخلف نجله سماحة الخطيب السيد محمد صالح القزويني الذي سار على نهج ابيه في تتبع مختلف العلوم وخاصة الشعر وقد توفاه الله عام ١٩٥٦ م .

شعره

قلنا ان المترجم له استطاع ان يكوّن مجموعة شعرية من غرر شعره ، وقد أطلق عليها « القصائد البهية في النصائح المهدية) تناول فية الشاعر مختلف الاغراض منها الرثاء والنسيب والوصف والمديح والتشكي من الزمان ونكسات الدهر . وافرد للرثاء قصائد مسهبة في الإمام الشهيد الحسين بن علي «ع» وآل بيته الذين استشهدوا في عرصات الطفوف .

---

(١) هو السيد عبد الوهاب الكليدار بن السيد محمد علي الكليدار بن السيد عباس نقيب الاشراف بن السيد نعمة الله بن السيد يحيى بن السيد خليفة نقيب الاشراف بن السيد نعمة بن العلامة السيد طعمة بن السيد علم الدين بن السيد طعمة الثاني بن شرف الدين بن السيد طعمة الاول نقيب الاشراف بن كمال الدين الفائزي الموسوي الحائري ، « راجع ترجمته في اعيان الشيعة جزء ٤٢ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ » ومجلة « اجوبة المسائل الدينية » العدد ٩ رمضان ١٣٨٢ .

والآن بعد ان درسنا سيرة حياة العلامة السيد محمد مهدي ننتقل بالقارىء الى شعره الذي يتمتع بضخامة التعبير وروعة الصور والمعاني .. فهذه قصيدة يرثي بهـا ابا الاحرار الإمام الحسين بن علي «ع» شهيد العدل والحرية فيقول :

مالي ارى رغداً بلا سكان ... قد غيّرته حوادث الحدثان
عهدي بهم يزهو فبعد اهيله ... نسجت عليه عناكب النسيان
لا تأمنن خدع الزمان فإنما ... شأن الزمان تشتت الخـلان
قد كانت الوفاد تقصد اهله ... فغدا بلا اهل ولا خلان
نفسي الفداء ومعشري قوماً هم ... سبب الوجود وعلة الإمكان
اثناهم رب الثناء فما انا ... حتى احلي بالثناء لساني
لله يومهم بعرصة كربلا ... كست الزمان ملابس الاحزان(١)

وهذه قصيدة يتذمر فيها من نكسات الزمان وكوارث الدهر فيناشدنا بقوله :

هذا الزمان فباعد من تجنبه ... ان الزمان لغدار بأهليه
لله در فتى قد بات في حذر ... كل الفتى من توارى عن تجليه
كم جاهل جاهل تلقاه في سعة ... فيه وكم عاقل تلقاه في التيـه
لا يأمنن خيره يوماً اخو ثقة ... فالشر اضعاف ذاك الخير يأتيه
كم قد نضى سيف اضلال على بن تقى ... والله من ارديات الدهر ينجيه
مهما رأى خله قد ألفوا زمناً ... لا زال فيه زناد الحقد يوريه
كي يجعل الانس الفرحان في حزن ... وباسم الثغر رغماً منه يبكيه(٢)

ومن اروع ما قاله في الغزل هذا الموشح :

ان غضضت الطرف عن ورد الخدود
رمت ان اقطف رمان النهود
واذا الحامي بها افعى الجعود
خبّروني كيف حال المبتلى
ومن المسعد للصب الكثيب (٣)

(١) ديوان القزويني الحائري مخطوط .
(٢) ديوان القزويني الحائري مخطوط .
(٣) ديوان القزويني الحائري مخطوط .

وقال مادحاً كلا من السيد سلمان وشقيقه السيد عبد الجليل نجلي السيد محمد علي السيد هاب آل طعمة من قصيدة يبدي اعجابه بهما :

مذ آنس بالشيب الشعر ... قالت قد سأريك الامرُ
فأخرج عن ناد لست له ... اهلا فلقد بان العذر
نفرت عيني يا ويحي ... والآرام تعودها النفر
وبما لم افعل تعدلني ... كمسيء ليس له غفر
أفهل من يسعد مظلوماً ... قد اصبح ظلله الدهر
لكن سأبيّن مظلمــتي ... لـ « جليل » جلله القدر
فعسى بتلطفه أنجو ... من دهر شيمته الغدر
هو معتمدي هو مستندي ... هو كهفي اذناب الشر
حسن الاوصاف ومن في الناس له شرف وله فخر
وله فضل وله كرم ... قد فاض بفاضله البحر
وله زهد لولا المولى ... « سلمان » الحبر هو الوتر
بلّغ « سلمان » سلام عميد هام به ولك الاجر
فلعمركما افدي لكما ... بالعمر اذا بــقي العمر
ان لم يكن عندكما طرس ... ففؤادي عندكما ذخر
وسأرسل دمعي نحوكما ... كالسيل اذا عز الجبر (١)

وقوله راثياً تلميذه الشاعر الشعبي السيد عبد الحميد نجل السيد عبد الجليل آل طعمة :

حكم المنية جائر ... سأريه اني صابر
يادهرويلك الى متى ... او ما لجورك آخر
تربت يداك بأي غدر يوم تسئل عاذر
لامر ياليل الفراق ... بك السحاب الماطر
بالفودقدبان المشيب ... وقوس ظهري ظاهر
ضرم النوى بحشاي من ... بين الاحنة ساعر
يا غادياً ربح الهنا ... وابوك بعدك خاسر
« ابنى هل لك عودة ... حتى اقول مسافر »

(١) ديوان القزويني الحائري مخطوط .

فاذا نطقت فمنطقي بجميل وصفك ذاكر
واذا سكت فـــان في بالي خيالك خاطر (١)

وله مخمساً بيتي الشاعر السيد عبد الوهاب آل الوهاب (٢) بقوله :

قد جفوني على الهوى بنواهم ليت شعري ما ضرهم لو اراهم
يعلم الله لا اريد سواهم حملوني ما لم اطق من هواهم
ما كفاهم ما لم اطق حملوني

سألوني ان لا ابوح بسري كيف لي كتمه وقد ضاق صدري
عجباً انهم على ضعف صبري كلفوني كتم الهوى ولعمري
لعظيم علي ما كلفوني (٣)

وكانت وفاة الشاعر العالم السيد محمد مهدي صباح يوم الخامس من محرم الحرام من عام ١٣٥١ هـ ودفن مع افراد اسرة السادة آل القزويني في مقبرتهم الخاصة في الروضة الحسينية المقدسه بكربلاء .

واخيراً ، فان هناك جوانب اخرى من قصائد الشاعر التي كان يودعها احياناً خواطره الشعرية ، في هذا المحيط الذي كان مصدر الإشعاع الفكري وملتقى التيارات الادبية منـذ قرون بعيدة ، وعسى ان ترى هذه المجموعة الخطية النور في وقت قريب لكي تتحف المكتبة العربية بهذا التراث القيم وليس ذلك ببعيد على سماحة العلامة السيد ابراهـيم شمس الدين القزويني مؤلف كتاب « البيوتات العلوية في كربـــلاء » والاقربون اولى بالمعروف . والله هو الموفق .

كربلاء ــ العراق سلمان السيد هادي آل طعمة

شهامة الاعراب

دخل اعرابي على بعض الولاة فقال . اصلح الله الامير اجعلني زماماً من ازمّتـك ، فاني مسعر حرب ، شديد على الاعداء ، لين على الاصدقاء ، قد غذتني الحروب افاويقها وحلبت الدهر اشطره ، فلا يمنعك مني الدمامة ، فان تحتها لشهامة .

(١) ديوان القزويني الحائري مخطوط .
(٢) راجع ترجمته في الجزء التاسع من مجلة « العرفان » المجلد ٥٠ - ٨١٣٨٢ .
(٣) ديوان القزويني الحائري مخطوط .

العقوبات في الإسلام

بقلم السيد صادق مهدي الحسيني

- ٣ -

ويشدد على التبرج والسفور والاستهتار ... فان ذلك - ايضاً - من دواعي تهييج الشهوات والباعث على وقوع الناس في الزنا ، وانتشار الميوعة بين المجتمعات .

قال الله تعالى : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » (١) .

ويضع عليه عقوبة التغرير ايضاً .

* * *

ويمنع عن الإختلاط بين الرجال والنساء ، والشبان والشابات ، لأن ذلك من بواعث الزنا ، فعن امير المؤمنين «ع» قال : « يا اهـــل العراق نبئت ان نساءكم يدافعن الرجال في الطريق ، اما تستحون ؟ لعن الله من لا يغار !

مع العلم ان تلك النساء - في ذلك الوقت - كنّ محجبات وغير سافرات ، وكن يذهبن في الطريق لأمورهن ، وكن يزاحمن بذلك الرجال والمستطرقين ..

فكيف اذا كان الإختلاط مع السفور ، والتبرج ، والتزيين ؟

ان الإسلام يكره ان تمشي المرأة - مع ما هي عليه من الفقه والحجاب - في وسط الطريق لئلا يقع بصر ناظر عليها ، فيفتتن بها .

قال ابو الحسن «ع» : « لا ينبغي للمرأة ان تمشي وسط الطريق ، ولكنهـــا تمشي الى جانب الحائط » (٢) .

ومرافقة الأراذل والسفلة من المنكرات عند الإسلام ، فان النفس - كما قيل - سراقة ، تسرق الأخلاق السيئة ، والافعال البذيئة .

فعن امير المؤمنين «ع» ضمن حديث : « فان قرين السوء يغير جليسه » .

---

(١) الاحزاب ٣٣ (٢) وسائل الشيعة .

وعن الامام الصادق «ع» : « قال ابي : يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم»(١)
وكم يرينا التاريخ اناساً صالحين افسدهم قرناء السوء !
فهذا ابن نوح ، ذلك النبي العالمي العظيم فسد لمصاحبة الفاسدين ، حتى قال الله تعالى عنه مخاطباً نبيه نوحاً «ع» « قال يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح » (٢)
وهذا ابن الامام الصادق «ع» اخ الامام موسى بن جعفر تردى في هواه لقرنائه السيئين حتى سعى في قتل اخيه الامام السابع «ع» .

* * *

اما حوانيت الفواحش والمراقص ، فالإسلام لها بالمرصاد ، يضع عقوبة الموت على من روجها ، او استفتحها . ويهدد اصحابها باليوم المظلم والمصير الاسود ، بتصريح القرآن الحكيم حيث يقول :
« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الارض فساداً : ان يقتّلوا ، او يصلّبوا ، او تقطّع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (٣) .

* * *

والمسكرات من اشد ما حاربها الاسلام ، واصر على نفيه عن النوادي والمجتمعات ، حتى ان القرآن العظيم يصرح بتحريمه ضمن تأكيدات اربعة على الحرمة ، في قوله تعالى : «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون»(٤)
فأكد التحريم بلفظة « الرجس » واردفها بـ « من عمل الشيطان » ليكون اكثر في الانتهاء عنه .
ثم اعقبه بالاجتناب عنه مع ما هي عليه لفظة اجتنبوه من البعث على الانتهاء عنه ثم بقوله « لعلكم تفلحون » فجعل الله تعالى اجتناب الخمر ميزان التقوى، وسر الايمان ، وحجر العقيدة الاساسي .

* * *

اما عدم الايمان ... فالاسلام بأساليبه الفاضلة ، وتبليغاته الانسانية ، ونشره الوعي الصحيح بالطريقة المثلى ... يكافح ذلك ، ويربي المسلمين نشاءاً ، فاضلا ، مؤمنين بالله ، ذووا عقيدة رصينة ، وثبات للاسلام وصمود .

---

(١) بحار الانوار ، المجلد السادس عشر .
(٢) هود ٤٨ . (٣) المائدة ٣١ ، (٤) المائدة ٩٢ .

وطعاً : اذا نشأ الجيل نشأ صالحاً ، مؤمناً ، معتنقاً ، لمبادىء الاسلام عن فهم ،ودرس وتمحيص وبلغوا امنية الدين الاسلامي ، فانهم سوف يكونون غيارى ، وصاحبات العفة ، وربات الحياء ... الا ترى المؤمنين ـ هذا العصر الحاضر ـ رجالهم ملئهم الغيرة،ونساؤهم عفيفات غير مائعات !!

وقد ورد الحديث الشريف من قبل : « الايمان والغيرة توأمان » اي صاحبان لا يفترقان

* * *

واما اجهزة التثقيف : الجرائد ، والكتب ، والمجلات ، والسينمات ، والتلفزيونات ، والإذاعات عامة فيطهرها الإسلام من كل خلاعة ونشر اية ميوعة ، وترويج اي استهتار .

ويضع عقوبة التغرير على من ارتكب واحدة منها ...

* * *

اما مشكلة غلاء المهور ، والتصعيب في امر الزواج ، وشروطه القاسية ، وترك التزويج خشية الفقر والإفلاس ... فالإسلام يحبذ للمسلمين ان يبتعدوا عن هذا الغلو الاثيم ، وعن هاته الافكار الجوفاء .

قال رسول الله ﷺ : « افضل نساء امتي اصبحهن وجهاً ، واقلهن مهراً » (١)

ويذهب الإسلام ـ لقلع جذور غلاء المهر الذي يسبب افشاء الزنا ، وكثرة العزاب ، والفساد في ارض الله ـ شوطاً ابعد ، فيعد غلاء المهر من شؤم المرأة وعدم كرامتها وحسنها .

قال الإمام الصادق «ع» : « تذاكروا الشؤم عند ابي فقال : الشؤم في ثلاث : في المرأة والدابة ، والدار ، فأما شؤم المرأة فكثرة مهرها ، وعقم رحمها ... » (٢)

ولتسهيل امر النكاح والعرس ، واخذه بسيطاً ، وتلقيه بأي شكل امكن ، قال الإمام الصادق «ع» : « من سعادة المرء ان لا تطمث ابنته في بيته » (٣) .

فاذا قام الابوان في ترويج ابنتهما قبل ان تحيض في بيتهما ـ مع العلم ان البنت ـ غالباً ـ تحيض في اوائل البلوغ ـ فلا بد ان يتوسلا بشتى الوسائل لإخراجها من الدار ، وآنذاك يزوجانها ممن اتفق ، فلا يلتفتان الى المهر الباهظ ، ولا لان الزوج عالم ، او مهندس ، او دكتوراه ، او وزير ، او امير ، او ، او .. فهنالك يوق المجتمع من القذارات والفساد .

قال رسول الله ﷺ متمثلا بمثال جميل ، ما أحسنه والطفه :

« أيها الناس : ان جبرائيل اتاني عن اللطيف الخبير ، فقال : ان الابكار بمنزلة الثمر على

---

(١) وسائل الشيعة . (٢) نفس المصدر .

(٣) وسائل الشيعة .

الشجر ، اذا ادرك ثمارها فلم تجتن افسدته الشمس ، ونثرته الرياح ، وكذلك الابكار اذا ادركن ما يدرك النساء فليس لهن دواء الا البعولة ، والا لم يؤمن عليهن الفساد لانهن بشر» (١)

اما اولئك الذين يتركون التزويج مخافة الفقر فهم جبناء ، وجبناء !!

أليس الله هو الرازق والمنعم ؟ فمن رزقه حتى كبر وشب ؟! ومن اماط عنه الاذى حتى قوي وصلب ؟!

قال النبي ﷺ : « من ترك النكاح مخافة العيلة فقد اساء الظن بربه ، يقول الله تبارك وتعالى : ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم » (٢) .

ويذهب الإسلام الى شوط ابعد من هذا ، فيجعل التزويج باعثاً للغنى ، وسبباً للرزق .

قال النبي ﷺ : « التمسوا الرزق بالنكاح » (٣) .

كل ذلك لان يتفشى الزواج ، ويكثر النكاح ، ولا يكون هناك عزاب ، فتقلل بها الزنا والفساد ، وقليلا قليلا — مع تطبيق هذه القوانين كلها — تنعدم .

* * *

اما فساد السلطات الحاكمة وتأثيرها في إفساد الرعايا والشعوب ، فهو ظاهر لا غبار عليه ، وقد قيل من قبل : « الناس على دين ملوكهم » . فالملوك ، والحكام ، والامراء اذا صلحوا صلحت الشعوب ، واذا فسدوا فسد العالم .

قال رسول الله ﷺ : « صنفان من امتي اذا صلحا صلحت امتي ، واذا فسدا فسدت امتي : الامراء والقراء » يعني : العلماء .

فاذا كان الحاكم ، او الوزير ، او المتصرف ، او الرئيس ، او ، او .. فاسقاً ، فاجراً ، سيء الاخلاق ، فاسد العيش ، قذر الصحبة ... نظر النـاس اليـه ، وفسدت امورهم ، واخلاقهم ، ونظامهم !

وبالعكس اذا كانوا رجالا صالحين اقتفت الشعوب اعمالهم ، وتحلوا بسيرتهم — رويداً رويداً — صلحت الامور ، وراقت الاخلاق ، وتوازن النظام .

وهذا امر ملموس لدى الجميع . فدوراً يتسيطر على الدولة رجل صالح فتصلح الدولة ، وتارة يتأمر فاسد فاسق فتتدهور الامور في الرذائل ، وتفسد الدولة .

ولذا يشترط الإسلام في رئيس الدولة ، والقـاضي ، والمتصرف ، و ، و ، و .. ال

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مستدرك الوسائل .

يكونوا رجالا طاهرين عن الارجاس والخبائث من شرائط لتنزههم عن ارتكاب الجرائم ، وابتعادهم عن اتيان المنكرات ، والتدهور في الشهوات .

* * *

وهنا جاء الاستعمار — الذي ذل المسلمين ، وسبب فساد كل امورهم ، وانحطاطهم في جميع شؤوناتهم — فأخذ كل واحد من هذه النقاط التي حذر الإسلام منها ، والتي تسبب الفحشاء ، وتثير الزنا والخلاعة ، واني لا يسعني البسط حول هذا الموضوع ،وهذا هو الدليل على المقال ، وتأسيس الإستهتار والميوعة . فحرض عليها ، وروجها واشاعها ، وصرف الاموال ، والاعراض ، والرقاب لتكثيرها ، علماً منه انه سيتمكن — مع هذا كله — من القضاء على الإسلام ، والتآمر والتسيطر على بلاد الإسلام .

فترى — اليوم — كل قطر دخله الإستعمار ، ووطئته اقدام الكفار ، ترى فيه :

السفور والتبرج شائعاً .

والنظر الى الاجانب والاجنبيات مباحة .

والمدارس ، والمعاهد ، والشوارع التي تختلط فيها الرجال والنساء والشبان والبنات وافراً وحوانيت الفحشاء ، والمراقص ، والمقاهي المستهترة ، والمسكرات ، والكتب والجرائد والمجلات الخلاعية ، والافلام السينمائية والتلفزيونية والتصاوير الميوعية ،والاقران والاصدقاء السيئين .. كلها عدد الحب والرمال ، عامة ، مباحة ، وشائعة علنية كثيرة !!

والزواج — فمن غلاء المهور ، وشروط قاسية ، وآداب استعمارية — فمصعب جداً ، لا يتمكن فقير عليه ، ولذا يستعقب بنات الناس ، فيفسد نفسه وغيره !

وخوف الفقر والإعواز ساد في الناس من جراء ضعف الإيمان بالله !

واما فساد السلطات ، واستعمارية الحكومات ، واستهتارها فحدث عنها ولا حرج ... ويكفيك ان تعلم : ان لا رادع عن منكر ولا آمر بمعروف !!

* * *

فهذا الشاب المسكين ، وتلك الفتاة المسكينة ، حينما يفتحان اعينهما — والغريزة الجنسية ملأهما — يريان اسباب الزنا موفورة ، والتزويج الصحيح ، والنكاح الطاهر قليلا عزيزاً ، لا يكادان ان يبلغانه ،فامن مانع عن الزنا وإفراغ شهواتهما ولا من رادع ؟

هذا هو نظام الغرب والشرق ، ومؤامراتهما على الإسلام والمسلمين .

اما الاسلام — كما سبق بالتفصيل — فيغلق ابواب المنكرات ، واسباب الزنا ، ويوفر دواعي التزويج والنكاح ، قبل ان يحقق فساد ، او ينشأ زناً ، وثم يجعل العقوبة الحاسمة على

من ادخل بنفسه في الفساد ... وبذلك يقي المجتمع والدولة عن الرذيلة والقذارة .
وبهذا – وبغيره – فاق الاسلام جميع القوانين ، وكل النظم .

* * *

وهكذا هو شأن الاسلام بالنسبة الى الجرائم الاخر . كالسرقة ، واللواط ، وشهادة الزور ، وشرب الخمر ، و و و . فيجعل لها انظمة انسانية عادلة ، تقي الناس عنها قبل وقوعها وقبل ان يصدر جرم .

وحيث ان نطاق الكتاب يضيق بنا من ان ننهمك في تفصيل دواعي الجنايات . وكيف منع الاسلام عنها ، ووضع القوانين لحسمها نكتفي بهذا الانموذج الواحد « الزنا » وعلى هذا فليقس غيره .

وكذلك استطاع الاسلام ان يخلد مع الناس ديناً عالميا فذاً عظيما . واستطاع ان يعلو على جميع ما سواه من قانون ونظام ارضي .

حيث ان القوانين والانظمة الارضية تبحث – فقط – عن الجرم لتجري العقوبة على فاعله . دون ان يجعل – قبل ذلك – نظاما يحفظ الناس عن ارتكابه ، ولذا ترى الحكومات التي سادت مع الانظمة الغربية او الشرقيه مهما تعاقب المجرمين والجناة فلا ترى اية فائدة في ذلك .

وهنا حق لنا ان نسمي الاسلام نظام الانسانية والاصلاح ... وغيره نظام الوحشية والتدمير !! .

الناس سواسية في حدود الاسلام

ان القوانين والانظمة التي تسود – اليوم – مجتمعات العالم مثلها مثل المطاط ، فتارة تنتفخ ، واخرى تتقلص ، حسب ما توحي الى الحكام انفسهم الاثيمة ، والرشوات الباهظة والضئيلة ، والصداقة والعداوة .

فالمفسد ، والقاتل ، والسارق ، و ، و . اذا كان من الاشراف ، او قدّم – في الليل المظلم – الى الحاكم كمية من الدنانير والدراهم ، او كانت بينه وبين الحاكم صداقة اوقرابة ، او ، او . فهو في امن وراحة ، يعطي اليه الحق مهما كلف الامر

اما المجني عليه ، او ورثته ، فيصرفون اموالا طائلة في التحاكم لانقاذ حقوقهم ، ولكنهم يرجعون صفر الايدي !!

ولِمَ ؟

لأن الجاني – مثلا – اخ الحاكم ، او من اعيان البلدة ، او انه ذود دار الحاكم – في الليل

الغابرة ـ بنقود !

وربما حكم الحاكم بالحق للظالم ، فيدعي الظالم على المظلوم الشرف والبهتان

وهنا للمظلوم الويل كل الويل !

سرق ماله ، قُتل ابوه ، هتك عرضه ، صرف الاموال الطائلة للمحاكمة وبعد ذلك كله يحكم عليه القانون بالسجن ستةاشهر ، وغرامة « ... »

لمَ ؟!

لأن المظلوم لا قرابة بينه وبين الحاكم ، ولا صداقة ، ولا قدم بالليل شيئا ، ولا من الاشراف وكبار البلد ، ولا ، ولا .

وماذا عسى المجنى عليه والمظلوم يفعل لو سرق ماله ، او هتك عرضه ، او قتل اخوه ، او ، او ، لمرة ثانية؟

أيقدم بالشكاية عند المحكمة وقد جرى الحكم عليه في الماضي ما جرى ؟

كلا ، ثم كلا !!

ابعد وقوع الجناية عليه يصرف فوقه اموالا واتعابا للمحاكمة ، ثم يصبح محكوما ؟

وماذا عسى الجاني والظالم يفعل بعد ان رأى القانون مطاطا ؟

أيرتدع ويؤدب ؟

انه فرضا سرق الف دينار ، فلما قامت المحاكمة قدم للحاكم منه مائتين ، ورجع الحكم له لا عليه .

فلماذا يترك السرقة وقد حصل بها على مال كثير ، ثمانمائة دينار ؟

انه تشجيع للجناة والظالمين ، لا إرغام وتأديب

وحينئذ : ربما يجترىء المجنى عليه على الجناية على آخرين ، في حين انه يرى الجناة قد ربحوا ، ولا رادع له منها الا المحاكم الجائرة المرتشية ، التي يصلحها كل شيء !

وقد يكون حينما يرى المجنى عليه هذا الوضع السيء ـ ولم تعطه نفسه ارتكاب الجنايات لم يصبر وينتحر !

وما هذه الانتحارات الكثيرة الا ناجمة عن هذا وامثاله

وبذلك ـ وتحت حكم الغرب وقوانينه ـ يسود الناس قلق دائم ، واضطراب غيرمتناه وتخرج العقوبات عن مهمتها ، لانها ـ كما اسلفنا ـ وضعت لقلع جذور الفساد ، ونفي الكآبة ، لا لازدياد الجنايات وتكثير الاجرام !

* * *

والاسلام حينما كانت قوانينه منصبة على اساس رصين من العدل ، وإحكام ومرونة ، سوّى بين الناس في العقوبات ، ليسود العالم الرفاه ، والراحة ، والسكينة ، والهدوء . فلا شريف ولا وضيع ، ولا مثري ولا فقير ، ولا ابيض ولا اسود ، ولا سلطان ولا فلاح . ولا ملاك ولا عامل ، ولا ، ولا

يقول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر . والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى » (١)

ويقول سبحانه : « ان النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف . والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص » (٢)

وعن الامام الصادق «ع» عن آبائه ، عن امير المؤمنين ، عن رسول الله ﷺ انه قال: « المؤمنين تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم

فهذا يوجب القصاص في النفس ، وفيما دون النفس ، بين القوي والضعيف ،والشريف والمشروف ، والناقص والسوي ، والجميل والذميم ، والمشوه والوسيم (٣) ، لا فرق في ذلك بين المسلمين » (٤)

وعن ابن عباس - في حديث طويل في وفاة النبي ﷺ وما قاله لاصحابه في مرضه - الى ان قال : ثم قال ﷺ

« ان ربي - عز وجل - حكم واقسم ان لا يجوزه ظلم ظالم ، فناشدتكم بالله اي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة الا قام فليقتص منه ، فالقصاص في دار الدنيا احب الي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والانبياء .

فقام اليه رجل من اقصى القوم يقال له « سوادة بن قيس » فقال له فداك ابي وامي يارسول الله ، انك لما اقبلت من الطائف استقبلتك وانت على ناقتك العضباء (٥) وبيدك القضيب الممشوق (٦) فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني ، فلا ادري عمداً او خطأ ؟

فقال ﷺ : معاذ الله ان اكون تعمدت ، ثم قال : يا «بلال» اخرج الى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق ، فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة : معاشر الناس من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ، فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة .

صادق مهدي الحسيني

(١) البقرة ١٧٩ . (٢) المائدة ٤٦ . (٣) المشوه قبيح الشكل ، والوسيم حسن الوجه
(٤) مستدرك الوسائل ، (٥) العضباء المشقوق الاذن (٦) الممشوق الطويل الدقيق

طرائف سنغلية

بقلم ابراهيم حاوي

قلم باركر مزدوج

زار الشاعر مع جماعة من الجالية العربية في كولك السنكال سماحة الشيخ ابراهيم انياس مودعين لمناسبة سفره الى الحج ومن ثم مروره الى مصر .

قال الشيخ ما توصون لزعيم العروبة جمال فقال الجميع السلام وقال الشاعر قلم الرئيس نفسه لنكتب له القصائد به وهكذا وعد الشيخ بذلك ومن ثم لم يتهيأ للشيخ ان يمر بمصر نظراً لتغيب الرئيس جمال وقتها في الجزائر واذا بالشيخ يصطحب قلماً باركر مزدوجاً يكتب عليه بالنيابة عن الرئيس الزعيم المحبوب اهدي قلمي للشاعر مع كثير من الثناء فكانت القصيدة تجاوباً لعاطفة سيادة شيخ الإسلام .

ابى الشيخ الكريم ابو الأيادي ليوم الفضل الا ان يكونا
فأجدى من مكارمه واسدى واهدى شاعراً قلماً ثمينا
ليكتب من فضائله سطوراً به : ويذيعها في العالمينا
الا لبيك يا شيخ المعالي ويامن قد سما دنياً ودينا
سأنشر فيك ما شاهدت حقاً بأم العين لا زوراً ومينا
فأنت وصي ابراهيم صدقاً نبي الله شيخ المكرمينا
فما تخلو ديارك من ضيوف وان تخلى فلست تقر عينا
وانت مجاهد في الدين حقاً واجرك فيه اجر العاملينا
عشقت المصطفى فازددت حباً به : وبدينه فازددت لينا
ورحت على رسالته مكباً تعب من الهدى صفواً معينا
فكنت بجنده البطل المجلى وكنت لدينه نصراً مبينا

وكنت لشرعة الهادي وفياً وكنت على رسالته امينا
حملت رسالة الإخلاص صرفاً لدين الله تهدي الآبقينا
ومن ابنائك الأبرار صحب اتخذت بهم جنوداً مخلصينا
ندبتهم التطوع فاستجابوا لدين الحق واستهدوا اليقينا
فجالوا في مجاهلهـا وصالوا وابلوا في صفوف الكافرينا
فرد الله قوماً من ضلال بهم وهدى إناساً جاهلينا
وساروا من هداك على طريق عزازاً قادرين مظفرينـا
بك استهدوا ومنك قد استمدوا فكنت لكلؤهم حصناً حصينا

* * *

فدوموا يا بني الإنياس ذخراً لدين الله بين المسلمينا
ليقضي منكم الكفار غيظـاً « ويشف صدر قوم مؤمنينا »

اليهودية والرغيف

من ديوان قصص وامثال للشاعر

قالت يهودية لابن لها امتثلا وكان في كل ما تملي به مثلا
اذهب بني وجيء حالا بأربعة خبزاً وحاذر طعـاماً يا بني غلا
انا ابوك ، اخوك ، انت رابعنا لكل منا رغيف لا تقل جدلا
وبعدما ارسلتـه جاءها خبر ان الحبيب المفدى زوجها قتلا
فهومت حاسراً تجـري مولولة وراء مرسلها تستهـدف السبلا
حتى اذا شارفتـه بادرته بما دعاه فيا دهاها خائفاً وجلا
ابوك مات فلا تضعف مصيبتنا والغ رغيفاً وجئنا مسرعاً عجلا

كوللك ـ سنكال ابراهيم حاوي

رأي سخيف

الطبيب : هل ذهبت الى طبيب آخر قبل ان تأتي الي ؟
المريض : كلا .. ولكنني ذهبت الى صيدلي .
الطبيب : وما هو الرأي السخيف الذي اشار عليك به ؟
المريض : لقد اشار علي بأن احضر الى عيادتك !

وادي السلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

بقلم محسن عبد الصاحب المظفر

- ٣ -

هل بالامكان معرفة اول انسان دفن في النجف

ان النجف كانت قبل دفن الإمام علي «ع» قرية صغيرة لا تأخذ شكلا منتظما بل بيوتا متفرقة وكان من عادة الناس دفن موتاهم في مكان لم يكن ناء جداً عن حيهم او مكان سكناهم . والمعروف في كتب التاريخ بأن الإمام علي «ع» دفن في حواف هذه القرية التي تدعى بالنجف ، فالرواة والمؤرخون يذكرون في كتاباتهم الجمة بأن الإمام «ع» بعدان تولى غسله الحسن والحسين «ع» وعبد الله بن العباس دفن في ليلته في الموضع الذي يزار به الآن، وقد أعده له ابوه نوح «ع» بين قبره وقبر آدم «ع» وفي جوار هود وصالح (١) .

وعند دخولك الضريح الشريف لزيارة ونيل شفاعة ، تقرأ الدعاء اولا وتطلب الاذن بالدخول من الرجل العظيم الراقد ، تواجهك جملة : السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح وعلى جاريك صالح وهود .

ففي الأخبار الواردة ومنها ، ان خبراً قد جاء عن لسان عدة رواة ثقـاة تناقلوه عن بعضهم البعض ، عن مصدره الأول ابي عبد الله «ع» انه قال : ان الله تبارك وتعالى اوصى الى نوح «ع» وهو في السفينة ان يطوف بالبيت اسبوعا فطاف بالبيت اسبوعا ، كما اوصى الله اليه . ثم نزل في الماء الى ركبته فاستخرج تابوتا فيه عظام آدم «ع» فحمل التـابوت في

---

(١) الجزء الرابع « الانوار الحسينية » ص ٣٦ .

جوف السفينة حتى طاف في البيت ما شاء الله ان يطوف ثم ورد الى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض : « ابلعي ماءك » فبلعت ماءها في مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري (١) اي في المكان الذي رقد فيه مولانا امير المؤمنين «ع» بعد ذلك .

وفي مزار البحار ان النبي نوح «ع» يرقد الى جوار ابونا آدم .

وعليه فقد دفن في هذه الأرض ابونا آدم والنبي نوح وعلي «ع» والرجل اليماني لقاصد للدفن في هذه التربة الطيبة ، واناس كثيرون من اهل القرية دفنوا فيها قبل ان يدفن فيها مشرفها الامام علي «ع» الذي زادها طيبا وشرفا .

ولنتساءل الآن عن اول انسان دفن بعد علي «ع» .

ان الأخبار الواردة تذكر ان صافي صفا هو اول انسان دفن بعد علي «ع» الى الجانب الغربي بعيداً عن الضريح الشريف الطاهر ، وقبره الآن قريب من مقام زين العابدين «ع» في الحافة النهائية من جهة الغرب للمقبرة ، وهو يزار تقديراً له .

موقع المقبرة

تقع المقبرة عموما في شمال النجف حتى انها على وجه الدقة تحوط النجف حتى الشرق بل وقبل فتح الشارع « نجف ــ كوفة » من خلالها كانت تمتد الى الحافة الجنوبية الشرقية من المدينة .

شكل المقبرة قديماً وحديثاً ، ولماذا اتخذت مكانها هذا بالذات

ان هذه البقعة الكبيرة لم تكن اول امرها واسعة الارجاء مكتفية بالموتى كما نشاهدها اليوم بل كانت تضم قبوراً متفرقة وقريبة من المنازل التي احاطت الضريح الشريف واذا اردنا الآن ان نقرر شكل المقبرة القديم كان بإمكاننا ان نقول ، بأنها كانت على شكل خط من قبور يبدأ من اقصى شمالي غربي النجف حتى شرقها ، ومن ثم نبدأ لنتساءل من اية جهة بدأ الدفن هل كانت البداية من شمال غرب المدينة ام من شمالها ام من جهة اخرى ؟

ان الدفن في الواقع لم يكن البدء فيه من جهة معينة واحدة ليستمر ويشكل شكل المقبرة القديم ، بل بدأ الدفن من جهات متفرقة وقريبة تماما من محيط المدينة القريب الى التشكل

---

(١) بحار الانوار للعلامة المجلسي رحمه الله جزء ١١ ص ٢٢٨ .

الدائري ، فتكونت مقابر متفرقة ومتقاربة اتصلت مع بعضها وكونت خطا مقوسا يوازي هذا المحيط .

كما لا يغرب عن بالنا بأن الدفن آنذاك كان مستمراً من جهات ما بين المنازل وداخلها وكذلك في الصحن الشريف ، واكثر عمليات الدفن كانت تجري عادة الى الغرب من مدينة النجف الخالدة ، والذي دعا الى هذا امور كثيرة وكثيرة ، منها ان النجف كانت قديما معرضة لهجمات الاعراب ، ولم تكن مطمئنة فسورت صداً للخطر ، ولم تكن آنذاك حكومات مركزية تشد ازرها . وعامل الخوف وعدم الاطمئنان جعل السكان في تلك الأيام الأحياء منهم والاموات ضمن نطاق السور عدا المنطقة الشمالية التي اخذ خط القبور بالظهور خلالها ، وقد اتسع الخط بعد ان قل الخوف من الغزوات المفاجئة .

ويضاف الى ذلك عامل عقائدي آخر هو ان معظم السكان كانوا ولا يزالون يرغبون الدفن في اقرب نقطة للضريح الشريف ، وهذا العامل بنفس الوقت دليل يعزز لنا قولنا في ظهور المقبرة مباشرة بعد سورها ، وعلى شكل يوازي محيطها دون ابتعادها عن المحيط ، او امتدادها منه نحو الشمال لتشكل عموداً بزاوية قائمة عليه ، ومن هنا نجد المقبرة بسبب عدم ابتعادها عن المدينة الآخذة بالتوسع اصبحت عقبة في توسعها من جهة الشمال والشمال الغربي

وبالإضافة الى تلك العوامل يمكن ان نضيف عامل آخر هو عامل الموارد الطبيعية ، فالنجف كانت تعاني نقص الماء ، بحكم موقعها بعيداً عن مصادره ، ويذكر انه قد حفرت كهاريز من الفرات ومن الكوفة الى النجف واخذ السكان يحفرون الآبار لتتصل بالكهاريز وليتاح لهم الحصول على الماء بواسطة « الحبل والدلو » وبهذه الطريقة يملؤون الاحواض العميقة المعدة لخزن الماء ، ويسدون بذلك حاجتهم من هذا المورد من بعد جهد جهيد ، ولهذا فإن ابتعاد المقبرة عن المدينة يعني ابتعادها عن المورد المائي الكهاريز ومعنى ذلك ايضا زيادة التكاليف المحتاجة الى التغسيل وبناء القبور .

ونلاحظ ان المدينة حين نشأت تهدم سورها لزوال الحاجة اليه ، وشرعت بالاتساع ، شيدت هنا « مغسلا » قرب بحر النجف وقرب نهاية الكهريز « اي قرب المورد المائي » وهذا المغتسل باسمه الدارج « المغيسل » اصبح اليوم مهجوراً تماما لتوفر الماء في كل جانب من النجف بسبب اسالة الماء وضخه من الكوفة الى النجف .

وعامل استواء الارض وسهولة المواصلات شجعت السكان البعيـــدين عن النجف ، الإسراع في دفن موتاهم الى جوار امير المؤمنين علي «ع» ، فأخذت المقبرة بالاتساع ويعني هذا انها بدأت تغير من شكلها القديم « الخط المنحني المتقطع » الى شكل هلالي وقدسورت هذه المقبرة ، ولكنها هدمت سورها وما ذلك الا نتيجة حتمية لاتساعها المستمر .

التطور الملموس في اشكال القبور

ان القبور في تصاميمها تباينت على مر الزمان ، منها القديم الذي بقي يحافظ على هيئتـه وتصميمه ، بينما اتخذت اخرى تصاميما هندسية حديثة ، فالشكل المألوف يمكن تشبيهه بأسد رابض على الارض « جذع ورأس » وهذا الشكل في الواقع يدلنا على كيفية وضع الإنسان اثناء دفنه واتجاه رأسه ، وعند رأس القبر البارز وضعت قطعة من الصخر او المرمر نقش عليها اسم المتوفى ، وتاريخ وفاته عادة ، والقبور في شكلها هذا وغيره تأخذ اتجاها واحداً نحو الغرب فتكون بذلك الوجوه جميعها شطر القبلة « الى الجنوب » باتجاه بيت الله الحرام.

وقد تطور الطراز القديم ، بأن اصبح اكثر ارتفاعا وعلى شكل مدرج ، وبهذا تكون تكاليف تشييد التصميم القديم على الصفة هذه ، قد زادت ، واصبحت حوالي عشرة دنانير بدلا من ثلاثة او اربعة .

وثمة شكل قديم آخر يأتي بالدرجة الثانية من حيث السيادة على الاشكال او التصاميم الاخرى ، وهو الذي يقرب لان يكون متوازي المستطيلات .

اما القبور القببية والمسقوفة تأخذ ايضا نماذج يغلب عليها الطراز القديم في البناء اقواس وزخرفة وبمرور الزمن دخلت تصاميم حديثة منها مربعة الشكل ، واخرى على شكل بيت صغير ، واخرى قببية المظهر ، وقد اشترك في البناء الحديد والاسمنت مع الجص والطابوق وكل هذه النماذج متفرقة هنا وهناك وهي قليلة العدد بالنسبة للشكل الأول السائد والمألوف والمرغوب والاقل تكاليفا . واخيراً اخذت القبور تبلغ درجة من التطور الملموس بعضها يعد قبوراً بل زخرفت واجهاتها ، وكتبت على جدرانها بعضا من الآيات البينات ومنها شيد على شكل قبة الى جوارها شيدت منارة واحدة في بعض المقابر اومنارتين في اخرى وسنوضح ذلك اكثر في باب مقبل من الموضوع .

النجف محسن عبد الصاحب المظفر

في سبيل السلام والرفاهية (بقية)

بذاتها في حقيقة جوهرها المشرق .. قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي وصينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى : (انا اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ... وكلم الله موسى تكليما ...

ولقد كان الأنبياء اكبر ثوار البشرية ، واقواهم صوتاً ، واشدهم بأساً على الضلال والفوضى ، والظلم والطغيان والجهل والخرافة ، والكسل والجمود .. واجلهم قيادة لركب البشرية نحو الهدى والنظام ، والعدل والامان ، والرخاء والسعادة والسلام .

ويمكننا ان نلخص رسالاتهم في أهداف ثلاثة :

١ ـ التعرف على الخلاق الكبير ، وشكر نعمه ، وعبادته وحده لا شريك له .

٢ ـ التعرف على طرق المعيشة الفاضلة المتسامية بمعرفة الحقوق وتقديس الواجبات .. وتتضمن التشريع والمعاملات والاخلاق .

٣ ـ التعرف على الدار الآخرة وما فيها ، وما لله من خلق في ارض وفي سموات ، مع استعداد للآخرة .

وبذلك نرى ان حقوق الانسان وكرامته ، انما تأخذ هدفاً واحداً من رسالات الانبياء الجامعة .. وندرك انه لولا هذان الهدفان : ايمان بالله ، واستعداد للآخرة ، لضل الامر في الهدف الآخر ، ولاصبح مجرد اماني وآمال في صدور المصلحين :

بل انه في الواقع ما انقلبت حياة العالم في شرق وغرب ، الى فوضى ونزاع ، وحروب وتسلط ، وخوف وفزع ، وإرهاب وعوز ـ وهو مما تخشاه هيئة الامم اليوم ، وما خشيته عصبة الامم بالأمس ـ نقول : انه ما وقعت هذه الحروب والفوضى في الحقوق الانسانية، وتطبيقها ورعايتها ، الا لخلو الضمير الانساني ، الفردي والجماعي ، من رقيب اعلى نرفع اليه اعمالنا . وأصوات تقديسنا !! وخلو اليقين الانساني من العالم الاخروي ، الذي يحشر اليه الجميع . لتجد كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ...

ويقين كل عاقل ورشيد ، انه لن يتم سلام ، دون قيام الحقوق الانسانية ، على هاتين

الدعامتين الخالدتين ، حتى تنبعث الانسانية في هدى رشيد ، ووعي حي ، وقصد للخير والعدل كريم ...

ولنسمع من صفحات الحكمة في رسالة موسى تقريراً لحقوق الإنسان :

تحب قريبك كنفسك ... كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم ،وتحبه كنفسك

سفر اللاويين

قيل للناس : ان الحياة الصالحة أعلى درجة ورحمة من حياة العداوة والبغضاء ...

سفر الخروج

القليل من العدل خير من الغلال الكثيرة ، ولا تقل : كما صنع بي هكذا أصنع به..

سفر الامثال

ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها ، واما في السابعة فتريحها وتتركها ليأكل فقراء شعبك ، وفضلتهم تأكلها وحوش البرية ... كذلك تفعل بكرمك وزيتونك ...

سفر الامثال

اما العيسوية : فقد جمعت حكمتها العليافي كلمة : الله محبة ...

جاء السيد المسيح وامامه قوانين الرومان يعمل بها ، وشريعة موسى الكليم ما تزال تقرر حقوق الانسان المقدسة ، ويعمل بها حيناً .. ويتجافى الناس عنها احياناً كثيرة !! فكان عليه ان يحيي الضمير في الأعماق ، ليمتلىء بحب الخير والحق ، وليتوجه الى اشاعتـه من حوله ، حتى عرفت دعوته . برسالة الحب والحنان والرحمة ... فهو يـدعو للتسامح في معاملة الناس ، لانهم اخوة متساوون في الخليقة امام الله فيقول : « لا تقابلوا الشر بالشر « من لطمك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر ... أحبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، واحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا من اجل الذين يسيئون اليكم ، وان سلمتم على اخوانكم فقط وجافيتم الغريب عنكم ، فأي فضل تصنعون؟

روح الرب علي لان الرب مسحني لابشر المساكـين ، ارسلـني لاعصب منكسري القلب ، لانادي للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالانطـلاق ، وللعمـى بالبصر ، وارسل المستحقين في الحرية .

اما محمد الانسانية : فقد جاءت رسالته لتحرير الانسان من آصار المهانة والعبوديـة « كنتم خير امة اخرجت للناس ... واما السائل فلا تنهر ... واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع

من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان امره فرطاً ...

وللمحبة والصفح والعفو كذلك : خذ العفو وأمر بالعرف ... فاصفح الصفح الجميل هل جزاء الاحسان الا الاحسان .

وهكذا تقرر الديانات كلها ، حقوق الانسان ، في حكم رائعة .. وآيات حكيمة.

وبعد : فبمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ثمانية عشر عاماً على هيئة الامم المتحدة ، ادعو جولدا مايير ، ومن يساندها من عصابات الإفك والتزوير ، كنيدي وهيوم ، وبتلر وديجول ، كما ادعو حكومة البيض في جنوب افريقيا ، والمضطهدين للملونين في ولايات اميركا . لان يراجعوا في شهر الاحتفال بالمنظمة العالمية ، التي سجلت حقوق الانسان في وثيقة دولية ، تعاليم دياناتهم ويطبقوها في حياتهم ... وعندها ... عندها فقط يكونون قد احتفلوا حقاً بمنظمتهم .

محمود محمد باز

مبعوث الازهر الشريف بلبنان

انصار العرفان

— العواطف النبيلة —

السادة	السادة
الشيخ عبد الكريم شمس الدين	الشيخ ابراهيم سليمان
الشيخ ابراهيم الخطيب	الحاج عبد الله العثمان
فايز خليل	حسن ظاهر
فاروق عسيران	محمد حسين نصر الله
عبد الحميد البريكي	محمد قاسم
محمد عبد الله خاتون	علي شور
سعد الله طاهر	نعمة موسى
خليل عكر	علي جعفر
محمد بزي	انيس ونديم رضا
محمد سليم زين	احمد اسماعيل
علي ارزوني	الحاج ناصر خضر الرس

ابواب العرفان طرفة

للأسئلة والمناظرة

صاحب العرفان في الاردن طرفة

انطباعات لقاء

من قلم روكس العزيزي

اخي العلامه المتفوق محمد عبد المنعم خفاجي الاكرم !

لقاء ، وما اكرمه !

وهل يستطيع الانسان ان يصف ما لا يحد بكلمات معدودات ؟

هل يستطيع ان يصور انطباعاته واحساساته واشواقه ؟ يقيناً اننـــا عاجزون . فنحن نصف جانباً من كل ما نحس به ، لكن اعمق احساساتنا وانطباعاتنا ، تظل رسيساً حلواً في قلوبنا !..

☆ ☆ ☆

كان من اماني العزيزة ان ازور شيخ العروبة المجاهد الكبير احمد عارف الزين قبل ان يلقى وجه ربه . كان من اماني ان ازوره في عرينه ، فجاء الغدر يقول بصوته الاجش لن تراه في دنيا الناس !.. ووأدت الرغبة وطويت الامنية ، وبكيت اخاً عظيماً ، وصديقاً كريماً ، كنت أراه من خلال ما يكتب ، ومن خــلال ما يصنع وكل الذي صنـع عظيم وكريم مثله !..

☆ ☆ ☆

وحل نزار الزين في ذروة المجد التي بناها ابوه ، وتجـدد بي الشوق لرؤيـة من يتحلى بمزايا الشيخ !

وكان من غرائب الاتفاق وعجائب الصدف ، اني كنت اقلب صفحات العرفان ، واذا الهاتف يدعوني .

صوت هادىء ونبرات منسجمة ، انه الاستاذ نزار الزين ، لا تسل عن غبطتي ، وانا اعانق الاخ الكريم شوقاً وابتهاجاً ، فنحن عندما نلقى انساناً له في قلوبنا منزلة ، نشعر بأن حياتنا تزداد قيمة ، وان آفاق وجودنا تتسع . هذا ما شعرت به في اللحظة التي لقيت فيها اخي نزار الزين !...

* * *

هدوء نفسي يدل على اصالة وعراقة ، يخفي عزيمة صادقة موروثة ، لم يك مخيراً فيها ، لقد كانت الصورة المرتسمة للاستاذ الزين في نفسي قريبة كل القرب من صورته الحقيقية .

رجل مخلص لامته ، وفي لاصدقائه ، يقدس ذكرى والده بعيد عن التهريج الذي اصبح داء نقيه الدخلاء لصاحبة الجلالة (الصحافة) !...

لم اعجب مما رأيت ، لان الذي ينشأ في رعاية والد كريم كالمغفور له ، المجتهد احمد عارف الزين ، لا يمكن الا ان يكون طرازاً خاصاً في المحافظة على المبدأ ، وصون الكرامة ، والذود عن الحق !..

* * *

حقاً لقد شعرت بقيمة الرابطة الادبية ، والاندية الادبية ، والمجلات الادبية ، وديارنا محرومة منها ، فالاديب الزين لم يلق في ديارنا ما يستحق من الرعاية ، كان في مكنتي ان اغري به دار الاذاعة ، وهي المنطلق الاوحد في ديارنا ، لكني لمست فيه عزوفاً عن ذلك بالفراسة فلم ارد ان ازجه في امر يناقض ما فطر عليه .

* * *

فاذا كان اللقاء — في الكثير من الاحيان — يغير آراءنا فيمن نلقى ، فان لقائي للاخ الكريم الاستاذ نزار الزين قد مكن لصورته الرائعة من نفسي وزادني تعلقاً بالعرفان واسرة العرفان ، وزادني اجلالا وتقديراً لهذه الاسرة الكريمة العريقة آل الزين !...

روكس بن زائد العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الاردن

العرفان : كانت رحلتنا الى الاردن قصيرة جداً والغرض منها زيارة المسجد الاقصى في القدس واما في عمان فكان ما نبغيه الاجتماع بالصديق الوفي الاديب الكبير الاستاذ روكس ، كذلك جتمعنا بالصديق القديم المفتي العام سماحة الشيخ عبد الله القلقيلي وتغدينا على مائدته .

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

معن بن زائدة

* كان مضرب المثل في الكرم والنجدة والشهامة والاباء
* سمع الرشيد قصيدة في رثائه فبكى واطال البكاء

بقلم : احمد عبد الستار الجواري

كانت دولة بني العباس ايذاناً بأحداث خطيرة في الحياة العربية الاسلاميــة . كشفت الحجاب عن طوائف في المجتمع الاسلامي ، كانت قبل قيام تلك الدولة هادئة هدوء الجمر يعلوه الرماد ، ساكنة سكون الريح قبل العاصفة . ولقد آذنها قيام الدولة العباسية بالانطلاق والعمل وانتهاز الفرصة لتنال من خصومها اولى السيطرة والبأس ، وان تنشب مخالبهـا في كل ناحية من نواحي الحياة في الدولة الجديــدة ، حتى تتمكن منها فتوجههــا انى تشاء وكيفما تريد .

بعض اعاجم دخلوا الاسلام كرهاً

وكان فريقاً من الأعاجم قد دخلوا في الاسلام رهبة وكرهاً ، واظهروا له ولاوني الامر فيه طاعة زائفة لا اخلاص فيها ولا استقامة ، وظلوا يحنون الى ما كانوا عليه في العقيدةوفي اساليب الحياة ، وينفسون على العرب ومن والاهم وأخلص دينه لله من غيرهم ، هذا العز وهذا السلطان الذي تبوأوه وملكوا زمام امره ، ويحقدون على القوم الــذين خرجوا من الصحراء خفافاً لا يملكون الا العقيدة الاسلامية ، ولايحملون الا الرسالةالانسانية ،وانتشروا في ارجاء الارض كما ينتشر شعاع الشمس ، ينشرون فيها حكم الله ويقيمون فيها حدوده ، ويطمسون معالم الأمبراطوريات بما كان فيها من ابهة وجلال وجبروت وطغيان ، ثم تدين

لهم ولعقيدتهم شعوب اثر شعوب ، ويهتدي بهديها من لم يختم على ابصارهم ، ولم تعوج فيهم الفطرة البشرية .

شعوبية حاولت ان تطمس الاسلام وتخلع زمام العروبة

ولقد أغراهم في دولة بني العباس انها دعت الى المساواة بين المسلمين ، لا تؤثر العربي على غير العربي ، ولا تؤثر بعض العرب على بعض . ولقد كان هؤلاء الشعوبيون يلتمسون في بعض ايام بني امية مجالا ينفثون فيه من سموم التحلل في المجتمع ما يستطيعون ، ويتربصون بالدولة الدوائر ، يحاولون ان ينالوا من العرب والاسلام كلما وجدوا الى ذلك سبيلا . فلما قامت الدولة الجديدة تفتحت لهم ابواب العمل او هكذا حسبوا في اول الأمر ، فانطلقوا وهم يتسابقون الى نصرتها او التظاهر بذلك كذباً وزوراً . ولم يكفهم ما أصابوا من حظوة لدى الخلفاء ، وما تبوأوا من رفيع المناصب . بل اخذوا يحاولون ان يمسخوا الحياة العربية فيعزلوا العرب ومن آخاهم وامتزج بهم من العناصر الاخرى عن مجال العمل المؤثر في الدولة وفي الحياة العامة ، حتى تكون لهم بعد ذلك ما يريدون من الانفراد بالسلطة والاستئثار بالحكم وتحويل تلك الدولة اعجمية تفصم عنها عرى الاسلام ، وتخلع زمام العروبة .

ولعل في ابي مسلم الخراساني ، والبرامكة من بعده ، الدليل القاطع على تلك النية الخبيثة والخطة المبيتة .

ولقد اتخذت الشعوبية في حربها على العرب وسائل شتى ، واقتحمت عليهم كل نواحي الحياة . فكان منها الوزراء ورجال الدولة ، كما كان منها الشعراء والادباء والمؤلفون الذين سخّروا العلم والأدب ، وكذبوا على التاريخ ، ولفّقوا الأخبار والروايات في مثالب العرب ونقائصهم ، وحاولوا ان يخلقوا في المجتمع الجديد قيماً ومثلا اجتماعية جديدة ، يرفعون لواءها وينشرون الدعوة لها بين الناس ، ويزرون بالقيم والمثل الاجتماعية العربية ، يعدّونها صورة من صور البداوة الجلف غير المهذبة . وقد كان بشار بن برد وامثاله من الشعراء طليعة هذه الحرب النفسية وقادتها وحملة ألويتها .

وقد استطاعت الشعوبية ان تقتحم على العرب كل معقل ، وان تقعد لهم كل مرصد ، الا الجيوش ، فانها استعصت وصمدت في وجهها . وقد اعان على ذلك ان الخلفاء قد ادركوا مغبة تغلغل الشعوبية في الجيوش ، وما يتهدد الدولة من خطر وشر مستطير .

ابناء الاسر العربية تدفع غوائل الشعوبية

ولم يكن من الطبيعي ان يستسلم المجتمع العربي لهذا السم الناقع ينفثه فيه الشعوبيون

ومأجوروهم من بعض العرب ، الذين خلب أبصارهم بريق المـال ، واستهوى عقولهم وقلوبهم سراب القرب من السلطة واهلها . فلقد برز لهذا النشاط الشعوبي الواسع المجال جماعة من ابناء الاسر العربية العريقة ، استطاعوا ان يحفظوا لأنفسهم مكاناً في الجيش . بما ابلوا في الحروب ، وبما دفعوا عن بيضة الخلافة العباسية من اخطار كانت تهددها بالفناء والزوال .

وكان من اوائل هؤلاء القادة العرب الابطال ، رجل عرك الحياة قبل قيام دولة بني العباس ، وبلغ في دولة بني امية منزلة رفيعة ، ثم طواه انقلاب في الحال ودفع به في مكان قصي ، خشية ان تظفر به السلطة ، فتأخذ منه جزاء ما كان قدم للدولة البائدة من خدمة ، وما ابلى في سبيل الدفاع عنها وعن رجالها من عظيم البلاء .

هذا الرجل القائد الفذ هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي ارتفع ذكره في التاريخ . وسارت سيرته في الآفاق ، حتى لا يزال في بعض اقطار الامة العربية مضرب المثل في الكرم والنجدة والشهامة وطيب الذكر .

بنو مطر ، قوم معن بن زائدة

ومعن هذا من بني مطر ، وهم بيت شيبان بعد الاسلام ، فهو ابو الوليد معن بن زائدة ابن مطر بن شريك ، وبنو مطر هم الذين يقول فيهم الشاعر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم … أسود لها في بطن خفّان اشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما … لجارهم بين السماكين منزل
لهاميم في الاسلام سادوا ولم يكن … كأولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا … أجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم … وان احسنوا في النائبات واجملوا

ولم يكن معن بن زائدة اول من اشتهر منهم بالكرم وعرف بالشهامة والنجدة ، فان منهم عمه الحارث بن شريك أخا مطر بن شريك .

ولم يكن معن خاتمة السراة الاجواد في بني مطر ، فقد ورث عنه هذا المجد المؤثل ابن اخيه يزيد بن مزيد بن زائدة ، وكان قائداً من قواد الخليفة هرون الرشيد ، وكان مناط اعتماده في ملمات الامور وشداد المواقف ، فقد ندبه لقتال الخوارج حين ثار ثائرهم فقاتلهم وابلى في قتالهم ، وفي يزيد بن مزيد يقول مسلم بن الوليد :

سل الخليفة سيفاً من بني مطر … يمضي فيخترق الارواح والهاما

اذا الخلافة عدت كنت انت لها عزاً وكان بنو العباس حكاما

معن بن زائدة في قتال ابي جعفر المنصور

في هذه الاسرة نشأ معن بن زائدة فورث منها اشتهاراً بالشجاعة والكرم ، فلم يفرط في هذا التراث ، بل حفظه على اسرته وعشيرته ، وزاد فيه اضعافاً مضاعفة ، حتى اصبح هو العلم الذي اليه تنسب ، وبه تفخر وعليه تعول .

ولقد كان معن في عهد بني امية قائداً من مشاهير القادة . واستقر به الامر في اواخر ايامها ان اصبح منقطعاً الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري امير العراق .

فلما جرت الخطوب بين ابي جعفر المنصور وابن هبيرة ، كان معن بن زائدة في خاصة هذا الامير ، ولما حاصر المنصور مدينة واسط وفيها ابن هبيرة ، انتدب ابن هبيرة معناً لمؤازرته ومناصرته ، وكان له في قتال جيش المنصور مواقف مشهودة ، جابت عليه نقمة ابي جعفر المنصور ، فطلبه وجد في طلبه ، فلم يجد معن من الاستتار والتخفي بدا حتى لا يظفر به المنصور فينكل به وينتقم منه كفعله في خصومه من رجال الدولة الاموية وقادة جيشها .

ولقد كان يعينه على الافلات من قبضة ابي جعفر صيته البعيد ، وشهرته العريضة في الكرم والنجدة واغاثة الملهوف . فقد كان ان اهتدى اليه ذات يوم واحد من عمال ابي جعفر المنصور رغم انه كان متنكراً قد غير ملامح وجهه وبدل من مظهره ، فأمسك به يريد ان يصل به الى الخليفة . وحاول معن اغراءه بمال كان يحمله ، فأثار في نفس الرجل شهامة واباء . فخلى سبيله ، تقديراً منه لما يعرف عن معن من اشتهار بالكرم ، وتشبهاً به ، وادلالا عليه . حتى يقال ان له في عنق معن بن زائدة يداً بيضاء .

يوم الهاشمية

ثم كان يوم الهاشمية ، يوم ثارت الراوندية بأبي جعفر المنصور . وهؤلاء قوم من اهل خراسان ، كانوا يقولون بتناسخ الارواح ، ويقولون في الدين كفراً وضلالا مبيناً .

وجرت بينهم وبين المنصور خطوب ، فقد اراد ان يردهم الى المحجة الواضحة فلم يجد الى ذلك سبيلا . وحينئذ اخذ رؤساءهم فألقى بهم في الحبس ، فغضب القوم واجتمعوا وفتحوا السجون فأخرجوا منها اصحابهم ، وساروا الى المنصور يحاربونه . وقد خرج اليهم يريد قتالهم فتكاثروا عليه وكادوا يفتكون به . وجاء معن بن زائدة وقد رأى الخطر محدقاً بالخليفة . وهؤلاء القوم مجتمعون عليه يكادون يسطون به ، وكان معن متلثماً متنكراً لا

يعرفه احد ، فقاتل بين يدي الخليفة ، ودافع عنه المؤتمرين به حتى ظفر بهم وكشفهم عن الخليفة .

ولما انجلى غبار المعركة وانهزمت الراوندية اقبل ابو جعفر المنصور على الرجل الملثم المتنكر الذي استنقذه من بين يدي عدوه فقال له : « من انت ؟ » فحسر معن اللثام عن وجهه وقال له : « انا طلبتك يا امير المؤمنين . انا معن بن زائدة » .

فما كان من المنصور الا ان امّنه على نفسه وماله ، وسر به واكرمه ، وقرّبه اليه ، وولاه اليمن .

وفي يوم الهاشمية ، وموقف معن بن زائدة يقول مروان بن ابي حفصة يمدحه ويذكر حسن بلائه :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

المنصور يرضى عن معن بن زائدة ويقربه وينصبه

ولعل هذا الذي لقيه ابو جعفر المنصور من غير العرب ، في اوائل ايام الدولة ، كان انذاراً له وتحذيراً من الركون الى عون الاعاجم ، والاعتماد عليهم ، وتنبيهاً له الى ما قد يدبرون لدولته من مكايد ومؤامرات .

ولقد أدرك المنصور بثاقب ذكائه وسعة حيلته انه لا يستطيع ان يأمن على نفسه غدرهم الا اذا اوى الى ركن شديد من القادة العرب يشدون ازره ، ويكونون له كما كان معن بن زائدة يوم الهاشمية .

من اجل ذلك تجاوز المنصور عما فعل معن من قبل ذلك اليوم ، فقربه اليه وولاه وآثره وكان يألف مجلسه ويستحسن حديثه ويستطيب مسامرته .

ومثلما كان ابو جعفر قد احس ان معناً وامثاله من رجال العرب هم سند دولته الحقيقي وجنتها التي يتقي بها ما يبيته الاعاجم من غدر ، وما يضمرونه من حقد ، كان ممن يدرك ذلك ويقدره حق قدره ، فكانت العلاقة بينه وبين الخليفة مثالا لعلاقة الرجال الاحرار بعضهم ببعض ، لا يشوبها الحذر ولا يخالطها الشك الذي يكون بين لئام الناس الذي تنطوي نفوسهم على الجبن والخديعة والغدر .

فقد دخل على الخليفة المنصور يوماً بعد ان تقدمت به السن فقال له المنصور : « كبرت يا معن » . فقال له معن : « في طاعتك يا امير المؤمنين » .

فقال المنصور : « وانك لجلد » . فأجاب ممن : « على أعدائك يا امير المؤمنين » فقال له المنصور : « وفيك بقية » . فقال معن : « لك يا امير المؤمنين » .

وقال له يوماً : « يا معن ، ما اكثر وقوع الناس في قومك ؟ » فقال له : « يا امير المؤمنين » :

ان العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا

مآثر ابن زائدة في الجود

ولقد اصبح معن بن زائدة في ايامه علماً على الجود والبذل والشجاعة والنجدة ، فكان مفخرة من مفاخر العرب ، ومأثرة من مآثرهم نابضة بالحياة مشهودة شاخصة ، في فترة من الزمن امتحنوا فيها بكيد الشعوبية وحربها الشعواء .

وكان في كرمه ونجدته مضرب الامثال ومقصد العفاة والمحتاجين . ويستفيض مؤرخوه في الحديث عن هذا الجانب من سيرته ، ويقصون من الحوادث والروايات شيئاً كثيراً :

روى ابو العباس المبرد في الكامل قال : اشرف معن بن زائدة من قصره يوماً فاذا هو باعرابي يرقص جمله الآل ، فقال لحاجبه : « ان ارادني هذا فأوصله الي » . فلما دنا الاعرابي سأله فقال : « قصدت الامير » . فأدخله اليه ، فلما مثل بين يديه قال له معن : «ماخطبك» فقال الاعرابي :

أصلحك الله قل ما بيدي فما اطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر أنحى بكلكله فأرسلوني اليك وانتظروا
رجوك للدهر ان تكون لهم غيث سحاب ان خانهم مطر

قال : فأخذت معنا الاريحية فجعل يهتز في مجلسه ، ثم قال : « أرسلوك الي وانتظروا؟ اذا والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانماً : فأمر له بألف دينار ورده على بعيره .

وروى الجاحظ في البيان والتبيين ان بعض العرب كان يقول : « حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج » .

وروى المسعودي في مروج الذهب ان معن بن زائدة دخل يوماً على ابي جعفر المنصور فابتدره قائلا : « هيه معن ، تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال : كلا يا أمير المؤمنين انما اعطيته على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

فقال المنصور : « أحسنت يا معن » .

مقتل معن بن زائدة

ويبدو ان معناً ولي في آخر ايامه اقليماً من اقاليم فارس ، فتربص به جماعة من اهل سجستان ، واندسوا بين عمال كانوا يعملون في داره ، فقتلوه غيلة ، واطفأوا بقتله مناراً كان يشع بالرجولة العربية والشهامة والكرم والنجدة .

ولقد خلّف فقده لوعة حرى في نفوس كثير من الناس ، ولا سيما اولئك الذين تقلبوا في ظلال نعمته ، وعرفوا قدره وحسن بلائه .

رثاء الشعراء احر رثاء

ونحن نقرأ في رثاء الشعراء اياه عواطف زاخرة بالمحبة ، حافلة بأعطر نفحات الاخلاص وعرفان الجميل . بل ان في بعض هذه المراثي ما لا نجد له في الشعر العربي مثيلا في صدق العاطفة :

فمن ذلك قول مروان بن ابي حفصة شاعره الوفي الأمين :

مضى لسبيله معن وابقى مآثر لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم اصيب معن من الإظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت نزار تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن وقد يروى بها الأسل النهالا
واظلمت العراق واورثتها مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل ارض ومن نجد تزول غداة زالا . .
فإن يعل البلاد له خشوع فقد كانت تطول به اختيالا
وكان الناس كلهم لمعن ، الى ان زار حفرته ، عيالا

ومن ذلك ايضاً ابيات الحسين بن مطير الاسدي ، وهي من مختار الشعر ومأثوره

ومن غرره النادرة في معناها وفي عاطفتها . يقول فيها :

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن انت اول حفرة ... من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قدوسعت الجودوالجود ميت ... ولو كان حياً ضاق حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه ممرعا

الرشيد يبكي لمرثية معن

ويحكى ان هرون الرشيد طلب من بعض مجالسيه ان ينشده مرثية مروان بن ابي حفصة في معن بن زائدة ، فأنشده ابياتاً منها فبكى الرشيد واطال البكاء .

لقد كان معن بن زائدة الشيباني حصناً تلوذ به العرب ، وركناً شديداً يركن اليه الناس الذين كانوا يشفقون من الشعوبية ان تكتسح الدولة والمجتمع في عهد بني العباس .

فلقد أحيا بما بذل من ماله ، وما قدم من جهاده ، ما كاد يندثر من أخـلاق العرب وفضائلهم وشيمهم ، وأعاد الى النفوس القلقة ثقتها بقوةالعرب وقدرتهم على مغالبة صروف الدهر ونوائبه ونكباته .

العربي : احمدعبد الستار الجواري

الشقة بين تعاليم الدين وواقع المسلمين

ان من يلاحظ التأخر في حياة المسلمين ، المادية والروحية ، قد يتسرع فيحكم على الدين الإسلامي من واقع المسلمين . وهذا غير صحيح بالمرة . فإن ما حل بالمسلمين من خلافـات وحروب تخريبية ، داخلية وخارجية ، في الماضي ، وتناحر الحاكمين ، فـيما بينهم ، ادى الى ما نشاهده اليوم من جهل وتعصب وفقر ومرض بين المسلمين . ولكن هذه الأحوال المزرية هي ، وحقيقة الإسلام ، على طرفي نقيض . فليس من الإنصاف في شيء أن يحكم على الدين وتعاليمه من حالة الشعب المتأخرة . وعلى الشاب المثقف أن يرجـع الى جوهر الدين وتعاليمه ليتعرف على ما فيه من نزعة إصلاحية تقدمية . وإن الجمود والتأخر المستحوذين على العالم الإسلامي اليوم ، يرجع سبيلهما الى عدم الأخذ بتعاليم الدين الحنيف الـتي تحث على العمل والإنشاء والإخاء .

من كتاب دعوة الى الإسلام للدكتور محمد فاضل الجمالي

السؤال والجواب

صاحب العرفان الاستاذ نزار الزين الاكرم

تحية صادقة وبعد :

انني احد المشتركين في مجلتكم الغراء وأرجو ان تجيبوني على سؤالي هذا على صفحات مجلتكم في العدد القادم .

س : هل من الانسانية ونحن في عصر النهضة ان يجبر الأهل ابنتهم على الزواج من شاب تكرهه ولا تريده ابداً ؟ مع العلم ان الفتاة ربما ستقدم على الإنتحار في هذا الموقف ، ثم ما هو موقف الشريعة الإسلامية من هذا النوع من الزواج .

انني بانتظار الجواب مع تقديم خالص شكري سلفاً سيدي .

مهاجر من السنكال

ج : سواء كانت ستقدم على الانتحار ام لا ، فلا يجوز ان تزوّج الفتاة الا بإرادتها ، لان الزواج طريق طويل ، وهو كالوحدة او الاتحاد إذا بُني على الإكراه خشي عليه من نكسة .

التقريظ والانتقاد

التراث اللبناني

تأليف : يوسف غانم

١٦٠ صفحة بقطع العرفان

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ يوسف غانم من الأدباء الموهوبين الذين كتبوا المقالات الكثيرة وألفوا الكتب تاريخاً وأدباً وسيرة عن لبنان وخيرة رجالاته ، وقد كان دائماً من الذين رفعوا لواءه فاستحق بذلك الشكر والثناء وآخر مؤلفاته هذا الكتاب الذي يدل اسمه عليه « التراث اللبناني » فلبنان له ثراث من قديمه الى حديثه . اصغ اليه يقول تحت عنوان : « يد لبنان البيضاء تنقل محاسن الشرق الىالدنيا وتبشر بالسلام والمحبة » .

انه . —

بينما كان كل ذاك العمى الذهني يغشي بصائر الإنسانية الذاهبة هكذا في غيها وراء جلاديها من ملوك وأمراء وزعماء وكهان ... لا يدينون من أصول البحث والعرفان بغير المنقول المقلد . حتى في الميدان اللغوي المشحون بالصور والرموز والأشكال التي لا عد لها ولا حصر من هيروغليفية ومسمارية وسواها من وسائل التعبير والكتابة ، —

كل القدماء من أجدادك ، يا لبناني القرن العشرين ، لا ينفكون يعملون جاهدين ، في صدق وثبات ، على تفكيك عرى ذلك الاسار المطبق بجهله على جميع القوى الانسانية العاملة في حقلي الروح والمادة ، ساعين باستمرار — بعد استنباط الحرف ، والقيام هكذا بتبسيط الاسلوب الكتابي الجديد القائم عليه ، تثقيف تلك الأقوام وتعليمها الكتابة ، يقودهم في هذا المضمار قدموس العظيم . بل مضت همتهم من ثم في متابعة الأبداع والابتكار ، ففتحوا في سبيل تحرير اخيهم الانسان ، ابواباً اخرى جديدة كانت لا تزال مغلقة على عقله المكبل بتمائم السحر والانقياد الاعشى فأقدموا ، في شخص طاليس الخالد ، على وضع اصول الفلسفة الطبيعية مرسين بها العلوم البشرية برمتها على قواعدها الراسخة من البحث القائم على الملاحظة

والاستطلاع والاستكشاف والاستقراء والاستقصاء والمقارنة والاستنتاج والتعميم المبني على الموضوعية يدعمها المنطق السليم في خدمة التطبيق والاستنتاج العمليين .

ويقول تحت عنوان : « كيف احتفظ لبنان بشخصيته » .

على اجمل بقعة في الدنيا ، هي جنة الله في ارضه ، يحيا شعب له من وطنه صلابة صخوره وصفاء مياهه وسمو ذراه ورقة هوائه .

لقد عاش الشعب اللبناني ، منذ القدم ، كما ينبغي ان تعيش الامم المختارة ، حياة جد وطموح ، في حرية سابغة واستقلال متين ، ظامىء الفكر الى معين المعرفة ، ممتد البصر الى ابراج النور .

البحر بلانهائيته يغسل شاطىء لبنان ، ويغري ابن لبنان بركوب غواربه سعياً وراء المجهول في الآفاق البعيدة ، ويدفعه لارواء غلة الطموح المتأجج في حناياه الى اكتساب المزيد من علم ومال ، والاسهام بأوفر نصيب ممكن في نفع الانسانية وبناء الحضارة .

ويقول تحت عنوان : « لبنان ينمي تراثه القديم بالجديد » .

يجمع لبنان الى تراثه المؤثل ومجده التليد المؤصل ثروة طارفة ضخمة من عقول نيرة وعزائم مبدعة تزيد ماضيه المشرق تألقاً وابداعاً بما تقدم اليه ، كغذاء يومي ، من مآثر جليلة وتضحيات جسيمة ، فإذا الصرح الصاعد في مراقي العلاء يمعن في الشموخ والمناعة ليغدو أقوى معقل للحضارة في الشرق العربي الجميل ، واذا واحته الخضراء منبسطة الجوانب تزداد رقعتها خصباً وامتداداً ، لتمنح من حولها الخير والبركة ، في سخاء ما بعده من سخاء !

لو شئنا ايفاء هذا البحث حقه لوجب ان نضيف سفراً الى سفر ، فعناصر الثراء الحضاري والفكري في حاضرنا أوفر من ان تضمها دفتا هذا الكتاب ، مهما توخينا الايجاز حتى وان اكتفينا لكل عنصر منها بعنوان او شارة او رمز . اذن فنحن ولا عتب ولا ملامة نختم هذه الرسالة بلمحات من سيرة شخصيتين لبنانيتين نفخر بصداقتهما ، ونعتقد انهما تصلحان مثالا صارخاً للعطاء الروحي والفكري في اروع مجاليه وأرحب آفاقه .

ويتحدث الاستاذ غانم عن نقيب الصحافة الاستاد عفيف الطيبي وعن الشيخ نجيب علم الدين وقد احسن المؤلف الاختيار فالشخصيتان جديرتان بالبحث والتحليل . وينهي الاستاذ كتابه بالكلام عن موضوع هام : « كيف نبني المجتمع اللبناني الافضل ؟ » شكراً للأستاذ غانم على جهوده وهديته النفيسة .

والذين هاجروا

يا شاعر المرج

نشرنا في العدد الأول من هذا المجلد من العرفان قصيدة العتاب التي وجهها الشاعر الاستاذ عبد الحسين عبد الله الى بلده واهله بعد اوبته اليهم ... وقد شاءت احدى شاعرات آل عبد الله التي ما زالت مغتربة عن الخيام والمرج وقد اكتشفنا بها شاعرة مجيدة ان تداعب نسيبها شاعر المرج وان تدافع عن عشيرتها وبلدها بهذه الأبيات :

يا رائد البيد في نأي وأسفار ... ما رمت صداً ولكن قسمة الباري
يهوى الخطوب قديماً من به شمم ... ويستراق الشذى من كل معطار
لا سامح الله ايام البعاد ولا ... جاد الغمام لها يوماً بمدرار
سامتك دون الورى نأياً وتفرقة ... وصيّرتك غريب الأهل والدار
واستنفدتك رصيد العمر ماضية ... عبر الزمان بإمعان وإصدار
حتى تناءت بك الأمصار واستعرت ... نار الفراق لفقد الأهل والجار
يا ظاعناً ما رَقَت يوماً مدامعه ... ما استاف عبق الشذا الا بتذكار
ما ناحت الورق الا عنه راوية ... لحن الفراق بأوزان وأشعار
أسرفت في النوح والشكوى وما ابتعدت ... منك المسافة الا بضع أمتار
يا شاعر المرج كم جادت قرائحه ... بلاذع من سخين القول بتار
كم شدت بالوهم فوق الرمل ناصحة ... من الفخار تهاوت دون إنذار
هذي الذئاب التي تخشى مخالبها ... والناعتيها بأصنام وأحجار
من غيرها استُنفرت من غيرها برزت ... للذود عنكم بأنياب وأظفار
من ذا أعاد اعتباراً كدت تفقده ... وعزة ما ونت يوماً لجبار
هل سامك الحيف بعض الأهل منفرداً ... حتى شكوت صغار الأهل للباري

نزيلة روفيسك ــ السنكال الخيام سكنة عبد الله

رسالة دكار

وصل الى دكار سفيراً لتركيا اسمه عبد الله باردان وسيقدم أوراق اعتماده للرئيس سنغور في الاسبوع القادم حسب المراسيم الرسمية .

ــ الأمطار لا تزال تهطل بغزارة في تشرين الأول بخلاف كل عام ويقال ان الموسم

سيكون جيداً هذا العام حقق الله الآمال .

ـ لا يزال سفيرنا في السنكال الاستاذ محمد علي حمادة في لبنان وكذلك سيادة القنصل العام الاستاذ علي احمد الحسيني الذي تلقى برقية مستعجلة للحضور الى لبنـان بالنظر لمرض سيادة والده السيد احمد الحسيني شفاه الله آمين ويقوم بأعمال القنصلية في دكار الأمير مالك شهاب المستشار الإقتصادي في السفارة اللبنانية .

وقد كان للحديث المستفيض الذي أدلى به سيادة السفير محمد علي حمادة الى مندوب جريدة « الحياة » صدى استحسان كبير في أوساط الجالية والحكومة السنكالية لما حواه من مخطط فني وما ستقوم به الحكومة اللبنانية من تعاون ثقافي واقتصادي بين البلدين ، ناهيك عن الوعد بإرسال المعلمين من لبنان ليتولوا تدريس العربية في السنكال والسيراليون ، والمنح الدراسية التي بلغت ٤٤ منحة اعطيت للطلاب الافريقيين لإكمال دراساتهم في الجامعة اللبنانية وتخصيص مبالغ طيبة كمعاونة للمدارس التي تعلم العربية في افريقيا ، وهكذا يفتح لبنـان صفحة مجيدة من الروابط المؤكدة بين البلدين .

سيجري في شهر كانون الأول القادم الانتخاب العام للمجلس النيابي وقد اعطيت المرأة حق الانتخاب « تَنتخب و تُنتخب » وهكذا يشق السنكال طريقه نحو الديمقراطية الصحيحة حيث يشترك الرجل والمرأة في عضوية المجلس النيابي السنكالي القادم .

الشاب جمال مزيد عاصي بعد ان نال شهادة البكالوريا بنجاح سيكون هذا العـام من طلاب الجامعة في دكار للتخصص في الطب . وكذلك الشاب مجدي محمد القاووق بعد ان نال البكالوريا سينخرط في سلك الطلاب الجامعيين التخصص في الهندسة وفقهما الله واقر عيون والديهما .

انتظم سير السيارات بعد ان وضعت السلطة الأضواء الكهربائية في رأس كل الشوارع الرئيسية حيث تضاء بالألوان الأخضر والبرتقاني والأحمر فخفت حوادث الاصطدام وانتظم السير مما تشكر عليه السلطة المحلية .

ستفتح المدارس أبوابها في وجه الطلاب في الاسبوع القادم والإقبال على العلم يزداد عاماً بعد عام في كافة أرجاء السنكال مع العلم ان التعليم مجاناً للعموم . أخذ الله بيد السنكـال وحقق آماله الكبار .

كان لانتقال المرحوم احمد محيي الدين الى جوار ربه في ذكار رنة حزن وأسف فنقدم لأنجاله وآله وبالأخص للاستاذ كامل مروه أحر تعازينا الحـارة تغمده الله برضوانـه وغفرانـه .

دكار ـ السنكال احمد سامي

الزراعة والصناعة

نصائح لمزارعي التبغ ضد مرض الميلديو

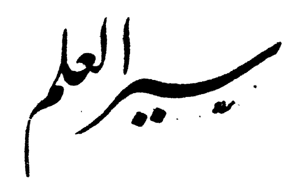
العلاج في المشتل

١ ـ انشيء المشاتل في الأماكن المطلة باتجاه الشرق او الجنوب وفي الأراضي المصرفة للماء
٢ ـ غير اماكن الشتل في كل سنة .
٣ ـ لا تستعمل نفس الأدوات التي استعملتها في السنة الاولى .
٤ ـ إحرق ما أمكن من الأعشاب فوق مساكب الشتول قبل زراعتها .
٥ ـ تناول بذارك من أراض سليمة ، لا تبكر كثيراً في الزرع ، خفف من كثافة البذار
٦ ـ لا تكثر من السقاية ، إجمع واحرق جميع الشتول المتبقية بعد عملية التشتيل .
٧ ـ بلغ أقرب مركز زراعي فور مشاهدتك لأول ظاهرة مرضية . واستعمل الدواء الذي يوصف لذلك .
٨ ـ لا تسق المشاتل فور رش المبيدات .

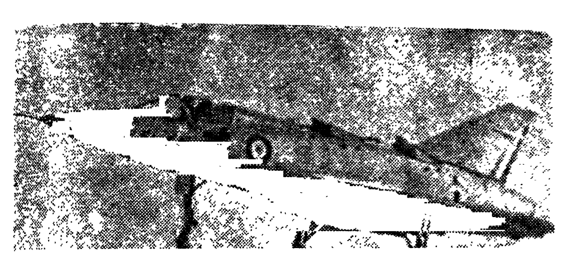
العلاج في الحقل

١ ـ لا تزرع التبغ في الحقول الرطبة والمغراقة والمظللة .
٢ ـ لا تزرع التبغ سنتين متواليتين في نفس الحقل .
٣ ـ لا تزرع في الحقل الا الشتول السليمة تماماً .
٤ ـ راقب الحقل باستمرار بعد الزرع . بلغ المركز الزراعي لدى مشاهدتك أحد الأعراض الموضحة أعلاه فوراً ، واستعمل الدواء المعلن عنه اذا اضطررت لذلك
٥ ـ اقطع الماء فوراً عن الحقل المروي اذا شوهد فيه المرض ، اقطع الأوراق السفلية المريضة وادفنها في الأرض .
٦ ـ انزع جذور وسوق التبغ واحرقها في مكانها ، بعد الانتهاء من عملية القطاف.

طالعوا في عدد مقبل من العرفان مقالا مطولا ضد هذا المرض .



١ ـ طائرة تصعد (*)



رأسا في السماء .. ثم تشق الهواء شرقا وغربا : ـ المطارات في المدن الكبيرة تبنى في الضواحي ، وفيما هو أقرب الى الريف من المدينة ، وذلك حتى تتجنب الطائرات الصدام مع البيوت العالية ومداخن المصانع ، وأعمدة التلفون والتلغراف والكبلات العالية التي تحمل الكهرباء .

وهذا لا يكفي . فلا بد لرقعة المطار نفسها من أن تتسع للطائرات حين تصعد من المطار وحين تهبط اليه . والطائرة في صعودها تصعد رويداً رويداً ، وهي في أثناء ذلك تراكم من سرعتها حتى تبلغ بها الحد اللازم للصعود . فهي تحتاج لمسافة في المطار تجري فيها طويلة ، وهي كذلك عندما تهبط ، تقلل من سرعتها رويداً رويداً ، فتحتاج الى المسارات الطويلة في أرض المطار .

لهذا كان لا بد أن يكون المطار مساحته ميلا على الأقل . وتتصالب المسارات في المطار حتى تستطيع ان تتوجه الطائرة في صعودها او هبوطها الجهة التي تعاونها فيها الريح .

من اجل كل هذا اتجهت جهود العلماء والتكنيين الى تغيير تصميم الطائرات بقصد تصغير المطارات . ومن هذه الجهود ما يهدف الى ان يجعل الطائرة تصعد رأسيا اولا ، او ما يكاد ان يكون كذلك ، ثم تسير بعد علو في الاتجاه الافقي .

جهاز بدل القلب

اخترع روبير بيتسارينيان الشغيل في معهد علم القلب وجراحته في يريفان جهازاً الكترونيا

★ تأخرت المجلة التي نترجم عنها نبذ سير العلم فأخذنا هذه عن بعض الزميلات .

طريفا ينجز عمل القلب والرئتين خلال إجراء عملية .

والجهاز الجديد أتقن بكثير من الأجهزة المماثلة المستخدمة في الطب ويتطلب من دم المعطين أقل منها بثلاثة أضعاف . ان دم المريض الذي يتدفق الى القلب والرئتين الاصطناعية يحافظ على درجة الحرارة الاولية بفضل أجهزة اوتوماتيكية . واوتوماتيكيا ايضا بقياس الضغط الشرياني ومحتوى الدم من الاكسجين وفي حال انقطاع الكهرباء تؤمن العمل بطاريات

٢ ـ لا حاجة لخيام الاكسجين بعد هذا : ـ



ان مرض القلب ، ومرض الرئة ، وكذلك الأطفال الذين يولدون قبل الأوان ، كثيراً ما يدعو الحال في أمرهم الى وضعهم في خيمة او نحوها يطلق فيها الاكسجين ليساعد على التنفس .

وهذا إجراء ليس بالهين ، ولا هو بالرخيص .

وقد ابتدعت شركة الزيت المعروفة باسم شركة استاندرد اويل كمباني جهازاً أشبه بأجهزة تكييف الهواء ، يركب في الحجرة كما يركب جهاز التكييف ، وهو يغذي الحجرة بإدخال الهواء اليها بعد ان يكون قد حبس منه الآزوت ، واذن تزيد فيه نسبة الاكسجين.

اما طريقة حبس الازوت فلم تكشف عنها الشركة ، ولكن المفهوم انها مؤسسة على ظاهرة الامتصاص .

وهذا الجهاز الجديد يستطيع بعد عمل بضع ساعات ، ان يزيد في نسبة الاكسجين بالحجرة ، وهي عادة تبلغ الخمس تقريبا ، حتى تصير ٤٥ في المائة او ازيد من ذلك . فإذا احتاج المريض الى الاكسجين ، نقل الى هذه الحجرة ، حيث يرقد او يقعد على هواه فلا يفرض عليه القيام في خيمة صغيرة ضيقة او توضع فوق انفاسه كمامات ترهقه .

اما من حيث النفقة فهي تبلغ اقل من نصف نفقة الوسائل الحاضرة .

آراء القراء ومشاكلهم

رسالة مسقط

كتب الينا صاحب التوقيع ما يلي :

سيادة الاستاذ نزار الزين صاحب مجلةالعرفان المحترم .

تحية واحتراماً وبعد يا سيدي المعروض لسعادتكم الموقرة هو انا نبث لكم في طي هذه الرسالة كلمة واحدة وقصيدة واحدة في مناسبة وفاة المرحوم الحاج علي عبد اللطيف الحيدر آبادي وعليه نرجو من فضلكم وإحسانكم ان تنشروا ذلك في مجلتكم الموقرة مجلة العرفان ويسرنا ان نعلمكم من هو هذا الراحل الفقيد هو الحاج علي عبد اللطيف الحيدر آبادي زعيم روحي ثم ان الراحل هو رجل تاجر اذ لا تاجر مثله في عُمان بل ولافي الخليج ثم ان المرحوم لما قضى نحبه الكريم تعطلت البلاد عن جميع الأشغال اكراماً وتعظيماً له وكذلك دوائر الحكومة بقيت ذلك اليوم معطلة الأشغال هذا واما الامامية فأقاموا له الفاتحة في المسجد الجامع الى مدة ثلاثة ايام وجلس في صدر المسجد للعزاء ابن اخيه وهو كبير الأسرة وهو الاخ جعفر بن الحاج باقر عبد اللطيف ثم ابنه الاكبر وهو حسن ابن المرحوم الحاج علي عبد اللطيف ثم اولاده الصغار ولقد تلونا الكلمة والقصيدة في آخر يوم من أيام العزاء في المسجد الجامع .

الداعيان لكم الصديقان محمد عبد العظيم ومحمد جواد غلوم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين .

ايها السادة الأعزاء انه كما لا يخفى عليكم ان لكل مولود حفلتان حفلة تكريمية وحفلة تأبينية وبما ان هذه الحفلة هي حفلة تأبينية لفقيدنا الراحل العزيز الذي عز فقده حقاً أقول واني غير مغال في قولي هذا كان الفقيد رحمه الله تعالى حاوياً معنى الانسانية بمعنى الكلمة كان مجداً كادحاً آناء الليل وأطراف النهار باذلا من جانبه المال الاوفر كل ذلك في سبيل انجاز السعادة نحو اخوانه من أبناء بجدته .

مع الاسف المرير المؤلم ويا للاسف الشديد خر هذا الطود الشامخ ميتاً منذ ثلاثة ايام

قضى نحبه الشريف راحلا الى جوار ربه تعالى ناداه ربه لما ان تصرمت لياليه وايامه فلبى النداء واستدعاه في شهر مبارك وفي يوم مبارك في آخر يوم من أيام الجمعة في أواخر ذي الحجة فأجاب الاستدعاء لله تعالى بقلب مطمئن : حقاً تمناه الناس ان لو كان مخلداً ولكن هيهات ثم الف هيهات لأن شريعة الحياة هي الموت وشرط كل متكون الا يكون الا ميتاً ، عزاؤنا انه عاش عزيزاً وحراً كريماً ومات عظيماً حميداً وخلف أشبالا كراماً نأمل فيهم الله ان يكون كل واحد منهم كأبيهم علي رحمه الله ونرجو الله على يدهم الخير والصلاح وان يكونوا كما كان والدهم محباً لأمته وللمجتمع العربي ــ حقــاً ان الانسان مفطور على حب السعادة لشعبه الكريم وقديماً قد قيل ان الذي يحب السعادة لشعبه يتغـاضى مديـة الجزاء والمرحوم كان كذلك بلا قيد ولا شرط وكان رحمه الله لا يتزحزح عن الحق قيد ذرة كيف لا يكون كذلك والانسان مفطور على حب الحق وما تنكر له أحد الا لجهل به او لمرض في نفسه اجارنا الله من هذا الجهل وهذا المرض .

ايها الحفل الكريم المحتشد لذكر الراحل العظيم هلموا الآن لنؤبن الفقيد ونقل له في تأبيننا

بفقدك يا زعيم الاسخياء فقدنا ما نؤمل من رجاء

في رثاء الفقيد الحاج علي عبد اللطيف الحيدر آبادي نوّر الله ضريحه آمين :

بفقدك يا زعيم الاسخياء	فقدنا ما نؤمل من رجاء
فقدنا حنكة وسديد رأي	تجمل بالذكاء وبالسخاء
فقدنا النفع في كل القضايا	وحزماً زانه شرف الإباء
وجوداً بالسماحة قد تحلى	وإخلاصاً تكمل بالوفاء
وقد خسرت نيابته عميداً	جليل القدر مرفوع الثناء
وحقك لم نجد لك من نظير	قليل الاخذ مكثار العطاء
وفي فن السماحة كنت فذاً	تعالج بالكياسة كل داء
فلا عجب اذا مسقط فاضت	مدامعها سيولا في البكاء
واصبح مجلس الاخوان يشكو	فراغاً موحشاً بعد امتلاء
فان الخطب يعظم في عظيم	تعالجه تصاريف القضاء
وان المرء يعظم في فعال	تتيح لشعبه كل الغناء
فيخلد ذكره في كل عصر	ويكسب دائما عطر الثناء
الا يا اسرة المرحوم صبراً	فان الصبر احجى في البلاء

وان الموت غاية كل حي ومزجي العالمين الى الفناء
لقد غال الملوك بكل قطر وصال على جميع الانبياء
وليس يدوم الا وجه ربي وما حي بمرجو البقاء

رسالة اندونيسيا

وقد جاءنا من اندونيسيا ما يلي :

لجنة الحفلة التأبينية لذكرى مرور اربعين يوما على وفاة المغفور له العلامة السيد عبد القادر بن احمد بلفقيه العلوي .

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لله وصلاة وسلاما على رسول وعلى آله وصحبه .

سيادة رئيس التحرير لمجلة العرفان ولجريدة جبل عامل بلبنان لا زال في سماء الاسلام فجراً ثاقبا .

سلاما واحتراما وبعد فبناء على ان العالم الاسلامي والعربي فجع بنعي صاحب السماحة الاستاذ العلامة الحبر الهمام علم الاعلام المغفور له السيد عبد القادر بن احمد بلفقيه العلوي ناظر مدرسة المعلمين الاسلامية العليا « ورئيس معهد دار الحديث الفقهية » مالاغ اندونيسيا بتاريخ ٢١ جمادى الثانية ١٣٨٢هـ وفق ١٩ نوفمبر ١٩٦٢م .

وبما ان العالم الاسلامي والعربي فقد فيه علامته الكبير وحبره النحرير والحامي العظيم عن ذماره والذائد عن حياض دينه والمفخرة العلمية الكبرى بل تاج فخاره ، فاننا نأمل وطيد الامل ان تتكرموا بنشر شذرات من تاريخ سماحة العلامة المغفور له الطافح بالتضحية العلمية والجهاد التشريعي المقدس في تهذيب الناشئة وتثقيف النابتة وبخاصة بديار اندونيسيا في مجلتكم الكريمة .

ومما هو جدير بالذكر ان سماحة الفقيد الراحل الامام قد ابلى بلاء حسنا في اثارة النهضة العلمية والدينية بديار اندونيسيا وقد كرس غضون حياتــه ما ينيف على نصف قرن في تهذيب الناشئة في مختلف الديار الاندونيسية ، كما انه قدم خدمات جليلة تستحق الاعجاب والتقدير وخلد ذكراً حسنا في المجموع العربي والاندونيسي ، وتلامذته انبثوا في الآفاق وانتشروا في الاقاليم ومسكوا زمام الامور الدينية والدنيوية ، فلذلك نرتجي من سيادتكم نشر بعض تاريخه المجيد تنشيطا للعلم وحملته وتقديراً لذوي الكفاءة والعاملين في سبيل تشييد الدين والامة والوطن في مجلتكم الكريمة .

ويكفيكم ان ابناء العلوية والاسلام بديار حضرموت والجنوب العربي واندونيسيا وغيرها بأسرهم مدينون للفقيد العظيم لما قد ضحى في سبيل ازدهار الاسلام والمسلمين وبخاصة في تهذيب شبيبتهم وارواء المتعطشين من مناهل العلم العذبة .

وللفقيد الامام ميزة خاصة في جودة الالقاء تجاه تلامذته كما انه خلف تراثا علميا من التآليف التشريعية والعربية ، واسس معهداً علميا الا وهو معهد « دار الحديث الفقهية » الذائع الصيت الذي يضم اليوم الطلبة الكثيرين من مختلف الأقطار الاندونيسية ، ونخص بالذكر بعض اسماء الاقطار والجزائر : ملها ، جاوا الشرقية ، جاوا الوسطى ، جاوا الغربية ، سومطرا ـ كاليمنتان ـ سولاويسي ـ نوساتغكارا ، وغيرها فالرجاء من سماحتكم نشر ما للفقيد الراحل الامام من عبقرية واعمال جليلة ونشر نبأ انعقاد الحفلة التأبينية لذكرى مرور اليوم السابع وذكرى الاربعين يوما من وفاة المغفور له الامام علم الاعلام العلامة المحقق المدقق السيد عبد القادر بن احمد بلفقيه العلوي واختتام السنة الدراسية لمعهد « دار الحديث الفقهية مدرسة المعلمين الاسلامية العليا » مالاغ اندونيسيا تاريخ ١١ شعبان ١٣٨٢ هجرية ٧ يناير ١٩٦٣م .

ومما هو جدير بالذكر ايضا انه قد اسس معهد « دار الحديث الفقهية مالاغ منذ سنة ١٣٦٤هـ وفق ١٩٤٥م وتولى النظارة والتدريس فيها ، وقد فوض الفقيد الامام ادارة المعهد المذكور الى ابنه العلامة الامام الحافظ المسند السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوي منذ سنة ١٣٧٦هـ وفق ١٩٥٧م الى الحالة الراهنة ، ولن يزال المعهد الى تقدم وازدهار كما ان الاقبال عليه وانكباب الطلبة ونحوه كعهد ابيه حياة العلامة الحبر الامام رحمه الله وأرضاه .

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة خطبة الرئيس العام لمديرية مدينة مالاغ جاوا الشرقية التي القاها بمفرده ، بحضور جمع غفير من رجال الدين والحكومة في ذكرى اليوم السابع من وفاة المغفور له الاستاذ الحبر الامام العلامة المقدام السيد عبد القادر بن احمد بلفقيه العلوي رفع الله مقامه في أعلى عليين وجمعنا به بعد طول العمر في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، آمين .

خطبة الرئيس العام لمدينة مالاغ جاوى الشرقية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ايها الأفاضل ... اننا نجتمع هذا اليوم في هذا المحفل العظيم لإحياء ذكرى اليوم السابع من وفاة المغفور له صاحب الفضيلة والسماحة الاستاذ العلامة عبد القادر بن احمد بلفقيه الذي كان الي آخر ساعة من حياته يتولى منصب الاستاذية والنظارة بمعهد « دار الحديث الفقهية » بمدينة مالاغ .

وبهذه الفرصة طلب مني ان القي كلمة تأبينية عن الفقيد الراحل ، فما وسعني الا تلبيةهذا الطلب بكل فرح وانشراح . واني وان لم يسعدني الحظ بمقابلة الفقيد في حياته وجها بوجه والتعرف به شخصيا فليس معنى ذلك لم أعرف مقامهوقدره ، فطالما تتبعت حركاته وسكناته وبوجه أخص أعماله ومساعيه في تأدية الرسالة في نشر الدين الاسلامي ، فطالما قرأت له كتاباته ، بل لقد كنت على اتصال بفضيلته كتابيا حتى كنت ألمُ الماما جيداً عن مبادئه ووجهات أنظاره وأفكاره .

واذا نحن درسنا بإمعان تاريخ حياته منذ ان وطأت أقدامه هذه البلاد الاندونيسية لأول مرة في سنة ١٩١٨ ايقنّا اليقين كله ان الفقيد حقا قد كرّس جميع حياته في خدمة الدين الاسلامي ، بل وتمشيا مع تعاليم هذا الدين الحنيف ايضا ففضيلته قد قام خير قيام بنشر التربية والتعليم والثقافة .

والفقيد اينما كان وفي اي قطر حط ترحاله ففضيلته كان المرجع والمقصد في الدين،واليه دائما يقلَّد منصب المشيخة (الاستاذية) في التربية والتعليم ، وهذا المنصب العظيم المقدس الذي يتقلده في جميع مراحل حياته بكل اخلاص وصبر لا مزيد له من غير ان يتطرق اليه الكلل والملل ، بل من غير أن يحسب لاي اعتبار آخر سوى القيام بالواجب الانساني لإعلاء منار العلم والفضيلة ورفع مستوى الحياة العامة ، وفي جميع ذلك كانالدافع لهمطلق القيام بالواجب لا غير .

ونحن اذ كنا معشر الاندونيسيين قد وحدنا الكلمة ، وقررنا على انفسنا ان ننهض بالبلاد والوطن في جميع نواحيه وجوانبه فانهاض الجانب الاخلاقي والنفسي كان لزاما ان تنشط الجهود له كما ان جانب العقيدة والدين كان شرطا مطلقا للنهوض بالوطن ورفع مستوى المجتمع .

واذ كنا ايضا في أشد كفاح لإبلاغ مشكلة الامة وتعطشها الى مجتمع عادل عامر فإنا نود ان نؤكدها هنا ان هذا الكفاح لا يكون فيمضمار الماديات فحسب ، بل لا بد وان يتناول انهاض جوانب العقيدة والدين . فنظراً الى ذلك كله نعلم هنا الآنانالجهود والاعمال

التي بذلها الفقيد الراحل صاحب الفضيلة والسماحة السيد عبد القادر بن احمد بلفقيه طوال نصف قرن من حياته مما يجدر بكل تقدير . ولكن ... في خلال هذا النشاط كله وفي اثناء هذا الجد والتفاني في الاعمال وبعد مرض اسبوعين لا اكثر جاءت المنية واخترمت الشخصية العظيمة ، فلحقت الملأ الأعلى . وهكذا فالانسان يؤمل والله يقضي ولا راد لقضائه ، وفي هذا الجو الذي يسوده الوجوم لفقدان هذه الشخصية العظيمة ، ولا سيما في هذه الساعة التي يغمر فيها ذويه وأقاربه الحزن والاسى يحسن بنا ان نضرع الى المولى ونرفع الاكف داعين وملتمسين ان يتقبل بقبول حسن كل الجهود وكل الاعمال التي بذلها الفقيد الراحل ويجعل مثواه بين احبّائه المقربين وأوليائه الصالحين . واغتنم هذه الفرصة لان اسر في مسامع نجله النبيل الاستاذ عبد الله بن عبد القادر بلفقيه ، بأني اعرف ، وكل واحد يعرف مدى ما بلغه من الحزن والأسى واني لأشاركه في ذلك ولكن قضاء الله ومشيئته ، وليس لنا الا ان ندعو ونرجو عسى ان يتحول هذا الحزن والاسى في نفسه الى روح وقّـادة وعزم صارم لأن يخلف الفقيد في اعماله ومساعيه النبيلة . فبذلك يكون هذا التراث الذي خلفه مما لا يقدر بثمن ، وان انسى فلا انسى ان الفقيد الراحل كان قد اوصى في حياته بجعل نجله العلامة الحافظ الفهامة الاستاذ عبد الله بن عبد القادر بلفقيه خليفته . قال النبي ﷺ « ثلاثة لا يموتون ، وان قد ماتوا : الملك العادل والعالم العامل والعالم الذي مات وخلف من يعقبه » . واذ قد أسررت بكلمتي لذوي الفقيد واهله فاني الفت الخطاب الى جميع مريديه وتلامذته بأن لا ينسوا على مر الدهور هذا الفضل العظيم الذي اولاه لهم استاذهم وشيخهم وحيث اخلص لهم في تربيتهم وتثقيفهم بالثقافة الدينية ، فان المعارف الدينية حقاً هي الزاد والأداة بل والسلاح للانسان ليستطيع ان ينفع بذلك مجتمعه هذا المجتمع الذي يهدف الى سيادة عادلة عامرة .

ايها الافاضل ..

فلأختم كلمتي بالضراعة الى المولى جل وعلا بأن يفسح لروح المغفور له صاحب الفضيلة الاستاذ عبد القادر بن احمد بلفقيه محله الذي يليق به وبأعماله العظيمة ويخلف ذويه واهله بخلف صالح ويلهمهم جميل الصبر والسلوان على هذا المصاب الجسيم .

الرئيس العام لمديرية مدينة مالاغ



الدرة اليتيمة

فلسطين العزيزة

الأسف يحز في النفوس ان بحث العرب في قضية فلسطين يمتاز بالأقوال اكثر من الأفعال وانها اصبحت عند الحكام والزعماء سلعة للنفوذ وطلب الجاه والشعبية اكثر منهــا للدفاع والعمل المجدي المخلص . فإلى متى ؟ نخشى ان تضيع الفرصة وان يندموا ولات ساعة مندم فإسرائيل تعمل بجد وإخلاص لمصلحتها لأنها خصصت خمسة عشر مليون ليرة لتحويل مجرى نهر الأردن . أما العرب فماذا فعلوا غير خلافهم مع بعضهم بعضاً وغير الخطب والادعاءات والبهورات ؟! لأجل أن يقفوا سداً منيعاً في طريق اسرائيل ويخدموا القضية الفلسطينية حقاً يجب ان يتفقوا على هذه المصلحة التي تخص جميع العرب ويعملوا على حلها متعاونين بجد وإخلاص وباستشارة والاتفاق مع سماحة المجاهد مفتي فلسطين الأكبر الحاج امــين افندي الحسيني فهو أول من قاد الحرب ضد اسرائيل ولم يزل للآن يعمل قدر استطاعته وبكل ما اوتي من قوة مع الهيئة العربية العليا في هذه القضية بكل إخلاص وتضحية ، اما ان تحل هذه القضية هيئة الامم المتحدة فهذا محال لانها هي التي عقّدتها . واما ان تؤلف لجنة من اميركا وفرنسا وتركية لبحث قضية فلسطين مع العرب فهذا عجيب غريب لان هذه الدول الثلاثة هي اسرائيلية اكثر من اسرائيل ' ماذا خصصت الدول العربية للاستفادة من روافد الاردن وعدم السماح لاسرائيل بالاستفادة من مياهه ' لا شيء للآن ، الى متى ؟ لا ندري ولا المنجم

يدري حذارِ والف حذارِ يا حكام العرب من الإهمال واللامبالاة ، فهي تبدأ بحريقكم قبل غيركم .

ماذا في العراق

الاخبار الواردة من العراق لا تُسر ولا تُطمئن ، انها تقول بأن حكام العراق يُخرجون الشيعة من الوظائف بحجة الشيوعية ، سواء كان ذلك بحق او غير حق ، وانهم يعاملون الشيعة معاملة سيئة ويظلمونهم ويضطهدونهم فنحن نحذّر حكام العراق وننذرهم بسوء عواقب هذا العمل . وان الشيعة لا في العراق فحسب بل في جميع أنحاء العالم يقفون صفاً واحداً وراء سماحة المجتهد الاكبر السيد محسن الحكيم للدفاع عن حقوق اخوانهم في العراق فهل من يسمع ؟

الوفيات

توفي في شحور الشاعر الشعبي الكبير السيد محمد محمود الزين مختار البلدة واحد كرام وجوهها ، وكان الفقيد ذكياً حاضر البديهة سريع الخاطر . يُعد في الزجل من شعراء الطليعة في لبنان وقد أقيم له في مسقط رأسه مأتم حافل حاشد تبارى فيه الشعراء والخطباء وكذلك اقيم له اسبوع حافل حاشد تبارى فيه ايضاً الشعراء والخطباء وتعد وفاته خسارة على بلده والشعر الشعبي تغمده الله برحمته .

وقد رثاه الشيخ امين سلمان قميحة بالقصيدة التالية :

دمعة شاعر على شاعر

هيجت يا دهر اشواقي وتحناني — وأضرم النبأ المشؤوم أحزاني
سكبت من مهجتي دمعاً فخالطه — من العيون دماء المحجر القاني
والقلب بادر يبكيه ويندبه — فتى المروءات في طهر وايمان
نعاه عامل في حزن وفي اسف — الى العروبة من قاص ومن دان
والارز نكّس رايات السواد على — فقيده مذ نأى للعالم الثاني

* * *

يا راحلا كنت في العلياء نجم هدى — تعانق الصبح في نهج وعرفان
جاهدت للخير في الدنيا وكنت بها — من الثقاة وكنت العامل الباني
وذاع صيتك في شعر وفي ادب — على السهى يا فقيد المجد والشان
رصعت اعمالك الغراء في حلل — كأنها درر نيطت بتيجان
خلق رضي تجلى من شمائله — وشاعرية ابداع واتقان

وعبقرية تمجيد بها صدحت ... بلابل السحر في شدو وألحان
توقف القلب عن انتاج عاطفة ... وقد جرى دمه في كل شريان
عرفته حافظا للعهد شيمته ... حفظ الذمار لاخوان وخلان
عرفته البطل المغوار في بلد ... اذادها الخطب في ارجاء اوطاني

* * *

ارض العروبة ارضي اينما وجدت ... والعرب اهلي وفي لبنان اخواني
فتحت آفاقه توحيد امتنا ... وضمن انجيله آيات قرآن
نسجت من ارزه العالي برود إباً ... وعن بروج علاه حكت اكفاني
والقائد الفرد اضواء الشهاب به ... يوزع الحق في عدل وميزان
فؤاده الطهر جمع الشمل غايته ... سيّان ذا مسلم او ذاك نصراني

* * *

أخي سلكت سبيلا كنت قدرته ... فجرت للخير من ينبوع احسان
قدمت نفسك قرباناً الى وطن ... والنفس اسمى فداء عند قربان
لئن طواك الردى في كفه علماً ... فقد مضيت الى روح وريحان
وان ثويت برمس في التراب فقد ... أويت للخلد في جنات عدنان
وان غربت عن الاوطان منعزلا ... فأنت في الطرف انسان بإنسان

* * *

اخي محمد لا خوف ولا وجل ... فالموت حق وحكم الموت ربّاني
والناس تمضي جميعاً ليس من احد ... يظل في الارض من إنس ومن جان
والمرء يخلد في الدنيا بمأثرة ... لا تنمحي مر أحقاب وأزمان
والمتقون جنان الخلد مرتعهم ... بهم يرحب دوماً ركب رضوان

* * *

أتيت أرثيك والآهات أسعرها ... وجئت أبكيك في شعري واشجاني
حفظاً على العهد إن قصرت لا عتب ... على وفائي فهذا وحي وجداني
صبراً على الخطب ان حليت ملمته ... لا يدرأ الخطب الا فيض سلوان
أقدم اليوم للانجال تعزية ... للآل للصحب من اهلي وجيراني
ومن فؤادي أتلوها بفاتحة ... لروحه ما شدا طير بأفنان

فهو المخلد بالاعمال في وطن وان تناءى لديه الهيكل الثاني
وأذرف الدمعة الحمراء مقتدراً على فقيد العلى من قلب ولهان

النبطية امين قميحة

بين سورية ولبنان

هاتان الشقيقتان القريبتان المتصلتان المتصاهرتان ما بالهما ، ما شأنهما الا يكفي حصيلة تسع سنوات خلاف حتى يحصل مؤخراً ذلك الاعتداء على لبنانيين ابرياء وما بال الشقيقات قد أتقنوا فن الاعتداء على لبنان ، هل استضعفوه فهان عليهم ان سورية ولبنان لا يستغني أحدهما عن الآخر لذلك يجب ان يكونا دائماً على تفاهم واتفاق تام، فقد كفانا خلافاً وتفككاً عودوا الى الصواب ايها الاخوان فالحق أحق ان يتبع . ودعونا على الحياد ، فلبنان ليس بإمكانه ان يعيش ويستقر الا على الحياد .

الجزائر والمغرب

هل سرت عدوى الشقاق من المشرق العربي الى المغرب العربي ، حتى رأينا الجزائر تحارب بعضها ، وحتى رأينا الشقيقتان الجزائر والمغرب تعلنان الحرب على بعضهما ، ولقد توقفت الآن والحمد لله ، فعسى أن يستمر ذلك ولا يعود الخلاف ينشب، فان مقاتلة الاخوان تفتك بالدول الكبيرة فتضرها فكيف بالدول الصغيرة المتخلفة ، متى يدفن العرب خلافاتهم ويعودون الى صوابهم ، فقد آن لهم ان ينظروا الى ابعد من انوفهم .

آثار صيدا

اكتشفت في صيدا آثار تاريخية هامة منها قبر ملكة صيدا ايام الفينيقيين وغيره من القبور مما يدل على عظمة هذه المدينة في التاريخ . وحبذا لو ان آثار صيدامنذاول اكتشافها حفظت في متحف خاص في نفس صيدا ، يرتاده السياح للتفرج عليه اذ هي أحق من غيرها بحفظ هذا التراث والاستفادة منه ، فنأمل من سعادة المحافظ ان يعمل على حفظ هذه الآثار الباقية في المدينة .

حفلة سفير ايران

بمناسبة مولد جلالة شاه ايران اقام معالي سفير ايران السيد علي الدشتي حفلة في داره كانت من أروع الحفلات التي شهدتها العاصمة .

هذه الاشاعات ما الغرض منها ؟

سرت في الآونة الاخيرة بعد انعقاد مؤتمر حزب البعث في دمشق اشاعات كثيرة في

بيروت ان من مقررات حزب البعث السرية ضم الاردن الى سورية والعراق سنــة ١٩٦٤ وضم لبنان سنة ١٩٦٥ ، ولقد كذّب الامين العام للحزب الاستاذ ميشيل عفلق هذا الخبر . ان هذه الاشاعات لا يقصد منها الا البلبلة ، ونحن نعلم ان حزب البعث يحاول ضم لبنان وغيره لو يستطيع ، ولكن لبنان ليس لقمة سائغة ، طالما ان الجميع ارادوا ان يكون مستقلا بذاته على الحياد صديقاً وحبيباً لجميع الدول العربية ، بعد هذا ان النشاطات التي تبديها بعض الاحزاب التوسعية داخل لبنان لا يؤدي عملها الى نتيجة مرضية الا الى زرع الفوضى ، لذلك الاجدى والانفع ترك لبنان وشأنه فسياسته الخارجية سليمة لا عوج فيها . فمن اراد البحث في الاصلاح الداخلي دون تآمر فليفعل .

وبهذه المناسبة نقول انه كتب الينا كثيرون وحدثنا عديدون شخصياً عن تأليف حزب عاملي لبناني ، يعمل في لبنان لمصلحة جبل عامل ولبنان . على ان الامور مرهونة بأوقاتها ، كما ان التعاون مع اشخاص يعملون للمصلحة العامة تاركين الانانية وحب الــذات وحب الظهور اصبح صعباً في هذه الايام .

ويعلم القراء ان العرفان اول من نادى بالوحدة العربية قبل كل احد ، ولكن الوحدة كما صرح الرئيس جمال عبد الناصر وقادة حزب البعث انفسهم رهن بإرادة الشعوب ، فطالما ان اكثرية الشعب اللبناني تريد بقاء لبنان بحدوده الحاضرة مع التعاون مع الشقيقات العربيات فلنحافظ على هذا الامر ، لان تعديه يخلق بلبلة ومشاكل ليست في مصلحة احد ، كما ان بحث الكيانات من الداخل لعبة خطرة .

مولد الزهراء عليها السلام

أقامت جمعية البر والاحسان حفلة كبرى تخليداً لذكرى سيدة النساء فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقف على منبرها :

المقرىء الشيخ حسن بيضون ، العلامة الجليل عارف النكدي ، الاستاذ عبد الهادي شلق ، سماحة السيد موسى الصدر ، الشاعر الكبير عمر ابو ريشة يوم الجمعة ٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ الساعة التاسعة صباحاً وكان ذلك في نادي الامام الصادق في صور ، الا ان الدعوة وصلتنا متأخرة .

وقد قدم الحفلة الاستاذ حسين حمادة .

ــ دعت هيئة النضال الاجتماعي الى حفلة عشاء تقام في فندق البريستول مساء الاحد في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ تكريما لسماحة العلامة السيد موسى الصدر .

جمعية اهل البيت للتأليف والنشر

تنادي ـ في لبنان ـ فريق من الهيئة العلمية الجعفرية المؤمنين بوجوب التعاون على العمل والجهاد المتواصل لنشر الثقافة الاسلامية بعامة ، وما يتصل منها بالشيعة ،ومبدأالتشيع بخاصة بعد ان تبين ان وراء الستار يداً اثيمة تعمل للتخريب والتباعد بين المسلمين عن طريق الدس والافتراء على بعض طوائفهم .

تنادى هذا الفريق الى تأليف جمعية تلتزم التأليف و نشر الدراسات ـ قديمها وحديثها ـ التي تعبر بصراحة وامانة عن عقيدة التشيع ، وفقه الشيعة واصولهم ، وادبهم وفلسفتهم ، والدور الذي قاموا به لخدمة الاسلام والانسانية في كل عصر ، وفي شتى الميادين ، على ان تسلك الجمعية طريق الانصاف والابتعاد عن التعصب والانحياز ، والتيارات السياسية والحزبية بشتى انواعها وألوانها الا انها تقطع على نفسها عهد الله والوطن ان تخلص في مقاومتها لكل محاولة تهدف الى الاساءة للبنان والمس من كيانه وكرامته ، لأن الجمعية تؤمن وتعتقد انه البلد المتحرر الذي يقدس الحريات ، ويضمنها لكل فرد صالح وكل فئة مخلصة ، تعمل لتحقيق المبادىء الانسانية ، والمقاصد النبيلة .

وقد تم تأليفها بحمد الله على هذا الأساس ، وسجلت باسم « جمعية اهل البيت للتأليف والنشر » في وزارة الداخلية برقم ١٠٠١٦/ د تاريخ ١٩٦٣/١٠/٣٠ .

من أعضائها : الشيخ حسين معتوق ، السيد موسى الصدر ، الشيخ موسى شرارة ،السيد هاشم معروف ، الشيخ عبد الله نعمة ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، الشيخ عبد الحسين نعمة ، الشيخ محمد جواد واخوه الشيخ احمد مغنية .

ومن أهداف الجمعية :

أولا : ان تجتهد ما استطاعت لبث روح الالفة والمحبة بين المسلمين بعضهم مع بعض من جهة ، وبينهم وسائر الطوائف الاخرى من جهة ثانية ، ايماناً منها بأن الإخاء يحقق للجميع الخير والصالح العام .

ثانياً : تدرس الجمعية ما تعلم به من الكتب والنشرات التي تتعرض للشيعة والتشيع ، فان وجدته حقاً وصدقاً ايدت وشجعت ، ونوهت به كمصدر صحيح عند الشيعة ، وان وجدت فيه تجافياً وانحرافاً عن الواقع نبهت الى مكان الخطأ ، وتبرأت من الكتاب والكاتب ، حتى ولو كان من الشيعيين والنجفيين .

ثالثاً : تحاول الجمعية ان تتعاون مع الجهات الخيرة التي تؤمن بمبادئها بخاصة المراجع في

النجف الأشرف الذين تنظر اليهم ، كقاعدة للدين والمذهب .

رابعاً واخيراً : ان تقف الجمعيــة بالمرصاد لكل من يحاول تفريق كلمة المسلمــين ، وتفتيت وحدتهم عن طريق الدس والكذب على الشيعة ومبدأ التشيع ، ويضمر السوء لكيان لبنان وكرامته وحريته .

عن الجمعية

بيروت ـ الشياح الهاتف : ٢٧٠٦٩١ محمد جواد مغنية

الجزء الثاني من كتاب « النهضة الصحفية في لبنان » يصدر بألف صفحة

يصدر في العام الجديد ١٩٦٤ الجزء الثاني من كتاب « النهضة الصحفيةفي لبنان» للزميل الاستاذ جورج عارج سعادة ، وهو يقع في الف صفحة ويتضمن حلقات جديدة ، وفصولا كاد الزمن يطويها ، ووثائق تاريخية وصوراً فريدة لمشاهير الصحافة ، بالإضافة الى الابواب التي تعالج الصحافة ومنزلتها ، والدراسات الوافية لكبار حملة الأقلام .

وكذلك يتضمن احاديث عن النهضة الصحفية اللبنانية في المهاجر ، حيث قام الزميـل سعادة بأكثر من جولة تمكن خلالها من جمع المعلومات التاريخية بغية ضمها الى كتابـه مع صور الاعداد الاولى للصحف التي تصدر منذ بداية الهجرة .

وسوف يجيء فيه حديث عن المجالس النقابية الصحفية ، واصحاب الصحف والمحررين والمراسلـين منـذ اصدر اللبنـاني اول باكورة انتاجه من الصحف والمجـلات . وفي الكتاب عدة فصول عن دور الصحافة في معارك الحريات ، خلال حقبات متعاقبةمن العهد العثماني الى الفرنسي الى العهد الاستقلالي .

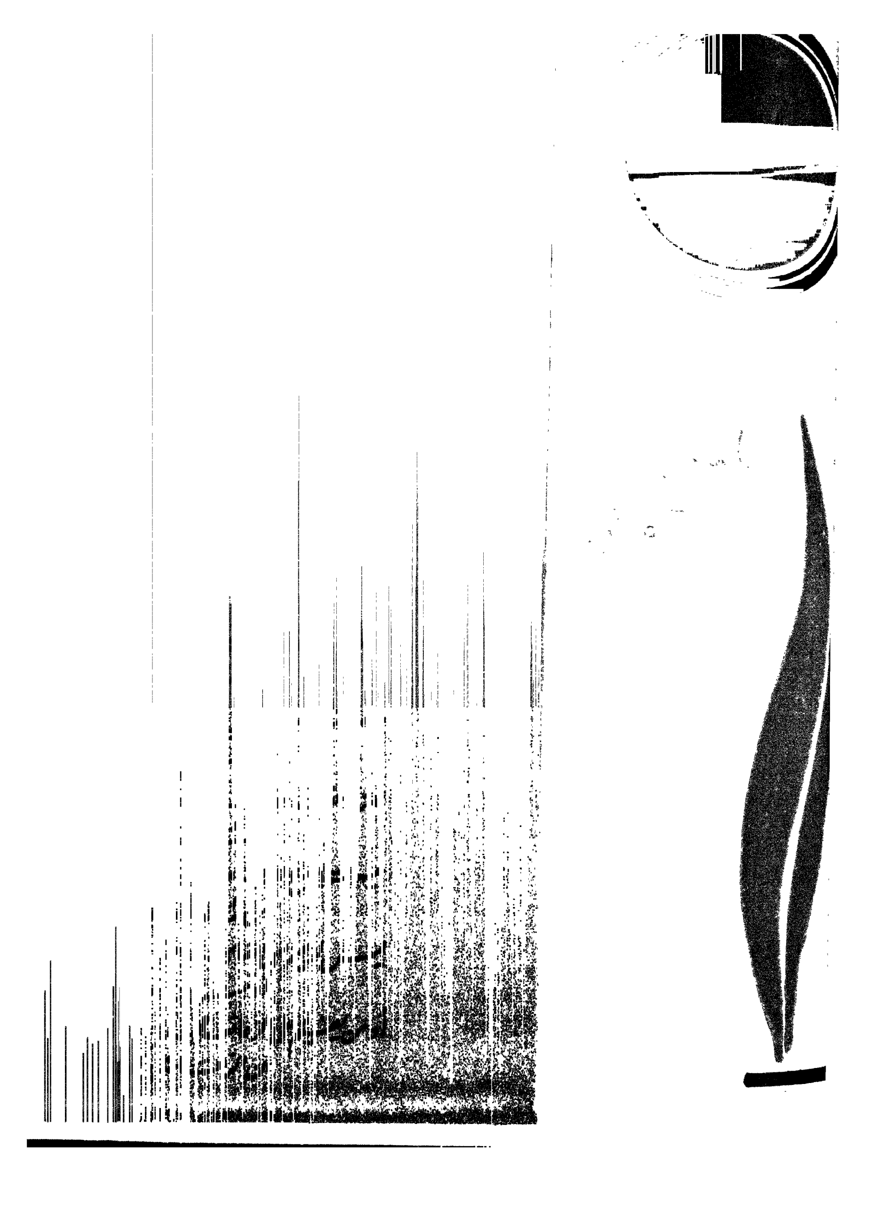
وثمة فصول تروي المظالم التي استهدف لها اصحاب الصحف ابان الجور والطغيان وخرج منها ذلك الصحفي بانتصارات سجلها له التاريخ بأحرف من مجد وانفة . وغيرهامن الفصول والابواب الفكريةوالصحفية .

وفاة السيد نجيب بدر الدين

توفي في بيروت ونقل جثمانه الى النبطية السيد نجيب بدر الدين وكان وجها مشرقا كريما من وجوه النبطية . ويُعدفقدهخسارةجسيمة لكن لناالعزاءبالانجال الاعزاءوالاخوانالكرام وقد شيع جثمانه الى مرقده الأخير باحتفال حافل حاشد .

نسأل الله ان يتغمد الفقيد برحمته ، وتعازينا الحارة لانجاله واخوانه وجميع آل بدر الدين وكلهم صديق عزيز .

وتوفي في شقراء السيد عبد الهادي أحمد الامين وفي شحور عبد الله خشاب وفي صريفا درويش عيد . رحم الله الجميع وعزاؤنا لآلهم وذويهم .





مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية ادبية شعرية مصورة

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

تلفون البيت : ٧٢٠٦٦٤ سنتها عشرة اشهر بألف صفحة تلفون المطبعة : ٧٢٠١٠٥

الجزء السادس المجلد ٥١ شعبان ١٣٨٣ كانون الاول ١٩٦٣

	الموضوع	الكاتب
٥٣٨ — ٥٣٩	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٥٤٠	كلمات مختارة	الرئيس فؤاد شهاب
٥٤١ — ٥٤٧	فاطمة الزهراء	عارف النكدي
٥٤٨ — ٥٥٢	وقفة مع الزعماء والشعب	حسين معتوق
٥٥٣ — ٥٥٥	لخلودك يا صيدون	عبد الله حشيمة
٥٥٦ — ٥٥٩	وشيجة الادب	وديع فلسطين
٥٦٠ — ٥٦٤	الملك محمد اكبر خان	حسن الامين
٥٦٤	غروب « شعر »	سعيد فياض
٥٦٥ — ٥٧٥	مشاهداتي	محمد علي الزعبي
٥٧٦ — ٥٨٠	هكذا عرفتهم	روكس العزيزي
٥٨١ — ٥٨٤	عليك سلام الله	فيكتور الكك
٥٨٥ — ٥٨٧	كامل بك الاسعد	سعيد صباح
٥٨٨ — ٥٩٣	عهد البكوات في جبل عامل	محمد كامل شعيب العاملي
٥٩٤	عيد استقلال لبنان « شعر »	اديب فرحات
٩٩٥ — ٥٩٩	الشيخ حسن زين الدين	علي ابراهيم
٦٠٠ — ٦٠٧	ابو القاسم الشابي	خضر عباس الصالحي
٦٠٨ — ٦١٥	وادي السلام في النجف	محسن عبد الصاحب المظفر
٦١٦ — ٦٢١	خطوات قادته الى الايمان	مترجمة
٦٢٢ — ٦٢٣	يوم الاستقلال « شعر »	محمد سليمان يونس
٦٢٤ — ٦٢٦	بقية مقال	حسين معتوق

٦٢٧ — ٦٤٨ ابواب العرفان : نحن نقص عليك احسن القصص ، المراسلة والمناظرة ، التقريظ والانتقاد ، الزراعة والصناعة ، اهم الاخبار والآراء

بيني وبين القارئ

بقلم : نزار الزين

قارئي العزيز :

دنيانا هذه انها دنيا لا آخرة ففيها الخير والشر ، واناسها مفطورون على الاثنين معاً ، وقد اختلف العلماء والفلاسفة ايهما اقوى من الآخر . ولا شك بأن نفسية الإنسان وغريزته لها تأثير ثم التربية هي التي توجه الناس جميعاً الى الخير ، ولكن التربية تكون في البيت والمدرسة والمجتمع حتى تحصل الفائدة منها ، فهل يمكن تأمينها كما يجب في هذه البيئات الثلاث ؟؟

على انه يا ترى في هذا القرن العشرين ، هل يعود الناس القهقرى الى بدء الخليقة ، الى عهد قابيل وهابيل ، وعهد اولاد يعقوب يُخيل الينا ذلك ، فالظاهر ان الفساد قداستشرى والتربية قد ساءت لدرجة جعلت الزنبرك يفلت مع الناس فلا ينظرون امامهم ولا وراءهم ولا يحسبون حساباً الا لغرائزهم البهيمية وشهواتهم الحيوانية . وهل بعد قتل الهنود لغاندي والأمبركان لكنكدي من جريمة ومن شر مطبق ومن جنون ؟!

قارئي الكريم :

كنا في العدد الماضي بالحديث عن المرحوم المقدس السيد محسن الأمين والحديث عن السيد كلما كرر يحلو . يُروى عنه رحمه الله انه لما كان في ايران آخر سفرة يزور ويفتش عن الكتب المخطوطة ، بينما هو مرة في طهران يحضر مجلس تعزية ، حينما انتهى الخطيب من القراءة ، طلب السيد رحمه الله أن ينفرد به ففعل ، وحينذاك قال له : « يا بني رأيتك تخطب وعمامتك ليست على رأسك . ووجودها على رأسك اكمل واوقر ورأيتك تروي بعض الأحاديث الضعيفة وعند اهل البيت عليهم السلام من الفضل ما يجعلهم بغنى عن ذلك ، وكان هذا السيد قارىء التعزية محباً للصراحة اريحياً ، فلما كان اليوم الثاني جلس على المنبر وقبل ان يبدأ في خطبته شكر السيد محسن علي ما لاحظه عليه وقال ان لي علي السيد حفظه

الملاحظة وهي اني كنت اتمنى ان ينتقدني في المجالس على مسمع منكم فذلك انفــع لي » .
ما احلى الصراحة اذا كانت مبنية على الحقائق والوقائع . واذا حسنت النيةوصفت الأذهان والقلوب . فلنتصارح ايها الإخوان على اساس المحبة والعمل النافع .

قارئي العزيز :

ألفت نظرك الى كلمة فضيلة العلامة الشيخ حسين معتوق في هذا العدد وعنوانها « وقفة مع الزعماء والشعب » فهو من علمائنا المتجردين الذين لا يقفون على أبواب الزعماء ، وفي هذه الكلمة معالجة واقعية لأحوال جبل عامل التي نرجو ان تتبدل وتتغير ، كما ألفت نظرك الى مقال الأديب الكبير الاستاذ وديع فلسطين ، «وشيجة الأدب» فقد عالج فيه قضية اللغة العربية وهي تراثنا واهم ما نملك بتجرد وإخلاص .

قارئي الكريم :

حفلة تأبين العلامة المجاهد المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين

كان من عادتنا ان نقيم الحفلة التذكارية السنوية لفقيد الجهاد والعرفان مؤسس هذه المجلة في شهر كانون الأول من كل سنــة ، ولكننا هذه السنة قررنا تأجيلها للربيع . وقد وردنا الكثــير من النــثر والشعر في العرفان وصاحب العرفان ، اذا سمــح الظرف بنشر بعضه نشرناه والا فنحن نشكر اصحابه ونأمل معذرتهم في حالة عدم النشر .

قارئي العزيز :

أكلة الجبنة في لبنان واللاعبون على الحبال وما اكثرهم عندنا قد اصابهم في عهدشهاب ما اصاب تجار الحروب والقلق الدولي في عهد كندي فليطمئن بالا كل مستغل . بقي هناك أشياء واشياء يجب معالجتها لان لبنان بحاجة الى اصلاح من الجذور واذا كان الرأس دستورياً نزيهاً فما احوجنا الى معاونين له مثله ، والى الملتقى .

نزار الزين

كلمات مختارة

للرئيس شهاب

ـ « ان الحفاظ على الوحدة الوطنية شرف لا يقل عن الحفاظ على حدود الوطن . ومجد لا يوازيه الا مجد الموت في ظل العلم » .

ـ « ان بناء المجتمع لا يقوم الا ببناء الوحدة الوطنية » .

ـ « لا وطن بدون تضحية ، ولا وطنية حيث لا وحدة وطنية » .

ـ « لولا الوحدة الوطنية ، لما تحقق للبنان استقلال ، ولما بقي له استقلال » .

ـ « ان الاستقلال الحق ، لا يؤخذ ولا يعطى ، ان الاستقلال يبنى » .

ـ « ان استقلالكم هو عمل كل منكم ، وهو عمل كل يوم » .

ـ « ان مشاركة المواطنين في عمل الدولة ، وإسهامهم في ما تبذل ، شرط لكل نجاح بدونه يتعذر تحقيق ما يصبو اليه الوطن » .

ـ « قيام الدولة لا يكون ، الا اذا وضع الشعب في بنائها من حماسته ، وحرارة قلبه وارادته وصلابته ، القدر الذي وضعه في معركة الاستقلال » .

ـ « ليس للبناني على لبناني فضل الا بالعمل الصادق » .

ـ « رب شعب صغير ، جعله طموحه الكبير ، شعباً كبيراً » .

ـ « ان الغلبة في اية معركة لم تكن يوماً للعدد ، وانما للايمان بالعمل الذي نحميه والمبدأ الذي نخدمه ، والوطن الذي نذود عنه » .

ـ « ما اعطى شهيد دمه لوطنه ، الا وكانت امام عينيه رؤيا الكمال في وطنه » .

ـ « ليس بالاستشهاد وحده تحرر لبنان ، ولا بالإتحاد وحده تغلب لبنان ، بل بكليهما تحرر وانتصر » .

فؤاد شهاب

فاطمة الزهراء

بقلم : عارف النكدي

شاء الصدر ، ومشيئته أمر . ان تكون لي كلمة ألقيها على هذه النخبة الطيبة ، في هذا البلد الطيب . عن فاطمة الزهراء : سيدة نساء العالمين ، وبضعة رسول الله : سيد العرب والمسلمين . وهو القائل فيها يوم بُشّر بها : ريحانة اشمها ، ورزقها على الله . ومن أبغضها فقد ابغضني ، ومن اغضبها فقد اغضبني . والتي قيل فيها :

خجلا من نور طلعتها تتوارى الشمس في الافق
وحياء من شمائلها يتغطى الغصن بالورق

لا ! ليست بكم حاجة ان يحدثكم مثلي عن مثلها . وانتم تعرفون عنها فوق ما أعرف ، فأكون معكم كناقل تمره الى هجر . وقديماً قيل : اهل مكة ادرى بشعابها .

ولكن علامتنا السيد الصدر ، وقد اراد لقومه النجيب ، ولهـذا الوطن الحبيب ، ان تكون لهذه البقعة الكريمة منه ، (١) والعزيزة عليه(٢) ، نهضة صحيحة ، ارادها ان تعم الجنسين من الرجال والنساء ، فتقوم على رجلين اثنتين ، لا على رجل واحدة ، وعلى شطرين اثنين لا شطر واحد ، فتكون قوية صحيحة سليمة ، تقف لعوادي الدهر وحدثانه ، كما وقف لها آباؤكم من قبل .

لذلك اراد ــ حفظه الله ــ ان يمد يده طاهرة قوية ، الى هذه المرأة العاملية ، فيأخذ بيدها لتنهض النهضة الحق ، واراد ان يكون لها مثالا صالحـاً تقتدي به ، وتطبـع على غراره . فلم ير لها اشرف من الزهراء في طهر سيرتها ، وطهارة سريرتها ، وفي ابائها واخلاصها ومكارم اخلاقها .

والى جانب هذا ، اراد ان يعرف الجمهور خاصته وعامته ، ان هذه السيدة الفضلى ، لا ينحصر امر تقديرها وتكريمها بفريق اختص بها دون فريق . بل كلنا من عرب ومسلمين ،

(١) من الوطن .
(٢) على السيد الصدر .

سواء في الاعتراف بمناقبها ، والاقرار بفضائلها . واذا كان السادة الحاضرون ، او كثرتهم ، يفخرون علينا بأنهم اعرف منا بمزاياها ، وهذا حق لا نناقش فيه ، فانهم ليسوا بأكثر منا ولاء لها ، وتعلقاً بها . فنحن ننتسب الى هذه الفاطمية التي اليها تنتسب .

المرأة

وقبل ان نمضي قدماً في حديثنا عن موضوعنا الخاص ، لابد لنا من إلمامة خاطفة ، بالحديث حديثاً مختصراً عاماً عن المرأة في المشرق والمغرب في حاضرها وغابرها .

يخيل الى بعضنا ، ممن يأخذون الامور على ظاهرها من غير تمحيص ولا تعمق ، ان المرأة الغربية التي تشارك الرجل اليوم في أعماله ، وتسدد كثيرات منهن في اعماله ، خطواته . انها خلقت منذ خلقت السيدة المطاعة : صاحبة المكانة والاكرام ، وان هذه المرأة العربية . ولا سيما المسلمة منهن ، ظلت دهورها الطوال! الحرمة(١) . . . الذليلة المهانة المستعبدة ، الى ان مدت اليها المرأة الغربية يدها — مداً معنوياً — فانتشلها من الصغار والاحتقار ، وجعلتها تحتل مكانها من التقدير والاعتبار .

غير ان التاريخ الحق ، يقول غير هذا . يقول : ان المرأة الغربية كانت الى ما قبل اليقظة الاخيرة ، وليس العهد بالبعيد ، تقاسي من الذل الواناً واشكالا .

كانت تقاد الى الاسواق فتباع فيها ، واذا احتاج الرجل العامل الى من يحمل اثقاله ، او يفلح ارضه استعاض بها عن الحيوان ، وكان الرجل يضربها الضرب المبرح ، لا متعدباً ولا متطاولا ، ولكن بحكم القانون الذي كان يجيز له ضربها على ان لا يكون ذلك بعد الساعة التاسعة ليلا ، لا شفقة عليها ورحمة بها ، لتنام وهي على شيء من السكينة والهدوء ، بل لكي لا يزعج صراخها الجيران ، حتى ان الالواح الاثني عشرة وهي التي يزعمونها اساس القوانين الاوربية — اعطت الرجل حق اعدام امرأته الحياة ان هي اخذت مفاتيح مستودع له (٢) .

هكذا كانت المرأة تعد في جملة الاشياء المملوكة . وكلكم يعرف ما كان من ذلك الجدل الطويل ، والتساؤل الغريب ، عما اذا كان للمرأة نفس كالرجل ام لا ؟

كان ذلك يوم كانت المرأة عند العرب تتمتع بحقوق كاملة ، من حق في الملك . ومن

---

(١) اطلق العرب على المرأة « الحرمة » وقد يحمل اليوم هذا اللفظ على معنى التحقير ، فتأبى السيدة العصرية ان يقال لها « حرمة » كما كان يقال لها من قبل . وما اطلق العرب على المرأة لفظ « الحرمة » الا وهم يريدون لها الاكرام . فالحرمة لغة : ما لا يحل انتهاكه ، من ذمة ، او حق ، او صحبة ... ومن معانيها المهابة .

(٢) يرجع في ذلك الى المعجم الافرنسي الاجتماعي السياسي مادة (Femme) .

حق في الإرث ـ الا ما حددت الشريعة بعضه لاسباب اجتماعية او سياسية ـ ومن تعلم وتعليم، ومن طلاق لمن اشترطته في العقد .

اقول قولي هذا ، وان كان معروفاً اكثره ، بل كله . ليستقر في اذهاننا ، توكيداً للحقائق التي غشّى عليها الجهل . فحجب بها الشرع والتاريخ .

المرأة العربية

واذا كانت بعض الدول تجند النساء اليوم للقتال ، او لما يتعلق بشؤون الحرب ، فان النساء العربيات سبقت الى هذا بمئات السنين . كن يتبعن الجيوش ، يضمّدن الجراح ، ويسقين العطاش ، ويحملن العمد ، يضربن بها وجوه المنهزمين . ومنهن المقاتلات قتالا لا يقل عن قتال الرجال وقد يزيد احياناً ، الى ان يساوي قتال الأبطال .

شهدت نسيبة بنت كعب بن عمارة احد (١) خرجت اول النهار ومعها شنّ (٢) تريد تسقي الجرحى . والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون ، انحازت الى رسول الله تباشر القتال ، وتذب عنه بالسيف ، وترمي بالقوس ، فأبلت بلاء حسناً . وجُرحت اثني عشر او ثلاثة عشر جرحاً بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف . وجعل الناس يمرون عن الرسول منهزمين . ورآها رسول الله ﷺ ولا ترس معها . ورأى رجلا مولياً معه ترس . فقال له : يا صاحب الترس : الق بترسك الى من يقاتل . فألق ترسه . فأخذته وجعلت تترس به على النبي . قال النبي ﷺ : ما التفت يميناً وشمالا الا وانا اراها تقاتل دوني .

وكذلك كانت نساء قريش ، يحملن معهن الدفاف والاكبار (٣) يضربن عليها ، ويذكرن القوم بقتلى بدر (٤) ، ومعهن مكاحل ومراود فكلما ولى رجل اوتكعكع (٥) ناولته احداهن مروداً ومكحلة ويقلن له انما انت امرأة خذ فاكتحل :

---

(١) احد بضم اوله وثانيه . اسم جبل شمالي المدينة بينه وبينها قرابة ميل . وعنده كانت الوقعة العظيمة التي قتل فيها حمزة عم النبي (صلعم) وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعية الرسول وشج وجهه وكلمت شفته. وكان يوم بلاء وتمحيص. كان ذلك لسنتين وتسعة اشهر وسبعة ايام من مهاجرة النبي .

(٢) الشن : القربة الصغيرة .

(٣) الدفاف ، والدفوف جمع دف بالضم معروف والاكبار : جمع كبر بالتحريك وهو الطبل ذو الرأسين او هو الذي له وجه واحد .

(٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة ، وعندة كانت الوقعة المباركة ، التي اظهر الله بها الاسلام ، وفرق بين الحق والباطل ، سنة اثنتين للهجرة .

(٥) تكعكع : هاب وتراجع بعدما اقدم .

فاطمة البارة

وبعد هذه اللمحة العاجلة ، نرجع الى موضوعنا ـ الى الحديث عن الزهراء ، فمن جرأتها وحسن تدبيرها ، ان الرسول ﷺ لما جرح في يوم احد ، جعل علي «ع» ينقل له الماء في درقته (١) من المهراس (٢) ويغسله . فلم ينقطع الدم . فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي غير ان الموقف رغم ما فيه من رقة ومن قلق وحنان على ابيها ، لم يشغلها عن الواجب الصحي ، وهو خير من العاطفة ، ومن القلق على الرسول وهو في مثل تلك الحالة التي كان عليها : جراح بليغة تنزف منها الدماء غزيرة . وما كان غير الله يدري ما يكون بعد ذلك . عمدت الى حصير فأحرقته ، وجعلت تذر على الجرح من رماده حتى انقطع الدم .

وكان بين الرسول وابنته تعاطف . قال ابن عمر : ان النبي كان اذا سافر ، كان آخر الناس عهداً به فاطمة . فاذا قدم كانت اولى الناس به عهداً .

وعن عائشة : ان علياً سأل النبي : اينا احب اليك ؟ انا ام فاطمة ؟

قال . هي احب الي ، وانت اعز علي .

ولا يكون جواب اصدق من هذا ، ولا ابلغ ، ولا اجمع . فاطمة احب اليه حب حنان وشفقة ، وعلي أعز عليه عزة فضل ومكانة .

وبلغ من حبها لابيها ومن حزنها عليه : انها ما زالت بعده ، معصبة الرأس ، ناحلة الجسم ، مهيضة الركن ، باكية العين ، محرقة القلب . وانها لم تر بعد وفاته كاشرة ولا ضاحكة . قيل وبكت حتى تأذى بها اهل المدينة فقالوا لها : آذيتنا بكثرة بكائك ، فجعلت تأتي قبور الشهداء في كل اسبوع مرتين . فتقول : ها هنا كان الرسول . وها هنا كان المشركون . وعن الصادق عليه السلام انها كانت تصلي هناك وتدعو . وانها ظلت على ذلك حتى ماتت

وقد تكون الزهراء مثلا اعلى في الصبر والمكاره ، واحتمال الحرمان حتى الجوع والعطش .

مرضت يوماً ، فدخل عليها الرسول يعودها . فسألها كيف تجدينك يا بنية ؟

قالت : اني موجعة ، وانه ليزيدني اني مالي طعام آكله .

قال علي : ان فاطمه استقت بالقربة حتى اثرت في صدرها ، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها (٣) ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها ، واوقدت النار تحت القدر حتى دكنت (٤)

---

(١) الدرقة بالتحريك ؛ الترس من جلد ليس فيه خشب .

(٢) المهراس : حجر منقور مستطيل ، يتوضأ منه .

(٣) مجلت تقرحت . (٤) دكنت اسودت .

ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر شديد .

عبادتها وصدقها

عن الحسن البصري ، ما كان في هذه الامـــة اعبد من فاطمـــة ، كانت تقوم ، حتى تورمت قدماها .

وعن عائشة (رض) ما رأيت احداً قط اصدق من فاطمة غير ابيها (او قالت افضل)

بلاغتها وحجتها وجرأتها

من ذلك موقفها من ابي بكر يوم منعها فدكاً .

اقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها . تطأ في ذيولها ماتخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه ، وقد حشد الناس من المهاجرين والانصار ، فضرب بينها وبينهم ربطة بيضاء . ثم أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء . ثم أمهلت طويلا حتى سكتوا ، فخطبت خطبة طويلة جيدة . قالت في آخرها :

« فاتقوا الله حق تقاته ، واطيعوه في ما امركم به . فانما يخشى الله من عباده العلمـــاء . واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره ، يبتغي من في السموات والارض اليه الوسيـــلة . ونحن وسيلته في خلقه ، ونحن خاصته ، ومحل قدسه ، ونحن حجته في غيبته ، ونحن ورثة أنبيائه .

ثم قالت : انا فاطمة بنت محمد : اقول عوداً على بدء ، وما اقول ذلك سرفاً ولاشططاً فاسمعوا بأسماع واعية ، وقلوب داعية .

ثم قالت : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما غنمتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم ، واخا ابن عمي دون رجالكم .

ثم ذكرت كلاماً طويلا تقول في آخره :

ثم انكم الآن تزعمون ان لا ارث لي . أفحكم الجاهلية تبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يتقون .

ايه معاشر المسلمين : ابتز ارث ابي ــ ابى الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ، ولا ارث ابي ، لقد جئت أمراً فرياً .

أفعلى عَمْد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول : « وورّث سليمان داود » وفي خبر يحيى بن زكريا عليهما السلام اذ يقول : « رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وقال : « واولوا الأرحام اولى ببعض في كتاب الله » .

وقال : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » .

وزعمتم ان لا حظوة لي ولا ارث من ابي ولا رحم بيننا .
أأنتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه ، من ابي وابن عمي ؟
ثم رنت بطرفها نحو الأنصار فقالت : يا معشر الفتية وأعضاد الملة ، وحصن الاسلام ما هذه الغميزة في حقي ... اما كان ﷺ يقول : « المرء يحفظ في ولده » .

ومن كلامها في الدعاء :
اللهم اقنعني بما رزقتني ، واسترني وعافني أبداً ما ابقيتني . واغفر لي وارحمني اذا توفيتني
اللهم لا تعنّي في طلب ما لم تقدر لي ، وما قدرته علي اجعله ميسراً سهلا .
اللهم كاف عني والدي ، وكل من له نعمة علي خير مكافأتك .
اللهم فرغّني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكلفت لي به . ولا تعذبني وانا استغفرك ، ولا تحرمني وانا اسألك .

اللهم ذلل نفسي في نفسي ، والهمني طاعتك والعمل بما يرضيك ، والتجنب لما يسخطك يا ارحم الراحمين .
وكانت تلتفت الى ولديها : الحسن والحسين ، بعد وفاة ابيها فتقول لهما من قلب حزين اين ابوكما ؟ ــ تريد رسول الله ــ الذي كان يكرمكما ، ويحملكما مرة بعد مرة . اين ابوكما الذي كان اشد الناس شفقة عليكما . لا يدعكما تمشيان على الارض . لا اراه يفتح هـذا الباب ابداً . ولا يحملكما على عاتقته ، كما لم يزل يفعل بكما الله ونسب اليها شعر ما ارتضيته لها

* * *

وقام علي بعد دفنها ، فحول وجهه الى قبر الرسول ثم قال : السلام عليك يا رسول عني وعن ابنتك وزائرتك النازلة في جوارك ، والبائتة في الثرى ببقعتك . والمختار الله لها سرعة اللحاق بك . قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورق عنها تجلدي . الا ان التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز . فلقد وسدتك في ملحود قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك . بلى وفي كتاب الله لي نعم القبول . انا لله وانا اليه راجعون . واختلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء .

يا رسول الله ، اما حزني فسرمد ، واما ليلي فمسهد ، الى ان يختار الله لي دارك التي انت فيها مقيم . كمد مقيّح ، وهم مهيّج .
والى الله اشكو ، وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها .

لكل اجتماع من خليلين فرقة   وكل الذي دون الفراق قليل

وان افتقادي واحداً بعد واحد دليل على ان لا يدوم خليل

منزلتها

قال الربيع للمهدي :

ان شريكاً – يريد القاضي – مخالف لك وانه فاطمي ممعن .

قال المهدي علي به :

فلما دخل عليه قال له : يا شريك ! بلغني انك فاطمي !

قال له شريك : اعيذك بالله ان تكون غير فاطمي ، الا ان تعني فاطمة بنت كسرى .

قال : ولكني اعني فاطمة بنت محمد ﷺ .

قال : أفتلعنها يا امير المؤمنين ؟

قال : معاذ الله .

قال : فما تقول فيمن يلعنها ؟

قال : عليه لعنة الله .

قال : فالعن هذا – يعني الربيع فانه يلعنها .

قال الربيع : لا والله يا امير المؤمنين ما العنها .

قال له شريك : يا ماجن ! فما ذكرك لسيدة نساء العالمين ، وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال .

مبراتها

وقفت كل ما كانت تملكه من بساتين على بني هاشم ، وبني عبد المطلب . وجعلت النظر فيها والولاية عليها لعلي بن ابي طالب عليه السلام . ومن بعده للحسن والحسين ثم للاكبر فالاكبر .

كما اوصت لازواج النبي ﷺ لكل واحدة منهن باثنتي عشرة اوقية (والاوقية اربعون درهماً) ولنساء بني هاشم بمثل ذلك .

الخلاصة

لقد كانت فاطمة الزهراء المرأة الفاضلة ، والمثل الصالح ، يقتدى به في الوفاء والكرم ، وفي البلاغة وقوة الحجة وفي الصدق ، وفي الجرأة في الحق .

عارف النكدي

وقفة مع الزعماء والشعب (١)

بقلم : الشيخ حسين معتوق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد ـ « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

لقد خلق الله الإنسان فأبدع خلقه وصوره فأحسن صورته ونفخ فيه من روحه فتبارك الله احسن الخالقين ـ ولقد دلت الآية الكريمة على ان الإنسان هو المقصود من هذا العالم المخلوق وان ما عداه قد خُلق لأجله وسخر لمنافعه وخدمته كما تعرضت لجملة من انواع النعم التي انعم الله بها عليه ـ والذي يعنينا من البحث فيها جهة خاصة وناحية مخصوصة ـ وهي انه لماذا استحق هذا التكريم ولقاء اي شيء استوجب هذا التفضيل ـ ألأنه طويل القامة او عريض الجسم او قوي البدن كلا لا هذا ولا ذاك ، فغيره من الحيوانات اعظم منه جسماً واقوى منه بدناً ـ وانما استحق التكريم واستوجب التفضيل على غيره بذلك السر المكنون وهو العقل ـ ولئن غاب عنا جوهره فقد دل عليه اثره ـ وهو بهذا العقل صار انساناً ولولاه لكان شبحاً ماثلا يحمل صورة انسان .

لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الإنسان

وهذا العقل هو دليل الإنسان الى خالقه وهو البرهان الأول على لزوم طاعته وقد منحه اياه ليقوم بشكر نعمته ويمتلىء قلبه بمحبته ويعبده حق عبادته فإذا أطاع الله كان مستعملا لعقله واذا لم يطع الله وكان من الكافرين بنعمه لم يكن مستعملا لعقله ، وفي هذا الدور يفقد انسانيته اذ لا نريد من الإنسان ـ الانسان الذي عرّفه المناطقة بأنه حيوان ناطق وانما نريد منه الانسان الكامل الذي عرف الله وآمن به ايماناً صحيحاً وظهرت آثار ايمانه في نفسه وفي معاملته مع غيره ـ .

---

(١) القيت في الاحتفال الاسبوعي الذي اقيم في صير الغربية لشباب آل معتوق الذين لقوا حتفهم بحادث سيارة وكان اسبوعاً حافلا بالعلماء والزعماء وسائر طبقات الشعب .

وان من الصعب على الانسان ان يعتدل في هذه الحياة ويسير فيها على نظام مستقيم ما لم يعرف نفسه ـ اولا ـ ويعرف الغاية التي من اجلها خلق ـ ثانياً ـ ويحدد منزلته من هذا العالم ـ ثالثاً ـ واذا تأمل يسيراً عرف انه مملوك لله تعالى وان ما عداه من المخلوقات الكونية قد سخر لمنفعته وخدمته : «الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار» ــ فاذا تأمل في نفسه وفيما حوله عرف أنه ليس له حق التصرف في نفسه فيما يستوجب الخروج عن طاعة الله ويؤدي الى عبادة غير الله فان من الخيانة ان يستعمل تلك المواهب التي اودعت فيه في غير ما خُلقت له ــ ومن ان يتصرف في ملك غيره على خلاف ما يريده المالك ــ وان يعامل خلقه على غير ما يجب ــ لأن الحياة التي يريدها لعباده يجب ان تتجلى فيها روح التآخي والتعاون فان الدين لم ينظر اليه نظرة منقطعة الصلة عن مجتمعه بل نظر اليه نظرتين نظرة يتعاهد بها امر نفسه فيحفظ لها الاعتدال والتوازن ــ ونظرة يتعاهد بها امر غيره فيرعاه بما يرعى نفسه حتى اذا سلك طريقاً تؤدي به الى البغي والاعتداء كان على الآخرين محاسبته ــ فموقف الانسان في هذه الحياة موقف الرقيب ــ ومقامه فيها مقام المنفّذ العادل لا المستبد الجائر .

فلا بد لمن يريد الاحتفاظ بانسانيته ان يسلم قيادة نفسه الى الدين ــ والدين يصوغها وفق تعاليمه **فيجعلها** مصدر خير ، ومثال كمال ، وعنوان رحمة ، ويبتعد بها عن مظاهر الكبر والانتقام والاعتداء والدين اذا تحكم في سير الانسان لا بد ان تشيع خصال الخير بين افراد المجتمع ــ وحيث يتحكم الهوى لا بد ان تثور غرائز الشر فيه ــ وغريزة الشر قديمة في دنيا الناس فاذا لم تجد حاجزاً يصدها ووازعاً يردعها ــ جرى الانسان مع الهوى بسرعة ونشاط ولا يفهم من الحياة الا الجشع والاستئثار والنفوذ والسيطرة .

ومن هنا نعرف السر في تغير الحياة في هذه البلاد التي كانت الحياة فيها الى الأمس القريب حياة خير واطمئنان ــ حياة يسودها الحب والصفاء وتشع فيها روح الثقة بين الأفراد والجماعات وكان اهلها ينعمون بذلك الجو الروحي فيشعر الفرد منهم من حيث يريد او لا يريد انه يعيش لنفسه ولغيره لأنه كان يقوم على رعاية اهلها رجال الدين **الذين** لا يحملون الا الخير لأنفسهم وللناس اجمعين .

ولما بعدوا عن الدين وتنكروا لرجاله المصلحين وساروا في ركاب اناس لا تهمهم الا

مصالحهم ولا يقيمون للدين وزناً ولا يتصلون بهذا الشعب الا على اساس المنافع الخاصة ـ انقلبت الآية في هذه البلاد واصبحت الحياة فيها حياة قلق واضطراب ،حياة تقاطع وتدابر وتخاصم وتناحر حتى انعدمت تلك الروح الخيرة من النفوس وصار الفرد منهم لا تهمه الا مصلحته وان اضرت بمصلحة الآخرين .والمجتمع انما يسود فيه الخير وينتظم فيه العدل ويعلو فيه صوت الحق اذا كان يقوم على رعايته اناس يحترمون الحق ويقدسون العدل ـ اما اذا قام على رعايته قوم لا يقدسون الحق ولا يتورعون عن ارتكاب ما يمس بكرامة الحق ولا يترددون في التنكر لمصلحة هذا الشعب اذا اصطدمت بمصلحتهم الخاصة ـ فهو مجتمع لابد ان يعلو فيه صوت الباطل ويغيب فيه صوت الحق وينتشر فيه الظلم والاستبداد وتصير الصلة بين افراده صلةاستغلال واستئثار بعدما كانت صلة تعاون وايثار . لقد ابتعد هذاالشعب عن الدين ومشى في ركاب اناس قد تنكروا لهذا الدين استعلاء عليه واستكباراً على أهله ـ وهم انما يتنكرون له خوفاً من الفضيحة على انفسهم ـ لانه يدينهم ـ وكان من جراء ذلك ان انقسم هذا الشعب على نفسه واشتغل بالتخاصم والتناحر مع جاره اوقريبه امتثالا لامرزعيمه الذي مهد له السبيل الى ذلك ـ ولو كان عند هذا الشعب تقدير للحق لبقي في جنب اهل الحق ووقف من هؤلاء موقف المجانب لا بل موقف المحارب ـ لأن الحق يفرض على اهله نصرته ـ ونصرته انما تكون بمحاربته من يصد عن سبيله .

ـ واني لأقول لهذا الشعب ـ على مسمع من حضرات النواب المحترمين ـ بأننا نحن الزعماء لا هؤلاء ـ لأن زعامتنا من صنع السماء لا من صنع الأرض ـ وما يكون من صنع السماء لا يخضع للباطل ولا يلين للأهواء والشهوات ـ ولذلك ليس لرجل الدين ان يخلد الى الارض الا في حدود رسالته ـ ورسالته تأبى عليه ان ينغمس في حزبية الزعماء ـ فاذا انحط الى هذا المستوى ـ فقد لوث رسالته وصار رجل دنيا لا رجل دين ـ لأن منطق الدين يقضي بمحاربة الظالم والكاذب وكل مفسد في الأرض ولو كان من اقرب الناس اليه ـ « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم الخ ـ ومنطق الزعيم يقضي بمناصرة الظالم والكاذب اذا كان من حزبه ومحاربة المؤمن الطيب اذا لم يكن من حزبه .

ـ وانه ليؤسفني كثيراً ـ ان ارى بعض المنتمين الى العلم منغمساً في الحزبية فجعل من العلم وسيلة للارتزاق والتمرغ على اعتاب الزعماء وهؤلاء لا نقول فيهم شيئاً بل نترك القول فيهم للامام الصادق عليه السلام حيث قال فيهم هؤلاء قد طلبوا العلم لغير الدين وتعلموه لغير

العمل واستعملوه لغير الآخرة .

ان الحق يفرض نفسه ويفرض على اهله ان يقفوا الى جانبه ـ ليقولوا كلمة الحق من دون خوف او وجل وليس كل من عرف الحق ملك التذكير به ـ وانما يملك التذكير به من يطلق نفسه من قيود الرهبة او الرغبة ـ قلت مرة لشيخ يقضي باسم جعفر الصادق عليه السلام أتقدم فلاناً على فلان وهو من قد عرفت فضلا ودينا ـ فأجاب ان الامر كما تقول ـ ولكن فلاناً البيك هكذا يريد واخيراً كان الأمر كما أراد ـ البيك ـ وهذا لا غيره هو الذي اطمع فينا الزعماء وراموا منا الوقوف الى جانبهم حتى اذا تمنع احدنا عن الاسفاف الى هذا المستوى وفاء لدينه واحتفاظاً برسالته ـ امعنوا في محاربته ـ ولقد حاربتني عصابة من قومي عن طريق هذه الحزبية ـ عندما حاولت القيام ببعض الامور الاصلاحية في هذا البلد في حين اني لم أقم الا بوجه الظلم والاعتداء والاصلاح ليس من مصلحة زعيم دون زعيم وانما هو رسالة الانسانية جمعاء ـ ولكن الاصلاح اذا لم يلتق مع حزبيتهم كان من الافساد في الارض فتجب لذلك محاربة كل حركة تهدف الى الاصلاح او تتضمن الدعوة الى الحق لانها لا تلتقي مع حزبيتهم المقدسة : لقد كنت كارهاً لهذا الموقف لولا ان هذه الاوضاع الفاسدة التي جرّت علينا البلاء هي التي أحرجتني فأخرجتني الى الخوض في هذا اللون من الحديث الذي لا يروق لاكثر الحاضرين ولا يحبون ان يسمعوه وماذا علي اذا أرضيت الله بسخط هؤلاء وهم لا يرضون الا اذا رضي زعيمهم ـ وكم كنت اتمنى ان يلتقي رضى الله مع رضى زعيمهم ولكنه لا يلتقي الا اذا التقى الحق مع الباطل ـ وهذه هي يدي امدها لاي زعيم يمد لنا يد الاخلاص والوفاء والنصيحة ـ اما اذا اراد ان يمد لنا يد الغدر والخيانة فالدين يُلزمنا بمحاربته ـ « قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير » .

فهل تطمعون منا ـ بعد ان نسمع هذا التهديد من الله سبحانه ـ ان نهبط الى مستوى حزبيتكم التي ـ تهالكتم عليها وحاربتم الدين وأهل الدين لاجلها ـ نحن ما اقمنا في النجف وجاورنا امام الحق فيها لنتعرف في هذه البلاد على غير الحق ـ ولو عرف هؤلاء الحق لعرفوا أهله ولكنهم جهلوه فجهلوا اهله :

فليتهم اذ لم يكونوا خُلقوا مهذبين عرفوا المهذبا

ولو اننا اعتصمنا برسالتنا واحتفظنا بكرامتنا ـ لخضع لنا كل زعيم وانقاد الينا كل عظيم ولكانت الكلمة الاولى والاخيرة للعلماء ـ وقد قالوا قديماً ان الملوك حكام على الناس والعلماء

حكام على الملوك - وهؤلاء لو حكّموا فينا الملوك لهانت المصيبة ولكنهم يريدون منا ان نستسلم لإرادة زعيمهم النائب -- الذي توصل الى النيابة عن طريق الدراهم المعدودة التي يبذلها للمختار المحترم (١) ليشتري بها ضمائر الناس -- او عن طريق السفارات التي تفرض وجودد على هذا الشعب البائس :

فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

هذا ولا يزال مراجع النجف - اعزهم الله تعالى يترفعون عن زيارة الملوك - اذا جاؤوا لزيارة النجف بل انهم يترفعون عن الاجتماع بهم في الحرم العلوي الشريف - الا اذا فرضت المصلحة - العامة عليهم ذلك .

وكثيراً ما شاهدنا سيدنا **المرجع** الاعلى - السيد الحكيم - يرفض الاجتماع بملوك العراق يوم ان كنا وبعد ان رجعنا - **وموقفه** بالامس القريب من الحكام البعثيين كموقفه من قبل من الحكام الشيوعيين قد عرفه كل أحد فقد قال فيهم كلمته الاخيرة التي دكت عروشهم وازالتها من الوجود الى غير رجعة .

واليك منه هذا الموقف الذي يمثل لك العظمة وبُعد النظر في الامور : زار المرحوم احمد بك الأسعد النجف يوم ان كنا فيها فبُذلت مساع غير مشكورة لزيارة المراجع له فزاره بعض المراجع الا السيد فقلت للسيد أفلا تزوره كما زاره غيركم قال لا - ثم اردف قائلا - انما امتنع عن زيارته ملاحظة لكم إذا رجعتم الى بلادكم لان آل الاسعد قد عودوا انفسهم ان يقفوا على أبواب العلماء ولم يحوجوا العلماء لان يقفوا على أبوابهم فإذا زرته الآن وأنا بهذا العنوان أنتظر منكم (٢) غداً أن تقفوا على بابه صباحاً ومساء -- وكانت عاقبة هذا السمو والترفع من السيد -- أن بدأ احمد بك بزيارة السيد قبل أن يرد الزيارة الى من زاره - وهؤلاء العظماء الذين يمثلون عظمة الدين بحق - انما يفعلون ذلك اقتداء بإمامهم الصادق عليه السلام

البقية على الصفحة ٦٢٥

(١) لقد اصبح المختار كل شيء في هذه البلاد حتى صار بمنزلة الحاكم بأمره - ويكفي شاهداً على مانقول ان - المختار - في هذا البلد وهو من آل معتوق طبعاً حاربنا مدة سنتين عندما عارضناه في تسلطه على الضعفاء لانهم لا يأتمرون بأمره وما استراح هذا البلد حتى اراحنا منه وذهب الى غير رجعة .

(٢) لعلهم اصبحوا الآن ينتظرون منا الوقوف على ابوابهم بعد ان صارت بيوتهم بمنزلة - الكعبة - ولكن ينبغي ان يعلم من يهمه الامر - ان الله قد اكتفى من عباده بالسعي الى بيتـه والطواف من حوله مرة في العمر لمن استطاع الى ذلك سبيلا - وقد بلغني ان بعض الزعماء عاتب علي لاني لم ازره وما وجدت تفسيراً لهذا التعقيب الا زيارة غيري له .

لخلودك يا صيدون

بقلم عبدالله خيمه

بين جبيل وصيدا تزاحم على الأقدمية ... هناك من يقول ان جبيلاهي الاقدم ، وهناك من يؤكد على أن صيدا سبقتها الى الظهور ، ونكتفي نحن بالقول : ان المدينتين لنا ، ولنا ما تناقل الرواة عن أمجادهما من أحاديث عبر الأجيال والعصور .

صيدون ... ربة العرش الأول على هذا الشاطىء الأسطوري ، أتصورهافي أوج عظمتها تبني السفينة الاولى من خشب الأرز ، وتبعث بحارتها المغاوير الى دنياوات المجهول، ليعودوا بما يغذي طموحها الى رفاهية العيش ، وبما كان الحجر الأساسي في البناء الشامخ الذي أقامه ذلك الطموح لعظمة الإنسان .

خلال اربعمئة سنة من عمرها حملت مدينتنا الأم تلك عبء المجد ، وأدت رسالة قومها على الوجه الاكمل ، وتعبت ... أتعبها النضال في ميادين السلم والحرب ، حيث سواعد أبنائها تشق للحضارة طرقاً ، وتصد الطامعين بخيراتها ومقومات حضارتها من غزاة الشرق والغرب .

ولشقيقتها صور تنازلت عن عرشها ، تنازلت عن العرش ولم تتخل عن العرش ، فهي دونه بعبقريتها وبطولتها وتضحياتها ، الى ان كانت النكبة الكبرى والاخيرة ، تلك التي روّعت الدنيا ولم تروّع الصيدونيين ، لان الدنيا فيها نهاية وجود مدينة ، ورأى الصيدونيون فيها على العكس استمرار وجود امة .

كان ذلك في العهد الفارسي .

في ذلك العهد بسط ملوك فارس سلطانهم على بلاد الشرق الأدنى ، ورأوا ان يفيدوا من مهارة الفينيقيين وخبرتهم في الصناعة والملاحة فأمّنوهم ، ومنحوهم من الامتيازات السياسية ما لم يمنحوا سواهم ، فأخلص هؤلاء لهم الاخلاص كله ، وساعدوهم خير مساعدة بأسطولهم الذي كان آنذاك اعظم اسطول في الدنيا .

وأحب دارا صيدون ... أحبها وابتني قصراً في إحدى اجمل جناتها ، وكان يُجلس

ملكها عن يمينه وملك صور عن يساره في الاحتفالات والمواسم ، ولم يكن يتعرض لسلطة هذين الملكين ، ولا لسلطة أي ملك آخر من ملوك الفينيقيين ، بل تركهم جميعاً حق التصرف في الحكم ، وحرية الاجتماع المشترك للتداول في شؤون ممالكهم .

وخلف دارا على العرش ابنه احشورش ، واشتهر هذا بحروبه مع اليونان ... وكان الفينيقيون في هذه الحروب الى جانبه ، فراحوا يغزون الجزر والموانىء اليونانية بأساطيلهم ، ويفتحونها له الواحدة بعد الاخرى ، حتى بسط سلطانه على شواطىء آسيا الصغرى وجزر الارخبيل كلها .

وروى هيرودوت ـ المؤرخ اليوناني المشهور ـ ان سفن الفينيقيين بلغت في بعض المواقع الـ ٦٠٠ سفينة ، وكان طول الكثير منها يزيد على المئة ذراع ، وعلو بعضها خمس طبقات مشحونة بالذخائر والاسلحة .

وكان عهد الفرس في بدئه عهد أمان ورخاء ، وهذا ما جعل الفينيقيين يرتاحون اليه . حتى كان عهد ارتحشتا الثاني ، فإذا هو عهد ضعف ووهن وفساد وفوضى ، مما اثار الكثير من الاقطار الموالية للعرش الفارسي . وكانت صيدون في مقدمة تلك الاقطار .

وخلف ارتحشتا الثالث اباه ارتحشتا الثاني على العرش ، وكان جباراً شديد العزم والبطش ، ورأى في ثورة الصيدونيين حطاً من قدره . وهم من ضآلة العدد والشأن في نظره فاعتزم الزحف عليهم وابادتهم من الدنيا .

ولم تكن ابادة الصيدونيين سهلة ... وهذا ما جعله يحشد ٣٠٠ الف مقاتل لمحاربتهم ، ومن المقابلة بين هذا العدد الضخم من مقاتليه ، وما كان بوسع مملكة صغرى كصيدون ان تجمع من بنيها للقائه ، يتبين الى اي حد كان عتاة ذلك الزمن يقدّرون بسالة محاربي مملكتنا الصغرى هذه .

وحاصر ارتحشتا الثالث صيدون ... حاصرها بمجموع قواته وغضبه وحقده .. ورأى عقلاء المدينة ان يتقوا الشر بالحكمة ، فألّفوا وفداً قوامه ٥٠٠ مئة عين ، وبعثوه الى الطاغية الفارسي يناشده الأمان ... ولكن ارتحشتا ابى الا ان يكون طاغية وجلاداً في آن واحد ، فأمر بقتل رجال الوفد جميعاً ، من غير ان يرعى حرمة الرسالة التي من اجلها جاءه هؤلاء الرجال بها .

واشتعلت صيدون غضباً ... اشتعلت بكل ما في صدور بنيها من نخوة ، ولم تبخل بكل

ما تملك لرد السفاح عن أسوارها ، حتى اذا لم يبق لها غير الوجود تضحي به ، على مذبح كبريائها وكرامتها ، هان عليها الاقدام على هذه التضحية .

وتنادى بنوها ... عنفوان الحيـاة على جبـاههم ، وقسوة العزم في عيونهم . ومن افواههم التي لم اتهاود مرة في قول الكلمة الفصل تتصاعد صرخة واحدة : « بيدنا لا بيـد السفاح » .

واذا صيدون كتلة نار ، منازلها ومصانعها ومتاجرها وسفنها ، وفي جحيم نارها يُشوى بنوها ، وبين ليلة وضحاها تتحول رماداً .

اللهم ، لمن ... لمن التضحية الكبرى ، تلك التي لو دخل السفاح الى اعماقه لوجدها في تلك الاعماق نصراً للضحية وخيبة له .

لقد ماتت صيدون لتبعث في شقيقتها صور حية ، وبخلود امها فينيقية تخلد .. ولا حياة ولا خلود لامة لا يغذي بنوها بالموت استمرار وجودها ، وبالموت الذي ماتته صيـدون استمرار الوجود والخلود !!

بيروت عبد الله حشيمة

عبد الملك بن مروان يخرج لقتال مصعب

كان عبد الملك بن مروان يوجه الى مصعب جيشاً بعد جيش فيهزمون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه أمر الناس فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما أراد الركوب قامت اليـه ام يزيد ابنه ـ وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية ـ فقالت : « يا امير المؤمنين ، لو اقمت وبعثت اليه لكان الرأي » .

فقال : ما الى ذلك من سبيل ، فلم تزل تمشي معه وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حشمها معها ، فلما علا الصوت رجع اليها عبد الملك فقال : وانت أيضاً ممن يبكي ! قاتل الله كثيّراً ، كأنه يرى يومنا هذا حيث يقول :

اذا ما اراد الغزو لم تثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها بالسكوت وخرج .

وشيجة الادب

بقلم وديع فلسطين

لعل أغلى وشيجة بين أقطار العروبة من المشارق الى المغارب والمهاجر هي وشيجة الأدب على إطلاقه ، او وشيجة الفكر على سعته . فقبل أن تنشأ بين هذه الأقطار مصالح أملتها اعتبارات السياسة او قضت بها اعتبارات الاقتصاد ، كان بينها رباط وثيق من وحدة الذوق الأدبي ومن التفاهم الفكري والتقارب الذهني .

ويرجع الفضل في إنشاء هذه العروة الأدبية الوثقى الى المتقدمين من حملة الاقلام . ادباء وكتاباً ، ناثرين وناظمين . وكان الكتاب العربي ، ولا يزال ، رسول مودة وتفاهم بين أطراف العالم العربي النائية والناتئة ، وما برحت نفثات أقلام الأدباء وثمار قرائح الشعراء ومحبّرات المشتغلين بالكتابة ، تخترق كل حاجز منيع عصي ، ولا تقيم وزناً للحواجز الجغرافية التقليدية او للتخوم الشكلية التي دعت اليها مقتضيات المجتمع الدولي في عالم اليوم .

وهذه الوشيجة الأدبية تراث يخلّفه جيل سالف لجيل تال ، لانها وشيجة تتسم بالصفاء الخالص والبرء من الشوائب ، لا يدعو اليها مطمع او تستهدف لمأرب . فهي صلة ينبغي ان نحرص عليها وندأب في تنميتها وتغذيتها حتى تبقى أبداً رائداً للعروبة وعاملا فعالا من عوامل وصل الارحام بين المفكرين وطلاب الثقافة والمتعة الادبية في كل صقع من اصقاع العالم العربي . ولكن دون ذلك عقبات ينبغي ازالتها كي تدين الريادة دائماً لوشيجة الادب .

واولى هذه العقبات عقبة تعدد اللهجات في الكلام المتداول في اقطار العروبة جميعاً فقد قضت الاوضاع الجغرافية المتباينة على مدار التاريخ بأن يتأثراللسان العربي الفصيح بلهجات غريبة تسللت اليه ، من بربرية وكردية وعجمية وتركية وانجلوسكسونية ولاتينية ، فأحدث ذلك تباعداً كبيراً بين أبناء الوطن العربي الواحد ، وصار التفاهم بغير اللسان الفصيح أمراً متعذراً بل مستحيلا . وقد استطاعت اللهجات العامية على مدى الاجيال ان تسري على الالسنة ، فأفلحت في إصابتها بالعوج . وصارت تألفها وتعتادها بل تؤثرها على الفصحى في الحديث اليومي المتداول .

ولقد كان من الجائز في أزمنة التأخر الفكري ان تُكتب للعامية المتداعية غلبة على الفصحى الرصينة . اما وقد صار العرب في عهد انعتاق فكري نجم عن انتشار الوعي الثقافي في ربوع ديارهم ، فقد بات من الواجب الحتم ان تُخلي العامية مكانها للغة الفصحى ، فهي لغة العلم واداته ، بينما العامية لغة الجهل وعُدّته . ومتى صارت الفصحى لغة تداول وتراسل وتفاهم انتعشت رابطة الادب بين انحاء العالم العربي ،وامكن دفع كثير من الاذى الذي يسببه تمتع العامية باليد العليا في الحياة اليومية .

وثمة عقبة ثانية تعترض سبيل وشيجة الادب . وهي عقبة توزع الجهود الادبية دون ان يكون بينها رابط . فالمشتغل بالفلسفة في القاهرة مثلا يصوغ من مصطلحات الفلسفة وتعبيراتها ما يختلف اختلافاً جوهرياً عن التعبيرات والمصطلحات الفلسفية التي يصوغها المشتغل بالفلسفة في بيروت او غيرها من حواضر العالم العربي . ومثل هذا يصدق على كل فرع من فروع المعرفة من علم بحت الى فنون الهندسة والآليات . الى الطب والصيدلة والاقرباذين ، الى الجغرافيا والطبيعة وعلوم النفس .

فهذه الجهود الموزعة تحتاج الى شيء من التنسيق حتى تستقيم لكل لفظة مدلولاتها ومعانيها وتستقر في الذهن العربي أياً كان موضع إقامة صاحبه . ولمجامع اللغة فضل كبير في هذا الباب لولا ان اعمالها تأخذ دائماً طابع البطء الشديد ، ولولا ان دائرة بحوث هذه المجامع تكاد تنحصر في أعضائها وهم نفر قليل . وحتى هذه المجامع ، على جلال مهمتها وخطر رسالتها ، توزع بدورها جهودها ولا توحّدها . وهذا قصور معيب ينبغي تداركه بالدعوة الى انشاء وحدة مجمعية تضم شمل المجامع العلمية جميعاً وتنتظم جهودها وتقرب بين وجهات نظرها وتوحّد المصطلحات في العلوم والفنون والمعارف جميعاً .

والادباء بدورهم في حاجة الى ان يؤلفوا في ما بينهم منتديات ادبية تعزيزاً لاواصر التعاون والتضافر والقربى بينهم ، ورفعاً للكلفة التي يسببها بُعد المزار وتنائي الديار . ومؤتمرات الادب فكرة طيبة ينبغي ان تتسع حلقاتها وتتعدد دوراتها ، فلا تقتصر تلك المؤتمرات على ذوي المناصب الذين يُختارون بحكم وظائفهم ، بل تفتح صدرها لكل أديب ومتأدب ومفكر يرغب في الإسهام فيها ولو بمجرد الحضور .

فلا ريب في ان في توحيد الجهود المشتتة وزيادة الإلفة بين حملة الاقلام ما يذكي وشيجة الادب ويزيد شعلتها اضطراماً على ترادف السنين .

ومن العقبات التي تعترض سبيل تلك الوشيجة انعدام التكافؤ في الاخذ والعطاء . فهناك

دول مصدّرة للادب . وهناك دول اخرى مستوردة له . ولكن التصدير والاستيراد لا يحفظان عدالة الميزان في ما بينهما . وقد نتج عن ذلك ان صارت البلدان المصدّرة للادب معتزلة عن البلدان الاخرى المستوردة له ، فلا تعرف عن تقدم الحركة الادبية فيها الا القليل ، ولا تتابع نشاط ادبائها الا عرضاً ، ولا تحاول تعرّف آرائهم واتجاهاتهم بل فتوحاتهم في الادب والحديث الا بشق النفس . وهكذا بات كثير من اعلام الكتّاب والشعراء في المعمور العربي في حاجة الى تعريف وتقديم لآثارهم ومفاخرهم الادبية مجهولة على الصعيد العربي .

فلا بد ، لكي تؤتي وشيجة الادب كل ثمارها ، من ان يكون الادب صادراً وواردأ في آن . وان يكون لتيار الادب اتجاهان ، احدهما منطلق الى العالم العربي الواسع ، والآخر مرتد الى كل قطر عربي على حدة ، واذا كانت هذه قاعدة مألوفة في شؤون التجارة والاقتصاد ، واذا كان اهل المال يصرون على حفظ التكافؤ بين تجارة الصادر وتجارة الوارد ، فلا بد للحركة الادبية بدورها من ان تأخذ بهذه القاعدة السليمة حتى يستشعر الادباء حقيقة الروابط الوثيقة التي تجمعهم ، وحتى يكون التعاون الادبي بينهم كثير الثمار متعدد الاصداء .

ويتعين ، تحقيقاً لهذا الهدف ، ان تجيء المبادأة من الناحية صاحبة الريادة . اي التي كان حظها حتى اليوم مقتصراً على إصدار الادب دون استيراده . ونحن القاهريين نتوق كل التوق الى رؤية المؤلفات الحديثة في الامصار العربية جميعاً وفي المهاجر ودور الاستشراق معروضة في المكتبات الى جوار الكتب المحلية . فرسالة الادب لا تكتمل الا بمثل هذا التعاون الذي يسهم فيه كل على قدر طاقته .

ومن المخاطر التي تتعرض لها هذه الوشيجة ان تحتكر الادب فئة معينة من الناس تضطلع بكل عبئه . وتصطنع لنفسها قوامة على الادب . وتسد المنافذ جميعاً امام كل من يحاول ان يضع لبنة في بناء الادب العربي الجديد المعاصر . فالادب الطليق النابع من سليقة خالصة هو الادب الصادق الذي ينبغي ان تنفتح امامه الابواب . والذي يسهم اسهاماً مقدوراً في تعزيز التعاون الادبي بين الناطقين بالضاد . فأبغض انواع الادب ما قام على مصانعة اونفاق واعذبه ما صدر عن إحساس صادق وما كان يستند الى موازين من الاصالة سديدة . وهنا يشارك النقد الادبي مشاركة فعالة بناءة في الحركة الادبية المعاصرة . فإذا صدر كتاب في المغرب الاقصى . كان له صدى في خليج العرب . واذا تغنى شاعر في صحراء الجزيرة . ردد

النيل رجع هذا الغناء . واذا طلعت دعوة ادبية جديدة من بين النهرين . تلقاها النقاد والادباء بالتحليل والدرس رجاء استخلاف ما فيها من فضائل تعود بخيرها على المجتمع الادبي العربي . واذا انشد شاعر من شعراء المهجر قصيدة صاغها في قالب من التجديد فريد . تناولها بالتقريظ والدرس جمهرة الادباء في المعمور العربي .

فالادب عالم رحيب اوسع من غيره من العوالم التي تنهض في وجهها السدود والقيود . وهو عالم طابعه التعاون وهدفه نشر الانبعاث الفكري ووسيلته المشاركة الحثيثة الدائبة الصادقة من كل مُنتمٍ اليه . وأداته اللغة الرصينة العريقة التي وصلت ما بين الارحام . ومسنده ذلك التراث العريض من المصنفات الادبية التي فاضت بها عبقرية العرب على توالي الاجيال والحقب .

واذا كنا نبدي على العلاقات المادية حرصاً نغلو فيه ونشتط . فأخلق بنا وأجدر ان نبدي مثل هذا الحرص ومزيداً منه على وشيجة الادب بل وشائجه طلباً للخير الفكري العميم . ولنتجنب كل ما من شأنه ان يُعيق الناطقين بالضاد عن بلوغ غاية الارب من وشيجة الادب .

القاهرة وديع فلسطين

وصار بدرا

رأيت البدر بين الناس يمشي	ونور البدر قد غشى العيونا
وقد مرت بهم حقب طوال	فما حسوا به الا ظنونا
وقد أشقاه بينهم ضياع	يكاد يورّث البدر الجنونا
وفكّر في الرحيل فحل افقاً	تحل به الكواكب حيث شينا
اذا جاء المساء جلا عليهم	جبيناً جل في الدنيا جبينا
فهبّوا يحتفون به جليلا	وقد عقدوا بروعته الجفونا
وغنّى في محافلهم رباب	سقاه البدر رقرقة ولينا

* * *

رأى الإنسان في الآفاق ما لم	يجده في اخوّته ثمينا
فلم يك في تطلعه معانا	ولم يك في تألقه معينا

الاسكندرية احمد محمود عرفة

الملك محمد اكبر خان طرفه
المغول في الهند

بقلم السيد حسن الامين

اذا كان ذكر المغول في البلاد الاسلامية يقترن بالتدمير والتقتيل والترويع ، واذا كان جداهم الاولان جنكيز وهولاكو قد ارتكبا من الاجرام ما يكبر عن الوصف .

اذا كان المغول القدامى قد فعلوا كل ذلك فغدوا علماً على الشر والويـل !.. فان من تسلسلوا من هذه الاصلاب كانوا على النقيض ، فغسل الاحفاد بمآثرهم بعض آثام الاجداد فأنشأوا في الهند امبراطورية اسلامية ، يعد الكثير من ادوارها غرة في جبين التاريخ .

ويعجبني في هذا المقام جملة للدكتور احمد محمود الساداتي مؤلف كتاب (تاريخ المسلمين في الهند) ، جملة قالها في مقدمة الكتاب المذكور ، وهو يتحدث عن مغول الهند : « هم من اصلاب المغول والترك الذين أنزلوا الخراب والدمار بكثير من بلدان العالم الاسلامي ، ثم ما غدوا ان انقلبوا بفعل الحضارة الاسلامية ودخولهم في الاسلام الى بنائين للمدنيات » .

واذا انطبق هذا القول عليهم بعامة فإنه انطباقاً على واحد منهم بخاصة ، هو « محمد اكبر خان ابو الفتح جلال الدين محمد » الذي ينتهي بالنسب الى تيمورلنك .

محمد اكبر يوطد اركانه

لم يرث محمد اكبر الملك ارثاً هيناً ، ولا فتح عينيه على البلهنية والطمأنينة بل على العكس من ذلك ، فقد وجد نفسه وهو في الرابعة عشرة من عمره على رأس مملكة محاطـة بأعداء أشداء يتربصون بها وبه الدوائر ، ولكن الله اتاح له وزيراً مجرباً حاذقاً هو الوزير (بيرم) الذي كان ركنه الوطيد في معركته الشاقة .

وكان اول ما فوجيء به اكبر ان القائد الافغاني (هيمو) غزا المملكة عام ١٥٥٦ وما زال يغزو حتى طرد اكبر من عاصمته (دهلي) وطارده الى البنجاب ، ولكن اكـبر عاد فاسترد العاصمة وهزم (هيمو) ثم عاد يناضل راجاوات الهندوس الاباة . ولكنه كان في نضاله لهم يقرن الوعيد بحسن الصنيع واستمالة القلوب ونيل المودة . حتى اذا استعصت هذه

كلها لجأ الى السيف ! الى ان استولى على (جفالبور) سنة ١٥٥٨ وعلى(اجمير)سنة١٥٦٠ وهاجم سنة ١٥٦٧ (رانا ميغار) ـ ولقب الرانا اكبر من لقب الراجا ـ فانهزم الرانا الى جبال آرافالي ، وترك قائده البطل (جاي مال) يدافع عن عاصمته ، فحاصرها اكبر بنفسه حتى افتتحها سنة١٥٦٨ .

ثم والى استصغاء المقاطعات الهندية واحدة بعد الاخرى حتى دانت له.

والى جانب المقاطعات الهندوسية كانت هناك المقاطعات الإسلامية التي ظلت منفصلة عن ملكه ، فعاد يناجزها حتى استطاع ان يضم اليه الممالك الإسلامية الهندية مملكة مملكة . ففي سنة ١٥٧٣ اسر شاه كجرات ، وساد مملكته . وفي سنة ١٥٨٠ استلحق البنغال . وفي سنة ١٥٨٦ كشمير وفي سنة ١٥٩٢ السند .

وظلت أمامه قوة كبرى هي قوة احمد ناغار في الركن الذي كانت تسانده فيها الملكة (شاندة) ، واستطاعت هذه المرأة ان تفعل ما عجز عنه الرجال ، استطاعت ان ترد اكبر عن مملكتها ، ولم يستطع ان يجتاح المملكة الا بعد موت الملكة سنة ١٦٠٠ .

وباستسلام احمد ناغار هرع بقية ملوك الركن مستسلمين طائعين ، وبهذا توطد ملك اكبر .

اصلاحات محمد اكبر

لم تطل المدة باكبر بعد هذا الفتح اكثر من خمس سنين ، اذ مات سنة ١٦٠٥ولكن بعد ان حلق في ضروب الإصلاح .

وكان اول ما بدأ به ان أنشأ المملكة على أسس حديثة لم تكن معروفة من قبل . فقد كانت الدولة قبله على ما هو سائد يومذاك من الفوضى والتسلط ، وكان السيف وحده هو حلال المشاكل ، فاذا بأكبر خان يقسم السلطات ويوزع الصلاحيات على ما هو معروف في هذا العصر . واذا راعينا الفارق في العصور نرى ان ما فعله يعتبر خطوة جبارة في الإصلاح فقد أنشأ منصباً سمى صاحبه (الوكيل) وهو ما يعادل اليوم رئيس الوزراء ، ثم كان هناك (الوزير) وهو ناظر المالية ، ثم (خان قانان) وهو ناظر الحربية ثم (الصدر) وهو ناظر العدلية ... الى غير ذلك من المناصب التي لم يكن للناس عهد بها .

بلغ عدد جيشه الدائم ١٤٠ الفاً مما لم يكن معهوداً من قبل ، كما ان ميزانية الدولة بلغت نحو ١٠٠ مليون جنيه ، وهذا شيء عظيم بالنسبة لذلك العصر .

محاربته الطائفية

على ان اعظم اصلاحات اكبر كان في إزالة الحزازات الطائفية التي كانت تتحكم بالهند محرم التمييز الطائفي ، وأعطى الهندوس جميع حقوق المواطن وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات ، وقربهم اليه ورفع ظلاماتهم ، وانتدب منهم للمناصب الرفيعة فشاركوا في حكم بلادهم كل المشاركة ، ومن أشهر من استعان بهم (بهاري مال) راجا آمير وولده (باخفان داس) وحفيده (بان سنيغ) والراجا (تودار مال) الذي ولاه نظارة المالية في ولاية البنغال .

ويروي المؤرخون الهنود انه لما مات هذا الراجا بكاه اكبر بكاء الأخ لأخيه .

على ان مؤرخي الأوربيين صنائع الإستعمار حين لم يستطيعوا ان يغمزوا من قناة محمد اكبر اصروا على نفث سمومهم ، فقالوا ان اكبر لم يبال بما يفرضه الإسلام من إهانة الكافر وإذلاله وامتهانه ، وانه فسخ تلك العادات ولم يعامل الهنود معاملة الغالب للمغلوب !

ولعل (رينه غروسه) صاحب تاريخ آسية كان اكثر هؤلاء المؤرخين دساً وغمزاً .

ونسي هؤلاء ان محمد اكبر حين كان يفعل ما يفعل انما كــان يستوحي روح الإسلام ومبادىء الإسلام ، فأية مبادىء كان يستوحي أقوام (غروسه) حين فعلوا ما فعلوه فيما استعمروه من بلاد !.

على ان اكبر وهو يسوي بين طوائف الهند ويحترم حقوق غير المسلمين وأديانهم ومذاهبهم لم يتساهل بما هو غير إنساني من تعاليم تلك الأديان . فقد حال بين البراهمة وبــين إحراق النساء اللاتي مات بعولتهن ، كما قضى على تقليد منع الأرامل من الزواج ، ولو مات زوج الواحدة منهن وهي في سن الحادية عشرة !..

ومن إصلاحاته الكبرى ان امر الجباة بأن لا يشتطوا في جباية الضرائب من الفلاحين بل يصبروا عليهم ، وإذا أمحلت الأرض في بعض السنين كان ينفق على الفلاحين من خزينة الدولة ، وفي الأعوام التي كان يحتبس فيها المطر فتعم المجاعات كان يهب لإسعاف الشعب بكل ما ملكت يداه .

وهذه الروح الإصلاحية التقدمية والمآثر الشعبية هي التي حملت المؤرخ الكونت (بوير) على القول : « ان اكبر لم يخلق اكبر منه في الشعور الحقيقي بالإنسانية » .

استنتاج دائرة المعارف الفرنسية

ومن عجيب الاستنتاجات ما استنتجته دائرة المعارف الفرنسية من تسامح محمد اكبر ،

اذ فسرت تسامحه بأنه ترك للاسلام !. فقالت انه وضع عقيدة جديدة اعتنقهـا وسماهـا (التوحيد الإلاهي) ثم استرسلت في شرح هذا الأمر شرحاً هو أقرب الى السخف والجهل منه الى اي شيء آخر !..

كما ان بعض المؤرخين الأوربيين رأوا في التعميم الذي أذاعه عام ١٩٥٣ والناصّ على ان كل من اجبر على الإسلام من الهنود في مدة أسلافه يمكنه الرجوع الى دينه رأوا في هذا التعميم مثل ما رأته دائرة المعارف الفرنسية ، ولكن بشكل آخر ، لا يختلف في جوهره عما قالته الدائرة !.

والحقيقة ان الرجل ولد مسلماً وظل مسلماً شيعياً حتى آخر لحظة من حياته ، ولكن جهل هؤلاء بحقيقة الإسلام وتسامحه يحملهم على ان يستنتجوا ما استنتجوه غير عارفين ان الإسلام هو الذي نادى : لا إكراه في الدين .

تقريبه العلماء

كان محمد اكبر الى جانب ذلك مثقفاً ثقافة عالية اكتسبها من خلطة العلماء ومعاشرته لهم فقد استدعى اليه الفقيه الكبير الشيخ فتح الشيرازي الذي كان قد نزح من ايران الى الهند وسكن في بيجايور ، فقربه اكبر اليه وجعله مستشاره ، كما قرب الشيخ ابو الفضل ، حتى لقد ألف له ابو الفضل تاريخاً سماه (الاكبري) منسوباً الى اسمه ، كما قرّب اخا الشيخ ابي الفضل الشيخ ابو الفيض ، وكان شاعراً كاتباً .

وبعض الذين أخذوا عن دائرة المعارف الفرنسية سموا هذا الأخير (ابو الفايز) ، والصحيح انه ابو الفيض ، ودائرة المعارف الفرنسية لم تكن تستطيع ان تنقل الضاد الى لغتها فجعلتها زاياً ، وجاء من العرب من نقلوا عنها فتحور ابو الفيض الى ابي الفايز !.

وهذان الشيخان هما ولدا الشيخ مبارك بن خضر ، وكان ابوهما قبلهما من أقرب المقربين الى اكبر (١) .

ومن انصراف اكبر الى التثقف والاستزادة من العلم ، انه درس البوذية دراسة عميقة ، ويروي المؤرخون انه كان يجل بوذا ويحترمه . وكذلك امر من ترجم له الإنجيل الى الفارسية ليدرسه ، كما ترجمت له بأمره كتب البراهمة : الفيدا ، والرامياته ، والماهباراته ، وسائر اصول الفلسفة الهندية .

ويروي المؤرخون انه كان يقضي ساعات طويلة من الليل يستفسر البراهمي العظيم «دابي»

(١) راجع تراجم الثلاثة في كتاب (اعيان الشيعة) .

احد اعلام الحكمة الهندية عن عقائد « تريمورتي » .

كما يروي (رينه غروسه) انه استقدم من كجرات الموندان (اردجير) ليعلمه كتاب (آفستا) .

وفي عهد اكبر قامت لغة (اوردو) التي تسود اليوم في كثير من مناطق الباكستان والهند والتي تكتب بالحروف العربية وتتألف بأكثريتها من اللغات العربية والفارسية والتركية وبعض اللغات الهندية . واللغات الثلاث الاولى كانت معروفة في الهند ، فاللغة العربية لغة الدين ، واللغة التركية لغة الاسرة المغولية ، واللغة الفارسية لغة البلاط والدولة .

هل كان مع ذلك امياً ؟

على ان من أعجب ما قالته دائرة المعارف الفرنسية هو ان اكبر كان امياً ، ثم اعقبت هذا بقولها : ولعل اكبر آثر التعلم بالمشافهة والكلمة الحية ! .

بيروت حسن الأمين

هروب

أتهرب مني وانت المقيء واجدر بي منك ان اهربَ

وما كنت لولا حياء الكريم لأجلس في جانبي غيهبا

سواد بوجهك لا ينجلي وسوء بنفسك لن يـذهبا

ورائحة فيك لو قرّبت الى جمل لارتخـى او كبا

وجدب بكفك لو لامست جوانبه البحر لانتضبا

وفأفأة من فم حلو مرير .. على العمر لن يعذبا

وجسم ترعرع في غابـة من الرجس تأنف منه الصبا

ورأس كرأس جموح البغال استساغ الوحول له مشربا

وعقل أفاء عليه الغرور ظلالا أخف مداها وبا

ومال تجمع في أنمل من الفتح توشك ان ترعبا

تخاف انتفاخاً ولو هزها بك الموت لاستموتت مهربا

أتهرب يا دمية شابهت بزاحف خطواتها عقربا

حرام علي جلوسي اليك ولو كنت وحدك لي مطلبا

ومهما يلج علي الزمان فأولى بمثلي ان يهربا

سعيد فياض

مشاهداتي في محافظات

السويداء ؛ واللاذقية ؛ والموصل النخبة الواعية

بقلم : محمد علي الزعبي

النخبة في دور التفكير ـ عبرة النخبة من عهد الإنتداب ـ النخبة في دور الدراسة المقارنة ـ النخبة وفتنة الظاهر والباطن ـ النخبة تشخص الداء وتعثر على الدواء ـ النخبة بدور التنفيذ ـ مشاعر هذه النخبة وطليعتها

النخبة في دور التفكير

هذه النخبة ليست جمعية تتعارف بالرموز والأسرار ، اوحزباً يضمه سجل وشعار ، بل فتية من رأى واحداً منهم فكأنما رأى الكل . تعارفوا وتفاهموا رغم تباعد الديار ، (سورية والعراق) وتباين اللغات (العربية ، الكردية ، التركية ، الفارسية) ورأوا من شاطرهم التصميم والهدف عضواً ، شعر بذلك اولم يشعر .

آمنوا بقدرة أمتهم على التحرر من أغلال فكرية ، رسفت بحديدها قروناً ، وصمموا على نشر قومهم من أجداث رقدوا في طباقها أجيالا ، وأعدوا عواتقهم لحمل تبعات المستقبل الجسام .

فرحوا بجهود جامعتي الإسلام العريقتين . وعينيه المبصرتين . وجناحيه السليمتين . (الأزهر والنجف) . ورأوهما يقومان بجزء من مليون من واجبهما . تجاه الأحزاب والجمعيات التي غفلا عنها . فخالت نفسها فرقاً ومذاهب . وتمنوا لو تفقدا جميع الذين نشدهم بهما الوشائج الاصيلة . ونادیا في اوساطهم : (كان الاسلام ولا شيء معه) .

راعهم رؤية غفلتنا . فعالجوا بيد الحكمة . والتمسوا العذر لمن استجاب صوت غريزة الدفاع ، استجابة معكوسة . فدافع عن الشمعة الخافتة . لانها مورثة . وأغلق بابه دون

اشعة الشمس . التي اشرقت على جذوره . ورآها دخيلة !!

لم يخفهم ان الدراسة المشفوعة بالمقارنة والترجيح . ليست موفورة ـ حتى بهذاالعصر ـ الا لمن تبتل لبحثها وعاش لخدمتها .

أدركوا ان المعاول المرتجلة او المنحرفة . المصممة على الهدم . التي حفرت فجوة بين القلوب . قد زالت . وان البواعث التي دفعت قدّاحاً والجنبلاني وابن كلس ، والانكشارية الذين أصبحوا بعهد الإنحطاط شيوخ طرق صوفية . قد كشفت وفضحت .

لم يروا في أوساطهم فرقاً دينية بل أحزابا سياسية وجمعيات سرية . حافظت على الطابع الحزبي . واحاطته برموز تعارف . وعهود ومواثيق . ودستور مختوم مكتوم . ولكن منطق القرون التي اجتازتها تلك الاحزاب . او الجمعيات السرية . اضاف للدساتير المخطوطة شروحا . واضفى عليها ثوبا دينيا . واحاطها بتفاسير تجافي الواقع .

ولم تسلم تلك الاحزاب او الجمعيات . من جمهور جاهل . من اخوانها غير المتطرفين يذكر بكلمة (وبغض ذوي القربى أشد مرارة) . ما زال يحرجها حتى كاد (يخرجها) وحملها على رؤية الحزب او الجمعية فرقة دينية . او مذهبا من دين . او دينا مستقلا !!

ودّعوا موجة الجهل والامية . التي جرفتنا قرونا . وحلقوا بأجنحة الفكر . ودعوا (بالتي هي أحسن) جمهوراً في أوساطهم . كيفته يد التلقين البيتي . فشب وشاخ طفلا في عقائده وتقاليده . محنّطا في نواويس الاجداد القابعين في أغوار العصور الهابطة .

تدرعوا قانون (بقاء الاصلح) ونادوا بوجوب التأويل (إعادة الشيء لاوله) ففازوا بحلبة السباق . وأشرفوا على ربح الجولة الاخيرة . ورفعوا راية المفاهيم السليمة . التي ارتفعت في ديارهم . قبل ان تغزوها يد التفسير المتكلف .

عبرة النخبة من عهد الانتداب

هذه النخبة كنزنا الثمين . ورصيد وثبتنا . ومصباح ظلمتنا . وسواد عيننا وبيت قصيدنا لقد أخذت من الدهر عبرة ، ومن الزمن حكمة ، وما كادت ترى الفرنسيين . يبترون من الجسم السوري لوائي السويداء واللاذقية . بحجة ما دعوه عدم الإنسجام العقائدي . والإنكليز يرون انسجام الموصل وكركوك . مع العراق مستحيلا . لوجود ما زعموه تغايراً عقائدياً وقومياً .

ما كادت ترى هذا . حتى (راحت السكرة وجاءت الفكرة) . وشاهدت المستعمر على حقيقته . يبارك المفاهيم التي تشق الشمل . ويؤجج نارها . ويسفح عليها سائلا محرقاً .

ويبعث قوميات ميتة . ليواري قومية تنبض بالحياة . ويبتر من الجسم أعضاء ليدفعها . هاوية التعفن والزوال .

النخبة في دور الدراسة المقارنة

عززت هذه النخبة . ثقافتها المنطلقة الواسعة . باطلاع عميق رصين . على الطوارىء التي اعترت فكرنا العقائدي . بعصر التطاحن السياسي . وتحققت أن ما تشاهده الآن فرقاً دينية . ليست في الأصل الا جمعيات سرية . او احزاباً سياسية . وليست الكتب المخطوطة . المحاطة للآن بسور من الكتمان (في ما يبدو للناس) . الا دستور حزب . او نظام جمعية لم يفز بالترخيص !! وقد ارتدى ثوباً دينياً . استجابة لمنطق العصور . التي ولد وشب بها .

ولذا استطاعت هذه النخبة ـ بعد مقارنة ما لديها من مخطوطات بالأصل الذي ولدت وشبت معزوة له وبعد مقارنتها بالفكر القديم ـ استطاعت ان تدرك الفرق :

١ ـ بين الوحدانية المطلقة المنزهة التي يأنس بها العقل ويحالفها القلب والوحدانية المتعددة المجسدة المتناقضة المتغايره التي تذكرنا بالإنسان الطفل والتي ما زالت كالماء يتغير بتغير الاناء حتى اصبحنا نراها تارة تتجسد يزيد بن معاوية وتارة نراها تتجلى في (المعلّ) الجمّال السوري وتارة تحل او تفيض على من سبقهما او تلاهما من الذين خلع عليهم مؤسسو الاحزاب القديمة كالاسماعيلية او الحديثة كالبهائية أثواب (حلول تجسد، تجلي، انبثاق، فيض اشراق ، عقل كلي، نفس كلية ...) وما الى ذلك من رواسب الافلوطينية الحديثة .

لقد رأت طفيليات الفكر القديم تعيش بأسماء جديدة ورأت ما بين يديها من مخطوطات ينحاز لفريق سياسي دون فريق فانحياز قوم للأمويين مثلا دفعهم لتأليه يزيد وانحياز قوم للفاطميين دفعهم لنظرية التجلي ..

نعم رأت هذا فنفذت بصيرتها لثنايا علل الحوادث ودوافع التأليه والانحياز وجزمت بأن تأليه الملوك والعظماء غايات سياسية موقتة واستهلاك محلي ضيق احيط بتفاسير ملتوية ولكن خلعت عليه يد الأزمنة بيد الاستمرار والتحدي وغريزة الدفاع المعكوس ثوباً من تقديس وفات هذه الاجيال ـ او جلها ـ انه في الاصل دعم لعروش او تنفيذ لخطط شعوبية مبيتة مدروسة !

٢ ـ بين ما قيل لغاية موقتة ، ولم يثمر الا الضعف والتفرقة والتفكك محاولا تلمّس الدليل تارة من بقايا الحرانية الصابئية او اليونانية الفيثاغورية او المجوسية المانوية كفلسفة

الاعداد والحروف والطلاسم وتأثير الافلاك وتارة من التآويل الجافة التي تنازع قواعد اللغة وتضاد العقل وتحترب مع المنطق وتصول حتى على البدهيات واليقينيات كأركان الاسلام العملية التي لا مساغ للاجتهاد والتأويل في معرضها .

وبين النصوص القطعية المشتملة على الانظمة الراسخة التي لا يختلف اثنان بقدرتها على الاستمرار والتطور المدعمة بتفاسير يعضدها التواتر العملي والعقل واللغة والقرائن القاطعة . ويحالفها المنطق والانسجام مع الواقع . وافعال المشرّع الاول (خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه .

النخبة وفتنة الظاهر والباطن

رأت هذه النخبة ببصيرة ثقافتها اعناق عبّاد العروش والتيجان والالقاب ومن شايعهم او عاش على فتاة موائدهم ورضي الحياة بطانة لهم لم تتطاول وتتنافس لخدمة المصلحة العامة (وفي رأسها خدمة جوهر الاسلام) وتنقيته من الفريقين الخطرين اللذين حذر منهما الامام علي بن ابي طالب «ع» بقوله (عدو قال وصديق مغال) .

بل تنافست حول العروش والعاجلة ولذا خلا الجو لذوي النيات المبيتة من اليهود والمجوس والصابئة والشعوبيين المتوارين بطيلسان الاسلام ودرس العربية فأخذوا يغتنمون فرصة ليل الملوك ويفرحون بتفريطهم وانتطاحهم ويصولون على تفاسير النصوص القطعية صولة الذئاب على قطيع نام رعاته والثعالب على كرم فرّط حرّاسه .

في رأس هؤلاء مؤسسو الطرق الصوفية المنحرفة كالجنبلاني ورافعو رايات الباطنية كقدّاح ومحيلو المؤسسات العسكرية حلقات صوفية كالقزلباش .

رأت النخبة الواعية هذا وشاهدت اثره في العقلية المعاصرة فتذكرت كلمة (الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون) وراعها ثغرة الظاهر والباطن التي جعلت من امتنا امماً ورمتنا بتآويل ما لبث مر الغداة وكر العشي ان اضافا لها شروحاً وتعاليق ومخطوطات ودثرها بثوب دين احاطه الدهاء الباطني بسور من الكتمان واوصد دونه الابواب والمسالك .

اجل رأت النخبة هذا فربأت بنفسها ان تقيم بدائرة عقائدية قائمة على زاوية الظاهر والباطن التي تستغيث فلا تجد المدد الا في الروايات الفطيرة الهزيلة والاستنتاجات البعيدة . والمعاني المضحكة المبكية التي تحيل الدواء المجرب داءاً وتهدم البيت بمعول احترام قواعده .

النخبة تشخص الداء وتعثر على الدواء

استعرضت هذه النخبة موضوع (الفرق الاسلامية) استعراض الطبيب الماهر المخلص

ورأت اثر الذين عالجوه قديماً كالنوبختي والبغدادي وابن حزم وابن تيمية او حديثاً كعبد الرحيم العمادي وتمنت لو حمل راية خدمته الآن قوم يشاطرون المخلصين اخلاصهم ويغايرونهم اسلوباً وطريقاً وينشدون مع ابي الخير القوّاس :

طال عهد الشقاق والحقد فينـا فلنجرب عهد الوفاق قليلا

استعرضت هذا وشرعت تعيد ما تراه في اوساطها مرتدياً ثوب دين لاصوله ومصادره وترى نفسيات راسمي خطوطه العريضة ــ كالجنبلاني المجوسي وابن كلس اليهودي وقداح البوني . . . ــ من خلال سطوره وتعلم ان ظرفاً بعينه دعا الاسلاف لتبني بعض التركة الخرانية ــ اليونانية ــ المانوية ثم ذهب الظرف واصبح استمرار ما تبناه باهتاً اذ زالت الاسباب التي حملت على تبنيه .

نعم عرفت ــ النخبة الواعية ــ جرثوم الداء متجسداً في غفلة الملوك وصولة الباطنيـة وجهدت للظفر بدرع واق يدرأ الخطر ودواء ناجع يحفظ الكيان ويجدد الشباب .

وقد ظفرت بالدواء كامناً بالأصل المعصوم مرجع وعمدة جميع الذين تشدهم الوشائـج بالاسلام اذ هو وحده يربط للقلوب ويدفع لاستئناف المجد .

ظفرت وتحققت ان الاهتداء به زيادة في الهدى والخوض وراء المعاني البعيدة البعيـدة يحول بين طلب الهداية وتلمس الهدى . وطالما جلست الى هذه النخبة . في ديار متعددة . نتدارس الخطبة رقم ١٧١ من نهج البلاغة . ونتجاذب أطراف الحديث والتعاليق حول هذا النص الكريم منها :

(ان هذا القرآن هو الذي لا يغشى والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان : زيادة في الهدى او نقصان من عمى . واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاءمن اكبر الداء) .

نعم ظفرت بكتاب الله وبمفاهيمه السليمة الكامنة بمثل هذا النص وهي المفاهيم التي تمتع بها السلف قبل ان تسطو على عقولنا يد الاهواء وتمزقنا عوادي الدهر (ايدي سبأ) وتحول بيننا وبين تفهم قوله تعالى (هو سماكم المسلمين) وقوله (اليوم اكملت لكم دينكم) وتحاول ان تقتطع من جسمنا اعضاء كريمة تخلع عليها اسماء (**بهرة ، آغاخانية ، نصيرية ، جنبلانية مجوسية ، شبك ، يزيدية ، كاكائية ، موحدون ، دروز ، باجوان ، قزلباش**)

النخبة بدور التنفيذ

هذه النخبة التي نعمت بالتعرف اليها مذ ثلث قرن إبان تجوالي في محافظات السويداء واللاذقية والموصل التقت (دون اجتماع وتقرير سابق) بتكليفي بل بتشريفي بالإعراب عما يجول في نفسها حول موضوع (الفرق الاسلامية) وليس هذا الفصل ــ وهو جزء من كتاب سيصدر باسم (الفرق الاسلامية المتطرفة) الا تلبية لطلبها ونزولا عند رغبتها وثمرة لاقتراحها اذ هي اشد مني حرصاً على تصحيح وتقويم مفاهيم اقتضت سياسة العصور المنصرمة اعوجاجها وجاء مستغلو هذا العصر فرمونا من خنادقها ونفذوا من ثغرتها واتخذها الطامعون والمنتفعون اسفينا مسموما ومدية مشحوذة اقتطعوا بها افلاذاً من كبدنا .

مشاعر النخبة الواعية

ما غشيت من محافظة اللاذقية مجلسا ادبيا الا رأيته معطراً بالحديث حول الاديب الصديق المرحوم السيد عبد الكريم الخير .

هبطت مدينة جبلة فسعدت بالاجتماع به فاستعدت المخمسة الثمينة التي القاها بجبلة عام ١٩١٧ حاملا بيده القرآن الكريم وان حفظتها قبل الاجتماع من تلاميذه واخوانه وعارفي فضله والمفتخرين بأدبه .

وقد سبق نشر هذه المخمسة في العرفان واقتصر الآن على مسك ختامها الذي جاء بهذا النص .

ما دام عندكم التخاذل وافداً ... فمحال ان تجنوا الزمان فوائدا
هذا الكتاب اذا اردتم شاهداً ... **وخلاف ما فيه اعد عوائدا**

جاءت عقيب سياسة وخصام

محمد علي الزعبي
مدرس الجامع الكبير في بيروت ــ دكتور بالفلسفة

كثيّر ينقطع عن قول الشعر

قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر أعجزت ؟

فقال : والله ما كان ذلك ولكن فقدت الشباب فما اطرب ورزئت عزة فما انسب ومات ابن ليلى فما ارغب (يعني عبد العزيز بن مروان) .

ــ قالوا : المال كله من الرجل ولكن كله للمرأة .

ــ قالوا : لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر .

مع الكتب

هكذا عرفتهم

تأليف جعفر الخليلي

بقلم : روكس بن زائد العزيزي

الاستاذ جعفر الخليلي ربعة في الرجال يكمن وراء لطفه المهذب رجولة حازمة تنم عليها نظرات فاحصة نقادة .

اناقة متناسقة تدل على ذوق مهذب رفيع ونكتة حاضرة بارعة يواكبها وفاء للصديق وإنصاف للخصم وهدوء نفسي ينم على حياة عائلية سعيدة .

هذه الصفات التي تبدهك وانت تصافح السيد جعفر الخليلي مؤلف :

١ ــ اولاد الخليلي ــ المجموعة القصصية البارعة .

٢ ــ الضائع تلك القصة التي اعيد طبعها بسرعة لما لقيت من التقدير والرواج .

٣ ــ في هامش الثورة العراقية وهي حقائق لم يسبق نشرها .

٤ ــ يوميات وقد صور بها الحياة الاجتماعية .

٥ ــ جغرافية البلاد العربية للدراسة المتوسطة .

٦ ــ حديث القوة مجموعة قصص .

٧ ــ اعترافات مجموعة قصص قصيرة .

٨ ــ تسواهن ريبورتاج عن الجمال والغناء والرقص في العراق .

٩ ــ مجمع المتناقضات قصص موضوعة ومترجمة .

١٠ ــ في قرى الجن قصة موضوعة على غرار المدينة الفاضلة للفارابي .

١١ ــ مقدمة عن القصة العراقية .

١٢ ــ كنت معهم في السجن وهو كتاب فريد في موضوعه يدل على ألمعية المؤلف فيه

دراسة واستعراض للسجن والاجرام في العراق .

١٣ ـ هؤلاء الناس مجموعة قصص صغيرة .

١٤ ـ التمور العراقيه قديما وحديثا والكتاب بحث شامل عن النخيل والتمور العراقية من اول نشأتها الى آخر مراحل استهلاكها وقد اصبح الكتاب مرجعا من اهم المراجع لكل باحث عن هذا الموضوع .

١٥ ـ القصة العراقية قديما وحديثا وهو عرض مجمل لتاريخ القصة قديمها وحديثها .

١٦ ـ و (هكذا عرفتهم) وهو الكتاب الذي نريد ان نجلو وجهه للقارىء الكريم . صحيح ان الكتاب خواطر عن افذاذ عاشوا جوانب من حياتهم لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم .

* * *

والاستاذ جعفر الخليلي كما يبدو في هذا الكتاب خلق ليكون مصوراً ببيانه الساحر . فانت من الكتاب في روضة ، وفيما أنت تقرأ الكتاب تحس بشوق غامر يدفعك لزيارة النجف الأشرف ، لما فيها من صفاء الفطرة ، وحب الدعابة ، وبراعة النكتة ، وجمال المجالس الأدبية .

فإذا كان الشاعر البارع احمد الصافي النجفي قد صور النجف ، تلفها الصحراء برمالها وغبارها يوم قال :

« صدق الذي سماك في وادي طوى يا دار بل وادي طوى وعراء
جلست على الأنهار بلدان الورى فعلام انت جلست في الصحراء »

واذا كان الشاعر نفسه قد عرض بالنجف متهكما يوم انشد :

« فصادرات بلدتي مشايخ وواردات بلدتي جنائز ! »

فان الاستاذ جعفر الخليلي صاحب الفن الموهوب قد رسم للنجف صورة تظل عالقة في النفس ، مصورة في القلب . وليس عجيباً ان يكون قلم صاحب :

أ ـ الفجر الصادق .

ب ـ والراعي .

ج ـ والهاتف .

من روعة البيان وجماله ، في المنزلة التي ترسم للنجف خير الصور وأجملها .

* * *

ولد الاستاذ الخليلي في النجف (العراق) سنة ١٣٢٢ للهجرة ، ودليلنا على ذلك أبيات أرخ بها له ، أحد الأدباء العلماء (الشيخ محسن العاملي) جاء فيها :

« ان قيل من أرخ _ انا الشبل من ذاك الاسد _ »

وقد ورّى هذا الشيخ العالم باسم أبي جعفر تورية لطيفة . فإن اسم أبيه (الشيخ أسد الخليلي) .

واسرة الاستاذ جعفر الخليلي ، اسرة علمية روحانية ، وقد زاول الكثيرون من أفرادها في السنين البعيدة الطب اليوناني واشتهروا به . وقد آلت زعامة الشيعة الروحانية العامة الى عدد غير قليل من ابنائها .

تلقى علومه في المدرسة العلوية في النجف ، وكانت يومذاك اول مدرسة حديثة للعلوم العصرية ، ثم درس علوم العربية على أساتذة خصوصيين . وكان لأبيه الشيخ (اسد)الخليلي فضل كبير عليه وعلى اخيه الاكبر في ثقافتهما الأدبية ، في اللغتين : العربية والفارسية .

ثم كان لأخيه الاكبر عباس الخليلي الفضل بعد ذلك في توجيهه وتثقيفه .

* * *

فجع الاستاذ جعفر الخليلي بوحيده (هاتف) فكان على رقة احساسه ونبل عاطفته ، مثال الصلابة ، والرجولة . وقد أعاضه الله عن وحيده بثلاث زنابق عطرات ، لهن ذكاؤه وألمعيته .

١ _ فكبراهن (فريدة) تتابع دراستها في جامعة لندن . لنيل الدكتوراه في علم الاجناس البشرية .

٢ _ ووسطاهن (ابتسام) كانت الاولى بين خريجات قسم الكيمياء من جامعة بغداد وقد نالت شهادتها بمرتبة شرف .

٣ _ وصغراهن (امتثال) نالت شهادتها هذه السنة من جامعة بغداد (ب . أ) في الأدب الإنكليزي بمرتبة جيد .

وقد ترجم له في كل من دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الأميركية ، وذكر له جهوده في نهضة الصحافة ، والنهضة الأدبية في النجف خاصة والعراق عامة .

* * *

تجلس الى الاستاذ جعفر الخليلي فتسمع الرأي الحكيم الصائب والنكتة الادبية البارعة ، وتنتقل من فائدة الى فائدة ، ولا عجب ، فقد تولى ادارة الحركة الادبية بما كان يثير بين

الادباء من مناقشات ومناظرات في جريدته الراقية (الهاتف) .

اما عدد هذه الجريدة القصصي الذي دأب على اصداره الى ان توقفت الهاتف ، فحسبه شهادة ان يرجع اليه من اراد ان يرى الاصالة والادب الصادق .

ولعل قلمه المصور البارع يروعك ويسحرك وانت تقرأ له تلك الرباعيات المترجمة عن الفارسية ترجمة دقيقة ، لإجادته الفارسية اجادته للعربية .

وللاستاذ جعفر الخليلي قدرة خاصة على اكتشاف الادباء ، قدرة يغبط عليها ، ويهنأ من اجلها . فقد رأيناه يترجم لبعض شعراء الفرس المعاصرين رباعيات لطيفة للغاية ونعتقد انها ستكون ذخراً للادب يوم تتولى الجامعة اللبنانية ابرازها مطبوعة .

وها نحن اولاء ، نورد ثلاثة منها ، برهاناً على ما نقول:

١ ــ رباعية شاعر فارسي معاصر يخاطب الله ، على طريقة عمر الخيام .

قلت انني سأصليك ناراً فتحيرت في مكان العقاب
حيثما انت لا عذاب ، فانى لم تكن انت كي يكون عذابي؟

٢ ــ وهذه رباعية ثانية تدل على براعة الشاعر في الهجاء المبطن ، ولطف الذوق عند المترجم :

ان يمت من مشايخ الدين شيخ نبتت زهرة له في المكان
وقياساً ، اما يموتوا جميعاً تغدُ ايران ، روضة في الجنان !

٣ ــ ومن تلك الرباعيات ، رباعية شاعر سكّير ، كان له منزل بجوار أحد المساجد ، وكان يأوي الى منزل الشاعر زمرة من أصدقائه ، الذين كانوا يشاركونه السكر والعربدة ، فسخط الاميرعلى الشاعر السكير ، وعلى صحبه ، فهدم منزل الشاعر ، وأضافه الى المسجد ، فتألم الشاعر ، لكن ألمه قاده الى التهكم والسخرية ، على نقيض ما رأينا لسعد بن ناشب الذي هدد وتوعد ، لجأ الى تحكيم سيفه ليغسل عنه العار .

اما الشاعر الفارسي ، فقد سجل نقمته تهكماً ، لعله اشد وقعاً من السيف ، وأخلد على الدهر : فالشاعر الفارسي نقل قضيته من طلب الثأر من ذلك الامر العاتي ، الى ما يلحق به عار الطغيان الى مدى الاجيال . قال :

حانتي . حسبها من الشرف الباذ خ والعز والعلى المتناهي
انها حينما تهدم تغدو دون كل البيوت ، بيت الله !.

* * *

ماذا أحدثك عن صفاء ذهن الاستاذ الخليلي ، ودقة ملاحظته ، وقوة ذاكرته المصورة التي أملت عليه ، هذا الكتاب الذي يعد فتحاً في الادب العربي المعاصر :

هكذا عرفتهم

فقد صور فيه الحياة الادبية والاجتماعية والعلمية والسياسية والخلقيــة . وهو يــترجم هؤلاء السادة :

١ ــ السيد مير علي ابو طبيخ .
٢ ــ السيد رضا الهندي .
٣ ــ حميد خان .
٤ ــ الشيخ جواد الشبيبي .
٥ ــ الشيخ محمد حسن حيدر .
٦ ــ السيد ابوالحسن الاصفهاني.
٧ ــ الشيخ محسن شرارة .
٨ ــ المحامي عبدالمحسن القصاب.
٩ ــ الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء .
١٠ ــ عبد المحسن شلاش .
١١ ــ السيد سعد صالح .
١٢ ــ السيد محسن الامين .
١٣ ــ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .
١٤ ــ الشيخ عبد الحسين الحلي .
١٥ ــ الشيخ قاسم محيي الدين .
١٦ ــ الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي .
١٧ ــ السيد علي بحر العلوم .
١٨ ــ عبد الستار القرغولي .
١٩ ــ عبد الله القصاب .
٢٠ ــ اسكندر حريق .
٢١ ــ الشيخ عبد الكريم الجزائري .
٢٢ ــ الشيخ محمد جوادالجزائري .

فلا تفوته نكتة ، ولا تفر من بين انامله ملاحظة ، حتى تعجب منه اشد التعجب ، كيف استطاع ان يعي في ذاكرته كل هذه التفاصيل الدقيقة اذا علمت انه كان في ايام شبابه من حدة المزاج والاندفاع العنيف الذي تجد صورته في جريدته الفجر الصادق، وجريدته الراعي الامر الذي يحول بين صاحبه وبين الدقة في التصوير . لكن الاستاذ انتصر على ذلك كله !.

* * *

وقد تعرض صاحب الهاتف وجريدته لمضايقات بعض رجال الحكم المسؤولين عن توزيع الورق على الصحف ، ايام الحرب الكونية الثانية ، وقد ذكر مدير الدعاية والنشر ، ذكراً لا يشرف ذلك المسؤول ، الذي يكثر اضرابه مع الاسف الشديد في بلادنا ، اولئك الذين ينسون انهم وجدوا في مناجمهم لخدمة الناس ، لا لتعطيل مصالحهم ، لنزوات واغراض خاصة !..

* * *

والاستاذ جعفر يرسم صور من يترجم لهم الجسمية والنفسية ، بلا مبالغة . فهذه صورة لنفس السيد (ابي الحسن) .

« وذبح ابن السيد ابي الحسن المدعو (بالسيد حسن) والذي كان زميلي في المدرسة العلوية . لقد ذبح وهو ساجد يصلي خلف أبيه في أحد صفوف الصلاة المتراصة ، كما تذبح النعاج ، وذلك على يد احد طلاب العلم الذي ثبت جنونه بعد ذلك . فما تحرك الاب من مكانه .

وما علق على ذبح ابنه بشيء غير حوقلة ، ما سمعها احد منه اكثر من مرة واحدة !...

وفي اليوم الثاني مشى ابو الحسن مع الماشين خلف جنازة ابنه الذبيح ، وبعد اداء الصلاة قصد بيت (الأخوند) حيث قضى بضع ساعات هناك لم يره احد هناك جازعاً ولا باكياً ، ولا متهجماً ، وكان لصبره ، وحلمه ، كما كان لجرأته وقوة إرادته ، الشأن العظيم عند متتبعي حركاته وسكناته ص ١١١ .

واذا اراد ان يرسم نفس (الحاج عبد المحسن شلاش) صور تكتمه وهو يجود بتبرع لمدرسة الغري الاهلية ، يساوي كل تبرعات الحاضرين ، ويصر على كتمان اسمه . قال :

« وكنت انا في طليعة اولئك الذين انتقدوا الحاج محسن شلاش ، ولربما نالوا منه بسبب احدى الحفلات التي اقيمت لمدرسة الغري الاهلية في النجف لجمع التبرعات ، وذلك حين وجدت جميع التجار والمدعوين لم يتوانوا ولم يبخلوا بتبرعاتهم، حتى لقد دفع شخص

ـ لم يرض ذكر اسمه في قائمة التبرعات ـ مبلغاً كبيراً ، كان يساوي كل تبرعات الحاضرين ، الا الحاج محسن الذي كان يدعو الى مساعدة المدرسة ، بينما يحجم هو عن هذه المساعدة ! وكم كانت الدهشة عظيمة عندي ، وعند البعض حينما علمنا ـ لكن بعد فوات الفرصة ـ ان صاحب التبرع الكبير الذي طلب ان يظل اسمه مجهولا ـ لم يكن الا الحاج محسن شلاش نفسه !! ... »

وقد ذكر شيئاً كثيراً عن حب هذا الرجل للبساطة ، وعن حلمه ، وعن حبه للنكتة ، وعن تسامحه :

« ولتواضعه وعدم اهتمامه بنفسه امثلة تثير الضحك ، وتروى عنها القصص . ومن ذلك انه ركب القطار يوماً من بغداد ، وكان يومها وزيراً للمالية ، فصادف ان يجيء ركوبه في احدى العربات التي كان قد استقلها موظف يدعى (ممدوح افندي) وهو يعمل اميناً لصندوق لواء الديوانية ، ولم يكن (ممدوح) هذا يعرف ان الذي يشاركه العربة انما هو الحاج عبد المحسن شلاش وزير المالية ، وهي الوزارة التي ينتسب اليها السيد ممدوح ، او ممدوح افندي ، كما كان يسمى يومذاك وكل ما عرف ان رجلا معمماً بعمة من هذه العمائم التي يتخذها تجار ذلك العصر رمزاً للتجارة والحرف وان مجالسه في المقصورة هذه رجل لا يلائم ذوقه فقد كان ممدوح افندي قد شغل مكتب العربة بقنينة من الخمر واقداح واواني من المزة والنقل ولا يبعد ان سيكون هذا سبب نفور وابتعاد بينه وبين هذا التاجر الذي صار جليسه في هذه العربة ... مما قد ينغص لممدوح افندي عيشه في هذا الطريق ... كما توسم ذلك.

وعرض ممدوح افندي على الحاج محسن حسب قواعد المحيط مشاركته فيما يشرب ويأكل وهو اشد ما يكون غيظا وحنقا على هذه الظروف من المصادفات التي جمعت بينه وبين تاجر محافظ كهذا ... قائلا بشيء من الحنق :

ـ تفضل جلبي اشرب !...

فقال الحاج محسن شلاش : سألبي طلبك في متناول النقل والمزة ، أما الخمرة فلن اشربها ولكن ذلك لا يمنعك انت ان تأخذ حصتك منها كاملة ، ثم اقبل الحاج محسن على تلك المستحضرات يأكل من هذه وهذه كما يلذه ويشتهيه ..!! فزاد ذلك من حنق ممدوح افندي خصوصا وقد تناول الحاج محسن القسم الاكبر من الدجاجة التي كانت تتوسط المائدة ..

وحين مشى السكر بممدوح قليلا وجه خطابه الى الحاج محسن وبنغمة من الغناء وبشيء من الزراية والتهكم قال بلغته الدارجة :

ـ امنين جاي الجلبي ؟

قال الحاج محسن : لقد جئت من بغداد .

وعلى نفس النغمة والزراية تابع ممدوح أفندي اغنيته قائلا :

ويروح وين الجلبي ؟

ـ قال : اني أقصد مدينة كربلا ...

فاستمر ممدوح وهو يأتي بحركات استفهامية مضحكة يشرك فيها يديه وسحنة وجهه . ويحيل كل وجوده الى استفهام مزر تحت تأثير الخمرة والحنق قائلا :

مشروب تشرب جلبي ؟...

قال : ليحفظك الله ، انني لم اشرب الخمر كما قلت لك من قبل .

قال ممدوح : شوية ، شوية جلبي ..

قال : ارجو المعذرة لأنني لم أعتد شرب الخمر ! وتستمر أسئلة ممدوح افنديومضايقاته وتهكماته على هذا النسق طويلا ، وفي هذه الأثناء يقف القطار ، عنداحدىالمحطات،فيجيء خادم الحاج محسن شلاش ، وكان يستقل الدرجة الثالثة من القطار ، يجيء الى عربة سيده، ويسأله عما اذا كان له شغل او امر ، فيجيبه الحاج محسن بالنفي ، ويستغل ممدوح افندي مرور الخادم ، ويعود الى تهكماته سائلا :

خدام عندك جلبي ؟

قال : ذلك من نعم الله وأفضاله ؟..

وعلى رغم سعة صدر الحاج محسن وحلمه ، فقد برم بمضايقات ممدوح افندي ، وسئم من هذه التهكمات والزراية ، وأراد أن يستوضح عن هوية هذا الرجل ،فتوجه اليه سائلا :

وما اسم جنابك ؟

ـ فاعتدل ممدوح افندي ، وبشيء من الفخر والاعتزاز .

وبنفس النغمة اجاب :

ـ ممدوح افندي جلبي !...

قال الحاج عبد المحسن وما هو عملك ووظيفتك ؟

قال : صندوق اميني جلبي

فسكت الحاج محسن ، وعلم ان الرجل من الموظفين التابعين لوزارته التي يرأسها . ولكن ممدوح افندي راح هو الآخر يسأل على اساس مقابلة التعريف بالمثل قائلا :

وشسم جنابك جلبي ؟

قال : انا عبد المحسن شلاش !...

ولم يكد يلفظ آخر حرف من حروف شلاش حتى ترامى ممدوح افندي على قدمي الحاج محسن وهو يقول وبنفس النغمة السابقة ورويها .

داخل على الله جلبي .. مروءتك آغاتي جلبي وين آنه اولى جلبي ، سامحني بالله جلبي ! ص ١٧٥ - ١٧٧ .

☆ ☆ ☆

واذ ترجم للشيخ عبد الحسين الحلي وذكر تحامل الحكومة عليـه قال : « انا لا اعرف مدى غباوة الحكومة وبلادتها ، الا يوم قررت ان تجري للشيخ عبد الحسين الحلي امتحاناً لكي تعينه قاضياً شرعياً في محاكمها ، ولم اعرف مبلغ جناية الحكومة على الحق والعـدل والقضاء الا يوم اعلنت الحكومة ان الشيخ عبد الحسين الحلي لم يجتز الامتحان بالنجـاح المطلوب ! ...

ولست أدري ، أيجوز ان يجري احد امتحاناً لاديسون في الكهرباء ؟ ولمدام كوري في طبيعة الراديوم ؟ ولماركس في الراديو ؟ فاذا جاز هذا الاحدنا . جاز أن يعطي لنفسه حق اجراء امتحان للشيخ عبد الحسين في الفقه وفي القضاء الشرعي » ص ٢٦٢ .

☆ ☆ ☆

واذا صور لنا الشيخ محسن شرارة ، صوره انساناً واسع الآفاق ، ينتصر لما افتى به المجتهد السيد محسن الامين من تحريم ضرب الظهور بالسلاسل ، وشق الرؤوس بالسيوف . وغير ذلك ، ينتصر لما يؤمن بـه من حق وان آذاه ذلك . صوره انسانـاً تفيض نفسه عزة وكرامة .

حقاً ان الكتاب طراز فذ ، ويجد فيه القارىء اي قارىء متعة روحية ولذة فائقة .

☆ ☆ ☆

في الكتاب يبدو لنا حبه للاصلاح وبرمه بالتعليم المسائي ايام كان معلماً ، والحيلة الـتي كانوا يلجأون اليها للتخلص من هذه الدروس المسائية .

ويذكر وسائل التسلية واللذة البريئة في النجف ، ثم يذكر السيد علي بحر العلوم وكيف كان معواناً للكثيرين للتخلص من مشاكلهم المالية .

واذا عرض لذكر اخيه الاكبر السيد عباس الخليلي ، ذكر لنا نموذجاً من شعره المؤشّم ، الذي

يشبه شعر الفحول من شعراء العصر العباسي ، وهذه قصيدة له يوم نفي من ايران الى العراق سنة ١٩٣٢ لأسباب سياسية :

قبلت منك بعيني الارض لا بفمي ... وجف دمعي فرواك الحشا بدمي
عفرت بالترب وجهي اذ سجدت ضحى ... فناب للسعي رأسي فيك عن قدمي
وكاد ينطق طرفي بالسلام على ... ارض العراق فهذي ادمعي كلمي
ما الدمع واللفظ الا لؤلؤ رطب ... خلطت منتثراً منه بمنتظم
أرخصت دراً غــلا من وذاك على ... معالم للعلى والعز والكرم
رضعت فيك لبان المجــد من صغر ... فلست حتى الردى عنــه بمنفطم
ما الرافدان وان ساغا بعذبهما ... يبردان غليلي منك بالشيم
ضحيت انسان عيني بالبكاء على ... ثرى كفاه دم القتلى عن الديم
لم من كمي تردى فيك ثوب ردى ... وكم ابي بسهم النائبات رمي
وكم طريد مضى والويل رائده ... فانتابــه الحتف في الآجام والاكم
قد شردتني منك الحادثات وقد ... ردتني اليوم فلتنبئك عن هممي
انا الذي هدّ ركنا من عداك كما ... قد شاد للمجد ركنا غير منهــدم
جدنا بأنفسنا نحمي حماك فلا ... نرضى لك الذل ان قيل العراق (حمي)
متى تربي لك الايام مثلي من ... ان خانه السيف يوماً قام بالقلم
يا حسنها ساعة ردت اليك فتى ... ما كان يرجو اليك العود في الحلم

* * *

ماذا اعدد من حسنات الكتاب ، انه تحفة من تحف الابداع الفني ، وسيجد فيه قارئه من اي قطر كان لذة وفائدة . وهو من الكتب التي تستحق ان يعنى بها وتقتنى .

عمان روكس العزيزي

القول والفعل

زميلان كانا يتحدثان فقال احدهمـا للآخر : يجب ان يقتسم النـاس ما معهم حتى يشعروا بالسعادة . فقال الثاني : انها فكرة لطيفة .. فلو كان معك الف جنيه هل تعطيني نصفها ؟ قال : نعم .

قال الثاني : ولو كان عندك قميصان هل تعطيني واحداً ؟

الاول : كله الا هذا .. لان عندي قميصين فقط !!

عليك سلام الله ايها الرضا

بقلم : الدكتور فيكتور الكك

زار مشهد ضيفاً على كلية المعقول والمنقول الاديب الكبير الدكتور محمد جواد مشكور رئيس تحرير مجلة الإخاء وبرفقتـه الاديب الدكتور فيكتور الكك اللبناني نزيل طهران وقد فاضت قريحة الدكتور الكك بهذه الأبيات في الامام علي بن موسى الرضا ننشرها مع مقال بعث لنا به الدكتور من طهران . ومجلة الاخاء في طهران وكلية المعقول والمنقول في مشهد يرتادهما كل اديب غريب وخصوصاً اللبنانيين اذ يجدون انفسهم يعتاضون بالأهل اهلا وبالخلان خلانا . « العرفان »



الدكتور فيكتور الكك

عليك سلام الله يا ابن محمد ... رفعت لواء الحق في ارض مشهد

وهذي خراسان العريقة في النهى ... تقبّل اعتاب الضريح وتهتدي

تطوف بصحن تخفض الشمس عنده ... جبين ضياء من ضيائك سرمـد

يؤم ثراك الزائرون ، ألوفهم ... تدافع بالأكتاف ، والكل قد صدي

فهذا ينادي : سيدي ، ايها الرضا ... اليك قطعت القفر ، يا خير سيد

وذاك يروّي الدمع صفحة خده ... ويهفو اليكم بالشفاه وباليد

وقد سعّر الإيمان بين ضلوعـه ... شآبيب وجد منه وجهه قد ندي

* * *

نزلنا بدار من ديارك يا رضا ! ... نسينا بها امساً لنصبو الى غـد

حملنا الى مثواك «لبنان» زائراً ... ومن « عامل » طيباً وزاد المزود

ومن صور ومن صيدون الف تحية ... والف دعاء للامام المصمّد ...

مقامك في «ايران» للفرس نعمة ... وللعرب شوق للتآخي المحمد !!

الصنوبري شاعر الطبيعة المغمور

ابو بكر محمد بن احمد بن الحسن بن مروان الضبي « الصنوبري » ، وُلد بانطاكية ، شمالي سوريا ، غير بعيد عن مصب العاصي ، وسط طبيعة زاهية مشرقة ، كثيراً ما غناهـا في شعره .

يقال انه لقب بالصنوبري لمشابهة بين شكل رأسه وكوز الصنوبر . وقد فخر هو نفسه بهذا اللقب في اشعار تجدها في « نهاية الأرب » في الجزء الحادي عشر فيقول :

واذا عزينا الى الصنوبر لم ... نُعزَ الى خامل من الخشب
لا ، بل الى باسق الفروع علا ... مناسباً في ارومة الحسب
مثل خيام الحرير تحملها ... أعمدة تحتها من الذهب

عمل خازناً في مكتبة سيف الدولة بن حمدان ، امير حلب ويبدو انه ورث هذا الاتجاه في العمل عن جده . وكان كسائر شعراء عصره محباً للاسفار ، زار بلاداً عديدة وسكن حلب والرها ، وكان له بحلب حديقة في وسطها قصر فخم تحف به الاشجار والازهـار المتنوعة الطعم والرائحة . فانزوى هناك مبتعداً عن الناس متأملاجمال الطبيعة، مصغياًلاصوات العصافير وخرير المياه وصوت نفسه .

ولقد تجلى وصفه للطبيعة في « روضياته » التي ضربت بها الامثال قديماً « كروميات » ابي فراس مما جعل المستشرق آدم متز في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري يقول : انه اول شاعر للطبيعة .

كان الصنوبري يحب الطبيعة الهادئة الناعمة ، التي تتفتح لها نفسه المترفة ، ولا يميل الى وصف الطبيعة الصاخبة القوية ، شأنه في ذلك شأن سائر شعراء العرب . لذلك احب الربيع وفضّله على سائر الفصول مع انه لم ينف حبه لها . احب الربيع لانه خير مثال للطبيعة الهادئة المعتدلة . انه كذلك يقظة الطبيعة التي تفيض على سكان هذه الدنيا الضياء والبهاء والصفاء والوشي في الالوان المختلفة التي لا تراها في الفصول الاخرى . احب الربيع لان كل حواس الانسان تتمتع بما فيه من مناظر تبهج النظر وموسيقى تطرب لها الاذن وروائح عطرية تدخل في القلب انشراحاً فيعبها الانسان وهو في نشوة صوفيـة وفي ذلك الحلم يصيح بالساقي :

سقيّاني بكل لون من الراح ... م على كل هذه الالوان !

والصنوبري يحسن الوصف الدقيق والتشبيه ، وتشابيهه تنم عن ملاحظة وانعام في النظر فاسمعه يصف حوضاً من الشقيق احاط به ورد ابيض :

قد أحدق الورد بالشقيق خلال بستانك الانيق
كان حوله وجوه مستشرقات الى حريق

او يصور اشتباك الازهار وافتراقها .

وقد نظم الزهر نظم النجوم فمفترق النظم او مشتبك

وتصاويره مستمدة من الامور المرئية يجمع بين مظاهرها فيولّ من شتاتها صوراً مركبة جميلة . يقول في وصف النرجس الذي يحبه ويفضله :

فكأنها اقمار ليل احدقت بشموس افق فوق غصن املس
وحكى تداني بعضها من بعضها يوماً تداني مؤنس من مؤنس
واذا نعست من المدام رأيتها ترنو اليك بأعين لم تنعس

وهو لا يكتفي دائما بوصف الالوان والاشكال وانما يتعدى ذلك الى وصف الحركة فتحس ان المنظر ليس امامك لوحة جامدة فحسب . قال في وصف الشقائق المتلوية على قضبها العنكبوتية تلوي لهب السرج .

وجوه شقائق تبدو وتخفى على قضب تميد بهن ضعفا
تراها كالعذارى مسبلات عليها من عميم النبت سجفا
اذا طلعت ارتك السرج تذكى وإن غربت ارتك السرج تطفا
تخال اذا هي اعتدلت قواما زجاجات ملئن الخمر صرفا !

ثم يصف حاله في وسط ذلك الجو اللطيف حين يطرب لغناء ورشان في بستانه فيصفه كأنه بستان من الالوان قال :

انا في نزهتين من بستاني حين اخلو به ومن ورشان
طائر قلب من يغنّيه اولى منه عند الغناء بالطيران
مسمع يودع المسامع ما شا ءت وما لم تشأ من الالحان
في رداء من سوسن وقميص زرّرته عليه نشر بنان
قد تغشى لون السماء قراء وتراءى في جيده الفرقدان

ثم يمضي الصنوبري في وصفه ، فيتلهى بوصف معارك خيالية بين الزهور فينصب نفسه حكما . منتصراً للنرجس الضعيف الذي يحبه ، مبينا خجل الورد اي احمراره حين تلاحظه الزهور . ومن خلال ذلك يتبين خصائص الرياحين وميزاتها .

زعم الورد انه هو ازهى من جميع الازهار والريحان
فأجابته اعين النرجس الغض بذل ، من قولها وهوان

ايما احسن التورد ام مقلة	ريم مريضة الأجفان ؟
ام فماذا يرجو بحمرته الورد	اذا لم يكن له عينان ؟
فزها الورد ثم قال مجيبـاً	بقياس مستحسن وبيان :
ان ورد الخدود احسن من عين	بها صفرة من اليرقـان !

وهو يتلهى بوصف أشجار الفاكهة والبقول كالخوخ والتفاح والفستق على نحو وصفه للرياحين .

ولعلك لاحظت من الأبيات التي أوردناها مبلغ اعتناء الصنوبري بموسيقى شعره فشعره مطرب للاذن ينساب اليها كنغم حالم يتموّج حيناً ويمتد آناً ويتقطع آونة فاسمعه كذلك يصف النهر الصافي الناعم لا الصاخب الهدّار في موسيقى هادئة ممتدة كموسيقى الصدى :

اذا ما الضفادع نادينه	قويق ، قويق ، ابى ان يجيبا
تمشّى الجرادةُ فيـه فلا	تكاد قوائمها ان تغيبا

ثم التفت الى هذه الأبيات التي تشبه في نغمها تنقلات عصفور من غصن الى غصن ينوء تحت الثلج فيبدو ورداً ابيض في كانون :

ذهّب كؤوسك ياغلا	م فانه يوم مفضض
والجو يجلى في البياض	وفي حلي الدرّ يعرض
أتظن ذا ثلجاً وذا	ورد على الاغصان ينفض
ورد الربيع ملوّن	والورد في كانون ابيض

ولا بد لنا ، بعد استعراضنا لبعض مظاهر الوصف عند الصنوبري من القول انه على شغافيته وانسجامه وترجيعه الموسيقي المطرب وطرافة تشابيهه ، لا يرتفع الى مرتبـة الشعر الحي الذي يجعل من الطبيعة عالماً من الاساس يتجاوب مع عواطف الانسان . فالصنوبري فُتن بمظاهر الطبيعة وطرب لموسيقاها ولكنه لم يستطع ان ينفذ الى اعماقها فيسبر غورهـا ويستجلي خفاياها انها غائبة عنه لا يرى فيها صورة نفسه ولا يشتم من عطرهـا ريح طيب الاولاد كابن الرومي . فليس بينه وبينها مشاركة عاطفية ... انه لصق بمظاهرها التصاقاً لا يستطيع ان يرتد قليلا الى الوراء ليتأملها ويغوص الى اسرارها المكنونة ... مثله مثل رجل موسر يجمع اللوحات الفنية الرائعة للزخرف والوشي ولا يستطيع ان يفقـه رموزها وما اودعت من احاسيس دافئة بعيدة القرار . ان دفقة الحياة لا تتبلور في شعر الصنوبري في حين انه يذوب رقة ولطافة ورواء .

طهران فيكتور الكك

كامل بك الاسعد

بقلم الشيخ سعيد صباح

من حق هذا البحث ونحن نوالي الحديث عن ماضي جبل عامل وحاضره ان نأتي على ما نعلمه من حياة كامل بك الاسعد وسيرته في البلاد العاملية وقد تزعمها خمساً وعشرين سنة : بدئها مستهل هذا القرن زعامة كاملة تغلغل في حياتها وقادها وتأثرت بـه اجتماعيـاً وسياسيـاً .

هو حفيد الإقطاعيين حكام البلاد وحماتها يوم كان أعداؤها يتربصون بها فكانوا على الدوام اما غازين او مغزويين كما تقدم في مقال سابق وحياتهم في اغلبها على هذا الشكـل وفترات الراحة فيها قليلة فكان ذلك اكبر باعث على انضمام كلمتهم وتقوية روح الإلفـة والمحبة بين الحاكم والمحكوم فالمسؤولية مشتركة حتى كأنهم عائلة واحدة لأب واحـد . ولكن اسم الاقطاع يوحي الظلم والعسف . ولعل هذا الواقع كان في جبل لبنان ودام حتى ثورة ١٨٦٠ المعروفة .

وبكل الاحوال فقد تحلى المترجم بمزايا هي اصيلة فيه واضاف اليها احاسن عصره فقد كان بهي الطلعة انيق المظهر مشبع الألفاظ تتوافق قيافته مع زعامته ذكي الفؤاد يناظر العلماء في تفسير المغلق من الشعر ينظم المقطعات في المناسبات كقوله في ذم الترك :

فلا خير في أقوام لاخير عندهم ولا يمن في اقوام ميمونهم قرد

وله في الجنرال غورو الافرنسي عند دخوله للنبطية دخول الفاتح :

ويوم كله ظلم نأى عن وجهه النور به للشؤم تاريخ كيوم جاءنا غورو

وكان شهماً أبياً يحاذر ان يعاب ، كريم الاخلاق واليد سخياً على موائـده يضيف في الموائد المنظمة المئات وفي الحفلات الشعبية الآلاف وكان صريحاً وجريئاً في جميع مواقفـه ومن اكثرها منها : بعد ان بويع الامير فيصل ملكاً على سورية الجغرافية ١٩٢٠ طلب منه البيعة باسم جبل عامل وعلم بذلك الجنرال غورو فاستدعاه لبيروت وطلب منه ان لا يفعل وكان جوابه : ان فيصلا هو ابن نبي الاسلام وليس بوسعي مخالفته ولو فعلت لجفاني قومي

ولم أنعمك فقال له ما معناه : اتمنى لك سفراً سعيداً . ولما خرج هنأه على جرأته وصراحته احد وجهاء النصارى وقد علم ما دار بينهما . وكان قد أحس بأن غورو سيغدر به فخرج بأهله ليلا وعند الصباح انتهب الجند جميع موجودات بيته وفيها آثار موروثة ذات قيمــة . وبعد تشرده مدة ليست قليلة بين سوريا وفلسطين أمر الجنرال غورو الكولونيل نيجر قائد الحملة التي تعقبت ثورة صادق الحمزة ضد الافرنسيين في جبل عامل ان يجتمع به ويؤمنــه . واتفق القائد المذكور معه بعد مراسلات بينهما على قرية في داخلية البلاد العاملية يجتمعان فيها وفي الوقت المعين جاء فوجد الجند في صفين متقابلين بأسلحتهم الموجهة وجردوا مرافقيه من أسلحتهم وابعدوهم خارجاً ومر هكذا منفرداً بين الصفين ودخل على القائد الذي مد يده مسلماً وبقي في مكانه شأن الفاتحين وغطرسة الافرنسيين فقبض عليها ورفعها الى اعلى وقال: ما اظنك وضعت يدك في يد اشرف من هذه وترجمت للقائد ولم يكن يعرفه قبــلا فوقف ومواقفه كلها في سائر الحالات من هذا النوع ... نحن لم نشاهد واحدة منها لكن لم نسمع بمن ينفيها ..

وبعد ان تهادن مع الافرنسيين عرضوا عليه امارة جبل عامل وعهدوا اليه بتعيين حرس وجباة ضرائب فرفض لانه يكره التعاون معهم بعد ان أذاقوه وبــلاده ما ليس ينسى سيما وان الآمال معقودة على الملك فيصل في دمشق ... وبعد ان اجتاح الجيش الافرنسي سوريا وتبخرت تلك الآمال المرجوة من الدولة العربية وصار لبنان دولة ذات برلمان واستقرت الامور على هذا الشكل فكانت حكومة الإنتداب تطلب منه تأييد من ترشحه للانتخابات النيابية وتترك له اختيار الباقي من الجنوب ومع وجود اخوته فلم يرشح أحداً منهم في حياته لا لشيء الا لانه لم يعتمد تمثيلهم .

توفي ابوه مديوناً بـ ٥ ــ ٦ آلاف ليرة ذهباً وكانت قيمة الليرة ١٢٥ قرشاً وثمن مد القمح ١٤ كيلو ستة قروش اي ان الليرة تشتري ٣٠٠ كيلو قمح . وبعد الاسبوع خلا بــه اعيان البلاد وعرضوا عليه ما فعله اسلافهم مع بعض الزعماء الماضين وكان قد اعجزته ديونه فزرعوا له (شكارة) مساحة الف مد قمح في ارض جيدة ومن انتاجها وفى ديونه ورجع سيرته الاولى . فشكرهم ورفض عرضهم وكان كبير اخوته ووجيههم واضطلع بحمل الزعامة وعبء الدين معاً وكان اول ما فعله بأن عهد الى بعض وكلائه بمشترى التبغ من البــلاد والإتجار به مع دمشق فكان ينقل على ظهور الجمال مع وجود الريجي التركية وعهــد الى آخرين بالتزام الاعشار في قرى كثيرة وهي تلك الضريبة المعروفة في ايام تركيا فكان ملتزمو الاعشار يتجنبون القرى المملوكة منه والمجاورة لها فيلتزمها بربع قيمتها . مضافاً الى هذا

وذلك انتاج القرى المملوكة له وكل هذه الموارد الضخمة لا رأسمال لها . فوفى ديون ابيه واشترى بعض القرى ثم اختصر على وارداته وتفرغ للقيام بمتطلبات الزعامة الحقة ومثل حياة الملوك والامراء الاقدمين في مجالسهم ومواكبهم وصيدهم على البزاة واتسمت احكامه في الخلافات والمنازعات بالعدل .

حمى البلاد من تعديات قبائل عرب الفضل واللهيب والحمدون من الشرق والجنوب وكانت تحدث باستمرار . وكانت تُرد باسمه المنهوبات من الماشية وغيرها من حوران واقاصي فلسطين وعين للعلماء رواتب مالية يتقاضونها سنوياً قيمتها على حسب درجاتهم اعرف ان احدهم توفي وطالب بالراتب كبير اولاده وحصل عليه وقيمته ثلاثون ليرة عثمانية فأحبه جميع الناس وكان لا يأنف اكثر زعماء الدرجة الثانية من الاخذ بركابه وبقي كذلك حتى وقعت الحرب الاولى فكان له معها ومع الانتداب الافرنسي الذي اعقبها دوراً هاماً وقد ذكرنا بعضه مع الافرنسيين فيما تقدم وسنأتي على ذكر حوادث الحرب المذكورة في فصل خاص .

مضى لسبيله سنة ١٩٢٥ عن ٥٤ سنة ويوم وفاته كان يوماً مشهوداً فالجموع التي توافدت من أطراف البلاد على بلد الفقيد وسقت الطرق بدموعها كانت تعزي بعضها بعضاً فكان منهم المعزي والمعزى وترك ذكراً يتمنى كل انسان ان ينعم بمثله ولكن :

« لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والاقدام قتال »

لو عمر لنفذ ما كان بنفسه وصرح به عند زيارة وفد النبطية له في مشتاه على ساحل البحر من بناء مدرسة كبرى ووقف قريتين لها والعمل على رفع مستوى البلاد ولكن حال دون التنفيذ مرضه الذي دام سنتين ثم حاشية السوء التي كانت محيطة به « وقد ذكرنا ذلك في مقالنا السابق » .

التاريخ يحفظ سير النجباء من الناس امثال المترجم ليخلدهم ويحرك بهم الهمم الراكدة وينبه الافكار الغافية للاقتباس من عصاميتهم والسير على نهجهم ولا شأن للتاريخ مع العاديين حتى ولو كانوا ملوكاً ولعل شبابنا الطالعين الذين يعتمدون على انفسهم لا على اشياء اخرى ان يتحلوا ببعض ما امتاز به المترجم من فضائل شخصية وبها لا بغيرها اسر القلوب وبلغ شأواً في البلاد لم يبلغه احد منذ مئة سنة .

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لضنين

النبطية سعيد صباح

عهد البكوات في جبل عامل

بقلم محمد كامل شعيب العاملي

فصول من مذكراتنا السياسية

- ٨ -

١ – هل كتاب الشيخ محمد عبده في ثورة عرابي لزغلول ام لصاحب المؤيد
٢ – متى بدأت زعامة مصطفى كامل وزعامة سعد باشا زغلول
٣ – اللورد كرومر وحادثة دنشواي
٤ – الافغاني وكيف الهب الحركة الوطنية في عهد رياض باشا
٥ – هل كانت آراء السيد السياسية افلاطونية ام ارسطاليسية

الفقرة السياسية الاولى : تعليق على كتاب الشيخ محمد عبده المنشور في المؤيد :

كنا نشرنا كتاباً للعلامة المصلح فقيد العرب والاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقلنا انه بعث به لصاحب المؤيد فقيد الصحافة الكبير الشيخ علي يوسف ولما كان الشيء بالشيء يذكر فقد جمعنا بالعلامة الصديق المغفور له السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار مجلس في عهد المغفور له فقيد العرب الملك فيصل الكبير في دمشق عام ١٩٢٠ على مرأى ومسمع من الصديق الزعيم السوري الكبير نسيب بك البكري الذي لا يزال في قيد الحياة والزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر رحمه الله جرنا الحديث لذكر الكتاب الذي بعث به العلامة المصلح الشيخ محمد عبده استاذه لصاحب المؤيد فعارضنا كل المعارضة وزعم ان هذا الكتاب الذي بعث به الشيخ في ابان الثورة العرابية للمغفور له سعد باشا زغلول وكنا رأينا في المنار إشارة لهذا على هذا الشكل الذي رواه لنا ولما زارنا الصحفي الكبير الصديق فرح انطون صاحب مجلة الجامعة والمناظرات المشهورة مع الشيخ محمد عبده شأن

فلسفة ابن رشد في صيدا وأقام ضيفاً علينا ثلاثة أيام وجمعناه بصاحب العرفان سنة ١٩١٩ أكد لنا ان ذلك الكتاب أرسله لصاحب المؤيد الشيخ علي يوسف لا لسعد باشا زغلول كما زعم صاحب المنار وعزا هذا التشدد من صاحب المنار للمنافسة التي كانت قائمة بينه وبين صاحب المؤيد وكذلك قال لنا الدكتور شبلي الشميل الفيلسوف عام ١٩١٨ في قلعة بعلبك ونحن نميل الى الاخذ برأي صاحب الجامعة لان سعد باشا زغلول في ابان الثورة العرابيـــة وان كان معروفاً الا انه لم يكن برز بعد لميـــدان السياسة رغم اتصاله بالسيد الافغاني من قبل وذكر الشيخ محمد عبده له في كتابه للسيد الذي نشرنا صورة عنه من قبل بمناسبة أخذه الصورة الفوتوغرافيه للسيد من عند الشيخ واحتفاظه بها وهذه كل علاقته بالكتاب لا اكثر ولا أقـــل .

وذلك الكتاب انما موجه من الشيخ محمد عبده في ابان الثورة العرابية لرجل معـــاصر له يخاطبه به مخاطبة كفؤ وقرين ويتذمر له ويستحثه على النجدة وصاحب المؤيد أخلق بذلك رغم ان سعد باشا زغلول وكان سعد افندي زغلول كما ذكره الشيخ بكتابه للسيد الافغاني كان عرف في وادي النيل قبل مصطفى كامل باشا لأنه كان عين مستشاراً لمحكمة الاستئناف ولم تشتد ألواح مصطفى كامل باشا او يعرف في الأوساط السياسية بعد .

متي بدأت زعامة مصطفى كامل وزعامة سعد زغلول

رغم انتشار صيت سعد باشا زغلول في مصر قبل مصطفى كـــامل باشا وكون الاول ادرك الافغاني ولازمه واتصل به ولم يدركه الثاني فإننا نستطيع الجهر بالقول بأن مصطفى كامل باشا مارس السياسة الوطنية قبله في جريدة اللواء التي أصدرها عام ١٨٩٩ وصـــدر العدد الأول منها في ٢ يناير عام ١٩٠٠ وكان يراسل المؤيد من قبل .

وكانت جريدة اللواء في تلك الايام لسان حال الامة المصرية وكان مصطفى كـــامل باشا يكتب افتتاحية اللواء في اكثر الايام ولا تحتجب الا في مستهل عيدالفطر وعيد الاضحى ثم أخذت تحتجب كل جمعة وكانت تصدر في البدء بأربع صفحات ثم اخذت تصدر بثماني صفحات باستمرار حتى أواخر عام ١٩٠٧ وتطبع كل يوم ١٢ الف نسخة .

وكان ممن يكتبون بها اسماعيل باشا صبري ومحمد فريد والاستاذ ويصا واصف وفؤاد باشا سليم ولم نعثر بها على مقال واحد لسعد باشا زغلول وكنا اطلعنا على مجموعاتهـــا لدى الصديق الفقيد الفيكونت دي طرازي رئيس دار الكتب اللبنانية الاسبـــق حتى ولا على تصـــريح واحد لسعد باشا زغلول خلا كلمة قيمة ذات تقدير واكبار كتبها مصطفى كامل

باشا عن وعكة ألمت بسعد باشا زغلول وشفائه تدل على الاعتراف بمكانته في أحد أعداد اللواء وكونه يتمتع بمركز قضائي مرموق ومكانة سياسية .

وهي وان كانت تنم عن منزلة سعد باشا في ذلك العهد عند المصريين الا ان انكماشه على نفسه في القضاء لم يتح له الظهور لميدان السياسة ظهوراً بارزاً الا بعد تعيينه وزيراً للمعارف على اثر حادثة دنشواي في عهد المعتمد البريطاني اللورد كرومر حيث صدر الأمر بتعيينه وزيراً في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٠٦ قبل اقفال اللواء بعام واحد وفي ابان حياة مصطفى كامل باشا وبعد الثورة العرابية بربع قرن .

فملابسات تعيين زغلول باشا في الوزارة تدل على انها من نتائج حادثة دنشواي حيث أراد اللورد كرومر والحكومة البريطانية تبديل سياستهما في وادي النيل وكانت السلطة في مصر يومئذ بيد المعتمد البريطاني كرومر ذاته الذي كان تعيينه لمصر عام ١٨٨٢ اي في الوقت ذاته الذي عين فيه سعد باشا زغلول مستشاراً لمحكمة الاستئناف عقيب الثورة العرابية ولم يكن من المشتركين بها وكان يومئذ لم يمنح لقب الباشاوية بعد كما يشير اليه كتاب الشيخ محمد عبده للافغاني عقيب نفيه لبيروت على اثر الحوادث العرابية واخراجه من السجن كما اشرنا من قبل اشارة موجزة .

فيستدل مما ذكر انه لم يكن لزغلول ومصطفى كامل ذلك الشأن في الحوادث العرابية فيكون ادعاء صاحب المنار بشأن الكتاب الموجه من الشيخ محمد عبده وهو في السجن على اثر الحوادث العرابية كما روينا لا كما ذكر في دمشق بدليل ما رواه الشيخ علي يوسف نفسه صاحب المؤيد رحمه الله في المؤيد عن مصطفى كامل حيث قال انه دخل على علي باشا مبارك وكان وزيراً للمعارف يومئذ ذات ليلة واذا بمصطفى كامل يدخل عليه وكان طالباً اذ ذاك ويجادله في أمره ولم يزل في المدرسة الثانوية ويقول له (انني لا أطلب منك الا ما وجدت من مثلك يوم كنت طالباً مثلي) فسر علي باشا مبارك لمخاطبته اياه بهذه اللهجة وجرأته الأدبية البالغة وقال الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد منذ تلك اللحظة كانت اول معرفتي بمصطفى كامل وتوقعت له انا وعلي باشا مبارك معاً ان يكون له شأن خطير ومستقبل عظيم .

اللورد كرومر وحادثة دنشواي ونهاية عهده

لا يسعنا وقد أتينا على ذكر حادثة دنشواي في معرض كلامنا عن سعد باشا زغلول الا ان نلم بها ونشير اليها ليعلم القارىء ما هي حادثة دنشواي وما نتائجها :

فدنشواي التي مر ذكرها عبارة عن قرية صغيرة عمد بعض الجنود والضباط البريطانيين الى صيد الحمام فيها فخرت صريعة بها زوجة المؤذن وأحد رجال القرية فهرع أهلها بالعصي والأسلحة وقتلوا عدداً من الجنود والضباط البريطانيين وفر أحد قادة العسكر البريطـاني فخر صريعاً في الطريق وتألفت على الأثر محكمة برئاسة بطرس غالي في ٢٠ يونيو عام ١٩٠١ وحكمت على ستة وعشرين مصرياً بالاعدام .

وكان ذلك بعد صدور اللواء لمصطفى كامل بعام واحد وكان مصطفى كامل يومئذ في باريس فشن حملة في صحفها على الدولة البريطانية فرأى وقتئذ السر هنري كاميل باترمان رئيس الوزارة البريطانية في ذلك الحين وكان زعيم الاحرار في لندن استبـدال السيـاسة البريطانية فقر رأيه على تغيير سياسة الاحتلال البريطاني فقدم اللورد كرومر استقالته في اول ابريل سنة ١٩٠٧ .

وفي هذه الاثناء اي قبل استقالة كرومر وفي خلال حادثة دنشواي كان سعدباشازغلول عين وزيراً للمعارف في مصر فأخذ منذ ذلك الحين يساهم في الحركة الوطنية مساهمة فعالة سافرة مع مصطفى كامل جنباً الى جنب حذوك النصل بالنصل .

ولا شك بأن الثورة العرابية كان لها أثرها الفعال في يقظة الأمة وانتباهتهاوكانمصطفى كامل باشا بعد ذلك أخذ يبدء حياة الجهاد في اللواء بعد زمن قليل متحمساً لعقيدتهالوطنية وايمانه الصحيح وقد برز الى الميدان من عام ١٨٩٢ الى عام ١٩٠٧ اي بدأ حياة النضال بعد الثورة العرابية باثني عشر عاماً حيث توفاه الله وهو يشد ازر زغلول باشا حيث حمل لواء الزعامة بعدئذ لوحده .

ويستدل من ماجريات حياة مصطفى كامل انه كان يشتغل في حقل السياسة بتفهم زائد وكان عبقرياً وقد أوحت له تلك العبقرية التعرف والاطلاع اولا على اسباب فشل الثورة العرابية وكان عبد الله بن النديم خطيب ولسان حال الثورة العرابية عاد من الاستانة بعـد وفاة السيد الافغاني وتعرف مصطفى كامل بواسطته الى اسباب فشل الثورة فتبـين له ان هناك سببين رئيسيين محاربة السلطة المحلية والاعتماد على الجيش بالثورة لا على الامة .

وبعد تعرفه على مواطن الخطأ جعل همه مسايرة الحكومة ومحاربة السيـاسة الاجنبيـة والاعتماد على يقظة الامة لا على الاكتفاء بقوة الجيش فقط ونحا نحوه سعدباشازغلولوحذا حذوهما مصطفى النحاس باشا .

الافغاني وكيف الهب الحركة الوطنية

كان حديثنا عن السيد الافغاني قارب النهاية ولكننا اضطررنا هنا الى ذكر صلة الدورة

العرابية بالسيد حيث كان مقدمه الى وادي النيل قبل ذلك وقد روى لنا العلامة المغفور له الشيخ سعيد الكرمي قاضي القضاة في عمان عام ١٩٢٤ حيث حل ضيفاً على الصديق السيد سليم البعاصيري بها وقد جمعتهما جامعة السجن في دمشق في عهد الترك بأنه ذهب مع فئة من طلاب الازهر يطلبون اليه الاتصال به في مقر نزوله خان الخليلي وكان مقر نزول العظماء في مصر وذلك بواسطة تابعه ابي تراب الأفغاني مترجم رسالة الدهريين عن الفارسيـــة الى العربية فاتصلوا به وكان سؤاله الاول لهم ماذا تدرسون في الازهر ؟ فأجابوا الصرف والنحو فقال وكم مر عليكم من الوقت فقالوا عدة سنوات فقال عجباً وهل يحتاج الصرف والنحو لاكثر من عشرة اسابيع ثم قال كيف يعلمونكم ضرب زيد عمراً فقالوا ضرب فعـــل ماض مبني على الفتح لفظاً وزيد مرفوع بجاء فقال هذا منتهى العجب جاء مبني على الفتح لفظاًاي كما تبنى الحجارة بعضها فوق بعض وزيد مرفوع بجاء كما ترفع الاثقال بالآلات الميكانيكية واذن هذا سبب إضاعة الوقت بالتعليم وانما قولوا جاء فعل اصطلح عليه النحاة مفتوحـــاً والفاعل ما نطق به المتكلم مرفوعاً بعد الفعل ثم قال موعدنا الازهر .

وقد توجه بعدئذ الى الازهر والقى عدة محاضرات في التعليم والاصلاح والوطنية والسياسة الاجنبية قلب الافكار رأساً على عقب فكانت محاضراته سبباً لهرع عظماء مصر اليه وبعث الامة المصرية من مرقدها وترعرعها على يديه وحمل الامة المصرية حملة الرجل الواحد على محاربة الاستعمار .

وكان رحمه الله ينتقل من قطر الى قطر في الشرق وهو لا يحمل ذخيرة يستعين بها على عوزه حتى انه لما ودعه كبراء وادي النيل وحمل له سفير ايران بدرة من المال أجابه بقوله (الاسد لا يعدم فريسته حيثما ذهب) ولما أصدر جريدته العروة الوثقى واستدعاه السلطان عبد الحميد وخف الناس لاستقباله على البوسفور سألوه اين صندوق الكتب فأشار الى صدره الشريف وسألوه أين الامتعة فأشار الى بزته وجبته ولما قامت المشادة بينه وبين ابي الهدى الصيادي وشيخ الاسلام شاء السلطان ان يطيب بخاطره فعز ذلك عليه وقال انني لا ارضى ان اكون بنظرك بمثابة هؤلاء الحمير .

هل كانت آراء السيد افلاطونية جمهورية ام ارسطاطاليسية

على اثر وفاة السيد رحمه الله كتب العلامة الدكتور شبلي الشميل في مجـــلة الزهور وفي جريدة المشير المصرية مقالا عرف به السيد الى العالم العربي كفيلسوف وسياسي بآن واحد قال لم اكن اعرف الافغاني حينما هبط مصر وكانت شهرته العلمية والوطنية طبقت الآفاق الى وادي النيل وقد كان واسطة التعرف تلميذاه اديب بك اسحاق وقاسم بك امين وكان

سؤالي الاول له لأول مرة اجتمعنا هل يوافقكم الخديوي اسماعيــل ورياض باشا رئيس الوزارة المصرية على استنهاض الشعب المصري لمحاربة الحكومة الوطنية والسياسة الاجنبية معاً فأجاب بأنه عليه ان يؤدي واجبه الوطني في كل قطر صورة طبق الاصل عن الآخر ولو أطبقت الدنيا اطباقاً على حربه .

ثم يقول الشميل وأردت ان اتنصل من السياسة الى العلم فقلت وما رأي سيدي الاستاذ بالانسان الاول في العالم الاول وكيفية هبوطه من السماء الى الارض وقلت له انــني اكتب للدكتور فانديك ويكتب لي منذ خمسة وعشرين عاماً ولم نهتد الى ما يشفي الغليل فما كان من السيد الا ان دخل الى كهف الحقيقة بجرأة الاسد وكان يلخص رأيــه ان الانسان نشأ في الاراضي المرتفعة كجبل الشيخ ولبنان وانتقل تدريجياً الى الارض المنخفضة كفلسطــين والعراق وانحاء الجزيرة واستشهد بآثار تاريخية كاستعمال شجر الارز في عهد نوح للفلك وسليمان للبيوت واما آراؤه في السياسة فقد كان همه التوفيق بين جمهورية افلاطون والمبادىء الدينية في الاسلام اي التوفيق بين فلسفة الاغريق والدين في تطبيــق أنظمة الحضــارة المدنية الحديثة .

خاتمة

اما وقد ختمنا الحديث عن السيد الكبير رحمه الله وعلاقته بالانتفاضات الشرقية والعربية لا يسعنا الا ان نشير بأن ما نرويه عنه ليس له اي صلة او استسقاء مما كتبه الصديق العلامة المغفور له محمد باشا المخزومي في خاطرات جمال الدين الافغاني بل هي معلومات خاصــة استقيناها من تلامذته بالذات ودوناها بصورة امانة بدون زيادة ولا نقصان على النحو الذي درجنا عليه وان مر عليها في حقبتنا زمن طويل لا يقل عن خمسة واربعين عاماً جلها ان لم نقل كلها على التقريب .

وهنا ننهي الحديث عن علاقة الانتفاضات الوطنية في مصر بحوادث البلاد العربية وانتفاضاتها في فجر النهضة ونعود أدراجنا الى معالجة بقية الانتفاضات الوطنية في البلاد العربية ومراحلها مرحلة مرحلة وبذلك نكون دونّا تاريخ العهد الذي عشناه وعاصرناه وسبقنا بربع قرن او ما يقرب منه واستقيناه من المعمرين الذين شهدوه منهم بعض الافراد الذين عاشوه منذ بدء فجر النهضة الى استكمال اسباب الاستقلال في الشرق الاوسط وشمال السواحل الافريقية .

محمد كامل شعيب العاملي

كسر القيود

عيد استقلال لبنان

كسر القيود وحطم الأغلالا … وطن الكماة فأحرز استقلالا
وطن الرجولة والبطولة والعلى … نسل الفحول وأنجب الابطالا
وطن النوابغ والعباقرة الالى … ابتدعوا الحروف فنوّروا الاجيالا
هو منبت الاحرار لبنان الذي … ضرب الورى بإبائه الامثالا
هو درة في الشرق وهو منارة … أرخت على الغرب السحيق ظلالا
بلدي الحبيب تعاظمت أوصافه … وبرسمها عانى اليراع كلالا
ورث الحمية والندى عن « معنه » … وعن « البشير » مهابة وجلالا
بلدي الحبيب «شهابه» العالي اللوا … بسنى الهداية والحجى يتلالا
أحيا البلاد بفضله وبفضـــله … سبق الملوك وجاوز الاقيالا
لبنان رايته تموج بأرزه … كالبحر يعلو مائجاً مختالا
والارز فيه عزه وخلوده … وبه يعز على الغزاة منالا
وبجيشه يحمي حمى استقلاله … ويذل من يبغي له اذلالا
جيش الحمية ما أدق نظامه … وأجل قائده الفتى الرئبالا
جيش يزمجر زائراً متوثباً … فكأن في ثكناته اشبالا
جيش يبث الامن في ارجائنا … ويؤدب السفهاء والجهالا
حفظ المهيمن جيشنا وأحلّه … رتب العلى واجله اجلالا
لبنان عيدك باهر متألق … ومن الجلال مسربل سربالا
نسجت له كف المحاسن حلة … وكساه ربك من حلاه جمالا
فيه الهناءة انعشت أرواحنا … وبه السعادة اقبلت اقبالا
وبه الحشود تصافحت وتعانقت … ومشت تجر بتيهها الاذيالا
فيه القشاعم في الفضاء تسابقت … وبدت ترفرف فوقنا ارسالا
والجيش في استعراضه سحر النهى … وأراك من إبداعه أشكالا
فاسلم ودم جبلا نلوذ بظله … جبلا يظلل مجده الأجبالا
وليبق أرزك خالداً وليسقه … وبل السحائب دافقاً هطالا

بيروت … اديب فرحات

شعراء من جبل عامل

بقلم السيد علي ابراهيم

الشيخ حسن زين الدين

المولود في جبع سنة ٩٥٩ ، والمتوفى فيها سنة ١٠١١ هجريــة . لا يعرف ، الا اذا قلت بعد ذكر اسمه (صاحب المعالم في الاصول) وحينئذ يعرف العلماء اي علم رفيع الذي نقصد ، وان الاربع وعشرين مؤلفاً الذي ترك ، لم تبلغ بمجموعها على نفاستهـــا وجلالة قدرها ما بلغه هذا الكتاب الفذ من الشيوع والخلود ، ذلك لان علماء الأصول تلامذة على مدرسته فهو سهل واضح جامع ، ظهر في زمن كثر فيه التعقيد ، وقل المختصر المفيد ، ولا يتصور من يستلهم الانسانية معانيها الكبيرة أسمى وأنبل ممن يطلب العلم للعلم ، ويبتعد بأهدافه عن غايات الدنيا الحقيرة ، مرتفعاً بذلك لدرجة الرسل ومرتبة الانبياء وهل يوجــد أنفع للحياة من عامل فيها للخير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويلتزم بالنهج الذي يدعو اليــه فتراه امامه ودليله ، وكلما كثرت المصابيح المنيرة من أمثال هؤلاء الهــداة الــذين خلقوا للاريحية والنخوة وفطروا على حب الجهاد والتضحية ارتفع مستوى الانسان وسار بهديهم الى شاطىء الأمن والسلامة ، وامّ المثل العليا فهي هدفه الذي يعيش من اجله ويحن اليــه حنيناً يملك شعوره وحواسه ، فاسمع الشيخ يقول في مقدمة كتابه هذا (ومن أهم ما يجب على العلماء مراعاته تصحيح القصد وإخلاص النيــة وتطهــير القلب من دنس الأغراض الدنيوية ، وتكميل النفس في قوتها العملية وتزكيتها باجتناب الرذائل واقتناء الفضائل الخلقية وقهر القوتين الشهوية والغضبية ، ويروى عن الامام ابي عبد الله قوله : طلبة العلم ثلاثــة

فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم ، صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل .

هذه اللمحات تثير امام القارىء من اول الطريق مشكلة العلم والعمل وترمز لما يشغل فكر صاحبها من حب الصدق وتطبيق العمل على الايمان وهي بين يدي الكتاب منهاج واضح يقيد المؤلف بعهد ويلزمه بوعد يعتبر عن حقيقة طالما حن اليها العلماء وتشوفوا تلك الحقيقة هي لزوم اعتماد العالم على العلم والحق والارتفاع به عن حب المادة وطلبها ومشاركة الناس بالمسعى الحثيث وراء كسب يرجى ومغنم يرغب فيه . وقد أشارت الحكمة المأثورة لهذا الصراع الرهيب بين النفس والهوى حيث تقول : (اذا رأيت العلماء على ابواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك وان رأيت الملوك على ابواب العلماء فنعم الملوك ونعم العلماء) . ويروي الشيخ عن الإمام ابي عبد الله قوله : اذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب ، وقد أوحى الله الى داود لا تجعل بينك وبيني عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فان اولئك قطاع طريق عبادي المريدين الي ، ان ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من نفوسهم .العالم عندما يكبر العلم في نفسه وفكره ويحتل الدين قلبه وشعوره ، تزهر الاشياء في نظره وتشرق ، ويتناول الجانب الوضاء منها ، وهو دائماً وراء غامض يفني عمره في جلائه ، ومشكلة تمر الليالي وهو دائب على حلها ، لا يهدأ ولا يستقر كأن للبحث عنده صلة دائمة وللجهد تابع يدعوه ويلح عليه بالسؤال ... يمشي الزمان وتسير الايام يتلو بعضها بعضاً وتتعاقب الأحداث على مسرح الحياة متشابهة مملولة ، وتفنى الملوك والاساطين وتطوى الاعيان والامراء ... ومجد العلم باق لا يزول يتحدى الغير ويصمد في وجه الارزاء ولا تفعل فيه الانواء والاعاصير الا بمقدار ما تفعل بالجبل الراسخ يرفده الدهر بالعطاء فكلما تصرم توهج وزاد خلوداً ومضاء ... وهو كذلك عندما يعتني حامله بالجوهر ويقصد اللباب ، ويعمل للانسانية جمعاء ، فيصبح اهلا للمرتبة السامية التي يقود بها الحياة وابناءها ، ويقرع الملوك بمثل ما قرع به الفيلسوف المشهور ، الاسكندر عندما عرض عليه خدماته والجيش خلفه لجب متلاحق ... قال له بكل بساطة ووضح (تنح عن شمسي) .

شعره

ترك ديواناً من الشعر يمتاز بالسهولة والوضوح وصفاء العرض ، ولا بد لنا من التنبيه للزمن الذي قيل فيه ، وللشخصية العلمية الكبيرة التي انتجته فذلك يضفي عليه رونقاً وبهاء ،

ويلفت النظر بصورة خاصة حنينه للبنان ، ايام هجرته لطلب العلم بالعراق وليس غريباً على الشيخ ان يحن للبنان فهو مهوى الافئدة ومطلع الاماني والآمال ومهد الحسن والجمال، والآن لنستمع اليه يحن ويشكو الفراق :

طول اغترابي بفرط الشوق أضناني والبين في غمرات الوجد أبقاني
يا بارقاً من نواحي الحي عارضني اليك عني فقد هيجت أشجاني
فما رأيتك في الآفاق معترضاً الا وذكرتني أهلي وأوطاني
وما سمعت شجى الورقاء نائحة في الايك الا وشبت منه نيراني
كم ليلة من ليالي البين بت بها أرعى النجوم بطرفي وهي ترعاني
وكم حييت وكم قدمت من شجن ما ذاك اول احيائي ولا الثاني
ويا نسيماً سرى من حيهم سحراً في طيه نشر ذاك الرند والبان
أحييت ميتاً بأرض الشام مهجته وفي العراق له تخييل جثمان
لا يسكن الوجد مادام الشتات ولا تصفو المشارب لي الا بلبنان
كم قد عهدت بهاتيك المعاهد من اخوان صدق لعمري اي اخوان
وكم تقضت لنا بالحي ازمنة على المسرة في كرم وبستان
يا جيرة الحي قلبي بعد بعدكم في حيرة بين اوصاب واشجان
باق على العهد راع للذمام فما يسوم عهدكم يوماً بنسيان

* * *

فؤادي ظاعن اثر النياق وجسمي قاطن ارض العراق
ومن عجب الزمان حياة شخص ترحل بعضه والبعض باقي
وحل السقم في جسمي فأمسى له ليل النوى ليل المحاق
وصبري راحل عما قليل لشدة لوعتي ولظى اشتياقي
واظمأني النوى وأراق دمعي فلا اروى ولا دمعي براقي
سقتني نائبات الدهر كأساً مريراً من اباريق الفراق
وفاض الكأس بعد البين حتى لعمري قد جرت منه سواقي
وليس لداء ما القى دواء يؤمل نفعه غير التلاقي

وقد درج الكثير من الشعراء السابقين على مزج الغزل بالمناجاة ينشدون حبيباً ويتوجهون بنفوسهم لمعشوق واذا تأملت وجدت في أعماقهم شيئاً غير الغزل ، انما هو

المناجاة والتوجه للخالق القدير ومن الطبيعي ان يكون الشيخ من روادهم يلهج لسانه بمثل هذه النفحات .

لحسن وجهك للعشاق آيات ... ومن لحاظك قد قامت قيامات
تفديك نفسي هل للهجر من امد ... يقضى وهل لاجتماع الشمل ميقات
ما العيش الا ليال بالحمى سلفت ... يا ليتها رجعت تلك الليلات
ساعات وصل بطيب الوصل رائقة ... تجمعت عندنا فيها المسرات
نامت صروف الليالي عن تقلبها ... بنا فكم قضيت فيها لبانات
سقياً لها من سويعات نضن بها ... اذ صفوة العمر هاتيك السويعات
يا لائمي بالهوى جهلا بمعذرتي ... دع عنك لومي فما تجدي العلامات
ان الملامة ليست لي بنافعة ... من بعد ما عبثت في الصبابات
حان الرحيل عن الدنيا فقد ظهرت ... من المشيب له عندي امارات
يا ضيعة العمر لم أعمل لآخرتي ... خيراً ولا لي في دنياي لذات

وهو كيفما اتجه بتفكيره وتصويره لا يستطيع ان ينسى الآخرة والموت فاذا استلهم الخاطرة العالقة بالنفس من ذكريات الماضي او استنطق تجاربه بالناس والحياة ليستخرج من ذلك الحكمة يمشي به تفكيره للعظة والتزهيد بالدنيا ، وان كان العنوان ادكار ما مضى كما ترى بأمثال هذه الصور :

الله كم ليلة في العمر لي سلفت ... العيش في ظلها احلى من العسل
والجد يسمو بمطلوبي فما ذهبت ... من بعدها برحة حتى تنكر لي
الدهر ظل على اهليه منبسط ... وما سمعنا بظل غير منتقل
كم غر من قبلنا قوماً فما شعروا ... الا وداعي المنايا جاء في عجل
وكم رمى دولة الاحرار من سفه ... بكل خطب مهول فادح جلل
فاركب غمار المعالي كي تبلغها ... ولا تكن قانعاً منهن بالبلل
فذروة المجد عندي ليس يدركها ... من لم يكن سالكاً مستصعب السبل
فان عراك العنا والضيم في بلد ... فانهض الى غيره في الارض وارتحل
وان خبرت الورى الفيت اكثرهم ... قد استحبوا طريقاً غير معتدل
فكن عن الناس مهما استطعت معتزلا ... فراحة النفس تهوى كل معتزل
ان عاهدوا لم يفوا بالعهد او وعدوا ... فمنجز الوعد منهم غير محتمل

يحول صبغ الليالي عن مفارقهم ليستحيلوا وسوء الحال لم يحل

ويقف امام الديار سائلا عما فعل الردى فيها ، وشأنه بذلك شأن اكثر الشعراء المتقدمين وان هذا النوع من الحنين يحدث عن لواعج الشوق الصادق للوطن ، عبر عنه الشريف الرضي بقوله :

وتلفتت عيني ومذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

والحسن بن هاني بقوله :

ودار الندامى عطلوها وادلجوا بها أثر منهم جديد ودارس

وغيرهم وهو كثير منه قول الشيخ :

قف بالديار وسلها عن أهاليها عسى ترد جواباً اذ تناديها
واستفهمن من لسان الحال ما فعلت ايدي الخطوب وماذا ابرمت فيها
فسوف تنبيك ان القوم قد رحلوا ولم تكن بلغت منهم أمانيها
وغادرتها صروف الدهر خالية قد هدمت أسفاً منهم مغانيها
وناب عن عزها ذل الكآبة إذ تغيرت بعدما بانوا معانيها

بيروت علي ابراهيم

اعرف نفسك

لا تسرع الى ارفع موضع في المجلس : فالموضع الذي ترفع اليه ، خير من الموضع الذي تُحط منه .

ابن المعتز

ارق الناس شعراً

قال ابو الحسن جحظة البرمكي قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟ قال اصبحت ارق الناس شعراً ، قلت : أتعرف قول الاعرابي :

فما وجد اعرابية قذفت بها صروف الليالي حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرخاء وخيمة بنجد فلم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت ماء العضاة وطيبه وماء الصبا من نحو نجران انت
بأعظم من وجد بليلي وجدته غداة غدونا غدوة واطمأنت
وكانت رياحاً تحمل الحاج بيننا فقد بخلت تلك الرياح وضنت

فصاح خالد وقال : ويحك ، ويلك يا جحظة ! هذا والله أرق من شعري .

الشاعر أبو القاسم الشابي

بقلم خضر عباس الصالحي

ابو القاسم الشابي شاعر رقيق الانغام ، حاد العاطفة ، متدفق الشعور ، شديد الحساسية بالجمال ، رائع في شعره الوجداني والوطني والغزلي روعة لا حد لها ، مع انسجام التعبير ، وجمال التصوير ، وقوة التأثير ، وموسيقية الالفاظ ، وإشراقة الديباجة ، انطلق بمواهبه الفنية الاصيلة الى ارحب الآفاق ، واتجه في شعره الى الجانب التصويري الغنائي ، وسعى بكل براعة للانطلاق بالشعر العربي المعاصر من جوانبه الضيقة ، ومنهجه التقليدي القديم الى دنيا زاخرة بالإنسانية والمحبة والنور ، واسلوبه عذب غنائي بعيد عن التأنق والتزويق واستعمال المحسنات البلاغية ، وغريب الالفاظ ، خال من العواطف المائعة ، يتذوق الجمال ويجيد التعبير عنه بحذق ولباقة ...!

وهو بالاضافة الى تصويره الدقيق لخلجات النفوس ، وهزات العواطف ، عبّر عن المشاعر الانسانية الصحيحة ، في خيال مرهف ، وطاقة شعرية رائعة ، واداء نفسي عميق ، وله في هذا المجال قطع فنية بديعة ، تهتز عواطفنا لكلماتها الخيرة النبيلة ، ويكتسب فيها الجانب الانساني الرفيع دلالته العميقة ، لما فيها من صور شعرية متوهجة بالبساطة والعفوية والطيبة ، نلمسها واضحة في العديد من قصائده التي تسجل خطوات موفقة نحو النضج والتكامل الفني ...!

لقد قضى فترة طويلة من حياته متنقلا بين مباهج الطبيعة ومفاتنها ، وهفا قلبه اليها بشوق متزايد ، ووصف ما فيها من جداول وزهر وجنى وصفاً دقيقاً اخاذاً .!

وقصائده التي استوحاها من جمال الطبيعة نقرأ فيها تصويراً عاطفياً مبهجاً شفافاً كأننا في حلم لذيذ لا ينتهي ...! حيث تنساب في حنايا النفوس كالخمرة الشهباء ، فهي صافية الالوان ، رائقة الظلال ...!

ويقيناً ان الكثير من شعره كان واقعياً موضوعياً ، اثبت وجوده الفني ، وفرض مذهبه الجديد على فئة كبيرة من شعراء الشباب ، سيا في تعبيراته عن انفعالاته النفسية ، ونزعته

الذاتية العاطفية ، ونظراته التأملية العميقة ، وخصب خياله المصور ، وبنائه الفني المتماسك الرصين ، وشغفه بمجالات الحياة التي اخذ منها الحكمة والعبرة والدرس النافع .

هناك على ضفاف الصحراء من الجنوب الشرقي من تونس الخضراء يلوح «شط الجريد» الذي لم يكن غير بحيرة صافية المياه تلتف حولها واحات النخيل الفيحاء ، والغابات الساحرة التي ترفل في اكنافها شجيرات البرتقال كعذارى الغيد الحسان ذوات السحر الحلال ، والفتنة الصارخة ...!

وفي هذه الدنيا الحالمة الضاحكة ، وعلى الساحل الشمالي الغربي لشط الجريد تقع مدينة « توزر » وفي ضاحية منها تتراءى قرية « الشابية » نائمة في أحضان الطبيعة الوادعة حيث الينابيع السخية ، والنخيل الباسق ، والبحيرة الهادئة ..!

و « الشابية » التي تبعد زهاء مائتين وثلاثين ميلا من العاصمة « تونس » هي التي شهدت مولد الشاعر الخالد ابي القاسم الشابي في فجر يوم الاربعاء الموافق للرابع والعشرين من شهر شباط عام ١٩٠٩م .

وكان ابو القاسم الشابي منذ الصغر ، عصبي المزاج ، متقد الاحساس ، ثائر العواطف ، فطري الذكاء ، حفظ القرآن الكريم وهو في سن التاسعة من عمره حفظاً كاملا ، كما استوعب في ذاكرته الكثير من روائع الادب العربي القديم والحديث ..!

وكان والده « محمد بن ابي القاسم الشابي » أحد القضاة الشرعيين المشهود لهم بالاخلاص والنزاهة والتفاني في خدمة الشعب ، فقد أجيز من الازهر الشريف ، بعد دراسة دامت سبع سنوات ، ثم التحق بجامع « الزيتونة » فظفر بشهادة « التطويع » .!

وبدأت اسرة الشاعر ابي القاسم الشابي تتنقل بحكم وظيفة والده من الشابية الى قفصة وزغوان وقابس وسليانة فتالة ومجاز الباب ورأس الجبل ، فأتاح له هذا التنقل فرصة التعرف على احوال البلاد التونسية ، والاستمتاع بمرأى جمالاتها الطبيعية الخلابة ، ودراسة العادات والتقاليد التي تسود مجتمعاتها المختلفة ، والتوغل بين ابناء وطنه ، والتحسس بما كانوا يعانونه من ظلم الاستعمار واضطهاده ..

وكانت له ذاكرة قوية تلتقط صور المجتمع ، تلك الصور التي تنعكس ظلالها على شعره الانساني الممتع ، والتي يلونها بخلجات روحه المتمرد الطليق ...!

وفي الثانية عشرة من عمره ارسله والده الى جامع الزيتونة في تونس ، فدرس العلوم الاسلامية من اصول وفقه ، والعلوم اللغوية من قواعد وادب وبلاغة ، واخذت شخصيته

تنضج ، ومواهبه تتفتح ، وآفاق معارفه تتسع ، وتجاربه الشعورية تتعمق .. وفي عام ١٩٢٧، أحرز شهادة « التطويع » والتحق مباشرة بكلية الحقوق التي كانت العلوم فيها تدرس باللغة العربية ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٠م وهكذا ظل « ابو القاسم الشابي ، طوال سني حياته لم يتعلم اية لغة اجنبية ، ولكنه اطلع على الادب الغربي من خلال ترجمته الى اللغة العربية .! »

وكان في اثناء هذه الحقبة من حياته يعكف على مطالعة الكتب الجديـدة الواردة من المهجر العربي في الامريكتين الشمالية والجنوبية ، فعرف فيها جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وايليا ابو ماضي ، ونسيب عريضة ، وامين مشرق ، وندرة حداد ، ورشيد ايوب وفوزي المعلوف ، وشفيق المعلوف وغيرهم من أعضاء الرابطة القلمية ، والعصبة الاندلسية، الذين عملوا على تأسيس مدرسة ادبية جديدة ، كانت من مهامها ، اذكاء نار الثورة على الاسلوب التقليدي القديم ، والقيم الفنية البالية ، والدعوة بحماس الى الحرية الفكرية وتقديسها والذود عنها ، والحفاظ عليها ...!

وليس من ريب ان الادب المهجري حدث هائل خطير في تاريخ ادبنا العربي المعاصر. ايقظ الضمائر الهامدة ، وفتح العيون الغافية على تردي الاوضاع السياسية والاجتماعية في الشرق واستفزت مشاعر الشعب العربي لتفجير بركان الثورة العارمة على حكامه المستبدين الخونة الذين يقودونه نحو الهاوية . وكشف الاقنعة الصفيقة عن وجوه اولئك الادباء المزيفـين الذين يدعون الادب زوراً وبهتاناً ، ولم يكن لهم من عمل سوى بث سموم التفرقة والحزازات واحلال الفوضى والاضطراب محل الامن والاستقرار ..!

ويظهر من بعض قصائد ابي القاسم الشابي انه تأثر بهذه المدرسة الادبية المتجددة الواعية تأثراً عميقاً لا في الاسلوب وحده ، بل في المعاني والافكار ايضاً .

وفي عام ١٩٢٩م وهو في ريعان شبابه تزوج من ابنة عمه التي كانت آية في السحر والجمال الا انه كان زواجاً فاشلا غير موفق ، فأدمى قلبه الرقيق ، ومزق روحه الحنون ... وبينما كان يقاسي مرارة الخيبة ، ويصارع الآلام المبرحة ، اذ توفي والده ، فأصبح لزاماً عليه ان يعول اسرتين ، اسرته هو ، واسرة ابيه ، فألقيت على عاتقه مهام جسام ، وتحمل مسؤوليات ضخمة ، وازدحمت حياته بالارزاء ، وامتلأ طريقه بأشواك الفقر ، وتنكر له المجتمع الذي نذر نفسه لخدمته ، وشدد الاستعمار الخناق عليه ، وأصيب بداء تضخم القلب ... ولكنه بالرغم من رقة حاله ، وتعاظم حاجته الى المال ، رفض المناصب الحكومية ضناً منه بحرية الفكر التي رفع لواءها منذ الصبا ، وظل اميناً لها ، ومدافعاً عنها ، ومترنحاً بها حتى النهاية .

وبالنظر لتوصيات الاطباء له اخذ يرتاد المصائف الجميلة كعين دراهم في شمال تونس ، والمشروحة ببلاد الجزائر ، وفي مطلع سنة ١٩٣٤م اخذ يعد ديوان « أغاني الحياة » للطبع ، ولكن المرض الوبيل استنزف قواه ، واشتدت وطأته عليه ، فقصد تونس للاستشفاء والمعالجة عارضاً نفسه على الاطباء ...

وفي صباح اليوم التاسع من شهر تشرين الاول عام ١٩٣٤م هصر الموت غصن شبابه في المستشفى الايطالي ، وفي احتفال مهيب نقل جثمانه الى بلدته « توزر » ودفن فيها وعاد الى الارض امه الرؤوم بعد ان لمع أسمه في سماء الشعر العربي الحديث كالشهاب ، ولكنه سرعان ما احترق وهوى الى الارض مخلفاً وراءه بريقاً متوهجاً لا ينطفىء الى الابد .

وكانت تونس في حياته تئن تحت الكابوس الاستعماري الثقيل ، وهو يرى بأم عينيه معالم الفقر والبؤس والجهل تخيم عليها ، في الوقت الذي كان فيه المستعمرون وعملاؤهم يدأبون على انتهاب الخيرات ، وابتزاز الاموال ، واراقة دماء الابرياء .

وكان يتحسس الاحداث المثيرة التي تجتاح الوطن العربي الكبير ، ويراقب عن كثب صراعات شعبه المناضل ضد الاستعمار ، وتفانيه في سبيل انتزاع الاستقلال والحرية والسيادة الوطنية ..

وكانت مجلة « ابولو » الشهيرة التي اصدرها الشاعر الكبير المرحوم احمد زكي ابو شادي في القاهرة هي التي اكتشفت شاعرية ابي القاسم الشابي ، فنشرت له ولاول مرة قصيدتيه « الجنة الضائعة » و « صلوات في هيكل الحب » .

ولابي القاسم الشابي شخصية ادبية جديرة بكل اعجاب وتقدير ، فهو لم يتخذ من الشعر وسيلة للارتزاق والتهريج والشعوذة ، واداة لتحقيق الغايات التافهة ، والامجاد الكاذبة ، وبلوغ الشهرة الزائفة ، واقتناص المآرب الزائلة ، فيسعى الى مدح ملك واسع النفوذ ، او رثاء امير راحل ، كما فعل غيره الكثير من شعراء العرب القدامى والمحدثين ، بل جعل من شعره حافزاً على ايقاظ همم شعبه الى التمرد والوثوب والثورة في وجه الطغاة المعتدين ، ليتحرر من أصفاد العبودية ، ويسمو بروحه الى سموات الابداع والتقدم والعمل ، ويواكب ركب الحياة المتطورة النشيطة .

وفي ترفع الفنان واعتزازه بموهبته الشعرية الاصيلة ، يقول :

لا انظم الشعر ارجو ... به رضاء الأمير
بمدحة او رثاء ... تهدى لرب السرير

حسبي اذا قلت شعــراً	أن يرتضيه ضميري

* * *

ما الشعر الا فضاء	يرف فيه مقالي
فيما يسر بلادي	وما يسر المعالي
وما يثير شعوري	من خافقات خيالي

* * *

لا اقرض الشعر ابغي	به اقتناص نوال
الشعر ان لم يكن في	جماله ذا جلال
فانما هو طيف	يسعى بوادي الظلال
يقضي الحياة طريداً	في ذلة واعتزال

وفي قصيدته « نشيد الجبار » تتجلى قوة شخصيته ، ورباطة جأشه عند الشدائد والمحن، وتلتهب مشاعره بشوق الشباب ، وعزم الحياة ، وتسبح روحه المرفرفة الخفاقة بين امواج خضراء من الأحلام والرؤى ... فيقول :

سأعيش رغم الداء والأعداء	كالنسر فوق القمة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئاً	بالسحب والأمطار والأنواء
لا ألمح الظل الكئيب ولا أرى	ما في قرار الهوة السوداء
وأسير في دنيا المشاعر حالماً	غرداً وتلك طبيعــة الشعراء
أشدو بموسيقى الحياة ووحيها	واذيب روح الكون في انشائي
واصيخ للصوت الإلهي الذي	يحيي بقلبي ميت الأصداء
امشي بروح حالم متوهج	في ظلمة الآلام والأدواء
النور في قلبي وبين جوانحي	فعلام اخشى السير في الظلماء
اني انا الناي الذي لا تنتهي	انغامه ما دام في الأحياء
وانا الخضم الرحب ليس تزيده	الا حياة سطوة الانواء

واحب ابو القاسم الشابي بلاده « تونس » حباً جارفاً قوياً لا نهاية له ، وكان هذا الحب يرهف خياله ، ويستثير عاطفته ، فيصور ما فيها من جمالات ومثيرات ، انــه عاشق هائم بهواها فلا يبالي من التضحية بالغالي والنفيس من اجل تحريرها من قيود الاستعمار ، ولا [illegible] ان اريقت دماؤه الزكية الطاهرة على ارضها المقدسة ليغسلها من دنس الخزي والعار [illegible]

الى شعبها المكافح العنيد مجده المغتصب ، فيقول :

انا يا تونس الجميلة في لج الهوى قد سبحت اي سباحه
لست انصاع للواحي ولو مت وقامت على شبابي المناحه
لا ابالي وان اريقت دمائي فدماء العشاق دوماً مباحه
وبطول المدى تريك الليالي صادق الحب والولاوسجاحه
ان ذا عصر ظلمة غير اني من وراء الظلام شمت صباحه
ضيّع الدهر مجدشعبي ولكن ستردّ الحياة يوماً وشاحه

وكان يتحسس واقع بلاده المؤلم تحسساً عميقاً ، بلاده التي كانت تعيش في ظل الاستعمار الرهيب ، فراح ينذر الطغاة المجرمين بقرب انبلاج فجر البعث والانطلاق ، ويصور الصراع المرير بين القوى الشريرة الضارية ، وبين الضعيف المغلوب على أمره ، ويؤمن بأن النصر النهائي للمستضعفين الذين زاد وعيهم اشتداداً وامتداداً بفضل اتساع نطاق الأفكار الخيرة المتنامية . تلك الأفكار الحرة المستنيرة التي تدفع كافة الشعوب الى التضامن والوقوف كتفاً الى كتف لمكافحة الاستعمار البغيض اينما كان ، لتطهير الأرض ، كل الأرض من آثامه وشروره الآخذة بالتقلص والضمور والانحسار عن الأنظار .

فيقول :

يقولون صوت المستذلين خافت وسمع طغاة الأرض أطرش أصخم
وفي صيحة الشعب المسخر زعزع تخر لها شم العروش وتهدم
اذا التف حول الحق قوم فانه يصرّم احداث الزمان ويبرم

* * *

لك الويل ياصرح المظالم من غد اذا نهض المستضعفون وصمموا
اغرك ان الشعب مغض على قذى وان الفضاء الرحب وسنان مظلم
الا ان احلام البلاد دفينة تجمجم في اعماقها ما تجمجم
سيثأر للعز المحطم تاجه رجال اذاجاش الردى فهموهمو
رجال يرون الذل عار وسبة ولا يرهبون الموت والموت مقدم

وانطبع في ذهنه صور عديدة عن مظالم الاستعمار ، وجرائمه الفظيعة ، فوطن نفسه على تحمل المكاره والآلام والمشاق ، وطفق يناضل لرفع كابوس الاستعباد عن بلاده ، والقضاء على بؤس شعبه الكادح المكبل بالسلاسل والاغلال ، ومكافحة كل جائر مستبد ، وإزهاق

روحه الاجرامية ، وسحق نواياه الشريرة التي تسعى لإيقـاف تنـامي الوعي التحرري في الجماهير ، وعرقلة انطلاقة الشعوب في مسيرتها الظافرة نحو الحرية والنور والمجد ...!
فيقول :

الا ايها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياه
سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تشوه سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه

* * *

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الغناء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
حذار فتحت الرماد اللهيب ومن يبذر الشوك يجن الرياح

* * *

تأمل هنالك ، اني حصدت رؤوس الورى وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل ، سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل

ويقول :

يا ايها السادر في غيه يا واقفاً فوق حطام الجباه
مهلا ففي انات من دستهم صوت رهيب سوف يدوي صداه
يا ايها الجبار لا تزدري فالحق جبار طويل الأناة
يغفي وفي أجفانه يقظة ترنو الى الفجر الذي لا تراه

والأدباء هم المكافحون الأحرار الذين يـدافعون عن حقوق شعوبهم ، ويشدون من أزرها ، ويتغنون بأناشيد الكرامة والإباء والحرية ، ويفجرون طاقات الجماهير الكفاحية ، ومدها بدم الحياة الجديدة النابضة لتقضي على أحلام الطغاة السوداء ، وتطمح الى حيـاة كريمة حرة تنعم في ظلها بالاستقرار والسعادة والدعة ... ولذا فالاستعمار وأعوانه يستهدفون دوماً اثارة الجزع واليأس والقنوط في قلوب المفكرين الأوفياء ، ويشددون النكير عليهم ، ويكمون افواههم ، ويخنقون انفاسهم ، ويقذفون بهم في ظلمات السجون الرهيبة ، ليظلوا قابعين هناك وراء الجدران السميكة .. فيقول :

كلما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه يريد صلاحه

اخمدوا صوته الإلهي بالعسف أماتوا صداحه ونواحه
ألبسوا روحه قميص اضطهاد فاتك شائك يرد جماحه
وتوخوا طرائف العسف والإرهاق معه وما توخوا السماحه
هكذا المصلحون في كل صوب رشقات الردى اليهم متاحه

وكان ابو القاسم الشابي وهو الفنان الحساس يستشعر ألماً مريراً ، ألماً ينبعث من صميم قلبه ، فتنبثق في كيانه قوة دفاقة من الغضب الصاخب ، والتذمر الشامل ، وينحي باللائمة على شعبه بسبب سيطرة روح الاستسلام واليأس والتلكؤ عليه ، وخنوعه للنفوذ الأجنبي ، فيندد به متبرماً من الواقع المؤلم ، وهو يهدف من ذلك الى ايقاظ وجدانه ، وتحريك ضميره وهز مشاعره ـ لأن الثقة كانت تملأ جوانب نفسه بمستقبل أبناء وطنه ، فكان يواجههم بالصراحة المطلقة ، فيعري الحقائق ، حقائق الوضع الشاذ الذي تسود حياتهم ، حقائق الذل والعبودية التي يرسفون في قيودها الثقيلة ، فكان يسلط عليهم الأضواء الكشافة ليكونوا على بصيرة من امرهم ...! وراح يذكي فيهم نيران الشعور الوطني اللاهب ، وينفخ فيهم روح الإقدام والبسالة والتضحية ، ليثوروا ثورة العواصف العاتية ضد الاستعمار الفرنسي الرهيب فقد كانت تخيم عليهم غمامة سوداء من الإرهاب الدموي العنيف .

بغداد خضر عباس الصالحي

مكارم الاخلاق

احب معالي الأخلاق جهدي واكره ان اعيب وان اعابا
واصفح عن سباب الناس حلماً وشر الناس من حب السبابا
واترك قائل العوراء عمداً لأهلكه ، وما اعيي الجوابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

طرفة من جحا

مرض جحا يوماً فأوصى اذا مات ان يدفن في مقبرة قديمة ، ولما سئل الغاية من ذلك أجاب :

ـ حتى اذا جاء منكر ونكير وارادا محاسبتي قلت لهما انا ميت من زمان !!

من كلام الرسول ﷺ

* جنة الرجل داره . * دع ما يريبك الى مالا يريبك .
* احترسوا من الناس بسوء الظن . * المرء كثير بأخيه .

وادي السلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

يقلم محسن عبد الصاحب المظفر

– ٤ –

تربة المقبرة وهواؤها ومزية الدفن فيها

تربة المقبرة تربة رملية نقية ناعمة ، هذا ما يخص القسم الأعلى منها اما القسم الذي يلي ذلك بحوالي عشرون سنتيمتر ، عبارة عن منطقة صخرية متكونة من صخور رملية قوية تسمح لحفر اللحود فيها بصورة عمودية ، وتسمح لإدخال الإنسان وتوديعه في مكان قدحفر بصورة أفقية وبطول المتوفي . وقد تبقى الصخور والتربة محافظة على تماسكها ولكن بعد مدة ينهدم ما يحيط بالتجويف الأفقي الراقد فيها المتوفي فتضيع معالم التجويف .

وتتصف المقبرة بالجفاف التام ، لأنها جزء من المنطقة الصحراوية الجافة . فهي لهذا بقعة ذات رمال وصخور رملية نقية جافة لا تظهر فيها اية رائحة مما نسميها بالعفونة او ما يدل عليها . والحقيقة ان الكثير من اهالي النجف يتركون المدينة وازقتها الضيقة وشوارعها المزدحمة الصاخبة بضجيج الناس والسيارات ، ليتجولوا خلال شارع المقبرة الملتوي ،اوبين القبور ، ويشموا هواءها الزكي العذب من فضائها الرحب .

وقد قيل ان من خواص تربة المقبرة اسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون فيها ، كما وردت في الأخبار عن اهل البيت «ع» (١) .

وفي باب ذكر خصائص ذكر المدفن في النجف وحشر الأرواح فيه قال العلامة

---

(١) ارشاد القلوب ص ٤٣٥ ج ٢ .

المجلسي طيب الله ثراه في مزار البحار : ومن خواص الحرم الشريف ان جميع المؤمنين يحشرون فيه (١) .

وقد وردت اخبار كثيرة في انه بين النجف والكوفة ، يكون الأموات قعود يتحدثون على منابر من نور .

وعن عبابة الأسدي عن حبة العرني ، قال خرجت مع امير المؤمنين علي «ع» الى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب الأقوام ، فقمت بقيامه حتى اعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا امير المؤمنين اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال : يا حبة ان هو الامحادثةمؤمن اومؤانسة قال : قلت يا امير المؤمنين وانهم لكذلك قال : نعم ، ولو كشفت لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتسبين يتحادثون ، فقلت : اجسام ام ارواح ، فقال ارواح ، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض الا وقيل لروحه الحقي بوادي السلام ، وانها لبقعة من جنة عدن (٢) .

فما من مؤمن في شرق الأرض وغربها الا وقد خوطبت روحه للالتحاق والإنحشار مع الأرواح المؤمنة الخيرة ، في وادي السلام ، وما عليها الا ان تلبي النداء ، نداء الخالق الجليل .

وبالإسناد الى الأصبغ بن نباتة رحمه الله قال خرج امير المؤمنين «ع» الى الكوفةفلحقناه فقال سلوني قبل ان تفقدوني ، فقد مُلئت الجوانح مني علماً ، كنت اذا سئلت اعطيتواذا سكت ابتدأت ثم مسح بيده على بطنه وقال : اعلاه علم وأسفله ثقل ، ثم مر حتى اتى الغريين فلحقناه وهو مستلقي على الأرض بجسده وليس تحته ثوب ، فقال له قنبر يا امير المؤمنين الا ابسط تحتك ثوبي ؟ قال : هل هي الا تربة مؤمن ومزاحمته في مجلسه ، فقال الاصبغ تربة المؤمن قد عرفناها ، فما مزاحمته في مجلسه ؟ فقال يا ابن نباتة لو كشفت لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذه حلقاً حلقاً يتزاورون ويتحدثون ان في هذا الظهر روح كل مؤمن .

فبحسب روايات المحدثين الكبار عن الأخبار المروية بأن تربة النجف لفضلها وعظيم شأنها ، قد اشتراها ابراهيم الخليل «ع» كما جاء ذلك في معجم البلدان (٣) .

وكذلك (٤) جاء ما رواه ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي

---

(١) ارشاد القلوب ص ٤٢٦ ج ٢ ، راجع مزار البحار ص ٧٩ - ٨٠ ايضاً .

(٢) مزار البحار ص ٨٠ .

(٣) راجع كتاب مشهد الامام او مدينة النجف محمد علي جعفر التميمي ج١ ص ٩٠ .

(٤) فرحة الغري ص ٢٠ لابن طاووس .

الحسيني في كتاب فضل الكوفة باسناد رفعه الى عقبة بن علقمة ابي الجنوب ، قال : اشترى امير المؤمنين علي «ع» ما بين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة من الدهاقين بأربعين الف درهم وأشهد على شرائه قال : فقيل له يا امير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس ينبت حطبا فقال سمعت من رسول الله ﷺ يقول كوفان برد اولها على آخرها يحشر من ظهرها سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب واشتهيت ان يحشروا في ملكي .

وفي ارجوزة السماوي « عنوان الشرف في وشي النجف الفصل الثاني ص ١٤ » في ان المدفون بها آمن من عذاب البرزخ .

ثرى به أمن عذاب البرزخ من حيث جيء فرسخاً في فرسخ
فان من يدفن خلف الخندق عند علي لم يخف مما لقي

وورد في كتاب مشهد الإمام (١) ما كتبه الفاضل ملا مهدي المعروف بالتراقي الى العلامة آل بحر العلوم (ره) .

ألا قل لسكان أرض الغري هنيئاً لكم في الجنان الخلود
افيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وانتم ورود

فأجابه العلامة (ره) :

الا قل لمولى يرى من بعيد ديار الحبيب بعين الشهود
لك الفضل من غائب شاهد على حاضر غائب بالصدود
فنحن على الماء نشكو الظما وفزتم على بعدكم بالورود

فإنك وان كنت غائباً عن ارض الغري ولكن كنت بحكم الحاضر لأنك تحب المجاورة.

فلا ازيد اكثر مما بينت وبينت هذه الروايات التاريخية المسندة عدا فضل هذه الأرض ومزية الدفن فيها ، وما لها من الجلالة والقدسية من رونق يضفي على النفوس الحية ايما اجلال لها واعتزاز بها ، كبيت للجميع ودار للبقاء بعد ترك دار الخراب والغرور والفناء .

المقامات والمراقد المشرفة التي تضمها المقبرة

في جوانب عدة من المقبرة تشاهد مقامات ومراقد مشرفة بارزة في بنائها الضخم وقببها الرائعة ، ومكانتها البالغة من قلوب الزائرين الذين يؤمون النجف في كل حين ، وما المقام الا مكان وقف فيه او قعد طلباً لراحة ، او ركع فيه او سجد ابتغاء لمغفرة ، نبي او امام فقامت لمقامه الذي لم يستمر الا فترة وجيزة ، بناية تبقى مر الزمان تدار وتزار ، وها انا اوجز شيئاً عن بعضها :

(١) مشهد الامام او مدينة النجف محمد علي جعفر التميمي .

مقام المهدي «ع»

هناك في مكان رحب ليس بالقصي مقام للقائم المنتظر «ع» يأخذ مجالا وسطاً من المقبرة حتى انه كان ولا يزال داراً لطلاب استراحة ومسجداً لمن داهمه وقت فريضة لله واجبة ، ومنتدى لقصاد وادي السلام ، فيه تعقد النسوة حلقات الحزن ليجلن لاطمات نادبات موتاهن في فنائه الوسيع .

ما بينه وبين الشارع الملتوي المارق خلال الوادي والمنصف له تقريباً ، مجال قصير من قبور ، بينها طريق فرعي ملتوي ضيق موصل بين المقام والشارع العام .

والمقام تعلوه قبة زرقاء في جانبه الشرقي ، ومقام القائم بالحق ' يدار برعاية وعناية تفرغت لخدمته ، وقد خصص كنف من اكنافه لخزن ماء يرتوي بـه كل من ساغ له ان يشرب ، فزائروا الوادي والعاملون فيه كثيراً ما يدفعهم العطش صوب المقام للارتواء من مائه العذب واحياناً النوم والتفيء في ظلال بنائه الوارف .

وفي الأعياد وليالي الجمع يكون المقام العامر والمسالك المؤدية اليه زاخرة بالناس الذين اعتادوا في مثل هذه الأيام زيارة القبور والترحم لارواح المؤمنين وقراءة الفاتحة على ارواحهم ومن بعد ذلك طلب مغفرة وهداية ، وحين تجنح الشمس الى المغيب ينهي الناس ما ارادوا من زيارة وسلام ، ليعودوا جميعاً زرافات ووحداناً للمدينة .

مرقدا هود وصالح «ع»

وعن يمينك في بدء ذهابك نحو مقام المهدي «ع» ان حانت منك التفاتة ، لشاهدت بناية عامرة بارزة تخرج من وسطها غصون شجيرات نضرة .

والأخبار تذكر وتكرر لتؤكد ان الرسولين هوداً وصالحاً قد دفنا في هذا الحيز من ارض النجف وضمن المقبرة الكبرى فإن صح ذلك وتأكد بالأسانيد والأدلة تكون لنيابة القائمة المذكرة بالرسولين المصلحين اللذين بعثهما الله كسائر الأنبياء لصلاح سكان الأرض وارشادهم ، تضم رفاتهما الطاهر .

ومن الناس من لاذ في مرقديهما وتفرغ بادارتهما وكل ما يتعلق بخدمتهما من كنس فناء وتنظيف جدران وتصليح وترميم . وكثيراً ما شاهدت بعض الزائرين يؤدون صلاة الظهر في فنائه الظليل .

واذا اردنا ان نتصفح الأخبار الواردة في اثبات موضع قبريهما عليهما السلام ، لوجدنا في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي ، ان اخباراً تناقلتهـا الرواة عن بعضهم البعض عن ابن نباتة قال : خرجنا مع امير المؤمنين «ع» الى نخيلة فاذا اناس من اليهود معهم ميت لهم

فقال امير المؤمنين «ع» للحسن : انظر ما يقول هؤلاء في هذا القبر ، فقال : يقولون : هو هود «ع» ، فقال : كذبوا ، انا اعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب ، ثم قال : من ههنا من مهره ؟ فقال شيخ كبير : انا منهم ، فقال له : اين منزلك ؟ فقال : في مهرة على شاطىء البحر فقال : اين هو من الجبل الذي عليه الصومعة ، فقال : قريب منه ، فقال : ما يقول قومك فيه ؟ فقال : يقولون : قبر ساحر ، فقال : كذبوا ، انا اعلم به منهم ، ذلك هو قبر هود وهذا هو قبر يهودا .

وكتاب بحار الأنوار يفصح عن مدى الاختلاف فيما ورد من أخبار مع ورود في مزار البحار من اخبار اخرى في بيان الموضوع نفسه . والأخبار الواردة الكثيرة بعضها يُذكر عن امير المؤمنين علي «ع» ، وان قبر هود على تل من الرمل الاحمر بحضرموت ، وقيل انه دفن في مكة في الحجر ، والاخبار الواردة في مزار البحار تدل على انه دفن قريباً من امير المؤمنين «ع» في الغري ، ويرى بأنه يمكن الجمع بحمل هذا الخبر على الموضوع الذي دفن فيه اولا ثم نقل الى الغري كآدم عليه السلام .

وعن ابي مطر قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله امير المؤمنين «ع» قال له الحسن : اقتله ؟! قال : لا ، ولكن احبسه فاذا مت فاقتلوه ، واذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر اخوي هود وصالح «ع» (١) .

وفي ماضي النجف وحاضرها (٢) ، « في جبانة النجف على الجهة الشمالية من البلد الاشرف قبر للنبي هود «ع» والنبي صالح «ع» وهو من القبور المعلومة والمقامات المشهورة عليه قبة يتبرك بها ، وتزار شيدت في عصر العلامة الخبير السيد بحر العلوم (ره) وهو الذي أظهره وبنى عليه قبة من الجص والحجارة ولم تزل باقية حتى اتى رجل من اهالي ايران فهدم تلك البنية وبنى عليه قبة مغشاة بالحجر القاشاني » .

وفي ارجوزة السماوي في الفصل الثاني ص٥ (٣) في زيارة الانبياء «ع» في النجف الاشرف مشيراً الى قبور الانبياء .

وجاء نوح بعد فيض العالم	الى الغري في عظام آدم
ثم هو اختار الغري مدفناً	لعلمه بدفن حيدر هنا
واختار ذاك صالح وهود	وليس ما تزعمه اليهود
فان هوداً عندهم ذو الكفل	فأوضح الحق وصي الرسل

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٣٧٩ . (٢) ماضي النجف وحاضرها ص ٦٦ .
(٣) راجع كتاب مشهد الامام محمد علي جعفر التميمي ص ٩٠

عند ذهابه الى صفين واعلن القبرين بالتعيين

ففي زحمة الاخبار المتواترة والروايات الواردة نلمس تناقضاً وتضارباً جلياً ، وقد يشرف المؤرخ على نتيجة يستنبطها من الروايات والأخبار التاريخية المتباينة في امر واحد ليتخذها كأساس يقربه صحة الامور ، فيضع كل امر في نصابه الراجح بمنطقه وامكان تعقله حسبما تقرأ تسلسله احداث وماجريات الايام السالفة .

مراقد ومقامات اخرى

هناك مراقد ومقامات كثيرة اخرى تضمهـا المقبرة ، ففي الطرف الجنوبي الغربي من المقبرة مثلا ، مقام للامام زين العابدين عليه السلام يزوره الناس في كثير من الأوقات . ففي محلة العمارة من جهة غروب الشمس مقام يعرف الآن بمقام الامام زين العابدين عليه السلام ويروي بأن السجّاد كانت اقامته في هذا المقام اثناء زيارتـه لمرقد جـده الإمام الأعظم علي عليه السلام .

وللامام السجاد مقاماً آخراً ملاصقاً للصحن الشريف من الجانب وقـد ضاعت آثاره بفتح الباب الغربي للصحن الطاهر (١) .

ومراقد اخرى لرجال اخيار دفنوا في المقبرة ، وبنيت لهم مقابر عالية يزورها الناس للتبرك . وكثيراً ما يحصل الناس على ما يرجوه بزيارتهم لتلك المراقد من خير وبركةوشفاء يأتي نتيجة اعتقادهم المتأصل الراسخ في انه ليست هناك اية خيبة في طلب يرجوه من اي رجل صالح راقد الى جوار ربه ، وبعض من الناس يرد الجميل بطعام يوزعه عند مرقـد او مقام الذي اسداه . والحناء وطلبها على ابواب المراقد والمقامات او عليهـا امر جاري تؤديه النساء ، قد اعتدن عليه .

سراديب الدفن التي تحتويها المقبرة

السرداب حفر واسع وعميق يحفره الانسان عمودياً في الأرض ثم يبني له جدراناً وسلماً واخيراً يسقفه بعد ان يترك له فتحـات لدخول النور والهواء ، وسراديب الدفن في مقبرة النجف هذه كثيرة جداً والظاهر انها تتكشف قرب الشارع الملتوي ، وفي الأماكن التي يكثر عليها الذهاب والإياب .

وتراوح عمقها ما بين الثلاثة امتار او اربعة او عشرة حسب مقدرة الطالب ، وعادة تضم هذه السراديب اموات العائلة التي عملت مشتركة او غير ذلك على تشييدهـا ، ويمكن وصف هذا النوع من السراديب بأنها تتكون من طابقين او ثلاثة طوابق وكل واحد من

(١) راجع ماضي النجف وحاضرها ص ٦٥ .

هذه الطوابق يضم صفاً من اللحود التي يبلغ عددها في كل صف حوالي الخمسة او الثمانية . وبعض السراديب المخصصة للدفن عميقاً جداً واللحود فيها ضمن جدرانها ، اما ارض السرداب مبلطة كفناء او ساحة ، او قد يدفن فيها احياناً .

ومن السراديب ما هو مسقوف سقفاً عادياً ، بينما بعضها بنيت عليها بنايات عالية تضم عدة غرف ، هي مكان يجلس فيه الزائرون من ذوي الفقداء واصدقائهم ، وتعزل عادة غرفة خاصة بالرجل الملازم للبناية ولقارىء القرآن يومياً عند القبر ، بأجور زهيدة .

ومن السراديب ما بقي مهجوراً دون بناء وقد يكون خطراً على الزائرين اثناء تجوالهم في المقبرة .

اما الفتحات التي خصصت في داخل السرداب لتكون لحوداً ، تكون بمجموعها ما يشبه خلية النحل تغلق كل فتحة بعد ان يدفن فيها انساناً . وهذا النوع من السراديب او القبور شائع في مقبرة النجف . وقد زاد الميل الى حفر وبناء السراديب من قبل كثير من العوائل المتمكنة في الآونة الاخيرة ، بشكل منقطع النظير حتى غدا عددها يبلغ المئات قديمها وحديثها .

هذا الطراز من القبور والإكثار منه يمكن تبريره بعدة امور منها زيادة وصايا الذين قرب اجلهم بأن يدفنوا في السرداب مثلا ، وشيء آخر هو رغبة الاحياء في حفظ قبور امواتهم من الاندثار ولتكون السراديب بنفس الوقت مرقداً معداً لهم يدفنون فيها بعد موتهم ، وهذا يعلل لنا ، لماذا كثرت السراديب في الاجزاء المهملة التي يكثر الدوس عليها بسبب ذهاب واياب الناس وبالاخص عند المجال الواقع ما بين نهاية شارع الطوسي ومقام المهدي «ع» ، فانك تجد السراديب متقاربة مزدحمة .

اما تكاليف حفر وبناء السرداب الواحد تتفاوت وتفاوت سعة السرداب المراد حفره وبناءه وعدد لحوده ، وشكل وارتفاع البناء الذي يطلب احياناً تشييده فوق السرداب ، فهي تتراوح ما بين ١٠٠ ـــ ١٠٠٠ دينار .

الدفن في المنازل

يمكن ان يستنتج المرء بأن الاكثرية من منازل مدينة النجف مبنية على قبور قديمة لان الارض التي تحيط قبر علي «ع» كانت مكاناً للدفن ، ثم اختط بعضها منازل للسكنى . وقد ذكر لي البناؤون بأن كثيراً من منازل النجف القديمة التي هدموها لغرض اعادة بنائها من جديد والشروع بحفر سراديب جديدة لها يتخلص بها ساكنها من حر الصيف وهوائه اللافح وجدوا في الارض لحوداً ورميماً .

والدفن لا يزال جار في كثير من المنازل ، ويتم ذلك بأن يعزل صاحب الدار حيزاً من داره يكون مقبرة له ولعائلته وكثيراً منهم يحفر سرداباً خاصاً فيه ويبني فوقه قبة ، بينما يجعل البعض مقبرته منفصلة عن منزله ، لتكون اشبه ما تكون بالمسجد ، والذي ينظر من فوق مرتفع او سطح عال ، الى مدينة النجف يشاهد قبباً خضراء وزرقاء متناثرة واكثرها من جانب المدينة العربي « محلة العمارة » حيث تبرز هذه الظاهرة وقد ادى فتح الشوارع الجديدة الى هدم وطمر كثير من سراديب الدفن في المنازل .

واعتقد ان الدافع الذي دعا بعض الاشخاص وحثهم على ان يوصوا في حياتهم بأن يدفنوا في منازلهم بعد موتهم ، هو رغبتهم في دوام قبورهم وتخلصها من الاندثار الى امد بعيد جداً ، وقد يضاف الى ذلك رغبتهم في ان يكونوا بين ظهراني ذويهم ، وفي كنف من دارهم ، وربما يرون في ذلك وهم احياء انهم اذا ماتوا ودفنوا في قعر دارهم ، خفت الوحشة ، وحشة القبر ووحشة الفراق .

قد تكون في هذه الخوالج المؤدية الى توصية الذين قرب افولهم للدفن في منازلهم ، بعض محاسن ، غير ان مساوىء الدفن في المنازل اكثر من محاسنه ومنافعه ، فالأب يداعب اطفاله في المساء ، وعائلته جميعها في هدوء وراحة وهناء ، ولا يعلم احد في اجله ، وحدث بأن داهمته المنية وعاجله الموت ، ففارق الدنيا ومحبيه ، ودفن في قعر داره . فان افراد العائلة الذين فقدوا اعز مخلوق لديهم كان بينهم حياً فصار بينهم ميتاً ، يتجسم شبحه لهم على الدوام لانه لم يغادر عقر دارهم ، فربما يحل بذلك الرعب والهلع والوساوس او قد تتولد عقد نفسية لدى الصغار والكبار تعكر عليهم صفو حياتهم ، ذلك الصفو الذي بنى أساسه النسيان ، والنسيان لذة ودعامة لنشاط الانسان ومضيه في بناء مدنيته وتقدمه . وعلى كل حال ارى الدفن في المنازل وسراديبها امور غير مرغوب فيه .

الصحن الشريف والدفن فيه

كانت ارض الصحن وعرة لكثرة ما فيها من قبور ومحاريب وكانت سائر المحاريب ظاهرة على وجه الارض وفي سنة ١٢٠٦ طمست ساحة للصحن وعملت السراديب الخاصة بالدفن ، وبلطت ارض الصحن بالصخر المرمر ، والتصليحات في ساحة الصحن جارية والدفن فيه جار لحد الآن (١) .

وفي سور الصحن الرباعي عدد من الايوانات في كل ايوان حجرة ، اعدت لتكون مقبرة وقد دفن عدد كبير من المشاهير في هذه الحجرات . يتبع محسن عبدالصاحب المظفر

(١) من كتاب ماضي النجف وحاضرها الجزء الاول « الطبعة الثانية »

خطوات قادته الى الايمان

مترجمة عن الانكليزية

« واحد من الكتاب العلماء في هذه الايام
يكشف الخطوات التي قادته الى ايمان مؤكد »

كان يوماً شديد البرودة كالثلج عندما ارسلوني عبر الطريق وانا في الخامسة من عمري، احمل مبلغاً متواضعاً لادفعه الى معلمي مقابل اسبوع يعلمني فيه القراءة ، ولم استطع ان امسك الورقة المالية بيدي الموضوعتين داخل قفاز سميك . وهبت لفحة هواء شديدة اطارت النقود من يدي ، وخرجت اختي وعمتي ــ اللتان كانتا تراقباني من منزلنا ــ لمطاردة الورقة ، بينما جلست انا على الارض واغمضت عيني .

وقالت عمتي في سخط : بالله عليك .. لماذا لا تساعدنا في العثور عليها ؟

فقلت في تعال وانا اغمض عيني في ورع : انني ادعو الله لكي تتمكنا من ذلك !

وعثرنا على الورقة بطريقة ما ... ولكنني لم احتفظ طويلا بالوهم القائل ان الدعاء نوع من الرطانة يؤدي الى نتائج سحرية ، بل انني سرعان ما اصبحت في الواقع شديد التبرم بالدعاء ! كان طلبي من الله او يفعل لي معروفاً يبدو لي امراً سخيفاً ، وفي اوقات من اللحظات الكبرى . كان الدعاء يرتفع احياناً من شفتي بصورة طبيعية ، ولكنني ظللت ٥٠ عاماً لا أستطيع ان أشعر بانفعال مماثل حيال الالتماسات الانسانية الصغيرة الكثيرة التي ترتفع باستمرار من هذه الارض المضطربة ، وكنت ارى ان مثل هذه الاشياء ــ على الاقل ــ لا يناسبني عملها .

ثم حدث وانا في السادسة والخمسين ، ان أصبت بمرض شديد وطلب الاطباء من زوجتي التدرع بالشجاعة والتخلي عني ، ولكن شجاعتها كانت من النوع المكافح ... شجاعة مبتهلة وقالت لي ان صديقتي حائك الثياب الذي جاء من نابولي كان يدعو الله من اجلي كل يوم ، وان خادم المطعم الصغير القريب من المستشفى تدخلني دائماً في دعواتها ... ولم اسأل عن الرغم من شكري لهم ، اي وزن يمكن ان يكون لهذه الالتماسات ، في الميزان الذي يوازن الموت والحياة بالنسبة لي ، ولكنني اكتشفت في خضوع تبجيلا كنت افتقر اليه ، ... كنت

راقداً في فراشي بالمستشفى ، رحت اتابع حياتي منذ بدأت . .

لقد نشأت على عقيدة دينية عرفت بجمالها العذب ، وقد أحببت هذا الجمال الذي كان يبدو في خيالي بصورة اكثر روعة في كاتدرائيات انجلترا ذات الطراز الغوطي . . . وفي سن السابعة عشرة زرت هذه الكاتدرائيات ، وفي كل منها اجتاحني شعور جارف بالعظمة من عقودها الرمادية الشاهقة واقواس قزح السماوية التي تعكسها النوافذ الوردية اللون ، والتفاصيل القديمة المنقوشة التي صنعت بمثل هذا الورع منذ وقت بعيد .

وفي يورك ، كان المرتلون يرفعون عقائرهم بأصوات مليئة ، وصوت الارغن يهدر في صحن الكاتدرائية بتيار من الأصوات المدوية اضطرني الى الركوع . ولكني حتى في تلك اللحظة من السرور ، تعلقت بأذيال عقلي . . . وادركت ان قوة الفن المعماري العظيمة (التي كانت تسمى موسيقى متجمدة) وموسيقى المحيط هي التي اعبدها . . . وليس الله ! . . كنت اشعر بعاطفة حيال الجمال المصنوع ، لا التعظيم الديني ، وكنت في صفاء ذهني يكفي لإدراك الفرق .

كان الجمال هو مرشدي حقاً ، الى ان التحقت في سن العشرين بجامعة هارفارد لدراسة العلوم البيولوجية ، وهناك كان الاساتذة عظاء الى حد يتناسب مع الموضوعات التي يدرسونها لنا ، وكانوا يتبعون في التعليم نظاماً صارماً كأي نظام ديني . . . نظام العلوم ، وقد اعتنقت عقائده بحماسة .

كانت العقيدة الاولى ان الحياة لا تنبعث ابداً من لاحياة . . ان البيئة الثقافية اذا أصيبت يوماً بعقم وظلت عقيماً ، لن تنتج اي نمو الى الابد ، نباتاً كان ام حيواناً . . .

اين نشأت الحياة ؟ كان هذا موضوع مناقشات تفيض حياة مع زملائي في المسكن حتى ساعات متأخرة من الليل . . . لعل الحياة نشأت في ظروف فريدة هنا على الارض ، أو هبت من بين النجوم كالغبار الكوني . حيث تثير الافكار عقلي الشاب بطريقة مماثلة . ووجدت متعة ذهنية وانا اطابق ذلك مع كلمات سفر التكوين : « وقد خلق الله الانسان من تراب الارض ، ونفخ في خياشيمه انفاس الحياة ، واصبح الانسان روحاً حية » .

وهناك عقيدة ثانية مثيرة هي الاخرى ، وهي ان هذا الكوكب الذي نعيش فوقه ، بدأ منذ بلايين السنين ، ولا بد ان له نهاية مقدرة من قبل ، يوم تتوقف كل حياة على الارض بما فيها الانسان ، وتنكمش الشمس وتبرد وتصبح نجماً ميتاً ، وتفقد الارض غلافها الجوي وتنجرف المحيطات بعيداً عن الشمس ، التي ستصبح باردة مثل « بلوتو » ابعد الكواكب ،

في شيء اقل من خلود الزمن ... وقد ابهجني هذا الاحتمال بدلا من ان يثير كآبتي ، وانني ادرك ان نهايتها جميعاً تسمى في علم اللاهوت يوم الحساب .

وكانت العقيدة الثالثة هي اكثر الاشياء جاذبية لشاب يعشق حرية الفكر ، هي انه ليس هناك سلطة موحى بها .. لقد علموني ان الاشياء التي قرأتها في الكتب الدينية يجب بالضرورة الا تكون حقيقية ، فضلا عن ان اساتذتي اوضحوا بجلاء ان العلوم تشك في سلطانها ذاته ، وادركت في تأثر ان داروين ، وفندل ، وجالتون ، واسحق نيوتن ، قد يصبحون «خردة» في اي وقت لصالح تفسيرات افضل .

وهناك عقيدة رابعة للعلوم ــ وقد تعجبت مرة اخرى لمطابقتها لما في سفر التكوين ــ الا وهي حقيقة التطور ، فقد تبين لي ان معرفة كيفية حدوث التطور لا تزال مسألة تثير الجدل ، ولكن التطور في حد ذاته امر لا جدال فيه ، وهي حقيقة عظيمة متألقة تجعل العالم اكثر روعة .

وعقيدة خامسة ، هي الطبيعة الذرية للمادة ، وهي ليست فكرة جديدة ، بل هي قديمة قدم فلاسفة اليونان ، ولم يكن في استطاعتي يومئذ ان احدس ان هذه حقيقة تكشف المزيد من الحقائق المروعة .

من هذه العقائد ، نشأت عندي عقيدة : عقيدة العلوم البحتة ، ولكنني كنت اتوقف لاسائل نفسي .. ترى هل يوجد فيها اي اساس للايمان الذي يجلب العون المادي للروح في عنائها ؟

كنت اتساءل فقط بطريقة عارضة دون ان يساورني قلق ، وملت حيناً الى ان اصبح تلميذاً لارسطو ، ذلك الذي كان آدم العقيم ، والذي كان يعلم ان اصل الوجود يكمن في الذكاء الفائق ، وان لكل شيء سبباً ذكياً ، ويخدم هدفه المفيد ، وان الهدف هو انتاج مستويات اعلى من الوجود .. وكان ذلك الرجل العظيم الذي سبق العلماء يعتقد ان على العلم ان يجمع اجزاء اللغز معاً ، ليعرض تصميم الكون الجميل للثناء عليه .

انها فكرة تبعث على الرضاء ، يعتنقها الكثيرون اليوم ليسود السلام بينهم ،ولكني مضيت اطالع عن العلوم بصورة لم يكن يحلم بها ارسطو ، وتعلمت ان الحكماء الذين سبروا غور الحياة ونماذجها لم يجدوا اي تأكيد في اي مكان ، في شهادة الطبيعة الفسيحة على ان الكون كان مخصصاً للانسان ، او حتى لاي هدف ، ولو كان هدف تحسين الذات ، ولقد قال ارسطو ان الحياة مادة تتخلل الروح ، ولكني قلت لنفسي ، انه لا يمكن ان يكون قد عني

بالروح ، تلك الروح المعنوية الطاهرة التي كشف عنها المسيح في بحثه عن الحقائق التي يجب ان يكافح الانسان للتمسك بها . . . كلا ، لقد رأيت ان ارسطو ـ بارك الله روحه ـ كان يعني مجرد الحياة ذاتها ، وهنا في صبيحة اعوامي توصلت الى صورة من العبادة لا تتعارض مع العلوم ولا مع دور العبادة . .

كانت تلك هي عبادة الحياة . . . الحياة الطبيعية بكل ما فيها من عظمة يومية . لقد احببت نسيج العنكبوت والندى الذي فوقه ، واحببت غابة الصنوبر ، بظلالها واريجها ، واغنية بحارها العميقة . احببت نداء العصفور ذي الطوق الابيض تحت امطار الربيع : . . واحببت زهرة هدفها ان تصنع بذرة ، والبذرة ذاتها وهي تفرز جنينها الدقيق في راحة يدي . وقد اخفت هدفها ، وهو ان تصنع زهرة .

هذه الانفاس . . . وتلك الحياة التي من طبيعتها ان تموت تعلن بروح لا تقهر عظمة التنوع والتنظيم معاً . ونحن جزء من هذا النظام . اننا مادة الشجرة ، التي هي «بروتوبلازما» مثل اجسامنا . اننا مادة النجوم ، ففي نواة كل ذرة من الدم البشري ذرة من نفس الحديد الذي يسقط في شظايا النيازك ، بل ان لكل ذرة بنياناً مثل بنيان نظام الكواكب ، بشمسه المركزية ، وعلى هذا الكوكب الذي تعيش فوقه ؛ تعتبر الحياة اظهاراً لارادة طويلة بطيئة للنصر ، تستند الى السماء والنجوم .

وبعد ان تسلحت بهذا الخيال ؛ تركت المدرسة ، مفترقاً عن زملاء المسكن الذين شقوا طريقهم في علوم البحث (واكتسبوا جميعاً شهرة العلماء) وانطلقت انا الى الخلاء وذهبت الى جبال « ابلاشيان » ومعي وعاء صغير ودليل الطيور في عنفوان الربيع ، ووجدني الصيف فوق كثبان انديانا الصغيرة المتحركة حيث ترسم الحشائش دوائر تدفعها الرياح فوق الرمال ووجدني الخريف فوق جبل واشنطن مبتهجاً لأنني عرفت اخيراً مكاني في العالم . . . مكان عالم الطبيعة .

وتزوجت بعد ذلك ، ورأيت زوجتي تنجب طفلا . . ثم اطفالا آخرين ، واصبحت الآن اسير حقاً في نسيج الحياة ، ورأيت بمزيد من الوضوح ان الانسان جزء من الطبيعة ، ومهما كانت عقيدته فانها يجب ان تقوم على اساس هذه الحقيقة . ان دماء الانسان من ماء البحر ودموعه ملح ، وبذرة ظهره قبل ان تختلف عن نفس خلايا اعشاب البحر ، والانسان الذي يمضي في الحياة دون ان يدرك هذه الحقائق منجرف وحالم ، ليس له دار او اي

اتصال بالواقع . لقد كنت مؤمناً بالإله ، ولكن الشيء الذي احببته هو ما اطلق عليه توماس جيفرسون اسم « طبيعة الله » .

هذه العبادة للطبيعة المقدسة ساعدتني ، بل انها قاومت حتى هجوم الفاجعة ، فقد رحلت عنا طفلتنا الاولى والوحيدة فجأة اثر مرض ، ولكني لم ار انها رحلت كلية ، ففي كل الاشياء الصغيرة المرحة البريئة كنت استطيع دائماً ان اجد من جديد الاقدام التي تشبه المطر ، والضحكة التي تشبه خرير الجدول ، والعيون التي تشبه « العشبة المرة » واعتقدت ان الحياة تمارس خدعتها القديمة ، بالهرب ، والتغيير ، والتحول الى شيء آخر جميل ، فهي عنصر لا يفنى .

وفجأة ــ بعد خمسة شهور في المستشفى ــ بدا انني على وشك ان ارحل انا الآخر ، وجاء احد الجراحين الى غرفتي ، وتحدثنا عن قبرة المروج وكان قد سمعها تغرد عندما خرج مبكراً من بيته ، وبطعنة واحدة سريعة بالابرة ، جعلوني استغرق في النوم .

ولم اكن هناك عندئذ لكي اعبد شجر « الراوود » الذي يبدو كأنه آلهة جذورها في الارض . ولاشيد بطائر « الدج الزاهد » باعتباره افضل منشد في السماء ... انني لا اعرف اين كنت ، ولا يستطيع احد ان يقول اين كنت . ولكن لعلني لم اكن سلبياً كالجسم الممدد على مائدة العمليات .

وتحدثت زوجتي مع الجراح المرهق الذي ظل يعمل في جراحتي اربع ساعات ــ وانا راقد بلا وعي ، ولكنني أتعلق بأنفاس واهنة ــ حدثته عن حبي العظيم الذي ظل يفيض امتناناً للحياة ولم يبتسم ، بل حنى رأسه وقال لها بلهجة جادة .

ــ لقد ساعده ذلك كثيراً .

وقد تلقيت كلمة الجراح في تواضع لانني لم ادركها .. ولكنني اعرف الآن مدى ما لم اكن اعرفه .. ففي خلال فترة نقاهة طويلة في تلك الغرفة العليا بالمستشفى ، حيث كانت تأتي يوماً كل ليلة لتكون رفيقة لي فوق شجرة الصنوبر الكبيرة خارج نافذتي ، اكتشفت مدى ما في دعوات الشكر الصامتة من قوة للشفاء ، وبالإضافة الى صديقي حائك الثياب وخادم المطعم ، كان هناك آخرون كثيرون يجب ان اشكرهم .

وعندما عدت الى المنزل بعد ستة اشهر ، اقبل الجراح لزيارتي ، ولعل شفائي كان فيه بعض العزاء له ، اذ انه هو الذي أعاد لي الحياة ، فقد لتوه مخلوقة اعز لديه من نفسه ، وهي زوجته . ان اكثر الابتهالات طهراً ، واكثر العلوم براعة لا تتغلب دائماً . ومع ذلك فقد بدا على وجهه انه تقبل ما حدث ، ولا تزال ثقته في الحليف العظيم الذي استطعنا نحن

الاثنان بمعونته ان نكسب معركتنا المشتركة . ولم نتحدث عنه معاً ، فلم تكن هناك حاجة لذلك ، ومن الافضل التحدث اليه على انفراد . كنا نعرف انه اكثر من الحياة ، واكثر من الموت ، انه لا يجادل في اي قانون علمي او اية عمليات طبيعية . وسوف يعيش بعد ان تنكمش الشمس وتبرد النجوم ، وفي حبه مجال لكل سبل التفكير ، بما فيه ذلك التعجب الورع الذي انا قانع به الآن :

منذ اكثر من قرن مضى ، كانت هناك عانس شابة تحتضر نتيجة للسل في مستنقعات يوركشاير ، فتاة تسمى « اميلي برونتين » تجاسرت على ان تعرفه بقولها :

« مع ان الارض والقمر قد ذهبا .

« ولم للشمس والاكوان وجود .

« وبقي هو وحده ..

« فسوف يوجد في كل وجود » .

بمثل هذا الاطمئنان ، ومثل هؤلاء الرفاق ، يصبح من السهل على الانسان ان يمضي الى نهاية الطريق .

قولان للامام علي

ـ ما خاب امرؤ عدل في حكمه ، وأطعم من قوته ، وادخر من دنياه لآخرته .

ـ افضل على من شئت تكن اميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن اسيره .

دعاء اعرابي

دعا اعرابي فقال : اللهم ان كان رزقي نائياً فقربه ، او قريباً فيسره ، او ميسراً فعجله او قليلا فكثره ، او كثيراً فثمره .

ما ذنبي ؟

قال رجل للاحنف : « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » .

فقال الاحنف : « ما ذممت مني يا ابن اخي ؟ » .

قال : « الدمامة وقصر القامة » .

فقال له : « لقد عبت ما لا يد لي فيه ! » .

صداقة الاحمق

اياك ومؤاخاة الاحمق ، فانه يريد ان ينفعك فيضرك .

يوم الاستقلال

نظم: محمد سليمان يونس

القيت في المهرجان الشعبي الكبير الذي اقيم في مرجعيون بمناسبة يوم الاستقلال المجيد .

عيد الاستقلال يا انشودة هفت الدنيا لها ، للمنشد
لفظة رنانة كم جلجلت في ضمير المرهق المستعبد
وسرى بين الحنايا طيفها يهب الري الى القلب الصدي

* * *

انا من لبنان من «حولا» فتى هاجه الشوق لطيب المورد
فانبرى يعكس ما في نفسه درراً منسابة كالعسجد
فهوى شعبك أقصى غايتي وهوى أرزك اسمى مقصدي
نحن آساد الشرى من بلدة وقفت دوماً بوجه المعتدي
نفتدي أرضك في أرواحنا ما احيلى المفتدى والمفتدي
ومحضناك جميعاً ودنا ؛ ياثرى جبران قري واشهدي

* * *

ايه يا لبنـــان يا قيثارة صنعت اوتارها من كبدي
علقت في حاجب الشمس لكي يهدر الحق بها للابد

* * *

غني يا ورق ما أحلى الغنا فالغنا يطرد ليل الكمد
واطردي عن مقلتيك الاسنا واصدحي طوراً وطوراً أغردي
فلقد وافت سويعات الهنا ولكم حن لها القلب الصدي
يا نديمي قم وهات الأرغنا وعلى ذكر الشهابي انشد
يا رسول السلم في الماضي ويا باعث الآمال خضراً في الغد
عهدك الوضاء غايات المنى ظهرت آثاره في البلد

لاالزعامات ولاالزيف كمن يرشد الناس ولامن مرشد
غير وحي الشعب والقلب معاً ذاك يستوحي وهذا يهتدي
عهدك العدل وما العدل سوى اسس الملك القويم الأخلد
هل لهذا العدل ان يشملنا لفتة مرجوة يا سيدي
انت منا من ربانا رايـــة خفقت فوق السهى والفرقد

* * *

عيد الاستقلال يا امنية عبقت بالفخر كالورد الندي
ضمخت صدر المعالي بالشذا منذ لوّحنا بحرف الأبجد
من ثرانا المورد الثر وقـــد هلل الكون لذاك المورد
من ذرى صنين من عليائه حكمة العز ومجد السؤدد
وشموخ الأرز يعطي للورى صفحة خالدة للأبد
صفق التاريخ ايماناً بنا وانحنى المجد يحيي باليد
ورضينا العيش شعباً آمناً ينشد السلم وفيه يهتدي
وجعلنا الحب ديناً معبداً وبنينا صرح هذا المعبد
واحتمينا في جناحي راية ثم نحميها بدفء الاكبد
وحرقنا المعتدي في سفحنا وعلى السفح حرقنا المعتدي

* * *

ديننا حبك يا لبنان لا فرق في ناقوسه والمسجد
حسبنا فخراً بأنا ننتمي بجناحينا لحب البلد
ونسور رابضات في الحمى تزرع الموت بصدر المعتدي
هي والاخلاص والصدق على موعد يا حسنه من موعد
شرف الذود عن الأوطان في دمها يجري بطيب المحتد
نحن آساد تحدرنا اجل اسداً عن اسد عن اسد
مع رفيف الارز مع اطياره عبر مرج الزنبق الغض الندي
لك من شعري وسام طرزت وشيه روحي وقلبي ويدي
وتحيات جسام ضمخت بشذا الروح ودفء الكبد
عشت يا لبنان حراً سيداً مستقلا ابدياً سرمدي

حولا محمد سليمان يونس

وقفة مع الزعماء والشعب (بقية)

حيث طلب المنصور منه مصاحبته لينصحه ظناً منه انه كغيره من العلماء الذين لا يطيب لهم العيش الا على أبواب الملوك فأجابه الامام عليه السلام بتلك الكلمة الخالدة المشهورة - ان من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك - فما كان من المنصور الا ان نطق بالحق - والحق يفرض نفسه حتى على من عانده - فقال والله لقد ميّز عندي منازل الرجال من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وانه ممن يريد الآخرة لا الدنيا - لقد ميّزت كلمة الامام منازل الرجال عند المنصور فعرّفته بأن أهل الآخرة لا يقربون منه وممن هو على شاكلته من الحكام والملوك لانهم أغنياء بالله اغنياء بإيمانهم -- والعلماء الذين هم ورثة الانبياء والاوصياء لا يسمحون لانفسهم بالوقوف على أبواب الملوك فضلا عن الزعماء لانهم ارفع منهم ومن الدنيا بكاملها إذ ان عظمتهم من عظمة الدين ولا شيء فوق الدين الا الله تعالى - وغرضنا من كل هذا تنبيه الزعماء إلى ان العلماء فوق ما يتصورون فقد يحسبون انهم اصبحوا في قبضة ايديهم (١) لان بعض الشيوخ لا يفارقون بيوتهم طمعاً في الوظيفة (٢) او في الحصول على شيء من حطام الدنيا.

هذا وقد يظن بعض الحاضرين بأني قد تعديت حدود رسالتي لان في هذا اللون من الحديث تدخلا في السياسة - وليس [illegible] حق التدخل في السياسة - وفي الحقيقة ان العالم قد ابتلي في هذه العصور المظلمة - [illegible] يقولون العلماء هم اصل البلاء - وإن تكلم يقولون ما للعالم والسياسة - والواقع [illegible] بعض الزعماء هو الذي احرجني فأخرجني الى هذا اللون من الحديث لتجاوزه حدود وظيفته بتطاوله على بعض العلماء وتدخله في شؤون البلاد تدخلا لا يقره الدين ولا المنطق - ولو انه وقف عند حده وانصرف الى خدمة هذا الشعب الذي انتخبه وأجلسه على كرسي النيابة - لكان قد اراحنا واراح نفسه - ولكنه لما أهمل مصالح الشعب وانصرف الى خدمة مصالحه - لم نجد بداً من التدخل - خدمة للمصلحة العامة وتنبيهاً لهذا الشعب لكي يقف منه ومن غيره موقف المحاسب على تصرفه وإهماله.

---

(١) بين العلماء افذاذ لا يزالون يحتفظون بشرف رسالتهم وهم معروفون بأعيانهم واشخاصهم فعلى الناس ان يتفحصوا ليميزوا بين الاصيل والدخيل.

(٢) قال لي يوماً بعض الزعماء وكان قد طلب مني امراً لا يتناسب مع الخطة التي رسمتها لنفسي - [illegible] نجبني الى ما طلبت والحال اني قد ارسلت الى فلان وفلان فأجابا - فأجبته بكلمة مختصرة انهما قد لبيا لان احدهما يريد الافتاء والآخر يريد القضاء وانا لا اريد الافتاء ولا القضاء،

ثم ما الذي يعنيه هذا البعض من السياسة التي لا تليق للعالم بنظره ـ أهي السياسة العادلة التي يترتب عليها إحقاق الحق وإزهاق الباطل ـ فهذه قد تبناها الدين من اليوم الأول ليحقق للمجتمع العدالة والمساواة ويحميه من الظلم والاستبداد ويصونه من تلاعب أهل النفوذ بمقدرات الأمة وفق أغراضهم وشهواتهم .

وان اراد منها السياسة المنحرفة وأعني بها السياسة الحاضرة المتركزة على الكذب والخيانة فهذه قد حرمها الدين وحرم التعاون مع اهلها ولكن وظيفة رجل الدين من محترفي هذه السياسة تقضي عليه بأن ينزل الى المعركة ليشنها حرباً لا هوادة فيها عليهم لئلا تتسع دائرة نفوذهم .

والدين بأحكامه وقوانينه ليس سلبياً بل هو إيجابي بكل معنى الكلمة انه يُلزم اهله بالتدخل في جميع الأحداث والشؤون فهو يريد منك ان تعمل الخير وتأمر به وان تترك الشر وتأمر بتركه ويسمح لك ان تقف موقف المتفرج من الأحداث التي تصدع كيان المجتمع ـ لان رسالة الدين رسالة الحياة فلا يمكن فصله عن الحياة الا اذا سوغنا فصل الشيء عن نفسه .

قد يظن الكثير من الناس ان الدين صلاة وصوم فحسب ـ وان رجل الدين ليس له ان يتعدى حدود المسجد ولا يُسأل الا عن نفسه وليس عليه من حساب الآخرين شيء ـ ولكن هؤلاء بهذا الظن يمسخون رسالة السماء ويعزلونها عن الحياة والاحياء وبذلك يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من بث روح التضامن بين المؤمنين والتناصح والتعاون على البر والتقوى ـ حتى ان الدين قد ترقى فجعل لكل واحد من المؤمنين حق الولاية على الآخر برعاه كما يرعى الولي من يتولى عليه ـ قال الله تعالى ـ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ـ فاذا كان الدين قد جعل لكل واحد حق الولاية والرعاية على الآخر ـ فما ظنك بالعلماء الذين ـ هم ورثة الأنبياء ـ في تنبيه المشاعر وتوجيه القلوب الي الله ـ والذين قد أمروا بالانذار عقيب التفقه في الدين ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ـ فاذا تفقهوا ولم ينذروا ـ تنكروا لما خُلقوا له وعصوا ما أمروا به وليس الانذار ان يلهجوا بذكر الثواب والعقاب فحسب ـ وانما الانذار ان ينبهوا المخطىء ويوجهوا الحائر ويرشدوا الغوي وينصبوا في مجاهل الارض اعلام الطريق ـ فاذا لم يفعلوا ذلك حملوا أثقالهم واثقالا مع اثقالهم ـ فبماذا يرفع ـ يا قوم ـ رجل الدين ـ المسؤولية

عن نفسه اذا جلس في المسجد وقطع صلته بالناس ـ وهو يسمع شكاية المظلوم وأنين المحروم فمن الذي يغيث ذاك ويرد لهفة هذا ، ومن الذي يقف في وجه الظالمين ويحول دون تسلط المتزعمين. وبالتالي فهذه نفثة مصدور ونصيحة مشفق وصرخة متألم ـ نفثة مصدور أبثها اليكم ايها العلماء ـ لتصونوا رسالتكم التي هي من صنع السماء فلا تجعلوها من صنع الارض ـ ولتقفوا صفاً واحداً في وجه الشذوذ والالتواء ـ ونصيحة موجهة اليكم ايها الزعماء لتنصحوا لهذا الشعب الذي نصح لكم حتى تخلى عن أقدس الاشياء لديه وهو الدين في سبيل زعامتكم ونيابتكم، وصرخة منبعثة من أعماق هذا القلب ادفعها اليك ايها الشعب المسكين لتشق طريقك في هذه الحياة الصاعدة فلا تتنكر للدين واهله ولتعلم ان الفوز في الدنيا والآخرة لا يحصل الا بالالتفاف حول رجال الدين والاعتصام بحبل الله المتين ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ـ اللهم أرنا الحق حقاً فنتبعه ـ والباطل باطلا فنتجنبه ـ وخذ بأيدينا الى ما فيه إعزاز دينك ونصرة أوليائك ـ ولا حول ولا قوة الا بك .

الغبيري حسين معتوق

نصيحة اعرابي لسليمان بن عبد الملك

قال اعرابي لسليمان بن عبد الملك :

اني اكلمك ، يا امير المؤمنين ، بكلام فاحتمله ، فان وراءه ان قبلته ما تحبه .

قال : هاته ، يا اعرابي .

قال : فاني سأطلق لساني بما خرست عنه الالسن . انه قد اكتنفك رجال ساءوا الاختيار لانفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فانهم لم يألوا الامانة تضييعاً ، والامة كسفاً وخسفاً ، وانت مسؤول عما اجترموا ، وليسوا مسؤولين عما اجترمت .

فقال سليمان : اما انت ، يا اعرابي ، فقد سللت لسانك ، وهو سيفك .

قال : اجل ، يا امير المؤمنين ، لك لا عليك .

خراب جهنم

قال رجل للاعمش :

نجد في بعض الاحاديث ان جهنم تخرب .

فقال له :

ما أشقاك ان اتكلت على خرابها !

أبواب العرفان

نحن نقص عليك أحسن القصص

بهلول العاقل

كان البهلول من أظرف الأشخاص في التاريخ العربي تروى له أقوال رائعة في الأدب والوعظ والنوادر . واختلف الناس في أمره هل كان مجنوناً ام يتظاهر بالجنون . وقد أحبه الناس واشتهر زهده وعلمه وادبه . فطلبه هارون الرشيد وعرض عليه منصب قاض فاعتذر بأنه لن يستطيع الجمع بين العدل في القضاء ومرضاة الحاكمين . فهدده الرشيد وأراد إرغامه على القبول . فطلب مهلة يومين ليتدبر أمره . وفي الغد طلع البهلول في أزقة بغـداد ممزق الثياب راكباً على قصبة يجري بها ويصيح : افسحوا الطريق لا يرمحكم فرسي . وبلغ الرشيد قول الناس : جن البهلول . فقال والله ما جن لكنه هرب منا ...

ثم ان الرشيد خرج الى الحج فمر في الكوفة ورأى بهلولا يعدو على قصبة وخلفه الصبيان فقال : كنت أشتهي ان أراه فادعوه من غير ترويع . ولما مثل بين يديه قال له : يا بهلول كنت مشتاقاً اليك . فأجاب : أما انا فلم أشتق اليك . قال الرشيد : عظني . فأجاب : بمَ أعظك . هذه قصورهم وهذه قبورهم . من أعطاه الله مالا وجمالا وواسى بمـاله كتب في ديوان الأبرار . قال الرشيد : قد أمرنا بوفاء ديونك ان كانت لك ديون . فأجاب بهلول: لا . لا يوفى دين بدين . رد الحق الى ذويه واقض دين نفسك . قال الرشيد : هل لك حاجة فأجابه بهلول : انا وأنت عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني . قال هذا وركب قصبته وجرى

ثم أن الخليفة موسى الهادي دعا بهلولا مع اديب آخر وجعل يسامرهما . فلما أسمعاه شيئاً من نوادرهما ضحك طويلا . ثم سأل البهلول : لماذا دعيت بهلولا ؟ فأجابه ولمـاذا دعيت موسى ؟ فغضب الهادي وسبّه سبّاً شنيعاً . فنظر بهلول الى صاحبه وقال : كنا مجنونـين فصرنا ثلاثة ... فضحك الخليفة وعفا عنه .

المراسلة والمناظرة

التاريخ لا يهمه سوى الحقيقة

بقلم : علي الزين

قرأت للسيد علي وزني ص ٤٠٩ من العرفان م ٥١ ما يشبه الرد على ما قلته وكتبته عن مزرعة مشرف (١) واول ما نبهني الى ذلك قوله :

ياشيخنا المفضال من ندعو له	ليكثر الرحمان من أمثاله
لا تبخس التاريخ جوهر مجده	وسموه بالفخر في ابطاله
آثار مشرف لا تزال عظيمة	ودياره تنبيك عن آثاره
في موقع الساحات ساحات الوغى	ويلوح في (الميدان) رسم قتاله

فرأيت من واجبي ان أشكر عاطفته واهتمامه بتاريخ بلاده وان الفت نظره ونظر القراء الى انني حين ابحث واكتب في التاريخ لا احاول سوى البحث عن الحقيقـــة فخراً كانت او عاراً ام طوارىء عادية ملغياً من حسابي كل اعتبار يثير العواطف او يكبتها .

لهذا كنت اتمنى عليه ــ قبل ان يجهد فكره وقلمه ويندفع في تحديد موقع (مزرعة مشرف) الجغرافي ليدلنا بذلك على مدى تقديره للواقع ــ ان يقوم بجولة استطلاعية في اراضي المزرعة وفيا حولها من القرى التي تحيط بها شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ليعرف ان اراضي (كفرة) واحراشها هي أمتّ صلة بالمزرعة من جهة الشرق من اراضي قريتي حاريص وتبنين الواقعتين شرقي كفرة ، وان قرية (دبعال) في شمال المزرعة اقرب اليها من (جويا ومحرونة) الواقعتين في شمال دبعال ، وان مرج الصفراء في جنوبها الغربي متصل بوادي عاشور في جنوبها الشرقي بل ان هذا المرج يكاد ان يكون تتمة لوادي عاشور ... ثم ليتأكد من ان ممر وادي عاشور هذا هو ممر داخلي يمتد شرقاً من شمال حاريص وينتهي غرباً (بمرج الصفراء) بـين قانا والمزرعة لا علاقة له بفلسطين ولبنان القديم ليقول « بأن طريقه كان يربط بين لبنان وفلسطين ثم كنت اتمنى لو انه ــ عند تعرضه لذكر (ساحات الوغى) في المزرعة ــ حدد مسافة

(١) العرفان م ٥١ ص ٥٧ .

كل منها طولا وعرضاً واوضح مدى انبساطه وانحداره او مدى بعده وقربه من جدران المزرعة : والا فان قوله (بأن موقع الساحات يتسع لآلاف عديدة من الرجال « لا يقنع احداً بأنه يصلح لان يصطف به ثمانية آلاف مقاتل من الفرسان والرجالة لمحاربة من يقابلهم في المزرعة من العامليين » مع الاحتفاظ بحلبة واسعة المدى بين الفريقين تصلح لتجاول الفرسان وتجاوب القربينات) .. ولعله شعر معي بأن ساحات بلدية صور الحالية (مثلا) تتسع لآلاف عديدة من الرجال ومع ذلك فهي لا تصلح لان تكون مجالا للحرب بين ثمانية آلاف مقاتل وبين من يقابلهم من أخصامهم على ما كانت تقتضيه تقاليد الحرب وشروطها يومئذ :

وما يقال عن موقع (الساحات في المزرعة – من حيث سعة ارضها او ضيقها ومن حيث انبساطها وانحدارها ومن حيث بعدها وقربها من المزرعة وصلاحيتها لاصطفاف ثمانية آلاف مقاتل حولها – يقال عن الأرض المسماة بالميدان : فليس كل ما يسمى ميداناً صالحاً لأن يكون ميداناً حقيقة وواقعاً ؟ اذ قد يكون الاسم على خلاف المسمى : وان ما يصلح لان يكون ميداناً لعشرة او عشرين خيالا قد لا يصلح لان يكون ميداناً لاكثر من ذلك وخصوصاً عندما يتجاوز عدد الخيل الى المئات والآلاف .

ثم لا يغيب عن باله ان كل بلدة سكنها الاقطاعيون كان يوجد بها مكان لترويض الخيل او للتمرن على تقاليد الفروسية : وانه لا يزال في النبطية مكان يسمى بالميدان كان معداً لمثل تلك الغاية ومع ذلك نلاحظ ان جميع المعارك التاريخية التي وقعت في النبطية كانت بعيدة عن الارض المسماة بالميدان لان الميدان لعدد قليل من الخيل يختلف مداه ومجاله عن الميدان للمئات والآلاف من الفرسان كاولئك الذين أحاطوا بالمزرعة يوم غارة الامير بشير الشهابي الاول عليها سنة ١١٠٩ﻫ على ما توحي به رواية صاحب أخبار الاعيان او تزعمه عن المعركة التي انكسر بها رجال مشرف .

على انني لم أزعم « ان المزرعة بما حولها من عرصات لا تتسع لاصطفاف ثمانيه آلاف مقاتل لمحاربة من يقابلهم من العامليين » لم أزعم هذا الا بعد أن رأيت المؤرخ الذي نشأ بجوار المزرعة وبالغ في تعظيم شأنها حتى جعلها مدينة وحاضرة وعاصمة ؟ رأيته يذهب الى ان مرج الصفراء هو الميدان الوحيد المؤهل في القرية لتجاول الخيل .. اذ يقول ما نصه « فالقرية محصنة بحصن طبيعي من ناحية وادي عاشور واما بقية النواحي فانها لا يسهل فيها طراد الخيل ومصارعة الفرسان . لذلك تنحصر مواجهة العدو فيها من وجه واحد(مرج

الصفراء) المبتعد قليلا عن القرية المنخفض عنها » .

جبل عامل في التاريخ صفحة ٦٤

ثم ان هذا المرج على ما لاحظت اثناء مروري به ــ بعيد بموقعه عن المزرعة وينخفض عنها انخفاضاً سحيقاً ؛ ولعله اقرب الى (قانا) واولى بأن يكون تابعاً لها من ان يكون تابعاً للمزرعة ؛ ثم ان سهله لا يعد شيئاً اذا قيس بغيره من المروج العاملية كمرج قــدس ومرج الخيام ، وان قيل عنه « انه فسيح متسع الجوانب (١) فذلك بالنسبة لمضايق وادي عاشور وخنادقه » .

اما ان يزعم بأنه لا يزال في اطلال دار مشرف (جدران ضخمة ورمايات) فهــذا ما يتنافى مع الشائع لدى غيره ممن شاهدوا المزرعة وعرفوا اطلالها وهم كثر : ثم لو ان دار مشرف كانت محصنة بالجدران الضخمة والرمايات لتحصن بها مشرف ورجاله مــدة من الزمن قبل ان يستسلم يوم دهمه الامير بشير شهاب برجاله وقبض عليه بأسرع ما يقبض على ساكني الكوخ ... ثم لسماها المؤرخون قلعة او حصناً ولم يعبروا تارة بالمزرعة وتارة بالمزيرعة وتارة بالمزريعة وتارة بدار مشرف . مع ان قلعة دوبيه وهي في تكوينها وحجمها اشبه بالدار منها بالقلعة سماها المؤرخون قلعة لوجود بعض الرمايات في جدرانها .

ثم ارجو ان يعلم السيد وزني وغيره من هواة التاريخ والآثار انني لم اكتب عن احوال المزرعة في هذه الأيام حيث يبلغ عدد سكانها ــ على حد قوله ــ خمس مأية نفس وانما كتبت ما كتبته عن المزرعة في اول انشائها او ترميمها منذ ٢٧٥ سنة يوم لم يكن في السهول الساحلية اي قرية عامرة بسكانها حتى مدينة صور .

وان يعلم كذلك انني لا اجهل الصخرتين الرخاميتين المحتفظ بهما آل سليمان في مزرعة البياض وقد رأيتهما امام بيت المرحوم الشيخ حسين سليمان يوم زرته في المزرعة ولفت نظري اليهما ابن اخيه العلامة الشيخ ابراهيم سليمان ولم اجد فيهما من جمال الخط والنقش الذي شاهدته على بقايا قبور آل الصغير في قرية شحور بل رأيت ان ذلك الخط والنقش يكاد ان يكون عادياً او اقل من العادي ولذا لم اهتم لمحتواه اذ لم يكن لي يومئذ اي اهتمام بغير الجمال الفني الطبيعي واما حجم الصخرتين فاحسب ان عرض كل منهما لا يتجاوز ١٨ سانــتي كما ان الطول قد لا يبلغ الذراع في كل منهما .

جبشيت علي الزين

---

(١) جبل عامل في التاريخ ص ٦٤ .

التقريظ والانتقاد

كتاب (حقائق لبنانية)

اثر سياسي وادبي نفيس

بقلم : يوسف ابي رزق

اكببت بلذة ونهم على مطالعته ، وكنت أجد شوقاً يشد بي الى التهام الصفحات ، فالاسلوب البياني المشرق الذي عالج به الشيخ الرئيس مواضيع كتابه ، كان من البلاغة بحيث يسحر ألباب القراء ويأخذ بمجامع قلوبهم . ثلاثة عهود في لبنان والعالم العربي يرسمها مؤلف الكتاب الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية الأسبق ، فتبدو وكأنها لوحات حية ناطقة ترسم الاحداث بريشة عبقري فنان ، فلا يبدو اي تنافر بين الظلال والأضواء ،وان كان هنالك اختلاف حول بعض الآراء وتفسير بعض الأحداث ونتائجها من حيث مفاهيمها السياسية . ثلاثة عهود يؤرخها الشيخ ، هي المتصرفية والانتداب والاستقلال . وانك تشعر وانت تقرأه انك تسير معه في رحلة مشوقة ، تشعر انك مع حكاية محبوكة بفن وبيان حكاية انسان تحدر من بيت عريق رافق الأحداث في هذه الديار وتفاعل معها ، حكاية انسان كان له شأن يفيد في تاريخ لبنان الحديث حتى استطاع ان يدخل التاريخ من باب كبير بالرغم عما رافق عهده من مآخذ وأخطاء . لا يستطيع كتاب « حقائق لبنانية ، ان يخفيها مهما قدّم من براهين منطقية وحجج قوية . يقول الاستاذ الكبير اميل خوري واضع مقدمة « حقائق لبنانية » ما يلي :

« لم تخرج المطابع العربية حتى اليوم مذكرات سياسية لرجل دولة لبناني او عربي يضع الأمور في نصابها ويعيد الحقائق الى قواعدها ويزن ما جرى بميزان لبناني خاص او عربي عام ، حتى جاء الرئيس الشيخ بشارة الخوري يملأ الفراغ ويسد الثغرة اذ يضع شهادته بين يدي التاريخ ، راوياً ما حضره من احداث وحفظه من احاديث ومستعيناً بما اكتنزه من وثائق ومحاضرات » .

وكاعتذار عن الاخطاء التي لا يستطيع مؤرخ منصف ان يتجاهلها ويبرىء عهد الشيخ الرئيس منها ، يقول الاستاذ الكبير ــ وهو المعروف بولائه لصاحب الكتاب .

« ان رئاسة صاحب المذكرات كان فيها الكثير من وجوه الخير وهـذا لا يعني اني لا اجد عليها مأخذاً او مآخذ ، فالرجل الذي لا مأخذ عليه او لا عيب في عمل من اعمـاله او موقف من مواقفه لا يكون رجلا بل نبياً . اما القسم الاكبر من المآخذ فيسأل عنه الذين كانوا ذوي حظوة عند العهد فاستثاروا الرئاسة حيناً واستلينوها احياناً في سبيل تحقيق ما كان لديهم من مطامع واهداف او ما كانوا يسعون اليه من وهم يقال له «شعبية» وهم الذين هزوا اكثر من مرة اركان العدالة فظاهروا باطلا على حق وضلالا على صواب » .

اما من حيث النظر الى ادب الشيخ الرئيس في مذكراته فانني اوافق كاتب المقدمة على كل ما قال ، فالشيخ بشارة الخوري اديب وكاتب بليغ وخطيب مفوه ألبس المواضيـع السياسية ثوباً من البيان قشيباً وخلق في ادبنا الحديث لوناً هو « الادب السياسي» . « فمـا كتبه عن القرية اللبنانية يمت بأكثر من سبب الى لغة الائمة » اسمعـه يقول : في مطلع الجزء الاول واصفاً مرابع صباه . « الضيع الاولى التي ألفتها عيناي وعلقها فؤادي . شبت انا وهي لم تشب ، وما شاب هواها في نفسي . لكل شبر من ترابها حكاية ، ولكل قطرة ماء من ينبوعها نغمة ، ولكل حجر من احجارها حديث ، ولكل غصن من اغصانها نجوى . ايتها القرى الجميلة ! ها هي ساحتك التي شهدت ألعاب الطفولة والصبا ، وكانت مسرحاً للأراجيح والمباريات « تربيع » الجرس و « قيمة » الجرن والمخل ، وفقس البيض ، ها هي كنيستك التي حملت البخور الى مذابحها وحرمت التلحين فيها لعدم اجادتي النغم ، ها هي خروبتك الباسقة التي اظلت جبيني الناضج بالعرق ، ها هو الشلال الناضح بالعرق ، ها هو الشلال يهدر في الوادي ، والقناة التي حملت اساطيلنا الكرتونية وذاقت من حجارتنا ما ذاقت » .

وهذه فقرات من القطعة التي كتبها في صفحة ٨٣ من الجزء الثاني من كتابه « حقائق لبنانية » حول موضوع « الرئيس اميل اده ، ما له وما عليه » . انني وان كنت اخالف الشيخ الرئيس في الكثير من آرائه ونظرياته ، ولا اقره على الكثير مما اسماه حقائق ، الا انني اخشع امام قوة بيانه وجلال تعابيره واشراق اسلوبه . اسمعه يقول : والضمير يعود الى الرئيس اده .

« لم اسيء اليه في حياته بقليل او بكثير ، فكيف اسيء اليه اليوم وقد لاقى وجه ربه ، وحال دون نزاله حائل يعقل اللسان ويلجم القلم . عهدت المنافسة بيني وبينه سياسية بحت . فقيدت نفسي فيها بروح الرياضة وآداب الوغى . أما هو فعزّ عليه ان اتقدمه وكان خطوه امامي ، فأعطى تلك المنافسة طابعاً شخصياً .

كان اميل اده متوقد الذهن ، سريع الخاطر ، ظريف المعشر ، جذاباً، خاطف المداورة يقدم قبل ان تستكمل عناصر الاقدام ، ويحجم دون ان يبقي لنفسه فضلا بالاحجام ، لا ينقصه من مميزات رجل الدولة سوى التحلي بالصبر ، والتعمق في الدرس . متين في صداقاته قاس في خصوماته ، سخي العتاب ، ضنين المعذرة ، طموح الى آخر مرتقى الطموح . وقد حق له لوفرة مواهبه وقوة شكيمته وشدة مراسه . هذا المزيج من المواهب والعطاء والنقص والخواء الذي كان يغلي به صدر اميل ادة غليان المرجل لا تخمد من تحته النار ، قاده الى يوم راشيا ، ولو رفض عروض الفرنسيين لعظم في نظر مواطنيه ولسجل لنفسه صفحة ناصعة البياض في تاريخ لبنان ، لكنه سامحه الله ، اخذ برأسه دوار القمم ، واستهوته رفرفة العلم ، فكبا جواده ولم يعد لإقالة عثاره من سبيل » .

افتح الصفحة ٣٩٥ من الجزء الثالث من حقائق لبنانية واقرأ مقتطفات من تأبين الشيخ الرئيس للمغفور له رياض الصلح . هذا التأبين الذي يجعل من صاحب مذكرات « حقائق لبنانية » احد بلغاء العرب في كتابته نفحة من اسلوب عبد الحميد . ودفقة من بلاغة امير المؤمنين الإمام علي سيد البلغاء كرم الله وجهه . قال الشيخ الرئيس مما قال :

« يا اكرم الراحلين ! يا فقيد البلاد ! يا رفيق الجهاد ! سبحان من وهبك بغير حساب وادخرك لليوم العصيب ، وتقبلك في اليوم العصيب ، شهيداً خالداً في جنات الخلود . تحدّرت كماء المزن ما في نصابك كهام . وحملت سيفاً ماضياً به من قراع الدارعين فلول ، فجعلك سبحانه وتعالى من اكبر رجال لبنان قيمة وامضاهم عزيمة واشدهم شكيمة واعزهم بأساً ، واشجعهم نبراساً ، وألينهم عريكة ، وأودعهم خلقاً ، وابهاهم خلقاً » .

هذه نبذ قصيرة اخترتها من كتاب « حقائق لبنانية » وقدمتها الى القراء الاعزاء كنموذج عن هذا الاثر القيم في السياسة والأدب . ان السياسيين والأدباء على السواء يجدون في كتاب « حقائق لبنانية » بأجزائه الثلاثة معيناً دفاقاً لا ينضب من ألوان السياسة والأدب واحداث الشرق العربي وارتباطها بالقضايا العامة ، وسياسة لبنان خلال ما يقارب القرن من الزمن . بالإضافة الى ما في الكتاب من الرسوم العديدة والوثائق الكثيرة التي تبدو كسجل للأحداث وشريط سينمائي ناطق يتدرج بالقارىء في شوق ومحبة الى القراءة والاطلاع ، واشباع غريزة البحث في حياة العظماء الخاصة وكشف مخبآت نفوسهم وتحليل أوضاعهم والمقارنة والاستنتاج وكل ذلك باسلوب جذاب فيه الكثير من جمال السرد وروعة القصة وفتنة السيرة واغراء التسلسل الفني . وحتى لا نكون مبالغين اذا قلنا : ان « مذكرات لبنانية » كتاب يعيش طويلا لا بسبب ارتباطه بالأحداث والمناسبات بل لأجل ما سكب به من اسلوب بلاغي

مشرق ، فانني اقدمه للقراء لينظروا فيه ويحكموا بأنفسهم عليه .

صيدا يوسف ابي رزق

العرفان : بعد ان اطلع القارىء من خلال هذه السطور على ما في كتاب «حقائق لبنانية» من متعة وفائدة فلا يسعنا الا شكر الاديب المؤرخ الكبير الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك الذي وقف على نشر الكتاب . وكان ولم يزل يهتم بتاريخ لبنان وقضايا لبنان ومصالحه العامة. بقي ان نعرف له جهوده ونقدر اعماله . عسانا فاعلين ؟!

ديوان « وحي المجتمع » الجزء الاول

صاحب الديوان هو الاستاذ اديب فرحات استاذ العربية في دار الصنائع والفنون سابقاً وامين سر الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية حالياً ، والاستاذ فرحات معروف في عالم الأدب والشعر والتأليف وهو استاذ اكثر شباب هذا الجيل ، وله فضل كبير على فريق من الادباء والشعراء ، وقد رافق الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية في بيروت منذ تأسيسها حتى هذا اليوم وقدر الجهود التي بذلها رئيسها السيد رشيد بيضون فأهدى ديوانه اليه فصادف هذا الاهداء اهله ومحله

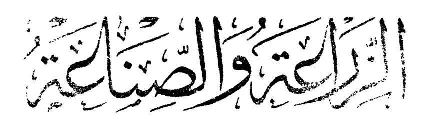
يتألف الديوان من ٣٢٨ صفحة من القطع الكبير ، وهو يقسم الى خمسة اقسام : الوطنية والاجتماع ، والوصف والغزل ، والاناشيد ، والأفراح والتهاني ، والمراثي والتآبين .

قدّم للديوان الاديب الكبير الاستاذ رشاد دارغوث تقديماً رائعاً صوّر فيه شخصية الاستاذ فرحات ومنزلته الادبية والشعرية اجمل تصوير ، وصدّر الاستاذ فرحات ديوانه بكلمة جد موفقة اوضح فيها ما لقي من مصاعب ومعاكسات في حياته الادبية لأنه كان موظفاً واتى بإيضاح جميل عن الديوان واقسامه ، فظهر انه انتجه في خلال نصف قرن من الزمن وانه استوحاه من المجتمع الذي عايشه وشاركه في افراحه واتراحه وحفلاته وعمل دائباً على خدمته وإصلاحه جهده المستطاع ، لذلك سمّى ديوانه « وحي المجتمع » .

ميزات الديوان : يمتاز الديوان بطباعته الانيقة ، وورقه الناصع الجميل ، وبحسن ترتيبه وتبويبه ، واهم من ذلك كله يمتاز بمتانة السبك اللغوي ، وجزالة اللفظ ودقة المعنى مع سمو ووضوح وهو يمتاز فوق ذلك بالروح الوطنية التي ترفرف على كل ابوابه وقصائده .

وقد عُني الاستاذ فرحات بالتاريخ الشعري لأنه في رأيه فن جميل وتراث مجيد لا يجوز التخلي عنه ، ففي الديوان زهاء ٨٠ تاريخاً هي في الحقيقة من ابدع التواريخ واسلسها .

يُطلب الديوان من صاحبه في بيروت ، ومن المكتبات المعروفة ، اما ثمن النسخة بالمفرق فهو ٦ ليرات لبنانية وهي قيمة ضئيلة بالنسبة لتكاليفه المادية ، وفوائده المعنوية .



مرض العفن الازرق

سرطان جديد يتحدى العالم

القصة الكاملة لهذا الوباء منـــذ ظهوره
في اميركا حتى وصوله الى بلادنا .

الاصطلاح العلمي : Peronora Tabacian (ADAM)

التسمية الانكليزية: Blue Mold **وترجمتها العفن الازرق** Downy Mildew **وترجمتها البياض الزغبي .**

ويبدو ان هذه التسمية الاخيرة هي اكثر انطباقاً على مواصفات المرض وقد درج علماء الامراض النباتية على تفضيل استعمالها غير ان لفظة (العفن الازرق) هي التي شاع استعمالهـــا بصورة عامـــة بالرغم من ان العفن الازرق لا يكتسب اللون الازرق الكامل .

التسمية الفرنسية : Mildew **مأخوذة عن الانكليزية** Mildiou

لمحة تاريخية عن المرض :

العفن الازرق يولد في القارة الاميركية وبمحاذاة المحيط الهادي

في عام ١٨٨٥ وللمرة الاولى في تاريخ الامراض النباتية ، ظهر مرض العفن الازرق على احد انواع التبغ البري المعروف باسم Nicotiana Giauca وذلك قرب سان دييجو في ولاية كاليفورنيا المتصلة بالمحيط الهادىء والواقعة على الطرف الغربي من القارة الاميركيةعلى بعد زهاء ٣٠٠٠ كم من مناطق زراعة التبغ في الولايات الاميركية .

وفي عام ١٨٨٨ ظهر هذا المرض للمرة الثانية في الارجنتين الواقعة على امتداد ولايـة كاليفورنيا في القارة الاميركية وأصاب هذه المرة زراعات التبغ نفسها .

العفن الازرق ينتقل الى القارة الاوسترالية

وبعد سنتين من هذا التاريخ اي في عام ١٨٩٠ اجتاز العفن الأزرق المحيط الهـادىء الواسع الأرجاء وحط على عدد كبير من حقول التبغ في القارة الاوسترالية بحيث استوطن فيها واعتبر من الأمراض الوبائية الشديدة الخطورة ، وهذا ما حدا بأصحاب مزارع التبغ ان يجروا على هذا المرض دراسات واسعة بالاشتراك مع عدد من الأخصائيين وعلماء الأمراض النباتيـة .

العفن الازرق يعود الى القارة الاميركية

وفي الشهر الثالث من عام ١٩٢١ ظهر العفن الأزرق بشكل مفاجىء في ولاية فلوريدا الأميركية وأصاب هذه المرة المناطق المزروعة بالتبغ ولأسباب مجهولة تماماً ، لم يشاهد هذا المرض ثانية في جنوب الولايات المتحدة الأميركيـة الا في ربيع عام ١٩٣١ بحيث نشطت اصاباته في ولايات جيدرجيا وفلوريدا ولويزيانا وانتقل منها الى ولايات كارولينا الشمالية وكالورينا الجنوبية وفرجينيا ، وفي العام التالي انتقلت الإصابات الى ولاية ماريلاند ، وفي عام ١٩٣٣ ظهرت اصابات جديدة في ولاية بنسلفانيا غرباً حتى ولاية التنسي .

اما في شمال القارة الأميركية فلم يظهر العفن الأزرق الا في عام ١٩٣٧ حينما اصاب وادي الكتكتيكيت ، وانتقل عبر هذا الوادي الى البلاد الكندية عام ١٩٣٨ .

العفن الازرق ينتقل الى البلاد الاوروبية

هذا هو تاريخ ظهور مرض العفن الأزرق في قارتي أميركا واوستراليا ، أما بالنسبـة للبلاد الأوروبية فقد أعلن عن ظهوره للمرة الأولى وعلى نطاق ضيق جـداً عام ١٩٥٨ في انكلترا ، وفي شهر تموز عام ١٩٥٩ سجلت إصابات جديدة في هولاندا وكانت نتائجهـا سيئة للغاية اذ قضت على معظم محصول التبغ في هولاندا وفي ايلول من نفس هذا العام وقعت إصابات شديدة في المانيا الغربية وامتدت الى المنطقة الشمالية من المانيا الشرقية .

اما في البلاد الاوروبية الاخرى فكانت آضراره محدودة جداً عام ١٩٥٩ نظراً لظهوره في ظروف جوية غير ملائمة لانتشاره من حرارة مرتفعة وجو جارف مشمس .

في عام ١٩٦٠ فان الصيف الماطر والبارد ساعد على انتشار المرض الذي اتخذ شكـلا وبائياً وغزا القسم الاكبر من البلاد الأوروبية منها الغربية والشرقية ، هولاندا ، فرنسا ،

سويسرا ، النمسا ، ايطاليا ، بلجيكا ، بولندا ، تشيكوسلوفاكيا ، هنغاريا ، ويوغسلافيا ، وتراوحت الأضرار بين خفيفة ــ ١٠٪ في النمسا ــ ومتوسطة ٢٠٪ في كل من فرنسا والمانيا الغربية وسويسرا ، الى ١٠٠٪ في بعض المناطق الاخرى .

وهكذا فبعد قارتي اميركا واوستراليا عرفت اوروبا بدورها مرض العفن الأزرق وبصورة خاصة عام ١٩٦٠ ، الذي تجوز تسميته عام كارثة التبغ في اوروبا ، وللدلالة على خطورة هذا الوباء تقتضي الإشارة الى ان العفن الأزرق الذي أصاب في البدء مزرعة واحدة في الأراضي الألمانية انتشر وباؤه خلال بضعة أشهر عبر مزروعات القارة بأكملها من روسيا الى ايطاليا ، دالا بذلك على ان المسافات البعيدة ونتوء الكرة الارضية لا تشكل حواجز منيعة ضد هذا الوباء الخطر .

العفن الازرق ينتقل الى شمال افريقيا ويهدد بلاد الشرق الاوسط

وفي الشهر الثالث من عام ١٩٦١ تجددت إصابات العفن الأزرق في بعض البلاد الاوروبية المذكورة أعلاه ، وانتقل وباؤه الى بلاد اخرى منها سردينيا واسبانيا والسويد وبلغاريا واليونان وتركيا والى تونس والجزائر في شمال افريقيا .

واهم الاضرار التي حصلت هذا العام سجلت في ايطاليا بحيث اتت الإصابات على ٧٠٪ من محاصيل التبغ ، وأضاع ٩٠٠٠٠ زارعاً القسم الاكبر من تبوغهم ، اما في اليونان وتركيا فكانت الإصابات طفيفة ، وبقيت في حدود ١٠ و ٢٪ .

وقد لجأ قسم كبير من زراع التبغ في البلاد الاوروبية الى الاقلاع عن زراعة التبغ ، ونتج عن ذلك تدني في المساحات المزروعة وخاصة في فرنسا ١٧٪ والمانيا الغربية ٣٠٪ .

العفن الازرق يصل الى سورية ولبنان

وفي عام ١٩٦٢ انتشر وباء العفن الازرق في بلاد جديدة اخرى منها مراكش وسورية ولبنان وروسيا وايران الخ ... وكانت الاضرار في هذه البلاد طفيفة بالنظر لظهور المرض في آخر فصل الربيع (ايار ١٩٦٢) وتوقف نشاطه بسبب ارتفاع درجة الحرارة ، غير ان هذه الاضرار كانت كبيرة في البلاد التركية بحيث بلغت ٢٠ الى ٣٠٪ من مجموع انتاج التبغ وفي منطقة ازمير وحدها بلغت الخسائر اكثر من ٢٠ مليون كم من جراء اصابة عدد كبير من الحقول اصابات كاملة .

الحالة الزراعية عام ١٩٦٣

ما بالنسبة لمحاصيل عام ١٩٦٣ التي لا زالت في مرحلة النمو الزراعي ، فبموجب النشرات

الرسمية الصادرة عن المنظمة الدولية للتبغ (كوريستا) بلغ عن ظهور اصابات عديدة بالعفن الازرق في عدد كبير من البلاد الاوروبية والافريقية والاسيوية وهي :

اوروبا : اليونان ، ايطاليا ، اسبانيا ، يوغسلافيا ، بلغاريا ، فرنسا ، البانيا ، بولونيا ، بلجيكا ، المانيا الغربية .

آسيا : تركيا ، لبنان ، سورية .

افريقيا : مراكش ، تونس ، الجزائر .

واذا كان من المتعذر في الوقت الحاضر تحديد الخسائر الحاصلة في البلاد المذكورة اعلاه باعتبار ان الاصابات لا زالت في بدء مراحلها ، وبصورة خاصة في البلاد الاوروبية ذات المناخ البارد ، يمكن اعطاء القارىء وصفاً حقيقياً لهذا الوباء بالنسبة للاضرار البالغة التي لحقت مزروعات التبغ في البلاد السورية .

بسبب الأحوال الجوية غير الطبيعية التي رافقت اشهر الربيع هذا العام من أمطار متقطعة وجو غائم مشبع بالرطوبة وتفاوت كبير في درجات الحرارة الليلية والنهارية ، بسبب هذه العوامل كلها الملائمة جداً لانتشار مرض العفن الازرق ، تعرضت المناطق السورية المزروعة بالتبغ الى كارثة حقيقية ، من جراء اصابة جميع القطاعات الزراعية بدون اي استثناء بهذا الوباء الخطير .

ظهرت الاصابة الاولى بتاريخ ١٨ آذار ١٩٦٢ في منطقة طرطوس الواقعة في جنوب منطقة اللاذقية . وفي غضون يومين من هذا التاريخ انتقلت الاصابة الى منطقة اخرى واقعة في اقصى شمال اللاذقيه ومن ثم تتالت الاصابات بصورة مذهلة بحيث عمت جميع مناطق زراعة التبغ في محافظتي اللاذقية وادلب ، واتت على القسم الاكبر من المزروعات في المشاتل والحقول .

وبفضل التدابير السريعة التي اتخذتها ادارة حصر التبغ والتنباك والتي كان من شأنها تولي الادارة بنفسها جميع اعمال المكافحة في مشاتل وحقول التبغ واقامة مساحات كبيرة من المشاتل المتأخرة ، توصلت الإدارة المذكورة ، بفضل خطة الإنقاذ التي رسمتها ، الى حماية قسم من محاصيل التبغ وزراعة حقول متأخرة في مختلف المناطق الزراعية . ومن المنتظر ان يبلغ انتاج التبغ هذا العام زهاء ٢٠ بالماية من الكميات المقدر الحصول عليها بالأصل .

اهمية اضرار العفن الازرق في البلاد الاوروبية

بصورة عامة يمكن تقدير الخسارات التي سببها العفن الأزرق في البلاد الأوروبية زهاء

١٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٦٠ و ٩٠٠٠٠ طن عام ١٩٦١ أي ما يساوي على وجـه التقريب ١٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٠ و ٩٠ مليون دولار عام ١٩١١ .

اما بالنسبة لإنتاج التبوغ الشرقية وحدها (تركيا اليونان بلغاريا ويوغسلافيا) فقد تدنى انتاجها عام ١٩٦١ بمعدل ٤٠٠٠٠ طن بالنسبة لإنتـاج عام ١٩٦٠ ، اما في عام ١٩٦٢ فبالرغم من الأضرار الكبيرة التي أصابت محاصيل التبغ في البلاد التركيـة فقـد ارتفعت ارقام انتاج التبوغ الشرقية بسبب التوسع الزراعي الذي حصل في كل من اليونان وبلغاريا البلدين اللذين بلغ انتاجهما معاً اكثر من ٢٠٠٠٠٠ طن لقـاء ١٥٠٠٠٠ طن في سنـين الإنتاج العادية .

الاضرار بالنسبة للانتاج العالمي

ان الانتاج العالمي للتبغ ، الذي كان آخذاً في الازدياد في السنوات الأخيرة ، بقي عام ١٩٦١ على نفس مستوى عام ١٩٦٠ ، زهاء أربعة ملايين طن .

واسباب ذلك تعود الى ان الخسائر التي نجمت في البلاد الاوروبيـة استعيض عنهـا بزيادة الإنتاج في بلاد عديدة اهمها روديزيا ، ونياسلاندا ، الهنـد ، الولايات المتحـدة الأميركية الخ ...

العفن الأزرق من أخطر الأمراض النباتية :

ذكر احد علماء امراض النبات انه طيلة ممارسته لمهام اعماله خلال ١٧ عاماً لم يشاهـد مرضاً نباتياً اشد فتكاً من مرض العفن الأزرق ، كما انه لا يوجد بين الأمراض النباتيـة ما يسبب الخسائر المادية الفادحة التي تماثل اضرار العفن الأزرق الـذي قضى عام ١٩٦٠ على معظم حقول التبغ في المانيا الغربية ، ويقضي على كافة مزروعات التبغ قضـاءاً تاماً في المناطق التي يصيبها .

العوائل

ان الفصيلة الأساسية لفطر الPeronospora Tabacina هي التبغ ، غير انه يصيب عدة نباتات اخرى تابعة للعائلة الباذنجانية كالبندورة والفليفلة والباذنجان والبطاطا كمـا ويصيب انواع التبغ البري ، وكثيراً من النباتات البرية التابعة للعائلة الباذنجانية .

اعراض الاصابة بالعفن الازرق

١ – **في المشتل :** ان انتصاب الاوراق الصغيرة في المشاتل هو الدليل الاول على وجود مرض العفن الازرق اما في الأوراق المتقدمة نسبيـاً في النمو فان الاصـلة تظهر عادة على

مجموعة من النباتات المتقاربة التي يلاحظ ان لونها يميـــل الى الاصفرار وتكون ذات اوراق كأسية (متجهة الى الاعلى بشكل الفنجان) ويظهر النمو الكونيدل على سطح الاوراق . ويكون توزيع الإصابة في المشتل في بقع دائرية متفرقة .

٢ ــ **في الحقل** : اما بالنسبة للحقل فيمكن تمييز نوعين من الإصابة : اصابة موضعية على الاوراق ، اصابة جهازية تشمل النبات بأكمله .

ففي الحالة الاولى تتميز بداية الاصابة بظهور بقع مائلة للاصفرار بحجم ١ ــ ٢ سم على السطح العلوي للاوراق السفلى ، وغالباً ما تتسع هذه البقع مسببة تجعد والتفاف اوراق التبغ وبتقدم الاصابة تجف هذه البقع او بالاحرى تصاب باليباس ومن ثم تأخـــذ لوناً مائلا الى السمرة الحالكة فتتساقط الاجزاء المصابة على الارض وتكون عادة اوراق المحصول ذات ثقوب متفاوتة الحجم حسب أهمية الإصابة .

واذا تم قطف الاوراق قبل ان يستكمل الفطر نموه الكامـــل ، يمكن تجنب اتساع البقع المصابة وهذا لا يمنع طبعاً الاجزاء المصابة من ان تتخذ اللون الغامق فيما بعد وتنفصل عن الاوراق اثناء مرحلة التجفيف او التخمير .

أما الاصابة الجهازية فانها تحدث عندما يغزو الفطر المسبب للمرض الانسجة الوعائيـــة للاوراق وينتقل منها الى عنق الورقة فالسوق الرئيسية للنبات ، وفي هذه الحالة يلاحظ ان المناطق المصابة تأخذ اللون الاسمر الغامق ، وينتج عادة عن الإصابة الجهازية بطء نمو النبات او توقفه تماماً .

طرق انتشار العفن الازرق

كيفية انتشاره :

ان العفن الازرق مرض نباتي يتسبب عن الفطر المسمى علميـــاً البرونوسبوراتاباسيانا ، وهو ينتشر بواسطة الغبيرات الحاصلة على الجهة السفلى من ورق التبغ التي تتشكل عنـــد الصباح الباكر كيما تنمو قبل شروق الشمس ثم تنتقل وتنتشر بفعل الرياح ، ويكون اقصى حد لانتشار هذه الغبيرات بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحاً ، وتخف بين الساعة الرابعة عشرة والثامنة عشرة مساء ، وتسقط هذه الغبيرات المنقولة بواسطة الهواء على الوجه الاعلى من الاوراق بوجه عام حيث تنبت وتعطي نسيجاً خاصاً (ميسيليوم) يتغلغل داخل الورقة فتمر مرحلة تتراوح بين ٤ و ٨ ايام حتى حصول اول الظواهر العينية لهذا الداء فيتمم معه اكتمال الغبيرات بعد يومين على الاكثر اي انه ينقضي من ٦ الى ١٠ ايام منذ الانبات حتى

ظهور الغبيرات على الورقة المصابة .

وهذه الغبيرات هي عبارة عن طبقة قطنية ذات لون مائل الى الزرقة ، ولذلك اطلق على هذا المرض في اميركا اسم العفن الازرق . وهكذا فان الورقة المصابة ذاتها تستمر في انتاج هذه الغبيرات حتى اليوم السابع عشر تقريباً ويكون المعدل الاقصى من انتاجها لهذه الغبيرات في اليومين السابع والثامن .

وتتضاءل حيوية الغبيرات كثيراً بعد يومين او ثلاثة حتى تفتقد ٩٩ بالمائة من حيويتها بعد ٤ الى ٧ ايام على انها تحتفظ حيويتها طيلة مدة شهرين اذا وجـــدت في اماكن رطبـــة او باردة او ظليلة .

مصدر الغبيرات التي تفتك بالمشاتل والحقول

أ ـ من النبت الثاني الناتج عن السوق والبذور المتروكة في الارض بعد القطاف والتي تكون قد أصيبت بفصل الخريف أو الشتاء .

ب ـ من التبغ البري او من النباتات البرية الاخرى التابعة للعائلة الباذنجانية ومن بعض نباتات العائلة الباذنجانية نفسها وبصورة خاصة الفليفلة . .

ج ـ من المشاتل والحقول التي تكون قد سبق واصيبت بالداء مع العلم ان الرياح تستطيع ان تنقل الغبيرات في بعض الحالات الى مسافات شاسعة تبلغ المئة وحتى المئتين كيلومتر .

تأثير الاحوال الجوية على مرض العفن الازرق

حسب نتائج الابحاث الفنية التي تحققت لغاية اليوم يمكن القول ان مرض العفن الازرق يتأثر بعوامل الحرارة ورطوبة الهواء النسبية والمطر ودرجة تعرض الشتول للشمس .

٢ ـ الحرارة

يتأثر توالد الغبيرات كثيراً بالحرارة اذ تتوالد الغبيرات في خلال ساعتين عندما تكون الحرارة بين ٤ و ٢٠ درجة سنتيغراد ، وتتوالد في خلال ساعة واحدة بين درجة ٢٠ و ٢٧ سنتيغراد ، واحسن ظرف لتوالد الغبيرات عندما تتراوح الحرارة بـــين ١٥ و ٢٣ درجة سنتيغراد . على ان تكون درجة الحرارة اذا كانت اعلى من ٢٧ او ادنى من ١٤ واستمرت على هذا الحال من ٦ الى ٨ ساعات فانها تقلل كثيراً من توالد الغبيرات ، اما المعرضة لدرجة حرارة ٢٩ سنتيغراد وما فوق فانها تموت عادة بعد ساعة واحدة ، كما ان الليلة الباردة التي يتبعها نهار بارد او الليلة الشديدة الحرارة التي يتبعها نهار شديد الحرارة ايضاً فانها تقلل من توالد الغبيرات بشكل ملحوظ ، وعلى العكس من ذلك فان النهار الحار الذي تتبعه ليلة باردة نسبياً فانه يزيد من توالد الغبيرات بشكل ملموس ويعزز بالتالي انتشار المرض .

ب – الرطوبة النسبية :

ان الرطوبة كلما زادت نسبتها تعزز توالد الغبيرات وانتشارها .

ج – المطر :

ان المطر يزود وجه الورقة بقطرات الماء التي تساعد على توالد الغبيرات وبالتالي فانه يزيد من الرطوبة النسبية في الهواء اما قطرات الماء هذه الناتجة من المطر او من الندى ، فانها يجب ان تظل مبدئياً مستقرة ساعتين او ثلاث ساعات على الووقة كي تساعد على توالد الغبيرات وتغلغل الفطر الى داخل الورقة .

اما اذا كانت الامطار شديدة ومستمرة فانها تحول دون تطور الداء لانها تجرف الغبيرات الى الارض وتمنع انتشارها .

ه – التعرض للشمس :

ان الاشعة الشمسية الحادة لا تناسب تطور المرض فان الغبيرات المعرضة للشمس تموت في مدى ساعة واحدة هذا فضلا عن ان الشمس تبخر الماء وتنشف وجه الاوراق وتحول دون توالد الغبيرات ، اما التبغ المزروع في الاماكن الظليلة فتنتج عنه اوراق ذات انسجة طرية وماوية قابلة للتأثر بمرض العفن الازرق .

وبصورة موجزة فان افضل الظروف التي تساعد على نمو مرض العفن الازرق هي :

– الحرارة الليلية والنهارية المتراوحة بين ١٥ و ٢٣ درجة سنتيغراد .

– الامطار الخفيفة والندى (التي تساعد على تكوين قطرات الماء على الورقة) .

الطقس الغائم والرياح التي تضمن انتشار الغبيرات ، وتجدر الإشارة الى ان الظروف المشار اليها أعلاه لا تتوافر عادة في بلادنا الا في الربيع (آذار ، نيسان ، ايار) اي في غمرة مرحلة التشتيل .

التدابير الوقائية ضد مرض العفن الازرق

ان جميع وسائل المكافحة المستعملة ضد العفن الازرق ما هي الا تدابير وقائية الغاية منها تجنب تسرب العدوى من الشتول المصابة الى الشتول السليمة ، وعلى هذا فان برنامج المكافحة ضد هذا الوباء يجب ان يطبق خلال فترة نمو التبغ بكاملها .

ان الهدف الرئيسي من الإجراءات المنظورة في خطة المكافحة هي منع ظهور وانتشار مسبب المرض ، اي فطر الـ Peronospora Tabacina الذي يتوالد بنوعين مختلفين .

الاول بواسطة الـ (Conidies) او الغبيرات الصيفية التي تساعد على انتقال الإصابات من النباتات الحية الى النباتات الحية عند توفر الاحوال الجوية الملائمة (الحرارة والرطوبة) .

ـ والثاني بواسطة الـ Oospores او الغبيرات الشتوية التي تمكن الفطر من البقاء حياً في بقايا النباتات المصابة ، وهذه الجراثيم تكون عادة مغلفة بغلاف سميك جداً يجعلها تقـاوم العوامل الطبيعية المختلفة من جفاف وبرودة وحرارة .

ولهذا السبب فان الجراثيم الشتوية هذه هي التي تسبب عودة ظهـور الفطر في الربيع ، وتكون الإصابات الاولى في زراعة السنة التالية .

التدابير والاحتياطات الواجب اتخاذها في المشتل

حسب نتائج الابحاث التي تحققت لغاية اليوم يوصى باتباع الاحتياطات التالية :

١ ـ يمنع منعاً باتاً تحضير المشاتل بين الاشجار وفي مقر الوديان والى جوار مجاري المياه والانهار ، اي بوجه عام عدم تحضير المشاتل في الاراضي الرطبة او الباردة او الظليلة واختيار مكان المشتل في ارض جافة ومعرضة لاشعة الشمس .

٢ ـ نصح الزراع بتحضير مشاتلهم على مساحات اوسع من المعتاد ، وذلك بغية مجابهة النقص الذي قد يحصل من جراء اصابات العفن الازرق .

٣ ـ بغية تسهيل معالجة المشاتل ، يجب ان لايتجاوز عرض المسكبة المتر الواحد .

٤ ـ تجنب استعمال البذور المأخوذة من النباتات المصابة ، وبصورة عامة عدم استعمال البذور قبل تعقيمها .

٥ ـ بصورة مبدئية يجب على المزارع ان يغير المكان المخصص لمشاتله في كل عام ، واذا تعذر عليه ذلك يقتضي تعقيم الارض بمادة الفابام او الفورمول .

٦ ـ يجب على المزارع ان يتجنب بصورة قطعية اقامة المشاتل الكثيفة ذلك لان الكثافة الزائدة في المشاتل تساعد على وجود الظل المسبب للرطوبة ، بصرف النظر عن انها تقلل من فعالية المكافحة بسبب تعذر وصول الدواء بصورة جيدة الى جميع اوراق التبغ .

ويوصى باستعمال غرام واحد من البذور للمتر المربع وخاصة للمشاتل المعطاة بالنايلون على ان لا يتجاوز هذا الحد الغرامين في اي حال من الاحوال .

٧ ـ سقاية المشاتل في الصباح فقط . ٨ ـ عدم زرع الخضار حول المشتل .

٩ ـ في حال عدم ظهور إصابات جزئية ، يجب تلف الشتول المصابة في المكان ذاته دون ان تمس او تنقل وذلك للحؤول دون انتشار الغبيرات ، ويوصى بإجراء التلف بواسطة محلول الفورمول (عيار ٣٪ الى ٥٪) او بالوسائط الاخرى المتوفرة لدى الزراع .

١٠ ـ في حال الإصابات الكلية يجب إتلاف المسكبة بكاملها وطمر الشتول على عمق ٢٠ سنتيمتراً او حرقها بالملهاب .

١١ ـ تجنب استعمال الأسمدة العضوية المحتوية على بقايا التبغ الملوثة باصابات العام السابق وفي جميع الاحوال يجب اضافة الاسمدة العضوية الى تربة المشاتل قبل اجراء عملية التعقيم .

١٢ ـ بعد الانتهاء من التشتيل يجب ان تطمر كافة الشتول الباقية في المساكب على عمق ٢ سم او ان تحرق بالملهاب لكي لا تتجمع عليها الغبيرات البيضية وتساعد على انتشار المرض في السنة التالية

التدابير والاحتياطات الواجب اتخاذها في الحقول

١ ـ منع الزراعة منعاً باتاً في الأراضي الرطبة او الظليلة .

٢ ـ اتباع الدورة الزراعية قدر الإمكان ، وفي جميع الأحوال يجب اطلاقاً تجنب زراعة التبغ في حقل اصيب في السنة السابقة بمرض العفن الأزرق .

٣ ـ يوصى بالزراعة المبكرة .

٤ ـ الاقلال من كثافة الشتول .

٥ ـ تلف الأوراق الملاصقة للارض لأنها تكون بيئة ملائمة لتوالد غبيرات العفن الأزرق

٦ ـ قطف الزهرة .

٧ ـ عدم سقاية الحقول الا في حالات الجفاف الاضطرارية ، وشرط ان تكون الزراعة السليمة .

٨ ـ التأكد من ان الشتول المأخوذة من المشاتل سليمة تماماً .

٩ ـ اتلاف الاوراق المصابة بشدة بواسطة الطمر او الحرق ، اما الاوراق المصابة جزئياً ، من بقعة الى ثلاث بقع يوصى بقطفها قبل النضوج التام .

١٠ ـ اقتلاع السوق والجذور فور الانتهاء من عملية القطاف ومن ثم اتلافها حرقاً بالنار .

معالجة المشاتل : تستعمل في معالجة المشاتل المبيدات الفطرية المحتوية على مادة الزينيب وفقاً للتعليمات التالية :

ـ في حال استعمال المناضح اليدوية يركز المحلول على أساس ٣٥ غراماً من الزينيب في كل عشرة ليترات ماء لمساحة ٤٠ متراً مربعاً من المشاتل .

ـ وفي حال استعمال المناضح الآلية يركز المحلول على أساس ١٤٠ غراماً من الزينيب لكل ١٠ ليتر ماء وهذا يكفي لرش مساحة قدرها اربعة اضعاف الاولى اي نحو ١٦٠ متراً مربعاً من المشاتل .

ـ يباشر بالمكافحة عند ظهور الورقة الثانية ، اي من ٧ الى ١٠ ايام بعد الإنبات .

ـ تعالج المشاتل مرة كل ثلاثة أيام ، ويداوم على هذه العملية حتى نهاية التشتيل . وتعاد المعالجة بعد هطول المطر ، وعندما تنشف الأوراق .

ـ وفي ظهور بدء اصابة ، يجب ضخ المشاتل مرة كل يومين لحين توقف انتشار المرض فيعاد الى تطبيق الطريقة الاولى المحددة بمرة كل ثلاثة ايام .

ـ تعالج المشاتل في الصباح الباكر وبعد السقاية بساعتين او ثلاث بحيث تكون أوراق

الشتول عند نضجها ناشفة لا تبللها قطرات الماء او الندى ، ومهما كانت الأسباب يجب تجنب الضخ في المساء لمنع الاحتفاظ بالرطوبة .

– يقتضي اجراء المعاملة بكل دقة وعناية ، يصيب المحلول وجهي الورقة تماماً وفي حال استعمال المناضخ الآلية يوصى بإجراء الضخ ذهاباً واياباً .

– يجب معالجة المشاتل مرة اخيرة قبل اقتلاع الشتول لنقلها الى الحقول .

معالجه الحقول : اذا كانت المعالجة الاخيرة في المشاتل قد تمت بعناية قبل اقتلاع الشتول مباشرة يمكن المباشرة بمعالجة الحقول بعد اسبوع واحد من التشتيل ومن ثم معالجة واحدة كل سبعة أيام .

– يمكن اجراء المعالجة طيلة ساعات النهار تعاد المعالجة فوراً بعد هطول الأمطار .

– اما فيما يتعلق بالمبيدات المستعملة ومقاديرها ، فتبين فيما يلي التعليمات الموضوعة بهذا الشأن من قبل المنظمة الدولية للتبغ (كوريستا) .

التعفير : بواسطة الزينيب (٧٥ بالمائة من المادة الفعالة) وبمعدل ١٠ الى ٥٠ كغ للهكتار الواحد حسب حالة نمو الشتول وعلى ان تكون الأوراق رطبة لدى اجراء المعالجة ولذلك يفضل اجراؤها في الصباح الباكر .

الضخ : للمعالجات الاربع الاولى بواسطة الزينيب (٦٥ بالمائة من المادة الفعالة) بتركيز ٤ بالمائة اي ٤٠٠ غرام من الزينيب لكل ١٠٠ لتر ماء . ومن ثم تستعمل مادة المانيب (٨٠ بالمائة من المادة الفعالة) بتركيز ٢ بالمائة اي ٢٠٠ غرام من المانيب لكل ١٠٠ لتر ماء .

ان المقادير المبينة اعلاه ، قابلة للتطبيق مهما كانت انواع الآلات المستعملة للضخ ، ولذلك ففي حال استعمال المناضخ الآلية او المناضخ ذات الضغط العالي (مايكرون سبرير) تزداد مقادير المبيدات بصورة تتناسب مع تخفيض كمية الماء المستعملة لوحدة معينة من مساحة الحقول .

ملاحظة هامة : ان المقادير المذكورة اعلاه والموصى باستعمالها من قبل مؤسسة الكوريستا من الارجح ان تكون قد حددت بصورة وسطية عامة بحيث تطبق على جميع انواع التبغ التي تزرع في البلاد الاوربية ، من أوراق صغيرة الى متوسطة في الحجم الى كبيرة ، لهذه الأسباب درج كل بلد على اجراء دراسات خاصة به تحدد بموجبها مقادير المعالجة من مبيدات وماء ، في ضوء نوعية مزروعات التبغ ومقادير المبيدات لتغطية اوراق التبغ تغطية كافية .

التشريعات الحكومية الناظمة لحماية مزروعات التبغ

لجأت بعض الدول الى سن تشريعات خاصة لحماية مزروعات التبغ من الاضرار الفاحشة التي يسببها هذا الوباء الخطير ، وعلى سبيل المثال ، نذكر فيما يلي الإجراءات المتخذة في بعض

البلدان بحق الزراع الذين يهملون اعمال معالجة مزروعاتهم او يحجمون عن تطبيق التعليمات والارشادات المحددة من قبل وزارة الزراعة .

في اليونان : إلغاء رخصة زراعة التبغ . حبس المزارع المخالف من الحصول على القروض الزراعية . فرض غرامة تصل الى زهاء ٩٠٠ ليرة .

في تركيا : حرمان المزارع من الحصول على القروض الزراعية . في حال تمنع المزارع عن تلف مزروعاته المصابة ، اتلافها على نفقته وتغريمه ثلاثة اضعاف نفقات التلف .

في بولونيا : تعقيم البذور : حصر اقتناء وتوزيع البذور بالمؤسسات الحكومية . منع الزراعة في الحقول المصابة في العام السابق . تلف جميع نباتات المشاتل في حال ظهور المرض فيها . قلع السوق والجزر بعد القطاف وطمرها على عمق ٢٠ سم . عدم السماح في الاحتفاظ بنباتات التبغ الحية ، في المخابر او الحدائق او مراكز الابحاث ، بين الفترة الواقعة بين اول كانون الأول وأول آذار .

تلك هي (قصة) مرض العفن الازرق هذا الوباء الخطير الذي تحدى عالم التبغ من ادناه الى اقصاه ، هذا الداء الجارف الذي وقفت تجاهه ارقى بلاد العالم مكتوفة اليدين وفقدت بسببه قسماً كبيراً من ثرواتها الزراعية .

وفي نهاية هذا المقال ارى ان اوجه الى زراع التبغ في بلادنا كلمة صريحة حول مرض العفن الازرق ، ان مزارع التبغ سيجد نفسه من الآن وصاعداً امام وضع جديد ، يجب ان يتعود عليه واضعاً نصب عينيه ان وباء العفن الازرق قد استوطن في بلادنا وان استئصاله امر ليس بالشيء اليسير .

واذا ما نظرنا الى التبغ من زاوية المكافحة ضد الامراض النباتية ، نرى ان هذه المادة كانت تتبوأ مركزاً مرموقاً بالنسبة للزراعات الاخرى ، غير ان فقدان هذه الميزة لا يجب ان تضعف من عزيمة زراع التبغ الذين بوسعهم وبكل سهولة ، ان يندمجوا مع المسؤوليات الجديدة المترتبة على انتاج التبغ ، وهذا ليس عليهم بكثير ، هم الذين صمدوا في السابق امام كوارث زراعية اخرى هددت انواعاً مختلفة من المحاصيل الزراعية .

ايها المزارع الكريم : ان الارض الطيبة تصونها الارادة الطيبة ، وقد جعل الله لكل شيء سبباً ، فاذا كان العفن الازرق يسبب الفتك في مزروعاتك ، فثق بأنك اقوى منه ، اقوى منه بثقتك وجهودك ومكافحتك له ، فشمر عن سواعدك ولا تترك له مجال التسرب الى مزروعاتك ، فالعفن الازرق مهما كان وباؤه خطيراً ، يجبن امام عنايتك بمزروعاتك ومكافحتها بالمبيدات التي تقضي عليه قضاء مبرماً .

أهم الأخبار والآراء

عيد استقلال لبنان

لقد كان لعيد استقلال لبنان هذه السنة بهجة واي بهجة في جميع المناطق اللبنانية وخصوصاً في بيروت حيث كان العرض رائعاً ، وبقي الناس ليلتين يسهرون الى الصباح .

هذه الحشود الكثيرة التي كانت على البرج أمام نصب الشهداء ترقص الدبكة وتغني وتهزج مسرورة مستبشرة ليلة عيد الاستقلال ويومه والليلة الثانية ، من اين هي ؟ انها بأكثريتها الساحقة من الجنوب وبعلبك ، انها عماد للاستقلال ، انها قوة لاستقلال لبنان ، تفرح لفرحه وتؤيد رئيسه وجيشه ، لذلك فالعقل والمنطق يقضي بأن تأخذ حقوقها كاملة لا كما تدل الاحصاءات التي سنوردها في عدد قادم .

ازاحة الستار عن تمثال المرحوم عبد الحميد كرامي

كانت حفلة ازاحة الستار عن تمثال المرحوم عبد الحميد كرامي رائعة جداً حضرها فخامة الرئيس والألوف المؤلفة من الناس . واذا كان في لبنان من مجاهدين قلائل عملوا حقاً في سبيل الاستقلال ففي مقدمتهم المغفور له عبد الحميد ، فقد كان خارج الحكم وداخله مفخرة من المفاخر لم يتغير ولم يتبدل في اخلاصه ووفائه .

ان الخسارة بفقيدنا لا تعوّض ، لان مثله في لبنان لم يبق لهم اثر مع الاسف :

ذهب الذين يُعاش في اكنافهم وبقي الذين حياتهم لا تنفع

الافراج عن بعض المعتقلين السياسيين في المملكة السعودية

افرجت السلطات عن بعض المعتقلين السياسيين ومن العجيب استبقائها سنة من بلدة سيهات ، ولعل السبب لانهم من سيهات ! ولانهم شيعة ، وليس هذا بغريب علينا ، ولا بأول دفعة من دفعات السعودية من هذا القبيل ، والدليل انها افرجت عن اناس غيرهم يشاركونهم الاتهام ! فمتى تعتدل السعودية وتعدل ؟

العراق

ومن العراق لم يصلنا انباء عن وصول عدد العرفان الخامس للقراء ام لا وكنا قد عالجنا فيه قضية الإنتباه لعدم هضم حقوق الشيعة وهم الاكثرية الساحقة . والآن نعود فنلفت نظر حكام العراق الى تأمين العدالة الإجتماعية ، وذلك يكون بإعطاء الشيعة حقوقهم لا بإزاحتهم عنها .

مصرع كندي

« عش رجباً ترَ عجباً » صدق المثل ، نعم لم تكن منتظرة هذه المفاجأة التي هزت العالم من أقصاه الى أقصاه . ان هذا الإجماع على فقد هذا الإنسان البنّاء اكبر دليل ان الإنسانية خسرته ، اذ لم يُرض عمله تجار الحروب فغدروا به ، وعجّلوا عليه قبل أوانه .

ولم يكتشف للآن شيء يذكر يوضح الجريمة .

فأين الدولة الاولى ؟!

جمعية الهداية والارشاد العلمية

ان جمعية الهداية والإرشاد العلمية :

١ ـ افتتحت مقراً لها في بيروت ملك سعد الدين الفضل قرب بنك طراد وذلك للمراجعات الدينية .

٢ ـ اول عمل ستقوم به بناء بيت للطائفة في بيروت .

٣ ـ افتتحت حساباً جارياً باسمها في بنك مبكو لهذه الغاية .

فندعو المواطنين والمهاجرين لمناصرتها ومؤازرتها .

الوفيات

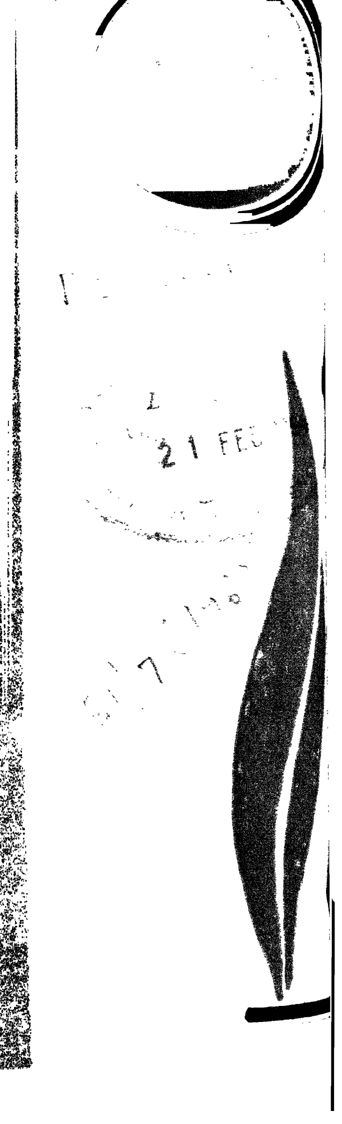
وفاة السيد احمد الحسيني

توفي في مزرعة السياد عن عمر يقارب التسعين عاماً السيد احمد الحسيني الوزير السابق، وقد كان المرحوم نظيف الوجه واليد واللسان والقلب . تقلب في عدة مناصب قضائية فكان مثال النزاهة ، وجد أربعة عشر مرة وزيراً وعدة مرات نائباً . كان معتدل السليقة بعيداً عن الحزبية ، يخدم ما استطاع الى ذلك سبيلا . وقد تقلب في وزارات هامة في الدولة فملأها بكل جدارة ، رحمه الله رحمة واسعة وتعازينا الحارة لنجليه وآله وذويه .

وتوفي في طولكرم الزعيم سليم بك عبد الرحمن وهو من المجاهدين الاولين في سبيل القضية الفلسطينية والقضايا العربية وكان وفياً كريماً لطيفاً حلو المعشر ، تغمده الله برحمته، تعازينا لآله وذويه .

ـ نعت انباء بغداد المرجع المجتهد الكبير الشيخ محمد مهدي الخالصي

ونعت انباء القاهرة فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر والملزمة على الطابع . تغمدهما الله برحمته وعوض المسلمين عنهما خيراً .



البترول : وسيلة الى حياة افضل

تفد الى ميناء بيروت وتقلع منه في كل عام ، في المتوسط ، اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ باخرة ، حاملة معها اكثر من ١،٦٠٠،٠٠٠ طن من البضائع . هذه البواخر الناقلة لآلاف من السلع (في عملية التبادل التجاري العالمي المتزايد دائما) تسير كلها تقريبا بمنتجات البترول .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية ادبية شعرية مصورة

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

تلفون البيت : ٧٢٠٦٦٤ سنتها عشرة اشهر بألف صفحة تلفون المطبعة : ٧٢٠١٠٥

الجزء السابع المجلد ٥١ رمضان ١٣٨٣ كانون الثاني ١٩٦٣

	الموضوع	الكاتب
٦٥٠	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٦٥١ – ٦٥٢	من دفتر تجاربي	جعفر الخليلي
٦٥٣ – ٦٥٧	زاد مهر جارية ابن جمهور العمي	مصطفى جواد
٦٥٨ – ٦٥٩	انسانية الانسان « رباعيات »	مهدي جاسم
٦٦٠ – ٦٦٢	مريض السادية « اقصوصة »	صفاء خاوصي
٦٦٣	بطل الاسلام الخالد	حسن الشيرازي
٦٦٥ – ٦٧٠	الله رصيد الانسانية في المعرفة	محمود محمد باز
٦٧١ – ٦٧٦	قديم الزمان وجديده « شعر »	محمد الكرمي
٦٧٧ – ٦٨٠	الذكرى الخامسة عشرة لاعلان حقوق الانسان	روكس العزيزي
٦٨١ – ٦٨٤	الاسلام والتطور	محمد عبد المنعم الخفاجي
٦٨٥ – ٦٨٦	اماه « شعر »	خليل جرجس خليل
٦٨٧ – ٦٨٩	بدء النهاية	عبد الله حشيمه
٦٩٠ – ٦٩٧	الاسلام والاحزاب	محمد حسين الزين
٦٩٨ – ٦٩٩	فتنة الأرياف « شعر »	عباس ابو الطوس
٧٠٠ – ٧٠٣	الشيخ ابراهيم الحاريصي	علي ابراهيم
٧٠٤ – ٧١٣	شذوذ النمو عند الانسان	رشيد وهبي
٧١٤ – ٧١٨	صيدا في اواخر القرن التاسع عشر	زيد الزين
٧١٩ – ٧٢٧	ابو القاسم الشابي	خضر عباس الصالحي
٧٢٨	طرائف سنغالية	ابراهيم حاوي
٧٢٩ – ٧٣٤	قطب الحروف	عيسى الخاقاني
٨٣٥ – ٧٣٨	الشيخ محمود شلتوت	العرفان وعبد الحليم الزين
٧٣٩ – ٧٤٢	ليلة القدر	هاني باز
٧٤٣ – ٧٤٥	الدين واثره في تهذيب النفوس	حسين معتوق
٧٤٦ – ٧٤٧	موطني موطن البطولات	محيي الدين شمس الدين
٢٧٥ – ٧٦٨	ابواب العرفان : سير العلم ـ المراسلة والمناظرة ـ التقريظ والانتقاد ـ بريد المهجر ـ آراء الناس ـ جولة العرفان ـ اهم الاخبار والآراء	

بيني وبين القارئ

قارئي الكريم :

دعونا في عدد مضى للصراحة ولتبادل الآراء والمناقشة الرياضية المبنية على المحبة والمنطق لنصل بالعرفان الى ما يبغيه له كل مخلص . وهكذا كان فان المشورة وتبادل الرأي من الضروريات ولذلك قال الله تعالى في محكم كتابه مخاطباً نبيه : « وشاورهم في الأمر » .

قارئي العزيز :

لقد تعودت العرفان تشجيع الناشئين ، وان تكون صلة وصل بين المواطنين والمهاجرين ونشر بعض رسائل ونتاج البعيدين عنا في المسافات القريبين في الروح ، فلم تجد من المستحسن ترك هذه العادة وان كان بعض المنشور دون مستوى العرفان .

لذلك اذا وجد القارىء بعض الشعر والنثر في العرفان لا يخلو من السقط فقبل ان يتساءل هل العرفان كالسفط فيها النفيس والسقط احيله على اول صفحة من كل عدد فانه يرى في رأسها ان العرفان يصدر منه عشرة اعداد بالسنة في الف صفحة ، ثم اذا رجع الى اعداد العرفان وجد انها ستبلغ هذه السنة اكثر من الف ومئة صفحة وفي السنة القادمة اكثر فأكثر فليحسب هذه الزيادة من السقط على حساب العرفان ابقاء على مواضيع لا نقصدمنها الا الالفة والمودة والتشجيع . واذا أجاب احد القراء ليس من الضروري ان يكون في العرفان من السقط فأنا احيله على مجلات لا في العالم العربي بل في اوربة واميركة ونادراً ما تفوتني مجلة منها لا اطالعها نجد انها لا تخلو من السقط بالرغم من ان اكثرها تصدرها الحكومات والشركات . ومع ذلك فنحن والقارىء على موعد في السنة الهجرية القادمة حيث يجد ان شاء الله قليلا جداً من السقط وكثيراً من النفيس . بقي ان يعرف كل بضاعته فلا يظن من نشجعه ان من واجبنا ان ننشر له كل ما يرسله لنا ، هذا سيظهر ايضاً اذ انا سنكلف احد الادباء بنقد كل عدد .

قارئي الكريم :

كم تمنيت ان يكون جميع اصدقاء العرفان المخلصين كالاديب العبقري والصحفي الالمعي الاستاذ جعفر الخليلي ، يضعون النقاط على الحروف وينتقدون بصراحة ووضوح لا لبس فيها ولا ابهام ولا ادعاء ، ويهبون لنصرة العرفان المعنوية حين اعلنت انها تريد ان تنهض الى مستوى ارفع . جولة العرفان السياسية سنفصلها في بحث آخر والى الملتقى .

من دفتر تجاربي

بقلم جعفر الخليلي

ـ يحتاج الانسان الى عمرين ليجرب الدنيا بأحدهما ويفيد من تلك التجربة بالثاني .

ـ ليس في المرأة اي عنصر من عناصر الخبث ، والخبث الذي يطفح به وجهها بعض الاحيان هو خبث الرجل معكوساً عليه .

ـ اذا اجتمع شكان في مفهوم بعض الناس تحولا الى اليقين عندهم وصار الشكان عملية حسابية شك زائد شك يساوي يقين

ـ لا يفكر احد بالانتحار الا الخائب ، ولا يخيب امرؤ لا يكون ضعيفاً ، والضعف مظهر من مظاهر الذل . وهو من ارذل ألوان العار .

ـ الشذوذ الفكري اما ان يكون ضرباً من الفطنة والنبوغ ، او ضرباً من الغباوة والجنون .

ـ الدعاوة الفارغة طلاء سرعان ما يبوخ .

ـ ما جمع الخير والشر شيء كما جمعه الحب .

ـ انت لا تستطيع ان تستنبت المرمر حبوباً ، فاعرف اين تنثر بذرك .

ـ ليكن انتقامك اذا اردت الإنتقام مناسباً للذنب وللظرف .

ـ ما كل من له عين رأى ، ولا كل من له اذن سمع ، ولا كل من له لسان نطق .

ـ قيل لي ألم يمتلىء خرج المثل السوري القائل : (حط بالخرج) فقلت انه خرج مخروق ما نرمي به من فتحة الفم يخرج من فتحة الخرق .

ـ اذا احببت ، فاعرف من تحب وكيف يجب ان تحب .

ـ لكل شيء ثمن مادي في الحياة ، اما العاطفة فيعجز المثمنون ان يعينوا لها ثمناً .

ـ مطابقة الكلام لمقتضى الحال ليست معنى للبلاغة وحدها كما يقول علم البلاغة وانما

هي قاعدة الحياة لكل شيء في كل زمان ومكان .

ـ يقول المثل : اذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة ، وتقول التجربة اذا كان بيتك من زجاج فلا تتلصص على اسرار الناس .

ـ من الخير لبعض الناس وللناس ان لا يولد ، فاذا ولد . فالخير في ان لا يكبر ، فاذا كبر ، فالخير في ان لا يتزوج ، فاذا تزوج فالخير في ان لا ينسل ، فاذا نسل فالخير في ان لا يكثر ، فاذا اكثر فالخير في ان يقدر على ان يعمل ما ينبغي ان يعمل ، فاذا لم يقدر فلتقدّر انت اية حماقة ارتكبتها الطبيعة بحق الناس في خلق هذا المخلوق ، واية حماقة ارتكبها هذا المخلوق في حق نفسه .

ـ للدنيا وجهان : هما الليل والنهار ، فاسع ان لا تقابل منها غير وجهها المشرق ، وان لا تعيش الا في النهار .

ـ بعيد ان تخلو حياة انسان من الحب ولكن الحب كلعبة الشطرنج لا تتكرر ولا تستطيع ان تحصر ألوانها .

ـ قلت لمعتوه مصري : اعتاد ان يمر على بعض الاصدقاء فيأنسوا به ، قلت له مازحاً :

ـ الدنيا زي ايه ؟

ـ قال : زي الخردلة ...

ـ قلت : والخردلة زي ايه ؟

ـ قال : زي الدنيا .

ـ لا تستطيع قمة افرست الشامخة ان تطاول رأس المغرور اذا شمخ .

بغداد جعفر الخليلي

طبيب مثالي

اعتاد احد الاطباء الا يرفض دعوة مريض غني او فقير ، مهما كانت الظروف الجوية ومهما كان الوقت متأخراً . فلما تقدمت به السن اعتاد أن يسأل من يستدعيه ليلا :

ـ هل عندك نقود ؟

فاذا قال : نعم ، قال له :

اذن اذهب الى الطبيب المجاور ، فان سني وصحتي لا تسمحان لي بالخروج ليلا لمريض يستطيع ان يدفع اجراً لطبيب غيري .

زادمهر
جارية ابن جمهور العمي
بقلم الدكتور مصطفى جواد

للجواري في التواريخ الاسلامية وكتب الأدب العربية أخبار ممتعة ونوادر بارعة ، وقصص جميلة ، وحكايات عجيبة ، ونكات طريفة ، ومن الجواري المشهورات بجودة الغناء والجمال والأدب البارع « زاد مهر » جارية ابن جمهور العمّي ، ذكرها الأديب الكبير الوضاع الشهير أبو حيان التوحيدي في كلامه على الأطراب التي لحظها عند طائفة من معاصريه والمغنيات والمغنين في أواسط القرن الرابع للهجرة ، قال : « ولا طرب ابن الغازي على جارية العمي في مجلسها الغاص بنبلاء الناس بين السّورين » (حين غنّتا) .

يلحى ولو أرّقه الميعادُ	أو راعه الأعراض والابعادُ
أوهرّه الأعداء والحساد	أو سلقته الألسن الحداد

ما لام من ليس له فؤاد (١)

ولم يعرف المصححان لكتاب الامتاع والمؤانسة وضابطاه وشارحا غريبه وهما الأستاذان احمد أمين وأحمد الزين المصريان – رح – مَن هذا العمي ؟ وما اسم جاريته وما تاريخها ، غير أنهما قالا : « العمّي نسبة الى العمّ : بطن من تميم » .

والعمي هو أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور الكاتب المحدث الأديب ، قال ياقوت الحموي : « محمد بن الحسن بن جمهور العمي (٢) الكاتب أبو علي ، قال أبو علي التنوخي : وكان من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثير الملازمة لأبي وحرّر لي خطي لما قويت على

---

(١) الامتاع والمؤانسة « ج٢ ص ١٧١ الطبعة الاولى » .

(٢) تصحفت في معجم الادباء الى « القمي » .

الكتابة لأنه كان جيد الخط ، حسن الترسل ، كثير المصنفات لكتب الأدب (كذا) فكثرت ملازمتي له وكان يمدح أبي فأنشدني لنفسه وهو من مشهور شعره ... قلت انا وهو صاحب النوادر مع زاد مهر المغنية جارية المنصورية » (١) .

وذكره علي بن محمد الشابشتي في كلامه على « دير قنى » فله فيه أرجوزة نونية وبيتان رائيان قال الشابشتي بعد إيراده الأرجوزة والبيتين : « وهو أبو علي محمد بن الحسين ابن جمهور العمي وكان أبوه من رواة أهل البيت صلوات الله عليهم وحاملي الأثر عنهم . وكان أبو علي ظريفاً متأدباً ، مليح الشعر والكتابة ، وقد سافر في طلب العلى ، وتطرّح في مواطن اللعب وعاشر أهل الخلاعة وطرق الحانات والديارات ثم أقام بالبصرة وحسنت حاله بها وصارت له نعمة كثيرة ، ومن شعره في جارية كانت في القيان تعرف بزاد مهر جارية المنصورية وكانت له معها في القيان أحاديث طريفة ثم تأتّى له أن اشتراها ... وأخباره معها ومع غيرها من القيان عجيبة . قالت له زاد مهر هذه مرة وهي في القيان وقد دعاها : خذ لي الطالع في شيء قد أضمرته . فأخذ الطالع وزرّقها فقال : سألت عن رجل عليل القلب . شديد الكرب ، دائم الفكرة ، طويل الحبرة ، قد أشفى على أمر عظيم ، في طاعة انسان عزيز ، فضحكت ثم قالت مسرعة : على ... ام الكاذب ، والله ما سألت الاعن الثوب المصمت الذي وعدتني به متى تبعث به الي ؟ فخجل وبعث به اليها » .

« وكتب اليها وقد كانت هجرته : يا سيدة عبدها (٢) والله ان الذي بلغك باطل لكني أعترف به طاعة لك واقول كما قال ربيعة الأسدي :

هبيني امرءاً اذنبت ذنباً جهلته ولم آته عمداً وذو الحلم يجهل
عفى الله عما قد مضى لست عائداً وها أناذا من سخطكم أتنصل

وقد قلت أيضاً :

املي ان كنت اخطأ ت رشادي في هواكِ
فلقد اسهرت عيناً ارقت عند كراكِ
فاصفحي عني وجودي جعلت نفسي فداك

فوقّعت على ظهر الرقعة : مالك تغم نفسك ، وتتنطع في كُتب الاشعار ؟! وجّه الي بالغلالة وقد اصطلحنا ... وكنا نحضر مجلسه بالبصرة فيملي اخبار اهل البيت عليهم السلام

(١) معجم الادباء « ٦ ٨ ٤ ٩ » طبعة مطبعة هندية الاولى » .
(٢) سيدة عبدها مضاف ومضاف اليه .

فاذا فرغ من الاملاء ابتدأ جواريه فقرأن بألحان (١) ثم قلن القصائد الزهديات فاذا فرغن من ذلك انصرف من انصرف واحتبس عنده من يأنس به وعمل الغناء والشرب » (٢) .

وذكر ابو حيان الجارية « زاد مهر » في حكاية ابي القاسم البغدادي التي نسبها الى من سمّاه « ابا المطهر محمد بن احمد الازدي » قال : « هذي زاد مهر جارية ابي علي ابن جمهور كانت بارعة الجمال ، طيبة الغناء ، كثيرة الاتراب والنسوان ، وكان صاحبها هذا من ابرد الناس واوحشهم وكان يكثر التعتب والتهاجر والدلال والملال ، فدخل عليه ابوالحسن الدورقي واقترح عليه غناءها فكتب اليها وهي كالغضبانة عليه : « يا ست مولاها ، عندي اليوم صديقي ابو الحسن وما حضر الا ليسمعك فأحب ان تتفضلي وتحضري ولا تتماجني ، فان الرجل ليس بصاحب مجون » . فكتبت في الجواب « هوذا اراه مقرطم السبال، جبّ خراء كما هو ، وانا والله ما اقدر افتح عيني من الصداع وحلقي منطبق من الباذنجان الذي اكلته امس » فكتب اليها « قد والله عرّفته العذر ولم يقنع به وقال : اجعلي هذا اليوم زكاة غنائك ... وكان هذا ابو علي اهدل الشفتين واسع الفم غليظ اللسان وتلك المسكينة ضيقة الفم فقال لها ليلة : بحياتي عليك ادخلي لساني في فيك . فقالت : لمه ؟ قد قامت القيامة حتى يلج الجمل في سم الخياط ؟! ودخل عليه يوماً فتى من مشاقيع بغداد في الشتاء بغير جبة وبغلالة فاحتبسه على غنائها ، وكانوا قد اكلوا فعرض عليه عرضاً صورياً الطعام وامتنع عن الاكل تظرفاً وهو في الموت من الجوع ، ويعمل رياء للجارية وجعل يشرب من نبيذ حلو فأسرع السكر اليه واظلمت الدنيا بضيائها في عينيه فأقبل على ورد في المجلس يأكله ويمعن فيه فلحظته الجارية وفطنت لما به ، فقالت لصاحبه من جانب دفها : بالله عليك استدع لهذا بشيء يأكله والا صار خراؤه جلنجبين معسل (٣) ، ولما تناهى بالفتى السكر وبرد عليه الليل جعل يرتعد من البرد وتصرف اسنانه وهو في غلالة قصب ، فقال في تلك المحنة للجارية : اشتهي ان اعانقك . فقالت يا مُدبر انت الى ان تعانق جبة احوج منك الى عناقي لو كنت ممن يعقل ، ومضى الفتى وفي نفسه من الجارية حرارة فأخذ في استعطافها بالمراسلات والمكاتبات

---

(١) يعني قراءة القرآن الكريم .

(٢) الديارات « ص ١٧٢ – ١٧٤ بتحقيق كوركيس عواد ، ولابن جمهور وابيه ترجمة في كتب رجال الشيعة كرجال ابي علي وفهرست ابن النديم وله اخبار في نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

(٣) هكذا ورد بغير اعراب ، وهو اسلوب ذلك العصر .

والجارية بغدادية لا تعرف الا الدنيا والدينار وجعل يصف لها في رقاعه عشقه ورقاعاته وسهره في الليالي وتقلبه على حر المقالي وامتناعه عن الطعام والشراب وما يشاكل هذا من الهذيان الفارغ الذي لا طائل فيه ولا نفع فلما اعياه امرها ويئس من تعطفها عليه كتب اليها في رقعة « واذ قد منعتني زيارتك او استزارتك فمري بالله خيالك ان يطرقني ويبرد حرارة قلبي :

ارشديني الى خيالك حتى اتقاضاه موعداً لي عليه

آخر :

ان كان هجرك دلا فادلل علي خيالك

فقالت لرسولته : ويحك قولي لهذا الرقيع : يا مدبر انا اعمل بك ما هو خير لك من ان يطرقك خيالي ، احمل دينارين في قرطاس حتى اجيئك انا بنفسي وقد انفصل » .

وكان هذا ابو علي بن جمهور على الحقيقة من كبار التجار قد اعطاه «يا سيدنا» من اذا اعطى لم يبخل بعطائه ، اعطاه من المال ما لو انه كان على حمار كان الشوك وكان العقر على عتاق الخيل واذل له ما اعزه لغيره من صامت وناطق وكانت زاد مهر جارية وله بنت عم ظعينة وهو منهما بين حجرتين تحرقه هذه بنارها وتسمه تلك بأوارها وهو في محنة قائمة ، فحمل الجارية الى البصرة والمرأة الى واسط واقبل هو الى بغداد وبغداد جنة الموسر وعذاب المعسر ، فأقبل على تجشم المعالي بتشتيش المقالي ومعاقرة الدنان وسماع القيان ، ومواصلة الشرب ومقابلة البدور بين آس وبهار او كأس وعقار ، ورنين اوتار ، وحنين مزمار و (بيت ملآً وخذ فارغ) (١) وتخلى عنهما بأنسه ، وخلا كما احب بنفسه ، فضجرت زاد مهر في البصرة وكتبت اليه مكاتبات يطول شرحها منها : كتابي اليك من البصرة عن حال سلامته على رغم انفك انقاطولي ، الذي كأنه عنز عاقولي وقد كتبت عدة كتب ما قرأت لاحدها جواباً ، هذا من ذكائك وحسك ، او من خسة نفسك ، اخبرني على من تركتني في دارك المشؤومة بالبصرة ، عوّلت بي على ضياعك الخراب ، او على وكلائك بعض المجانين ، لا يرجع علي شيء الا من اجرة دورك : خمسة وثلاثين درهماً في الشهر كأنها رضاضة الزجاج ، وبعشرة الدجاج ، لو شربت بها فقاعاً ما كفتني ، ولو شربت بها دبقاً ما اغنتني او عسى تريد ان اتركه لك بريشه لا امله حتى تعود انت وتضع كفك عليه فتعلم انه

---

(١) قال الجوهري في مادة ملأ من الصحاح « ودلو ملأى وكوز ملآن ماء والعامة تقول ملا ماءاً » .

لم يمسه احد غيرك » (١) . وقالت له في رسالة اخرى : « فأما زاد مهر التي تدقك دق الكشك وتهينك هوان الكتان فليست من ابزارك ، والله ما اشبه دارك بالبصرة الا بدير هرقل وانا فيها بعض المجانين المحبوسين ، خلصني الله من ذنوبي كما خلصني منك ومن رؤيتك فصرت ابعد الناس ببعدي عنك وان كنت في هذه المحنة ، ولكن من اخذي بهذه المحنة ان ابلي جسدي وأضيع شبابي على انتظارك وانت عني مشغول بفرارك مع اخوانك . وانا بالبصرة جالسة على الكزبر ونقش البادية ، ويلك يا ابن جمهور سخنت عينك ، قد صرت لوطياً صاحب غلمان ومردان ، اعوذ بالله من البطر فان الحائك اذا شبع سمى ابنته ملكة .. خار الله لك فيما اخترت لنفسك وحياة شوابيرك المحذفة وأصدغك المصففة وملاحة الكحل في عينيك ... ما كنت انتظر الا مثل هذا منك وان تشتغل عني واشغل عنك فان عشقت نعشقت من هو احسن منك ، وان تزوجت تزوجت من هو اظرف منك ، ويحك كأن ملحك على ركبتك ، نسيتنا واشتغلت عنا ، ابعث كستك العزيزة بنفقة واحملها اليك من واسط حتى لا يضيق صدرها واستعمل لي بحياتي عوداً بحاشية ساج ، منقوشاً بعاج ويكون ظهره ديباج ، حتى اجيء اغني به ، شه عليك يا ابن جمهور » (٢) .

بغداد مصطفى جواد

وجهات نظر

* الطريقة الوحيدة لعلاج الاغراء هو ان تخضع له .
* المرأة تريد ان تكون جزءاً من مستقبل الرجل ، والرجل يريد ان يكون جزءاً من ماضيها .
* ان تسلية الاطفال هذه الايام تكلف اكثر مما كان يتكلفه تعليم آبائهم .
* يظن الرجل العادي انه يستطيع في سن العشرين ان ينقذ العالم ، ويتمنى وهو في الثلاثين لو يستطيع ان ينقذ شيئاً من ماهيته .
* الرجل الذي لا يخطىء ابداً هو الرجل الذي لا يعمل شيئاً .
* الرجل الذي يذعن ويستسلم حينما يكون على خطأ رجل عاقل حكيم . اما الرجل الذي يذعن ويستسلم حينما يكون على صواب فرجل .. متزوج !!
* رب العائلة هو الشخص الذي توجد عنده عدة افواه صغيرة يطعمها ، وفم كبير يصغي اليه .

(١) حكاية ابي القاسم البغدادي « ص ٧١ – ٧٤ » .
(٢) حكاية ابي القاسم البغدادي المذكورة « ص ٢٤ ، ٧٥ » .

انسانية الانسان

رباعيات

شعر مهدي جاسم

يا صديقي لا تلمني يا صديقي
هكذا كان سلوكي وطريقي
فاذا ما كنت باللوم حرياً
فلقد حققت وجداني الحقيقي

***

مثلما اسريت في ليل وجهل
ها انا في مرجل الحيرة اغلي
اين علمي ؟ اين تاريخي وعقلي
قاربي خلّاه الاعصار مثلي

***

ان اكن كوناً فأصلي من سراب
هيئتي تلك تراب من تراب
ولتكن ناراً ونوراً يا صديقي
انها صفر لدى صافي الحساب

***

ايها النفس التي شط مداها
تاه جدي وابي فيها متاها
آه لو اعرف نفسي واراها
ولئن احزن نفسي محتواها

***

ولقد يخطر في نفسي يوماً
انا لو جزأتها قسماً فقسما
ثم لو انسل منها بهدوء
ثم لو اعجمها روحاً وجسما

***

كيف لو اهرب من نفسي ردحاً
طاوياً عن واقع الاشياء كشحا
اتسنن صفات (الدون)حرباً
امصفات (الفوق) لا تخرق صلحا ؟

***

(وانا) ويل (انا) هذي العليه
انها سر ابتلاء البشريه
رب انف شامخ مسرى عقاب
جاده مستنقع الذات الزريه

***

ولدتني حكمة الدهر المبجل
حيرة المأخوذ او سخف المغفل
ولقد ازعمني رائد عقل
كم من المرات هذا العقل يفشل

***

ايما المخدوع دهري ام حجاه
ام انا ممسوخه تبت يداه
ان يكن ظلم فما كنت اباه
انا والمأساة قصاب وشاه

***

زعموا انه بني الدنيا عذابُ
خلقوا كي يدفعوا فهو حساب
حسناً يا ايها الزاعم قل لي :
ان يكونوا دفعوا ماذا اصابوا

***

قيل : في المجهول قد كان لجاج
وطلاق بعد ما كان زواج
ثم جلى الوضع من بعد مخاض
عن بني الدنيا عقول ام نعاج

***

يا طريداً جاء لا يعرف امسه
مزقت اقدامة الارض وحسه
ليس يعنيه بأن الارض سجن
قدر ما يُعنيه لو حرّر نفسه

***

كلما ابصرت في عقلي الكبير
لم يكد يحملني حتى غروري
ثم لما يتراءى لي مصيري
اسُواري وجلا خوف مصيري

***

انني اخجل من واقع حالي
كلما المس حقدي وانفعالي
ايهذا البشر الطاغي عتواً
لا تنم فالصبح في ذيل الليالي

***

جئت من امسي الى يومي بسر
جئت اهدي الارض تحناني وبري
ولاكن اجزي بما احسن سوءاً
خير ما افعله بالشر خيري

***

ان تكن دنياك كالسجن الكبير
او تكن نفسك كالسجن الصغير
او يكن سكناك في الارض جزاء
فاسكن الروح لتحرير الضمير

***

انت هل جربت ان تسمو بروحك
فوق آلام واقذاء جروحك
انما روحك حتى في سقام
قلعة امنع من اعلى صروحك

***

بغداد مهدي جاسم

مريض السادية : اقصوصة

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

تعرفت عليه في بعض اسفاري وليتني لم اتعرف عليه فقد كان مجموعة هائلة من عُقَد ولقد تكاثرت عليه العلل والعاهات منذ طفولته فقد نشأ في اسرة شقيـــة اذ لم يكن الاب موفقاً في زواجه فكان الخصام والشقاق وعدم الالفة من مظاهر ذلك البيت التعيس الدائمة بل ان الزوج ما كان ليلتقي في البيت الا لينهال على زوجته واولاده ضرباً ... وهكـــذا تكونت العقد الاولى في نفسية صاحبنا فقد كان يحنق على ابيه لاساءاته المتلاحقة ازاءه وازاء والدته وماكان يستطيع لها رداً فكانت تختبيء في نفسه على هيئة عُقَد فيحاول ان يرد الاساءة بشكل آخر ، بإيذاء الآخرين ، واخذ يجد متعة ولذة في عمله هذا .

لقد كان وهو طفل يفقأ عين الخراف او يقطع ارجل الدجاج وهي ما تزال حية حتى اذا ما سئل في ذلك اجاب : اولستم مزمعون على ذبحها فما يضيرها لو فقئت عيونها او قطعت ارجلها وهي حية ؟ و كان يدخل بعض الغرف الفارغة في البيت ويلقي فيها بعض الحبوب حتى اذا ما اجتمعت عليها العصافير اغلق النوافذ والابواب واصطادها ثم تناول سكيناً وشق بطونها وتركها تطير برهة لتسقط بعد حين تعالج سكرات الموت .

وعجيب ان يوفق هذا الإنسان في حياته في مراحلها الاولى فقد تخرج في المـــدارس الثانوية ثم درس الطب فأصبح طبيباً ولاول مرة ذاق معنى الرفاه والتخلص من ذل الاسرة التي ولد فيها قضاء وقدراً .

على ان الشؤم لاحقه في كل ما حاول وعمل ولم يكن متفائلا بشيء فالظاهر ان من شب على شيء شاب عليه ؛ فقد ألف التعاسة منذ طفولته فبقيت ملاحقة له حتى في شبابه وكهولته وكانت الغيرة تأكل قلبه والحسد يكاد يأتي على البقية الباقية من نفسه فكأن ما كان يجري في عروقه لم يكن دماً بشرياً بل سماً زعاقاً يكاد يتفصد فيسمم كل ما حواليه .

وقد تزوج فاذا بزواجه تكرار لزيجة ابيه ... شقاء وعدم انسجام ؛ لقد كانت الزوجة على عكسه تماماً في كل شيء ، فقد كانت مرحة طروبة سخية كريمــة النفس ... فكــان يكرهها لذلك كله .

وكان صاحبنا جباناً والجبن يسترعي خصلة النفاق فكان شيخ منافقي زمانه دون منازع فهو لا يهنئك حتى يبغي تهنئتك بمجرد مصافحتك بل يحتضنك ويقبلك قبلات لا تشك في انها منبعثة عن قلب وفي مخلص ... انه يمدحك في وجهك فيرفعك الى السماء السابعة ولكنك لا تلبث ان تفارقه حتى يضعك على طاولة التشريح بكل قسوة وانعدام ذمة . ولقد كان يوم في حديث طويل مع جماعة من اصدقائه وكله تجريح وطعن بصديق غائب ...وشاءت الصدف ان يدخل عليهم الصديق فجأة فوجم الكل عدا صاحبنا اذ نهض من مكانه واحنى قامته حتى كادت جبهته تمس ركبته ثم انتصب واقفاً ليقول : اية ريح قد جاءت بك الينا فقد اشرقت الدنيا بك وازهرت ... هلم تفضــل الى صدر المجلس فمنذ قليل كنــا في حديثك العاطر

ويقول بعض من حضر : لم اكن مشاركاً له في الحديث حين كان يثلب الرجــل ، مع ذلك فقد وددت لو ان الارض انشقت فابتلعتني تخلصاً من رؤية مثل هــذا الموقف ... وبوسع اي انسان ان يتصور مدى احتقاري للرجل بعد ذلك اذ لم اطق رؤيته اطلاقاً في اي مجلس او مكان .

وعجيب ان اخلاق الرجل انعكست في هيئته وملامحه فقد كان قميئاً مليء الجسم كبير الرأس ذا صلعة لماعة وكان بوسعك ان تتأمل صورتك في جلدة رأسه كما لو كانت مرآة صافية . اما ملامح وجهه فكانت مشوهة غير متناسقة وابرز ما كان فيه حاجباه الكثيفان وشفته السفلى المتدلية .

والمتوقع في مثل هذا الضرب من الناس ان يكون متقلباً في آرائه متذبذباً في مبادئه وكذلك كان صاحبنا فقد كان يتعصب لمبادىء ما انزل الله بها من سلطان يحاول ان يحيل الابيض اسود او بالعكس ، كان الجدل لوجه الجدل والمشاكسة كغاية في حد ذاتها فلو قلت له ان هذا اللون احمر اجابك لا بد انك مصاب بعمى الالوان الا ترى انه اخضر فاذا تراجعت وقلت : لقد كنت مخطئاً انه اخضر كما تقول قال لك انما كنت امتحنــك مستهزئاً بك انه ازرق واضح الزرقة وراح يقيم الف دليل باطل ودليل على صحــة وجهة

نظره ولقد كان متطرفاً في دعواته غاية التطرف .

وكان يشتهي ان يكون له اشياع واتباع من الضالين المضللين وليس غريباً الا ينجح في مهنة الطب التي امتهنها اذ كان يصرف اكثر وقته فيما لا طائل تحته بالانتماء الى الجمعيات المتضاربة الاتجاهات وتكوين التكتلات لضرب فريق من اصدقائه بآخر . وكان يحسب نفسه من كبار ادباء عصره فقد كان يحبر المقالات الطوال في الصحف التي كانت مخدوعة بشعوذاته واحابيله الواهية . بل انه بين حين وآخر كان يجمع هذه التفاهات في مجموعات يوزع قسما منها على من كان يحسبهم من اصدقائه ويتكدس القسم الاكبر في المكتبات على الارصفة عند الباعة المتجولين .

ولقد شاء القدر ان يتبوأ منصباً رفيعاً في الحرب العالمية الثانية ؛ لقد كان ذلك كما يقول الكثيرون من عارفيه في غفلة من الدهر .

وان الكثيرين ليذكرون تلك الفترة التي تجبر فيها وتكبر وآذى الكثيرين من الناس وارضى نزعة السادية في نفسه الى اقصى حدود الارضاء ولقد افضى الي ذات يوم بكلمة لا يمكنني ان انساها وهي مفتاح شخصية كل سادي يتلذذ بإيذاء الآخرين ، لقد قال وكأنه يبحث عن علاج لما هو فيه : انني إذا لم اؤذ احداً في يوم من الايام مرضت فلا بد لي من ضحية كل يوم لاحتفظ بصحتي وعافيتي .

ولقد انتهى امر صاحبنا بأن تنكر له اولاده وطلقته زوجته وعاش وحيداً فريداً في بلد ناء عن وطنه سنوات ... ووضع حادث اصطدام سيارة في طريق جبلي وعرجداً لمرض تحدى العلاج وعز شفاؤه على نطس الاطباء .

بغداد صفاء خلوصي

انصار العرفان

— العواطف النبيلة —

السادة	السادة
الحاج امين الحسيني	جعفر الخليلي
عزت يوسف الزين	طلعت يوسف الزين
خليل ابراهيم « سيراليون »	ابراهيم عز الدين « الكويت »
احمد سامي « دكار »	سامي صعب



ان الازدياد السريع في متوسط حجم ناقلات البترول خلق مشكلة من نوع خاص في ما يتعلق بمصب التابلاين في صيداء ، فالسفن الاكبر حجماً تحتاج الى مياه اكثر عمقاً والى زيادة في سرعة تحميلها .

وقد اتخذ مصب صيداء الخطوات اللازمة لسد هذه الاحتياجات بوضع برنامج تحسين يوشك ان يكتمل .

ومن اهم الخطوات في هذا البرنامج نقل اثنين من مواقع التحميل تحت البحر الى مياه اكثر عمقاً خلال العام ١٩٦٢ . وما يجري حالياً من تركيب انبوب قطره ٣٦ انشاً موازٍ لاحد موقعي التحميل المنقولين .

في الرسم يرى السيد حسيب بعاصيري الاختصاصي في اصلاح خط الانابيب وهو يركز اطراف شبكة الانابيب تمهيداً لوصلها بالانبوب البحري الجديد ، وبهذه الطريقة سيصير بالامكان تحميل ناقلات البترول بسرعة قد تبلغ عشرة آلاف طن في الساعة .

التابلاين - وسيلة لنقل الزيت

بطل الاسلام الخالد

بقلم : السيد حسن الشيرازي

قال مراسلنا في كربلاء : هذه هي الرائعة الاسلامية الخالدة التي اهتزت لها كربلاء بشوارعها وساحاتها واستقبلتها بعواصف من الهتاف والتصفيق والاستعادة والاستحسان حيث عبرت عن رأي الاسلام وارادة الشعب واتجاه الحياة ، والقت الضوء على الواقع العالمي ، وحقيقة البعث ، وحوادث العراق ، فكانت بلسم الرحمة على قلوب الشعب ، وصاعقة العذاب على رؤوس اعداء الشعب ، القيت في المهرجان العالمي السنوي الذي اقامها الكربلائيون ، تخليداً لذكرى بطل الاسلام الامام علي بن ابي طالب عليه السلام عام ١٣٨٣هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على ضيوفنا الكرام ورحمة الله ، وسلام الله على الحفل الكريم وتحياته وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم ، يحتفل المسلمون اليوم ، وتحتفل معهم العبقريات البشرية والضمائر الحرة بمولود انتظرته الأجيال واشرأبت اليه الإنسانية المعذبة بكل تطلعاتها وآمالها ليخرجها من الظلمات الى النور الا وهو بطل الإسلام الخالد الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فلقد ولد الامام واستقبله الرسول الكريم وأشرف على صياغته وتربيته حتى طبع فيه نفسه ووصيه ووزيره الذي كان يسمع ما يراه الرسول وتوسعت ثقافته حتى قال : « والله اني اعلم بطرق السماوات من طرق الأرض » واضاف قائلا : « لو كشف لي الغطاء ما ازددت الا يقيناً » ولذلك اختاره الرسول الاكرم تاج رأسه ورأس ماله ، وتحدث عنه قائلا : « علي مني بمنزلة رأسي من بدني » ، ولقد تشبع الامام من الاسلام والقرآن حتى لم تكن تنبض مشاعره الا بالحق والقرآن ولهذا الواقع صحت فيه اقوال الرسول العظيم ﷺ : « علي مع القرآن والقرآن مع علي » ، « علي مع الحق والحق مع علي » ، « علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج كان كافراً » ، « علي مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي » ، « علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لاهل الدنيا » ، « عنوان صحيفة

البقية على الصفحة ٧٤٨

« الله »

رصيد الانسانية في المعرفة

بقلم محمود محمد باز

« الى القائلين بالمصادفة في خلق العالم والمادة والكون والحياة الى الذين لا يرون ولا يؤمنون بشيء علميــــاً الا اذا خضع للتجربة والبحث والقياس ، ومن ثم فهم لا يثبتون في الحياة الا ما يثبته العلم التجريبي » .

الإنسانية منذ وجدت تبحث عن عالم خفي تشعر شعوراً خفيــاً فطرياً بتقــديره ، والخضوع له ...

وجدته في الليل الرهيب ، والبحر الزاخر ، والشمس الساطعة ، والكواكب اللامعــة الهادية في جوف الليل ، وجدته في الحيوانات ... ووجدته في الجنس الثــاني المتمم للجنس الأول ــ المرأة ــ فقدست ذلك كله ، او قدست بعضه وخضعت له وقدرته ، وأحلته من نفسها المحل الرفيع ..

وما بعُدت في تفكيرها ... فهذه آثار قدرة الخالق جل وعلا ...

وسيظهر لها يوماً ما انها لم تصل بعد الى الحقيقة ، فقد شغلت بمظهرها ودليلها ...

فالمعنى الفطري الإنساني موجود ومولود مع الإنسانية ...

ورصيدك الإنساني من المعرفة يثير في نفسك ما أثاره في النفس البشرية منذ وجدت .

سل نفسك : ان وراء هذه المنضدة نجاراً صنعها ، ونقاشاً زخرفها ، وقاطع أخشاب هذب وشذب أطراف أخشابها من الأشجار .

وقد لا تقف عند هذا الحد فتقول : وينبغي ان تقول انصافاً للحق والمنطق والعقل والعلم أيضاً ــ ذلك الذي يبحث عن مصادر الأشياء وحقائقها ــ ان وراء الشجرة فلاحاً وضع بذرتها في الأرض ، ورواها وتعهدها حتى أصبحت وارفة الظلال ، يانعة الثمار ، دانية القطوف

تمد الناس بظلها وثمارها ثم من بعد ذلك او من قبله بأخشابها ، ليصنع منها الإنسان المكتب والمنضدة التي نجلس اليها .

ولكنه ينبغي الا نقف عند هذا الحد أبداً ، وما كان للعقل أن يقف ، فمن اين أتت البذرة ؟ انها من شجرة اخرى مماثلة . ومن اين هذه الاشجار المماثلة ؟ انها من بذور مماثلة ، وهنا نلقي سؤالا آخر : لماذا لا تنبت هذه البذور اشجاراً مخالفة ؟ سيقال : ان طبيعتها مفطورة على ذلك الصنف فحسب ، فمن الذي فطرها ؟ ثم من الذي اوجد البذرة الاولى ؟

لم ولن تجد الإنسانية بعقلها وعلومها لهذا السؤال غير جواب واحد ، لقد أوجدها موجد خفي ...

ولكنك قد ترى ، وتتساءل : لماذا لا نقول : انها الطبيعة التي صورتها على هذه الصورة ؟ وخلقت فيها الحياة ؟!!!

وهنا أتركك وحدك تقف عند هذا الحد القاصر من التسليم العاجز الواني ، والاستسلام للجهل دون البحث عن معرفة حقيقة الحقائق في الوجود كله .

اذ انه من الذي صور الطبيعة على هذه الصورة من الدقة والإتقان والاحكام والابداع الفذ الذي لا نظير له ؟

وهل يخلق الشيء نفسه ؟ اذاً فما بالك لا تخلق نفسك ؟

وانت من انت علماً وفكراً وتجربة وعقلا ومعرفة ، انك انت الانسان ، اسمى من الأرض وما فيها وما عليها .

انه ضرب من المكابرة ان نستسلم لهذا الوهم !!! « انها الطبيعة وكفى » انها الطبيعة التي خلقت نفسها على هذه الصورة الرائعة من الحدود اللانهائية التي لم نصل اليها بعد بمراصدنا ونظاراتنا واقمارنا وعلمنا وتفكيرنا !!!

انها الطبيعة التي صورت نفسها ذات كواكب ونجوم وشموس وأقمار ، وتجد في كل من المواد والعناصر المنبثة فيها التكوين العجيب والغريب والمبدع !!! انها الطبيعة التي قالت للشمس : سيري نحو الكوكب البعيد ، ولتسر معك في فلكك السيارات من الأرض والقمر والكواكب الاخرى !!! انها الطبيعة التي علقت الارض في الفضاء بفعل لم يكتشفه العلم بعد .

ــ اذ ان الانسان بعد ان اقتنع بالجاذبية قام يعدّلها بعلمه ايضاً !

فلنبحث معاً عن اسرار هذه الطبيعة الخلاقة ! وهل يمكن ان نسلم بهذه الافكار المبتورة التي تؤله الطبيعة الجامدة ! هيا بنا لنبحث ...

قل لي بربك : ان العقل في بساطته يقول : ان وراء الكوخ الحقير رجلاً او امرأة اقامته ، ووراء القصر المشيد مهندسين وبناءين وفعلة .. ووراء الضوء الباهر مصباحاً او كوكباً . ووراء الصوت القاصف رعداً او زئيراً او انساناً .. ووراء هذه الاشعة المحرقة في الصيف شمساً ساطعة ، ووراء هذه الاشعة الحانية الساجية في الليل الساكن في منتصف الشهر بدراً في السماء يستمد نوره من الشمس .

فقل لي بربك : ما وراء هذه الشموس والنجوم والكواكب والاقمار ؟ ؟ ما وراء هذا الكون ؟؟ من الذي يدبر امره بعد اذ سواه على هذه الصورة من الابداع والاتقان ؟؟ فأمسك السماء ان تقع على الارض ، واجرى الافلاك في دوران منتظم دونه ادق الاشياء ؟ واجرى السحب في السماء ؟ ... وارسل الرياح الهادئة والعاصفة ؟ وانبت الزروع والثمار ؟ وحفظ على الحياة في كوكبها الصغير — الارض — كل عوامل نموها واطرادها وسيرها كما حفظها منذ ملايين السنين في هذا الوجود ؟ انه الله خالق كل شيء .

اما وقد آمنت الآن بوجود إله ليس هو الطبيعة الجامدة التي لا تستطيع خلق نفسها ..

اما وقد استقام الدليل عن وجود الله واضحاً جلياً ... لم يبق في جعبتك الا ان تسأل عن حقيقة كنهه : وانا اجيبك بعد ان أسألك : ألست تدرك آثار الكهرباء ؟ فقل لي : او ليقل لي مخترعها : ما حقيقة الكهرباء ؟ وما كنهها ؟ ألست تؤمن بأن بين جنبيك روحاً تحفظ عليك حياتك ؟ فما حقيقتها ؟ ألست ترى انك انسان تتميز عن سائر الحيوانات بالعقل المدبر ؟ فما كنه هذا العقل ؟ وما حقيقة امره ؟ ألست تؤمن بوجود الهواء وتحسه في حياتك فلماذا لا تراه ؟ انت تؤمن بوجود كثير من النجوم والشموس والاقمار ، ولكنك لا تراها وتقول : اننا يوماً ما سنصل الى رصدها بمرصد اكبر كما حدث بالنسبة لكثير غيرها من قبل ..

— تلك التي اكتشفتها المعادلات الرياضية قبل ان تكتشفها المراصد — .

فبالتالي ينبغي ان تؤمن ويؤمن كل ذي عقل بالله ..

الآن يطمئن قلبي الى انك تؤمن تماماً بوجود الإله المدبر لهذا الكون ... تؤمن بآثاره ولا تدرك كنهه ولا حقيقته ، لان ادراكنا يقصر عن ادراك القديم الازلي ..

فاذا كنت تريد مزيداً من الالهام .. فاني سأدلك على طريق سلكه من قبلك الخواص من العلماء ، ممن صفت نفوسهم وسمت أرواحهم — فربما تجد فيه شفاء لصدرك ، وراحة

لنفسك ، واستقراراً لخواطرك ، سأرشدك الى طريقهم لتسلكه ان اردت ..

فان سرت فيه ، وسبرت غوره ، وتحملت عناءه ومشاقه ، ستصل حتماً الى ما وصلوا اليه .

دونك نفسك التي بين جنبيك فاجلها ... دونك روحك التي هي سر وجودك فخلصها من شوائب الدنيا ، وصفّها من المادة وشواغل الحياة ... دونك محراب الله في كتاب الطبيعة الخالد ... تفكيراً طويلا ... دونك جوف الليل تعبّد فيه مخلصاً مستشفاً ساكناً ساجداً ... دونك بياض النهار تقطعه في القول الطيب ، والعمل الصالح والصيام ... او الاقلال من الطعام والشراب ... دونك رصيد الانسانية من رسالات النبوة الهادية ، وتعاليم اولياء الله ... الطريق واحد لم يتغير .

عبادة خالصة متواصلة ، وترفع عن هذه الدنيا يبعد المرء عن المشغولية بها ، الا ان يكون قولا طيباً ، او عملا صالحاً ، وترفع عن كثير من المباحات التي للناس .

حينئذ سترى ربك ... سيكوك سمع الله سمعك ... وسيكون بصر الله بصرك ... وستكوك يد الله يدك ... سيسع قلبك ربك الذي ضاقت عنه السموات والارض .

« ما وسعني ارضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » . «عبدي اطعني اجعلك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون » او كما يقول القرآن الكريم : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » ..

« الغزالي » حين اقلقه الشك ، واستبد به التفكير ، هجر الدنيا والتعليم والجاه بل وتدريس العلوم ... وخرج الى البرية ... خرج الى محراب ربك وكتابه المقدس ... في عبادة وتفكير ... فأفاض الله عليه ، وتفجرت الحكمة من فيه ... كما تتفجر الينابيع الصافية وهكذا كل ولي لله .

واقرأ ان شئت تعاليمهم وسيرتهم وأحاديثهم ... فستجد الحق أبلج واضحاً ، لا لبس فيه ولا غموض .

حقيقة ستجد الطريق شاقاً ، قد لا تؤمن على نفسك فيه ، وقد تنقلب من بدايته قافلا راضياً بالأمن والطمأنينة ، قانعاً بالحياة والمادة ... وكذلك كان كثير من قبلك ... ولا عجب في ذلك :

فلو جئنا برجل من الطريق وقلنا له : تعال الى معمل الطبيعة ، واختبر هذه التجربة في

الكيمياء او الكهرباء ... فلن يستطيع لذلك كله عملا . ولو قد اجريتها له ... فلن يستطيع لذلك فهماً او ادراكاً ...

ذلك لانه لا بد له من رصيد طيب من المعرفة السابقة لمبادىء هذه العلوم على الاقل . مع استعداد متوثب من الذكاء والمعرفه .

كذلك الحال في التعرف على ربك ... لا بد لك من رصيد طيب من المعرفة الربانية ، وادراك كثير من حقائق الرسالات ، والعمل المتواصل بها ، ثم السير في غير هوادة وبكثير من الاشفاق والطمأنينة والجد والطموح ثم العبادة المتواصلة الواعية المدركة المؤمنة المطمئنة ...

سر كما سار الاولون من ارباب هذا الميدان ...

فكما ان للهندسة علماءها ، وللكيمياء رجالها ، وللطبيعة روادها ، وللفلسفة حكماءها .. كذلك لله اهله واصفياؤه من المؤمنين المخلصين ، والراسخين في العلم ..

ثم قل لي بربك مخلصاً وصادقاً : أوهم من الاوهام هذا ؟ أفي منطقة عذراء من نفسك - كما ادعى بعض كبار ادبائنا - ؟ أم هو الحق الصراح ؟

ولكن ... لماذا نحمل انفسنا كل هذا العناء ؟ ان الرجل يستطيع ان يعيش في هذه الحياة دون ان يتعلم الكيمياء والطبيعة والفلسفة ومباحثها ، بل يمكنه ان يعيش جاهلا !!! وذلك حق .

ولكن الجاهل بالله ... سينتقل بهذا الرصيد من الجهل ، وما فيه من اخطاء ، في حق الله وحق الانسانية وحق المعرفة ، ويظل سادراً غافلا او متخبطاً ضالا ... يحاول جهده ان يصعد او ان يسمو وان يصفو كما يرى غيره في هذا العالم الذي انتقل اليه ... فلا يستطيع !!!

وهنا تقول : او هناك عالم آخر ؟ أجل ...

كيف تؤمن بحياة على هذا الكوكب الارضي تحياها لا غرض لها ولا هدف من ورائها ؟؟؟

أتحيا فيها سنوات ، وتعيش فيها زمناً يطول او يقصر ؟ ثم تنتهي ؟

انك ترى الرجل يبني منزلا على احسن ما يكون البناء ، ثم يسكنه ، او يسكن غيره مدة ، ثم هو يأمر العمال والفعلة بتحطيمه ، فتمسك نفسك من الدهشة والاستغراب !!!

لماذا يفعل ذلك ؟ انه الجنون بعينه !!! سيقول لك : لقد أصبح غير صالح لي وأريد غيره ! ستقول .

اما كنت تتروى ؟ اما كنت تتركه لمن يصلح له ؟ اما كنت تنتقل عنه لغيره ؟ أفكنت تتعب في تشييده وزخرفته على هذا المنوال البديع ... لهذا الهدف الاحمق وهو التحطيم ؟ اي عقل هذا ؟

يا لله ؟ فاذا كنت تنكر ذلك الخرق على نفسك وعلى العقلاء من أمثالك ، فكيف بك تنسبه لخالق هذا الكون العظيم ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

انظر ان هذا الابداع في خلق العالم ، ثم تسخير الكون لهذا الانسان العاقل ، يدلنا دلالة قاطعة على أهمية هذا الإنسان في هذا الوجود ... أهمية اكبر من اهمية المادة والحجارة والشجر والحديد والشمس والقمر المسخرات من أجله ، أفتذهب انت ، وتظل هذه المادة الجامدة ؟

ان العقل الرشيد يقول في صراحة : ما كان للخالق في إبداعه وصنعه ان يخلق هذا الانسان عبثاً .. وما كان لحياة الإنسان ان تكون سطوراً على هذه المادة .. ثم يزول ؟

ايها العاقل : في اخلاصك للبحث والمعرفة . ضياء يدلك على معالم الطريق ..
وفيه مع الجهد والمثابرة . اقتناع ووصول وايمان . ثم كشف وإشراق ..
في عالم المادة هنا . وفي عالم النور هناك ...
سر والله يرعاك ...

محمود محمد باز
مبعوث الازهر الشريف للبنان ـ صيدا

كلام عمرو بن عتبة

كان عمرو بن عتبة بن ابي سفيان من خيار بني امية وصلحائهم وكان ذا بيان وفصاحة ولسن وكان مستقيم الطريقة محبا للعدل مبغضا للظلم .

رأى مرة رجلا يشتم رجلا وآخر يستمع له فقال للمستمع :

« نزّه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول به ! فان السامع شريك القائل وانما نظر الى شر ما في وعائه فافرغه في وعائك ولو ردت كلمة جاهل في فيه لسعد رادها كما شقي قائلها » .

الزّمان قديمه وجديده

نظم محمد الكرمي

قد درسنا من الزمان حدودا   وفحصنا قديمه والجديدا
فرأينا من وقعه في البرايا   ما أحال الفكر الحديد بليدا
ان يلك الناس في القديم أمالوا   للهوان المبير خداً وجيدا
واستناموا لدولة الظلم دهراً   كزياد ومسرف ويزيدا
واستمر الطغاة فيهم ولاة   لا يهابون كثرة وعديدا
أنسوا منهم الهوان فهانوا   عندهم وابتغوا عليه مزيدا
ليس فيهم حر يسر حفاظاً   او ابي يستعظم التنديدا
قد اقاموا طراً على الذل لكن   هل أفادوا بالذل عيشاً رغيدا
من يهن لم يعش ومن عز الفى   حظه وافراً وعاش سعيدا
وان اعتاقه الردى فحياة   غضة حازها له وخلودا
بأبي بل بالناس أفدي حسيناً   ذلك الشهم والأبي الوحيدا
من أعار الحياة طرف عزيز   فأعارته ظلها الممدودا
جاء للدهر كي يعيش فعاشت   ذكريات له ومات فقيدا
لم يكن قبله من الناس حر   يزن النفس نشأة ووجودا
فانبرى للحياة يملي دروساً   خلّدته فضلا وعزاً وجودا
علّم الناس كيف يحيون لكن   لم يفده التعليم منهم رشيدا
صغرت منهم النفوس فعاشوا   كوحوش الفلا وماتوا عبيدا
ذاك دور مضى وينعى عليه   جيلنا اليوم ظلمة وجمودا
فلمَ استرذل الزمان علينا   حيث بتنا على الهوان همودا
لم نزل ندّعي التنوّر حتى   فيه عبنا آباءنا والجدودا

قد سبرنا البحار غوصاً وطرنا … وطوينا الآفاق بيداً فبيدا
واخترعنا الصاروخ والجتّ لما … قرّب العلم في خطاه البعيدا
واحتوينا على الطبيعة كشفاً … حيث لانت حجارة وحديدا
وركزنا للعدل راية قدس … كسب الناس في ذراها السعودا
واكتسحنا بنظمنا الكون ظلماً … شوّه الكون طارفاً وتليدا
لم يكن للانسان من قبل شأن … وارتقى اليوم سيداً ومسودا
هكذا يفرض الزمان علينا … نفسه مكثراً بها الترديدا
غير ان العيان أبطل منه … كل قول يراه قولا سديدا
كان للناس عنصر آدمي … ويراهم هذا الزمان قرودا
حطّ من قدرهم فلم يعتبرهم … في المجالي الا حشاراً ودودا
ويرى ادنى المديح فيهم جزافا … وعظيم الرجال منهم زهيدا
خلقتهم قوى الاثير اتفاقاً … لم يكن خلقها لهم مقصودا
ان هذي الحياة فلتة وقت … أعطت الكون وضعه المشهودا
ليس للروح والعقول وجود … لا ولا خالق الورى موجودا
ومسير الاكوان ليس مراداً … لمريد ولا البقا محدودا
عن جنون بنا الطبيعة تجري … فهبوطاً طوراً وطوراً صعودا
ما الوفاء العفاف والصدق الا … ضعف نفس وما الحيا محمودا
ليس ما في الوجود الا مشاعاً … لبني الأرض أنفساً ونقودا
والحروب الشعواء فضل علينا … حيث تنفي الضعيف والمكدودا
هذه شارة الجديد جلاها … للبرايا مكرراً ومعيدا
أتراه يريد بالناس خيراً … أم ترى منه مسرفاً ومبيدا
قد تردى ثياب كل ردي … واتى الخلق جاهلا منكودا
يبغض المصلحين لا عن هناة … ويسير الاصلاح طرفاً حقودا
لم يرق من الشرائع وضع … صيّر الغي خاسئاً مطرودا
وهو يلوي على الغواية طرفا … ملؤه شهوة وقلباً عميدا
لا يرى حاجزاً امام هواه … او عليه درب الخنا مسدودا
هو يهوى الحياة للغي صرفاً … ويرى النظم للورى تقييدا
لا يعير الناموس نظرة حر … لا ولا للحقوق يدري حدودا

هو ان اظهر الجميل وادلى باختراعاته علينـــا شهودا
فلقد ساء فيه قولا وفعلا مذ رأينا سمحاً وذقنا سديدا
ان فتلك الصاروخ يعدل دنياً من ظبات السيوف تفري الوريدا
ودوي القذائف الحمر يزري بالمنايا صواعقاً ورعودا
وشظايا الرشاش في الخطف رشقاً تلهم الارض وهدة وصعيدا
ان هذا الزمان في السخف اضحى بين ازماننا وحيداً فريدا
بمَ تمتن ساسة اليوم فخراً وتكيل الثنا لها تمجيدا
أبهذا الموت الزؤام تريه للملايين امة وجنودا
ام بمذياعها الذي اتخذته مغرياً للأنام دفا وعودا
ام بسكب الخمور في الناس حتى عربد الكون والداً ووليدا
أم برقص التآترات عراة أرخصت عورة بها ونهودا
ام بذا (التلفزيون) حين تولى مفسداً في الخدور حتى الغيدا
ام بإرسالها المواخير حتى اصبح العف في الورى محسودا
ام باطلاقها الرُشا في ذويها ساقطا كان او عزيزاً عنيدا
ام بتضييعها الحقوق فعفّاً طردته واللص جاء مفيدا
ام بقهر الشعوب ظلما وزوراً وبكبت الاحرار بيضاً وسودا
قد طغى الاستعمار حتى تلاشت امم الشرق خسة وخمودا
اصبح الشرقيون طراً عبيداً لبني الغرب قائداً ومقودا
ارضهم للأغيار ماء وقاعا مشربا سائغا وزرعا حصيدا
ملكوهم مالا ونفسا ودينا وجلوهم بلاشفا ويهودا
سلبوا كل الحظ منهم فعادوا أخسر الناس صفقة وجهودا

* * *

يا نبي الاسلام طاح بناء لك بالسيف كان دهراً مشيدا
ان تكن قمت فيه نضداً ورصفا برجال كانوا عليه رصيدا
مثل زيد وجعفر وعلي حين صالوا اساوداً واسودا
وجموع الأنصار تمرح شوقا للمنايا جحافلا وبنودا
دوخوا الارض من صليل المواضي مذ أقاموا على الكفاح صمودا

ادركوا ان العز رهن المنايا   فمشوا للردى عقيداً عقيدا
عاهدوا المبدأ الصحيح بنصر   فوفوا ذمة لهم وعهودا
وتولوا غرس الهدى عن صفاء   فصفى رونقا وأظهر عودا
سهروا في حراسة الدين دهراً   فأفادوا منه وجوداً مديدا
ملكوا وجه الارض شرقا وغربا   بعدما كان ذكرهم مفقودا
هكذا تُحرزُ المعالي وتبقى   تحت ظل الاحرار ذكراً مجيدا
عاش آباؤنا قياما علينا   وزحفنا الى الحياة قعودا
عمّموا هاقهم مغافر عز   وارتدينا مقانعا وبرودا
جعلوا الله قبلة ثم ساروا   وجلسنا نسبّح المعبودا
ليت شعري هل الدعاء معرّى   يدفع الضيم والعدو اللدودا
لم يكن ذا سلاح اي نبي   اووصي وان اطالوا السجودا
ـولحب الحياة ـ متنا وسرنا   لطلاب الخلود سيراً وئيدا
وعدانا من الزمان وفـاء   حين لم نصدق الزمان وعيدا
وترانا مذبذبين شتـاتا   لم نطع سيداً لنا وعميدا
ولهذا قد صوّح الروض منا   وهوى البيت قبة وعمودا
واغتدى حتى الجلف يسخر منا   ويطيل الكلام فينا نقودا
كادنا فاشتفى وكدنا فأمسى   كيدنا في نحورنا مردودا
ليت هذي القصور مذ تحتوينا   تتلاشى مقابراً ولحودا
اي خير فينا لدنيا المعالي   والمعالي تبغي الرجال الصيدا
قد اقمنا على القنا واطلنا   نسبة الفخر خطبة ونشيدا
ثم نرجو وراء ذلك دينا   طوع ايماننا ووضعا حميدا
نحن قوم نحيا بذكر الأماني   وعليها نقضي الزمان رقودا

* * *

يا نبي الاسلام ان بنيه   قد أعاروه جفوة وصدودا
رجعوا عنه ملحدين وامسى   رائد الدين موجعا مكمودا
بذر الاستعـمار فيهم نفاقا   وغدا من نفاقهم مستفيدا
فترى كثرة ولكن شتاتا   قطعوا دهرهم وعاشوا ركودا

كان زهو الزمان فيهم وكانوا خير روض خمائلا وورودا
لم يكن يومذاك غرب يوازي شرقهم جدة ولا تشييدا
هم بناة العلوم عقلا ونقلا والمجيدون منطقا وقصيدا
واولوا الحول امة وملوكا وذووا الطول مصدراً وورودا
كم مشوا فاتحين ارضا فأرضا واعدوا ذخائراً وحشودا
شهد الدهر انهم خير شعب صدقوا الله ماثلا وشهيدا
كان شأو الزمان فيهم عظيما كل يوم تراه أنسا وعيدا
عمروا الارض بلدة وفلاة وجسوراً مدوا وشادوا اسدودا
ان آثارهم بشرق وغرب لم يزل عقدها بهم منضودا
ركزوها مثل الجبال فآلت في مرور الأجيال ان لا تبيدا
فعلى م انهاروا ملوكا وشعبا ولماذا باروا وفوداً وفودا

* * *

يا نبي الاسلام ان شتاتا لمّه منك العزم عاد بديدا
ان دين الرحمن اغفى ضعيفا وعليه الشيطان هب مريدا
ان تلك الأخلاق ذابت وأمسى شرعك الغض منكراً مجحودا
ان تلك المحجّبات تعرّت وابانت سوالفا وقدودا
ارخصت من وجودها كل غال واباحت مباسما وخدودا
غرها القول بالمساواة لكن ليس تدري ماذا بها قد اريدا
وقعت في شباك كل شقي وبها نال قصده المنشودا
ان تكن في حماية الدين دهراً فهي اليوم بالتجدد تودى

* * *

يا نبي الاسلام ان بنيه حاز دروين منهم التقليدا
امرّوه على هواتك طراً ورأوه مهديّك الموعودا
فأعزّيك فيهم بؤساء أنعشوا حاقداً وارضوا حسودا
قد تلاشى سلطانهم أبديا ومحال عليهم ان يعودا
بدأ الدين في البرايا غريبا والى غربة ابتداه اعيدا

* * *

يا نبي الاسلام لم تألُ جهداً في هدانا عدلا ولا تهديدا
كم تصدى للفتك فيك رجال وتراموا بك الفـلا تشريدا
ما تضعضعت للسيوف بحرب كان منك السلاح فيها جريدا
اسد تخسأ الاسود لديه حين يضري مخالبا ولبودا
صارع الدهر همه فلواه واتى ظافراً به مسعودا
خالقا في الزمان اعظم جيل قام تاج العلا به معقودا

* * *

يا نبي الورى اعرنا التفاتا ما برحنا نراك إلفا ودودا
ان نقصر عن المراد دفاعا فقديما للعفو كنت مريدا
حل فينا من الطغاة هوان مهّدوه لسحقنا تمهيدا
ليس ندري مصيرنا في زمان ترك الحر مثقلا مجهودا
قد أعار الاحشاء ناراً تلظى فقلوبا قد حزها وكبودا
وعليك الآمال نيطت فحقق أملا فيك لم يزل مرصودا

ايران ــ قم محمد الكرمي

يغفر الله لاهل الجمال

خرج ابو حازم يوما للحج ، واخذ يرمي الجمار ، فاذا هو بإمرأة ليس على وجهها قناع قد فتنت الناس بحسن وجهها ، والهتهم بجمالها ، فقال لها : يا هذه انك بمكان حرام ، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم ، فاتق الله واستتري ، فان الله عزوجل يقول في كتابه العزيز (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

فقالت : اني من اللاتي قيل فيهن :

اماطت كساء الخز عن حر وجهها وارخت على المتنين برداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

والشعر للحارث بن خالد المخزومي .

فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل ابو حازم يدعو واصحابه يؤمّنون . فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما أرقكم يا أهل الحجاز ، وأظرفكم ! اما والله لو كان من قرى العراق لقال : اعزبي عليك لعنة الله !

الذكرى الخامسة عشرة لإعلان حقوق الانسان

من قلم روكس بن زائد العزيزي

« يولد الناس جميعاً احراراً متساوين ، في الكرامة والحقوق ، وكلهم قد وهب العقل والضمير ، وعليهم ان يعامل بعضهم بعضاً بروح الاخاء ! .. »

« لكل انسان الحق في الحياة والحرية ، والامن الشخصي ! »

سيطرت على الإنسانية ظلمات وراء ظلمات ، كان يكافح ديجورها وينير ما ادلهم منها ، انبياء ومرسلون دفاعاً عن كرامة الإنسان فكم من شهيد سيق الى النطع دفاعاً عن كرامة الإنسان وبذل دمه وضحّى بحياته وابتسامة الرضى تعلو ثغره واشراقة الغبطة تداعب ضميره لانه يعلم انه يطلب لنفسه ولاخوانه من بني الانسان ، ما هو أثمن من الحياة نفسها ، واعني بذلك الكرامة !.. ولا كرامة بلا حرية ، ولا حرية بلا مساواة ، ولا مساواة بلا ضمان لكرامة الإنسان !..

فكان أول ما نصت عليه البراءة العالمية لحقوق الانسان : ان يولد الناس جميعاً احراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وان لكل انسان الحق في الحياة والحرية ، والأمن الشخصي ! .. »

«وانه لا يجوز استعباد اي انسان او استرقاقه ، فالرق والإتجار بالعبيد محرمان في كل اشكالها ! » .

* * *

ان الانسانية مهما تعثرت ، وتحيرت ، وتأخرت ، سائرة في الطريق المؤدي الى الحرية والكرامة ولا شك في انها واصلة الى الحق والعدل والمساواة قريباً .

ان اعجب ما عجبت له ، واريد تسجيله في هذا اليوم الذي نعيد فيه ، احتفاء بالذكرى الخامسة عشرة لبراءة حقوق الانسان العالمية ، التي تعد بحق فجراً للضمير الانساني ، واشراقاً حاسماً للاقرار بكرامة الإنسان ، لانها شفت الإنسانية من ذاك البرص الخبيث ، والسرطان العضال ، اعني به الاستعمار !

اجل اعجب ما عجبت له ان اسمع من يسأل : « وماذا صنعت الرابطة الدولية لحقوق الانسان ، لكرامة الانسان !؟ » .

حقاً انه سؤال غريب ، فلو ان السائل الكريم يعيش في عالم غير عالمنا ، لكان معذوراً ، اما وهو يعرف كفاح الرابطة الصامت حيناً ، والصاخب احياناً ، للدفاع عن كرامة الانسان ويعرف ما حققت الرابطة ، فان سؤاله يستحق جواباً ، في يوم عيد الرابطة نفسه .

* * *

صحيح ان بعض دول العالم لم تتبنَ ـ بعد ـ كل مواثيق الرابطة، لكن اذا علمنا ان اكثر دول العالم قد اقرت هذه المواثيق واعترف بها ، وأضحت جزءاً من دساتيرها ، فمعنى ذلك ان الرابطة الدولية قد حققت اموراً ما كان يمكن تحقيقها في جو من الهدوء النفسي، والسلم لولا الرابطة . فمن المواثيق التي حققتها الرابطة ، واعترفت بها اكثر دول العالم ، وما زال ممثلو الرابطة يطالبون دولهم المتخلفة عن اقرار تلك المواثيق يطالبونها بقبولها ، والاعتراف بها .. فتوصلت الرابطة الى ما يلي :

أ ـ منع الرقيق الأبيض .
ب ـ حققت المساواة السياسية للمرأة .
ج ـ منعت السخرة.
د ـ نظمت الجمعيات الزراعية .
هـ ـ نظمت جمعيات الشراء .
و ـ تحققت المساواة في الرواتب بين الرجال والنساء .
ز ـ قضي على التفريق بين الرجال والنساء في التوظيف .
ح ـ جعل الحد الأدنى للرواتب ، كافلا للكرامة الانسانية .
ط ـ فرض التفتيش على أوضاع العمال ، لضمان كرامتهم الانسانية .
ي ـ حددت ساعات العمل .

ك ـ منع العمل الليلي للنساء .
ل ـ حُدد الحد الأدنى لعمر العامل في المصانع .
م ـ منع العمل الليلي للصغار .
ن ـ عينت عطلة اسبوعية للصناعة .
س ـ حددت العطلة الاسبوعية للتجارة وللمكاتب .
ع ـ قررت لكل عامل وموظف عطلة سنوية مع ضمان الراتب .
ف ـ تقررت عطلة سنوية لعمال الزراعة مع ضمان الأجور .
ص ـ تقرر الضمان الاجتماعي .
ق ـ تقرر تبادل المعلومات الدراسية .
ر ـ تقرر تبادل المطبوعات .
ش ـ تقررت المساواة في التعليم .
ت ـ تقررت صيانة حقوق التأليف .
ث ـ اقر ميثاق حول جنسية المرأة المتزوجة .
خ ـ اقر ميثاق بتخفيض عدد المشردين (الذين لا وطن لهم) في العالم .
ذ ـ تقرر تبادل المطبوعات الرسمية ، والوثائق الحكومية بين الدول .
ض ـ ميثاق فرعي لمنع الرق ، وازالة تجارة الرقيق والمؤسسات وكل نشاط مشابه للعبودية .
ظ ـ منع العمل الإجباري ـ ومحاربة التمييز العنصري .

هذه مواثيق قبلت واقرت ، وقد قامت اكثر دول العالم بتنفيذها ، والدول التي لم توافق على هذه المواثيق او بعضها ، لا شك في انها لن تتخلف عن ذلك طويلا .

* * *

قد يقول لي بعض الناس ، ان هذه المواثيق ، ما تزال حبراً على ورق ، وهذا القول صحيح من بعض وجوهه ، لكن الا يعلم الأخ الكريم ، ان الدول التي لم توقع هذه المواثيق ، لم تتخلف عن ذلك ، الا لخوفها من الحبر والورق ، لأنها تعلم انه ما بعد الحبر والورق ، الا التنفيذ . وقبل اليوم قال ارسطو لتلميذه : « اذا فكّر الناس تكلموا ، واذا تكلموا فانهم فاعلون ! » .

اجل لقد بلغت الانسانية حد الرشد ، ولم يعد في مكنة طاغية او مستبد ان يسيطر على ضميرها ، ويغمطها حقوقها ! وما عشرات السنين في أعمار الأمم الا دقائق معدودات نسبياً .

ان كل انسان منا مسؤول عن تنفيذ البراءة العالمية لحقوق الانسان ، وسيأتي اليوم الذي يصبح فيه ما كان يبدو للناظر خيالا يصبح حقيقة واقعة .

وسيجيء يوم وهو قريب ، يقرأ الناس ما يراه بعضنا احلاماً او آمالا ، حقائق واقعة وبديهيات اجتماعية وانسانية .

حقق الله الآمال ، وأعاد هذا العيد ، والإنسانية في آسمى مراتب الخير والكرامة والعدالة الاجتماعية .

روكس العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الاردن

اشعب في مجلس طرب

حضر اشعب مجلس طرب في بيت الكندي . ولم يدر الكندي ما يصنع من شدة الطرب فشق قميصه ، وقال لأشعب : « افعل بنفسك مثل ما فعلت بنفسي » .

فنظر اليه اشعب دهشاً . فصاح الكندي : « ويلك ، شق ايضاً انت قميصك » .

فقال اشعب جزعاً : « اصلحك الله ! أتريد ان اشقه وليس لي غيره ؟! » .

فقال الكندي : « شقه وانا اكسوك غداً » .

فأجاب أشعب : « فأنا اذن اشقه غداً » .

فقال الكندي : « وانا ماذا اصنع بشقه غداً » .

فقال اشعب : « وانا ماذا ارجو من شقه الساعة !؟ » .

على باب الملهى

الدار مغلقة على سمّارها ... يتناولون على الكؤوس كؤوسا

والطارقون يؤملون غناءها ... ويحرّقون مراشفاً ونفوسا

والليل قد غمر السبيل فلم يعد ... للسالكين سبيله مدروسا

فهناك من فرعوا الزمان الى العلا ... وهناك خلف ركابهم من ديسا

الإسكندرية احمد محمود عرفة

الإسلام والتطوّر

بقلم محمد عبد المنعم خفاجي

الاسلام ديننا الخالد العظيم ، ورسالة السماء الى محمد بن عبد الله ﷺ ، والشريعة التي نزل بها كتاب كريم ، هو القرآن دستورها وناموسها الاكبر .

وهو الدين الذي نزل هدى ورحمة للعالمين ، وأحدث تطبيقه لأول مرة من مكة ثم المدينة ثم في جزيرة العرب نفسها على يد الرسول الأطهر ثورة لم تشهدها الإنسانية من قبل ولا من بعد ، واصلاحاً لم يكن يحلم به بشر ، ولا زلنا حتى اليوم لا نستطيع ان نصل الى مداه الكبير ثم استمر في مده العظيم ، فطبّقه الخلفاء الراشدون في البلاد التي دخلت في ظلال الإسلام ، وانضوى تحت لوائه الملايين في الشمال والجنوب والشرق والغرب فرحين مهللين مكبرين ، مستبشرين بعهد من الحرية والإخاء والتعاون والعدالة والمساواة والرفاهية لبني البشر جميعاً ، وعاملين على تأثيل حضارة ومدنية جديدة لم تشهدها البشرية من قبل .

دين جارى التطور في كل زمان ومكان ، وجابه الطغيان وانتصر عليه في كل بيئة وعصر ولم تقف أمامه مشكلة من المشكلات ، ولم يزعم منصف في أي جيل ان منطق الإسلام لا يجاري العقل والحياة ، ولم يستطع أصحاب الدعوات الجديدة ان يزعموا أن دعواتهم على ما هيء لها أحياناً من دعاية وقوة ومساندة النفوذ او الجاه او المال قد نالت بعض ما ناله الاسلام في سنوات معدودات من ثقة الجماهير وايمانها به واقبالها على اعتناقه والدخول فيه .

دين لا زالت أصوله ودعواته حلم البشرية بعدما وصلت اليه من تطور وتقدم وحضارة ولا زالت أسسه الفكرية والروحية تحمل الى العالم الامن والسلام والرخاء ، وهو بعد جديد في كل وقت ، عظيم في كل حين ، جليل في كل عين ، رفيع في كل عقل .

دين وضع اصولا خالدة لإصلاح جميع مجالات الحياة ، ونواحي النشاط الانساني ، وسبق « الديكارتيين » الى تقديم الشك امام كل بحث ، وترك التقليد ، والى الايمان بما يؤدي

اليه الدليل ، كما سبق « بيكون » الى المذهب العلمي ، وسبق فلاسفة الاجتماع الى وضع اصوله ، ولم يجعل للمعرفة الانسانية حداً من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حداً لما يمكن ان يصل اليه الانسان من معارف ، واقام مبادئه على سمو الغاية الادبية فحسب ، دون النظر الى التعليلات الاقتصادية والمادية للاشياء ، ووحّد بين الاجناس والعناصر والألوان ودعا الى اخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح . وجمع الكثير من الامم والشعوب تحت ظلاله ، مما عجز عن تحقيقه كل القواد والدول . هذا مع العدالة في الحكم ، ومع الايمان بالحرية والشورى والإخاء والمساواة وتطبيقها .. ومع العمل على نشر الامن والرفاهية والوئام والسلام بين بني البشر جميعاً .

لم يقف الاسلام واصوله ومبادئه الكريمة حائراً امام اية مشكلة من مشكلات الحياة في كل عصر وكل بيئة ، بل وجد الحلول العادلة لكل ما جدّ وما يجدّ على سطح الارض من جديد.

كانت رسالته دائماً التبشير بقيم انسانية رفيعة . لم يقل ابداً وفي أحرج الأزمان والمحن : ان الغاية مبرر الوسيلة .. لم يزعم الاسلام انه وصي على البشر وانه مستعمر من الأرض . بل دعا دائماً الى الايمان بوصوله كحل أساسي لجميع مشكلات المضطهدين والمستعبدين والذين وقف بهم التأخر عن متابعة سير الحياة .. نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب ، دعا الى ان تتولى كل امة امور نفسها في ظلال مبادئه ودعواته واصوله .. قاوم من وقف في سبيل دعوته لأن من يفعل ذلك فهو يقف في وجه الحياة نفسها ليؤخر سير الزمن .

حل جميع العصبيات وأبطلها ، وكل المشكلات وازالها ، وجميع العقد النفسية والروحية عند جميع الناس ، ووضع مكانها حب الخير والتعاون والرحمة وحب الوئام والسلام والبر والشفقة ، وهذب العواطف والمشاعر الانسانية وطهرها وسما بها .. وجمّل الحياة امام الناس ، وجعلها تعاوناً ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ، ومد في آفاق الأمل فيها بما دعا اليه من السعي في مناكبها ، ومن الصبر على لأوائها ، ومن الثقة برحمة الله وفضله وفرجه

قابل الاسلام آلاف الدعوات والمبادىء والأفكار الجديدة ومع ذلك لم تستطع إحداها ان تجاريه في حيويته وبساطته ومثاليته وعظمة مبادئه واصوله .. وواجه آلاف الطغاة ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يوقف سيره المحتوم او يعطل رسالته النيرة ، او ينتصر على مبادىء الاسلام الجليلة العظيمة .

وحملت شعوب الاسلام دائماً الى العالم والى الحياة في كل العصور والأجيال ، وبفضل دينهم العظيم ، رسالة التقدم والحضارة ، رسالة الحرية والعدالة ، رسالة المحبة والسلام والإخاء والشورى والتعاون بين الناس جميعاً .

ودخل الناس في دين الله افواجاً في كل عصر وجيل وفي كل زمان ومكان .

قد نقول ان المسلمين في العصور الاخيرة قد اخذ منهم الغرب زمام قيادة العالم، وحاربهم في دينهم واموالهم واعراضهم حرباً شديدة ، واعترتهم فترة من النوم والجمود والجهل .. ولكن ذلك كله لم يكن بسبب دينهم ، بل بسبب انصرافهم عن تعاليمه ، ومجاراتهم للغرب وحضارته في كل شيء وخصوماتهم بعضهم لبعض .. ولأسباب اخرى لا تخفى على أحد اليوم .. والشيء الوحيد الذي يمكن ان يعيد القوة والسيادة الى امم الاسلام هو عودتهم الى دينهم ، ورجوعهم الى حضارتهم وتاريخهم وتراثهم ، واقبالهم على تربية ابنائهم تربية اسلامية صحيحة ..

والآن ما هي رسالة الاسلام في عالم اليوم ؟

تتلخص اصول الاسلام في العقيدة الاسلامية ، وفي المبادىء الأساسية للمجتمع الاسلامي وفي نظام العبادة للمسلم ، وفي الأسس التي ينبني عليها كيان الامة الاسلامية .. وفي افكار الاسلام الأساسية في خدمة الحياة نفسها .

فمن حيث العقيدة فهي عقيدة انسانية تؤمن بالله ورسالة محمد وبرسل الله جميعاً لا تفرق بين أحد منهم .

ومن حيث نظام العبادة للفرد المسلم فهو يتلخص في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج .. الى وجوب اعتناقه للفضائل الانسانية الاخرى من صدق ووفاء ورحمة وشفقة وايثار وبر وامانة .. الخ .

ومن حيث مبادىء المجتمع الأساسية من الاسلام فهي تقوم على :

١ ــ الشعور بالمسؤولية. ٢ ــ التعاون التام . ٣ ــ العدالة الكاملة والتزامها .

٤ ــ المساواة بين جميع افراد المجتمع من الحقوق والواجبات .

٥ ــ الحرية لكل الناس والطغيان .

٦ ــ نشر الرخاء بين جميع الناس .

٧ ــ توفير العمل وجعله حقاً لكل احد .

٨ ــ كفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وايصالها لكل الناس بالمجان ما دام ذلك ممكناً .

٩ ــ مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته دون ما تأخير .

١٠ ــ السهر على خدمة المجتمع وخدمة الامن بكل وسيلة .

١١ ــ محاربة كل ألوان الفساد الاجتماعي والرذائل الاجتماعية والخلقية والقضاء عليها الى غير ذلك من مبادىء ليس هنا مكان شرحها .

ومن حيث الاسس التي ينبني عليها كيان الامة الاسلاميــة فتتلخص في : الشورى ــ السلام بين طبقات الامة ــ العدالة الإجتماعية ــ والتكافل الاجتماعى ــ القضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية الا ما يرجع الى العمل وخدمة الامة ــ نشر التعليم وجعله حقاً لكــل فرد ــ الى آخره .

اما افكار الاسلام في خدمة الحياة فهي ترجع الى مبادئه في تحرير الأرقاء والمستعبدين والمستضعفين وفي نشر السلام ، وفي تبادل التجارة بين امم الأرض، وفي نشر الثقافة والحضارة ومساعدة الامم المتخلفة وفي الانتصار لكل ضعيف ومظلوم وفي العمل على تقدم الحيــاة واثرائها بكل جديد نافع ، ومبتكر صالح .. الخ .

ورسالة الاسلام في عالم اليوم تستمد من جوهره وحقيقة مبادئه العامة ومن الامكــان اجمالها فيما يلي :

١ ــ نشر الروحية في عالم اليوم الذي تغلبت عليه المادية وحكمته فلسفاتها الجائرة.

٢ ــ الدعوة الى الاخوة الانسانية في عالم اليوم المليء بالأحقاد وبالأسباب التي تهــدد السلام العالمي في كل لحظة .

٣ ــ الدعوة الى تحرير العناصر والشعوب المستعبدة لأن ذلك من جوهر الاسلام وطبيعته

٤ ــ العمل من أجل ثقافة جديدة مثالية .

٥ ــ نشر اعمال المفكرين المسلمين ، ومبادىء الاسلام ، وبطولات ابطاله وقواده ، ومواقف زعمائه وقادته ، بكل لغة لتكون نبراساً للناس يشهدون بها ، ويسترشدون بسموها

٦ ــ الكشف عن أصول الحضارة الاسلامية واعمالها في خدمة العالم ، ونشر ملخصات عنها بكل لغة .

٧ ــ انشاء معاهد ثقافية اسلامية في جميع انحاء العالم لنشر الثقافة العربية الاسلامية .

٨ ــ كتابة التاريخ الاسلامي في موسوعة عربية باسلوب جديد يتفق مع تطور الحيــاة والفكر العالمي المعاصر .

٩ ــ نشر مفاخر الاسلام في خدمة الشعوب التي استظلت بظلاله ، وفي النهوض بهــا

١٠ ــ الدعوة الى مبادىء الاسلام الاساسية في الحرية والشورى والمساواة والتكــافل الاجتماعي والاخاء والعدالة وغير ذلك .

هذا قل من كثر مما يجب عمله ، ومما يستطيع الاسلام خدمة الحياة والحضارة والعالم مجاله .. وما ذلك على الله ولا على الاسلام وشعوبه بعزيز .

محمد عبد المنعم خفاجي

أمــاه

شعر : خليل جرجس خليل

رئيس تحرير مجلة (صوت الشرق)



اسم تردده الشفاه : « اماه » ما احلى نداه
خفقت به عند النداء قلوبنا وحكت صداه
وتمثلت فيه المباهج كلها ؛ وشدا الشداه
اماه انت الحب والقلب المحب . وما حواه
انت الحياة هنيئة بل انت اسباب الحياه
انت التي اجثو لها .. اجثو لها بعد الإله
واقبل اليد ؛ او جبينك .. ان تقبيلي صلاه
في يوم عيدك ضاء كل الكون ؛ وافترّت رباه
واهلت البشرى على دنيا الربيع بما جلاه
العيد اقبل . ان عيد الأم عيد للحياه

* * *

اماه انت الكوكب الدري ما ابهى سناه !
اماه انت العالم العلوي ، ما اسنى بهاه !
اماه انت الحب ؛ انت الحلم في ازهى رؤاه
اماه انت الخير والآمال ؛ انت لي النجاه
اماه انت النور .. إني عشت اقبل من ضياه
اماه انت حبيبة ورغيبة وغنى وجاه
اماه انك كل شيء .. كل شيء في الحياه
اماه انت آعز مخاوق لديّ ولا سواه

اسم تردده الشفاه : « اماه » ما احلى نداه !
يا نعم هذا العيد .. عيد الام في ابهى حلاه
ذكرى ، ترى كل امرىء فيها يعود الى صباه
يهفو لطلعة من حباه ومن رعاه ومن نماه
ويرد بعض الدين للابوين ، بورك صاحباه
ويقدم الشكر الجميل على الذي حازت يداه
وعلى الشفاه اسم يردده ويملأ منه فاه
« اماه » ما احلى نداه ! اماه يا عيد الحياه

***

للرب جلت حكمة نزلت الينا من علاه
خلق الجميع وقال كل في الحياة الى هداه
ذكراً وانثى ، ههنا يسعى فتى ، وهنا فتاه
وكلاهما من والدين ، اب وام عائلاه
وتفرقت اسبابهم كل يسير على هواه
لكنه اوصاهمو في وحيه اغلى وصاه
« اكرم دواماً والديك لكي يباركك الإله »
يا نعم من ارضى اباه ، وامه تهدى خطاه
كم مرة سهرت بجانبه اذا جافى كراه
كم عذبت وتألمت إما شكا او قال : آه !
كم مرة غنته او سردت له قصص الرواه
لينام مبتهجاً مع الاملاك يحلم في سماه
وفم الصغير مردد : « ماما » .. وما احلى نداه!

**

يا من فقدت الام لا تحزن ولا ترسل شكاه
ان اليتيم وليه الرحمن يخلف من غناه
ما ذاق يتماً من له وطن واهل في حماه

القاهرة خليل جرجس

بدءُ النهاية

بقلم عبد الله حشيمه

في السنة ٣٣٦ قبل الميلاد توفي الملك فيلبوس المقدوني ، وخلفه على العرش ولده الاسكندر ... وكان الاسكندر فريد عصره بالعلم والأدب وحسن الخلق ، وبعيد مدى الطموح الى الفتح والمجد ، ومتى عزم على أمر لا تثنيه عن عزمه قوة ، اللهم الا قوة الاقناع بالبرهان .

وما ان اصبح صاحب الأمر في مملكته ، وهو بعدُ في العشرين من عمره ، حتى اخذ يتأهب لغزو آسية ، واضعاً بلاد الفرس اولا نصب عينيه ، وعلى عرش تلك البلاد دارا الثالث ، وحلمه كان ان يقهر هذا الملك ، ويستولي على كنوزه وخيرات مملكته ، ويصبح بعدها سيد الشرق والغرب .

ولما اعد عدته زحف بعشرين الف راجل وخمسة آلاف فارس ، وبجيشه الصغير هذا عبر الدردنيل ، واجتاح آسية الصغرى بسرعة اذهلت الفرس ' فهبوا الى التصدي له في كل مكان ، مما اضطره الى خوض معارك كثيرة ضارية ، واهم تلك المعارك كانت معركة ايسوس في خليج الاسكندرونة ، حيث احرز نصراً باهراً فتح له الطريق الى سورية وسواحل فينيقية .

وعندما وصل الى الشاطيء الفينيقي استقبلته ممالكه الواحدة بعد الاخرى بالترحاب ، وكان ذلك لتبرم الأهلين بالنفوذ الفارسي الذي كان شديد الوطأة عليهم ، ولرغبتهم في التخلص من ذلك النفوذ بأي وسيلة كانت ، فاذا مجيء الاسكندر الحدث الوحيد الذي اتاح لهم ذلك التخلص .

وفرح الاسكندر بذلك ... فهو لم يكن يجهل قوة الفينيقيين البحرية ، وبولائهم له ضمن وقوف هذه القوة الى جانبه ، وتفوقه بها على قوة اعدائه ، كما ضمن في الوقت عينه سلامة مواصلاته البحرية مع بلاده ، وهذا مما يساعده كثيراً على المضي في سبيل تحقيق حلمه .

وكان الاسكندر ـ كما قلنا ـ يتمتع بمزايا ادبية واخلاقية عالية ، وهذا ما جعله يحسن معاملة الذين والوه ، ويحترم حقوقهم وانظمتهم ولا يتعرض لهم في شؤونهم الخاصة ، الأمر الذي حمل هؤلاء على اعلان ثقتهم به والاخلاص له .

وكانت صيدون في عداد المدن التي فتحت له ابوابها .. فالمدينة الباسلة لم تنس النكبة التي حلت في العهد الفارسي بها ـ حين اضطرت الى احراق نفسها تخلصاً من ذل الاستسلام ـ فكان طبيعياً ان تحتفي بالفاتح المقدوني الذي جاء يقضي على سلطان الفرس ، ويكفي الشرق الذي هي منه شر طغيانه .

وخرج الصيدونيون رجالا ونساء للقاء الفاتح المنقذ ، على رغم ارادة مليكهم عشتربون الذي كان موالياً للفرس ، فأكرم الاسكندر وفادتهم .. ثم امر بخلع عشتربون عن العرش وترك لهم حرية اختيار خلفاً له ، فأتوه بشابين اشتهرا بالعلم والفضل وكرم الخلق ، ولما عرض عليهما العرش اعتذرا عن قبوله ، وقالا ان شريعة مدينتهم تحظر على من ليس من اصل ملكي اعتلاء سدة الملك .

واعجب ذلك الاسكندر .. اعجبه ان يرفض مثل هذين الشابين العرش تجرداً ووفاء لاسرتهم المالكة ، في حين ان هناك من يتآمر ويخون ويغتال للوصول الى ما دون هذا المنصب ، واكرمهما اعترافاً بشهامتهما ونبل اخلاقهما ، وطلب منهما ارشاده الى من يرضى الشعب عنه من سلالة ملوكهم .

وكان هناك رجل يدعى عبدوليم من هذه السلالة جار عليه الدهر ، فانصرف لفقره الى الفلاحة والعمل في البساتين خارج المدينة ، فأرشد الشابان الاسكندر اليه معددين له صفاته الطيبة . فأمر الاسكندر بإحضاره .

واذ قيل لعبدوليم ان الاسكندر سيوليه العرش لم يصدّق ، وظن انهم يهزأون به .. ولكن رسل الاسكندر اكدوا له على انهم صادقون في قولهم ، ودعوه الى المثول امام مليكهم الفاتح ، لأنه هو الذي امرهم باحضاره لإلباسه حلة الملك .

ومثل عبدوليم امام الاسكندر ، وكان ذا طلعة ملكية نبيلة على رغم مظاهر فقره وبؤسه فقال له الاسكندر :

ـ قيل لي الشيء الكثير عن صفاتك الكريمة ، وارى ان ما قيل لي عنك صحيح ، واعجب كيف امكنك ان تتحمل ذل الفاقة ، ومتاعب العمل الشاق الذي اخترته لنفسك ، متناسياً طيب عنصرك وكرم اصلك .

وكان عبدوليم صادق الجنان واللهجة بجوابه ، قال :

ـ لقد تحملت الفاقة لا الذل .. انا لم اكن املك شيئاً ، الا انني لم اكن بحاجة الى شيء ، والآلهة التي قدرتني على الاستغناء عن الناس ، وهوّنت علي العيش بعيداً عن امجاد الدنيا ، هي من أسأل ان تقدّرني على حمل التاج الذي تعرضونه علي لخدمة شعبي .

وكبر عبدوليم في عيني الاسكندر ، فأجلسه على العرش بكل اكرام .. وأمر بأن تعطى له اموال عشتربون الملك المخلوع وكنوزه ، وبأن يزاد عليها الكثير ممـا غنمه من الفرس ، تعويضاً للمدينة الباسلة التي آثرت احراق نفسها على الخضوع لجبروتهم وطغيانهم .

وسار الاسكندر بعدها الى صور .. وكان اهل هذه المدينة قدأرسلوا اليه الهدايا والمؤن على غرار ما فعل بنو قومهم سكان المدن الاخرى ، واظهروا بذلك حسن نيتهم ورغبتهم في مسالمته .

وخطر للاسكندر ان يدخل المدينة ، ويقدم ضحية لإلاهها ملقرت ، في الهيكل الكبير الجميل الذي كان ملكها حيرام قد بناه لهذا الإله ... ولكن الصوريين أنكروا ذلك عليه ، اذ كانت عقيدتهم لا تسمح لغير مليكهم بتقدمة الضحايا لإلاههم ، الأمر الذي عدّه الاسكندر إهانة له ، فأعلن الحرب على المدينة التي قررت من جهتها مقاومته .

وكانت معارك برية وبحرية ضارية بين الفريقين المتحاربين .. واظهر الصوريون من البسالة ما ادهش الاسكندر ، وما جعله واثقاً بأن المدينة الجبارة لا تقهر ما دام ابناؤهـا سادة البحر ، فراح يجمع أساطيل الممالك الفينيقية الاخرى الموالية له ، حتى اذا ضمن التفوق البحري لنفسه شدد الحصار والخناق عليها ، فاذا هي تسقط أخيراً تحت ضرباته القاسية ، وكان سقوطها بدء نهاية العهد الفينيقي الذي ما عتّم ان اخلى مكانه للعهد الاغريـقي تحت سماء هذه البلاد !!

عبد الله حشيمه

الرجل والمرأة

اذا كان الزوجان دائماً على وفاق ، فلا بد أن يكون احدهما غبياً .

لا تصدر امراً للمرأة الا اذا كنت على يقين من انها تطيعه .

طيبة الرجل لين برديه ، ولين المرأة يسقطها .

لا تعرف المرأة قيمة هنائها مع زوجها الا حين تفارقه .

الاسلام والأحزاب

بقلم محمد حسين الزين

لقد كان العرب قبل الاسلام قبائل متفرقة ، واحزاباً متباغضة يغزو بعضها البعض الآخر ، ويستعبد القوي منها الضعيف ويسفك دمه لأخس الامور ، ويستحل ماله ليبذخ به او يرضي جشعه او شهواته العارمة .

وقد داموا على ذلك الى ايام الهجرة النبوية والتفاف المهاجرين والأنصار حول النبي العربي الامين مؤمنين برسالته الإلهية ، مبايعين اياه على الجهاد في سبيلها مهما كلفهم من تضحيات بالانفس والاموال .

عندئذ شعر زعماء الاحزاب بالخطر يحدق بهم . وقدروا ان نجاح الدعوة المحمدية مؤد بلا ريب الى زوال سيطرتهم واستبدادهم واستعبادهم لأفراد الشعب العربي المستضعفين او الجاهلين . فتنادوا مكرهين لأول مرة الى جمع كلمتهم والى الوقوف صفاً واحداً بوجه محمد وانصار رسالته فلبى كل واحد منهم نداء الآخر واسرع الى بذل ما لديه من مال ورجال ومكر وخداع ووعد ووعيد حتى التف كثيرون حولهم وبدأوا جميعاً يقاومون الدعوة ويحاولون قمعها من جذورها الغضة .

وقد ادى بهم الحقد عليها والخوف من نجاحها الى ان استعانوا بأعدائهم اليهود وتحالفوا معهم ايام غزوة الاحزاب المعروفة بغزوة الخندق .

ولو سمح الله تعالى بانتصار الاحزاب واليهود يومئذ لبقيت الاصنام رابضة في جوف الكعبة ، ولبقيت الامة العربية مكبلة بقيود الذل والعبودية يستبد بها رؤساء تلك الأحزاب وتنعم بخيراتها الرأسمالية اليهودية او يتغلب على الجميع ملوك مستبدون من القياصرة والاكاسرة الى آخر الدهر ولكن الله القدير ابى الا ان ينتصر رسوله الكريم الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فأفنى صناديد قريش واتباعهم في حروب بدر وغيرها واستسلم الباقون يوم فتح مكة المكرمة فأكرم النبي العظيم زعيمهم بقوله « من

دخل دار ابي سفيان فهو آمن » ثم صفح صفحاً جميلا بكلمة موجزة اذل بها كبرياءهم مدى الأجيال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وهنا يخطر على البال سؤال قد يشاركني فيه القارىء ويقول ـ هل قدّر هؤلاء الطلقاء هذا الاكرام وهذا الصفح الجميل من محمد حق قدره ؟ وهل اخلصوا في اسلامهم بعد ذلك؟

والجواب الحاسم باختصار من التاريخ ـ ان هؤلاء الطلقاء وزعيمهم واشياعهم قد كتموا حقدهم على محمد ودعوته في حياته وانطووا على انفسهم بعد وفاته الى انسنحتلهم الفرص : فنهض كبيرهم ونادى بصوته الجهوري تلقفوها يا بني امية تلقف الكره . فوالذي يحلف به ابو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة جزء٦ من الاغاني لابي الفرج الاموي .

فتشجع الامويون ولبوا نداءه الذي وافق هوى نفوسهم الامارة « وطفقوا يقضمون مال الله قضم الإبل نبتة الربيع » واسرعوا يعذبون كل من يعارضهم ، او ينتقد انحرافهم عذاباً أليماً ، نال منه الصحابة الذين عارضوا القسط الاوفى .

فكان ذلك كله من جملة اسباب الثورة على عثمان وحصاره وقتله بعد ان رفض التخلي عن امثال مروان بن الحكم طريد رسول الله .

وكانت اكثرية الامة على يقين او شبه يقين بأن هذا الحزب الاموي قد قضي عليه بعد مقتل عثمان ومبايعة الامام الجامع لمؤهلات الخلافة من شجاعة وعلم وعدل ومن زهد وتقى وصلاح ومن فصاحة وبلاغة نبويتين .

ولكن الاطماع الدنيوية وغيرها من الدوافع التي حولت بعض المهاجرين مع امرأةجليلة من مؤيدين لبيعة الامام اولا الى معارضين ، ومن معارضين لعثمان وقومه الى مؤيدين لهم متباكين معهم عليه . مطالبين بدمه الذي سفك بتحريضهم الشديد عليه .

اقول ان تلك الاطماع وذلك التحول الغريب كانت كلها من اقوى عناصر القوة لهذا الحزب .

ومن اكبر الدوافع لطمعه في الحكم وظهوره منادياً بشعار « يا لثارات عثمان » هذا الشعار الذي نودي به يوم الجمل قبل ان ينادي به الامويون في صفين وكربلاء .

وتسلح الامويون ايضاً بقميص عثمان الملطخ بدمه ونشروه على منبر دمشق الكبير فكان من امضى اسلحتهم واعظم تأثيراً في الدعاية من ألسنتهم : لانه خدع الكثير من الناس ودفعهم على بذل دمائهم في سبيل الثأر له : فباعوا دينهم لينعم غيرهم في دنياهم . وليشفي

غليله من أنصار محمد واهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .
فحاربوا وصي النبي وقتلوا سبطه الحسن بالسم وسبطه الحسين بالسيف ورضوا اضلاعه بحوافر الخيل ، وسبوا نساءه واطفاله سبياً لم يسبق لنبي ان سبيت ذريته مثل هذا السبي الفظيع ، كما لم يسبق في الاسلام ان سحلت جثة قتيل كما سحلت جثة ابن عمه مسلم بن عقيل في شوارع الكوفة مع جثة نصيره هاني بن عروة .

قد ارتكب الامويون هذه الاعمال المنكرة بدعوى الاخذ بثأر عثمان ولكن بعض الكتاب ابطل هذه الدعوى في الشكل والأساس مستدلا بأنهم لم يتعرضوا لبعض قتلة عثمان حينما اصبحوا في قبضة ايديهم بأدنى سوء . واكرموا بعض المحرضين عليه اكراماً بالغاً .
وارى ان هذا الرأي موافق لمنطق التاريخ ومؤيداً باعتراف بعض الامويين وتصريحهم بأن قتل الحسين كان اخذاً بثارات بدر لا عثمان : يقول يزيد بن معاوية عندما وضع رأس الحسين بين يديه :

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

ويقول عمرو بن سعيد بن العاص حينما بلغه قتل الحسين وهو في المدينة قرب القبر النبوي المقدس « يا محمد يوم بيوم بدر » . والذي ارجحه (وهو الموافق لنفسيات الحزب وغاياته) ان قتالهم لاهل بيت الوحي وقتلهم انما كان بدافع مزدوج . الاخذ بثارات بدر ، واعادة الزعامة القديمة التي قوّض النبي اركانها بعد حروب دامية .
فهذا الحزب هو الحزب المخضرم الذي حارب الاسلام اولا دفاعاً عن زعامة جاهلية . وحاربه ثانياً طمعاً في زعامة اسلامية . وبعبارة اخرى حارب الاسلام يوم بزوغ فجره بزعامة ابي سفيان وحاربه يوم ضحاه بزعامة ابن ابي سفيان الذي اعلن الانفصال في الشام عن جسم الدولة الاسلامية التي اسسها محمد بعد جهاد مرير : والتي وسع أقطارها خلفاؤه من بعده بمعونة اصحابه واهل بيته الذين ضحوا وتغاضوا عن حقهم في الخلافة حرصاً على توحيد الصف وبقاء الوحدة العربية الاسلامية الغالية .
ولما تغلب معاوية ودانت له الاقطار الاسلامية مرغمة اقتدى بكسرى وقيصر في الحكم الاستبدادي والفهد به قسراً الى الابناء والارحام امثال يزيد ابنه القائل :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وامثال الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي مزق القرآن الكريم وخاطبه بقوله الاثيم :

اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وانا لا اريد الآن المقارنة بين سياسة معاوية وسياسة استاذيه كسرى وقيصر . كما لا اريد بيان الشبه الشديد بين سياسة معاوية وتلميذه ميكافيلي . فان ذلك كله يحتاج الى اسهاب لا يسعه هذا البحث المختصر .

كما لا اريد المقارنة بين هذا الحزب الاموي وبين الاحزاب المستحدثة في عصرنا (١) ولا بيان الغايات والخطط التي تجمع بينه وبينها في كثير من الافكار والاعمال .

وانما الذي اريده ان ابين بإيجاز لاولئك المسلمين الذين انخدعوا بالشعارات التي ينادي بها زعماء تلك الاحزاب ، وان اثبت لهم ان الاسلام قد عمل بمفهوم هذه الشعارات الصحيح المعتدل قبل ان يولد ماركس وعفلق وانطون بقرون عديدة .

فالاسلام كان اول من حقق الوحدة العربية الشاملة . لان العرب كما قدمنا كانوا متفرقين متخاصمين فوحّد الاسلام كلمتهم ، وألّف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانا متحابين يشد بعضهم ازر بعض . متحدين على العمل الجدي برسالة إلاهية ــ لا عفلقية ــ خالدة بعقائدها الروحية ، وشريعتها السمحة ، ومبادئها السامية ، واخلاقها الفاضلة ، ونظمها الاجتماعية العادلة التي لا تميز بين العناصر المختلفة . فالابيض والاسود « الزنجي » سواء في الحقوق والواجبات على عكس ما يجري اليوم في بلاد تدعي المساواة وحماية الحريات .

كما انها لا تفضل عربياً على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » . اما الحرية فقد خولت رسالة الاسلام كل فرد من افراد الامة ان يجادل بالتي هي احسن ، وان يعارض معارضة بريئة لا استغلال فيها ، وان يبدي رأيه بصراحة ، وان يشير على الخليفة وان يخطئه اذا اقتضى الأمر .

ولولا هذه الحرية الاسلامية لما تجرأ احد المسلمين وجابه الخليفة الثاني صاحب « الدرة » بقوله « لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بالسيف » .

ولما خطأته امرأة لما اراد ان يمنع غلاء المهور فاستدلت بقوله تعالى « وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فاعترف وقال « أخطأ عمر واصابت امرأة » .

وحسبنا قول الامام علي في الحرية والنهي عن العبودية « لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً » وقد ضيق الاسلام دائرة العبودية التي كانت متسعة الى حد « اجازوا فيه بيع

(١) بمناسبة ذكر هذه الاحزاب رأيت من الواجب ان اتعرض الآن لما سجله « فلان الصباني » في كتاب اسماه « دين ومتدين » اتهمني فيه بموالاة عفلق فأقول ان هذه التهمة لا ظل لها من الحقيقة والواقع فهي افتراء محض وحضرته يعلم انني بعيد عن الاحزاب وعن الزعماء والحكام لم ادخل في فلكهم يوماً ما كما فعل هو .

المرء نفسه واولاده على انهم ارقـــاء للمشترى ، واجـــازوا الاسترقاق عن طريق الخطف واللصوصية » .

ولكن الاسلام جاء بعد هؤلاء وحرم استرقاق غير الكفار المحاربين له او الناكثين لما عاهدوه عليه . ومع ذلك فقد فتح أبواباً فسيحة لتحرير الأرقاء بـــأن حرص المسلمـــين على عتقهم بالمكاتبة او تقرباً الى الله تعالى بدون دفع شيء او التكفير عن بعـــض الذنوب الكبيرة .

ثم جعل نصيباً من الزكاة لعتق الرقاب وفكها من قيود الرق . لذلك خطى النبي واهل بيته واصحابه خطى حثيثة نحو تحرير الرقيق بشتى الوسائل وتسابقوا لعتق الموالى . وكان يأمل ان يقتدى به وبالأهل والاصحاب بقية المسلمين بالأخص الحكام والرؤساء والاغنياء ، وان يسير الجميع على هذه الخطى الموصلة بلا شك الى تصفية الرقيق من المجتمع الاسلامي .

ولكن الأمل لم يتحقق بل زاد الرقيق وامتلأت منه قصور الأمويين والعباسيين وقصور ولاتهم وقصور من حكم بعدهم الى هذا التاريخ . بالأخص قصور « الرياض » المليئة بالرقيق الابيض والاسود .

وزيادة على تحريض الاسلام على العتق عني بالأرقاء عناية كبرى . فقد امر ببرهم واكرامهم وتزويجهم من غيرهم مهما كان هذا الغير من الرفعة في الحسب والنسب ، واباح لهم ان يتعلموا ويعلموا غيرهم في مدرسة واحدة : وان يتولوا الوظائف والمناصب الكبيرة في الدولة .

ولقد هم الخليفة الثاني ان يولي سالماً مولى ابي حذيفة لو كان حياً منصب الخلافة وهو اكبر منصب بعد النبوة : هذه نبذة صغيرة عن الحرية الاسلامية المحدودة : اما تلك الحرية المطلقة التي يستدرجنا اليها اعداء الاسلام والعرب عاماً بعد عام . والتي انخدع بها كثير من المسلمين الذين ران على قلوبهم . فانها حرية البهائم لا حرية الإنسان العاقل . وانها اشبه بالعبودية منها بالحرية . لانها جعلت الانسان عبد هواه ولانها بصرف النظر عن مخالفتها للدين كانت السبب المباشر في تأخرنا اجتماعياً بما تسببه يومياً من مشاكل اجتماعية تثقل كاهل الدولة والشعب .

فكلنا يرى رأي العين ما أدت اليه هذه الحرية المقتبسة من الاجنبي من اغراق في اللهو واسراف في المسكرات والمخدرات ونهم في الدعارة والخلاعة وكلنا يعـــلم ما تتطلبـــه هذه الامور من اموال طائلة قد تحمل الذي اعتادها – اذا ما فقد المال اللازم – على الانتحـــار

او القتل او السرقة او الخيانة للدولة فيرتشي او للوطن فيتجسس للاجنبي مقابل جعالة صغيرة يستعين بها على اشباع شهواته البهيمية .

ولهذه النتائج السيئة قيد الاسلام الحرية بقيود تمنع الفرد من التدهور والانحطاط الى مستوى الحيوان .

واما الاشتراكية التي يتباهى بها كثيرون من اشتراكيي هذا العصر على ما فيها من حيف فاحش على المالك الشرعي والعامل المجد الباهر : فان الاسلام قد اغنى المسلمين عنها باشتراكية مثلى جمعت بين مصلحة الغني ومصلحة الفقير ، وبين مصلحة المالك والعامل ، وبين مصلحة الدولة والشعب . حيث قد فرض الاسلام الزكاة في الغلاّت والانعام والنقدين . فرضها للفقراء والمساكين . والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي عتق الرقاب ، والغارمين الذين يعجزون عن اداء ديونهم ، وفي سبيل الله وابن السبيل المحتاج في خارج البلاد وان كان غنياً فيها : وفرض زيادة على ذلك زكاة الفطرة يوم عيد الفطر :

كما فرض الخمس بقوله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان» فرض الخمس (على ما يظهر من الآية الكريمة) في غنيمة كل شيء حتى الخيط والمخيط كما في تفسير الزمخشري ص ١٧٢ ج ٢ من كشافه .

فلو ادى المسلمون هذه الحقوق المفروضة عليهم اداء تاماً لما جاع بينهم فقير كما يشير الى ذلك قول الامام علي « ما جاع فقير الا بما متّع به غني » ولما عجزت ميزانية الدولة الاسلامية عن نفقاتها اللازمة ولما اضطرت الى فرض الضرائب الا في ظروف نادرة .

وحذراً من ان يتكل الفقراء ومستحقوا تلك الحقوق عليها وعلى باقي الصدقات المستحبة حثهم الاسلام كما حث غيرهم على العمل والكسب بعرق الجبين عن طرق التجارة والزراعة والصناعة والغرس وغيرها من الاعمال الحرة التي تبعد الانسان عن الكسل والبطالة ، وتغنيه عن ان يكون كلا على اخيه الانسان يستجديه ويستعطفه متملقاً او خاضعاً الامر الذي يأباه الاسلام اشد اباء ويراه منافياً لعزة الانسان وكرامته .

فيتضح من هذا كله ان الاسلام كان اول من حارب الفقر بهذه الاشتراكية الوسطى . فانتصر عليه ايام كان المسلمون يؤدون هذه الواجبات والمستحبات ويوم كان الحكام يوزعونها بالقسط والعدل ولا يبذرون اكثرها ولا يقطعون معظمها لاقاربهم واتباعهم امثال مروان .

الامر الذي اوجب على الامام الوصي ان ينادي فور توليه الخلافة « الا ان كل قطيعة اقطعها عثمان . وكل مال اعطاه من الله فهو مردود في بيت المال فان الحق لا يبطله شيء » ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان لرددته ، فان العدل في سعة ، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه اضيق » ولسوء الحظ لم يكتب للاسلام الانتصار على هذا الاقطاع لانشغال خليفته الشرعي بمحاربة الانفصاليين في البصرة وصفين ومحاربة الرجعيين في النهروان .

اما الجهل فقد انتصر عليه الاسلام انتصاراً باهراً ، فقوض دعائمه في اكثر انحاء العالم التي انتشر فيها وليس في الجزيرة العربية فحسب كما يتوهمه البعض : لقد فرض الاسلام التعليم الاجباري بقول نبيه العربي « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ــ اطلبوا العلم ولو بالصين ــ من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معاً فعليه بالعلم » .

وكذلك انتصر الاسلام على المرض بقواعد صحية تغني الانسان عن استعمال الأدوية ، وتقيه غالباً المرض اذا طبقها تطبيقاً كاملا في حياته وداوم عليها : اهمها قول النبي الحكيم : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » وقوله « لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان » وقوله « كل وانت تشتهي وقم وانت تشتهي » .

ولتأثير النظافة في صحة الانسان العامة أمر الله تعالى نبيه بقوله « وثيابك فطهر » ورغب النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام امته بالنظافة وحثهم عليها حتى جعلها من اركان الاسلام ومن الايمان فقال : « بني الاسلام على النظافة ــ النظافة من الايمان » الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المأثورة عنه في بيان انواع النظافة وما تحصل به من غسل ووضوء وسواك بعود الاراك وما يقوم مقامه ، ومن المضمضة وغيرها وغسل الشعر ودهنه بالطيب وتسريحه بالمشط وغسل اليدين قبل الطعام وبعد الفراغ منه . وتقليم الأظافر التي تحجب الجراثيم والأوساخ .

وقد امر بغسل الاواني واوجب تعفيرها في التراب من سؤر الكلب الذي اكتشف اخيراً احد اطباء الغرب « ان في سؤر الكلب جرثومة لا يقتلها الا التراب » .

وامر ايضاً بغسل الفواكه والخضر ، وحذر من شرب الماء الذي لا يرى حذراً من ان تكون فيه بعض الجراثيم المؤذية الى غير ذلك من التعاليم الصحية والآداب الاجتماعية .

وغير خفي ان هذا الثالوث البغيض ــ الفقر والجهل والمرض ــ الذي عني به الاسلام

اكبر عناية ــ هو من أفتك العناصر الضارة بالمجتمع واعظمها تأثيراً في الحيلولة دون تقدمه ورقيه : ومثلها في الضرر والفتك مرض الاخلاق العامة والخاصة الذي بــذل نبي الاسلام جهده لإزالة هذا المرض الوبيء فرغب في تحسين الاخلاق وجعل « حسن الخلق من كمال الإيمان » وقال « احسنكم ايماناً احسنكم اخلاقاً » .

حتى عدّ اتمام مكارم الاخلاق من اسباب بعثته عليه وعلى آله السلام فقال « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

ولقد حثنا الامام الوصي على طلب الأخلاق الفاضلة لذاتها بصرف النظر عن الثواب والعقاب فقال « عجبت لرجل يجيئه اخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كنــا لا نرجو جنة ، ولا نخاف ناراً ــ ولا ننتظر ثوابا ــ ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق » .

ولقد اجاد القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا!

الا يرعوي ــ بعد ذلك ــ اولئك المنتسبون من المسلمين لتلك الاحزاب المشبوهة التي غايتها الاولى ابعادهم عن دينهم القويم . وتشكيكهم من صلاحيته للتقــدم والرقي حتى في غشاوة تحجبهم عن النظر الى التعاليم الاسلامية التي كانت عوناً لأجدادهم العرب على امبراطورية واسعة الاطراف محكمة الحلقات في غضون ربع قرن : شارك في تكوينها الرجال والنساء . ولم يمنع النساء حجابهن الشرعي من المشاركة في العلوم والفنون وفي الحروب ايضاً وكان في طليعتهن الهاشميات وامهات المؤمنين .

النبطية محمد حسين الزين

بخيل

قال رجل لبعض البخلاء :

ــ لم لا تدعونني الى طعامك ؟

قال البخيل :

لانك جيد المضغ ، سريع البلع ، اذا اكلت لقمة هيأت اخرى .

قال الرجل :

يا اخي ، اتريد اذا اكلت عندك ان اصلي ركعتين بين كل لقمتين ؟!

فتنـــة الاريـاف

نظم : عباس ابو الطوس

ها هنا الحسن ودنيا السمر والصبابات ومهد الوطر
ها هنا المتعة صاف نبعهـــا لم تعكره سموم الكدر
ها هنا اللذات في أوضاحها تتجلى رقة العيش الطري
والهنـــا يخطر في ابراده رائع الاقسام حلو المنظر
والمسرات واطياف الهوى وابتسامات الشباب المزهر
تبهر العين بمـــا تشهده حولها من مشرقات الصور
هذه الارياف ما اجملها روعة تسبي عقول البشر
طلع الصبح عليها فازدهت بجمال وجلال مبهر

* * *

فإذا بالحسن يختـــال بها باسم الثغر جميل المنظر
والتفاف الدوح فيما حوله يشعر النفس بما لم تشعر
كل شيء يتجلى مشرقاً من زهور او نبات اخضر
هذه الروعة هذا سحرها في مجالات البهاء المسكر
ملأت قلبي المعنّى فرحة رغم اغلال العذاب المؤسر
فاستفاقت في الحنايا لوعة خلتها جفت ولمّـــا تثر

* * *

هزني الشوق لايام الهنـــا ولاحلام الليالي الغرر
وسويعـــات عرفنا عندها كيف نختار صنوف الثمر
وملذات غفونا فوقهـــا باختلاس من عيون القدر
وكؤوس قد شربناها على ضحكة الساقي ولحن الوتر

في المروج الخضر بين الشجر ... وروابيها وحول الانهر

* * *

يا احبائي ، بمـاذا أتقي ... لاعج الشوق ووخز الضجر
وهواكم هدّ صبري وانبرى ... يتحدى مهجتي كالشرر
طوّح البين بسلواني فها ... انني نهب الاسى والكدر
ولكم همت اشتياقاً نحوكم ... فجرى دمعي مثل المطر
وزفرت الهم حتى ملّ من ... زفرتي سمع الدجى المعتكر

* * *

عجباً بالله يا قلبي . ألم ... تحترق وجداً ، ألم تنفجر ؟
كيف حمّلت هموماً لم يُطق ... حملها الصخر ولم يقتدر
وتقلبت جريحاً في الهوى ... بين انياب الجوى والسهر

* * *

يا احبائي فما اقعدكم ... عن محب ذي فؤاد مجمـر
أصحيح ما روى الواشي لنا ... أم ترى الواشي علينا يفتري؟
انا اهواكم وان لم تشفقوا ... لنحوبي ودمـوعي الغزّر
انا اهواكم وان لم تسعفوا ... قلبي المضنى ولو بالخبر
هذه أشباحكم في وحدتي ... ماثلات لم تبارح نظري
طالما بتنا على لطف الهوى ... وتناجينا بضوء القمر
وعلى الذكرى قعدنا اننا ... وتداوينا براح السمر
وتعاتبنا على البعد الذي ... قد جزعناه ولم نصطبر
وتعاهدنا بأن لا ننثني ... عن عهود الحب طول الغمر

عباس مهدي ابو الطوس

شجاعة سقراط

اقترح اصدقاء سقراط ــ بعد ان حكم عليه بالاعدام ــ ان يدبروا له خطـة للفرار ولكنه رفض في اباء قائلا :

ــ قد يقبل الانسان أن يتنحى عن عمله او ينزل عن رتبته ولكن عليه ان يعلم انه اذا كان في ساحة القضاء فلا بد ان ينفذ قوانين الدولة واحكامها وتعليماتها .

شعراء من جبل عامل

طرفة

بقلم السيد علي ابراهيم

الشيخ ابراهيم الحارصي

المتوفى سنة ١١٨٣ هجرية ، عالم شاعر مجيد ، يعدّ في طليعـــة شعراء ذلك العصر . وشعره سجل للحوادث التاريخية التي حصلت زمن المشايخ ، ناصيف النصار ، وعلي الفارس وحيدر الفارس ، وكأنه اقام نفسه للوطن شاعراً فذكر رجاله واشاد بمفاخره ووصف فأبدع ينتشي بكأس الحماس وهو يذكر قومه معتزاً بقوتهم وغاراتهم فتمشي معه متأثراً بعاطفتـــه مستغرقاً بالمشاهد الحية التي ترى .

ويلفت النظر بهؤلاء الشعراء المتحمسين صدق الشعور والإخلاص لما يذهبون اليـــه ، تنطق بذلك كلماتهم ويظهر جلياً واضحاً في اسلوبهم وفيض عاطفتهم وترى لديهم الغرور محبباً ليس ببغيض ولا ممقوت وقيمة الشعر على ما يبدو مضافاً لتوفر العناصر الفنية فيه ، انه يتحدث عن الأشياء التي يعني بها الناس وتمس مشاعرهم وترتبط بحياتهم فكأنه سلك يصل بين القلوب والأفكار وينبعث مستعرضاً مواقف الأبطال باحثاً بالتراث ولا تجد شعراً باقياً على مرور الليالي والأيام ، يحفظ ويردد ويروى غير الشعر المتعلـــق بموضوع عام يهم سائر الناس ، ولا يصدر عن الشاعر همسة لقلبه وحده وبوحاً لفكره وحده ، فهو في حالة الوحي والإبداع لسان الأمة ينشر جوهرها ويصوّر أخلاقها ومنازع الشرف والشهامة فيهـــا . ويذكر بادائه الرائع السمح كيف نهضت من سبات ووقف رجالها بجانب القيم الإنسانيـــة الخالدة فقدموا نفوسهم قرابين تضحية وفداء وترى الشيخ وراء هـــذه النواحي ، يصوّر

المفاهيم التي عرفها عصره للمروءة والنجدة فهو في شغل دائم بتتبع الأحداث واحصاء المواقف والاشادة بالابطال وتمجيدهم رغبة ببقائهم للبلاد حصناً وللوطن املا ، ولا بد لنا من الإشارة لاختلاف الموازين بيننا وبين الكثرة الساحقة من الشعراء السابقين ويشمل ذلك مشاهير الشعراء العرب في العصور القديمة الذين عالجوا احياناً مواضيع لا تمت لنا بصلة ولا نأبه بها ومجّدوا من لا نمجّد ووقفوا معجبين بأشياء لا تسترعي انتباهنا ، ولكنهم يتحدثون عن انفسهم وحاجتهم وما ألفوه بتربيتهم وبيئتهم ويصوّرون بذلك إحساس جمهورهم بصورة عامة ، ولا نستطيع أن نطلب منهم غير هذا ، فالقوة والمكارم وشنّ الغارات وصدّ هجوم الأعداء من الفضائل الاولى التي تشرق وتزهر في عيونهم ، واذاجاز الشيخ هذه النواحي فهو يعرض علينا الحكم والتوصيات التي يفهمها المحفوظة في ذهنه ، نتيجة لما وعى من اشعار السابقين وسيرهم وأخبارهم واثراً للقصص التي تناقلها العامليون في اسمارهم ومجالسهم الأدبية التي يجتمعون بها ويذكرون أخبار العرب وحكاياتهم وزهوهم وخيلاءهم ، وترى بالباقي المدوّن من آثار كتابهم وشعرائهم دليلا واضحاً على مبلغ اهتمامهم وعنايتهم بطرائق المتقدمين وأساليبهم بالتعبير والتفكير وتعتبر المدارس المنتشرة في الجنوب يومذاك باعثاً لكثير من الآثار الأدبية الباقية لدينا ، والشعر حليتهم الثمينة تزينوا بها وعرضوها وجعلوها عدتهم في الشدائد ، وسيفهم الذي يحاربون به ويتقون بحده الغارات .

والظاهرة البارزة بشعر الشيخ ابراهيم الحاريصي هي البراعة بالوصف والتصوير والدقة بالتعبير عما يريد . اسمعه يمدح الشيخ علي الفارس ويذكر بعض وقائعه المشهورة ويصف قلعة الشقيف .

اربط الفرسان جأشاً ان سطا	ما بن قيس عنده ما ذو الخمار
كم تلقى لليالي حادثاً	أنسيتم يوم من تبنين غار
فوق طرف ذو نشاط أمّه	من بنات الريح مأمون العثار
وبيمناه صقيل مرهف	في طلى أقرانه ماضي الغرار
اخذته هزة عصبية	غيرة منه على تلك الديار
ابصر الدولاب منه وقفة	يومه في جنح ليل من غبار
والمذاكي بالرواسي اقبلت	شزباً تعدو وللأقوام ثار

والقضا ألقى مناجيق الردى — للفريقين وما نادى حذار
والعلا بالنفس في سوق الوغى — سلعة ليس لشاريهـا خيار
ما الشقيق الصلد الا جنة — ولنا قصر باعلاه استنار
ليس يدنو منه في عظم البنا — قصر غمدان ولا عظم الجدار
تنظر المرآة فيـه فترى — فوقك النهر تراءى بانحدار
ما رأينا قبل هذا جدولا — فوق قصر شامخ في الجو طار
لا ولا قصر كهذا انه — فلك يزهو ولكن لا يدار
زينة الدنيا على ارجائه — تزدهي في كل نحو كالفنار
نقشها مؤتلف مختلف — في ابيضاض واحمرار واخضرار
شامخ يأوي اليـه اسد — ذو افتراس واقتناص وابتدار

وجرت بينه وبين الشيخ عبد الحليم النابلسي شاعر الشيخ ظاهر العمر حاكم عكا وبلاد صفـد وسائر فلسطـين مساجلات شعرية ومفاخرات اعتبر نفسه ممثلا فيها للجبل العاملي ومسؤولا عن الصيال دونه يقول مجيباً في بعضها :

يا للرجال لمحنة لا يرتجى — غير بن نصار يحل عقالها
ناصيف من يحمي الثغور ومن به — ابدت سماء المكرمات هلالها
ندب له القمى الزمان قياده — لو طاولته الشامخات لطالها
ويد مقبلة البنان كريمة — مدت على المستضعفين ظلالها
شكر الإله فعاله في غارة — شعواً ارى خير المآل مآلها
فسرى الصباح بفتية مشهورة — علم العزيز صلاحها فأدالها
شوس تمد من السيوف قصارها — يوم الوغى ومن الرماح طوالها
لا تنثني عما تحاوله من العليا وان بلغت به آجالها
تجفو لدى كسب الثنا ارواحها — وتعاف في نيل المنى اموالها
سارت على اسم الله غير مطيعة — اهواءها يا للعشيرة يا لهـا

وله بالحكم :

اقرن بقولك فعلا ما به خلل — لا يصدق القول حتى يصدق العمل
واركب مطية عزم دون مضربه — حد الحسام فنعم الحارس الاجل

ولا تخف اعوجيّات مضمرة مثل السعالى على صهواتهـا قلل
تخوض لجــة بحر الموت عابسة وجوهها وبها الشوس تنتعل
وكن مع الدهر معوجاً ومعتدلا فإنما الشهم معوج ومعتدل
وصل ولا تقطع المعروف عن احد فالحر لا يقطع المعروف بل يصل
واحمل ولا تشك للأيام حادثة ان الكريم لاثقال الورى جمل
وقل لمفتخر بالاصل محتقراً خفض عليك فاصل النرجس البصل

وله :

بالسيف يفتح كل باب موصد وبه من العليا بلوغ المقصد
لا حق الا للحسام وكل من طلب الحقوق بغيره لم ينجد
فاذا بدت لك حاجة فاستقضها بغرار ماضي الشفرتين مهند
والجود يحيي كل ذكر خامل ان البخيــل بماله لم يحمد
فاذا السما حبست عزاليها فكن مطراً يفيض كلج بحر مزبد
وكن الشجاع اذا القنا قرع القنا واسمح وفي كسب الثنا لا تزهد
راذا رأيت البيض تعمل في الطلا والليث احجم حائراً لا يهتدي
والخيل تخترق العجاج كأنها العقبان تسبح في الدم المتبدد
فاقذف بنفسك ان اردت لهاتنا واعلم بأن المرء غير مخلّد
واجعل زمانك كله خيراً به تعلو وتحظى بالعلى والسؤدد
واعمل بما يرضي الاله به ولا تفخر بورق قد ملكت وعسجد

وتتمثل نفس الشيخ وعزيمته بقوله من قصيدة :

ولا تعتب على الأيام اني اراهن اتصالا وانقطاعا
وليس المرء كل المرء الا فتى عند حديث الحمد شاعا
رأى نيل المعالي بالعوالي فزاحم في مواردها السباعا
وجرّد من عزيمته حساما كصارمه ومدّ لهــا ذراعا
وزعزع قلب صرف الدهر حتى تقاعس عنه وارتاع ارتياعا

بيروت علي ابراهيم

شذوذ النمو عند الانسان

بقلم رشيد وجي

يكون طول الجنين عند تكونه جزءاً من مائتين ١/٢٠٠ من المليمتر ثم يبلغ في الاربعة اسابيع الاولى مليمترين ثم اربعين سنتميراً عند الولادة وينتهي الى مائة وخمسة وستين سنتمتراً وهو المعدل الوسطي لطول الانسان وما ندعوه بالقامة او الشطط الا انه قد يحدث ان يتغير قياس القامة فيصل الى مائتين وثلاثة وثمانين سنتمتراً او ينحدر الى ثمانية وثلاثين سنتمتراً عند اللزوم . وتتعلق درجـــة نمو الانسان بثلاثـــة عوامل اساسيـــة هي مقدار ما يتناوله من الغذاء الضروري لهذا النمو ثم ما يحمله في جسمه من الصفات الوراثية واخيراً افرازات بعض الغدد الصماء (les glandes endocrines) .

أ — الغذاء

اما الغذاء الضروري للنمو فيشمل المواد البروتينية الزلالية والاملاح والفيتامينـــات . ولكي يسير نمو الجسم في مجراه الطبيعي يجب ان تتوفر في المواد البروتينية احد عشر حمضاً امينياً من غير المستطاع الاستغناء عنها . فإذا توفرت في احد البروتينات كان بروتيناً كاملا والا عد ناقصاً .

واهم الاملاح الضرورية للنمو هي الكالسيوم والفوسفور والضروري من الفيتامينات هو فيتامين (ب١) و (ب٢) و (د) . ولنا رجوع للغذاء ببحث مسهب .

ب — الوراثة

هناك من الناس من يتناول من الغذاء ما يكفي الى حد كبير للنمو ومع ذلـــك يظلون قصار الأجسام نحيلي البنية ومن هنا نرى تأثير الوراثـــة في طول او قصر القامـــة . فالام القصيرة والاب القصير ينتجان اولاداً قصاراً مهما قدما لهم من الغذاء والاطعمة المختلفة . وقد ينتج القصار اولاداً طوالا وهنا تتدخل الوراثة ايضاً فلا بد ان يكون احد آباء الوالدين او اجدادهما طويل القامة . وهكذا نرى ان صفات الطول والقصر تبقى كامنـــة في السلالة

جيلا بعد جيل ثم قد تظهر فجأة في بعض الافراد . وظهور الطول في عائلة عُرفت بالقصر بضعة اجيال متتالية يُعد من المستحيل .

وفي الحقيقة ان الصفات الجسدية والعقلية تنتقل الى الابناء منذ اللحظة التي تتحد فيها البويضة بالحيوان المنوي . ولا يغير هذه الصفات تغييراً جذرياً اي عامل خارجي كالغذاء والبيئة .

ج – افرازات الغدد الصماء

وتدعى هذه الافرازات بالهرمونات ولها اهمية قصوى في عملية القصر والطول او النحول والسمنة .

واهم الغدد الصماء التي تؤثر على نمو الغدة النخامية والغدة الورقية :

١ – الغدة النخامية (L'HYPOPHYSE) :

وتوجد هذه الغدة عند الانسان البالغ في اسفل المخ داخل جيب صغير في عظام الجمجمة السفلى يدعى السرج الترسيكي (شكل ١) ويحميها هذا الجيب الامين من الاخطار التي قد تتعرض لها الاعضاء الاخرى .

والغدة صغيرة الحجم تتركب من جزئين مختلفين في التكوين والوظيفة يطلق عليهما الفص الامامي والفص الخلفي بحسب موضعهما وبينهما فص وسطي قليل الاهمية .

(شكل ١) الغدة النخامية

ويفرز الفص الامامي من الغدة النخامية عدة انواع من الهرمونات اهمها هرمون النمو (Somatotrope) ويسمح هذا الهرمون كما يشير اليه اسمه بالنمو الطبيعي اذا انتجته الغدة النخامية بالمقدار المناسب . ولكن قد يختل نظامها الافرازي فتزداد كمية او تنقص عن الحد الطبيعي . وقد يحدث هذا الاختلال قبل سن البلوغ او بعده . ولهذه الناحية علاقة كبيرة بالمرض الذي ينشأ عن ذلك . فاذا تجاوز النشاط النخامي حداً معيناً

فأنتج مقداراً كبيراً من هرمون النمو قبل البلوغ ادى ذلك الى استمرار النمو بشكل مطّرد وتدعى هذه الحالة بالسقطرية او العملقة (Le gigantisme) نسبة الى السقعطري الذي بلغ طوله ٢٨٣ سنتمتراً . وهناك عملاق آخر وصل طوله الى ٢٣١ سنتمتراً وكان متوسط طول والديه ١٧٠ سنتمتراً فقط او ذلك الطفل الذي بلغ طول قامته ١٨٠ سنتمتراً وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره .

ويصحب هذا التضخم البالغ طول مفرط في الجذع والاطراف والعظام الطويلة فيغدو الانسان عملاقاً شاذاً في الطول ذو وجه مخروطي واعضاء نحيفة وبنية نحيلة عامة . وتكون هذه الحالة مصحوبة عادة بضعف في القوى العقلية والتناسلية وتؤدي اخيراً الى الموت . ومع ان استئصال جزء من الغدة النخامية بالجراحة قد يؤدي نادراً الى شفاء المريض الا ان هذه العملية خطرة ويندر نجاحها .

وان ظهرت الزيادة في هرمون النمو بعد سن البلوغ اي بعد ان يكتمل الجسم فعندئذ تنمو عظام الاطراف بالعرض بدل ان تنمو بالطول . ويسمى تضخم الاطراف هذا الفَتَنُّخ او الاكروميغاليا .

الفتنخ (L'acromégalie)

ينتج هذا المرض من زيادة افراز الفص الامامي للغدة النخامية بعد البلوغ . واعراضه الخارجية هي التغيرات الهامة التي تطرأ على العظام المختلفة واكثرها وضوحاً هو تضخم عظام الايدي والارجل اذ يزداد حجمها كثيراً عن الحجم الطبيعي كما يتضخم الفك الاسفل في جميع الاتجاهات حتى يصبح اكثر امتداداً من الفك الاعلى وتتباعد الاسنان بعضها عن بعض ويزداد حجم عظام الجمجمة بشكل غير عادي وغير منتظم اذ تمتد الذقن الى الامام بينما تتراجع الجبهة الى الوراء ويؤدي ذلك الى تشويه بشكل الوجه تشويهاً خاصاً يجعل التعرف الى الانسان الافَتْنَح من السهولة بمكان .

اما الاعراض الداخلية فقد كشف بعض الباحثين ان كثيراً من الاعضاء الداخلية تتضخم كالقلب والطحال والكليتين والكبد اما الامعاء الدقيقة والغليظة فيزداد طولها زيادة كبيرة . وفي احدى حالات الفتنخ تجاوز طول الامعاء عند المريض خمسة عشر متراً اي ما يقارب ضعف طولها الحقيقي .

وهناك اعراض اخرى تظهر على المريض عند استفحال المرض . منها نوبات من الصداع والاغماء وآلام في انحاء متفرقة من الجسم وخدر الاطراف ونكزها واضطراب

النظر وكثرة البول . وقد تحدث العنّة عند الرجال المصابين ؛ واضطراب او انقطاع الطمث عند النساء . ويغلظ الجلد ويصبح دهنياً ويستحيل لونه الى بني او اصفر . كما يتضخم الوجه ويتفلطح ويكبر الانف واللسان والشفتان خصوصاً الشفة السفلى .

واول من كشف عن هذا المرض ووصف اعراضه وسماه العالم الطبيعي بيار ماري سنة ١٨٨٦ ووجه انظار الاطباء والعلماء اليه دون ان يتوصل الى اكتشاف اسبابه . وفي العام التالي ١٨٨٧ اكد منكوسكي ان السبب في ظهور الفتنح او الاكروميغاليا هو مرض الغدة النخامية . وعاد بيار ماري في سنة ١٨٩٠ ليؤكد ان تشريح اجسام المرضى بالفتنح بعد موتهم اثبت تضخم الغدة النخامية والجهاز العصبي السمبتاوي لديهم . وفي عام ١٩٢١ قام كل من ايفانز ولونج بحقن بعض الفئران بخلاصة الفص الامامي للغدة فظهرت عليها اعراض الفتنح .

اما علاج هذا المرض فلا تُجد فيه الادوية والعقاقير . وقد حاول بعض الاطباء استعمال اشعة اكس ونجح البعض الآخر باستئصال ورم الغدة النخامية بواسطة العمليات الجراحية ، وهي عمليات تحتاج الى مهارة فائقة ودقة متناهية بسبب موقع الغدة في وسط الجمجمة .

هذا ما يحدث عند تضخم الغدة النخامية وزيادة نشاطها وافرازها . فاذا حدث العكس ، اي لم تستطع الغدة النخامية انتاج الكمية الكافية من هرمون النمو قبل البلوغ اصبح الانسان قزما ويدعى مرضه بالقزمية النخامية (Nanisme hypophysaire) (شكل ٢) وهو يصيب جميع اعضاء الجسم بحيث تكون كلها صغيرة ولكن متناسبة القياس وهذا النوع نادر جداً وقامته لا تزيد على المتر الواحد .



(شكل ٢) القزم النخامي

٢ – الغدة الدرقية (LA TYROIDE)

وتقع الغدة الدرقية عند قاعدة العنق على القصبة الهوائية من الامام وفي اسفل الحنجرة لونها مائل الى الصفرة وتتألف من فصّين صغيرين بينهما برزخ ضيق . وتزن كلها من ٢٥ الى ٣٠ غراما (شكل ٣) .

وتتركب الغدة من خلايا كروية مجوفة تفرز سائلا غرويا يملأ تجاويفها وتحتوي هذه المادة الغروية على مقدار كبير من عنصر اليود وهي تختزن افراز الغدة الدرقية الزائدة عن حاجة الجسم.

(شكل ٣) الغدة الدرقية

وتدعى المادة التي تفرزها الغدة الدرقية والتي تنصب في الدم بالثيروكسين (La Thyroxine) وهي مادة غنية باليود تنتج عن حامض اميني هو الثيروزين (La Tyrosine) . ويزداد نشاط الغدة الدرقية في الاجواء الباردة وفي بعض الفترات الخاصة في حياة الانسان كفترة المراهقة وفترة الحمل .

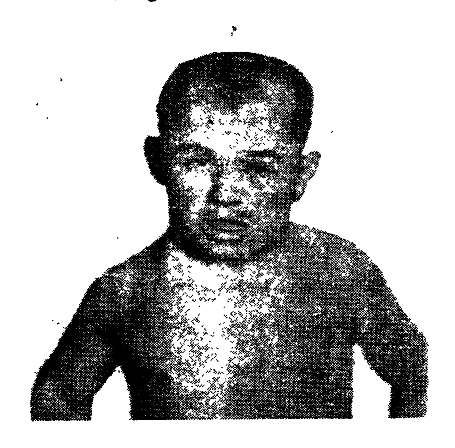
فاذا نقص مقدار الثيروكسين عن النسبة الطبيعية ادى ذلك الى اختلال النمو فاذا احدث هذا النقص اثناء الطفولة وقبل البلوغ سبب ذلك توقف نمو العظام طولا توقفاً تاماً . ولكن تنمو بعض العظام بالعرض وتعرف الحالة بالقزمية الدرقية واعراضها رأس كبير الحجم منحن مسنم من الخلف جسم صغير جبهة ضيقة اجفان وشفاه غليظة وفم مفغور دائما ، جلد متورم عنق قصير ووجه منتفخ سيماه تدل علي البلاهة بطء في الدورة الدموية والتنفس وضعف العظام وآلام شديدة في الجهاز الهضمي .

والحالة العقلية للمريض محدودة جداً حتى ان بعض الاقزام في سن الثلاثين يشبهون في تفكيرهم طفلا في الخامسة .

ونقص افراز هرمون الغدة الدرقية (Hypothyroïde) يُحدث عدة امراض وحالات ندرس منها.

اولا : المكسيديما (La myxœdèmie)

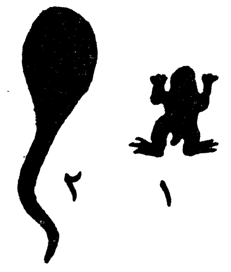
اذا حدث النقص في افراز الثيروكسين عند الرجل البالغ ينتج عن ذلك اضطرابات قد تؤدي الى المرض المعروف بالمكسيديما او الاذيما المخاطية (Œdème) (شكل ٤) وقد كان الطبيب الانجليزي جول اول من وضع اعراضه عام ١٨٧٣ وكان اول من وجه انظار العلماء الى علاقة هذا المرض بالغدة الدرقية ، ثم ظهرت هذه العلاقة واضحة عند قيام بعض الباحثين بتجارب على الحيوانات فان انتزاع الغدة الدرقية من يرقات الضفادع يمنع تحولاتها ولا يسمح لها ان تصبح ضفادعاً كاملة . وبالعكس ، فإذا حقنا يرقة ضفدعة بالثيروكسين فإن ذلك يعجل بتحولها الى ضفدعة ونحصل عندذاك على ضفدعة قزمة (شكل ٥) .



(شكل ٤) مريض بالمكسيديما

ومن الملاحظ ان مرض المكسيديما يصيب السيدات اكثر من الرجال في العقد الرابع من العمر وهو في المناطق المعتدلة المناخ اكثر منه في المناطق الحارة وهو نادر الوقوع بين الجنس البشري الأسود .

والنقص في الهرمون الدرقي الذي ينتج عن هذا المرض يؤدي الى ضعف الوظائف الجسدية والعقلية على اختلافها فمن الناحية الجسدية فان اهم اعراض المرض هي التغيرات التي تصيب جلد المريض ، اذ يبدأ جلد الجسم بالانتفاخ ببطء ، واكثر ما يكون الانتفاخ في الوجه ، وتنتفخ الجفون وتتورم الأيدي والأرجل بسبب تراكم المواد المخاطية (Œdéme) في الأنسجة وتحت الجلد الذي يصبح جافاً جداً . ويتساقط الشعر والرموش والحواجب وتضعف الاسنان وتتقلع



(شكل ٥) تأثير الثيروكسين على تحولات الضفدعة .

١ — يرقة متحولة بتأثير الثيروكسين
٢ — يرقة عادية لها نفس العمر

وتجف الأظافر وتتشقق ، ويصاب القلب بانتفاخ واضطراب الحركة كما يضعف النبض وتقل سرعته وتنخفض حرارة الجسم قليلا فتقل مقاومة المريض للبرد .

اما من الناحية العقلية والنفسية فتظهر على المريض علامات الغباء وعدم القدرة على التفكير كلما تقدم المرض؛ كما تتجمد عاطفته ولا يعود يهتم بما يدور حوله وتضعف ذاكرته وتنهار أعصابه .

هذا وقد يصاب المريض ؛ بضعف في العضلات فلايستطيع المشي والوقوف الا بصعوبة. وتضعف الناحية الجنسية عند المرضى من الجنسين ، ومعظم المصابات بهذا المرض عقيمات لا يطمئن .

وتعالج هذه الحالة بإعطاء المرضى خلاصة هرمون الغدة الدرقية (الثيروكسين)اومادة (الثيرويدين) وتحضر بتجفيف الغدد الدرقية للاغنام في درجة حرارة منخفضة ثم بطحنها وصنعها بشكل اقراص يتناولها المرضى عن طريق الفم . وقد اعطى العلاجان نتائج حسنة . وهناك ايضاً بعض المستحضرات الاخرى التي تستخدم بنجاح في علاج هذا المرض .

ثانياً : تضخم الغدة الدرقية او الغواتر (Le goitre simple)

عُرف مرض الغواتر منذ ازمنة بعيدة ووضعت له اسباب خيالية بعيدة عن الصحة حتى جاءت سانت لاجر عام ١٨٦٧ واعتمد الرأي القائل بأن ماء الشرب هو سبب هذا المرض لنقص عنصر اليود فيه . وأثبت بعض الباحثين من بعده ، بشكل قاطع ، ان هناك علاقة كبيرة بين انتشار تضخم الغدة الدرقية وبين نقص عنصر اليود في التراب والمياه والاغذية . ومن الأغذية الغنية جداً باليود السمك لذا نرى ان البلاد البعيدة عن البحار ينتشر فيها تضخم الغدة الدرقية اكثر من غيرها كسويسرا مثلا . وقد يظهر التضخم في بعض الأطفال إذا كان الغذاء الذي تتناوله الأم لا يحتوي على اليود فيولد الطفل ، والحالة هذه ، بغدة درقية متضخمة عاجزة عن افراز الهرمون فإذا أعطي للطفل أغذية تحتوي على اليود فإن ذلك يعيد الى الغدة حجمها ونشاطها العادي .

الا انه لوحظ في بعض الحالات انها نشأت في بيئة غنية بعنصر اليود والسبب يرجع الى بعض العوامل الاخرى التي تتدخل ومنها :

١ ــ الميكروبات التي قد توجد في مياه الشرب . وقد قال بالنظرية الميكروبية بعض الباحثين من أمثال همبولدت وفيركو وهيرش .

٢ ـ التغذية الخاطئة : فالغذاء اذا احتوى على كمية كبيرة من الدهن والكالسيوم فان هاتين المادتين تقللان من قدرة الأمعاء على امتصاص اليود فلا تصل الكمية المناسبة منه الى الغدة الدرقية فيحدث التضخم .

٣ ـ الوراثة : فقد ظهر ان الاشخاص يختلفون في قابليتهم للاصابة بالغواتر من فرد لآخر بالرغم من انهم يعيشون في نفس البيئة والظروف الحياتية .

٤ ـ وقد يؤثر الغذاء الذي لا يحتوي على كميات كافية من الفيتامينات على وظيفة الغدة الدرقية .

واعراض الغواتر هي انتفاخ الغدة الدرقية تدريجياً او دفعة واحدة في بعض الحالات . وهذا الانتفاخ يسبب عسر التنفس وربما ادى الى الموت بسبب الضغط الشديد على القصبة الهوائية وأعصاب الحنجرة . ويصاب المريض بالصداع وخفقان القلب .

اما المعالجة فتتم بإعطاء المريض جرعات صغيرة من اليود او بمستحضرات الغدة الدرقية الا انه يجب الاحتراس الشديد عند اعطاء هذه الكميات حتى لا يصاب المريض بزيادة افراز الغدة الدرقية وامراضها . وفي حالة فشل هذين النوعين من العلاج يلجأ الطبيب الى عملية جراحية .

ثالثاً : البلاهة (Crétinisme)

وهي من الامراض الناتجة عن نقص في افراز الغدة الدرقية (hypothyroide) واكثر ما ينتشر هذا المرض في المناطق الجبلية كجبال الالب والهيمالايا والبرانس وجبال المانيا ، ويوجد ايضاً بدرجة اقل في امريكا وفنلندا وروسيا . وكان من المظنون انه لا يصيب الا الأطفال ولكن فاجي اثبت عام ١٨٧١ انه قد قد يصيب الأشخاص البالغين ايضاً .

ويؤثر هذا المرض في العظام ، فهي لا تنمو نمواً كاملا فتستطيل بعض العظام اكثر من البعض الآخر . فتكون عظام الجذع مثلا اكبر من عظام الأطراف . وتتقوس السلسلة الفقارية وتتشوه المفاصل ثم يندلق البطن فيزيد في التشويه وهكذا يصبح المريض قزماً صغير الجسم غير متناسق الاعضاء والتركيب .

والمريض في الحالات البسيطة يستطيع ان يمشي الا انه لا يستطيع المشي في الحالات الحادة فيزحف زحفاً على الأرض .

ومن الأعراض الأخرى للبلاهة الكسل والخمول وفقد الشهية والإمساك ، وتراكم المواد الدهنية في اعالي الفخذين وفي انحاء الجسم عامة ، وانخفاض قاعدة الأنف ، وتضخم اللسان

واتساع الفم وانفتاحه الدائم ، وجفاف الشعر مع تجعده والتسنين المتأخر وتسوس العظام والشعور بالبرد . كما يقاسي المرضى من بعض الاضطرابات القلبية كتضخم القلب وضعف عضلاته ، ويظهر عندهم فقر الدم (الانيميا) ولا ينمو الجهاز التناسلي لديهم كاملا . ولا تنتظم وظائفه .

وسمي مرض البلاهة بهذا الاسم لأن المريض يصاب بغباء شديد . فهو لا يعود يدرك ما حوله من الأحداث ولا يتأثر بالعوامل والمؤثرات الخارجية ولا يعود يسترعي انتباهه شيء ما . وهكذا لا يدري المريض من امر نفسه شيئاً واكثر ما يعنيه هدوء غير عادي وراحة ونوم مستمر عميق .

ولمعالجة البلاهة تؤخذ مستحضرات الغدة الدرقية بطريق الفم . وبصورة عامة فانه كلما ابتدأ العلاج باكراً كان الأمل بتحسن الحالة اكبر . الا ان بعض الحالات قد تستثني من ذلك . ويستمر العلاج طول الحياة ، والتحسن الجسدي في حالة المريض اكثر ظهوراً من التحسن العقلي والنفسي .

زيادة افراز الغدة الدرقية (Hypertrophie)

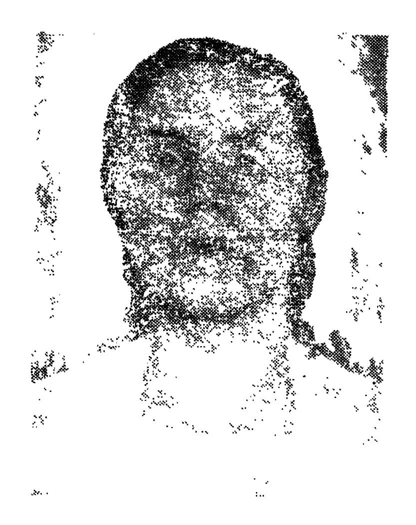
وكما ان النقص في افراز هرمون الثيروكسين يؤدي الى الأمراض التي ذكرت ، فإن زيادته يؤدي الى اعراض امراض غير طبيعية . فاذا حدثت هذه الزيادة في سن مبكرة فان ذلك يؤدي الى سرعة النمو واذا حدث ان اعطينا غلاماً يافعاً كميات كبيرة من هرمون الثيروكسين فان نبضه يسرع ، ويزداد نشاط جسمه واحتراق المواد الآزوتية فيه فتنقص كمية الجليكوجين (glycogène) المختزنة في الكبد ، وكذلك تنقص كمية المواد الدهنية تحت الجلد او تنعدم تماماً .

مرض جرافز : وهذا اكثر امراض الغدة الدرقية شيوعاً ، وينشأ عن زيادة في افراز هذه الغدة . ودعي بهذا الإسم نسبة الى جرافز الذي وصف المرض بصورة عامة سنة ١٨٣٥ وقد سبقه الى ذلك فلاجاني عام ١٨٠٢ ثم قام الباحث بسيدو بإعطاء وصف دقيق شامل لأعراض هذا المرض عام ١٨٤٠ وكان اول من ذكر ان جحوظ العينين من الامراض الهامة التي تميز المرض . ولذلك يدعى هذا المرض احياناً (مرض بسيدو) .

ثم جاء زونديك عام ١٩٤٣ فذكر ان هذا المرض قد ينتقل بالوراثة وانه يصيب السيدات اكثر من الرجال ، ولا تظهر اعراضه الا بعد البلوغ وان كان بعض الاطفال قد

اصيب به في حالات نادرة (شكل ٦) .

اما اعراضه فمنها اضطراب الدورة الدموية في الجسم وخفقان القلب واحتقان الدم والنبض واحمرار الوجه دون دافع او سبب . ومن اعراضه ، كما ذكرنا ، جحوظ العينين تدريجياً كما قد يحدث الجحوظ فجأة في بعض الحالات فتتغير هيأة المريض تغيراً كبيراً يدعو الى الدهشة في فترة لا تتجاوز يوماً واحداً . ويختلف مقدار الجحوظ من مريض الى آخر فقد يكون يسيراً لا يدركه الا الطبيب الماهر وقد يصل الى درجة كبيرة تضفي على المصاب مظهراً من مظاهر الرعب . ولا يتأثر المريض نفسه عادة بهذا الجحوظ الا انه قد يسبب احياناً اضراراً بالغة فيزداد الضغط على العين، وقد تتكون قرحة في قرنيتها ، وتخرج العدسة من مكانها ، وتلتهب انسجة العين بالإجمال . وقد يصيب المرض عيناً دون الاخرى .



(شكل ٦) مصابة بمرض جرافز

وهذا الجحوظ يقاوم بدرجة ملحوظة كل انواع العلاج . فبينما تختفي اعراض المرض الاخرى عند المعالجة الدقيقة نرى ان الجحوظ يظل على حاله .

ومن الاعراض الاخرى كذلك ضعف العضلات فتصبح اليد والاصابع غير قادرة على الامساك بالاشياء ، كما تتخاذل الارجل عن حمل الجسم فيقعد المريض .

والاجراء الحاسم لهذه الحالة هو اجراء عملية جراحية يتأصل منها جزء مناسب من الغدة الدرقية المتضخمة ، وقد يكون التضخم من الامام فيظهر مرض جرافز واضحاً ، وقد يكون من الجانبين او من الخلف بحيث لا يظهر التضخم من الخارج وهذا مما يجعل تشخيص المرض صعباً .

صيدا رشيد وهبي

صيدا في أواخر القرن التاسع عشر

بقلم زيد الزين

وصف لنا غبريال شارم في كتابه « رحلة الى سوريا » انطباعاته عن عدة بلدان زارها في اواخر القرن التاسع عشر . وانه لمن الممتع ان نرافق الرحالة لنتصور كيف كانت بلادنا في ذلك التاريخ بنظر رحالة اجنبي .

يقطع المرء المسافة بين صور وصيدا وسط ذكريات تاريخية اهمها مغائر عدلون والموقع الشهير الذي حارب فيه الصليبيون الملك العادل وغير ذلك من المواقع التي تلفت نظر رجال الآثار اكثر مما تلفت نظر رحالة عابر . ومما يستدعي الانتباه تلك الطريق التي كان يقوم بتشييدها مدحت باشا حاكم سورية آنذاك لتصل صيدا بدمشق . اذ من العجب ان ينهمك العمال بهذه الطريق مع وجود طريق بين بيروت ودمشق ، ولقرب صيدا من بيروت تكون هذه الطريق عبارة عن زيادة في النفقات . لكن الحقيقة هي ان الطريق لا تخلو من حسنات ، لأنها تخترق قسماً من بلاد حوران حيث يمكن تصدير القمح بسهولة .

وهنا يتابع هذا الرحالة مناقشة مدى ضرورة هذه الطريق التي رأى عدم جدواها فعاودته الذكرى الى ما كتب عن مدحت باشا بأنه حاكم من الطراز الاول . ولا يمكن لمثله ان يصادق على اشغال غير مجدية بتاتاً ، بعكس مرافقه الذي رأى على ان مدحت باشا كان تركياً مثل الباقين ينجرفون وراء المظاهر البراقة دون ان يعتنوا بالجوهر . اما رأي العمال الذين كانوا ينفذون الاعمال فهو انه كانت هنالك مجاعة تهدد السكان . فوجد مدحت باشا ان يداويها باستخدام سكان صيدا في فتح الطريق ، ولم يتلق هؤلاء اجراً يذكر لقاء عملهم بل ان العمل نفسه ينسي الجوع . وقد فرض مدحت باشا على سكان كل حي من احياء صيدا تنفيذ قسم من الطريق . فنفذ البعض وقاوم البعض الآخر والنتيجة كانت كما كان متوقعاً جسور متفرقة وطرق صغيرة مبعثرة دون ان يصل بينها اي رابط . ومهما يكن من نتيجة هذه الطريق فلا بد وانها آلت الى العدم بعد استدعاء مدحت باشا من سورية .

استنتج الكاتب من هذا المثل كيف كان مدحت باشا مفوضاً في سورية آنذاك . وشأنه

اكثر مواطنيه في ادارته للبلاد ، مع انه اظهر مقدرة سياسية فائقة اثناء وجوده في اوربة فالدور الذي لعبه قبل الحرب التركية الروسية اعطى بلاده نتائج حسنة . فمدحت باشا في سورية تغير تماماً عما كان هو نفسه في القسطنطينية وفي بلغاريا حيث لقي اعجاباً كبيراً بشخصه غير انه في سورية اراد ان يكون مثل الظاهر والجزار وينشيء لنفسه سورية مستقلة ، فلجأ الى قوة كبيرة تسانده : انكلترا ، بشخص اللورد بيسكونفيلد الذي شجعه على فكرته وذلك عن طريق إدخال المشاريع الانكليزية لاستثمار البلاد ، وإحلالها مكان المؤسسات الفرنسية ، فطالما ان شركة فرنسيـــة التزمت طريق بيروت الشام ، صمم مدحت باشا على أن يشتري الأراضي التي تخترقها طريق صيدا الشام باسمه وبيع معظمها الى الرأسماليين الإنكليـــز . ان هذه الفكرة لو تمت لأحرز مدحت باشا كسباً سياسياً كبيراً لكنه لم يبق حاكماً على سورية وفقد اللورد سكونفيلد سلطته .

لقد كانت حسنات المباشرة بهذه الطريق انها أفسحت مجالا أمام السعي وراء الآثار التي ظهرت بعد الحفريات واستفاد اهالي صيدا في ذلك الحين من تجارة سدت رمق الكثيـرين فأصبحوا يعملون ساعات متواصلة للعثور على الآثار التي تدر الثروة خاصة بعد بعثة رينان الذي سهل كثيراً طرق العثور على الآثار .

كانت صيدا من أهم البلدان الفينيقية وفي الأصل انها بلدة الصيادين كما يدل عليها اسمها المشتق من تصيد ، واسسها بعل إله اليونان ، اما مرفأها الشهير منذ القدم ، فانه متكون من طبقة صخرية ممتدة من أقصى الشمال بشكل متواز بطول يبلغ مئات الأمتار . غير انه كان مغموراً بالرمول في ذلك الوقت وليس له فائدة تذكر . غير ان سهل صيدا الذي يخترقـــه نهر الأولي مغطى بالبساتين البديعة التي أعطت الى صيدا نعت صيدا المزدهرة . فهي تستحق هذا النعت لأنه لم يبق من عظمتها الغابرة سوى الاخضرار الذي يكسو اراضيها والأزهار التي تنتشر روائحها الذكية في كل بقعة من بقاعها والأشجار الجميلة التي تملأ مقابرهـــا . كما وان البلدة نفسها جميلة كبقية المدن العربية التي لم يمح البناء الحديث رواسب ماضيها الجميـــل وتعلوها قلعة كبيرة من أيام الصليبيين وشوارعها واسعة وحيطانها قويـــة ، وخان الفرنج الذي جعل منه فارس دارفيو في القرن السابع عشر مركزاً للتجارة التي أسسها بـــين سوريا وفرنسا ، كل هذه المعالم تعطيها ميزة هذه المدن الشرقية النادرة التي لم تبعدها فكرة التطور بعد والتي لا تزال آثار العرب والفينيقيين ظاهرة في كثير من امكنتها .

في ساعة من ساعات التأمل والتفكير عندما عدت الى غرفتي الصغيرة في خان الفرنج جالت في خاطري اشياء كثيرة عن الانطباعات التي تركتها في مخيلتي هذه الأرض التي مررت بها لمدة وجيزة . ولم تكن صيدا آخر بلدة فينيقية أزورها . فبيروت ، بيروت القديمة وجبيل بيبلوس اليونانيين وطن الآلهة الكبرى وارواد حيث تفيض بيوتها بالسكان كلها من ضمن برنامج الرحلة ، غير انه من بيروت ينسى الإنسان الآثار القديمة اذ تطغى الحياة الحديثة على كل ما عداها . اما صيدا فهي اول بلد عرفها اليونان وجاء وقت لقب جميع الفينيقيين بالصيداويين . واذا ظهرت فيما بعد بلدتان منافستان لها ارواد وصور ، فانه من المعروف انه انطلقت من صيدا ثورة قضت على مدنيات الشرق القديم الملكية والعسكرية لتحل محلها مدنيات متحررة تعتمد على التجارة كان لها تأثيرها في خلق مدنية الغرب .

في امسية حالمة في خان الافرنج حيث يأوي الانسان باكراً الى بيته في بلدة صيدا جلس هذا الرحالة ليسترسل في وصف المدنية الفينيقية من خلال مشاهداته للشوارع الداخلية التي تؤلف اليوم صيدا القديمة ، ومن مجالسته لقسم كبير من السكان الذين جعلوا من البحر باب رزقهم اذ لم يجد ما يصفه للقارىء في صيدا سوى القلعة والمرفأ وطريق مدحت باشا . على انه انتقل الى ما لفت نظره اكثر شيء في هذه المنطقة «المتاولة» الذين جاءوا الى سورية مع الهجرات التي تبعت الفاطميين في مصر . لقد وصفهم بأنهم ذوو مقدرة فائقة ، وانهم من اكبر مناصري الملك الظاهر . في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر قطنوا في سهل البقاع وفي القسم الأكبر من المساحة الموجودة بين صيدا ووادي الأردن . ووصفهم بأنهم اذكياء وعمليين وشجعان صداقتهم ثمينة وعداوتهم خطرة . انهم من طائفة الاسلام الشيعة الذين قاوموا العثمانيين مقاومة جبارة وقطنوا الأراضي الممتدة من صور الى صيدا وفي جزين في ظل زعمائهم الاقطاعيين ونظراً لصلابتهم فقد كان الموظفون الاتراك يعاملونهم بقساوة وشراسة .

يعتقد الكاتب ان الصفات المتأصلة في المتاولة تعود الى وقت طويل . فقد شيد هؤلاء الاشداء بلدة صور على شبه جزيرة تستدعي الانتباه للزائر الذي يشاهدها قبل ان يصلها بمسافة طويلة لكنه لا يمل من النظر اليها . وعندما يصل يجد الصيادين الذين يلقون بشباكهم في البحر وترجع دائماً مليئة بالأسماك ، والطعام اللذيذ الذي يقبل عليه الداخل الى صور هو السمك ، خاصة عند غياب الشمس حيث تتطلع الى منظر تحسب فيه بأن صور عبارة عن بناء

ضخم وسط حريق هائل .

يرجع اصل صور الى السنة ٢٧٥٠ في وقت الاحتلال الكنعـــاني حيث رموا بالرعاة في مصر . ولم تحتل مركز الصدارة بين المدن الفينيقية الا بعد مدة طويلة عندما خسرت صيدا اهميتها السياسية ومن آثارها بقايا كاتدرائية صليبية قائمة على عامودين ضخمين وفي داخـــل الكنيسة ردم هنا وخراب هناك حيث نلاحظ رؤوس العواميد وبعض العواميد المحطمة منها اثنان بحالة حسنة وبوزن ضخم حتى ان الجزار حاول عبثاً نقلها الى مسجده في عكا . وهنا لا بد من القول بأن الصليبيين محوا كثيراً من الآثار القديمة التي كانت لهـــا قيمـــة كبرى . فكاتدرائية صور بنيت على قبر اوريجين حيث دفن فريدريك بربروسا وفي المكان الذي توج فيه جان بريان ملكـــا على القدس . حتى ان المنقبين ذهبوا الى ابعد من ذلك واعتبروا ان هذا المكان هو جزء من معبد ملكارت . ولو لم تعبث به ايدي الصليبيين لفتح مجـــالا لحقائق تاريخيه دفينة كانت أثرت تأثيراً كبيراً في مجرى الحوادث التاريخية .

تأثر الكاتب بذكريات جبل لبنان فاسترسل بالحديث عن وضع الجبل واعتبر الامير بشير سليل العائلة الشهابية من أقدر الأمراء والذي ذاع صيته في كل مكان اذ علم العـــالم كيف قدر هذا الامير ان يحكم بلداً تعددت طوائفه . فكان للجميع وصهر الجميع في بوتقـــة واحدة حول شخصه الساحر القوي . وجندت تركيا كل قواها لمحاربته كما حاربت ابراهيم باشا حليف الامير بشير . ويمكن تسمية عهد الامير بشير بأنه من افضل العهود التي عرفها الجبل فقد قدر ان يحمي الجميع دون ان يقوي فئة على اخرى وكان يحمل ضمـــيراً وطنيـــاً صرفاً فلا يعمل الا ما يتطلبه منه الوطن وما يمليه عليه الواجب بل كان انسانـــاً قـــدم نفسه قرباناً للوطن فصمد في وجه مختلف التيارات التي حاولت ايذاءه وتغلب عليها فتسجل اسمه في التاريخ .

ومن الجدير بالذكر ان الباب العالي وافق في سنة ١٨٦٤ على جعل الجبل متصرفية خاصة يحكمها حاكم مسيحي برتبة مشير يعين من الباب العالي ويتبعه مباشرة ، يسكن الحاكم في بيت الدين غير انه يقضي معظم اوقات الشتاء في الحدث قرب بيروت ويتمتع بصلاحيات واسعة اذ يشرف على النظام والسلام في الجبل ويعين جميع الموظفين الاداريين والقضاة ويحصل الضرائب ويؤمن تنفيذ جميع الاحكام القضائية .

تقسم المتصرفية الى سبع مديريات يحكمها معاون الحاكم وكل مديرية تقسم الى اقاليم على

رأس كل اقليم موظفون يعينهم الحاكم ويقسم كل اقليم الى عدة قرى يحكم كل قرية شيخ ينتخب من الشعب . ويوجد مجلس ادارة مركزي بجانب الحاكم مخول بوضع الضريبة ومراقبة النفقات واعطاء رأيه في جميع المسائل التي يعرضها عليه الحاكم ، ويتألف من اثني عشر عضواً يعينون من قبل المديريات . يتولى القضاء في القرى الشيوخ الذين يحلون محل قاضي الصلح ، وفوقهم ثلاث محاكم بدائية مؤلفة من ثلاثة أعضاء من مختلف الاقاليم وتستأنف الاحكام الى مجلس القضاء الاعلى الذي يجلس عند الحاكم والمؤلف من ستة قضاة من مختلف الطوائف . ويتولى المحافظة على الامن فرقة ميليشيا مؤلفة من ثمانماية رجل ومن اربعمئة دركي .

هذه انطباعات رحالة زار بلادنا في القرن الماضي نقلتها الى القارىء الكريم على فيها عظة وعبرة .

زيد الزين

شرار الناس

قال رسول الله : الا انبئكم بشرار الناس ؟

قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده ، ثم قال : الا انبئكم بشر من ذلك ؟

قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : من لا يقيل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنبا ، ثم قال : الا انبئكم بشر من ذلك ؟

قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره .

ثم قال : الا انبئكم بشرمن ذلك ؟

قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : من يبغض الناس ويبغضونه .

رثاء المنصور

لما دفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال : رحمك الله يا امير المؤمنين ، وغفر لك فقد كان لك حمى من العقل ، لا يطير به جهل ، وكنت ترى باطن الامر بمرآة من الرأي ، كما ترى ظاهره .

الشاعر أبو القاسم الشابي

بقلم خضر عباس الصالحي

وفي نغم هادىء حزين ، مطمئن الى النصر ، وفي انطلاقية مشرقة ، وفي صرخة الثائر الواعي الذي تقمصه المحتوى القومي المتفجر ..! قال :

اين يا شعب قلبك الخافق الحسا	س اين الطموح ، والاحلام
اين يا شعب روحك الشاعر الفنـ	ان ؟ اين الخيال والالهام
اين يا شعب ، فنك الساحر الخـ	لاق اين الرسوم والانغام
إن يمّ الحياة يدوي حواليك	فأين المغامر المقدام
اين عزم الحياة لا شيء الا المـ	وت والصمت والأسى والظلام
عمر ميت ، وقلب خواء	ودم لا تثيره الآلام
وحياة ، تنام في ظلمة الوا	دي وتنمو من فوقها الأوهام

* * *

قد مشت حولك الفصول وغنتـ	ك فلم تبتهج ، ولم تترنم
ودوت فوقك العواصف والأنـ	واء حتى أوشكت أن تتحطم
وأطافت بك الوحوش وناشتـ	ك فلم تضطرب ولم تتألم
يا إلهي ، أما تحس ؟ اما تشدو	اما تشتكي ؟ اما تتكلم
مل نهر الزمان ايامك الموتى	وانقاض عمرك المتهدم
انت لا ميت فيبلى ولا حي	فيمشي ، بل كائن ليس يفهم
ابداً يرمق الفراغ بطرف	جامد ، لا يرى العوالم مظلم
اي سحر دهاك هل انت مسحور	شقي ؟ او مارد يتهكم

* * *

آه ! بل انت في الشعور عجوز	فيلسوف ، محطم في إهابه
مات شوق الشباب في قلبه الذا	وي وعزم الحياة في اعصابه

فمضى ينشد السلام بعيداً في (قبور الزمان) خلف هضابه
وهناك اصطفى البقاء مع الأموات في (قبر امه) غير آبه
وارتضى القبر مسكناً تتلاشى فيه ايام عمره المتشابه
وتناسى الحياة ، والزمن الداوي وما كان من قديم رغابه
فالزم القبر فهو بيت شبيه باك في صمت قلبه وخرابه
واعبد (الأمس) واذكر صور الماضي فدنيا العجوز ذكرى شبابه

* * *

واذا مرت الحياة حواليك جميلا ، كالزهر غضاً صباها
تتغنى الحياة بالشوق بالعزم فيحيي قلب الجماد غناها
والربيع الجميل يرقص فوق الورد والعشب ، منشداً تياها
ومشى الناس خلفها ، يتحلون جمال الوجود في مرآها
فاحذر السحر ايها الناسك القديس ان الحياة يغوي بهاها
والربيع الفنان شاعرها المفتون يغري بحبها وهواها
وتمل الجمال في رمم الموتى ! بعيداً عن سحرها وصداها

* * *

واذا هبّت الطيور مع الفجر ، تغني بين المروج الجميله
وتحيي الحياة والعالم الحي بصوت المحبة المعسوله
والفراش الجميل رفرف في الروض ، يناجي زهوره المطلوله
وافاق الوجود للعمل المجدي وللسعي ، والمعاني الجليله
ومشى الناس في الشعاب وفي الغاب وفوق المسالك المجهوله
ينشدون الجمال والنور والافراح والمجد والحياة النبيله
فاغضض الطرف في الظلام وحاذر فتنة النور فهي رؤيا مهوله
وصباح الحياة لا يوقظ الموتى ولا يرحم الجفون الكليله

* * *

كل شيء يعاطف العالم الحي ويذكي حياته ويفيده
والذي لا يجاوب الكون بالاحساس عبء على الوجود وجوده
كل شيء يساير الزمن الماشي بعزم حتى التراب ودوده

كل شيء – الاك – حي عطوف يؤنس الكون شوقه ونشيده
فلماذا تعيش في الكون يا صا ح أو ما فيك من جنى يستفيده
لست يا شيخ للحياة بأهل انت داء يبيدها وتبيده
انت قفر جهنمي لعين مظلم ، قاحل ، مريع جموده
لا ترف الحياة فيه فلا طي ر يغني ولا سحاب يجوده

* * *

انت قلب لا شوق فيه ولا عز م وهذا داء الحياة الدوي
انت دنيا ، يظللها افق الما ضي وليل الكآبة الأبدي
مات فيها الزمان والكون الا أمسها الغابر ، القديم ، القصي
والشقي الشقي في الأرض قلب يومه ميت ، وماضيه حي

ويتمنى ان يكون حطاباً يقتلع بفأسه جذوع اليأس ، أو سيولا تهدم القبور ، او رياحاً تطوي كل ما يخنق الزهور ، او شتاء يغشى بغرسه الأشجار التي أذبلها الخريف ، اوعواصف تلهب نيران الثورة في أعماق شعبه ، فيقول :

ايها الشعب ليتني كنت حطاباً فأهوى على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول اذا سالت تهد القبور رمساً برمسي
ليتني كنت كالرياح فأطوي كل ما يخنق الزهور بنحسي
ليتني كنت كالغشاء ، اغشى كل ما اذبل الخريف بقرسي
ليت لي قوة العواصف يا شعبي فألقي اليك ثورة نفسي

وقال :

لا ينهض الشعب الا حين يدفعه عزم الحياة اذا ما استيقظت فيه
والحب يخترق الغبراء مندفعاً الى السماء إذا هبت تناديه
والقيد يألفه الأموات ما لبثوا اما الحياة فيُبليها وتبليه

وقال :

كل قلب حمل الخسف وما ملّ مل ذل الحياة الأرذل
كل شعب قد طغت فيه الدما دون ان يثأر للحق الجلي
خله للموت يطويه ! فما حظه غير الفناء الانكل

وقال :

ان الحياة صراع فيها الضعيف يداس
ما فاز في ماضغيها الا شديد المراس

وقال :

واليأس موت ولكن موت يثير الشقاء
والجد للشعب روح توحي اليه الهناء
فان تولت تصدت حياته للبلاء

وقصيدته « ارادة الحياة » بلغت حد الكمال الفني ، في تأليفها بين الفكرة والصورة ، ووصل الترابط العضوي بين الصور الى أوجه ، وأفصحت بوضوح عما في طياتها من ابداعات وخصب ، وهي مثل ممتاز للفظة الموحية ، ونقل الصور الشعرية الى الذهن ، وصدق الرؤيا الفنية الذي يحمل القارىء على الإحساس العميق بأنه امام شاعر ، وشاعر عبقري لا يشق له غبار ...!

والشيء الرائع في القصيدة ، هو هذا الوعي الصاعد نحو المحتوى الإنساني ، نحو النضج الشعري الصافي ...! الشعر الحي النابع من صميم الوجدان ، الشعر الذي كلما انشدناه نتحسس ان شيئاً جديداً يتوغل في نفوسنا ، فيستثير فينا الإعجاب ، الشعر الذي نستلهم منه الشجاعة والعزم والتصميم ، ويدفعنا الى الكفاح والطموح والعمل ، وينثر في أعماقنا بذور التفاؤل والثقة والأمل ... ويحبب لنا الحياة ، ويدعونا الى النضال من اجلها ، من اجل حياة حرة كريمة ...!

والشاعر يعتقد جازماً بأن الشعب قوة لا تقهر ، وارادة لا تهزم ، وكلمة لا تموت ! ومن خطل الرأي ان لا يحسب الحكام المستبدون لشعوبهم اي حساب ، فيحكمونها بالنار والحديد ، ولكن الشعوب البطلة بالمرصاد لهؤلاء الجلادين الذين يشيدون سلطانهم المزيف على أشلاء الضحايا ، وجماجم الشهداء ، اذ لم يلبث ان ينفجر بركان حقدها الدفين فيصب حممه الجارفة على الشقاة المجرمين فيمحي أثرهم من الوجود ، ويجعلهم عبرة الدهر الخالدة ...!

لقد أصبحت هذه القصيدة شعاراً وطنياً خالداً يرفعه كل مناضل مؤمن بحق شعبه ...! واضحت اغنية تنطلق من حناجر الثوار وهم يخوضون غمار الكفاح الوطني المقدس في سبيل اقامة مجتمع اسعد خال من كل اشكال الاستغلال والاستثمار .

وهي من روائع الشعر في ادبنا العربي المعاصر ، اذ يتجلى فيها ايمان قوي بالمستقبل الزاهر وثقة عظيمة لاحد لها بالشعب ، وسخط عارم على الجمود ، والوقوف في وجه التطور :..!

فيقول :

اذا الشعب يوماً اراد الحياة ... فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلي ... ولا بد للقيد ان ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة ... تبخر في جوها واندثر
كذلك قالت لي الكائنات ... وحدثني روحها المستتر
ومن لا يحب صعود الجبال ... يعش ابد الدهر بين الحفر
فعجّت بقلبي دماء الشباب ... وضجّت بصدري رياح أخر
وأطرقت أصغي لقصف الرعود ... وعزف الرياح ووقع المطر
وقالت لي الارض لما تساءلـ ... ـت يا ام هل تكرهين البشر
أبارك في اهل الطموح ... ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان ... ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حي يحب الحياة ... ويحتقر الميت مهما كبر
فلا الافق يحضن ميت الطيور ... ولا النحل يلثم ميت الزهر

* * *

وفي ليلة من ليالي الخر ... يف مثقلة بالاسى والضجر
سكرت بها من ضياء النجوم ... وغنيت للنهر حتى سكر
سألت الدجى ، هل تعيد الحياة ... — لمن أذبلته — ربيع العمر
فلم يتكلم فؤاد الظلام ... ولم تترنم عذارى السمر
وقال لي الغاب في رقة ... محببة مثل خفق الوتر
يجيء الشتاء ، شتاء الضباب ... شتاء الثلوج ، شتاء المطر
فينطفىء السحر ، سحر الغصون ... وسحر الزهور ، وسحر الثمر
وتهوي الغصون واوراقها ... وازهار عهد حبيب نضر
ويفنى الجميع ، كحلم بديع ... تألق في مهجة واندثر
وتبقى البذور الـتي حملت ... ذخيرة عمر جميل غبر
وذكرى فصول ورؤيا حياة ... واشباح دنيا تلاشت زمر

معانقة وهي تحت الضباب ... وتحت الثلوج ، وتحت المدر
لطيف الحياة الذي لا يمل ... وقلب الربيع الشذي الخضر
وما هو الا كخفض الجناح ... حتى نما شوقها وانتصر
فصدعت الارض من فوقها ... وابصرت الكون عذب الصور
وجاء الربيع بأنغامه ... واحلامه وصباه العطر
وقبلها قبلا في الشفاه ... تعيد الشباب الذي غبر
وقال لها : قد منحت الحياة ... وخلدت في نسلك المدخر
وباركك النور فاستقبلي ... شباب الحياة وخصب العمر
ومن تعبد النور احلامه ... يباركه النور انى ظهر
اليك الفضاء ، اليك الضياء ... اليك الثرى ، الحالم ، المزدهر
اليك الجمال الذي لا يبيد ... اليك الوجود ، الرحيب النضر
ورفرف روح ، غريب الجمال ... بأجنحة من ضياء القمر
ورن نشيد الحياة المقدس ... في هيكل ، حالم قد سحر
وأعلن في الكون : ان الطموح ... لهيب الحياة ، وروح الظفر
اذا طمحت للحياة النفوس ... فلا بد ان يستجيب القدر

وتوغل الشاعر في اعماق النفس البشرية ، وصوّر احلامها وصبواتها ، وعبّر عن أدق المشاعر الإنسانية ، وبعد ان اكتسب مزيداً من الثقافة والتجربة والخبرة ، وتزوّد بالإدراك والمعرفة والفهم العميق ...!

فقال :

ما قدّس المثل الاعلى وجمله ... في اعين الناس الا انه حلم
ولو مشى فيهمو حياً لحطمه ... قوم ، وقالوا بخبث انه صنم
لا يعبد الناس الا كل منعدم ... ممنع ولمن حاباهمو العدم
حتى العباقرة الافذاذ جسمهم ... يلقى الشقاء وتلقى مجدها الرمم
الناس لا ينصفون الحي بينهمو ... حتى اذا ما توارى عنهمو ندموا
الويل للناس من اهوائهم ابداً ... يمشي الزمان وريح الشر تحتدم

وفي قصيدته « الصباح الجديد » اجاد الافصاح عن افكاره الخيرة ، وصاغ اناشيده الجميلة ببراعة فائقة ، وآسبغ على قصائده رونقاً جميلا ، واصالة فنية ، وكساها بكلمات ذات

ايحاءات زاخرة بتداعي الافكار ، وغاص في لجج الفكر واتى بالرائع من المعاني النادرة ، وقدّم للقارىء العربي شعراً مبتكراً مليئاً بالفيوض العاطفية التي تتدفق في كل صوره ،شعراً متوهجاً بالإيمان ، متألقاً بالامل ، مشحوناً باللمسات الانسانية والوجدانية ،حافلا بالدعوة الى الحياة المتفتحة ، ونبذ كل بواعث التشاؤم والركود واليأس القاتل ..!

ولم تكن القصيدة غير اشراقة من اضواء الشاعرية المبدعة ، يندمج فيها مع جمالات الحياة التي تشيع النشوة في كل عرق وعصب منه ، حيث صورها البديعة تتواثب حوله :

انها تتميز بامتزاج الافكار والآراء بالالفاظ ، وارسال النفس على سجيتها ، وانسجام الموسيقى ، وانتقاء الكلمات الملحنة الموحية ، ورشاقة في الاسلوب ، ودقة في التعبير ، فيقول :

اسكتي يا جراح واسكني يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
واطل الصباح من وراء القرون

* * *

في فجاج الردى قد دفنت الالم
ونثرت الدموع لرياح العدم
واتخذت الحياة معزفاً للنغم
اتغنى عليه في رحاب الزمن

* * *

واذيب الاسى في جمال الوجود
ودجوت الفؤاد واحة للنشيد
والضيا والظلال والشذا والورود
والهوى والشباب والمنى والحنان
في فؤادي الحبيب معبد للجمال
شيدته الحياة بالرؤى والخيال
فتلوت الصلاة في خشوع الظلال
وحرقت البخور وأضأت الشموع

* * *

ان سحر الحياة خالد لا يزول
فعلام الشكاة من ظلام يحول
ثم يأتي الصباح وتمر الفصول
سوف يأتي ربيع ان تقضى ربيع

* * *

من وراء الظلام وهدير المياه
قد دعاني الصباح وربيع الحياه
يا له من دعاء هز قلبي صداه
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع

* * *

الوداع الوداع يا جبال الهموم
يا ضباب الاسى يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي في الخضم العظيم
ونشرت القلاع فالوداع الوداع

وهكذا يستمر الغناء عذباً ندياً ، وعلى هذا النسق من الابداع المذهل يظل شعر ابي القاسم الشابي ينبض بالطلاقة الفنية ، يموج بالصور المترعة بالحياة الضاحكة ..! وقد ادرك انه خلق طليقاً كطيف النسيم ، حراً كنور الضحى ، مغرداً كطير الربى ، ليمرح بين ورود الصباح ، وينعم بنور الشمس الدافىء فمن الخزي والعار ان يرضى بذل القيود ، ويستكين للضيم ، ويحني الجباه للطغاة المعتدين ، ويسكت في نفسه صوت الحياة القوي المجلجل ، ويطبق اجفانه عن رؤية ضوء الفجر الوهاج ، ويقنع بالعيش بين الكهوف ، وتحت اطباق الظلام تستحوذ عليه حالات الاستسلام والتوجس والخوف ..!

وفي ألفاظه مهموسة الرنين ! يقول :

خلقت طليقاً كطيف النسيم وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير اين اندفعت وتشدو بما شاء وحي الإله
وتمرح بين ورود الصباح وتنعم بالنور : اني تراه

وتمشي كما شئت بين المروج ... وتقطف ورد الربى في رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود ... والقتك في الكون هذي الحياه
فما لك ترضى بذل القيود ... وتحني لمن كبلوك الجباه
وتسكت في النفس صوت الحياة الـ ... قوي اذا ما تغنى صداه
وتطبق اجفانك الناعسات ... عن الفجر ، والفجر عذب ضياه
وتقنع بالعيش بين الكهوف ... فأين النشيد واين الاباه
أتخشى نشيد السماء الجميل ... أترهب نور الفضا في ضحاه

وقال :

ترجو السعادة ياقلبي ولو وجدت ... في الكون لم يشتعل حزن ولا ألم
خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً ... في كفها الغار او في كفها العدم

خضر عباس الصالحي

كلمة عدل

« ان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يقربان من أجل ، ولا ينقصان من رزق وافضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر » .

خمس خصال في الجاهل

كان يقال : خمس خصال تكون في الجاهل : الغضب في غير مغضب ، والكلام في غير نفع ، والعطية في غير موضع ، والثقة بكل أحد ، والا يعرف صديقه من عدوه .

المنصور والشاب الهاشمي

دخل شاب من بني هاشم على المنصور فسأله عن وفاة ابيه ؟ فقال : مرض أبي رضي الله عنه يوم كذا ، ومات رضي الله عنه يوم كذا ، وترك رضي الله عنه من المال كذا، ومن الولد كذا !

فانتهره الربيع بن يونس (وكان يغمز في نسبه من جهة أبيه) : بين يدي أمير المؤمنين توالي بالدعاء لأبيك !

فقال الشاب : لا ألومك لأنك لم تعرف حلاوة الآباء !

قال : فما علمنا ان المنصور ضحك في مجلسه ضحكاً قط .

فافتر عن نواجذه الا يومئذ .

طرائف سنغالية

بقلم ابراهيم حاوي

من صميم الواقع

ما للقريض مباعدي ولطالما   زاولت درس اصوله وفروعه
عاشرته عمري ولما ينقضي   ومضى وخلفني غريب ربوعه
اعيَ علّي وكم سهرت لياليا   فيه وكم عالجت من موضوعه
انا حائر والشعر مثلي حائر   هل يُلقى او أُلقى انا في رُوعه
لا الوحي يأتيني ولا انا ناهل   يوماً غداة الشعر من ينبوعه
فاذا نظمت فانني متكلف   شعراً اقيت المر في تصنيعه
وإذا قعدت فمن وساوس خاطري   نار تحرق خافقي بضلوعه
ولرب قافية بقيت مسهّداً   ليلي بها لم اتنعم بهجوعه
ولقيتها من بعد طول غيابها   لقيا حبيب القلب بعد رجوعه
وطفقت امنحها بحسن رعايتي   جهد الحريص غداة رعي قطيعه
ولشد ما أخشى ذئاب بني الورى   ولكم رأيت مغرراً بخشوعه
يلقاك اذ يلقى بجبة راهب   ورع وسيف الغدر خلف دموعه
ما في صحابك واحد تختاره   ولو اصطفيت الكون في مجموعه
واضر ما تجني صداقة طامع   لكع اناط الرزق في مطموعه
يوليك ود الطامعين مداهناً   ما دمت باق دائماً في طوعه
واذا وهنت فأنت في مفهومه   عبد له اضحى يضن بريعه
خل كهذا لا تبيت بهمه   وتذود فيه الخطب قبل وقوعه
قابله ما قابلت غير مبارك   وابذل قصارى الجهد في توديعه

كولك ـ السنكال   ابراهيم حاوي

بحث في علم الحروف

قطب الحروف

بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميز العابد من المعبود

بقلم : عيسى عبد الحميد الخاقاني

نظرة في المنهج الدراسي ـ علم الحروف وفواتح السور ـ تركيب الحروف عربي واعجمي ـ تركيبات عربية ـ قطب الحروف ـ غلو محض ـ النقطة قوام الحروف ـ بالباء ظهر الوجود ـ في ظلال الحروف الاخرى ـ كلمة حاسمة

نظرة في المنهج الدراسي

في فتق كل يوم أجلس مبكراً (مرهقاً من مراجعات المساء التي لولاها لأغضن علي ولدام غضوه) لأحضر للمقابلة والبحث في بعض المدارس العلمية ، ولألقي بعض (المحضرات) في المنطق على بعض الأخوان ، والشوق يحسني على ذلك وعلى حضور بعض البحوث الاخرى ، لابتداء الدراسة على الرغم من العقبات الشائنة التي تأخر لأجلها برهة من الزمن .

والذي لفت نظري وتركني أفكر في ثورة لازمة على تصفية المنهج الدراسي ، تمشياً مع الوقت الذي يفرض ذلك ، وتأييداً لبعض الأعلام لما هو في هدف القيام بثورة بيضاء حول الجامعة ومنهجها ووضع التعديلات عليه من حيث المواد ، والرواد . مع الإعتناء بالكيف وغض النظر عن الكم . ان الذي أثار انتباهي هذا هو اطلاعي على بعض الكتب التي حملت اسم المنطق في ظاهرها ودست الغلو والترهات والزخارف في طيات صفحاتها ثم

فغت بين كل المراجعين الطلبة والناشئين الذين يتلقون كل شيء يلقى عليهم ، او يجدونه مكتوباً عندهم . مع غفلة من الأساتذة الكرام الذين أخذوا على عاتقهم توجيههم ، والتزموا بتلقينهم المطالب العلمية بعقيدتهم ، عن ان يحظروا عليهم ما ليس ينفعهم ، ليصلحوا الى الفذ المشرق المجيد ، وليميزوا بين القشر واللباب ، وبين الحقيقة والجزاف ليتمكنوا من معالجة المشاكل الاجتماعية ، ويطبّوا جيلهم من الأدواء المتلاحقة ، وليستعدوا للوقوف امام المستوردات الإجرامية التي تتسرب الى جسم الإسلام كجرثومة الكُليرا ، وارجوان يغنصوا من ذلك .. فان بعضاً لم يتوجهوا الى هذه النقاط والنكات في مجال التعليم .

علم الحروف وفواتح السور

ذكرت بعض الكتب المنطقية (١) وبعض ما علق عليها (٢) وما استمدت منها (٣) وغيرها ان للحروف علوماً عظيمة وأسراراً جسيمة لا يتحملها الا الخواص ، ولا يتوصل الى اعماق اغوارها ومغزاها الا اهلها ، ولمفرداتها اسرار وحكم .

واذا أحببنا ان نطلع على هذا العلم يلزم ان نعرف مشربه ومما ينحدر . وبعد التمحيص نرى ان الذي حدا بهم الى هذا فواتح السور القرآنية حيث تخيلوا فيها الخيالات ، واجتهدوا ما شاءوا واكتشفوا من بينها هذا العلم النافع بنظرهم ، وادعوا ان لكل حرف ــ فضلا عن خواصه ــ خداماً ، واملاكاً واياماً .

الحروف نورانية وظلمانية

ذكروا ان الحروف تنقسم الى نورانية وظلمانية ، والاولى هي فواتح السور القرآنية ، والثانية : ما تقابلها . وانت اذا حذفت المكررات من فواتح السور تصبح لديك الحروف النورانية مجتمعة في هذا التركيب (صراط على حق نمسكه) (٤) .

تركيب الحروف عربي واعجمي

تنقسم الحروف ــ حسب تركيبها ــ الى قسمين الأول (الابثي) وهو عربي لأنه يرمز الى حروف الهجاء التي اولها الألف وآخرها الياء . وسبب تسميتها بهذا الإسم رواية يرفعونها الى النبي ﷺ لما سئل (عن حروف المعجم فقال : هي الف ، باء ، تاء ، ثاء) الـخ (٥)

(١) اللئالىء المنتظمة ص ١٠ .
(٢) تعليقة رشيقة للاستاذ الاشتياني ص ١٣٩ و ١٤٠ .
(٣) شمس المعارف الكبرى للبوني ج ٣ ص ٣٠٤ وما بعدها.
(٤) ذكر ذلك بعض التفاسير وقلده صاحب التعليقة ص ١٣٩ وغيره كثير .
(٥) شمس المعارف ج ٣ ص ٣٠٤ واللئالىء ص ١٠ .

وفي هذه الحروف (اسرار جميع الكتب والصحف المنزلة وزيادة عليها) . الثاني (الأبجدي) وهو اعجمي (فانها سريانية نزلت على آدم وادريس ونوح وموسى وعيسى) وفي هذه التراكيب اسرار غريبة ايضاً !

تركيبات غريبة

ولهم تركيبات اخرى للحروف تقتبُّ التفكير وتغطي الحقيقة . نذكرها استطراداً من دون تعليق على شيء منها لعدم الفائدة وللحرص على وقت القارىء الكريم منها : الاحتسى والأدضكى ، والأجنذى ، والأسبعى . والمسعى . وهذا التركيب لم يطلعوا عليه أحداً .
ومنه ما يجمع الحروف العنصرية فللنار (اهمط فشذ) وللهواء (بوينصتض) وللماء(جزكس قثظ) وللتراب (دح لع رخغ) ولها اعراب فالفتح للأولى والضم للثانية والكسر للثالثة والجزم للرابعة ، وهكذا (الايقفى) و (الملقوطي) و (المسروري) و (الملبوني) ولكل شرح ألوينا عنه !

قطب الحروف

(الألف) هو القطب الأول ومداد الحروف واولها وكذلك هو اول العددوأولمرتبة في تقسيم الحروف على العناصر . (وقد سموا ذلك وصنفوه في مجلدات ذات جداول مختلفة وكلهم على الحق من مذهب الأخذ عنهم) (١) وهو مختص بالذات الاقدس تعالى ; لأنها مقومة لجميع الحروف وبمنزلة الأصل والمادة لها) .

بسط الألف وبينته : وله بسطان بسط عددي وبسط حرفي ومن جليل قدره وعمق سره ان توافق بسطه العددي وهو (احد) مع بسطه الحرفي وهو (الف) وكان اول الاختراع واول عدد واول عنصر النار ولهذا جعلت له القوة الأزلية . والسر في كونه نارياً يشرحه لنا صاحب شمس المعارف ج ٣ ص ٣٠٥ طبعة رابعة : (هو ان القلم لما امره الله ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وضع رأسه على اللوح فساح منه نقطة من النور ثم ساح منها الالف . فهذا السر كان نارياً . واول عنصر النار وابتداؤه الالف الشريف الذي هو الله بالإجماع (٢) .

---

(١) شمس المعارف ج ٣ ص ٣٠٤ واللئالىء ص ١٠ .

(٢) يستشم من هذا الكلام العقيدة المجوسية بصورة واضحة : بل لعل ما قاله الاستاذ محمد علي الزعبي في حق صاحب شمس المعارف في المجلد ٥١ العدد ٤ من العرفان الغراء ص ٣٤٧ من انه (صابئي) صحيح وان لم اقع على ما يعضد هذا ويسنده غير مغيباته وخرافاته ، والعجب — او لا عجب — ان هذا الكتاب قد ضبع بمعرفة (لجنة من افاضل علماء مصر) !؟

غلو محض

اما بيّنة الالف التي يتقوم بها فانها مطابقة لاسم علي بن ابي طالب . ومعنى ذلك ان العدد الابجدي لكلمة الف بإسقاط (الالف منها) يساوي العددالابجدي لكلمة (علي) بإضافة ان الحركات التي على الالف مطابقة لحركات (علي) !!
اذن لها ظاهر وهو (الف) وباطن وهو (علي) .

ويشتد الغلو في بحث الالف بالنسبة لعلي امير المؤمنين «ع» . حتى يخرجوه مما هو عليه وراء الحدود والماهيــات (١) . فتعمقوا وقالوا : « الالف مقوم الحروف ، وهي مقوّم الكلمات والكلمات مقوم الآيات وهي مقوم السور وهي مقوم الكتاب التدويني (يعني القرآن الكريم) الذي هو صورة الكتاب التكويني (اي ما خلقه الله تعالى) . فعلي الذي هو نفس محمد ﷺ باطن كل شيء بباطنية الحق تعالى » (٢) .

النقطة قوام الحروف

وكما ان الالف هو حرف الذات الاقدس ، فالنقطة هي الانبساط الممتد على جميـع الحروف . وبانبساطها حصلت الالف ، وهي كامنة في الحروف كلها ولها ملكوت وسر وذلك هو الالف . والنقطة ايضاً هي (حقيقة الوحدة الصرفة السارية في جميع الاعداد) وهي صورة الاحدية الذاتية والهوية الإلهية الغيبية التي هي هوية الحق تعالى والمعبود المطلق ومن هنا قيل (بالنقطة تميز العابد من المعبود) !

بالباء ظهر الوجود

يعتبر (علماء) الحروف !! ان للباء شأناً عظيماً بعد الالف . واطلقوا عليها اسم(حرف العقل الاول) وذلك لتشبيه الالف بالله ، وانه تعالى اول ما خلق العقل الاول ــ بناء على

---

(١) ان امير المؤمنين هو الانسان الذي امتاز على الغير ــ من قبل ومن بعد ــ بنصبه اماماً لهذه الامة، وعلماً لها . فحسب . وانه واولاده الاطهار سفن النجاة باتباع مسلكهم الاسلامي ووسطاء الله في التشريع اي لولاهم لما عرف الشرع والاحكام وهذا لا يخرجهم عن كونهم بشراً مثلنا اطاعوا الله فنالوا الرتب العالية مع استعداد ذاتي وقرب ماهوي اهلهم لقيادة الامة . والاعتقاد بأكثر من هذا محق وضلال . وقد قال علي (هلك في اثنان !!) .

(٢) تعليقة الاستاذ الاكبر الاشتياني ص ١٣٩ ، ونحن نجل هذا الحكيم البارع والورع التقي عن الغلو او الاعتقاد بما هو خلاف الحق ، وذكره لهذا وامثاله في كتابه لا ينهض دليلا على انه من معتقداتـــه . وهو اعرف بما يقول .

نظرية ان الواحد لا يصدر منه الا الواحد ! ـ ولهذا التشبيه صور منها ان الباء تلو الالف والعقل تلو الحق تعالى . وانها اول حرف يلفظ بها في القرآن (كما ان العقـل الاول اول موجود تجلى به الحق تعالى في القرآن) . وان عددها هو اول مراتب الاعداد ، بناء على ان الواحد ليس من الاعداد . وانها الزوج الاول الذي حصل من امتزاج نور الوجوب مـع ظلمة وهمية امكانية لكن مع غلبة النور وخفاء الظلمة ، واستنارتها وجوداً . ومن هنا تعرف معنى القول (بالباء ظهر الوجود) .

ثم انهم يعضدون زعمهم برواية مؤولة ،حسب ما ينسجم ومايقصدون،هي،عن علي «ع» كثر ذكرها في جملة من الكتب « ظهر الموجودات عن باء بسم الله (او جميع القرآن في باء بسم الله) وانا النقطة تحت الباء » . قالوا ان علياً سارٍ في جميع الاشياء سريان النقطة في جميع الحروف .

ولا شك ان امير المؤمنين اراد الإشارة الى علمه الكثير ان صحت هذه الرواية .! وانه يحيط بعلوم القرآن .

في ظلال الحروف الاخرى

وعلى ما تقدم ، فلا يستغرب ما ذكروا للحروف الاخرى من معان وأسرار عجيبـة . وقد اختص كل مخلوق بحرف من الحروف كالسين للانسان ، والنون للتعين الاول والثاني والقاف للقلب والقلم والقدرة ، والطاء لمحمد ﷺ وهكذا ، مما تفنن بـه البوني في شمس معارفه وغيره ، ومن اتبعه على هذا !!

كلمة حاسمة

اما بعد ، فلا بد من ان نقول كلمة في الموضوع ، وان ظهرت جلية في غضون البحث ومضامينه .

كل شيء ، وكل علم لا بد من ان يشفع بالدليل ، والدليل اما حسي او عقلي ، ليصح ان يسمى علماً وان يدرج في قائمة العلوم . والعلوم الاسلامية لا بد من رجوعها الى الادلة الاربعة المعروفة على سبيل منع الخلو . والعلم الذي لا تمتد اسلاك انواره اليها لا يعتبر علماً بل يصح ان يطلق عليه (بدعة) . وتنطبق لوازمها عليه ، وعلى من جاء به ! وعلم الحروف وخواصه المذكورة لم تساعد عليه الادلة ، فليس في الكتاب آية تشعر بذلك . وفواتح السور

وان اختلف في تأويلها الا ان حلها من البساطة بمكان وذلك بإرجاعها الى ما يطابق العقل والوجدان وتقرها الفطرة ، فهي اما من (المتشابه) الذي لا يجوز لاحد التعرض لها اذ لا يعلم تأويله الا الله . ولم نلزم بالتأويل . واما انها تشير الى عظمة القرآن ومعجزته الخالدة في معرض التعجيز من ان ماهية هذا القرآن ليست الا حروف ومع ذلك لا يقدر الجن والانس على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وليس في السنة تعرض الى ذلك ولا ايماء . وما ذكر عن امير المؤمنين من انه قال ـ على ما قيل ـ : « ظهر الموجودات عن باء بسم الله وانا النقطة تحت الباء » فقد ذكرنا المراد منه .

والعقل ، وان لم يعتبر (علم الحروف) مستحيلا ، الا انه دليل بشرط شيء ، لا انه لا بشرط . اذ ليس له التشريع والجعل ، بل له الإرشاد والإراءة . وعدم الاستبعاد منه لا ينشىء دليلا . ولا ينشأ منه برهان !

ومهما يكن من شيء فان للحروف اهمية اذ هي الوسيلة الى التفاهم ، والتخاطب واداء المعنى الذي لا يتم الا بها وبها تبرز المعاني اما بالمطابقة او التضمن او الالتزام ، ويظهر فيها حسنها وقبحها لفنائها فيها ، وهي احدى الآيات الإلهية التي تفضل بها على بني الإنسان لتفيدهم في مجالات التفاهم (ومن آياته اختلاف ألسنتكم) .

واما ان بعض تراكيب الحروف الابجدية يطابق بعض الاشياء ، او يستخرج منها جملات خاصة فذلك من باب الاتفاق الذي لا يصلح لان يركز عليه ويركن اليه ، اذ ان العارف بتركيب الابجد يمكنه ان يكوّن الجمل الكثيرة حسب ما يريد ثم يدعي المدعيات العشوائية ، كما عمل (البهاء) المجنون الذي حدا به ذلك الى ان دعى الناس الى الاعتقاد بأنه المهدي المنتظر ثم دعاهم الى الاذعان بنبوته وجاء بكتاب ملؤه الخزي والهوان ، ثم تأله وصار الله في الارض !! وقد عول على حساب الابجد حيث ركز عليه فقهه ومواريثه فضل واضل . ثم ساعدت السياسة على ترميم هذا المزعم ، فشكا المجتمع من الحزب البهائي المنفور الاجرامي المأجور .

قم ـ ايران ـ الجامعة الاسلامية عيسى عبد الحميد الخاقاني

الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الازهر

كان لنعي الفقيد الكبير المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر اثره الحزين البالغ في العالم العربي والاسلامي على اختلاف مذاهبه .. وذلك ان وجوده كان مبدأ لتاريخ جديد في التقرب بين المسلمين شيعهم وسنيهم ، عربهم وعجمهم ، ثائراً على الماضي البغيض ، المتعصب .

فمن الامور المعلومة انه كان عضواً عاملا منذ سنة ١٩٤٧ في دار التقريب بين المذاهب الاسلامية ، هو واستاذه الشيخ عبد المجيد سليم ، وكان بينه وبين علماء النجف وكربلاء وايران وجبل عامل صداقات ومراسلات ، وما ان اسندت اليه مشيخة الازهر ، حتى عمل جاهداً ، لتدريس الفقه الجعفري في الازهر الذي كان له اطيب الاثر في الصفاء والاخوة ، وجمع كلمة المسلمين .

اما فتواه الخالدة بجواز التعبد بالمذهب الجعفري ، فلم يسبقه اليها سابق من علماء المذاهب الاربعة ، وايسر ما تدل عليه هذه الفتوى هو المعرفة الصادقة للحق ، والايمان به ، والاخلاص له ، وعدم الاكتراث بالرجعيين والمتعصبين .. ننشرها بنصها ، ليطلع عليها قراء العرفان ، وقد جاءت جواباً عن سؤال ولم تتعرض لهذه الفتوى او لم تنشرها اية صحيفة . وبعد الاجابة ارسلها لسماحة العلامة المخلص الشيخ محمد تقي القمي سكرتير دار التقريب الذي يعود اليه الفضل في افساح المجال ، وتمهيد السبيل للشيخ شلتوت ، ومن اليه من الطيبين العاملين ، كالعلامة الاديب الشاعر الشيخ محمد محمد المدني ، وسائر اعضاء الدار الكرام .

مكتب شيخ الجامع الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى التي اصدرها السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية

قيل لفضيلته :

ان بعض الناس يرى انه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح ان يقلد احد المذاهب الاربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على اطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مثلا .

فأجاب فضيلته :

١ ـ ان الاسلام لا يوجب على احد من اتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : ان لكل مسلم الحق في أن يقلد بادىء ذي بدء اي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحاً والمدونة احكامها في كتبها الخاصة ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل الى غيره ـ اي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

٢ ـ ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب اهل السنة .

وينبغي للمسلمين ان يعرفوا ذلك ، وان يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، او مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس اهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

محمود شلتوت

السيد صاحب السماحة العلامة الجليل الاستاذ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية

سلام الله عليكم ورحمته أما بعد فيسرني ان ابعث الى سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضائي من الفتوى التي اصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية ، راجياً ان تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الاسلامية التي اسهمنا في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

هذا وقد جاءنا من فضيلة العالم الاديب الشيخ عبد الحليم الزين كلمة قيمة عن فضيلة الاستاذ الاكبر ننشرها هنا لانها وردت متأخرة .

محمود شلتوت العالم والمصلح والمجاهد

واجه العالم الاسلامي وهو في غمرة احتفالاته الروحية بذكرى الاسراء والمعراج نبأوفاة

الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر بالذهول والاسى . واحس كل مسلم بمدى الخسارة والنكبة تحل بحياته الروحية اذ تفقد قائدها الموجه ومصلحها وفيلسوفها الديني المعاصر .

والجامع الأزهر وهو المركز العالمي للثقافة الإسلامية والتوجيه الروحي يفقد اليوم – كما فقد من قبل كبار قادته – شيخه الأزهري الكبير وعقله المفكر وقلبه النابض .

وقد كان الشيخ شلتوت مركز الثقل في حركة الجامع الأزهر وحياته : عنه تصدر الفتوى في نطاق التشريع والفقه ، والمقالة في نطاق التوجيه والإرشاد ، والمؤلف في مجال التربية والتثقيف ، والرسالة في مجال العلاقات الإسلامية العليا ، والنشرة في حدود التبليغ والهداية ، والتقرير في مجال التنظيم والادارة ، والحديث في نطاق الوعظ والتوجيه .. وهو الى جانب ذلك شيخ المسلمين ومرجعهم الروحي اليه تتطلع ملايينهم طالبة الرأي الاسلامي السديد في الحادثة او الواقعة او الامر الجلل

وهو العالم الديني المفكر الذي فلسف الدين كما فلسف الحياة وأبرز بأفكاره النيرة مدى الصلة الوثيقة بينهما وبين الاسلام كدين وكنظام . وتناول بجرأة بحوثاً كادت تغمرها ذهنية الخوف والتردد ، وعالجها بهدي القرآن الكريم الذي ارتكزت عليه كتاباته ومؤلفاته التي تميزت باسلوب علمي فريد وتعبير بلاغي واضح .

وفي نطاق الازهر الشريف نشأ عالماً دينياً تآلفت نفسه ونخبة كريمة من علمائه ربطها العلم والدين والهدف الاسلامي البعيد يحدوها الطموح الى اعلى الرتب الروحية في الاسلام وبعد حياة مليئة بالجهاد العلمي والاعداد الموفق لمثل هذا المركز الروحي الكبير اختارته هيئة كبار العلماء رئيساً لمشيخة الجامع الازهر سنة ١٩٥٨ .

وقد مارس مشيخة الجامع الازهر بروح وذهنية جديدة رائدة قوامها :

١ – الفهم العميق لفلسفة الانسان الحديث الذي يعيش عصره الصناعي بكل اتجاهاته المادية وقلقه وشكوكه .

٢ – الادراك الواعي لأوضاع العالم الاسلامي المتخلفة ومدى مايتحكم فيها من رواسب التاريخ وتقاليده التي شوهت الاسلام والمسلمين .

٣ – معالجة الواقع الازهري القديم ومحاولة تطوير المناهج على اسس علمية منظمة ليصبح جامعة ازهرية لها شخصيتها الاسلامية وطابعها العلمي المعاصر .

٤ ــ تعديل مناهج البحث العلمي بإدخال الاسلوب المقارن بين العلوم بما يشمل مذاهب الفقه والفكر الاسلامي .

٥ ــ مساندة الحركات التحريرية لشعوب آسيا وافريقيا ومؤازرة حق تقرير المصير للشعوب المستعبدة .

٦ ــ محاولة توحيد المسلمين على أساس تنمية الروابط والعلاقات الاسلامية بين مختلف الدول الاسلامية .

٧ ــ التقريب بين المذاهب الاسلامية بإصدار ـ فتوى التوحيد ـ التي اعلن عنها اعتبار المذهب الجعفري مع المذاهب الأربعة مذهباً اسلامياً صحيحاً يجوز الأخذ به والعمل على طبقه لدى جميع المسلمين .

وتعتبر هذه الفتوى اعظم خطوة توحيدية على صعيد وحدة الدين الاسلامي منذ فجر الاسلام .

لقد خسر العالم الاسلامي بفقد الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت العالم المصلح والفيلسوف الموجه الذي غاب قبل أوانه وترك آثاره العلمية وافكاره النيرة امتداداً لشخصيته وروحيته الاسلامية العملاقة .

رحمه الله وأسكنه فسيح جنانة وحشره مع الأئمة الابرار .

عبد الحليم الزين

ذو الوجهين

لما نصب معاوية بن ابي سفيان ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ، ثم يميلون الى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع الى معاوية ، فقال :

ــ يا امير المؤمنين ، انك لو لم تولّ هذا امور المسلمين لاضعتها ـ والاحنف بن قيس جالس ـ فقال له معاوية : ما بالك لا تقول ، يا ابا بحر ؟!

قال : اخاف الله ان كذبت واخافكم ان صدقت .

فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً . وأمر له بألوف . فلما خرج الاحنف لقيه الرجل فقال : يا ابا بحر ، اني لأعلم ان شر من خلق الله هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالابواب والاقفال ، فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت .

فقال الاحنف : ياهذا ، امسك عليك ، فان ذا الوجهين خليق الا يكون عند الله وجيهاً .

ليلة القدر

بقلم : هاني باز

في ليلة القدر والفرقان حليتها ... قد انزل الله فيها جوهر الحكم
على الرسول الذي ترجى شفاعته ... هادي الأنام النبي المصطفى العلم
أطل فجر من الاسلام فنشى ... نور النبوة بالايمان والشيم
اما الوصي فبدر التم طلعته ... هو الامام المحلي كعبة الامم
ابناء فاطمة المثلى ايتمتنا ... شمس الهداية والانوار في الظلم
قد ميّز الله بين الخلق عترته ... فحلقوا في سماء الفضل والقمم
ان الامام المفدى خالد ابداً ... ما دام كون وفيه ناطق بفم
نهج البلاغة بحر من لآلئه ... فيه الفرائد من معنى ومن كلم
شهر على الدهر فيه الخير مندفق ... وليلة القدر فيه اكمل النعم

الخالدون في سفر الوجود لا يحصيهم العد لكن الازمان نسجت على معظمهم عناكب النسيان ومنهم من تكاثفت عليه ظلمات العفاء فأصبح اثراً بعد عين .

اما القلة النخبة من هؤلاء الخالدين فقد اعجزت الادهار واستطالت بالبقاء على الفناء وبالخلود المتولد الجديد على الذكر العهيد التليد ومن النخبة الخلاقة الانبياء وورثتهم الاوصياء عليهم الصلاة والسلام .

جاء الاسلام فكان هداية ونوراً يحمل في ثناياه التجديد وتفجرت براكين ناره ونوره الوثنية والجاهلية فمحاهما وتبدد ظلامهما فاستحال نوراً وهداية فكانت نبوة محمد الامين سيد المرسلين وخاتمة انبياء رب العالمين صلى الله عليه وعليهم اجمعين .

ان الرسالة الاسلامية السامية أداها النبي العربي العظيم المصلح الانساني الفذ الذي لا تحصى فضائله وكانت هديته الخالدة وهدايته الباقية الثقلين كتابه الفرقان الكريم وعترته الطاهرة آل البيت الذين طهرهم الله من كل رجس ودنس وفضلهم على العالمين .

لكل دعوة سماوية نبي او وصي ولهذا قال عليه الصلاة والسلام . علي مني بمنزلة هرون من موسى : تبناه الرسول فكان سيفه القاطع ودرعه المانع اسلم صبياً وفدى الرسول بنفسه غلاماً يوم ائتمر به مشركو مكة .

اما في بدر فكان لواء النصر وفي احد سيف الاسلام وحصن الرسول ساعة انفضّ عن النبي المهاجرون والانصار فكان الامام يصول كالليث يميناً وشمالا فلا يثبت امامه احد . وقال جبريل يا رسول ان هذه لهي المؤاساة فقال الرسول انه مني وانا منه فقال جبريل وانا منكما فسمعوا صوتاً ينادي :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

ان الامام امة في رجل فهو بحر العلوم والبلاغة وبطل الهيجاء ومثال الرحمة والعفة والزهد والتسامح وكل ناحية من نواحي شخصيته الفذة كاملة وفي مثله صح قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

وهو الواحد هو ابو الحسن عليه السلام الذي كلما تقادم عليه الزمن يزداد جدة واشراقاً انه رجل الامة المثالي (السوبرمان) الذي لا تُبلي جدته الايام وكأن ابا الطيب عناه بقوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا بنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
لولا العقول لكان ادنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان

الامام تجسدت فيه المثاليات الانسانية وتباينت آراء الناس فيه وانقسموا الى فئات ثلاث الاولى احبته حتى العبادة والثالثة ابغضته جهلا وحسداً والثانية وهي المعتدلة الواعية عرفت كنهه واحلته المنزلة اللائقة به من الكرامة والجلالة والاحترام انه كالمحيط تستمد الدنيا منه ماء الحياة وهو من النبي الكريم كالقمر من الشمس تنعكس على صفحة نفسه السامية الصافية انوار النبوة فتستحيل الى اضواء تنير الابصار والبصائر وتنبعث حكمة وعلماً وبلاغة وحقاً قيل فيه :

ان كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق .

الانسانية عامة وابناء الضاد خاصة بحاجة ماسة الى الاستنارة والاستهداء بنور ابي الحسن

وهديه لا سيما في هذا الزمن المادي الذي تنكر للفضائل والمثاليات الروحية وانحرف اهله عن جادة الصواب الى مهاوي الجهل والضلالة فانحدروا الى دركها الاسفل وهم سعداء في شقاوتهم لا يحفلون الا بما يمت الى بطونهم ويملأ جيوبهم فأين هؤلاء الأشقياء من الامام علي كرم الله وجهه وهو القائل فيهم : يأتي على النـاس زمان لا يبقى عليهم من القرآن الا رسمـه ومن الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى سكانها وعمّارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تأوي الخطيئة .

اننا نعوذ بالله من هؤلاء الذين هم في عصرنا مطايا الشيطان وعبيد المادة .

ان المادة في الحياة وسيلة اوجدها الانسان لغاية هي تأمين حاجاته فقط ومتى تجاوزت هذا النطاق تنقلب شراً على الانسان الذي قوّمها ويصبح هذا الكائن صنمياً يقدس المـادة والطين وكأنه تناسى قول الشاعر :

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

والامام العظيم وصف الدنيا بقوله : والله ان دنياكم عندي لأهون من ورقة بفم جرادة تقضمها مالعليّ ونعيم يفنى ولذة لا تبقى : لقد كان عليه السلام اسخى الناس ما قال (لا) لسائل وكان يدعو اليتامى فيطعمهم العسل وأوقف أملاكه على المحتاجين والمساكين .وكان يسقي النخل بيده لبعض اليهود بأجر زهيد ويتصدق به على الفقراء .

وعن السيد سلمان الفارسي وهو المعدود من آل البيت النبوي الطاهر انه كان اميراً على المدائن بعد وفاة النبي ﷺ وكان سلمان يعمل بيده ويأكل ولا يأخذ من بيت المال شيئاً وكان عطاؤه خمسة آلاف فإذا خرج مع عطاء المسلمين أخذه وتصدق به على المحتاجين وكان يخص الامام بوده واحترامه وقد خطب فقال :

ايها الناس خذوا حديثي واعقلوه . الا واني لو حدثتكم بكل ما اعلم من فضائل علي ابن ابي طالب لقالت طائفة منكم : هو مجنون وقالت الثانية اللهم اغفر لقاتل سلمان . الا ان لكم لبلايا وخطايا وان عند علي علم المنايا والبلايا وميراث الوصايا وفصل الخطاب .

لقد تنكر الزمان لامير المؤمنين فرماه بأصحاب الدنيا فكادوا له ولكنهم باءوا فاشلـين خائبين طواهم الدهر نكرات وقذفهم في دياميس الظلمات وخلدت شمس الامامة في سماء الايمان والحكم والبلاغة يستنير بشعاعها الاولياء والمؤمنون ويستهدي بنورها الحكماء والادباء ويسترشد بأضوائها المصلحون والسياسيون . وبسقت شجرة الامامة السامية فاذا اغصانها

في السماء واصولها في الارض وتهدلت منها ثمرات الحكمة والايمان والعقل يانعة شهية فكانت رسائل اخوان الصفاء والفقه وفلسفة الفارابي وابن سيناء وابي العلاء . وسحر ابي الطيب وفارس الشهباء وسواهم وكانت الدولة الفاطمية العظيمة التي ملكت المشرق والمغرب وأغنت العقل والدين .

ان ما اوردته غيض من فيض وقطرة من بحر ومصداق لقول الرسول الاعظم انا مدينة العلم وعلي بابها قال الامام : كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه من ليس من اهله . وكفى بالجهل خمولا ان يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه . وما حوى العلم جميعاً احد ولو مارسه الف سنة .

عاش الامام عليه السلام عيشة الاوصياء وقضى فكان ولما يزل سيد الشهداء ولكنه حي خالد في قلوب المؤمنين الى يوم يبعثون هدانا الله بهداه وجعل فينا ولو جزءاً يسيراً من ايمانه وعلمه وتقواه واني اتوسل اليه تعالى ان يختم لنا جميعاً بالخير وان يعيد هذه الذكرى السعيدة العلية بقدرها وفرقانها وفطرها على جميع المواطنين باليمن والهناء .

عاليه هاني باز

الحنين الى الاهل والوطن

ذكر ان حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خرجت يوماً مع صاحبات لها فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام . فأعجبته ، فسأل عنها ، فنسبت له . فخطبها الى اهلها ، فزوجوه اياها بكره منها ، فسمعت يوماً منشداً ينشد :

اذا برقت نحو الحجاز سحابة ... دعا الشوق مني برقها المتيامن
احن الى تلك الوجوه صبابة ... كأني أسير في السلاسل راهن

فتنفست بين النساء فوقعت ميتة حنيناً الى أهلها ووطنها .

وصية اب لابنته

اوصى عبد بن جعفر ابنته وهي تزف فقال :

يا بنية ، اياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق . واياك والمعاتبة ، فانها تورث البغضاء . وعليك بالزينة والطيب ، واعلمي ان أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

الاعداء والاولياء

قد يبذل المرء ماله في اصلاح أعدائه ، فكيف يذهل عن حفظ أوليائه ؟!

الدين واثره في تهذيب النفوس *

بقلم : حسين معتوق

للدين الاسلامي تعاليم طيبة في موقف الانسان من دينه ودنياه ـ انه يتوجه الى القلب فيغرس فيه العفة والترفع ـ ويكرّه اليه الجشع والتطلع الى الدنيا بلهفة ـ ومن حق الدنيا علينا ان نعمل فيها بقدر ما يحفظ لنا الحياة على شرط ان لا نزيغ عن الجادة او نحيد عن سبيل الرشاد لان طلب الدنيا اذا تجاوز الحد أورث المذلة والهوان وأعقب القلق والعصيان الذي تفسد معه الضمائر ـ والانسان وان كان بفطرته ميسراً للخير إذا نظر اليها نظرة صحيحة استطاع الاحتفاظ معها بحرية الحركة نحو ما يريد ويواجه ولكنه في نفس الوقت قد خُلقت معه غرائز إذا تملكته ألقت على عقله حجاباً لا يعرف من الحياة معه الا ما يلبي غرائزه الحيوانية وميوله النفسية ـ وللفرار بنفسه مما يواجه من تلك الغرائز والنوازع. عليه ان يحكم الرقابة على نفسه ليردها الى الاعتدال في معترك هذه الحياة المائجة بالشرور والآثام .

ولذا جاءت تعاليم الدين متجاوبة مع فطرة الانسان التي فطره الله عليها ومتمشية مع ميوله وغرائزه فهو لا يمنعه عن استعمالها في حدودها المشروعة وانما يمنعه عن الانحراف معها والاندفاع وراءها ذات اليمين وذات الشمال ـ لانه ان اندفع وراءها واستجاب لنوازع الجسد التحق بفصيلة البهائم وإذا استجاب لنوازع الروح وأهمل مطالب الجسد تجرد من إنسانيته وفي هذا وذاك خروج عن حدود الانسانية وهذه الدنيا هي دنيا الناس لا دنيا الملائكة ولا دنيا الانعام .

فمهمة الدين إذاً إنما هي تصحيح إنسانية الانسان ولذلك حصنها بما يضبط به سلوكها في هذه الحياة لئلا تستبد به غرائز الشهوة فتورده موارد الهلكة وتضيّع عليه انسانيته ـ والانسان لا يخشى عليه في هذه الحياة من الارتفاع بروحه وإنما يُخشى عليه من الهبوط مع حيوانيته فاحتاج الى ما يذكره بحق الروح كي تحفظ لحياته الاعتدال والتوازن ـ وتلك هي النتيجة التي ترمي اليها العبادات وهي وإن اختلفت أهدافها إلا انها تلتقي عند شيء واحد ـ وهو تنبيه النفس الى ضرورة الاتصال بذلك الوجود الباقي ليحيا الانسان حياة تمتد آثارها إلى ما وراء هذه الحياة ـ وهو وإن كان في أصل خلقته ومبدأ تكوينه متصلا به عن طريق الروح لأن مبدأها نفحة منبثقة من روح الله ولذلك وضعها الدين حيث تطيب وتزكو لتنال

---

* وصل هذا المقال متأخراً وعلى كل حال كان مسك الختام .

حظها من الرضوان ونصيبها من الكرامة ولكنه أراد له أن يتصل به عن طريق العمل ليتمكن من ضبط أهوائه والحد من شهواته وذلك لا يكون الا اذا كان دائم الاتصال مع الله عن طريق العبادة لان هذه الصلة امتداد لتلك الصلة الروحية التي لا يطرأ عليها التغير والزوال - والعبادة في أعمق معانيها هي التي تنتهي الى اكتشاف انسانية الانسان في أرفع معانيها والمقصود أن يرتقي الانسان بعمله كما ارتقى بروحه لانه إذا اتصل بالله وعرف انه مصدر الكمال كان عليه أن يطلب الكمال في كل عمل يقوم به وذلك يستدعي أن يصلح نفسه ويصلح الحياة معها - والعبادة هي التي تتجلى فيها هذه الروح السامية لأنها ليست مطلوبة لذاتها وإنما هي وسيلة لغاية إنسانية فإن التعرف على الله لم يُقصد منه الا التعرف على إنسانية الانسان ليستقيم في حدود هذه الانسانية فلا يسلك بها طريق البغي والفساد ويستقيم مع أخيه الانسان فلا يعتدي على حق من حقوقه .

فالصلاة مثلا التي هي عمود هذا الدين والتي هي بمنزلة الاساس الذي تُبنى عليه حياة الانسان مع الله ومع الناس لم يكن الغرض من جعلها وسيلة لتطهير النفس من الفحشاء والمنكر إلا لتحقيق هذه الغاية ولم يكن طلب الهداية منه سبحانه إلى الصراط المستقيم مرتين في كل صلاة إلا للحصول على الاستقامة في أمور الدين وليس من الصراط المستقيم ترك الواجبات كما انه ليس من الاستقامة فعل المحرمات وهذا المعنى يستدعي أن تكون تلك الصلة التي حصلت للمصلي في داخل المسجد وقد بقي أثرها إلى خارج المسجد كي يكون مع الله حتى في ساعة العمل لان الله يأبى لخلقه أن تكون صلتهم به ساعة من نهار ثم يصنعون بعد ذلك ما تشاء لهم نفوسهم - ما قيمة الصلاة إذا لم تنظف مشاعر الانسان فتصبغها بشعور من هيبة الله - وما فائدتها إذا لم ينتسب صاحبها إلى التقوى ولم يكن توزيعها على تلك الاوقات المعينة الا تذكيراً للانسان بربه في تلك الفترات وتجديداً للعهد بتلك الصلة لئلا تضعف عند مزاولة أعمال الحياة .

وأما الزكاة فهي أثر لتلك الاستقامة لان فائدتها ضبط النفس عن شهوة المال وتطهير ذاتها من رذيلة الشح لتمتد يدها الى من حولها بالمعونة - وتوحي اليه بأنه ليس له أن يستأثر بعمله وأنه يعمل لغيره كما يعمل لنفسه فهي حق قد نزع الله به الشح من نفوس الأغنياء والحقد من نفوس الفقراء ربطاً للقلوب وغرساً للمحبة .

وأما الحج فهو مطهر للنفس أيضاً بتقريبها من المثل العليا التي ترمي اليها أعمال الحج ففي ذلك الموقف تتجلى الاخوة الدينية بأجلى مظاهرها فهو بمثابة صلة لتلك الاخوة وبمنزلة تبادل الزيارة بين أبناء الاسرة الواحدة - يبعثه الوقوف بفناء البيت والطواف من حوله على

التفكر والسمو بنفسه إلى مستوى الملائكة المقربين الذين يطوفون من حول العرش - ويبعث في نفسه الخشية والخوف من الموقف الاخير الذي يعرضون فيه على الله - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً .

وأما الصوم فله أهداف كثيرة وأهمها تقوية الإرادة التي يتوسل بها الى ضبط شهواته ولعله بهذا الإعتبار كان الفريضة التالية لفريضة الصلاة في أصل التشريع باعتبار ان كلتا الفريضتين وسيلة لغاية إنسانية وهي الإستقامة في أعمال الحياة غيرأن الصوموسيلة للاستقامة في حدود النفس من حيث أن الانسان قد تثور فيه غرائزه الى حد يصيرلها النفوذ والسيطرة على إرادته - والصوم يجعل منه إنساناً ذا إرادة واعية ينظم معهـا غرائزه ويتحكم في مصير شهواته - والإنسان اكثر ما يصاب به في نفسه وفي مجتمعه عن طريق الشهوات ومن ذلك يُعلم أنه ليس الغرض من الصوم هو الامتناع عن المفطرات المعروفة فحسب وإنما الغايةمن الحصول على ملكة التقوى كما تدل عليه آية الصوم في قوله تعالى - كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون - فان حرمان النفس من الطعام والشراب وما الى ذلك من المفطرات لا يوصل الصائمين الى درجة المتقين وإنما يوصلهم الىهذهالدرجة السامية الامتناع عن كل ما يستوجب غضبه - بأن لا يجده حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره - وما كان الله ليعتد بالإمساك عما أحل له قبل الصوم ويسمح له بارتكاب ما حُرم عليه من قبل ومن بعد - ولذا ورد أن الانسان لا يكون صائماً حقيقة إلا حيث تصوم جوارحه عن كل محرم - إذا صمت فليصم سمعك وبصرك - من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله بهحاجة في أن يدع طعامه وشرابه - قال رسول الله ﷺ وقد سمع امرأتين صائمتين تغتابان الناس لقد صامتا عما احل لها وافطرتا على ما حرم عليهما وعليه فمن صام عن الطعام والشراب وأباح لجوارحه أن تعيث في الأرض فساداً كما كانت تعيث بالأمس فليس بصائم حقيقة واكتفاء الشارع بالامساك عن تلك المفطرات في الظاهر ليس الا لأن الصائم يستعيد بها حريةالارادة التي يستعلي بها على شهوات نفسه فيمنع نفسه مرتاحاً عن كل ما يستوجب غضبه او لأنهاذا اتقى بصومه فعل المفطرات من الطعام والشراب والنكاح مع الاعتياد عليها فقد سهل عليه الاتقاء عن غير المعتاد لأن الانسان قد يستسلم للعادة الى حد يكون لها سلطان على سلوكه وتصرفه فإذا استطاع أن يحرر نفسه من سلطان العادةصارمالكاً لنفسهوأحرزالانتصار عليها هذه هي حقيقة العبادة لا خفض الهامات في الصلاة ولا عذاب الجوع والعطش في الصوم فعلى المتعبدين والصائمين أن يدركوا هذه الحقيقة ويعملوا لها لينالوا درجة المتقين

الغبيري حسين معتوق

موطني موطن البطولات

نظم : محيي شمس الدين

باركي يا سماء عيد بلادي انه رمز عزة وجهاد
باركيه في السهل في السفح في الجبل العالي وفي بطون الوهاد
باركيه في الساح في ردهة البيت في اخضرار الحقول غب عهاد
في النسيم العليل يخطر وهناً بين اغصان ايكه المياد
باركيه على شفاه بنينـــا من مقيم ثاو وآخر غاد
وشحيه من نسج كفيك وشياً يبعث الانس في قلوب العباد
موطني عيده هنا وسرور واعتزاز بفخر الأجداد
قد تلاقت على جوانب يومه اماني الآباء والاولاد
موطني موطن البطولات والفخر واهل الاقدام والامجاد
عاشر الدهر مستقلا وخطت للورى راحتاه سبل الرشاد
وتخطى السنين غير مبال بتحدي الاعداء والاضداد
سائل الأرز عن قديم علاه واسمعه يروي الى الاحفاد
خالد مجده خلود الليالي رب مجد ارسى من الأطواد
مهبط الوحي والنبوءات قدماً وعرين الأباة والآساد
حي أبناءه بناة المعالي والمغاوير في الخطوب الشداد
لهم في الفخار ايد طوال وعلى العالمين خير أياد
نشروا راية العلوم وبذوا بجمال الابداع والايجاد
وهم القلب صالوا وجالوا ارغموا في الحروب انف الأعادي
طالما لقنوا الطغاة دروساً خالد ذكرها مدى الآباد
سائل الطامعين عما رأوه رغم ما يملكونه من عتاد

يوم تشرين حينما أبرموا الامر وراموا اغتصاب حق البلاد
يوم اذ جهزوا من البغي جيشاً بسلاح من غدرهم والفساد
ثم راحوا يروعون بني الشعب بقتل النفوس دون تفاد
وبتشريدهم حماة ربى الأر ز وسجن الأحرار والأمجاد
واذا ماالغرور حل بقوم ساقهم للردى بلا ميعاد
فتصدى لهم كماة بني الار ز بعزم ما لان يوم الطراد
وثبات أعظم به من ثبات واتحاد يفوق كل اتحاد
وسخاء بأنفس تنشد العز ولم ترتضِ حياة اضطهاد
من بني العرب امة بذت الغير أياد بيضاء وحسن سداد
نهجوا في الحياة منهج عيسى والرسول الامي طه الهادي
لم يفرق ما بينهم قط يوماً مبدأ او تباين في اعتقاد
فهم اخوة لدى اليسر والعسر وحال الاغوار والانجاد
فتولوا مروعين حيارى بنفوس الى النجاة صواد
ورؤوس ألوى بها عامل الذل فباتت ميل الطلى والهوادي
انتصر الشعب حيث لاحكم الا لذوي الشعب قاهراً كل عاد
واذا الشعب هب يبغي حياة غير مستسلم الى أبعاد
يتفانى مسترخصاً كل غال لم تخفه مفاصل الاوغاد
عاش لبنان موطني مستقلا عالياً بنده رفيع العماد
يتفيا ظلال خير أمير طيب الاصل مستطيل النجاد
ولواء اكرم به من لواء وطد الامن في الربى والبوادي
ورئيس محسد المجد والفعل تسامى فكان فخر النوادي
يتحلى بالنيرات خصالا تبهر العين بالسنا الوقاد
قاد لبنان حيث حل مكاناً أكبرته نواظر الحساد
عهده عهد غبطة وسلام وحياة أسمى وعز مراد
فليدم للبلاد رمز علاها ولتطل عزة بظل فؤاد

مجدل سلم ــ مرجعيون محيي الدين شمس الدين

بطل الاسلام الخالد (بقية)

المؤمن حب علي بن ابي طالب » ، ثم خاطبه الرسول قائلا : « يا علي لا يحبك الا كل مؤمن ولا يبغضك الا كل منافق » ، وقد اكد عمر بن الخطاب هذه الحقيقة حينما قال : « كنا ننظر الي علي في ايام رسول الله كما ننظر الى النجم » وقد كان علي احد ركني الاسلام في كلام الرسول العظيم حيث قال : « لولا سيف علي ومال خديجة لما قام للاسلام عمود » ، واصبح علي كل الاسلام عندما اصبح عدوه كل الشرك في يوم الخندق عندما قال الرسول ﷺ : « برز الاسلام كله الى الشرك كله » ، ثم كانت « ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين » ولولا تلك الضربة المدوية لم يكن اليوم على وجه الارض انسان واحد مسلماً . وحتى لو سكت القرآن والرسول عن فضل علي «ع» لنطقت صفاته وآثاره بكل ما يعلو ويزيد او ليس هو الذي كتم اعداؤه فضائله خوفاً ثم ملأت ما بين المشرق والمغرب « حتى لو انكره الناس جميعاً لهتفت بعظمته الارض والسماء وقدسه موضع ضربة سيف او نبغة فكر » او ليس هو الذي هتف له جبرائيل بين السماء والارض ، لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي ، وهكذا لا يكون لي الا ان اقف امام عظمته المعجزة كشاعر يعتصر قلبه صوراً وألواناً تكريماً لتلك البطولة الواسعة التي لا يحيط بها البيان ولا يستوعبها الفكر مردداً . . .

حاشاك ان تسمو اليك سماء ... انت الفضاء وما سواك هباء
ومتى يحلق نحوك العظماء ... والسر انت وغيرك الاسماء
او لست ساقي الحوض انت ... وقاسم الجنات والنيران كيف تشاء
وبأمره الارحام والارزاق ... والاعمار والغبراء والخضراء
وبكفه تتطرق الاجواء فكأ ... نه فوق الفضاء فضاء
اعداؤه عبدوه لا ابناءه ... والفضل ماشهدت به الاعداء
وبمدحه اقصى الثناء هجاء ... حتى استوى البلهاء والبلغاء

☆ ☆ ☆

يا من له الآيات والاحكام ... وله قلوب العالمين مقام
انت الصراط المستقيم وانك ... النبأ العظيم وانك العلام

قد اعلن المختـــار يوم الدار ... ان وصيي الكرار وهو علام
وبيوم خم قد علا وبكفه ... اعلا علياً وانبرى الالهام
من كنت مولاه فهذا حيدر ... مولاه وهو لمن سواه امام
وانا المدينة للعلوم وبابها ال ... كرار وهو القائد المقدام
علم طوى علماً واعلا راية ... تطوى وتنشر باسمها اعلام

* * *

يا من بنورك قامت العلياء ... عد نحونا لتشع منك سناء
علوية غراء لا اموية ... غواء ينشد بعثها غوغاء
فالشعب نحن وانت امامنا ... ورعاتنا العلماء لا العملاء
كم ذاجنى الاذناب والاحزاب ... فلتسقط الاحزاب والاذناب
لا توجد الاحزاب في اوطاننا ... فمناورات تلك او ألعاب
يتنازع المستعمرون وانما كبش ... الفداء شراذم وشباب
يتقاتلون على المناصب والذي ... احيا المبادىء انها ابواب
فهم اتوا بالفوضوية فجأة ... وموضوابها وتتابعت احزاب
فتقاتل الهمج الرعاع لانه ... حقت عليهم لعنة وعذاب
فلكل حزب قادة مدسوسة ... يحدو لها مستعمر نصاب
الحزب حزب الله ليس سواه في ... الاسلام احزاب ولا انصاب
فهو الذي انهارت على اعتابه ... الاحزاب والانصاب والآراب
والمشركون مذاهب ومشارب ... والمسلمون جميعهم احباب

* * *

امل الشعوب ومجدها الاسلام ... وسواه بطل زائف وظلام
فدع المبادىء كلها في معزل ... ان المبادىء كلها هدام
واعمل لتطبيق الكتاب مجاهداً ... ان العقيدة مصحف وحسام
واسحق جباه الملحدين مردداً ... لا السجن يرهبني ولا الاعدام
فالكفر حشد كل امكاناته ... والدين قوض وانثنى الاسلام
ان قيل عصر النور هذا قلت بل ... عصر الظلام له الشذوذ نظام

فالمسلم الشيعي فيه مجرم ... والعفلق البعثي فيه امام
والطائفية ويلها من فتنة ... عمياء يلهب حقدها الاقزام
والطائفية جددت تاريخها ... فاذن لهام الحكام والاحكام
والطائفية لونت ازياءها ... وتطورت في عرضها الافلام
لكنها هي لم تغير ذاتها ... فشعارها الارهاب والارغام
دستورنا القرآن نهتف باسمه ... وشعارنا في العـالم الاسلام
وزعيمنا الكرار لا ميشيل ... لا ماركس لا انطون لا الحاخام

* * *

مشت الشعوب يقودها استعمار ... يحدو لها الصاروخ والاقمار
وتطايرت باسم السلام حمائم ... من ريشها تتناثر الاقدار
ويل الشعوب شرارها اسيادها ... ويسود اسياد الشعوب شرار
والعالم العملاق اصبح لعبة ... يجتاحها الارهاب والانذار
قد آن ان نختار نحن مصيره ... من قبل ان يختاره الاغيار

* * *

قل للعزيز اصابنا الضراء ... فحياتنا داء وانت دواء
ارض العراق مجازر ومآتم ... والرافدان مدامع ودماء
والشعب آخر ما يفكر فيه مسؤول ... واهداف الورى اهواء
والشعب ان يُذكر فللتضليل ... لا ليسود او ليسوده الحكماء
والشعب للحكام ملحمة الهوى ... ووليمة يرتادها الامراء
لا ذل الا للشعوب وانما ... للحاكمين الكبر والغلواء
فمن الذي في الكوخ ابصر حاكماً ... قد ارقته حشاشة سغباء
او هل عرفتم حاكماً يطوي على ... جوع ليأكل جوعه الفقراء
او هل سمعتم ان مسؤولا كسته قطيفة وله الفلاة فناء
الا علياً من تعالى قدره ... وتقدست بسماته الاسماء

* * *

سلب الرفاق ثرى الورى وثراءهم ... فغدوا حيارى لا ثرى وثراء
لكنما الفقراء ادقـع فقرهم ... والاغنياء غدو وهم فقراء

والإشتراكيون اضحوا بورجوازيين في جمع الثراء سواء
وتعودوا ان يسلبوا الثروات والثورات فانتهزوا وهم جبناء
داسوا عفاف المحصنات لانهم لقطاء لم يعرفهم الآباء
والناس عندهم شعوبيون قد سادتهم الرجعية السوداء
وهم الشيوعيون الا انه زادتهم الاموية النكراء
لولم يكونوا ملحدين لما رضوا بالمشركين وفيهم الدخلاء
لكنهم راموا قيادة عفلق اذ لم يكن فيهم له اكفـــاء
كم جربوا في الشعب حرياتهم وانصبت الحمراء والصفراء
كم انتنوا والناس احياء وهم اموات او دفنوا وهم احياء
حكموا فلم يضحك لهم ثغر وقد سقطوا فلم تنحب لهم خرساء
جاءوا فكانت لعنة حمراء ومضوا فكانت فرحة بيضاء
دفنوا بأيديهم وايدي شعبهم والحزب ان دواءه الافناء

* * *

ويل العراق فليله لا ينقضي حتى تقوم حكومة الاسلام

والسلام عليكم ورحمة الله ..

كربلاء حسن الشيرازي

ابو حية النميري

كان ابو حية النميري من اشعر الناس ، ومن اكثرهم جنوناً وحمقـــاً ، ومن طرائف ما يروى عنه :

قال ابو حية : « عنّ لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي فعارضه ، والله ، السهم ، ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الخرابات .

وقال : « رميت ، والله ، ظبية ، فلما نفذ سهمي عن القوس ، ذكرت بالظبية حبيبة لي فعدوت وراء السهم حتى امسكت به قبل ان يدركها » .

علاج المكاره

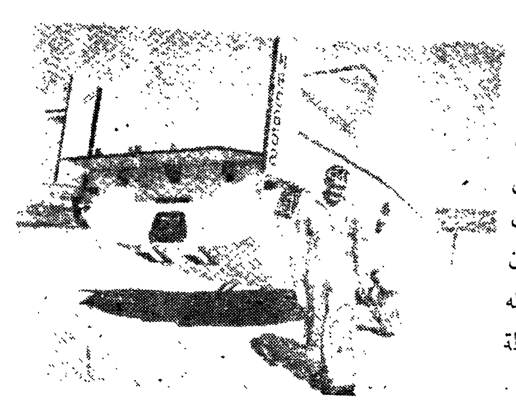
المكاره قسمان : قسم فيه حيلة ، فالاحتيال دواؤه ، وقسم لا حيـــلة فيـــه ، فالصبر شفـــاؤه .

ابواب العرفان

محمد أديب الزين

العلم

مترجمة عن الانكليزية



١ ـ مغطس الحمّام الطائر :

ما هو هذا الطائر ؟ انه شيء يشبه مغطس الحمام او قارباً يطير . انه بشكل قارب ذي ذنب يحلّق في الفضاء ويمكن ان ينزل في حقل ولا يحتاج لمطار . شكله نصف مخروطي ، يتصل به دفتان وصواري وذيول . وليس له أجنحة . ولكنه يرتفع بواسطة الضغط ويطير بشكل عجيب .

يطير بسرعة أربعة آلاف قدم في الدقيقة ، أي بسرعة تفوق سرعة الصوت واثناء الهبوط تخفض السرعة الى ١٣٥ ميلا في الساعة .

وتجري الآن تجربة تسييره مع جهاز حامل للقاذفات ولحاملات الرؤوس النووية وما شاكل من الأعمال الحربية .

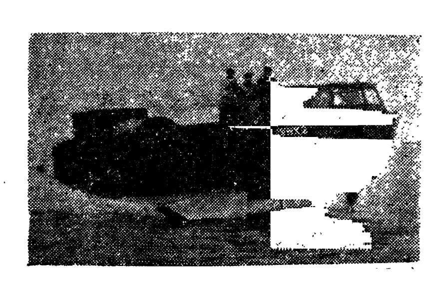
وضع التصميم الدكتور الفرد . ج . اكبار احد مهندسي مركز الابحاث الجوية في أميركا .



٢ ــ جهاز استعراض جديد : ــ صنعت شركة فورد للسيارات جهــازاً جديــداً للاستعراض ، وضعته للتجربة في معرض نيويورك العــالمي الذي سيجري افتتاحه في شهر نيسان القادم .

هناك سيارات بدون اجهزة للقيادة وتسير بدون سائقين ، بل تتحرك بدون انقطاع بسرعة ميلين الى اربعة اميال في الساعــة ، وتسير على خطين طول كل منهما نصف ميل .

وضع هذا الجهاز فوق طابقي المعرض ، ومن يركب في أحد سياراته يستعرض ما تحته وحواليه من المشاهد والمعروضات .



٣ ــ دبابة جديــدة : ــ صنعت احدى الشركات في كاليفورنيا دبابــة برمائية جديدة ، لا تزال قيد التجربة في خليج سان فرنسيسكو إن هذه الدبابة تقارع الامواج وهي سائرة بسرعة ٣٥ عقدة في الساعة . ولها أجهزة خاصــة يمكن بواسطتها تحويل هذه الدبابــة الى عربة تضرب الساحــل وتسير في الــبر بسرعة ٤٠ ميلا في الساعة . لذلك يمكن ان يؤلف ، من عدة دبابات من هذا النوع ، سرب يصلح للغارات .

٤ ــ منظار جديد لفحص ليونــة الأجسام : ــ صنعت شركــة (بوش ولومب)

الأميركية منظاراً جديداً يسمى (فلاكسيسكوب) يفيد هذا الجهاز مهندس المحركات فوائد كثيرة : إنه يفحص بواسطته الخيوط الدقيقة التي تؤلف أربطة الاتصال في اجهزة التحويل ، ويفحص في قراني المحركات وفي الثقوب ، حتى في الظلمة الحالكة .

يتألف هذا الجهاز من حزمة خيوط زجاجية ، يبلغ عدد هذه الخيوط مئة الف خيط ، كل خيط منها أرفع من شعرة رأس الإنسان . وفي الجهاز مصباحان كهربائيان. يخترق النور الخيوط ويعكسها على جهاز فاحص يقوم بسبر ما في داخل المحرك من ثقوب وأربطة ويساعد مهندس الميكانيك على فحص المحرك بدقة وبسهولة .

٥ ــ محرك يسيّر ثلاث آلات : ــ

اخرجت احدى المصانع جهاز يضم محركاً يقوم بإدارة ثلاث آلات ميكانيكية . يتصل بالمحرك جهاز دوّار مصنوع من الخشب ، يسهّل اتصال المحرك بآلة للنشر وآلة للمسح وآلة للذر دون عناء ، بواسطة مساعد محول يربط اسطوانة المحرك بلولب نقل الحركة للآلة المراد تشغيلها .

٦ ــ زيادة القوى العقلية : ــ ظهر حديثاً ، في عالم صناعة الأدوية في مصانع انكلترة، دواء جديد يدعى « سبتو كروم ت » . أجريت على هذا الدواء التجارب على نطاق واسع فتبين انه يُنشّط القوى العقلية لدى الشيوخ . ان هذا الدواء عندما يصل الى المخ يغذيه بقدر كبير من الأوكسجين . وهو سائل يميل لونه الى الحمرة ، يستخرج من قلوب الجياد . وقد أعطى هذا الدواء نتائج باهرة ، شجّعت أصحاب التجارب على المضي في ابحاثهم بغية تحقيق نتائج مهمة في مكافحة ضعف الشيخوخة .

محمد اديب الزين

الاسئلة والمناظرة

ملاحظات سنغالية

واجوبتها حول واقع الامام وابنائه «ع»

بقلم: السيد عباس ابو الحسن الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

وردت علي منذ أيام . من مسلم متفقه اديب سنغالي مقيم في (دكار ـ العاصمة) ملاحظات على القسم الثاني من كتابنا « الإسلام في شهر الصيام » (١) مما يتعلق بواقع الإمام علي ابن ابي طالب عليه السلام وقد أهداه الكتاب وجه من وجوه المهاجرين المؤمنين ابو علي محمد سعيد علي حسن وفقه الله .

وهو أعزه الله اذ يستوضح الواقع ـ ويستدفع ما اشتبه عليه ـ يفتح لنا باب الأمل في امثاله من ذوي الطموح للوقوف على الواقع في كثير من المسائل المهمة في الاسلام اصوله وفروعه وباب المناسبة لدعوته ودعوة كل مسلم حر في تلك البلاد الكريمة يرغب في ان يعيش الاسلام بواقعه وحماة الإسلام وقادته بواقعهم للسؤال عن كل امر مشتبه وكل حادث تجاذبته الاقلام والاقوال باتجاهاتها المختلفة في العهد الأول فما بعده ولأن يتثبتوا في ما تنفث به الاقلام المستأجرة المستوردة من دسائس واضاليل وتختلقه من اكاذيب على المسلمين المعروفين بتشيعهم لأهل البيت عليهم السلام . تلك الأقلام التي جرّت على المسلمين الدواهي بما احدثت من فجوات أبعدت ما بينهم يوشك بفضل المصلحين ان تسد وتردم ويعود الماء

---

(١) صدر هذا الكتاب في الايام الاولى من شهر رمضان الماضي وحرصاً على ان يقرأ وزعته على اشخاص معدودين من المؤمنين ليتولوا بدورهم توزيعه على من لديهم دون ان تتقدمه دعاية او تعريف في جريدة او صحيفة .

الى مجراه ان شاء الله .

الملاحظة الاولى على قولنا ص ٩١ : يطوفون بالكعبة الثانية مرقد امين الله على وحيه وعزائم امره بقوله : (لم لا تطلقون هذا الاسم ـ الكعبة ـ على مرقد النبي ﷺ واصحابه وهم في مقصد واحد وهل هذاغلو) .

والجواب : ان هذا الإسم بما له من معنى عرفي شامل . للمفزع . والمقصد . والمطاف . يصح اطلاقه على كل مورد يجد المتكلم فيه احد هذه المعاني الثلاثة كما يقال : فلان كعبة آمالنا ورجائنا وعن بيت احد البارزين بمعروفهم وسخائهم : كعبة الناس ومحجتهم فكيف اذا كان المورد واحداً لاوجه الشبه لسائر المعاني الثلاثة العرفية المتبادرة من اطلاق لفظ الكعبة ، كمرقد الامام علي «ع» ومراقد ابنائه الهداة الميامين المعمورة آناء الليل واطراف النهار بذكر الله عزوجل وتعظيم شعائره وبهذا يتضح صحة اطلاق لفظ الكعبة على مرقد النبي ﷺ بسائر المعاني الثلاثة فلا غضاضة ايها الأخ الكريم ولا غلو .

اما بلحاظ المعنى الرابع للفظ الكعبة وهو المختبر فلا يصح اطلاقه الا على مرقد الامام علي «ع» لان الله عزوجل كما جعل بيته الكعبة مختبراً للمستطيعين من عباده وعلامة فارقةبين المؤمنين والكافرين بالقيام بأداء هذا الواجب وتركه كما قال الله عزوجل : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وقال رسول الله ﷺ من استطاع ولم يحج فليمت ان شاء على غير الإسلام : جعل الإمام علياً مختبراً للمسلمين فجعل حبه علامة للايمان وبغضه علامة للنفاق فقد صح عند الفريقين عن رسول الله ﷺ قوله لعلي : يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق (١) وقال الامام علي «ع» في نهج البلاغة : (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولوصببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي ﷺ ان قال لي : يا علي لا يحبك منافق ولا يبغضك مؤمن (٢) وقال عبد الله بن عمر : ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ الا ببغضهم علياً . وزاد ابو ذر الغفاري رض

---

(١) قال ابن ابي الحديد في ج ١ من شرح النهج ص ٣٦٤ ؛ وقد اتفقت الاخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدثين على ان النبي قال لعلي ، لا يبغضك الا منافق ولا يحبك الا مؤمن .

(٢) رواه كثير من المحدثين عن الامام علي عليه السلام ومنهم الامام احمد في مسنده ج ١ ص ٩٥-١٣٨ والخطيب البغدادي ج ١٤ ـ ص ٢٢٦ . والنسائي في سننه ج ٨ ص ١١٧ وابو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٨٥ .

لا بثلاث بتكذيبهم الله ورسوله . وتخلفهم عن الصلاة . وببغضهم علي بن ابي طالب . وقال مثلهما ابو سعيد الخدري وابو الدرداء و جابر بن عبد الله الانصاري (١) كما جعل حبه ايضاً علامة على طيب المولد . وبغضه علامة على خبث المولد فقد صح عن جابر ابن عبد الله الأنصاري رض عن رسول الله ﷺ قوله : (بوروا اولادكم بحب علي بن ابي طالب وكان جابر يدور في سكك الأنصاري ويقول : علي خير البشر فمن ابى فقد كفر معاشر الأنصاري بوروا اي اختبروا اولادكم في حب علي بن ابي طالب فمن ابى فانظروا في شأن امه (٢) وكان ابن عباس رض يقول : كنا في زمن رسول الله ﷺ اذا شككنا في نسب شخص عرضنا عليه حب علي بن ابي طالب فان اباه عرفنا انه خبيث المولد . وفي نسخة اخرى عرفنا انه ابن زنا او ابن حيض وقد نظم صفي الدين الحلي رحمه الله هذه الرواية بأبيات هي :

بحب علي تزول الشكوك	وتزكو النفوس ويصفو البخار
فهما رأيت محباً له	فثم العلاء وثم الفخار
ومهما رأيت عدواً له	ففي اصله نسب مستعار
فلا تعذلوه على بغضه	فحيطان دار ابيه قصار

وفي قضية ابي دلف الزعيم العربي خير دليل ...

الملاحظة الثانية : على ما تضمنته رواية ابي بصير رض عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام في ص ١٦٦ من امتياز ائمة اهل البيت عليهم السلام على سائر المسلمين بما تلقوه من معلومات عن جدهم رسول الله ﷺ مما اشتمل عليه مصحف فاطمة عليها السلام وكتاب الجفر بقسميه والجامعة وغيرها مما اشير اليه في هذه الرواية وغيرها قال : هل يوجد مصحف ثاني عند اهل البيت والعياذ بالله ام لا ؟ وما فيه هذا المصحف ، وقال ما مضمونه : لو صدقنا بأن اهل البيت يعلمون بما كان وما يكون يلزمنا ان نعتقد بأنهم يعلمون الغيب ، ولن يصير هذا ابداً لقوله ﷺ : لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير الى آخر كلامه .

والجواب : المرجو ايها الأخ ان تتأمل بما عقبنا عليه بعد ذكر الحديث واوضحناه وقد

---

(١) اخرجه الطبري في الرياض ج ١ ص ٢١٥ ، والجزري في اسنى المطالب ص ٨ ، والسيوطي في الكبير ج ٦ ص ٣٩٠ وان شئت التوسع بالاشارة الى المصادر راجع ج٣ من كتاب الغدير في الكتاب والسنة للمحقق البحاثة الاميني دام ظله .

(٢) ص ٩٦ من كتاب اعلام الورى في اعلام الهدى للشيخ الطبرسي امين الاسلام .

قلت بعدها بالحرف الواحد : واننا نبرأ الى الله عزوجل من ان نعطي الامام علياً وآل علي المعصومين صفة زائدة على صفات البشر ، او نخلع عليهم ثوباً ليس لهم ، وكل ما نقوله : انهم عباد لله مطيعون مكرمون لا يسبقونه بالقول ، وانهم بأمره يعملون ، وهذا ما نقوله في جدهم ﷺ ، وهو وانبياء الله من قبله لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا يدفعون عنها ضراً الا بأمره سبحانه وقصارى ما نقوله : ان الله عزوجل رفع منزلة عبده محمد ﷺ على غيره من الأنبياء بما علّمه وأطلعه عليه لعلمه تعالى بكفاءته وصبره ونهوضه بما حمّله اياه وان محمداً ﷺ استودع ذلك كله علياً عليه السلام حيث وجده بعد الاختبار اميناً على ما استودعه حافظاً له ، وقد استودع الامام علي «ع» بأمر الله ورسوله كل ما علمه الحفظة الامناء من ابنائه الى آخر كلامنا فراجعه .

ولم نستقل نحن الشيعة بهذا الحديث ونظائره وبالاعتقاد بامتياز اهل البيت على سائر الناس فقد نقله وآمن به غيرنا .

فقد قال السيد احمد زيني دحلان في الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٣٣٧ : كان علي رضي الله عنه قد اعطاه الله علماً كثيراً وكشفاً غزيراً قال ابو الطفيل : شهدت علياً يخطب وهو يقول : سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وانا اعلم « أبليل نزلت ام بنهار » ام في سهل ام في جبل ولو شئت أوقرت سبعين بعيراً من تفسير سورة الفاتحة الحديث (١) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : علم رسول الله ﷺ من علم الله تبارك وتعالى . وعلم علي رضي الله عنه من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي رضي الله عنه وما علمي وعلم اصحاب محمد ﷺ في علم علي رضي الله عنه الا كقطرة في سبعة ابحر . ويقال : ان عبدالله بن عباس اكثر البكاء على علي رضي الله عنه حتى ذهب بصره وكان يقول : لقد اعطي علي بن ابي طالب تسعة اعشار العلم . وأيم الله لقد شاركت الناس في العشر العاشر الى آخر ما نقل هذا السيد في فتوحاته فراجع .

وقال المحقق الجرجاني في شرحه على كتاب المواقف لأحمد بن عبد الغفار الفارسي الشافعي الإيجي ج ٦ ص ٢٧ ما نصه : (الجفر والجامعة كتابان لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث الى انقراض العالم ، وكما

---

(١) وفي الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٩ سلوني سلوني سلوني الحديث فراجع.

الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونها ويحكمون بها) كما تعرض لذلك ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة .

والذي يؤيد ذلك : ما نقله في مقاتل الطالبيين ان جماعة من بني هاشم بعد انقراض دولة الأمويين اجتمعوا بالأبواء وفيهم عبد الله بن الحسن وولداه محمد وابراهيم ليبايعوا محمداً . فقام أبو جعفر المنصور وقال : لأي شيء تخدعون انفسكم والله لقد علمتم ما الناس الى أحد أطول أعناقاً ولا اسرع اجابة منهم الى هذا الفتى اي محمد بن عبد الله بن الحسن فبايعوا محمداً ومسحوا على يده . وارسلوا الى جعفر بن محمد الصادق ، فجاء وأوسع له عبد الله الى جانبه ، فأخبره فقال الصادق : لا تفعلوا فليس به ، ولا هذا أوانه ، فغضب عبد الله وقال لقد علمت خلاف ما تقول ووالله ما اطلعك الله على غيبه ، ولكنه يحملك على هذا الحسد لإبني فقال الصادق : والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناءهم دونكم ، وضرب بيده على ظهر ابي العباس السفاح ، ثم ضرب على كتف عبد الله بن الحسن وقال : انها والله ما هي لابنيك ولكنها لهم ، وان ابنيك لمقتولان ثم نهض . وقال : هو اي محمد بن عبد الله ان الناس ليقولون فيه وانه لمقتول .

وليس في كتاب علي «ع» من خلفاء هذه الامة انتهى .

هذا ولو استقرأت سيرة الأئمة الإثني عشر «ع» لوجدتها متشابهة سيرة مركزة على معلومات خاصة وهدى خاص امتازوا به على غيرهم ويعرفهم به كل من ابتلاهم وعرفوا منه ولاءه وورعه .

وان الايمان بامتياز الأنبياء وأوصيائهم بعلم ما كان وما يكون من الغيبيات التي تلقوها من الله عزوجل عالم الغيب والشهادة ــ أوشك ان يكون من ضروريات الدين ــ اذ ان منصب النبوة والوصاية يقتضيه كما اشاد الله عزوجل في سورة هود : (كلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) وفي سورة يوسف بعد ذكر قصته : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) وفي سورة آل عمران بعد ذكر مريم عليها السلام : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) وقال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) وقال تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) الى كثير من هذه الآيات .

وبالجملة فإن معلومات الرسل واوصيائهم بالغيب مستمدة من الله عزوجل، وخصهم الله بها لمصالح هو عزوجل أعرف بها ، وهم يتقيدون بالسير على طبق علمهم بالغيب من البلايا

والمنايا والقضايا . وأعلام الناس بها او ببعضها بأمر الله عزوجل ورخصيته ولا يستلزم العلم بالشيء وجوب العمل على طبقه ولا ضرورة الاعلام به ولكل منها جهات مقتضية وموانع لا بد من رعايتها ، ولا محذور - نعم المحذور . القول بأن علمهم ذاتي وأنه من لوازم مركزهم الرسولي الروحي ملازمة ذاتية بحيث يؤدي الى مشاركة الله في خصائصه . بل القول به كفر نبرأ الى الله منه ومن قائله - وبكلمة ان علمه عزوجل ذاتي أزلي سرمدي لا نهائي ، وعلمهم فيض منه بمقدار ما يتحملون وبمقدار ما يعلمه تعالى من مصلحته وحكمته .

وبناء عليه ، فالايمان بأن أهل البيت علياً وأبناءه المعصومين علموا كل ما علمه جدهم سيد الأنبياء عن الله تعالى من شؤون الإيمان بصحة كل ما جاء به وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم وقد صح عنه من طريقنا وطريق الجمهور ارتفاع مستوى أهل البيت على غيرهم في هذا الاختصاص .

اما مصحف فاطمة المتواتر ذكره عندنا والكثير عند غيرنا . فقد أوضح المراد منه الإمام الصادق (ع) بقوله : (عندنا مصحف فاطمة أما والله : ما فيه حرف من القرآن ، ولكنه من املاء رسول الله ﷺ وخط علي «ع» ، وقد سأل المنصور فقهاء المدينة عن مسألة في الزكاة فما أجابه احد عنها الا الامام الصادق عليه السلام ، ولما سئل من أين اخذت هذا قال : من كتاب فاطمة وفي بعض الروايات : انه يشتمل على كثير من الأحكام وعلى بيان الحوادث المتجددة في المستقبل من ذلك يتضح : ان ما ورد في شأن اهل البيت المعصومين من هذا الطريق وغيره في شتى المواضيع والمناسبات ليس فيه شائبة من الغلو ولا من الافراط بل هو بعض من فيضه تعالى ميزهم به لان مركزهم الروحي الذي يمتد به مركز جدهم الرسولي الأعلى يستدعي ذلك .

ولهذا كان مغروساً في اذهان المحتاطين من المسلمين ان يختبروا كل من يدعى الخلافة والامامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم او بعد احد المعصومين من ائمة اهل البيت في امور يقصر غير المعصوم عن معرفتها ، والمجال لا يسع ذكر الموارد الكثيرة ، وعسى ان يكون في هذا العرض المختصر مقنع - والا فنحن مستعدون لإقناعه بالطرق التي يقترحها ان شاء الله .

الملاحظة الثالثة - او بالأحرى السؤال الثالث ص ١٦٦ - عن حكم المرأة التي سأل الامام الجواد عليه السلام عنها القاضي ابن اكثم . سأله عن رجل نظر الى امرأة اول النهار فكان نظره اليها حراماً فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت

العصر حلت له . فلما غربت الشمس حرمت عليه . فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه . فلما طلع الفجر حلت له. وقداجاب الامام ابو جعفر الجواد عليه السلام عنه وعن غيره مما امتحن به القاضي يحيى بن اكثم بطلب المأمون فقال : هذه المرأة أمة من الناس كان نظره اليها اول النهار حراماً عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له . فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه . ثم تزوجها وقت العصر فحلت له ثم ظاهر منها وقت المغرب فحرمت عليه ثم كفر عن الظهار وقت العشاء ،فحلت له ثم طلقها نصف الليل فحرمت عليه ، ثم أرجعها وقت الفجر فحلت له (١) .

اجل وان في موقف المأمون العباسي من الامام الجواد «ع» ذلك الموقف الايجابي الصارم وقد أصر على تزويجه بابنته ام الفضل وهو بعد لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره . مع معارضة اهله وابناء عمه حرصاً على المنصب ان يفلت من ايديهم ، واتفاقهم جميعاً على ان يجمع له علماء الملل والنحل مع قاضي القضاة أشهر عالم محنك في الدولة ويسألوه — وفي موقف الامام الجواد «ع» مع صغر سنه ذلك الموقف الرسولي الروحي الجبار — وما كان بأسرع من أن سأل العلماء وسأل القاضي ، وانبرى الامام في الاجوبة وامتحانهم بعد ذلك وانجلى الامام عن تصاغرهم امام عظمته ، وتلاشي شموعهم امام النور المتوقد الخاطف المتشعب من مصباحه مصباح النبوة والامامة او عن اطفال يتململون مستفهمين امام معلم مرن محنك قوي ملك عليهم عقولهم واتجاههم .

اجل ان في هذا الموقف وحده لعبرة وعظة ايها الاخ المسلم المتفقه العزيز في تلك البلاد السنغالية النقية في عقيدتها وبساطتها — تبعثك الى التفكير في هذا الامام الشاب يموت والده الرضا من آل محمد «ع» وهو ابن سبع سنين ولم يعهد ان تخرج من جامعة ولا اوى الى بيت من العلم غير بيته في هذه المدة القليلة ، وتراه في هذا المستوى البعيد الرفيع الذي تقف دونه العلماء والقضاة والدهاة في شتى أساليبهم الجدلية متطامنين مذعنين « أليس هذا وحده بكاف

(١) لا بد ان يكون الزواج المفروض مجرد عقد بلا دخول — ليصح الطلاق ويكون المراد من المراجعة وقت الفجر بعقد جديد — اللهم الا ان يكون الامام عليه السلام مجارياً للقاضي ابن اكثم في عقيدته فانه لا يشترط في صحة الطلاق ان تكون المرأة في طهر لم يأتها الرجل فيه كما هو المعروف عند اهل السنة جميعاً بخروجها من زوجيته وان كانت خارجة من تحته فعلا وسواء كان حال الطلاق شهود عدول ام لم يكن مع ان الله عزوجل قال : (الطلاق مرتان) وقال : (فطلقوهن لعدتهن) وقال : (واشهدوا ذوي عدل منكم) .

على ان هؤلاء من أهل بيت أذعن عدوهم فضلا عن صديقهم : بأنهم زقوا العلم زقاً وانهم كما قال المأمون نفسه (ان هذا الفتى من اهل هذا البيت علمهم من الله تعالى مواده والهامه وقد خصوا دون الخلق بما ترون من الفضل : وان صغر السن لا يمنعهم من الكمال : وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم) .

اجل « اوليس هذا وأمثاله كافياً لأن يأخذ بأعناق اهل العلم مذعنين بفضل اهل البيت ، ولأن يتمسكوا بحبل ولائهم واخيراً ولأن يقولوا بأولويتهم بمنصب جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وختاماً اتمنى لك ايها الأخ الأديب المتفقه دوام التوفيق لما فيه رضى الله سبحانه ولمن اليك من اخواننا المثاليين الذين ينشدون الحق ويعملون على ترويجه وعلى اشاعة الخير واحكام اواصر القربى بين المواطنين المهاجرين والى اللقاء على صفحات هذه المجلة الغراء المجاهدة ملتقى اهل العرفان ان شئت والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الغازية ــ لبنان عباس ابوالحسن الموسوي

حق الرعية على الراعي

كان هرون الرشيد في بعض غزواته ، فألح عليه الثلج ليلة ، فقال له بعض اصحابه : يا امير المؤمنين ، اما ترى ما نحن فيه من الجهد والتعب ، ووعثاء السفر ، والرعية قارّة وادعة نائمة ؟!

فقال له الرشيد : اسكت . ان للرعية المنام ، وعلينا القيام ، ولا بد للراعي من حراسة الرعية وتحمل الأذية .

طبيب عيون خفيف الروح

كان في القاهرة كحال ــ طبيب عيون ــ يدعى شمس الدين بن دانيال ومرة سأله سائل لا يعرفه : ما حرفتك ؟ وبأي شيء تكتسب ؟

فأجابه :

يا سائلي عن حرفتي في الورى ... واضيعتي فيهم وافلاسي !!
ما حال من درهم انفاقه ... يأخذه من أعين الناس ؟!

احب الناس

احبكم الى الله انفعكم لعياله .

التقريظ والانتقاد

الاصول الرسمية

لتاريخ الوزارات العراقية

جمعها وصنفها : السيد عبد الرزاق الحسني
بـ ٣٢٢ صفحة قطع كبير
مطبعة العرفان ـ صيدا

تساءل فريق من العلماء فيما اذا كان الرجال هم الذين يصنعون التاريخ ام ان التاريخ هو الذي يصنع الرجال . اي هل ان عبقرية بعض الأشخاص وذكاءهم يوصلهم الى تسلم مقدرات الأمة فيقترن اسمها بأسمائهم ، ام ان الظروف تقذف ببعض الأشخاص الى الحكم فيمنحهم التاريخ الشهرة والمجد . وذهب فريق من المؤرخين مع الرأي الأول ، وتبنى الفريق الآخر الرأي الثاني . ومهما يكن من أمر هؤلاء او اولئك فالمهم ان يطلع القارىء على اعمال هؤلاء الرجال الذين وصلوا الى كرسي الحكم ليقدر ان يحكم على كل منهم ، وتعتبر الوثائق والأصول الرسمية من اهم الاسس التي يمكن الاستناد اليها للوصول الى معرفة رجال الحكم . وتنبه المؤرخ العربي السيد عبد الرزاق الحسني الى هذه الضرورة فجمع وصنف للتاريخ الأصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل ، وهو يحتوي على مجموعة طريفة لكتب الاسناد الصادرة بتأليف الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل ، والنصوص الرسمية للارادات الملكية بأسماء الوزراء الذين تناوبوا الحكم طيلة العهد المذكور مع مناهج تلك الوزارات وكتب استقالاتها والأجوبة الصادرة بقبوله تلك الاستقالات فعمد الى نشر الوثائق الحكومية من دون تعليق او اضافة ليضع تحت تصرف القارىء مجموعة من الوثائق المهمة .

وقد تضمن الكتاب كتب الإسناد لتسعة وخمسين وزارة عراقية من ٢٥ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ لغاية ١٤ تموز ١٩٥٨ حيث اعلنت الجمهورية ، واشترك فيها مئة وخمسةوسبعون وزيراً توفي منهم ثمانية وخمسون وزيراً وبقي على قيد الحياة مئةوسبعة عشر وزيراً .

فالكتاب يعد مرجعاً مهماً من كتب التاريخ في هذه الحقبة من الزمن كما هي جميع كتب مؤرخنا الهام يحتاج اليها القارىء العربي في كل قطر .

« ميم »

اشهر المغنين عند العرب

تأليف : سمير شيخاني

نقد : كاظم حطيط

« اشهر المغنين عند العرب » كتاب جديد ألفه حديثاً الاستاذ سمير شيخاني ،وموضوعه طريف يعيش معه القارىء ساعات يجوب فيها اماكن غضة . ينتقل من روضة غناء الى روضة غناء دونما ملل او عناء . ويصحب مغنين ومغنيات عرباً تمايلت عصور مترفة على وقع أنغامهم . وما هم بطلبة استجداء ومتكلفي غناء ، بل انهم الالحان اذا ما انتشت وقد عرفتهم ايامهم الغابرة ، وصدحت بهم زهواً . وما كان ليزيدهم بعدالعهدالا تألقاً وانطلاقاً وحسبك ان تعرف منهم معبد ، وابن سريج ، والغريض وابراهيم الموصلي ، وطويس ، ودهمان ، وسلامة ، وزرياب ، ومحمد بن عائشة وغيرهم .

فالموضوع ممتع ولا شك في امتاعه . وخاصة وهو ينطلق من بين طيات العدم ليفوح كما كان حينما انتعشت الحاناً لتصفق اكف وتمثل نفوس .. او حينما جلاه حاذقاً لاول مرة ابو الفرج الاصفهاني . ويأتيه اليوم سمير شيخاني ليعيشه حسب عصرنا فيتلوه من جديدباسلوبه وفنه . فتتجلى دمشق يزيد والوليد وسليمان بن عبد الملك ، وبغداد الرشيد والمأمون والواثق ايام كان يعصف الشوق بهؤلاء الحكام الى الطرب ، الى استماع الموسيقى العربية . واذا بالالحان تنطلق مع تلك العصور وفي اجواء البلاطات ، كما لا احب ولا امتع .ونرى اولئك الحكام العرب ينطلقون على سجيتهم وخاصة حينما يعصف بهم اثر الصداح ويطربون . فيغيب عنهم جلال الملك ووقاره . واذا هم بشر تتلاعب بهم الانغام . فيندفعون في طلب النشوة دونما تحرج او مجاملة ، كما هي الحال مع يزيد بن عبد الملك ، اذا ما اشتد عليه وقع الطرب واذا هو بعيد كل البعد عن جدية الحكم وصلابته . ويندفع اولئك الحكام العرب

ليسنحوا بكل رغبة وصدق بالعطاء لمن يتيح لهم مطلب الانس والصفاء مع الوتر والصداح ولم يكن من المغنين الا ان يبدعوا في الغناء كخير ما يكون الابداع . ويتلاعبوا بأفئـدة الخلفاء كما يشاءون ، وينافسوا الشعراء والكتاب ويبذونهم احياناً بما ينالون من هبات . ولم يكن لهؤلاء المغنين مطارح تستقر بهم ، بل كانوا يستقلون بين البلاد العربية فيبسطون مواهبهم انى حلوا وارتحلوا وسواء كان ذلك في المدينة ومكة ، ام في دمشق وبغداد ، ام في المشرق والمغرب العربيين ، واذا هم بلابل في عواصم العالم العربي في ذلك الزمن .

وقد مضى المؤلف مع هؤلاء المغنين يقص حيناً ، ويسرد حيناً ، متخذاً في ذلك اسلوباً خاصاً لا هو بالترجمة الشخصية كاملة ولا بالتتابع القصصي تاماً بل هو من هذا وذاك ، فهو يحاول يقدم صوراً متكاملة لهؤلاء المغنين المشهورين ، ويعمل على ان يظهرهم في شتى فترات حياتهم . فيدخل معهم الى القصور والاكواخ ويصحبهم في الحـل والترحال وفي السراء والضراء . واذا به يحاول ان يرافقهم بشتى نواحي حياتهم وبكثير من الصفاء والانسجام ليطلعنا من بعد كل ذلك لا على ما يصدحون به من نغم فحسب بل وعلى ما يعتلج في نفوسهم من غرام حيناً وتحاسد حيناً آخر . وكان ان صور لنا انطلاق الغناء العربي في كل من العصرين الاموي والعباسي . وكيفية ذلك الانطلاق واذا باولئك المغنين يتعاونون حيناً ويتقابسون حيناً آخر . ليكون لهم ما يرغبون به من الغناء الجميل . ويبدعون ويبتكرون . وتنطلـق المدرسة الغنائية العربية . ويبرز فيها رواد لهم مذاهبهم والحانهم الخاصة . ويجتمع لمعبـد الالحان السبع . وبعرف للمغنية عريب الف صوت .

وتبلغ اصوات ابراهيم الموصلي الاربعمائة . ويندفع هؤلاء المغنون وغيرهم للعمل بكل جد واخلاص في حقل الغناء . وليكون لهم فيما بعد منطلق في تيار الحضارة العربية الصاعد واذا كانوا قد اتجهوا في غنائهم نحو الحكام من خلفاء وامراء ثم نحو بعض الشعراء . فان ذلك لا ينفي عنهم الابداع والبناء وفن الغناء واذا كانوا لم يؤثروا كل التأثـير على الادب ومن ثم على الاجتماع . فقد وهبوا الادب العربي الكثير من السلاسة واللين . والوجدانية ، وسواء أكان ذلك في مشرق الوطن العربي ام في مغربه .

ولما كان المؤلف لا يهمه في هؤلاء المغنين العرب فهم الغنائي وحده بل يسعى لاظهـار الكثير من جوانب حياتهم . فانه قد اطلعنا على نواح اخرى في مواهبهم غير الغناء فهم لم يكتفوا بما تجود به عليهم قرائح الشعراء بل انطلقوا مع اللحنِ الى الشعر ، ليكون لهم فيـه

مجال ومع ذلك الانطلاق يتضح لنا ما عانوه من لواعج شوق وحب وكان ان برع منهم في الشعر علية بنت المهدي وعريب وابراهيم بن المهدي واسحاق الموصلي . وغيرهم وان ابراهيم بن المهدي كان عالماً واديباً . وبذلك عمل المؤلف على توسيع دائرة ترجمته لهؤلاء المغنين المشهورين . واطلعنا على ما في شخصياتهم من نواح فنية وعاطفية وعقلية . ونحن بانطلاقنا معهم في تلك السبل الخضراء يتفتح لنا زهرات وزهرات . بما صدحوه من نغم وما نفثوه من آه وليكون لهم من ثم شخصياتهم الجاذبة الزاهية .

ولا شك في ان التأليف عن المغنين العرب الذين هزموا القدم . واستجلاء حياتهم هو مشاركة طيبة في تجديد التراث العربي واحيائه وقد حاول المؤلف ان يسهم في هذا التأليف لا كموسيقي بل كأديب وفنان . واذا كان لم يتوسع في دراسة فنهم الغنائي . فانه حاول مخلصاً ان يصور شخصياتهم تصويراً ادبياً وفنياً ، وانطلق في ذلك باسلوب رشيق امتلأ رقة وعذوبة . وقد استطاع ان ينسجم مع قصة الغناء والمغنين ، فبرزت لنا من خلال ذلك شخصيات المغنين حبيبة جذابة تعيش مع اللحن وللحن . وتغرق في نداء القلب ، واذا ما عبث الآخرون طرباً فانها تجد ابداعاً واحتراماً .

وليس يهمنا ان هؤلاء المغنين العرب قد استطاعوا ان يطربوا خلفاء سادرين اومتزمتين وعلى الرغم من ان ذلك يكشف لنا جانباً من حياة اولئك الحكام – بل ان الذي يهمنا في هؤلاء المغنين هو انهم اخلصوا لفن الغناء . وابدعوا فيه وشدوا ما طاب لهم الشدو وكان ان اسهموا مساهمة فعالة تذكر في بناء الحضارة العربية وخاصة في الجانب الفني منها . ذلك الذي كان له الاثر الفعال في نشأة الحضارة الغربية والمعاصرة . وان في الكتابة عنهم لاظهاراً لهم كرواد اخلصوا في عطائهم الغنائي فكان لهم مكان في الانطلاق الحضاري . وانهم منا ومن تراثنا العظيم .

وقد احب المؤلف موضوعه . فوهبه ما استطاع من رقة وطلاوة فاذا هو صور ادبية جاذبة تأخذ بعض الاحيان من القديم . ولكنها تحاول جادة جلاءه ويبرز في جدة . ويكون لنا فيه انس ومسرة . والتقاء مفيد وجميل مع امتن المغنين عند العرب واذا هي طريقة شيقة في بعث التراث ونشر الماضي في مواكب الحاضر . وذلك بروح تدفق حباً وضياء واذا بالماضي قطعة من الحاضر . وسيتولى الاثنان ليكونا زمناً واحداً يموج بالخطب والعطاء والفن .

كاظم حطيط

والذين هاجروا

رسالة دكار

سيفتتح سيادة السفير اللبناني محمد علي حمادة بحضور وزير الصحة السنكالي وبعض الشخصيات الرسمية ووجهاء الجالية اللبنانية في مطلع العام القادم المستوصف اللبناني الكائن في حي (المدينة) حيث سيقدمه هدية لبنانية للسنكال وقد تطوع اطباؤنا اللبنانيون القيام بالمعالجة فيه مجاناً بطريقة المناوبة يومياً . وستشرف عليه المندوبة الاجتماعية التي وصلت حديثاً من لبنان لتأمين السير فيه وهكذا يشارك لبنان في تقوية الاواصر بين البلدين ، وهذا جزء من المخطط الفني الذي رسمه السفير محمد علي حمادة ونال المصادقة من وزارة الخارجية اللبنانية اثناء وجوده في لبنان .

في مدخل السفارة اللبنانية الجديدة الكائنة في شارع (الحرية) وهو اكبر شارع في دكار قاعة كبرى سيجري افتتاحها مكتبة للمطالعة المجانية لأبناء السنكال وطلابه وابناء الجالية اللبنانية بإشراف المستشار الثقافي الاستاذ مروان حنا المنهمك الآن في ترتيبها وتنظيمها وفهرستها حسب الاصول الفنية والاستاذ مروان من الاختصاصيين في هذا . وهكذا نلمس بوادر نجاح نهضة طيبة علمية سيكون لها الصدى المستحب في الاوساط . خصوصاً بعد نجاح معرض الكتاب العربي اللبناني الذي دام عرضه في بحر هذا العام لمدة شهر واحد وكان افتتاحه بحضور الدكتور فؤاد عمون الامين العام لوزارة الخارجية سابقاً قبل احالته للتقاعد .

وصل الى دكار المستشار الثقافي في السفارة العربية المتحدة الدكتور فودة ومعاونه لافتتاح المركز الثقافي العربي في دكار .

مجلة روز اليوسف المصرية

للمرة الثانية وفي بحر عامين تتعرض مجلة روز اليوسف المصرية لصاحبها الاستاذ احسان عبد القدوس للجالية اللبنانية المنتشرة في افريقيا وبالاخص السنكال ، هذه الجالية التي عايشت البلاد منذ مئة وخمسين عاماً في اطار من الصفاء والمحبة ولا ندري لمن ولمصلحة من تكتب

هذه المقالات المثيرة للشعور العام وتحريك عوامل الفتنة بين صفوف الشعب السنكالي وابناء الجالية اللبنانية بالذات ؟

ففي عام ١٩٦١ كتب احسان عبد القدوس في العدد ١٧٢٦ مقالا هاجم فيه ابناء الجالية اللبنانية فاتهمها باللصوصية وامتصاص دم البلاد وانها عميلة الاستعمار تعاونه على اذلال الشعب بكل ما لديها من قوة وامكانيات ووصمها بشتى انواع الاجرام وانها تهرب الاموال الى لبنان لتشيد فيه العمارات الضخمة ولتزيد في ازدهاره الى آخر تلك السلسلة التي قام على إثرها الاجتماع الصارخ والشكوى للمراجع اللبنانية التي اهتمت للأمر والتي كانت كسلاح في يد اسرائيل لمحاربة الجالية اللبنانية في الاوساط الرسمية .

واليوم تطلع علينا مجلة روز اليوسف في عددها ١٨٤٩ بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٣ بمقال كتبه السيد جمال حمدي الذي قام بجولة في افريقيا حشاه بالاراجيف والتهم والمغالطات بحق هذه الجالية اللبنانية ملصقاً بها من المخازي العارية من كل صحة والتي تدور في مخيلات اصحاب وكتاب روز اليوسف فقط .

يحاول المقال الجديد ان يُظهر اللبناني في ثوب المجرم والعميل للإستعمار يمارس التمييز العنصري ، يبتعد عن الشعب السنكالي لا يخالطه ولا يمتزج معه . يرسل اولاده منذ بلوغهم سن السادسة الى لبنان ليتعلموا فيه ، وانه عندما تبلغ البنت سن الزواج يستورد لها والدها زوجاً من لبنان فقيراً معدماً فيزوجه ابنته بعد ان يفتح له محلا لتعاطي التجارة ... وان الفيلات المنتشرة على طريق الكورنيش في دكار هي ملكاً لهؤلاء الذين اثروا في ظروف مريبة ومخجلة ... وان اللبناني يتمتع بركوب السيارات ذات الستة الامتار طولا وانه يعيش في قصور تنافس قصور الريفييرا الفرنسية ... يربح اللبناني الكثير ويمتلك الكثير . دائماً يتهرب من دفع الضرائب والجمارك ... وصل تعدادهم الى ثلاثة عشر الفاً جميعهم يتمتعون بالجنسية السنغالية منذ عشرات السنين ؟ ربحوا الالوف والملايين لكنهم جميعهم يعيشون داخل احساس واحد انهم ما زالوا لبنانيين !

واللبنانيون لهم شركاتهم الفردية تقوم بتجارة الجملة ونصف الجملة والقطاعي : ببساطة كان بعض اللبنانيين ظلا للاستعمار الفرنسي ، ظلاله نفس الخطوط وتصبغه نفس القتامة التي اشاعتها فرنسا في السنكال : استهلكوا امكانيات البلاد ، ثم حملوا نفس الاحتكار الذي يصبه الفرنسي على السنكالي الاسود . كان الفرنسيون سادة وأصبح اللبنانيون يملكون الملايين !! حتى طعامهم لم يتغير يأكلون التبولي ويحضرون الحمص والصنوبر من لبنان

زرعوا الملوخية وادخلوها ضمن قائمة طعامهم ... شيء آخر ان مستقبل افريقيا لا مكان فيه لاجنبي ... هذه مقتطفات من المقال الطويل العريض الذي دبجه قلم الاستاذ جمال حمدي !!

وبالطبع ينتهز سفير اسرائيل هذا الظرف ليقوم بترجمة المقال حرفياً معلقاً عليه بما توحيه الفرصة لمحاربة ابناء الجالية فيطبعه ويوزعه بآلاف النسخ على الدوائر الرسمية والقرى والدساكر في داخلية البلاد لإيغار الصدور واحداث البلبلة والمشاغبة .

عجباً ألم يبق في جعبة روز اليوسف من هدف تكتب فيه سوى تحطيم وتخريب جهود هذا اللبناني الذي يعيش منذ ١٥٠ سنة فوق هذه الارض المضيافة في اطار المحبة والمعايشة السلمية والامتزاج والاختلاط والتزاوج من هذا الشعب الكريم ؟

ألم يجد كتاب روز اليوسف شيئاً من مآثر هذا اللبناني الذي عمّر واشاد وتاجر في هذه الربوع محولا بجهوده الادغال والاحراش الى مدن ضاحكة وتجارة مزدهرة ان الارض السنكالية المجبولة بدم اللبناني والتي تضم في جوفها الآلاف المؤلفة من جثث اللبنانيين تصرخ في وجه هؤلاء المرتزقة الانتهازيين تكذب دعواهم واضاليلهم واراجيفهم . وان السنكال ليس بحاجة الى من يدافع عنه وعن حقوقه . ويعرف مدى هذا التزلف الذي يبديه هؤلاء المرتزقة فيحتقر دعايتهم ويقدر حقوق المهاجر اللبناني الذي عايشه مدى هذا الزمن الطويل وتلك تصاريح كبار السنكال والمسؤولين فيه خير دليل واكبر شاهد على ما نقول . لقد نزل في صيف هذا العام وزير داخلية السنكال ضيفاً عزيزاً على لبنان الذي احتفل به شعباً وحكومة في ارجائه واقيمت له الحفلات العديدة التكريمية فكانت خطبه تدور حول تقدير السنكال لجهود المهاجر اللبناني في ارضه ويثني عليه الثناء العاطر ويقول «لقد اصبحنا اخواناً عبر السنين واصبحت تقاليدنا واحدة فكما انهم يتكلمون بلغتنا فنحن نتكلم العربية ونجتهد بأن نكون اقوى رابطة عن ذي قبل . لمسنا من الاخوان المهاجرين مشاركتهم ايانا في بناء المستقبل وتوطيد دعائم الاستقلال ولا يفرق بيننا اي شيء . الى كثير من امثال هذه الاقوال الدالة على تقدير القوم لجهود اللبناني في السنكال .

فما بال روز اليوسف وكتابها ينهشون هذا اللبناني كيفما تلفتوا وارتحلوا وتوجهوا .

أهل نفسره بالحسد والحقد المتأكل الصدور ؟ ام بماذا ؟! وهل يجتمع حب البلاد ورئيسها وتحدي بنيها ؟!

دكار — السنغال

احمد سامي
مراسل العرفان

آراء القراء ومشاكلهم

جمعية اهل البيت للتأليف والنشر

حيا الله السادة العلماء الأفاضل ، القائمين على أمور هذه الجمعية ، فقد اتيح اخيراً للشيعة في لبنان ، من يُطلق عليهم بحق وعن جدارة « علماء » ... يعملون في سبيل الوحدة والإلفة بين المسلمين ويعملون على نشر الدعوة الإسلامية ومحو الشوائب التي طغت على كتب الدين الإسلامي بشتى طوائفه ومذاهبه ، لقد آن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، الأخذ بما يتفق مع مبادىء القرآن والعقل والمنطق والإنسانية ، ونبذ ما هو بعيد عن مبادىء القرآن ومنطق الدين والإنسانية .. فهناك كتب كثيرة مليئة بالخزعبلات والخرافات ويمكن للمسلم المثقف أن يقبلها او يستسيغها ، روّج لها دعاة التفرقة والمغرضون الحاقدون على الدعوة الإسلامية ، لكي تزرع بذور الشقاق بين المسلمين فتصل الى اغراضها عن طريق التناقض والخلاف بين المذاهب . لقد آن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف مللهم ونحلهم ان يعرفوا ان الدين الإسلامي واحد وان القرآن واحد وان النبي واحد وان القبلة واحدة لا فرق بين مسلم ومسلم .

وآن للشيعة ان يعرّفوا العالم بأهل البيت... من هم ؟ وما هي مبادئهم ؟ واهدافهم ؟ نعم ... آن لنا ان نبين للعالم ان اهل البيت ليسوا اولئك النائحين الباكين والمستبكين ... آن للعالم ان يعرف ان اهل البيت هم اولئك الأبطال الشهداء الذين خططوا للعالم بدمائهم الزكية الطاهرة ، دساتير الحق والعدالة والشرف ، اولئك الذين حاربوا بذور التفرقة والشعوبية والعنصرية . واعطوا للعالم دروساً في الاستشهاد في سبيل نصرة الدين الاسلامي واعلاء شأنه وكلمته .

وبالمناسبة اقدم للقارىء ما كتبه جدنا السيد محمد العيناثي الشهير بابن القاسم الحسيني في كتابه ادب النفس — فصل ١٢ من الجزء الثاني تحت عنوان : آداب الدعوة الى الله .

يقول المؤلف :

« اعلم يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه ، بأن شيعتنا واخواننا المؤمنين المتفرقين في البلاد وسائر من ينتسب الينا فإنهم في أحوالهم ومراتبهم على منازل ثلاث : فطائفة منهم خواص عقلاء متدينون أخيار فضلاء ، وطائفة منهم ذوو آراء ومذاهب ، هم فيها مختلفون

وأقاويل مفننة هم بها مشغوفون ، وأخلاق وسجايا هم بها متغايرون ، فنريد أن نذكر كل طائفة بأوصافهم ، وندل عليهم بعلاماتهم ، حتى اذا دخلت مدينة او بلداً من البلدان ولقيت منهم احداً تبينتهم بعلاماتهم وعرفتهم بسيماهم ، فتلقيتهم بالتحية والسلام ، وداخلت كل طائفة منهم بألطف ما تقدر عليه من الرفق والمداراة ، وذاكرتهم علمنا بحسب ما تقبله قلوبهم والقيت عليهم من أسرارنا حسب ما تحتمله عقولهم ، وتتسع له نفوسهم وتبلغ اليه هممهم وتتصورها أفهامهم ، وتكون في ذلك كمثل الطبيب الحكيم الرفيق » .

ثم يقول : « واعلم بأن من اخواننا وأهل شيعتنا طائفة اخرى مقرون بوجودنا، شاكون في بقائنا ، متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا ، وطائفة اخرى موقنون ببقائنا ، لكنهم غافلون عن أمرنا ، غير عارفين بأسرارنا ، وكلهم منتظرون لظهور أمرنا ، مستبطئون لمجيء آبائنا ، مشتهون نصرة امرنا ، فإذا لقيت منهم أحداً فبشره بما يسره ، وقرّب عليه ما يظنّه بعيداً مما يؤمّله ، وعرفه ان ما يرجوه غير بعيد ، وذاكر من وثقت به من اخواننا بما القينا اليك من علمنا ، وأطلعه على ما أطلعناك عليه من أسرارنا ، كيما تطمئن به نفوسهم بما يعتقدون فينا ، ويتبين لهم صدق ما هم مقرون به من أمرنا ، وأخرج اليهم رسائلنا ، ما يرغب نفوسهم فيه وترتاح اليه ، وليكن ذلك على النظام والترتيب كما بيّنا لك، فلعلهم اذا استمعوا القراءتها وفهموا معانيها انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ، ورقدة الجهالة ، وحييت بروح المعارف ، كما ذكر الله جل ذكره فقال : « أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » .

واعلم يا اخي ان في الناس طائفة من اهل ملتنا مقرون بفضلنا وفضل اهل بيتنا ، لكنهم جاهلون بعلومنا ، غافلون عن اسرارنا وحكمنا ، فمن ذلك انهم يجحدون وجودنا، وينكرون بقاءنا ، فإنهم يزرءون بشيعتنا المقرين بوجودنا ، المنتظرين ظهور امرنا وهم معاندون لهم ، متعصبون عليهم مبغضون لهم .

واعلم ان أحد الأسباب في ذلك هو ان اقواماً من شرار الناس جعلوا التشيع ستراً لهم عما يجحدون من الآمرين عليهم بالمعروف والناهين عن المنكر فيما يفعلون وذلك ان يرتكبوا كل محظور ويتركوا كل مأمور به واذا نهوا عن منكر فعلوه ، بادروا بإظهار التشيع ، واستفزوا العلوية على من ينكر عليهم او ينهاهم عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يصنعون.

ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لها مثل الناحة والقصّاص ، لا يعرفون من التشيع الا التبري والشتم والطعن واللعن والبكاء من النياحة ؛ وحب المتدينين بالتشيع ، ممن قد يرى طلب العلم وتعلم القرآن والفقه في الدين ، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور

جولة العرفان في شهر

بقلم : رئيس التحرير

هذه السنة التي مضت بخيرها وشرها بعجرها وبجرها سنة ١٩٦٣ ميلادية ، عرفت احداثاً جساماً سجلها التاريخ وقال فيها كلمته وان لم تكن الفاصلة بعد . وصلت فيها الحرب الباردة الى أقصى مداها فظن الناس ان الحرب على الأبواب واذا بالأمر ينعكس تماماً فتنقلب الآية ويصبح امل السلام أقرب من تشاؤم الحرب ، وان كانت في اواخرها تنتهي على غير ما يشتهي المخلصون فيُقتل رجل كان يحفظ التوازن ويميل الى انتهاج الطريق السوي . هذا في العالم كله ، وأما في البلاد العربية فقد كانت سنة ويا لها من سنة وعام ويا له من عام انقلابات وثورات وقتلى وجرحى وبُعد عن العقل والمنطق والمحبة والواقع . وتعطيل لمرافق البلاد الاقتصادية الى ما هنالك من امور لا تسر واعمال تضر ولا تنفع ، لمصلحة من هذه التصرفات ؟ لا شك لمصلحة العدو ؛ وبعد ذلك هل استقرت الأمور على حال .

وهل يفضي مؤتمر الملوك والرؤساء الى شيء ؟ او انه سيكون كبقية الإجتماعات :

كالنساء الثواكل ، يبكون على فقد أجسادنا وهم بالبكاء على انفسهم اولى » .

ما أشبه الأمس باليوم ، فإلى الامام ايها السادة العلماء ونحن واثقون من قدرتكم على النجاح ، ولا سيما وان بينكم العلامة النشيط المصلح الشيخ محمد جواد مغنية والعلامة الكبير السيد موسى الصدر وفقكم الله وسدد خطاكم .

ديوربل ـ السنغال　　　　محمد حسين نصر الله

ـ نُعي الينا والملزمة على الطابع وقد انتهينا من طبع هذا العدد العالم الأديب الخطيب المؤرخ السياسي الكبير صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية الاسبق فإلى عدد مقبل .

ـ قبل ميعاد سفر صاحب العرفان الى القاهرة بيومين لحضور مؤتمر الذروة ومرافقته خطوة خطوة لموافاة القراء بأصح الانباء عنه داهمته الانفلونزا وقد أشار عليه الاطباء بالراحة وملازمة الفراش بالوقت الحاضر ، نسأل الله لحكام العرب الهداية للوصول الى الغاية والاخلاص للتوفيق في العمل .

تشريفات ومآدب ؟! وطالما ان اسرائيل قد بدأت جهاراً نهاراً بالاستعداد لتحويل مجرى نهر الاردن منذ سنة ١٩٥٣ فما معنى المماطلة والتسويف من حكام العرب والبلاد العربية للآن وتلهيهم بالسباب والشتائم والاساءة الى بعضهم بعضاً .

وطالما ان الحرب غير واردة مع اسرائيل كما ورد على لسان كبرى الشقيقات العربيات، فهل يتفق العرب على تخصيص المال اللازم لتحويل روافد الاردن الى لبنان وسورية ؟ وهل ذلك يعطي النتيجة المطلوبة في الوقت الحاضر ؟ نتمنى على حكـــام العرب ان يتفقوا ولو مرة واحدة فالأمر اصبح لا يحتمل اكثر مما مضى ، والشعوب قد تنبهت للخطر المحدق فـــلم يعد هناك مجال للاتجار بها ، واستغلال عواطفها ، انها ساعـــة الصفر يا حكـــام العرب فاستفيقوا واستيقظوا .

والموضوع الهام الذي غطّى على جميع الحوادث هو اجتماع المجمع المسكوني في عهـــد قداسة البابا الحالي في اواخر العام الماضي ، وحج قداسته في اول هذا العام الى فلسطـــين الارض المقدسة ، ولست احاول في هذه العجالة ان اتحدث عن الاستقبال الحـــافل الذي جرى لقداسته ، ولا عن خطبه واجتماعاته ، فكل ذلك قد ذكرته جميع الصحف ونقلتـــه الاذاعات والتلفزيونات ، ولكن اهم ما امتاز به هذا الموضوع هو اجتماع قداسة البابا وغبطة البطريرك اثينا غوراس ، وتصريحاتهما وتفاؤلهما باتحاد الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية فهل للمسلمين ان يأخذوا درساً من هذا الاجتماع ؟ ويعلموا اذا كانوا لا يدركون للآن ان كل اجتماع من هذا القبيل يولّد المحبة وينعش القلوب ويحيي النفوس الميتة . لقد دعوناهم قبل اجتماع المجمع المسكوني الاول الى مثل هذه الاجتماعات بين رؤسائهم فـــلم يستجيبوا ، فهل يستيقظوا الآن ويأخذوا درساً بواقع الحياة وتطوراتها وحاجتها الماسة الى التكاتف والتآلف بين الجميع ، وخصوصاً اذا لم يكن الخلاف جوهرياً . على انه مما لفت نظرنا واكبرنا فيـــه الكلمة الكبيرة تصدر من الكبير والجملة الذهبية يتفوه بها سيد الكنيسة هو قوله في جملة تاريخية نطق بها في تصريحه الى الصحفيين قال :

اللاهوت واحد ولكن اللاهوتيين كثر

نعم هذه هي الحقيقة التي لا مراء فيها والى الملتقى يا قارئي الكريم حيث نلتقي واياك في الشهر القـــادم حول موضوع لم نتمكن من بحثه هـــذه المرة وهو : الصحفي والنـــاس ، الصحفي والمجتمع الخ ، وحيث تطالع في العرفان المقالات القيمة لخيرة الكتاب .

البترول : وسيلة الى حياة افضل

تفد الى ميناء بيروت وتقلع منه في كل عام ، في المتوسط ، اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ باخرة ، حاملة معها اكثر من ١،٦٠٠،٠٠٠ طن من البضائع . هذه البواخر الناقلة لآلاف من السلع (في عملية التبادل التجاري العالمي المتزايد دائما) تسير كلها تقريبا بمنتجات البترول .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

اهم الاخبار والآراء

ـ بمناسبة عيد الميلاد المجيد وعيد رأس السنة الميلادية نتقدم من اخواننا المسيحيين في لبنان خاصة والعالم عامة بتهانينا سائلين المولى ان يعيده عليهم وعلى العالم اجمع بالسعادة والسلام ونخص بالذكر فخامة اللبناني الاول .

ـ بمناسبة شهر رمضان المبارك نتقدم من كافة المسلمين بالتهنئة بهذا الشهر العظيم سائلين الله ان يعيده عليهم وعلى العالم اجمع بالخير والبركات وندعو الجميع وخصوصاً الشباب الى صومه واحيائه ، فهو شهر تقبل فيه الطاعات وفيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر .

ـ يسرنا ان نعلن لاخواننا ومشتركينا ومناصرينا واصدقائنا في الارجنتين والبرازيل من جمعيات ومدرسين للدين واللغة العربية ان فضيلة الاخ العلامة المجاهد السيد محمد كاظم القزويني مستعد لتزويدهم بكمية من الكتب الدينية والفكرية الاسلامية . فمن اراد فليخابره على هذا العنوان :

كربلاء المقدسة : العراق رابطة النشر الاسلامي

السيد محمد كاظم القزويني

على ان يذكر الطالب الاسم والعنوان وعمره وحرفته .

وبهذه المناسبة ليس لنا الا ان نثني الثناء العاطر على فضيلة الاخ العلامة القزويني فليست هذه اولى مناقبه وحسناته ، فقد سبق ان زود اخواننا في اندونيسيا والاردن والمغرب الاقصى وقسم من افريقيا بكثير من الكتب . حياه الله واكثر من امثاله .

تاريخ الانتخابات في لبنان

معلومات تتلعلق بالانتخابات التمثيلية الشعبية

من صدور التاريخ حتى اليوم

لمؤلفه : جورج عارج سعادة

يصدر في الشهر القادم كتاب « تاريخ الانتخابات في لبنان » وهو يتضمن المواد التالية :

من اقدم العهود الانتخابية في لبنان .

الى اول مجلس تمثيلي ونيابي .
حكومات الانتخابات .
دليل الانتخاب في لبنان .
قانون الانتخابات النيابية .
الرؤساء السياسيون في لبنان .
خطاب هيللو التاريخي عام ١٩٤٣ لانتخاب اول مجلس نيابي في عهد الاستقلال .
حكام لبنان منذ اعلان استقلاله في اول ايلول عام ١٩٢٠ .
مجموعة من الصور الفريدة لمشاهير رجال السياسة في لبنان .
فنلفت اليه الانظار . ونثني على نشاط مؤلفه .

حقوق الشيعة المهضومة

اما في لبنان فالارقام تتكلم وهي حاضرة عندنا للنشر . واما في السعودية فلم يزل اخواننا في المنطقة الشرقية يشكون الاجحاف والظلم والاهمال .

واما في « العراق » فالشكوى كثيرة من هضم حقوق الشيعة واساءة معاملاتهم وكنا قد حذرنا حكام العراق من التمادي في هذا الظلم وهذا الاجحاف فلا يستتب الامن في بلاد ولا يسودها استقرار دون تأمين العدالة الاجتماعية فكيف اذا كان هناك اساءة لابسط قواعد الانسانية .

الهيئة الادارية

جمعية كيفون الخيرية لسنة ١٩٦٤

فاز السادة : فوزي سعد رئيساً ، حسين درويش نائباً للرئيس ، فؤاد الحكيم اميناً للسر سهيل الزين اميناً للصندوق ، اسعد خليفة محاسباً .

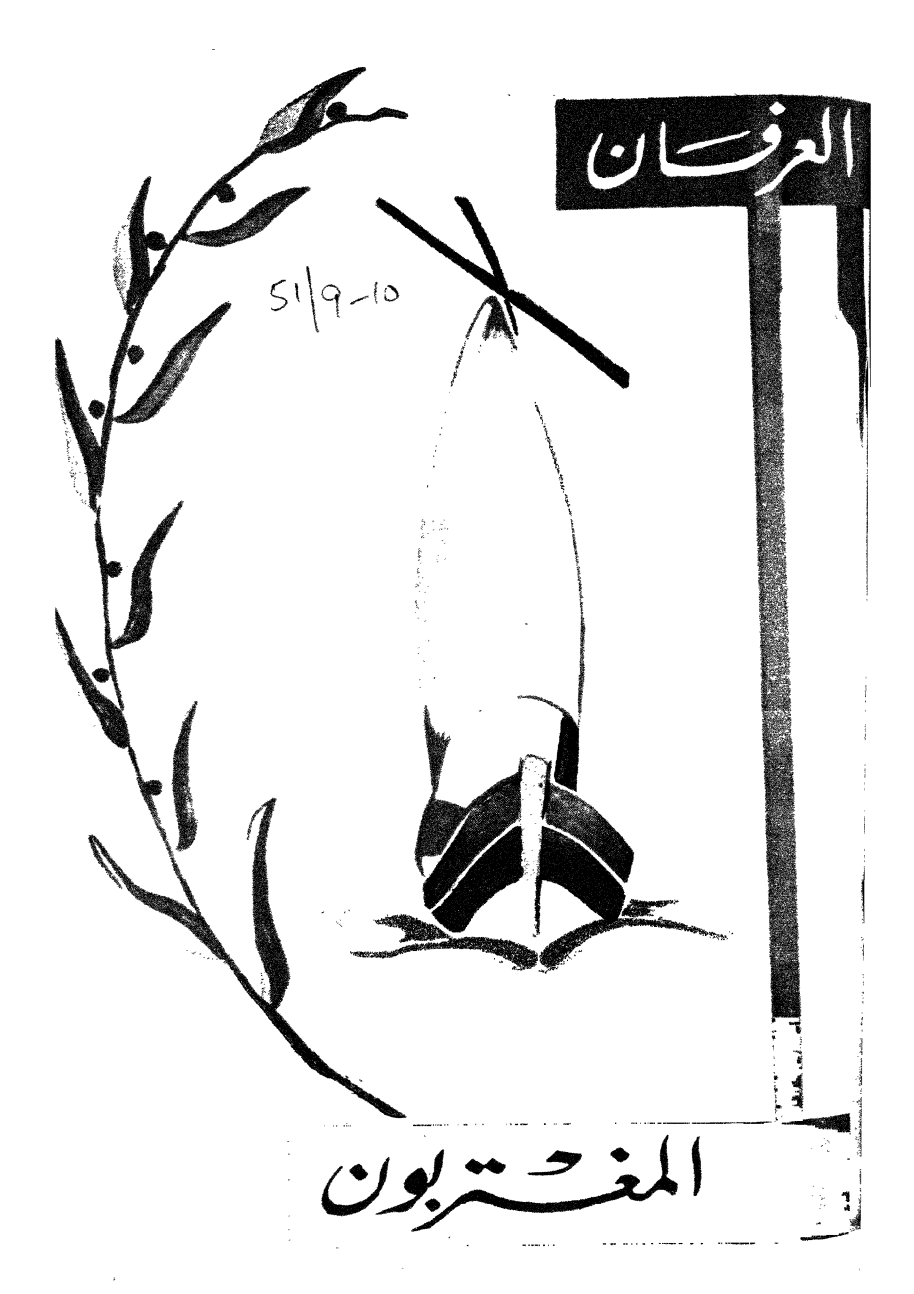
اعضاء : محمد سرحال ، سامي القاضي ، عباس الحاج ، كرم عواضة .

فتتمنى لهم التوفيق والنجاح ، ولكيفون التقدم والازدهار .

الوفيات

توفيت في صور السيدة والدة السادة خليل ومصطفى واحمد قرعوني وقد اقيم لها اسبوع حافل في صور في النادي الحسيني . نأسف انا لم نتمكن من حضوره لأسباب قاهرة .

وتوفي في بيروت ونقل جثمانه الى شحور مسقط رأسه أثناء غيابنا بالقـــدس محمود زين عاصي وقددفن بمجالي التكريم كما اقيم له اسبوع حافل لها الرحمة وللآل العزاء .


العرفان
٥١/٩-١٥
المغتربون

البترول : وسيلة الى حياة افضل

ان الجراد ، الذي كان منذ زمن آفة الغلال والمحصولات الزراعية ، قد غدا اليوم في طريق الخضوع لسيطرة الانسان بواسطة مبيدات الحشرات . فالمزارعون اليوم يحصدون محاصيل أفضل وأوفر لأنهم قادرون على أن يكافحوا بنجاح الفطريات والحشرات التي تتلف أو تعيق نمو النباتات . هذه المبيدات للحشرات والطفيليات التي أتاحت السبيل لظهور تلك التطورات هي مشتقة من البترول .

التابلاين : وسيلة لنقل البترول

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

تلفون البيت : ٧٢٠٦٦٤ سنتها عشرة اشهر بألف صفحة تلفون المطبعة : ٧٢٠١٠٥

الجزء التاسع والعاشر المجلد ٥١ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٨٣ آذار ونيسان ١٩٦٤

	الموضوع	الكاتب
٨٧٤ — ٨٨٨	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٨٨٩ — ١١٢٨	المغتربون	عبد اللطيف اليونس

« شطران قلبي، شطر للمقيم على الوفاء، وشطر للذي نزحا »

اثنان اعيا الدهر أن يبليهما ... لبنان والأمل الذي لذويه
نشتاقه والصيف فوق هضابه ... ونحبه والثلج في واديه
وطني ستبقى الأرض عندي كلها ... حتى اعود اليه ارض التيه
سألوا الجمال فقال: هذا هيكلي ... والشعر قال : بنيت عرشي فيه
يا صاحبي يهنيك انك في غد ... ستعانق الأحباب في ناديه
إن حدثوك عن النعيم فأطنبوا ... فاشتقته لا تنس انك فيه

ايليا ابو ماضي

بيني وبين القارئ

بقلم : نزار الزين

قارئي الكريم :

الصراحة وبيان الحقيقة المجردة يتضايق منها بعض الناس وربما كثير من الناس في هذه الأيام وقد تخلق للانسان المشاكل وتوجد له العقبات ولكن الضمير المهني يقتضيها ويلح في طلبها ، لذلك لا يمكن ان نحيد عنها ولو كانت طريقها مليئة بالأشواك . فالصحفي المخلص النزيه وراء مكتبه المتواضع ، لا يسمح ان تصدر له الأوامر من اي كان مهما بلـغ أمره وعلا شأنه ، وليس سلعة تباع وتشرى او آلة مسخرة يحـاول بعض اصدقائـه استغلاله لمصالحهم ومنافعهم . ليس بينه وبين الناس حجاب يقبل ملاحظاتهم وانتقاداتهم بصدر رحب ، ويعمل دوماً على اداء واجبه كاملا حسب استطاعته ، انا لا انكر ان الصحافة قد دخل فيها من لا يستحق ان ينضوي تحت لواء صاحبة الجلالة السلطة الرابعـة ولكن ليس معنى ذلك ان ينظر الى الجميع بعين واحدة ، فالذي يبذل ويضحي ويفنى في سبيل المهنـة ليس كمن يغنى من المهنة ، ثم ان الصحافة الأدبية التي كانت في الطليعة من الركب الصاعد ايام الجهل والركود وبعد عصر الانحطاط قد اجمع الباحثون على عظيم ما أدته للوطن والعلم والادب وكريم ما اسدته للناس ، فصفحاتها كانت منبراً لاصطراع الفكر وخدمـة العلم والأدب ، ومحاربة كل استغلال واستبداد وانحراف ، والعرفان كانت ولم تزل والحمد لله في المقدمة ، ولها جولات وصولات قد تكلم عنها الباحثون واوضحها المفكرون النزيهون ،على ان العرفان قد فاقت غيرها بأنها عالجت السياسة معالجة صريحة واضحة . لا أمت فيها ولا عوج ، فالصحافي المخلص هو المعلم النزيه العاقل العالم فـلا تستبيحوه ولا ترهقوه وحاولوا تقويته ولا تضعفوه . الصحافي المخلص منارة تلجأ اليها الأفكار التائهة في الظلمات فتجـد فيها مرفأ اميناً .

قارئي العزيز :

مسألة اريد معالجتها بصراحة وارجو ان يكون ذلك للمرة الأخيرة فلا احب ان اضيع وقت القراء في اشياء قد عالجتها مراراً وتكراراً ، عاتبني شباب من اخواننا الصيداويين بشأن حديث ذكره الاستاذ محسن عبد الصاحب المظفر في مقاله : « وادي السلام في النجف » وفحواه ان الامام اشترى ارضاً بأربعين الف درهم وقال بأنه يسكنها جماعة من شيعته يدخلون الجنة بدون حساب وقد سألوني كيف اسمح بنشر مثل هذه الأحاديث ، فسواء صح هذا الحديث او لم يصح فليس فيه ما يسيء لأحد ، ولكني شخصياً لا أعتقد بأن أحداً يدخل الجنة بدون حساب ، فالآية صريحة واضحة « لا يشفعون الا لمن ارتضى » اي ان الشفاعة نفسها مقرونة بالعمل ، وقد كتبت مراراً وتكراراً انا اذا اكتفينا بما رواه غيرنا عن الامام وباقي العترة الطاهرة يكفي لبيان افضليتهم وتفوقهم ، فقد روى ابن حجر المشهور بتعصبه والسيوطي وابن الاثير حديثاً فحواه :

ان الامام يرد على الحوض وجماعته راضين مرضيين ، وفي هذا كفاية ، كما استفهمني جماعة حتى من الشيعة عن بعض ابيات وردت في قصيدة فضيلة العلامة السيد حسن الشيرازي المنشورة في العدد السابع من العرفان وعدّوها غلواً وحاشا لمن اوتي من العلم والفضل مثل السيد حسن ان يغلو . ولكن الافضل ان نبتعد عما يثير الشكوك حولنا .

وقد طلب مني بعض الشباب المخلصين ان يكثر علماء الدين من المقالات النافعة مثل مقال فضيلة العلامة الشيخ محمد حسين الزين الذي نشر في العدد السابع من العرفان وعنوانه « المسلمون والاحزاب » لان فيه من الحقائق والاعتدال والرزانة ما يفيد كل قارىء .

ولا بد لي هنا الا ان الفت نظر الجميع الى المحافظة على الاعتدال والرزانة والبحث عن الحقائق المجردة عن الغايات ليأتي ما ينشره الانسان نافعاً ومنتجاً كما اثنوا على خطاب فضيلة العلامة الشيخ حسين معتوق المنشور في العدد السادس من العرفان وما فيه من الجرأة والواقعية .

قارئي الكريم :

العرفان لا تصدر بمال وزارة اوقاف كما هي الحال في مجلة « منبر الاسلام » في القاهرة مثلا او « هدي الاسلام » في الاردن او بمال احد المراجع الدينية كما هي الحال في مجلة « مكتب اسلام » في قم ، ولا تعضدها حكومة من الحكومات ، وليست لمحيط دون محيط بل انها تلف العالم بأسره ، وانها في محيط لا يعرفه الا من يعانيه .

كما انها ما حادت يوماً عن الدفاع عن الدين والعقيدة والمبدأ اكثر من استطاعتها، ولكن البعض يطلبون منا ما لا يطلب .

فنحن في محيطنا وحسب هذا العصر والزمان أعرف منهم في الطريقة المجدية للدفاع عن الحق ، وهناك افراد وجماعات او فئات من الذين يدعون القيام بأعمال اجتماعية او خيرية . وربما كنا لا نعتقد بأنها مجدية او صحيحة يطلبون منا ويعتبون علينا لماذا لا نقوم بالدعاية لأعمالهم ومشاريعهم ، ان علينا نحوهم واجبات ، ولكن مشروع العرفان الذي كان ولم يزل مدرسة ونادياً ادبياً وعلمياً وصرخة عالية في الدفاع عن الحق ، ليس عليهم نحوه واجبات، ولتمت المشاريع النافعة على ان يعيشوا وحدهم . ومثل هذا كثير لا تتسع لبحثه هذه العجالة كما ان البعض حتى من الذين يدعون التدين لم يزالوا يعتبون علينا لعدم نشر الصور وغيرها من الامور التي تطيب لهم مما يشبه رجوع الشيخ الى صباه ولكنها تخالف خطة المجلة .

قارئي العزيز :

لقد اعتادت العرفان على اصدار الاعداد الممتازة في مختلف المناسبات وقد لاقت هذه الاعداد الاعجاب بصورة عامة . ولذلك نداب على اصدارها رغم تكاليفها الباهظة . ويطلب منا البعض جريدة « جبل عامل » التي جددنا اصدارها بعد وفاة المرحوم الوالد وكنا نقدمها هدية للقراء ، احياءاً لذكره وتخليداً لآثاره ودفاعاً عن العقيدة التي هاجمها بعض المتعصبين بدون حق . فأخفتنا اصواتهم ورددنا كيدهم الى نحرهم ولوانا نرى الحاجة الآن ماسة الى اصدارها لما تأخرنا رغم كثرة تكاليفها وهكذا يرى القارىء انا نبادله على قيمة اشتراكه الزهيد بأكثر منه .

هذه سنة العرفان قد انتهت بهذا العدد فمن لم يسدد اشتراكه من المشتركين فليبادر الى تسديده ، وليسرع الى محاسبة نفسه ، ومن اعجبته اعداد العرفان فلينشرها بين اخوانه واصدقائه . ومن لم تعجبه واراد قطعها فما عليه الا ان يخبرنا قبل بدء السنة الجديدة .

قارئي الكريم :

انتظر العرفان في سنتها الجديدة القادمة ، فانها ستخطو خطوة تعجبك الى الامام بقدر استطاعتها وحسب امكانياتها حتى يأتي يوم تجدها قد احتلت القمة ان شاء الله .

ورغم ما سنبذله من التحسينات في مادة العرفان وزيادة صفحاتها ، فانا سنقدم هدية لمن يدفع اشتراك سنة ١٣٨٤ المجلد ٥٢ سلفاً قبل صدور العدد الاول اي عدد ربيع الاول .

قارئي العزيز :

كتب لي صديق اديب عراقي ان الصديق الوفي الاديب الكبير الاستاذ جعفر الخليلي قال في ندوته الادبية التي يعقدها كل اسبوع على مسمع من مشاهير ادباء العراق ان « العرفان » تفتقد تلامذتها وابناءها واخوانها واصدقاءها وانصارها المعنويين ، وبالاحرى انها تتفقدهم فلئن افتقدت الاموات ، فان الاحياء منهم وان مرت عليهم فترة من الزمن حالت الظروف بينهم وبينها ، فانهم لها وهي لهم ، وسيعودون كما كانوا بحول الله الاصدقاء الاوفياء للعرفان ومن حفظة تراث مؤسس العرفان .

قارئي الكريم :

العرفان ليست للمدح ولا للقدح ، انها للادب الرفيع والتاريخ الصحيح والنقـد العلمي المنطقي في الادب والنقد النزيه في السياسة ، فلا يطلبن منا احد ان ندخل الجمل في سم الخياط كما يفعل هو في سبيل منفعة خاصة او غرض ذاتي . وهناك رسائل كثيرة وردتنا عن حكام وامراء ومشايخ واثرياء في السعودية والكويت وقطر لا يتسع لها هذا العدد ، وموعدنا في الاعداد المقبلة حيث نضع النقاط على الحروف ، وحيث يعرف كل مكانه الصحيح لا كما يمدحه المادحون الذين يشوهون الحقيقة ويبيعون الضمير .

قارئي العزيز :

يسرنا ان نزين هذا العدد الخاص الممتاز عن المغتربين برسم مؤسس العرفان عليه الرحمة الذي أحبه المغتربون كثيراً ووضعوا فيه كل ثقتهم وكتبوا له مراراً : « اذا قدمت الى المهجر فانا على استعداد لأن ننثر الذهب تحت قدميك » ولكنه كان يقدم رجلا ويؤخر ثانية كما حدث معنا تماماً حينما دعينا لزيارة الكويت والمهجر الافريقي والامريكي لان الذين يذهبون كثيرون بالرغم من التأكيد لنا بأن زيارتنا غير زيارتهم والتعلق بنا غير التعلق بهم . وكنا قد اجلنا الحفلة التذكارية الثالثة للمرحوم مؤسس العرفان لهذا الربيع لتكون في صيدا هذا العام ، فحديقته في الربيع كانت ندوة علمية ادبية وقد اطلق عليها اسم « جنة العلماء » ولكن تعيين موعد الانتخابات في هذه الفترة بالذات وانهماك الناس في السياسة جعلنا نصرف النظر هذه السنة عن الحفلة التذكارية فالى الحفلة التذكارية الرابعة ان شاء الله .

قارئي الكريم :

بمناسبة هذا العدد الممتاز وهو عن المهجر الاميركي كنا نود ان ننقل للقراء هنا مقـالا كتبه أحد اللبنانيين في زميلتنا الغراء جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك الولايات المتحدة

وعنوانه « اللغة العربية في اميركا الى البقاء ام الى الفناء » ولكن ضيق المجال جعلنا نؤجله لعدد قادم وفحواه ان اللغة العربية اذا استمرت الحال على هذا المنوال الى الفناء وما ينطبق على الولايات المتحدة ينطبق على اميركا كلها الشمالية والجنوبية من الارجنتين الى البرازيل



الى المكسيك الخ ، ويهمني هنا أن ألفت نظر البلاد العربية جمعاء ولبنان وسورية والجامعة العربية بصورة خاصة ، الى ان العلاقة التي تربطنا الآن بمهاجرينا هناك هي اللغة العربية الأم فحينما تزول هذه الصلة تقطع كل علاقة لنا معهم ، والآن كلما مات مهاجر مسن ، اصبح من المستصعب ان نستبدله بالشباب الذين تعلموا اللغة الاجنبية وتزوجوا بالأجنبيات ، وقد

اصبح من الصعب استدراك هذا الامر على الوجه الاتم ، الا انه « ما لا يدرك كله لا يترك جله » « ولئن يأتي الامر متأخراً خيراً من ان لا يأتي » لذلك نستصرخ اولي الامر اذا كانت امور هؤلاء المهاجرين تهمهم ان يبادروا الى ارسال اساتذة للغة العربية الى المهاجر ، وان يدعوا في كل مناسبة افواج من المثقفين الشباب ، ويطلبوا اليهم استعادة العلاقات مع وطنهم الام ولغتهم الاصلية ويرغبوهم في الزواج من ابناء جنسهم . وإذا مضت سنوات ولم تتحقق هذه الامنية ، اصبحنا وامسينا ونحن لا نعرف عن مهاجرينا هؤلاء الا انهم من اصل لبناني فتقع المسؤولية حينذاك على اولياء الامر الذين يملكون معالجة هذا الواقع المرير ، ولا يعملون على تفاديه بكل الوسائل .

قارئي العزيز :

هذا العدد كما تجده ليس على نمط ما تفعله بعض الصحف ، من صور للمغتربين او تملق لهذا او ذاك ، انه ادب وتاريخ ومعلومات ضرورية لمن يريد ان يعرف شيئاً عن نصفنا الثاني وشطرنا المغترب ما وراء البحار .

ان صاحب الدراسة سوري ، لذلك بحث في دراسته عن المغترب السوري اكثر من غيره ، وان كان البحث عنهما في ديار الاغتراب لا يتجزأ ، وما يمكن ان نقوله عن المغترب السوري نقوله عن المغترب اللبناني ، فاللبنانيون كانوا وما زالوا في ديار الاغتراب مفاخر لوطنهم وامتهم .

ثم ان دراسته عن المهجر الأمريكي لانه سافر مراراً الى اميركا ، بناء على دعوة المهاجرين ، فدرس احوالها عن كثب ، وعرفها تمام المعرفة .

ولذلك لا بد للعرفان في مناسبة ثانية ان تصدر عدداً خاصاً ممتازاً عن المهجر الافريقي وذلك نعتبره ضرورياً لاسباب :

اولها واهمها : اننا مع احترامنا لمغتربينا في امريكا ، لا بد لنا من التسليم بحقيقة واقعة وهي ان مهاجرينا في افريقيا اكثر نفعاً واستجابة لوطنهم من مهاجرينا في امريكا فالمغترب الافريقي مهما تغيب عن وطنه لا بد ان يعود اليه يوماً من الايام الا ما شذ عن القاعدة .

ثانيها : انه يحافظ على لغته ، ويتزوج من ابناء جنسه .

ثالثها : انه يمد ابناء وطنه دائماً بالفيتامينات ، فالكثيرون منهم يحضرون دائماً الى بلادهم للاصطياف وقضاء اوقات الراحة ، فينفقون الاموال في مسقط رأسهم .

رابعها : لو أجلت النظر في بيروت تجد البنايات الشاهقة التي عمروها .

ولو سألت البنوك لوجدت اموالهم تغذيها ، وكذلك المشاريع النافعــة لهم اياد تذكر فتشكر عليها .

حقوق الشيعة المهضومة

قارئي الكريم :

بين التجديد واللاتجديد :

كانت العرفان اول من طالب الشعب قبل المجلس بالعمل على التجديد لفخامة الرئيس الامير اللواء فؤاد شهاب لما يتمتع به من صفات نبيلة ندر ان توجد في غيره ، ولكن ليسمح لنا فخامته وهو ممن يحبون الحق والعدل أن نصارحه بأن الشيعة لم يزالوا مهضومين في عهده ، كما كانوا في عهود سابقيه ، ومما زاد « الطين بلة والطنبورة نغماً » ان السيد رشيد كرامي قد احتــل رئاسة الوزارة في المــرة الاولى والثانية ، ورافق فخامة الرئيس في اكثــر من نصف عهــده ، ورشيد كرامي لم يكف انـــه لم ينصف الشيعة ، بل تنكر لهم في مناسبــات مختلفة ولا ندري ولا المنجم يدري لماذا؟!



صاحب العرفان عند برج ايفل في باريس

حينما كنت أطلب العــلم في باريز قدمت تقريراً الى المسيو « بارتو » وزير الخارجية الفرنسية آنذاك عن حقوق الشيعة في لبنان وكان المسيو « بارتو » عدا كونه

سياسياً عالماً أديباً ، عنده مكتبة عامرة كنا نقصدها للاستمتاع بما فيها من كنوز . فطلب مني أن اقابله في « الكي دورسيه ـ وزارة الخارجية الفرنسية » ففعلت ولما اقبلت عليه رحب بي ترحيباً حاراً وقال: «اهلابابن أشرف عدو لدودلفرنسة » ولما شرحت له الغبن اللاحق بالشيعة في لبنان قال : اريد ان اسألك سؤالا هاماً : هل ان الشيعة في العراق اكثرية او اقلية فأجبته اكثرية ، فقال ولماذا هم مهضومون ، فقلت هذا ليس منطق العدالة ولا منطق من كان يحب الحق والعدل مثلك ، يجب ان تعملوا انتم على انصافهم واعطائهم حقهم ، وعليهم هم ان يطالبوا بحقوقهم كاملة عند غيركم . ومات بارتو بعد ذلك واتى غيره وغيره واتى الاستقلال ، والهضم هضم والعدالة ظلم منمق . ان الحاكم حتى اذا كان عادلا لايمكنك تحصيل حقك منه الا بالمطالبة والالحاح عليه بإرجاع هذا الحق ، فمتى نعرف واجبنا ، ومتى نصغي الى المخلصين لا الى النفعيين .

أسأل الله ان يكون ذلك قبل يوم الحشر .

هذا المجلس المنتخب حديثاً والحكومة المنبثقة عنه ، هل يغيران شيئاً من الوضع او يعدلان بعضاً من ميل العدل ، نتمنى . ذلك وعلى كل حال فالعرفان لن تحيد عن المطالبة بحقوقنا المهضومة .

وفي العراق نكرر دعوة المسؤولين الى تأمين العدالة الاجتماعية والانتباه الى اعطاء الشيعة حقهم ، فقد كفاهم ظلماً في العهود الماضية ، وهذا ما اضطر قسماً منهم في السابق الى الدخول في الحزب الشيوعي ، ان استقرار البلاد وطمأنينتها يوجبان ذلك ، فهل من يسمع ؟؟

وفي المملكة العربية السعودية هل استبدال فيصل بسعود يحسّن وضع جماعتنا في تلك المملكة ، ويجعل انصافهم معقولا ، يا حبذا ولكن الدلائل تقول : ان الكولا والبيبسي كولا من فصيلة واحدة. ان الصبر مفتاح الفرج ، نسأل الله ان يعجل به قبل ان تخرج الروح .

قارئي الكريم :

لقد أقبل المحرم ومن واجبنا أن نأخذ منه درساً وعبرة في التضحية الحقيقية والجهاد الصحيح ، وانه لجدير بنا هنا أن ننوه بخطبائنا المنبريين المجيدين المتقنين الذين يعيشون معنا في هذا العصر ، فهم مدرسة سيارة للوعظ والارشاد واعطاء الدروس البليغة ، وفي مقدمتهم الاستاذ الشيخ محمد نجيب زهر الدين الذي ينتقل من الكلية العاملية الى الاذاعة اللبنانية الى كل مكان في لبنان ينثر على الناس مآثر آل البيت واعمالهم وتضحياتهم باسلوب مشرق جذاب

يستفيد منه السامع ويجبذه من اي طبقة كان واي مذهب كان . فنطلب من الجميع ان يسيروا على هذا النهج لتكون رسالتهم ذات فائدة .

قارئي العزيز :

بعد ان فرغنا من طبع عدد شوال قرأنا – اقول قرأنا بكل أسف – في بعض الصحف نبأ وفاة سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه ومنتدى النشر، وعلامتنا المظفر عليه الرحمة علم من اعلام الشيعة ، انه من علمائنا العاملين المنتجين المخلصين : جداً واجتهاداً وتأليفاً وتدريساً ، وهو يعد من المجاهدين في سبيل العقيدة والفكر ، كان لي شرف التعرف عليه والاجتماع به مرة واحدة حين عودته من كراتشي يوم مثل العراق في الاحتفال بذكرى امير المؤمنين علي عليه السلام ، حيث مر ببيروت ولم يبق فيها الا يومين او ثلاثة ، وصادف ان كنت قاصداً بيروت لبعض الأشغال ، وما نزلت من السيارة وتقدمت بضع خطوات الا وشاهدت شيخاً جليل القدر فارع القامة ، ، فألقيت عليه التحيــة دون سابق معرفة ، وقبل ان اسأله عن اسمه واعرفه بنفسي تأمل فيّ ملياً ، ثم عانقني عناقاً حاراً وقال: ارى نور العرفان يتلألأ على جبينك ، وحرارة الايمان تشرق من وجهك ، فهل انت صاحب العرفان فأجبت نعم : وعرفني بنفسه وقال انا اقصد الآن كاراج صيدا للذهاب اليها لزيارتك ، فمن وصل الى لبنان ولم يزر دار العرفان في صيدا كان ناقص العقيدة ، وبعد ان اجتمعنـا مدة قصيرة ودعني على أمل العودة الى لبنان وقضاء اسبوع عندي في صيدا ، هذا الوجـه النبيل والقلب الكبير الذي توارى عنا لم تتلق العرفان نبأ نعيه لا برقياً ولا عادياً ، ثم وصلتنا الدعوة الى الحفلة التذكارية للاربعين قبل ميعاد الحفلة بيوم واحد ، مع ان العرفان هي اول من يقدر مثل هؤلاء المخلصين ويقوم بواجبهم .

ولكن الذين في قلوبهم مرض ، يريدون ان نزن مثلهم بميزان البطيخ ، ولن نزن العلم الا بميزان الذهب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » على ان اعضاء مؤسسة منتــدى النشر يعتذرون بأن المصيبة قد دهمتهم وفاجأتهم ولذلك لم يصل النعي الى كثيرين .

وتوفي في غضون هذا الشهر في بيروت اثر نوبة قلبيــة ونقل جثمانــه الى مسقط رأسه حاروف الأديب العبقري والشاعر الكبير الاستاذ محمد علي الحوماني صاحب المؤلفـات والدواوين الكثيرة . وقد دفن باحتفال مهيب واقيم له اسبوع حاشد حافل تكلم فيه عدد من الخطباء والشعراء وبنات الفقيد الثلاثة .

كما توفي في بيروت ونقل جثمانه الى كفرا مسقط رأسه العلامة الشيخ موسى السبيتي وقد عرفه قراء العرفان بمقالاته فيها .

تغمد الله الجميع برحمته واسكنهم فسيح جنته وتعازينا الحارة لآلهم وذويهم .

قارئي الكريم :

ان ما نلاقيه سواء كان من وزارة الانباء او من بقية أجهزة الدولة لا يتسع المقام في هذه العجالة للكلام عنه والبحث به . ان الذين يرون ان حقوق الشيعة يجب ان تكون فريسة لهذا وذاك ، وطالما ان العرفان هي وحدها في الميدان ، فليعملوا على مضايقتها فلعلها تزول من الوجود فيكونوا قد اصابوا الهدف مخطئون ، لانه لم يزل في الهيجا رجال ، وفي الشيعة عود يضيء ، والعرفان مشعل لا ينطفيء بسهولة حتى ولو حاربه الاقربون والابعدون .

قارئي العزيز :

لقد كان بودنا ان يكون عدد العرفان هذا اكبر حجماً ، لأنه لم يزل عندنا مواد اضطررنا لتأجيلها لأعداد قادمة ، فهناك مقال عن « مدافن المواهب الادبية العربية في اميركا » للشاعر المهجري الكبير الاستاذ جورج صيدح ومحاضرة عن الاغتراب اللبناني في التاريخ للاديب الكبير الاستاذ عبد الله حشيمة وقصيدة عنوانها المغترب للشاعرسعيد فياض وسبب ذلك ظروف مطبعية قاهرة وهي التي اخرت صدور العدد للآن .

ان تصميم الغلاف لهذا العدد هو من رسم الاديب الفنان الاستاذ حسن الجوني فشكراً له .

إنا في الختام نرجو وكلاء العرفان الذين لم يقوموا بجمع اشتراكات هذه السنة بعد ان يبادروا الى ذلك قبل نهاية بدء السنة الجديدة ، كما نرجو انصار العرفان المعنويين ان يرسلوا الينا بمقالاتهم قبل اول صفر حيث نبدأ بتجهيز وطبع العدد الأول من سنة ١٣٨٤ هـ المجلد ٥٢ والى الملتقى مع القراء الكرام في ذلك الموعد . وحيث ننشر للتاريخ اسماء اعضاء مجلس النواب اللبناني الجديد وخصوصاً نواب الجنوب والشيعة وما نأمله من كل منهم ، انما ما نطلبه من نواب الجنوب الجدد بالوقت الحاضر أن يبادروا الى اصدار بيان يعلنوا فيه انهم للجميع على السواء .

نزار الزين

اجنحة الارز في المهاجر

كما للارز ابناء وسفراء في جميع انحاء العالم ، كذلك اصبح للارز اجنحة في اقطار الدنيا وخصوصاً في المهاجر التي فيها لبنانيون وذلك بفضل ما حرصت عليه شركة طيران الشرق الاوسط – الخطوط الجوية اللبنانية اذ



الشيخ نجيب علم الدين

انشأت لها فروعاً في شاطىء العاج وشاطىء الذهب : اكرا ونيجيريا وسيراليون وكوناكري ، وسيكون لها بعد ذلك فروع في بقية افريقيا وفي الاميركتين واوستراليا لتكون صلة وصل بين الوطن والمهجر مرحى لاجنحة الارز تمتد في جميع انحاء العالم وذلك بفضل وهمة ورعاية رئيسها وعميدها المقدام الشيخ نجيب علم الدين .


التابلاين

انصار العرفان

العواطف النبيلة

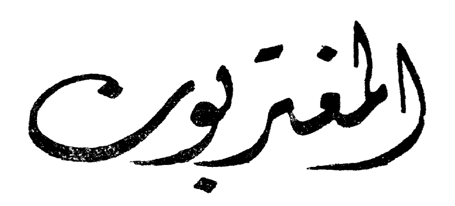
السادة	السادة
السيد موسى الصدر	خليل قرعوني
السيد محمد علي فضل الله	عبد الكريم يوسف الزين
محمد الحاج حسن احمد خليل	عبد اللطيف فخري
الشيخ سعيد صباح	ابراهيم المطوع

انيس فهد — مرشد الخضر — عبد الله درويش

العرفان

مجلة علمية ادبية شهرية مصورة

قيمة اشتراكها : عشر ليرات لبنانية في لبنان وسورية
ديناران في بقية الأقطار العربية ، خمسون توماناً في ايران
الفا فرنك افريقي في افريقيا الفرنسية ، ٧٠٠ ريال ارخنتيني في الارجنتين
وعشر دولارات في بقية الاقطار
للدوائر الرسمية والمؤسسات والشركات خمسون ليرة لبنانية
واشتراك الانصار لا حد له
اجور الاعلانات يتفق عليها مع الادارة
اسماء وكلائنا في جميع انحاء العالم سنعلن عنها في عدد مقبل



شطران قلبيَ ، شطرٌ للمقيم على

الوفاء ، وشطرٌ للذي نزحا

بقلم

عبد اللطيف اليونس

في ارض «كولمب» ابطالٌ غطارفةٌ — أُسْدٌ جياعٌ اذا ما ووثبوا وثبوا

رادوا المناهلَ في الدّنيا ولو وجدوا — الى المجرّة رَكْبًا صاعِدًا.. ركبوا

اسطولهم أملٌ في البحر مُرتَحَلٌ — وجيشهم عملٌ في البرّ مغتربُ

حافظ ابراهيم

انها أندلسٌ ثانيةٌ — كاد يستأثر فيها بالزّعامه

قدّرته فجبته وطنا — وتناسى الوطن الامّ مقامه

ربّ احجار من الشرق انتقت — اصبحت في حائط الغرب دعامه

وعظيمٍ شابَ في دار النّوى — لن يلاقي دارهُ الاّعظامه

كمّتِ الأوطانُ فاهُ فاعتلى — منبر المهجرِ يستوفي كلامه

جورج صيدح

ملاحظة

لم يرد في هذا الكتاب اسم لمغترب كريم ؛ الا الذي اضطرنا السياق لايراد اسمه ، والتوقف عنده ـ اما لحادثة معينة او لارتباط اسمه بموضوع خاص .

وأما الاسماء الكريمة التي لم ترد هنا ، فان اغفالها لم يكن عن تعمد او قصد ، بل لان تقيدنا في سياق معين ، لم يسمح لنا ان نتجاوزه ، او نتخطاه .

وفي كتابنا المقبل ـ اضواء على المهجر ـ ذكر لبقية الاخوان الذين عرفناهم عن كثب ، او عرفنا شيئاً عن نشاطهم ، ووطنيتهم واخلاصهم .

فتحية للجميع ـ ومعذرة من الجميع .

المؤلف

الاهداء

للسيدين « توفيق ابي جمرة » قنصل سورية الفخري ، في ولاية غراندي ده سول ، البرازيل – « ويوسف اليازجي » ، الوجه العربي المشرق في مدينة سان باولو ، يد طولى ، وفضل كبير ، بتحميسي لتأليف، كتاب عن المغتربين .

فاليهما :

والى كل ناطق بالضاد في اميركا ، وكل من تحدّر من صلب عربي فيها :

أهدي هذا الكتاب

عبد اللطيف اليونس

الأرقام التقديرية لعدد المغتربين

وابنائهم وحفدتهم في المهاجر الامريكية احياء وامواتاً

اسم الجمهورية	عدد المغتربين من سورية	من لبنان	من فلسطين
الولايات المتحدة	٤٠٠ الف	٣٥٠ الفا	١٥٠ الفا
البرازيل	٤٠٠ الف	٤٠٠ الف	...
الارجنتين	٥٠٠ الف	٣٠٠ الف	...
تشيلي	٠٥٠ الفا	١٥ الفا	٠٨٠ الفا
اورغواي	٠٠٥ آلاف	٠٢٠ الفا	
باراغواي	٠٠٥ آلاف	٠٠٥ آلاف	
بوليفيا	٠١٠ آلاف	٠١٥ الفا	٠٠٥ آلاف
فنزويلا	٠٣٠ الفا	٠٥٠ الفا	٠٥٠ الفا
كولومبيا	٠١٥ الفا	٠٣٠ الفا	٠٦٠ الفا
كوبا	٠١٠ آلاف	٠٥٠ الفا	٠١٥ الفا
سلفادور	٠٠٦ آلاف	٠٠٩ آلاف	...
هندوراس	٠١٠ آلاف	٠٠٥ آلاف	٠١٢ الفا
غواتيمالا	٠٠٢ الفان	٠٢٠ الفا	٠١٠ آلاف
نيكاراغوا	٠٠٢ الفان	٠٠٥ آلاف	...
كوستاريكا	٠٠٤ آلاف	٠٣٠ الفا	٠٥٠ الفا
المكسيك	٠٢٥ الفا	١٠٠ الف	
باناما	٠٠٢ الفان	٠١٠ آلاف	
سانتا دومينغو	٠١٥ الفا	٥٠٥ آلاف	٠١٥ الفا
هايتي	٠٠٥ آلاف	٠٣٠ الفا	٠٣٠ الفا
اكوادور	٠٠٥ آلاف	٠٧٠ الفا	٠٣٠ الفا
كندا	٠١٨ الفا	٠٢٠ الفا	٠١٥ الفا
البيرو	٠٠٧ آلاف	٠١٠ آلاف	...
	١،٥٢٦	١،٥٤٩	٥٢٢ الفا
	مليون وخمسمائة وستة وعشرين الفا	مليون وخمسمائة وتسعة واربعون الفا	

مقدمة

للكاتب الكبير الاستاذ نظير زيتون
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

ودّعوا الدار ، وفي الصدر عزمات ، وفي الجبين ومضات ، وفي النفس أمنيات وصبابات في الزند عضلات وزأرات ، وفي الكف خطوط مبهمات ، وفي الخطى دروب نائيات ، روب آهات ، ومشقات ، ومغامرات ورهرهات ..

ودّعوا الدار ، وفي العين أسى وعبرات . وفي القلب لهفات وأنّـــات . وفي الجوارح عشات وانتفاضات ، وفي اليد لمسات وتمتمات . وفي الذهن ذكريات وحكايات . وعلى نبعات . وفي العنق أمانات ..

ودّعوا الدار ، وفي الغيب رموز وإشارات . وللقدر بسمات وسخريات . وللدهر نفحات ولفحات . وللعالم الجديد لطمات ، وقبلات . وقهقهات وبركات . وزمزمات وأغنيات. وجَزر أزمات . ومدُّ خيرات ..

* * *

ودّعوا الدار ، والصحب والجوار . وقبّلوا الثرى والحجار والجدار . وعانقوا الازهار والاشجار . والكرم المعصار . والرباب والمزمار . وطافت نظراتهم بالاغنام والابقار . وتلفتت قلوبهم الى مرابع الانس في المياس السندسي البشار ، وعاصيه المغرّد الثرّار . وفغموا صدورهم بالنسيم المعطار ، وكحلوا عيونهم بجمال الكوكب الزهار . واكتنزوا زاداً لغربتهم الف تذكار وتذكار ..

ودّعوا الدار والديار ، وساروا الى المجهول وراء البحار ، بخطى الجبار ، والله هو المستعان والمستجار . في عزائمهم ايمان زخار . وفي نبضاتهم مضاء وإصرار ، وطموح يغالب الاقدار . وعنفوان واستكبار . وكيف لا يستكبرون ، وكيف لا ينافرون وقد حملوا في عروقهم ونفوسهم أسمى شعار . في رسالة الامة العربية المغوار . رسالة المروءة والحب والإيثا . رسالة الفروسية والنبل والذمار . رسالة السراوة والنهاوة والإبهار . رسالة البطولة والرجـ ـة والنفار . رسالة السماحة والرجاحة والوقار . وسائر ما سنّته من مكارم الاخلاق

يتيمنا القرشي ، ونبينا العربي المختار . ومعلمنا الاكبر الذي سما بفلسطيننا الى اوج القداسة والفخر . فكانت هذه الارض العربية مناراً للعالمين وأي منار . وسنطهرها إن شاء الله من رجس زبانية الاستعمار ، والصهيونيين الأشرار الفجار . سنطهرها ولنا جيشنا العربي الجبار القهار .

جيشنا الحبيب الذي تطوف حوله القلوب والابصار . وجوارح الكبار والصغار . جيشنا العظيم السائر الى الثأر . وكأنه قهقهة الزلزال وزهوة جبل النار .

سنطهرها ، ولنا جيشنا العبقري المنقذ المختار ، جيشنا الملهم الذي قلب السحر على الساحر المكار . جيشنا ورمز بطولتنا وباعث أمتنا القهار .

☆ ☆ ☆

ولنعد الى اولئك الظاعنين ..

ودّعوا الدار والديار ، وركبوا البحار . على مطايا النار والبخار . ولسورية في آذانهم قرع نواقيس ، ولابناء الوطن في قلوبهم هتاف أحاسيس ، وللتراب المخصاب الحنون . عذوبة أهاميس . وللحضارة العربية في طبقاتهم زهو أقابيس ..

ودّعوا وساروا واجترأوا على الشدائد والمشقات ، وللعروبة في دمائهم خصب أغاريس وللعلى في عزائمهم صدق أحاديس . وللتاريخ في بطولاتهم شمخة مقاييس . وللآفاق في فتوحاتهم رحاب فراديس . ولعالم الروح في دنياهم روعة أقاديس ..

☆ ☆ ☆

ومرت السنون تطوي السنين ، فإذا نباهة المغتربين تملأ الآذان والعيون ، وإذا نبوغهم قرّة للوطن الحنون ، وصفحة مجد مرصعة بالدر المكنون ، وإذا أعجوبتهم في ديار هجرتهم تبهر الناظرين ، وتجري مثلا حيا رائعا في العالمين .

فأولئك المغتربون الفقراء الضعفاء . المغامرون العجاف الذين لا دولة وراءهم ولا عا[illegible] ولا ثراء . المهاجرون الذين استدانوا وارتهنوا الدور والحقول ، وباعوا ما يملكون من أشياء ، لينزعوا عنهم أطمار الفاقة والشقاء ، ويبنوا بالهمة القعساء ، والعزيمة الماضية الشماء حياة جديدة ، رغيدة [illegible] المهاجر القصية لجلجلة النداء والاصداء ، بين اقوام غرباء . غرب[illegible] [illegible] [illegible] وعلى أرض شبه وحشية ، شبه عذراء . صيف[illegible] [illegible]عات والعادا[illegible] شتاء . وهواؤها طور[illegible] [illegible] كأنفاس البخلاء الاشحاء ، ومرة كسياط النخاس على ظهور الارقاء ، واخرى كعويل الثكول تنهشها الارزاء ..

اولئك المغتربون النكرات أشباه الأميين الذين قلّما تخطى واحدهم تخوم مدينته، اوجاوز حدود قريته ومنطقته (أخذوا) يرتادون المجاهل ، ويجوبون البلدان ، ويقتحمون غوائل الغابات ، الشرسة ، والحرجات الضارية العاوية التي لم تطأها قبلهم قدم إنسان . .

* * *

اولئك المغتربون الذين قلما وقعت عين واحد منهم على أبجدية الأسواق التجارية ، او مارس ضرباً من ضروب التجارة الحديثة بأصنافها التي لا تحصى ، واكتسب شيئاً من الخبرة في معاملات البيع والشراء ، وكيفية انتقاء البضائع ، اولئك المغتربون الأغفال ، شرعوا يفتحون الحوانيت التجارية المحشودة بالمئات من ألوان البضائع ، من الخردة الرخيصة الى الأقمشة الثمينة ، ثم ينشئون الاسواق التجارية . يستوردون ويصدرون ، ويحتكرون ويسيطرون ، فإذا هم في التجارة أقطابها ، وإذا هم في الأسواق أربابها .

ثم يدفعهم نجاحهم الباهر ، وعزمهم الزاخر ، وقد حذقوا أبجدية التجارة من الفها الى يائها ، وصعدوا سلمها من أدناها الى أعلاها . ومن أصغرها وأعسرها الى أكبرها وأخطرها نعم يدفعهم هذا النجاح الزاهر الباهر ، فيعمدون الى الصناعة الكبرى ، وليس ولوج أبوابها بالامر السهل ، إذا قسناها بالتجارة التي تقوم على رأس المال والخبرة ، في حين أن الصناعة لا تفتقر الى رأس المال والخبرة التجارية فقط ، بل تفتقر الى ما هو أعظم شأناً وأبعد مدى فهناك الآلات الجبارة ، الدقيقة العمل والحركة ، وهناك العمال والخبرة الفنية ، وتوزيع العمل والإنتاج ، ومعدل حساب الإنتاج ، والتفنن والتجديد ، والابتكار أحياناً ، وهناك المنافسة الداخلية والخارجية ، وأسواق الاستهلاك الى شؤون أخرى كثيرة ، لا يحتاج التاجر الى شيء منها . ولم يكن للمغتربين أي عهد بها ، ولكن مغتربينا ذللوا الصعاب ، وفتحوا كل الأبواب ، وإذا هم من الصناعة في المحراب . لقد تفتقت عبقريتهم ، فكانت فتوحاتهم الصناعية آية الاعجاب . وكان نبوغهم عطراً يضمخ الثناء والاطناب .

* * *

واولئك المغتربون الذين اخشوشنوا جسداً وحياة ، فما لمس أحدهم أثراً من آثار الحضارة الحديثة والعمران والازدهار ، ولا نعم في وطنه بطيف من طيوف الطمأنينة والرفاهية ، ولا بنى له الخيال المشبوب المجنون ، والوهم المعسول المفتون ، شبه بيت يطرح فيه أثقال القلب المحزون ، اولئك المغتربون الذين طوت احلامهم يد البؤس ، وذبلت في قلوبهم مباهج الانس ، رفعوا في العالم الجديد ألوية الحضارة والعمران ، وحملوا رسالة الحياة

والأنسان ، وتقدموا مواكب النهضة والبنيان ، والمضاء والعنفوان . وكانت لهم الأنطلاقات المزمزمة في كل ميدان ، أين ذاك النقصان ، اين ذاك الحرمان ، من هذا الفيضان ، وهذا الطوفان . . .

لهم المتاجر الواسعة الراسخة . لهم المصانع الكبيرة الشامخة . لهم المساكن والدور والقصور الباذخة . كانوا على الحضارة والعمران والحياة اشباه تلامذة ، فما مر عقد من السنين او عقدان حتى صاروا هم الاساتذة . حملوا العمران الى الاقاصي وشقوا دروبهم في الغابات والأدغال . وكأنهم اسطورة او خيال ، وكأن يداً حارسة هادية تسدد خطاهم وتحقق الآمال ويستقدرون الله خيراً في الحل والترحال ، فاذا هم يصيبون اضعاف ما كانوا يأملون ، واذا الألف الذي نشدوه حالمين ، وحثحثوا اليه مطامعهم جاهدين ، ينقلب الى مليون . . . وكان لهم النفوذ والوجاهة ، والمكانة والنباهة ، وكانت لهم سدانة « الكعبة » الاقتصادية ، وقيادة الحركة العمرانية .

* * *

ان قصة المغتربين السوريين في بلدان العالم الجديد ، لهي الى الاساطير اقرب منها الى الحقائق . ولولا انها مدعومة بالوف الوثائق ، لقلنا انها هذيان فضفاض مزركش بالخوارق فمن كان يصدق ان ذلك المغترب الاعزل ، الذي ما رعته حكومة ، ولا رفدته وكالة مالية او تجارية ، ولا ارتسمت على عينه بسمة قلب دافىء حنون يواسيه ويحاسبه ، ويدفع عنه ما يقاسيه ، بل ناوأته العناصر الطبيعية والحياتية ، والسلالية أحياناً ، في دنياه الجديدة ، من كان يصدق أن هذا المغترب الذي دفعه الى الهجرة امل عريض ، في كسب ما يبتاع به ستة او سبعة جمال يكريها لحسابه وقد كان مكارياً بالاجرة ، او ما يشتري به حقلا الى جانب حقله ، او بضع بقرات يستولدها ويستدر البانها ، او ما يهيء شيئاً من الشبع لاسرتها الكثيرة العدد . او مائتين ذهباً لتجارة صغيرة ، او ما يشبه هذه المطامع الهزيلة التافهة ، من كان يصدق ان هذا المغترب الذي شد بالجلد حقويه ، وعانى الحرمان وشظف العيش . وارتدى في اوائل عهده ثياباً خشنة ، او مهلهلة شبه رثة . فلا يجسر ان يرتاد مقاهي الدرجة الاولى والثانية لأنه زري اللباس ، ولانه لا يطوق عنقه ويسدل عقدة الحرير على صدره ، نعم من كان يصدق ان هذا المغترب نفسه ، سيشيد اعظم سوق تجارية ، لا في سان باولو والبرازيل فقط ، بل في كل اميركة اللاتينية . هي سوق « ٢٥ دي مارسو » حيث تسمع اللهجات الحمصية ، والشامية ، والحلبية ، والقروية ، والبيروتية ، والدرزية ، واللبنانية -

والانطاكية ، والفلسطينية وسواها . وكانت في هذه السوق التجارية كل ما ثود سماعه من لهجاتنا العامية وتعابيرها واصطلاحاتها القديمة ، التي عفت واندرست او كادت في مواطنها ولكنها ظلت حية على أفواه المغتربين ..

وماذا نقول في هذه السوق التجارية العظمى ، التي يخيل الى من يسير فيها ، كأنه في واد عميق بين جبلين شاهقين من ناطحات السحاب المكتظة بالمتاجر والبضائع على ضروبها ؟ حسب القراء ان يعلموا ان هذه السوق التي انشأها المغترب العربي واستقل بها .. « تموّن » بالاقمشة القطنية والحريرية ، والنايلون ، وانواع الخردة ، وادوات الزينة ، والروائح العطرية والالبسة والمصنوعات الجلدية الخ سكان البرازيل الخمسة والسبعين مليوناً .

وحسبهم ان يعلموا ايضاً ان هذه السوق التجارية الكبرى ، تدرّ من الضرائب على اختلاف انواعها ، وهي كثيرة متنوعة ، للسلطات الاتحادية والإيالية والبلدية ما يعادل ميزانية الجمهورية العربية السورية .

ثم لا نغلو ولا نغالي اذا قلنا انه لو جمعنا ما يملكه المغتربون في بلدان العالم الجديد ، من الدور والمساكن ، والحوانيت والمصانع ، وسائر الابنية والعقارات ، ونسّقناها مدنا، لالفنا منها ثلاثين مدينة كمدينة حمص .

وماذا نعدد ، وماذا نحصي من ثروات المغتربين المادية التي تشبه الاساطير ؟

في الولايات المتحدة فرد واحد متحدر من من ابوين حمصيين يملك اكثر من خمسين مليون دولار . وهناك مئات ممن تتراوح ثرواتهم بين المليون والعشرة .

اما ثروات المغتربين الكبرى فهي في البرازيل ، وعلى التخصيص في سان باولو التي هي عاصمة العروبة في كل اميركة ، وعاصمة البن في كل العالم . هناك ثلاثة تتراوح ثروة واحدهم ما بين سبعين مليون دولار ومائة . واضف اليهم مئات ممن يحملون لقب «مليونير» .. وقد كانوا كما يقال لا يملكون شروى نقير .

وارفع ابصارك ، بعد هذا ، الى اي بقعة شئت في بلدان العالم الجديد ، فلا بد ان تقع على مغتربين عرب ، بينهم جماعات من كبار المتمولين والملاكين والتجار ...

* * *

واولئك المغتربون المتخلفون اجتماعياً وفكرياً وسياسياً وثقافياً ، اولئك المغتربون الذين نزحوا الى بقاع اميركا حيث تلتقي عشرات الشعوب الناهضة التي غمرتها اشعة الحضارة الحديثة ، اولئك المغتربون الذين تدفقوا على العالم الجديد حاملين « بداوتهم » وخشونتهم

ومجموعة مركزة من رواسب الحكم الاستبدادي التركي والاقطاعيات المتعددة الألوان . والتقاليد شبه القبلية او العشائرية ، والعقد النفسية ، من طائفية واقليمية وسياسية ، اولئك المغتربون كانوا الصوت الاول الذي دوّى مجلجلا ثائراً على « السلطنة العثمانية » داعياً الى النضال في سبيل استقلال العرب ، واسترداد مجدهم الغابر ، ومكانتهم المرموقة تحت عين الشمس . كانوا صوت الحرية الصارخ ، وكانوا بوق الاصلاح النافخ ، كما كانوا للنهضة علمها الخفاق الشامخ .

لقد اقتبسوا واحسنوا الاقتباس . وحرروا نفوسهم من رواسبها والوسواس . وخلعوا عن جمودهم وبداوتهم وخشونتهم هاتيك الأحلاس ، وارتدوا للحياة افضل لباس ، ونعموا بالحرية والديمقراطية والفتوحات الفكرية ، فكانت لهم النبراس والمقياس .

فذلك الحرمان الشرس الذي طالما ارمضهم ، وأقض عليهم مضاجعهم في وطنهم الاصيل ذلك الحرمان الثائر الذي تحسسوه في مهاجرهم ، هبوا يعالجونه بكل ما اوتوا من قوة وعزم ودراية وحزم .

كانوا عطاشاً الى اجتناء الثروات ، فنقعوا الظمأ الصارخ بكوثر الخيرات . كانوا جياعاً الى الحرية والتحرر من مركب النقص الذي تسرب الى نفوسهم من جراء الحرمان الطويل ، والجور التركي ، والتحكم الطبقي والاقطاعيات ، فتهافتوا على موائد الحرية والتحرر يأكلون ويأكلون ، فكانت لهم نعم الغذاء والدواء ، وكانت طريقهم الى العلياء .

وذلك الحرمان الطاغي الذي بسط ظلمته في أعماق ارواحهم واذهانهم ، ونشر طحلبه على عيونهم ، وطحطح من ارادتهم وقواهم النفسية ، وقعد بهم عن الانطلاقات البعيدة ، والخطوات السديدة ، والحياة الكريمة المجيدة ، توارى عن الانظار امام الفجر المتبلج ، والحرف المتأرج ، والنداء الملح المتأجج .

فالعلم الذي قاسوا حرمانه الموروث اباً عن جد ، لقوه في ابنائهم الذين تخرجوا في ارقى الجامعات واوسع دور التثقيف . فكان منهم المحامون والاطباء ، والمهندسون والعلماء ، والاساتذة والكتاب ، والشعراء والصحفيون والسياسيون ، والنواب والحكام والضباط العسكريون ، وكبار الموظفين والخبراء والمؤلفون ، وسواهم من النوابغ الذين جاوزت شهرتهم تخوم البلاد ، فاذا الركن والعماد ، واذا الابناء هم سر اولئك الاجداد ..

* * *

ولا ينتهي طموح المغترب السوري العربي عند حد . كانت المادة غاية في حياته الاولى

فما ان ذلل عقابها ، وراض صعابها ، وفتح ابوابها ، وامتلك محرابها ، حتى اصبحت هذه المادة وسيلة يتذرع بها لفتوحات جديدة ، واهداف رفيعة بعيدة ، وليس من الغلو في شيء اذا قلنا انه انشأ طبقة ارستقراطية طريفة . طبقة ارستقراطية الروح والقلب واليــد . ارستقراطية الذهن والشعور واللمحات . طبقة ارستقراطية طريفة ، طابعها الجود حتى الإسراف ..

الإسراف في الكماليات والترف والبذخ والتنعم ، والى جانبه المغالاة في البذل والعطاء. الإسراف في تشييد اعظم الدور والقصور وافخم الأندية الإجتماعية والرياضية والمشافي والمصحات والمستوصفات الخيرية ، ودور الأيتام وملاجىء العجزة والمعابد الدينية . وعشرات من المؤسسات العامة مما لا سبيل الى تعداده ووصفه فنكتفي بالإشارة اليه .

ولو وقف الأمر عند هذا التشييد ، لانتهى العجب ، وقلنا هو منتدى في العمر ، او هي كنيسة او جامع ، او هو ملجأ او مستشفى وانتهت القضية . ولكن العجب الذي لا ينتهي ولا ينقضي ، ان تنفق الملايين سنوياً على هذه المؤسسات دون ان يكون لها من الريع سوى الندى السخي ، الذي يهطل من اكف المتبرعين .

وقد يتساءل القراء ويقولون ، وعلام كل هذا الإسراف ، في حياة المغترب الخاصة والعامة وما هي الغاية ، وهل تشفع هذه الغاية بهذا الإسراف ؟

ونحن نلقى الجواب في طبيعة المغترب السوري العربي ، وفي نزعاته الى الأعظم والافخم. نلقاه في شمخته ، واعتزازه بوطنه وسلالته . فهو يأبى وقد تحرر من الفقر والجهل والرواسب الا ان يكون الأول ما استطاع سبيلا ، وإذا كان هو الاول ، فمعنى هذا ان وطنه هو الاول اي ان مجده الوطني يبرز تياها من خلال مجده الشخصي ، وهو بسلوكه هذا يكون قد ملأ الفراغ الارستقراطي والوطني ، الذي يتحسسه فرداً ومجموعاً ...

واذا تلفتنا الى المؤسسات العامة وضخامتها وفخامتها ، فاننــا نلقى اروع مثــل لحب المغترب لوطنه ، واعتزازه ببلاده وسلالته . نلقى اسمى مظهر ومخبر لتمجيد الاسم السوري العربي ، في بلدان العالم الجديد ، حيث بنى المغترب لامته ووطنه ، دولة العصامية والألمعية والاريحية ، دولة العبقرية التي خفقت راياتهــا للسلم والعمران . والمجــد والعرفان . والنور والإحسان . والتشامخ بالوطن العربي الفتان . بنى هذه الدولة الصدّاحة الألحان ، الفواحة الريحان ، الزاهية الالوان ، بعرقه ودمه . بأعصابه ولحمه . بقلبه وفمه . بنور عينيه وفهمه . بناها بوحي سورية وطنه ولسان حاله يقول :

تلك آثارنا تدل علينـــا فانظروا بعدنا الى الآثار

وحسب المغترب السوري انه كان لوطنه السفير المتطوع الاصيل . والوجه الاريحـــي النبيل . حسبه فضلا ، وقد كانوا يرشقوننا بنظرات الازدراء والامتهان ، وينادوننا بلقب (توركو) الذي يقع وقراً على القلب والآذان ؛ حسبه فضلا انـــه عرّف عشرات الامم والشعوب في الاميركتين ، بأمة عريقة ، تعبد الله بكل مظاهره وحقائقه النورانية ،والجمالية والغيبية . بأمة زكت ارضاً وسماء فاذا هي منبت الانبياء والرسل والاولياء . بأمـــة حملت شفاء العلم والحضارة الى الغرب يوم كان يتسكع في دياجي الجهل ، فاذا فتوحاتهاالفكرية ، والفلسفية ، والعلمية ، والعمرانية ، الأساس للحضارة الغربية الحديثة .

ولقد أسرف هذا المغترب المتعبقر في الإنفاق على أعمـــال البر والإحسان والتعـــاضد الاجتماعي . ولكن هذا الاسراف كان من انبل نزعاته الانسانية والوطنية ، واسماها هدفاً وقصداً ، ذلك ان كرامته القومية كانت تأبى عليه ان ترعى المؤسسات الخيرية الاجنبيـــة ابناء وطنه المعوزين . وان تؤاسي المرضى الفقراء . وتحتضن اليتامى وتؤوي العجزةالبائسين كرامته القومية والانسانية انفت له ان يقف ابناء وطنه الذين تنكر لهم الدهر ، فرماهم باليتم والفقر ، والمرض والشيخوخة العارية الجائعة ، فأقام لهم من معاهد البروالدورمايزري بأفخم الفنادق والدور ، كما رفد العيال التي غاض دفق موردها ، وما غاض كريم محتدها ووصلها بالهبات المستورة ، واللفتات المشكورة .

ولكن مآثر المغتربين ما كانت قاصرة على رعاية مجتمعهم السوري العربي ، بل تعدته الى مجتمعات البلدان الاميركية التي حلوا بين ظهرانيها على الرحب والسعة فما نادت الا لبوا النداء اسخياء ، ولا ألمّت بها طارئة الا كانوا في طليعة الاصدقاء الأوفياء ، ولا عصفت فيها احداث ، الا تقدموا المواكب اجرياء خلصاء . بلى ، وشاركوها في السراء والضراء ، فكانت أفراحها افراحهم ، واتراحها اتراحهم ، بل كانوا اقرب النزالات الاجنبيـــة الى قلوب الاميركيين اللاتينيين ، وموضع ثقتهم ، وموضوع إعجابهم والثناء عليهم ، ولا تستغربوا بعد هذا ان تختار جمهورية تشيلي (١) مثلا مغترباً حمصياً ليمثلها في سورية ولبنان برتبة وزير مفوض . ومغترباً حمصياً آخر ليمثلها في سورية ولبنان برتبة قنصل عام ، ومغتربين سوريين آخرين ليمثلوها لدى حكومات شتى برتب مختلفة .

---

(١) هو السيد « حافظ اللبان » الوجيه الاول للجالية السورية في تشيلي ، وصاحب المواقف الكريمة ، والجهود المشكورة في جميع المناسبات الوطنية والقومية على اختلافها ، وهو من ألمع المغتربين وجاهة ونفوذ .

ولا تستغربوا ايضاً ان يقيم الكشاف البرازيلي ، على اثر انتهاء الحرب العالميـــة الاولى بحضور رئيس ولاية سان باولو ، أعظم استعراض ، في اكبر ميدان من ميادين سان باولو تكريماً للجالية السورية ، وتأييداً لحق سورية في الاستقلال والحرية ، وقد تليت في هذه الحفلة الرائعة التاريخية رسالة المستشار العظيم الدكتور روي بربوزا ، اكبر علماء الحقوق في بلدان اميركا اللاتينية ، وهي النداء الحار الذي وجهه الى مؤتمر السلام في فرسايل ، وقد ناشده فيه ان يعلن للعالم في مقرراته استقلال سورية الناجز ليتابع هذا الشعب الصغير النبيل رسالتـــه التاريخية التي جنت من ثمارها شعوب الارض .

ولكن مؤتمر السلام كان مؤامرة على الشعوب الصغيرة والكبيرة ، ونهباً مقسماً بين دول الاستعمار ، أما الدموع التي ذرفتها فرنسا وحليفتها انكلترة في غضون الحرب متباكيتين امام الشعوب ، مستنجدتين المال والرجال . مستنجدتين مستنصرتين فلم تكن سوى دموع التماسيح تفجرها عيونها امام فرانسها ، واما مواثيق الشرف والمعاهدات والايمان المغلظة فعبارات مسرحية لا يُلزم بها ممثل الرواية بل الويل لمن يؤمن بها . .

ولنعد الى حديثنا عن المغتربين ، لقد احسنت اليهم البلاد الامريكية التي استقبلتهم على الرحب والسعة وساومتهم بأبنائها وفتحت لهم كل ميـــادين العمل ، فقـــابلوا الاحسان بالاحسان ، وقابلوه بالحب والوفـــاء ، وفي الحب والوفاء رجولة وبطولة وفيهما اريحيـــة وانسانية . . .

ولا ازعم ان المغتربين كانوا في شعورهم الاجتماعي والوطني والانساني . وحمـــاستهم وغيرتهم وبذلهم سواسية . فهنالك فرسان انجاد ما تقاعسوا قط عن خوض معركـــة من المعارك التي تعود بالخير على المجموع في المهجر والوطن .

وهناك المترددون المتريثون ولكن الايجابية فيهم تغلب السلبية ، وهناك المنطوون على انفسهم ، يعيشون على الهامش ، ولكنهم يفاخرون بما اعطى وبذل الآخرون . وهناك من يحومون حول المعركة يرصدونها ، ويرقبون نتائجهـــا ، حتى اذا انجلت عن النصر ضرجوا ايديهم ، ونفخوا في الابواق ، ووقفوا الى جانب ابطال السباق . . على ان الفرسان الانجاد هم الكثرة والحمد لله . وليس من العدل ان نحكم حكماً سيئاً على المجموع ، اذا نشز بعضهم وانفصلوا عن القطيع ، فلكل قاعدة شواذ .

* * *

وللقراء ان يسألوا بعدما لمحوا بعض الخطوط والمعالم ، لمن يعزى الفضل في هذا التوجيه

القومي المثالي ، في هذا التصميم الانساني المتغالي ، في هذا التخطيط الإجتماعي المتعالي .

الا فاعلموا ان الفضل كل الفضل يعود الى الصحافه العربية المهجرية ، الى الصحافة المتحررة الاصلاحية . فهي التي وجهت ، وهي التي خطّطت وهي التي عبّدت الطريق ، وحملت الى جانب رسالتها الادبية . رسالة الحرية والقومية والنهضة الاجتماعية ، لا ادعي لها الفضل الباذخ العريض مجاملة مني لزملائي ولنفسي ، وانا الذي اسهمت في قيادة معاركها مدى خمس وعشرين سنة . فكان لي من شظاياها جراح متهللات متألقات ، تنطوي على اعز الذكريات ، وابهى ما يلتمع في النفس من هالات وقداسات . نعم لا ادعي لها هذا الفضل مجاملة ومحاسنة ، وقد غاب معظمها ، ولكنه الحق الصراح الذي يجب ان نعترف به عندما نؤرخ لهجرتنا عبر البحار .

ويعود الفضل ايضاً الى قادة الفكر ورجال الادب وارباب الاقلام الذهبية ، وعشاق المثل العليا ، من شعراء وخطباء ، ووجهاء حصفاء فضلاء ، فهم الذين صقلوا النفوس وحرروا العقول ، وارهفوا الشعور القومي والاجتماعي والانساني ، وكشفوا عن العبقرية الخلاقة في الذات العربية .

ولولاهم ، وقد كانوا الاغنياء على اللأواء ، والأقوياء على البؤساء . والأسخياء على الضراء ، لولاهم لم يرتفع تيّاهاً متألقاً للفصحى في المهاجر لواء . ولا كان لها في الخواطر رجع اصداء . ولا تفجرت شلالاً هداراً من نار ونور ورواء . ولا جلجلت غازية في الفضاء البكر ، سجعاً وسحراً وحداء .

وآيتهم انهم اطلقوا الأدب العربي من جموده ، والفكر من قيوده . وبعثوا الحياة في تجاليده ، فإذا هو حي يتهادى في جديده . مثقل بالشهي من عناقيده . انهم رسل الانطلاقة الأولى في دنيا الأدب والفكر ، وما كانوا لينطلقوا هذه الإنطلاقة الرائعة ، لولا ما استمتعوا به من حرية . ولولا غربة فتحت لأبصارهم آفاقاً قصية ، وأذكت في جوانحهم أشواقاً عربية ، وصقلت نفوسهم ، فبرزت شفافة بهية .

وحسبهم فضلا انهم خلّفوا للغة الضاد تراثاً طريفاً عزيزاً . تلاقت فيه بدائع الحماسيات والغزليات ، وروائع الوجدانيات والفلسفيات والصوفيات . ومرابع التاريخيات واللغويات والطبيعيات والإجتماعيات . الى جانب الملاحم والمراثي والروائيات ، ولنذكر ان من ابرز خصائص الأدب المهجري تلك الحماسيات المزمزمات الثائرات ، تتلاطم في قوافيها أنفاس ملهبات ، وتشرق في صدورها انوار متهللات . وتدوي في اعجازها غضبات مضريات .

وكان النثر رائد الإنطلاقات والحريات ، والشعر صائغ التجربات والإنفعالات .

ومن أبرز خصائص الأدب المهجري أيضاً ، ذلك الحنين الحنّان الظمـآن . وذلك الوجد المتبتل اليقظان . وما هو الا انين الروح الجائع الولهان . وزفرة القلب اللائب اللهفان ويا لجوع الروح الى جمال الوطن ، ويا لظمأ العين الى مرابع الوطن وسحر الوطن . ويالجوى القلب الى قدسية الوطن .

وحسبهم ايضاً ، ومعظمهم نبغوا في المهاجر ، وتعملقوا في ظلال دول اجنبية ومجتمعات اجنبية ، انهم خلفوا للفصحى انقى وابقى ما يستطيع المغتربون ان يخلّفوه لوطنهم . واعطوا اشهى وابهى ما تطمع فيه ام منجاب من فكر مخصاب . كان لها على البعد والغربـة خير مصحاب . فدولة الصناعة والتجارة والعقارات والأموال وسائر ما يدخل في هذا الباب . لا بد ان تندغم يوماً في الثروات الأمريكية الوطنية . أما دولة الأدب والشعر والفكر العربية المهجرية ، فهي التراث الخالد المقدس الذي لن نستطيع مسه وحبسه سوى يد واحدة ، هي يد الأم العربية . يد اللغة العربية .

وكم كنا نتمنى لو ان وزارة الثقافة والإرشاد أوفدت الى المهاجر من يُعنى بجمع هذه الذخائر والترجمة لأصحابها ترجمة علمية رصينة ، فهي جديرة بالعناية والدراسة المسهبة ، لأنها تمثل أدب حقبة عاشتها سورية عبر البحار في بلدان العالم الجديد ، ومن التجني أن نبعثر هذا الإرث العريض بالإهمال ، لأنه جزء خطير من تاريخ أدبنـا السوري العربي في القرن العشرين .

✲ ✲ ✲

ولقد ذمّ الهجرة كثيرون ، ومعظمهم ممن نزحوا الى العالم الجديد فقراء ، فجنوا فيها الثروات وعادوا أغنياء . وعجباً لهؤلاء كيف يذمون الهجرة التي عادت عليهم بفيض من الثراء ؟ ويقول آخرون ، إن بين المغتربين من هم جياع وعراة ، ومن قست عليهم الحياة ، فتعاطوا مهناً تأنف نفوسهم أن يتعاطوها في بلادهم !

هذا صحيح ، ولكن أليس في الوطن من هم جياع وعراة . ومن يتعاطون ما هزل من الحرف ؟ إن تكافؤ فرص النجاح لا يمكن أن يشمل الجميع ما دام هناك تفاوت في القوى الجسدية والعقلية ، والنفسية ، والمجتمع الإشتراكي وهو الذي فتح باب تكافؤ الفرص ، لم يستطع ان يعالج هذا التفاوت الذاتي ، فارتفعت أجور ، وهبطت أخرى . فمـا قولك في مجتمع رأسمالي ؟

يكفي الهجرة فضلا ــ بالنسبة الى عصرها ــ انها حررت مئات الألوف من الفقر والجهل والطغيان التركي ، وفتحت لأبصارهم آفاق الحضارة والحرية والنور التي كان ينعكس دفق من أشعتها على الحياة السورية.

ولننظر الى الهجرة من الناحية المادية ، فنفرض أن عدد السوريين الذين نزحوا الى البلدان الأمريكية منذ ابتدأت الهجرة حتى اليوم ، أي لنفرض أن عددهم بلغ ثلاثمـائة الف فقط وهو الحد الأدنى ، فإذا قدرنا ان كل فرد منهم ارسل الى وطنه او انفق فيه ، او حمل اليه بعد عودته مبلغ ثلاثة آلاف دولار في غضون السنوات الخمس والستين . وهو معدل أدنى من الأدنى ، فان مجموع ما نثره المغتربون في سورية يبلغ تسعمائة مليون دولار اي بمعدل ثلاثة عشر مليون دولار في السنة . وهي ولا شك أسهمت خير إسهام في إنعـاش الإقتصـاد السوري .

وعلينا أن نضيف الى هذه التقدمات الفردية . تلك التبرعات الجماعية الطائلة التي بعث بها المغتربون كلما دعاهم صوت الوطن ، دعماً للمؤسسات المدرسية والخيرية والدينيـة . او ترفيهاً عن الفقراء والمعوزين ، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الاولى ، او تأييداً للثورات الوطنية ، ومكافحة الانتداب الفرنسي ، او تعزيزاً للثورة الفلسطينية العربية ، او رفـداً لأبطال الثورة السورية الذين لجأوا الى الصحراء ، او اسعافاً لضحايا العدوان الفرنسي الاثيم (١٩٤٥) والمنكوبين الفلسطينيين فرائس التخاذل والخيانة . او إسهاماً في اسبوع الجيش السوري الخ . واننا لنحمد الله اذ اتاح لنا شرف الاشتراك في أغلب اللجان التي قامت بهذه الحملات ، وجمعت التبرعات .

وهناك ايضاً ما استرفده رواد المهاجر ، وحملة المباخر . وكان حبلهم لا ينقطع . باسم مشروعات ورسالات ، بينها المشكور المبرور . وبينها المكنون المستور . والمطوي في زوايا الصدور ...

* * *

والحديث عن المغتربين وأثرهم ومآثرهم يطول ويطول . وانه لحديث خطير جليل ، له في المسمع صوت جبريل . وله في القلب ندى معسول ، ورؤى العقول ، وتدغدغ عذارى الحقول . وهل أشهى على قلب الام المتبول . من الحديث عن أبنائها الفاتحين الذين مزقوا السدول ، واقتحموا ظلمة المجهول ، وبنوا لها في مرقد الشمس المجد الاثيل . وهتفوا باسمها تيّاهاً يصول ويجول . فإذا هو التعويذة تدفع الاباطيل والعراقيل . وتفتح كل ما تهفو اليه

النفوس من سبيل . وما تشتاقه من شدو أصيل ، على وتر نبيل . .

نعم . . أما ودّعوا الدار وعلى الكتف تبعات . وفي العنق أمانات . . ؟

أما ودعوا الدار ، وساروا بخطى الجبار ، وفي عزائمهم ايمان زخار . وفي نبضاتهم مضاء وإصرار ، وإقدام يغالب الأقدار . وفي نفوسهم عنفوان واستكبار ؟ أما حملوا أسمى شعار في رسالة الأمة العربية المغوار . ؟

اما ودعوا الدار وركبوا البحار ، ولسورية في آذانهم قرع نواقيس . وللعروبة في دمائهم خصب أغاريس ، وللعلى في طموحهم صدق أحاديس . ؟

ولقد والله صدقوا أوفياء أبراراً في دنيا المروءات . فسخروا بالعقبات ، ونهضوا بالتبعات وساروا بها الى ابعد الغايات . واضطلعوا بالأمانات . وأدوها فياضة الهبـــات . صداحة المكرمات . وكان لسورية الأم في جوانحهم هتافات وانتفاضات ، فعاشت في أعماق أرواحهم رمزاً لأسعد الامهات . . .

والحب البنوي فيض تبعاته متواصلة . واماناته متراسلة . وعناصره ابداً متفاعلة . وعينه هي عين الصوفية في النافلة .

الا ان قصة المغتربين ملحمة في اسطورة ، واسطورة في ملحمة ، ولولا اننا نزلنا في ساحها وشربنا من اقداحها . ولبسنا من افراحها واتراحها . وحملنا من زهوها وجراحها . وعشناها وضربنا على اوتار زأرتها وصداحها . واكلنا من عوسجها وتفاحها . ولهونا بمراحها ودداحها وجررنا ذيول وشاحها . في بسطة رحراحها . نعم لولا اننا عشناها واخترقنا دروبها على هدى مصباحها . لقلنا إنها اسطورة يقصر عنها كل خيال . وحديث خرافة لا يخطر في بال ، ورؤيا طلل يغالب الجبال ، ولهاث حالم يصارع الزلزال . .

ولن نسترسل بعد هذا في وصف الملحمة الاسطورية التي عقدها المغتربون السوريون ، ففي هذه اللمحات العبيرية ، ما يشير الى البطولة والعبقرية ، وحسبنا من الورد شذاه . ومن الصوت صداه ، ومن الفجر نداه ، ومن القلب حبه وهواه .

ونحن بعد هذا على حق اذا تساءلنا : هل بادلنا المغتربين شعورهم السخي ، بشعور مثله سخي ؟ وهل رعيناهم كما رعوا وطنهم غيارى خلصاء ؟ وهل عاطيناهم حباً بحب ، وأشدنا بذكرهم ، ونوهنا بفضلهم ، وتماجدنا ببطولاتهم وفتوحاتهم ، وعقدنا لهم في كتب الدراسة فصلا يشير الى الملحمة الاسطورية التي انطوت على أمجد المآثر ، وارفع المفاخر ؟

ان تاريخ سورية الحديث ، لا يستطيع ان يتجاهل تلك الصفحات الرائعة التي كتبهـــا

المغتربون ، في النصف الاول من القرن العشرين ، ودلوا بها على عصامية السوريين ، وألمعية السوريين ، وعبقرية السوريين .

وليس من الوفاء لتاريخنا ، وليس من العدل لشعبنا ، ان نطوي تلك الصفحات الذهبية التي نقشها المغتربون بإزميل العزائم الماضيات ، والهمم العاليات ، والمطالب المتساميات . ان تاريخ الهجرة السورية الى العالم الجديد ، ان هذا التاريخ الحافل بالعظائم هو جزء أصيل من جذور تاريخنا الحديث ، وعلينا اذا انصفنا انفسنا وتفاخرنا ، ان نطلع طلابنا في المدارس على فصول من هذا التاريخ المتألق المتضوع . لا من باب التعريف فقط بل من التذكير بأن لنا في بلاد الاميركتين أبناء بررة . وطنهم وطننا ، ولغتهم لغتنا ، ودمهم دمنا . وبأن لنا هناك مئات الالوف من الحفدة الذين تجري في شرايينهم دماء عربية وان تأمركت اسماؤهم ورطنت ألسنتهم . فكلهم عربي الروح ، عربي القلب ، عربي القسمات .

ولقد رأينا طلابنا يعكفون على درس شيء من ادب المهجر ، واذا كانت فصول هذا الادب في الكتب المدرسية تفتقر الى الكثير من التنسيق والتدقيق والتعميق ، فهي تفتقر اول ماتفتقر الى التاريخ . تاريخ الهجرة وعصرها ومواطنها . وفتوحاتها وبطولاتها ، التي تبث في الطلاب روح الطموح ، ومغالبة الصعاب . الى جانب القدوة المثلى . كما تهيء لهم الفهم الصحيح لأصالة الادب المهجري الذي جبله صدق صادق ، وصاغه فكر سامق ، في بيان آفق . ونفخ فيه روح خلاق فائق ، فإذا هو الادب الموهوب المشبوب ، « غير المجلوب » وغير المخضوب وما أجدر وزارة التربية والتعليم بسد هذه الثغرة . وتلافي هذا من الاجحاف والمضرة . انها المسؤولة الاولى عن الحفاظ على تراثنا القومي ، من تاريخي وادبي .

ومما تجدر الاشارة اليه ان ما نتداوله من الادب المهجري ، ليس سوى جزء مما وقع في ايدينا من بعض الدواوين المنشورة . فهناك دواوين اخرى ظلت محجوبة عن ابصارنا ، وهناك ايضاً شعراء وادباء مغمورون ، لم يتسن لهم طبع آثارهم ، وهي لا تقل روعة عما نتداوله الآن .

* * *

ونعود فنتساءل مرة اخرى . ماذا صنعنا في سبيل توثيق العلاقات بين الوطن والمغتربين وهل فكرنا تفكيراً عملياً جدياً في ربط (البلد الثاني) عبر البحار بالبلد الاصلي ، وفي إحياء اللغة العربية التي كادت تندثر بين ابناء المغتربين وحفدتهم ، الـذين يفخرون بتحدرهم

من السلالة العربية ، ولكنهم لا يعرفون من لغتها وتاريخها وآدابها ، على شغفهم بها ، الا النذر اليسير ؟

واذا كنا نحن أبناء هذا البلد نعرف الشيء الكثير عن المغتربين ، بحكم علاقاتنا الشخصية وما يربطنا بهم من وشائج القربى ، واستمرار زيارتهم لمواطنهم ، فأبناء البلاد العربية الاخرى يجهلون كل شيء عن هؤلاء المغتربين ، الا نفراً من الادباء الذين فتحوا عيونهم على الادب المهجري ، فقرأوه ودرسوه ، ونشروا شيئاً منه . بل ان صحافة هذه البلاد نفسها لا تعرف الا القليل عن المغتربين ، ولذلك لا تسلم من الوقوع في الاخطاء ، كلما ذكرت شيئاً في موضوعهم . فماذا صنعنا لنعرف اخواننا العرب بإخوان لهم ، نزحوا من سورية الى العالم الجديد ، وتناثروا كواكب وفراقد فوق كل ارض وتحت كل سماء ؟

ثم أمن البر والوفاء لقوميتنا العربية ولبلدنا العربي وقد ارتفع علمه خفاقاً ألاقاً ، زخاراً هداراً ان نتناسى ما لهذه الام من ثروات بشرية ومادية ، طائلة هائلة ، في بلدان كولومبس وننام عنها لتذوب شيئاً فشيئاً في شعوب اميركة ، وتصبح اثراً بعد عين ؟

أمن البر والوفاء لامتنا العربية وهي في شجرة نهضتها ، ان نغبن انفسنا وتاريخنا ، ونتخلى عن تراثنا العزيز ، ونلهى عنه ونسلوه ، ولولاه لما ارتفع للعروبة في تلك الدنيا القصية صوت ولولاه لما تعرف عشرون شعباً في بلدان اميركة بالامة العربية ومناقبها ومواهبها وفضلها على الحضارة . ولولاه لما قرعت للعصامية السورية نواقيس ، ولا تفتح للطموح السوري رحاب فراديس ؟

أمن البر والوفاء لنهضتنا القومية والثقافية والاجتماعية أن نغمض العيون عن (اندلسنا) الاميركية ، عن سيوفنا وراياتنا ، عن صواريخنا المعنوية عن ذلك الشطر العزيز الحبيب الذي نثرته الأقدار بحكم أحوال استثنائية في بلدان كولومبس حيث امتزجت الانفاس العربية المتضوعة بدخان المعامل ، وضباب الاودية ونسمات السهول وسحائب الجبال ، وبخار الآلات واريج الحقول . حيث بنى مغتربنا العصامي الألمعي لامته دولة راسخة ، باذخة شامخة ، نحت حجارها بعزائمه وزنده المفتول ، ورأيه الاصيل ، وطموحه النبيل ، وجبل ترابها بدمه الزكي ، وعرقه الابي ، ودمعه الغلي ، ولهاثه الوري ، وندى جنانه السخي (١) .

---

(١) روت جريدة الايام الدمشقية سنة ١٩٦١ برأس الصفحة الرابعة بعنوان (نتائج المباحثات مع الوفد التجاري البرازيلي) الخبر التالي الذي يؤيد ما ذهبنا اليه من تفوق المغترب السوري في ميادين الاقتصاد البرازيلي واشرافه عليها (صرح السيد مساعد القدسي مدير اقتصاد دمشق بعد ان حضر المباحثات التي جرت

لا . لا . لا . وما احلى النفي النافي في هذا التساؤل جواباً وعطاء . هذا النفي يملأ النفس رجاء والقلب عزاء والمستقبل ضياء .

لا . لا . لا . وما أحب النفي المقدام ، في هذا المقام ، وما أجمل وقعه في مسمع المنادي المستهام .

لقد مضى والحمد لله زمان الصمم والنكس ، وحالنا اليوم غير حالنا بالأمس . وماكانت تهمس به النفس ، اصبح على مرأى العين واللمس .

ولنا بعد هذا امل وطيد بوصل ما انقطع . وترميم ما انصدع . فنمد جسراً يشد المغتربين الاوفياء . الى امهم الزهراء فيشعرون أن هناك عيناً ترعاهم ، وقلباً يهواهم ، ويداً تتلقاهم وكم افتقدوا هذه العين . وكم نشدوا هذا القلب ، وكم حنوا الى هذه اليد ؟

إن رياح الخريف أخذت تعصف برياض المغتربين ، وها هي تجرد اشجار الرعيل الاول ونصف الثاني ، وتعريها من اوراقها وتذروها ، فتبكي الاماني وتبح الاغاني . تساقطوا أبطالا أبراراً ، والمفارقات أثيره . عين بنعمة الله قريرة ، واخرى بدموع الحسرة مطيرة كسيرة . ما أقسى الموت في الغربة . إنه موتان اثنان ..

سلام على أرواح اولئك الماهدين المجاهدين . سلام على أرواح اولئك الاوفياء الخلصاء لفظوا انفاسهم في ديار الغربة ، وملء العين والخاطر والقلب ، اشباح الوطن البعيد ، وكأنها اغلى ما اختطفته العين من بدائع الارض ، فحرصت عليها حنوطاً وكفناً ، يرفعها الى رحاب العلاء .

وكأن أطياف الوطن البعيد ، أشهى ما استوعبه الذهن من زاد قدسي ، لرحلة لا يدرك أبعادها وآمادها سوى صفوة الانبياء . وكأن ذكريات الوطن البعيد أسطع ما حملته الروح من نور الى العالم الثاني – الى جنان الخلد حيث يعانق نور الارض أنوار السماء .

سلام على أرواحكم كباراً وصغاراً ، جنوداً أغفالا مجهولين ، وقادة نبهاء مشهورين ،

بين الوفد التجاري البرازيلي وممثلي الجمهورية بشأن استيراد كميات من البن البرازيلي . وقد جرت عدة اجتماعات في وزارة الاقتصاد حضرها وزير الاقتصاد والمالية والمدير العام للتمثيل التجاري والمدير العام للجمارك . صرح بأن الجانب البرازيلي عرض التسهيلات الكافية لتأمين استيراد البن من البرازيل للجمهورية العربية السورية .. الخ واضاف السيد القدسي ان رئيس الوفد البرازيلي قد عبر عن عاطفة الشعب البرازيلي نحو البلاد بقوله :

هناك روابط دم واخوة بيننا وبين عدد كبير من الجالية السورية في البرازيل وهي المشرفة في الواقع على الشؤون الاقتصادية لشعب البرازيل الذي يبلغ عدد نفوسه ٧٢ مليون نسمة) .

اغنياء : لغتهم النعمةواليسار ، وفقراء : لبسوا العسر والاطمار ، وصوفيين : تتوجوابأكاليل الغار . سلام على أرواحكم يا من غابوا في تراب غير ترابهم ، وناموا في قراب غير قرابهم. وساروا الى اللانهاية في ركاب غير ركـــابهم وانضموا الى مواكب غير مواكبهم . انكم جنودنا ، إنكم شهداؤنا ، انكم يد لنا نحتسبها عند الله ، فلولاكم ولولا جهاد لكم حفيل نبيل ، وطموح غلاب أصيل ، لما خفقت لسورية في الغرب القصي رايات . ولا تعبدت للعروبة طرقات . ولا نشأت للفصحى (عكاظ) العبقريات والآيات البينات، ولا جأرت لانتفاضاتنا القومية صرخات وزأرات ، ولا استيقظ الحرف بعد طويل السبـــات . وصاغ المـــلاحم والملهمات . ورصع البلاغة بالدراري المتلألئات (١) .

اما الاحياء من مغتربينا الاحباء الذين كتب عليهم ان يتابعوا تأدية الرسالات العمرانية والحضارية ــ اما هؤلاء الاحياء الاحباء ــ بارك الله في حياتهم واضفى عليهم حلل الصحة والعافية ، فلهم منا ومن الوطن العربي تحيات الاعجاب والشكر . زادهم الله بسطة ومنعة ، وزادنا بهم فخراً ورفعة .

ولا ننسى في هذا المقام ، ان نرفع تحية الإكرام والاجلال ، الى المرأة السورية المغتربة التي رافقت رجلها في الجهاد والنضال ، وكانت للفضائل الشرقية خير مثال .. للغيرة الوطنية والبذل والنبل مضرب الأمثال . وحسبها من الفضل انها كانت عون الزوج والشقيق في حمل الأثقال وعناء الأعمال . بل كانت في الحياة المهجرية مصدر الإلهام وينبوع الجمال والكمال. ولقد طالما نافست الرجل في ميادين البر والاحسان ، والمآثر الحسان ، وحب الوطن الفتان بما فطرت عليه .

واذا حيينا المرأة السورية المغتربة بوجه عام ، فلا يسعنا الا ان نحيي بوجـــه خاص ، السيدة السورية الاولى في كل المهاجر نعني بها ام السوريين المغتربين المحسنة العبقرية السيدة « كرجية عبد الله حداد » ، ارملة شيخ الجالية المبرور المرحوم « اسعد عبد الله حداد » . فقد ضربت اروع مثل في تاريخ الهجرة لحب الوطن ، والبذل السخي في سبيل الوطن .انها سيدة المبرات والمكرمات والمروءات . لا ينافسها في الاحسان الى وطنها منافس اذ انافما

---

(١) طرحت جريدة الفداء الحموية في عددها الصادر في ٢٠ آب ١٩٦١ بضعة اسئلة ادبية على الطبيب الانساني والشاعر الفيلسوف الدكتور وجيه البارودي ، بينها هذا السؤال : ما رأيكم في المهجر ؟ فأجاب ان رصيد شعرنا العربي في هذا العصر هو شعر المهجر ، فهو ثروتنا الشعرية المعبرة الاصيلة ــ نقول : هي شهادة من الف تدل على رفعة الادب المهجري .

تبرعت به لمؤسساتنا العلمية ـ وفي جامعة دمشق اثر رائع ينطق بفضلها ـ والخيرية والبلدية والاجتماعية ، على مليون ليرة سورية ، وقد نلقى بين المغتربين من يدانيها ثراء ولكننا لا نلقى من يدانيها عطاء وسخاء ، ونبلا ، وصفاء .

☆ ☆ ☆

وبعد ... فما كان اخونا وصديقنا الاستاذ عبد اللطيف اليونس ، مؤلف هـذا السفر الطريف الظريف ، بحاجة الى التقديم والتعريف . فقد ترامت شهرته واينعت كرمتـه ، وطابت في الأدب خمرته . ولكنه تفضل واناط بي كتابة المقدمة لكتابـه الذي دار حول موضوع هو من احب الموضوعات للقلب والنفس . واحفلها بالتقري والدرس . واجلها بالتنبيه والعناية ، وأجدرها بالذكر والرعاية . واروعها في تاريخنا الحديث رمزاً وكنايـة . نعني به المهاجر الاميركية وقضايا المغتربين . وما هي الا فرع من قضايانا القومية العربيه . وملحمة في مهارقنا التاريخية ، وذروة من ذرى فتوحاتنا العبقرية ، وولادة من ولاداتنـا الانبعاثية ، في مرحلة من مراحل كبوتنا السياسية والاجتماعية .

هذا الموضوع الخطير الجليل الحفيل ، عالجه قلم مرهف نبيل اصيل . هو قلم عبداللطيف اليونس . غمس يراعه في لهب متأجج ، ودم متأرج ، ورش على الحرف من الفجر المتبلج . فاذا الزهر متضرج . واذا الكوكب متبوّج متوهج ، واذا الحرف مترنم متهزّج ،ولا بدع ، فقد عرفنا عبد اللطيف اليونس في طليعة اصدقاء المغتربين وفاء . واعلاهم صوتاً ونداء ، واعمقهم شعوراً وولاء . واصفاهم نغماً وغناء ، واسخاهم رعاية واحتفاء . زار المهاجر الاميركية فرأينا فيه ذلك الوجه [illegible] السري . وذلك القلب الرواع الألمعـي . وذلك الخلق الرفيع الابي ، وذلك [illegible] المعطار الكوثري . وذلك الأدب النضير الاصمعـي . وذلك الخطيب المصقع اللوذعي . في وطنية عميقة الاصول . وانسانية ضافية الذيول وجرأة في نصرة الحق المخذول . على الجزر موصول .

ولقد شرب الفضل حتى تندّى، وألحم المعروف وتسدّى . رأينا روادالمهاجر منتجعين ومسترفدين . يأخذون ولا يعطون . يجمعون ويجحدون ، ويؤوبون غير شاكرين اما عبد اللطيف اليونس فقد اعطى ولم يأخذ . اعطى من فيض جنانه . ودفق بيانه ، ووهج ايمانه، وسراوة انسانه . ما زار معهداً من معاهد الخير والصفاء . الا تسابق اللقاء والعطاء في عاطفة صادقة الاداء ، وهو انما دعي للتكريم ، لا لرفد المسكين واليتيم .

فان ننس لا ننس موقفه الوطني الابي يوم احتفى به ملك من ملوك الصحافة في البرازيل

واقام له مأدبة باذخة حافلة . وكانت جراحنا بفلسطين حارة نغارة . فقد وقف قبل تناول الطعام ووجه خطابه الى الصحفي الكبير قائلا : يرى العربي في تقديم القهوة للضيوف سنة وشريعة ، قبولها سنة وشريعة . اما اذا كانت لاحدهم حاجة فهو يشرط قبول القهوة بقضاء الحاجة . فيقول والله لا اشرب قهوتك الا اذا لبيتني في كذا . ونحن يا صاحب الضيافة السخية . لا نجلس الى مائدتك ، ونشرب من قهوتك الااذاوعدتنا بالدفاع عن قضية فلسطين وحقوق العرب على صفحات جرائدك .

فوقف صاحب الدعوة وقد طفح وجهه اعجاباً ، وبعد ان اثنى على وطنية الاستاذ اليونس تابع قائلا : عندما زرت مصر مؤخراً شعرت ان بيني وبين العرب وشائج وملامح شتى تربطني بهم ، ولولا فارق اللغة لقلت اني عربي او انهم برازيليون ، والعروبة ارجح لانها اقدم من البرازيلية .

« اما قضية فلسطين العربية ، فلولا انتشار الدعاوة المضللة . ولولا تخاذل الحكومات العربية ، وانقياد بعضها لاوامر المستعمرين لما ساءت مصيراً . واننا لنأسى اشد الاسى اذ نرى الضمير العالمي ، سجيناً في خزائن الرأسمالية الاستعمارية ، او مطروحاً تحت عجلات المدافع . هذا ما اعتقده . وهذا ما آصرح به . . » وعندئذطابت نفس عبد اللطيف اليونس وقرت عيوننا ، فأقبلنا على المائدة . .

وكانت اقامة هذا الزائر الكبير ، والاصح السفير العربي المتطوع بين ظهرانينا في سان باولو ، سلسلة موصولة الحلقات بالفرائد ، فمن خطب ومحاضرات . الى زيارات ومسامرات ومن مآدب اكرامية واستقبالات ، الى مباسطات ومحاولات . وكان ادباء المهجر وهم في سان باولو اعلام افذاذ يحدقون به فينقع غليلهم بأخبار شعراء الوطن العربي ، ورواية منتخلات من قصائدهم . ولعبد اللطيف ذاكرة قوية غريبة لا يعلق فيها الا ما طاب من منظوم ومنثور . ثم ينكفىء اليهم يستنشدهم قصائدهم ، ويتحدث عن آثارهم ، ويستجلي من اخبارهم ، ويروي ظمأه الملحاح بما وعى واستوعب . وبما وهب واستوهب .

وهذه الزيارة للمهاجر الاميركية فتحت لعبد اللطيف اليونس ابواب عالم سوري جديد سائغ لم يقع في خياله : ولا خطر في باله ، ولا همس في ذهنه حرف من آيات جماله ، فقد كان عسيراً اشد العسر على اي زائر للمهجر ان يطبع في ذهنه وخياله صورة ، تداني حقيقة الواقع من حيث عظمة الجالية ومكانتها . وضخامة ثرواتها . ومتاجرها وصناعاتها ، واتساع

فتوحاتها وانتصاراتها ، وازدهار معاهدها ومنتدياتها . ورفعة غاياتها ، وسائر ملامحهـــا وقسماتهـــا .

هذه المشاهدات الحية الرائعة التي يقف امامها الدارس الباحث ذاهلا مزهواً تياهـــاً . تركت ابلغ الاثر . واعمق الفكر , وابذخ الصور في نفس عبد اللطيف اليونس الذي يعتز بكل زند عربي ، وبكل قلب عربي ، وبكل فتح عربي ، وبكل مجد عربي . فما القول في هذا الزند ، والقلب والفتح والمجد ، تطفح متألقة صداحة متأرجة ، في ارض غير ارضها ، وربض غير ربضها ، وحوض غير حوضها ، وروض غير روضها .

هذه الصور الباذخة الشامخة لجوالينا في اميركة رافقت عبد اللطيف اليونس ولصقت به في يقظته ونومه وحلمه ، وتغلغلت في شرايينه ، في دمه وروحه ولحمه . لقد قرأ فيها ملحمة عربية قومية ، صاغتها الرجولة والبطولة وصقلتها الاصالة والنبالة ، وكشفت عن تاريخ مجيد ، ضائع الاصول في الوطن الاصيل ، فهب يغرف من جماله في عينيه ، وفي اصغريه . وقام يدله عليه . ويلفت الاذهان اليه .

هذا التاريخ هو ابن العصامية البكر ، ولا جدال في ان هناك اواصر من القربى بـــين العصامية وعبد اللطيف اليونس ، فهو ايضاً من ابناء العصامية . بنى نفسه بنفسه واعلولى . ورمى بصره على القمة واقلولى . ازدرع فأكل . واستنبط فنهل ، وحاك فاشتمل ، وشيّد فنزل ، وامتطى العزم فوصل ، ولو استرسل في الحديث عن عصاميته المشرقة . طاردتـــه السياسة في ضحى الشباب ورأى في النيابة رسالة اصلاحية تحقق من اهدافه ومثله العليا ، فأقبل عليها غير مستعين « باقطاعية » موروثة ، وثروة منثوثة ، وسطوة مبثوثة ، والاقطاعية آنذاك بحر طام طاغ ، ولكنه ما تردد ولا جبن ، بل وقف في وجوه الاقطاعيين مبشراً بالتحرر وكبح جماح الطغيان والتجبر ، ومكافحة الرجعية والامية وضروب التأخر ، كانت المعركة قاسية حامية ، ولكنها انتهت بفوزه وهزيمة الاقطاعية .

وكان صوته في مجلس النواب السوري اول نشيد قرع جدران ذلك البيت العظيم ، فتعالى في القباب ، وتردد صداه بين الباب والمحراب ، وهز قلوب النواب ، انه نشيد عبهري لاولئك الغياب . للمغتربين في المهاجر الاميركية . انه تنبيه وتذكير . وتهليل وتكبير . .

ثم اعاد الكرة مرتين وثلاثاً ، وكانت الآذان تسمع ، اما القلوب فلا تتورع ، واما منطق النواب آنذاك وهو منطق محلي ضيق فلا يقنع . لو كان للمغتربين اصوات في سورية لتسابق النواب الى خطب مودتهم ، والتغني بوطنيتهم واريحيتهم ، ولقالوا هؤلاء هم ابناؤنا الميامين .

وما نحن عنهم بغافلين . ولا لفضلهم جاحدين ، وانما لهم في قلوبنا عرش مكين .. ولكن نوابنا السابقين ، عفا الله عنهم ، غرق حسهم القومي ، لغلبة حسهم بالمصالح المحلية والانتخابية عليه ، فما فكروا قط في بناء جسر يشد المغتربين الى امهم سورية ، ولو فكروا لاشركوهم في النيابة ، ودعوهم الى انتخاب ممثليهم ، وان رمزياً ، ولكن الجمعية التأسيسية التي سنت الدستور تناستهم فما ذكرتهم بفقرة على الاقل .

* * *

قلنا ان السياسة طاردت عبد اللطيف اليونس ، فكان النائب وكان امين السر في المجلس وكان الصوت المجلجل ، وكان الصفحة الناصعة النقية . ولكن الحياة وهي الام التي تسهر على بنيها ، وتسبر لكل واحد اعماق لجاجه وشطآنه ، وتجلسه في ديوانه ، ما لبثت هذه الحياة الام ان طلقته من السياسة والنيابة وزفت اليه اليراعة والكتابة . فكان للأدب فيه غنم كبير، وروض نضير ، ومنهل نمير . بل كان ذلك النائب الجهير أضأل نوراً على وهجه من الكاتب النحرير ، وللحياة في التصريف والتدبير ، حكمة غمضت على الجاهل والبصير . رأيها الرأي وهو القائد والمشير .

ولا شك ان هذا الكتاب الانيس النفيس ، هو ثمرة شهية نهية من ثمار ذلك « الرجل » الذي كسب به الأدب كاتباً انسانياً ، ومصلحاً اجتماعياً وبحاثة ألمعياً ، ونقادة حوزياً ، ومؤرخاً وطنياً . ولا شك ايضاً انه من ثمار حبه ووفائه للمغتربين ، والإعجاب باولئك الابناء الظاعنين ، والرواد الفاتحين ، وهم لا يزالون اشباه مجهولين ومغمورين ، وهي يد وسيمة النسب ، اسداها الى الادب والعرب ، وما هي بالاولى ولن تكون الاخيرة اسبغ الله عليه من مطارف النعماء . وبارك في يراعته النضيرة الهدباء ، وهمته المتوثبة الشماء .

* * *

وتحية متهللة لفرسان الاغتراب ، في عالم السباق والغلاب .

انها نفحة ندية بليلة ، والتفاتة انيسة ظليلة ، تتجلى فيها المعاني العربية الجليلة ، والمقاصد القومية النبيلة .

فله منا نحن المغتربين ، شكرنا العميق ، وثناؤنا الرقيق ، وودنا الفتيق .

حمص　　　　　　　　نظير زيتون



تمهيد

قبل ان نخوض في غمار هذا الموضوع الواسع الرحب ، موضوع اخواننا المغتربين . وقبل ان نتعمق في دراسة احوالهم ، ومجالات نشاطهم ، وتاريخ هجرتهم ، احب ان اقف قليلا بالقارىء الكريم لإعطائه فكرة واضحة عنهم – لعلها تشبه الاطار الذي يحيط بالرسم ، والهالة بالموضوع .

والمغتربون في وطنهم الثاني ، ودنياهم الجديدة ، قد استطاعوا ان يحققوا لأنفسهم اكثر امانيها ، ولأمتهم بعض اهدافها . فارتفع بعضهم الى اعلى المراتب ، واستولى على ارفع المناصب ، وتغلب على اقوى الصعوبات . وحقق لامته ظفراً مادياً ، وكسباً معنوياً ، وسمعة عاطرة مشرقة .

واضاف الى تاريخها الحافل بالامجاد ملحمة جديدة ، لا تقل عن اروع الملاحم العربية بطولة ورجولة ، وتفوقاً وابداعاً ، ووطنية واخلاصاً .

ولاكثرهم ، في ميادين السياسة والاقتصاد والعلم ، جولات واسعة موفقة ، ونشاط واضح بين ، واثر خالد ملحوظ .

فمنهم نواب ووزراء ، وقادة وعلماء ، وحكام ورؤساء ، ومدراء بنوك وشركات ، واساتذة في مدارس وجامعات ، واطباء ومهندسون ومحامون ، ومخترعون لامعون متفوقون – لهم آثار مشرّفة في مجالات الاكتشاف ، وتفوق مجيد في ميادين البحوث والاختراع .

ان هذا الجزء المغترب ، من امتنا العربية ، قد تفرق في شتى انحاء المعمور ، يبعث الندى والخير والفيء ، في كل ارض وطأها ، وميدان اقتحمه ، ومجتمع ولجه ، وبقعة عمّرها ... فأمرع وابدع ، وشيد ووطد ، واعطي اروع مثال – عن اروع خلق ، واكرم شاهد – عن

اكرم فضائل ، وانبل شمائل ، واطهر مكرمات :

وما وطأت ارضاً اجنبية قدم عربي ، الا وله فيها مكان بارز ، واثرمرموق، وحيّزواسع ملأه بمواهبه ، وشغله بكفايته ، وبرز فيه بحيوية روحه و جسمه ، ونشاط عقله وفكره ،ودقة بصره وبصيرته .

وما وجد عربي في مكان : مغترباً ــ فأقام ، وعاملا ــ فأثرى ، وجوابــة ــ فحلق ، واديباً ــ فتفوق ، وبحاثة ــ فكشف عن دقائق الامور ، وغوامض المشكلات ، الا وغمر محيطه بفيض لا ينقطع من كرم نفسه ، وكرم يده ، واشراق روحه ، واشراق مبدئه ،وطهارة ايمانه ، وطهارة وجدانه .

وفي كل مكان في المغترَب ، يضرب المثل بمروءة العربي وابائه ، وولائه ، ووفائه ونجدته وسلامة نيته وطويته ، وطيب معشره ، وحسن اثره .

وللامم اخلاق كأخلاق الافراد ، وعادات كعاداتهم ، ومزايا كمزاياهم ، فحينما يوصف الالماني بالصلابة ، والبريطاني بالغطرسة ، والياباني بالرصانة ، والفرنسي بالحماقة،والاميركي بالخفة والروسي بالطيبة .. يوصف العربي بالكرم والشجاعة .

ولا والله ما كان كريم لئيماً ولا ذميماً ، ولا شجاع دنيئاً او بذيئاً .

ان الاخلاق الشريفة لا تتجزأ ، والمزايا الفاضلة لا تتبدل ، والشمائل الرفيعة لا تتدنّى ، والمبادىء القويمة لا تسف .

واذا كان يوجد بين ابناء العروبة ــ مقيمين او مغتربين ــ من لا يتخلق بأخلاق امته، ولا يتقيد بمبادئها ، فانه لا علاقة للنبوّ بالسياق ، ولا للشذوذ بالقاعدة .

ولا يسوغ ان يحكم على امة بشذوذ احد ابنائها ، وانحرافه عن سبيلها . ولا يجوز ان توصم الامة كلها او تتهم ، ولا ان تطبع بطابع الانحلال والتفكك . ولا تخلو حلبة من ناب ولا مجتمع من شاذ .

* * *

ولقد كان للكرم العربي ، اثره القوي ، في حشد الاصدقاء ، وجمع الانصار .

وللمطبخ العربي ، في المهجر ، اثر بالغ الاهمية في الدعاية للمغتربين . وعامــل ضخم في تقوية كيانهم ، وتثبيت دعائمهم ، وايجاد النصراء لهم وللوطن الام .

وقد قال احد المستشرقين :

« ان اصالة الكرم العربي ، ومطبخهم النادر المثال ، خير عامل على الدعاية لهم ، لو عرفوا كيف يستغلونه ويستثمرونه » .

وقد عرف المغتربون العرب كيف يرضون شمائلهم ، وينقّونها ، ويعيشون بها ولها ، ولكنهم لم يعرفوا كيف يستثمرونها ويستغلونها !

ان طيب الارومة العربية قد ظهر في خلائق المغتربين .

وتجلت ارومتهم نقية صافية ، وبدت على حقيقتها وواقعها كأجمل ما تكون ، وازهى ما تكون .

وقد صقلت الغربة هذه الخلائق النبيلة ، فأزالت عن جوهرها ما علق به من صدى او غبار . وهيأت لهم قمة العظمة ، وسدة المجد .

وبرزوا الى ميدان الحياة ـ بنبلهم العريق ، ومحتدهم الكريم ، وطيبتهم المشهورة .

برزوا : عرباً .

عرباً .. جابوا الدنيا حفاة عراة منذ الف ونيف من السنين ، فنشروا شعار امتهم وشمائل باديتهم ، وتعاليم دينهم وشريعتهم , وافتتحوا العالم بمكارمهم واخلاقهم ، قبل ان يفتتحوه بسيوفهم وكتائبهم .

وكانت الحضارة ما تزال نبتة تنمو .

والمدنية ما تزال طفلة تحبو .

وتعهد العرب هذا « الطفل » الناشيء بالعناية ، وتلك « النبتة » اليابسة بالرعاية .

واذا بالمدنية « الطفلة » ، تغمر العالم بالعرفان والنور ... وبالنبتة اليابسة ذات ثمر وفيء .

واذا الدنيا ـ كلها ـ ميدان ، للكتائب العربية ، والمكارم العربية ، والابداع العربي ..

واذا نور الحضارة ينبعث من صحراء العرب ... فيغمر العالم كله ، ويسطع ويشع .

واذا المغتربون العرب قبس من ذلك الشعاع ، ووهج من تلك الجذوة ، وامتداد لذلك التاريخ ، وشعلة من ذلك الايمان .

* * *

قد يخيل للقارىء الكريم اننا ـ معشر المؤرخين ـ ننسج بروداً من عاطفتنا ، ثم نضفيها على امتنا ، ثم نخص ابناءها النازحين بقدر ، غير يسير ، منها ..

وكل من يقرأ تاريخ امتنا بامعان ، وكل من يزور المغترب والمغتربين ، يدرك اننا لم نتجاوز الحقيقة فيما قلناه وسنقوله ، ولم نتعد الواقع فيما ذكرناه وسنذكره .

وسنستعرض في الصفحات القادمة ، ما امكننا الإيجاز ، حياة اخواننا المغتربين ، والمصاعب التي لاقوها وقاسوها ، والظروف التي مرت بهم ، ومروا بها ، بكل ما فيها من مآس ومحن ، وشؤون وشجون ، وكل ما يتصل بحياتهم من شتى نواحيها : السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، علنا نستطيع – بهذا – ان نخدم الحقيقة والتاريخ ، وان نعطي فكرة واضحة عن اخوان لنا ، هم بضعة من امتنا ، وتراث من قوميتنا ، وجزء من كياننا ، وامتداد لتاريخنا ، وصورة مجسمة عن واقعنا ، وعن استعدادنا الدائم لمجابهة الاحداث ، والتغلب على الصعوبات والعقبات .

والله من وراء القصد .

وهو الموفق ، والهادي الى سواء السبيل .



الهجرة في تاريخ العرب

ليس من السهل ان نحدد التاريخ الذي بدأت به الهجرة عند العرب .

وليس من السهل ان نعرف البلد الذيانطلقت منه .

ذلك بحث طويل ، ودقيق ، وغامض . وهو يعتمد على التكهن والاستقراء – اكثر مما يعتمد على الوقائع والارقام .

ولكن المعروف ان القبائل العربية ، منذ بدء تكوينها ، كانت دائمة التنقل ، كثيرة الرغبة بمعرفة المجهول ، وحب الاستطلاع .. والهجرة من مكان الى آخر ، احدى السلائق العربية الموروثة – وما تزال هذه السليقة في دم الكثيرين منهم الى الآن .:

وربما كانت طبيعة البدوي في صحرائه المجدبة المقفرة ، باعثة على تلك الرغبة ، ودافعة اليها .. فلا الماء موزع ، ولا الكلأ متوفر ، ولا الامن مستتب ، ولا الحياة الرتيبة ميسرة مهيأة . وكل شيء في الصحراء كان يدعو الى التنقل ويوحيه ، بل كان يضطر العائشين فيها اليه – دون ان يكون لهم بذلك حرية الاختيار ، ودون ان يكون ذلك عن تطفل وفضول – الا اذا كان حب الاستطلاع عند البعض ، يعتبر نوعاً من الفضول المتعمد ، والتطفل المقصود .

ومع ذلك فان العربي بتنقلاته الدائبة المستمرة ، كان مدفوعاً الى ذلك .. ليس فحسب رغبة بالبحث عن حياة افضل ، وعيش اجمل ، وانما بحب المحافظة على الحياة ، والمثابرة عليها فحينما كانت تغير قبيلة على قبيلة ، او تطمع قبيلة بغزو اخرى ، والتمركز في مكانها ، اوحينما كانت تجدب الارض ، وتشح المياه ، وتضيق سبل العيش في وجوه اصحاب الموارد الضئيلة والدخل المحدود ، كان هؤلاء – افراداً وجماعات – يضطرون لترك مواقعهم ، والانتقال الى مكان آخر ، او امكنة اخرى .. وهكذا دواليك ..

وكان بعض الاعراب القدامى يمارسون التجارة ، وينتقلون الى بلدان متعددة في

سبيل الكسب والربح ، بواسطة قوافل منتظمة ، ما تبرح متنقلة من بلاد الى بلاد ، ومن مدينة الى مدينة .

وكان « الفينيقيون » (١) اول من جاب البحار ، وراضها واسس اسطولا تجارياً ضخماً استطاعوا بواسطته ان يصلوا اوروبا بآسيا وبافريقيا . ويروي بعض المؤرخين ان « الفينيقيين » قد وصلوا الى الهند ، والجزر المنتشرة في المحيط الهادي ، وانهم اول من اكتشف امريكا حيث ظهرت لهم نقوش ، وآثار تشبه النقوش . والآثار التي خلفوها في مرافىء « قرطاجنة » و « رأس شمرا » و « صيدون » والتي تعتبر طليعة المدنية ، والرقي الفكري ، واللبنة الاولى في تكوين الحضارة البشرية والمجتمع الانساني (٢) .

ولقد ضربت قريش بسهم وافر في هذا الارتحال . وكان لها رحلتان في الصيف والشتاء – كما ورد في القرآن الكريم – وكانت قوافلها تتجه شرقاً وغرباً حتى تصل الى بحر لا تستطيع تجاوزه ، او مفاوز لا تستطيع تخطيها . وكانت تصل في رحلاتها الرتيبة الى الحبشة ، وما يحيط بها من اصقاع .

وكانت لقريش حرمة دينية ، عند العرب – بصفتها حارسة الكعبة المقدسة ، وخادمتها ، حيث كان يفد اليها العرب كل سنة في اشهر الحجيج ، وحيث تقوم اسواق الشعر والتجارة بالقرب منها . وكان الشعراء يتبارون في تلك الاسواق ، وينشدون احسن القصائد التي نظموها خلال العام . والذي يُعلَنُ تفوقه في تلك الاسواق ، يذيع صيته ، وتتسع شهرته ، فتصبح قبيلته عزيزة الجانب ويصبح شاعرها موضع الاعتزاز

---

(١) الفينيقيون كما اجمع اكثر المؤرخين قبيلة عربية انحدرت من الجنوب العربي الى شاطىء لبنان وسورية وفلسطين .

وكلمة « فينيقية » تعني « النخلة » وكان يرمز بها الى القبيلة القادمة من بلاد النخيل . ولم يكن يوجد نخيل في تلك الايام الغابرة ، الا في بلاد ما بين النهرين – اي العراق – وفي بلاد الجنوب العربي – اي اليمن ، وعدن ، وحضرموت ، وما يحيط بها .

(٢) من اختراعات الفينيقيين العظيمة ، التي بنى عليها العقل البشري اساس التكوين الحضاري ، كانت « الحروف الابجدية » التي تعتبر المعجزة الاولى للانسان . وكل تقدم في مجالات العلم والاختراع ، والرقي والاكتشاف ، يرتكز على اللبنة الاولى التي كانت الاساس لانطلاق العقل البشري من عقاله – والتي هي الحروف الابجدية بلا منازع . وهذا ما يثبت تفوق العرب على سائر شعوب الارض في ميادين العلم والاختراع . وقد اكتشفت اول ابجدية في مدينة اوغاريت – اللاذقية المعروفة باسم « رأس شمرا » .

والافتخار (١) .

وكانت القبيلة التي تتعرض لقريش في رحلاتها ، تُعيَّر عند العرب كافـــة .. فضلا عن انها تكون تجاه احد امرين : إما أن تعدل عن المثابرة على طقوسها الدينيـــة — ومن اهمها الحج الى الكعبة في اشهر معينة ، حيث كان لكل قبيلة صنم تعبده ، واما ان تتعرض

(١) كان العرب يقيمون هذه الاسواق للتجارة ، وتباري الشعراء في اشهر السنة ، ويتنقلون فيهـــا . فكانوا ينزلون « دومة الجندل » اول يوم من شهر ربيع الاول . ثم ينتقلون الى « هجر » بالبحرين فتقوم سوقهم بها في شهر ربيع الآخر . ثم يرتحلون نحو «عُمان» في ارض البحرين ايضاً فتقوم بها سوقهم في اواخر جمادى الاولى . ثم ينزلون سوق « المشقر » وهو حصن بالبحرين فتقوم سوقهم به اول يوم من جمادى الآخرة ثم ينزلون سوق « صحار » فيقيمونها خمسة ايام لعشر يمضين من رجب الفرد . وتقوم سوقهم « بالشحْر» وهو ساحل بين عمان وعدن في النصف من شعبان . ثم يرتحلون فينزلون « عدن ابين » وهي جزيرة في اليمن اقام بها « ابين » فنسبت اليه . ثم تقوم سوقهم في « حضرموت » نصف ذي القعدة ، ومنهم من يجوزها وينزل « صنعاء » فتقوم اسواقهم بها .

ولهم اسواق اخرى غير هذه : كـ « ذي المجاز » بناحية عرفة وسوق « مجنة » وهي تقام قرب ايام موسم الحج ويؤمها كثير من قبائلهم . وسوق « حباشة » كانت في ديار «بارق» نحو «قنونا» من مكة الى جهة اليمن ، ولم تكن من مواسم الحج ، وانما كانت تقام في شهر رجب ، واسواق كانت بين دورهم ودور العجم يلتقون فيها للتسوق والبياعات . وهي التي كانت اوسع ابواب الدخل والمعرب في هذه اللغة ، وذكر منهـــا الجاحظ في كتاب (الحيوان) سوق « الابلة » ، وسوق « لقة » ، كذا - وسوق « الانبار » ، وسوق « الحيرة » ...

واشهر هذه الاسواق جميعاً سوق « عكاظ » وقد اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة - ٥٤٠ ميلادية ثم بقيت في الاسلام الى ان نهبها الخوارج « الحرورية » حين خرجوا من مكة مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ هجرية .

وعكاظ نخيل في واد بين نخلة والطائف ، فكانت تحضره قبائل العرب كلها لانها متوجهم الى الحج الاكبر . فيجتمعون في مكان يقال له « الابتداء » فتقوم اسواقهم ويتناشدون ويتحاجون وفي هذه السوق (عكاظ) كان يخطب الشاعر الفحل بقصيدته ، والخطيب المصقع بكلمته . كما فعل « عمرو بن كلثوم » بطويلتـــه ، اي بمعلقته ، وكما خطب « قيس بن ساعدة الايادي » حكيم العرب خطبته المشهورة التي شهدهـــا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب الناس على جمل اورق . وفيه ضربت « للنابغة الذبياني » قبة من ادم ليتحاكم اليه الشعراء في ايهم اشعر . وقـــد انشده فيهـــا (الاعشى) و (الخنساء) و (حسان بن ثابت) في قصة مشهورة .

وخلف (عكاظ) في هذا المعنى الادبي بعد الاسلام : (مربد البصرة) وهو من اشهر معالمها ، وكان سوق الابل فيها قديماً . ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وفيها كانت مفاخرات الاشراف ، ومجـــالس الخطباء وو ... الخ

ملاحظة : راجع آداب العرب . تأليف مصطفي صادق الرافعي . الجزء الاول صفحة ٨٧ - ٨٩ ومراجع اخرى كثيرة .

لنقمة قريش ، وانتقامها ، واخذ الثأر منها ، حينما تفد الى مكة .. وقتيل العرب لا يموت ، وثأرهم لا يزول .

لذلك كانت قريش على وفاق تام مع القبائل العربية كلها وعلى صلات طيبة معها جميعاً وليس بينها وبين إحداها تنافس ، او تنابذ ، او ثارات ..

والذي يبدو لدارسي التاريخ ، ومتتبعي احداثه ، ان العربي في تلك الرحلات كان يؤثر العودة الى بلاده ـ رغم ما كان يجده في البلاد الاخرى من مغريات ، ويلاقيه من تشجيع وترغيب ..

واذا استثنينا بعض القبائل العربية ، في المناطق العربية ، وإقامتها فترة هنا ، وفترة هناك ، فلم تكن ثمة هجرة بالمعنى الذي عرفناه اخيراً ، أو ألفناه ـ الا هجرة بعض القبائل التي كانت تستبدل مكاناً بمكان ، وموقعاً بموقع ... سعياً وراء الماء والكلأ ـ كما أسلفنا .

وذلك كان قبل الفتوحات العربية في عهد الإسلام . وأما إبّان هذه الفتوحات وبعدها فقد كان كثير من ابناء القبائل العربية يقيم في بعض المناطق التي افتتحت ، وينقل اليها اسرته او يؤسس فيها اسرة جديدة ..

وكثر سالكو هذه السبل ، ومقتفوها . ورغم ان بعض قادة الجيش كانوا يستهجنونها ، وبعضهم كان يقاومها ـ نظراً لحاجة الجيش الزاحف الى عدد كبير من المحاربين ، والى ان تظل القوة الزاحفة بازدياد وتدفق ـ فقد كان الترف الذي يجده العربي في المناطق الجديدة ، بعد حياة الشظف والخشونة التي كان يحياها في صحرائه المجدبة المقفرة ، مغرياً له على انتحال الأعذار ، والبقاء في المكان الذي يختاره ويؤثره . وكان الجيش يخسر بذلك جنوداً محاربين ومجرّبين ، ورجالا يغمر نفوسهم الايمان بالدين الجديد .. فكانوا خير نواة للجهاد في سبيل نشر دعوته ، ورفع رايته ، وطاقة ضخمة لمساعدته وإنجاده ، ومد يد العون والمساعدة اليه .

وبعد ان كثرت الفتوحات العربية وامتدت ، وصار عدد المندفعين نحو الجهاد بازدياد واضطراد ، اصبحت الحاجة ماسة الى استقرار بعض الجنود العرب في المناطق المتفتحة ، حتى يعمروها بالدم العربي ، مثلما عمروها بالمبادىء العربية ، والعقيدة الدينية .

ومن هنا كان انتقال بعض القبائل العربية ، الى مناطق كثيرة في آسيا وافريقيا ، وبعض بلدان اوروبة كاسبانيا والبرتغال ، وتمركزها فيها .

وبعد الانقسام الذي حصل في البلاد العربية ، والنزاع على الخلافة ، وتنكيل الامويين بالعباسيين ، والعباسيين بالأمويين ، وبعد ان تقلص السلطان العربي ، وصار يتأرجح بين الموالي والمماليك — فما ان يستقل واحدهم بالسلطة ، حتى يقوم الآخر فينتزعها منه ! وتجري المذابح ، ويعم البطش ، ويبدأ التنكيل ! دفعت هذه الأسباب كلها ، او بعضها ، الى هجرة قبائل جديدة ، الى اماكن بعيدة ..

وما تزال بعض القبائل التي هاجرت من الصحراء الى المناطق الافريقية محافظة على عاداتها وتقاليدها ، بل على مظاهر بداوتها الى الآن .. وبعضها قد تحضّر واستوطن في بقاع عمر فيها البيوت وسكنها ، وزالت عنه صفة البداوة ، بعد ان احتفظ بعاداته العربية ، واكسبها المحيط الذي يعيش فيه .

من هنا يتضح لنا ان الهجرة في حياة العربي ليست دخيلة — وانما هي اصيلة .. وليست حديثة العهد — وانما هي قديمته .. ولا يمتد تاريخها الى عشرات من السنين فحسب — وانما الى مئات ومئات ..

ولم يكن ذلك وقفاً على العربي وحده ، بل كان عادة كثير من الشعوب والقبائل ، في الزمن القديم — لأن الحياة القبلية كانت هي الغالبة في كل زمان ومكان .. غير ان القبائل العربية كانت اكثر من سواها رغبة بالتنقل والهجرة من مكان الى آخر .. وكان هذا ديدنها وطابعها منذ ان عرفت ، وحتى بعد ان عرفت ، نعمة الاستقرار . على ان الرغبة الجماعية بالهجرة في الزمن القديم ، اصبحت رغبة فردية في آخره .

ولعل الشعب المصري كان اكثر الشعوب استيطاناً وتمسكاً بالأرض . وما تزال هذه النزعة ماثلة في ابناء مصر الى الآن .. ومرد ذلك الى جودة الأرض المصرية ، ووفرة مياهها ولذا فان من الصعب ان تجد مغتربين مصريين في امريكا ، او سواها ، الا عدداً ضئيلا ، وضئيلا جداً يكاد لا يذكر (١) .

ولا بد من لفت النظر الى ان بعض المحافظات السورية ، لم يغترب الا القلة من ابنائها — كالجزيرة والفرات .. وحتى محافظة حلب ، فان المغتربين من ابنائها اقل عدداً من سواهم —

---

(١) ان كثافة السكان في مصر الآن — وهي اعظم كثافة في العالم كله بالنسبة للاراضي المزروعة — ستضطر المصريين الى ترحيل عدد كبير منهم الى الخارج . فالاراضي المزروعة في مصر حاليا هي ثلاثة وثلاثون الف كيلومتر مربع يعيش فيها (٢٨) مليونا من السكان . بينما الاراضي المزروعة في سورية هي تسعة واربعون الف كيلومتر مربع يعيش عليها اربعة ملايين ونصف من السكان .. فتأمل .. هذا مع ان ازدياد النسل في مصر مستمر ، وهو من اعلى النسب ارتفاعا في العالم .

اذا قيس عدد سكانها بسكان بقية المحافظات الاخرى .

اما مدينة حلب بالذات ، فأبناؤها المغتربون يعدون بالالوف في الولايات المتحدة اولاً، وفي « سان باولو » ثانياً . ولهم في فنزويلا جالية كبيرة غنية .

واكثر المغتربين السوريين من محافظة اللاذقية ، ثم تليها حمص ، فدمشق ــ وخاصة النبك ويبرود ، ودير عطية ــ فجبل العرب ، ثم حماه .

وتوجد في محافظة اللاذقية مئات القرى ، ارتحل اكثر من نصف سكانها الى المهجر .. حيث يحتشد ابناء القرية الواحدة ، في مدينة واحدة ، او ضاحية واحدة .. ويكفي ان تقول ــ في الارجنتين مثلا ــ انني ذاهب لزيارة ابناء قرية « اوبين » و « كرم مغيزل » حيث يعرف السامعون ، انك ذاهب الى مدينة « ساشافه » و « رافايلا » وهكذا دواليك ..

وحينما تنظم جداول بأسماء المغتربين ، في الانتخابات النيابية ، في بعض القرى والمناطق يروع الناس ، ويهول المسؤولين ، اذ يجدون نصف الناخبين مغتربين .

وفي الصفحات القادمة ، سنستعرض ــ ما امكننا الإيجاز ــ حياة المغتربين العرب وسيرهم ، ومن اين هم ؟ واين هم ؟

الهجرة في الشعر العربي

الشاعر مرآة قومه ، تنعكس عليها حياتهم الخاصة والعامة .. تبلورها وتصقلها ، وتنقلها الى الأجيال القادمة في اطار مونق مشرق ، او قاتم مظلم . وتعطي صورة عنها بكل ما فيها من مساوىء ومحاسن ، واشراق وتجهم ، وانطلاق وجمود .

والهجرة في حياة العرب ، وتاريخهم ، شيء ضخم .. وعامل اساسي من اقوى عوامل وجودهم وبقائهم ، واكثرها اهتماماً بالدراسة ، وامعاناً بالبحث والتنقيب .

فالعربي الذي انطلق من صحرائه ، وانفلت من أسر رمالها المجدبة الظامئة ؛ ورحل شرقاً وغرباً ، وعسكر هنا ، واقام هناك ، وانتقل بين آسيـا ، وافريقيـا ، واوروبا ، ومن ثم امريكا ، ينشر اخلاقه ، ويبشر بتعاليمه ؛ ويغمر الدنيا بفيض لا ينقطـع من لألاء نفسه المتوثبة للحرية ، وقلبه المتفتح للحياة .

هذا العربي ، الذي هجر ارضه الى ارض جديدة ، لم يسلَ ارضه الاولى ، ولم يجفّها ؛ وانما ذهب ليضم اليها ارضاً اخرى ، ويشدها نحوها بسلاسل من لغته وتراثه ، ونفحـات وجدانه وايمانه .. واذا بالأرض الجديدة جزء من الأرض القديمة ، وشعوب غريبة تتكلم لغته ، وتدين بدينه ، وتؤمن برسالته .

ذاك فتح لم يعرفه الفاتحون ، ومجد وقف الناس عنده حيارى باهتين .

وموجة من الاخلاق الكريمة .. اقامت دولة ، واسست نظاماً ، وجعلت البقعة العربية تتوسع وتمتد ، حتى تصل الخليج بالمحيط ، وتتخطاها بمدنيتها — يوم لا مدنية الا عند العرب وبحضارتها — يوم كانت الحضارة كلمة جامدة لا معنى لها ولا مدلول .

يوم كانت اوروبة ، تعيش في ظلام دامس من التأخر والجهل ، وتخضع لأنظمة اجتماعية جائرة ، واقطاعية مستبدة طاغية .

يوم كان الجهل يعشش في قلوب الناس وعقولهم ، ويتخذ من اذهانهم مطـــايا ، ومن ألسنتهم دعاة ومبشرين ..

في تلك الغمرة الرهيبة من الجمود والتخلف كان العرب دعاة هدي وخير واصلاح .

ولولا هجرتهم من ارضهم . الى بقاع الدنيا ، لما كانت تلك الفتوحات ـ رائدها المحبة والإنسانية ، والعقيدة الخيرة السمحة .

ونحن هنا ، في هذا الفصل ، لسنا بمعرض التحدث عن الهجرة بصورة عامة ومسهبة ، ولا عن بحث جزئياتها وظروفها ، والمكاسب التي حققتها الامة العربية منها ..

وانما نحن ، هنا ، بمعرض البحث عن الهجرة في الشعر العربي ، واثرها في حيـــاة بعض الشعراء العرب .. متوخين الإيجاز ـ ما امكن ، واعطاء صورة عن حيـــاة الشعراء الذين كان دأبهم التنقل من مكان الى مكان .. وهدفهم الهجرة من بـــلد الى بـــلد ، ومن اقليم الى اقليم ...

وربما كان الشعراء العرب اكثر شعراء العالم تنقلا وعـــدم استقرار ، ويعود السبب في هذا الى الحياة القبلية التي كانوا يحيونها .. والى المغريات الجمة التي كانت تدفعهم للتنقل من ارض الى ارض ، ومن بقعة الى اخرى .

ويستطيع القارىء ان يسميها هجرة ، او ان يضفي عليها اي اسم اراد . فهي لا تخلو عن كونها تغيير مكان بمكان ، واستبدال قوم بقوم ، وبيئة ببيئة ..

ولا نستطيع ان نقف الا عند عدد قليل ، ومحدود ، من الشعراء الذين هجروا موطنهم وهاجروا منه ـ او ارتحلوا الى اماكن اخرى .. ولعل « الشنفرى » (١) اول شاعر تحدث عن الهجرة ، ودعا اليها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم ... فاني الى قوم سواكم لاميلُ
فقد حُمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيّات مطايا وارحل

وهو اول شاعر ، من القدامى الذين وصلنا شعرهم ، يعدد فوائد الهجرة ، ويـــذكر بواعثها ومسبباتها في شعر قوي متين :

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى ... وفيها لمن رام العلى متحولُ

---

(١) هو احد الشعراء الصعاليك . ويقصد بالصعاليك الشعراء الذين لم يكن لهم قبيـــلة تضمهم ، تدافع عنهم ، وتتبناهم ، ويشار كونها في شدتها . اختلف في مولده ويقال انه ٥١٠م واكثر هؤلاء الشعراء عداؤون لا تلحقهم الخيل واشهرهم : الشنفرى ، وتأبط شرا ، وسليك بن السلكة .

لعمرك مافي الارض ضيق على امرىء سعى راهباً ، او راغباً وهو يعقل
لاستف تُرب الارض .. كي لا يُرى له علي من الطول امرؤ متطول

ومن الشعراء الجاهليين الذين هاجروا الى خارج بلدهم ، النابغة الذبياني (١) الذي اتهم بحب المتجردة ، زوجة النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة ، فقد هاجر من العراق الى دمشق واستوطنها .. وظل يستعطف النعمان بقصائد بالغة حد الروعة . وهو صاحب البيت المشهور يخاطب به النعمان (٢) ويعتبر ابلغ ما قيل في الوصف :

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وارتحل امرؤ القيس الى بلاد الروم ، يستعدي مليكها على قتلة ابيه وهو القائل :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

وكان « التكسب » في الشعر اكثر ما يعيب الشاعر في الجاهلية .. ورواة التاريخ يتهمون « اعشى قيس » (٣) بأنه اول من استن فكرة « التكسب » في الشعر ، وولج بابه ، واتخذه وسيلة لعيشه .. فكان ينتقل من مكان الى مكان للمدح وقبض الثمن .!

وكان الناس يلقبونه بـ « صناجة العرب » ـ فكم رفع اسماً وضيعاً ، ووضع اسمـاً رفيعـاً ...

ومما يروى عنه انه كان في بلاط « كسرى » ، وقد بلغ به الارق مبلغـه فراح يردد هذا البيت :

ارقت وما هذا السهاد المؤرِّق ؟ وما بي من حزن ، وما بي معشقُ

وصادف ان مر كسرى ، وسمع الاعشى ، فسأل عنه ، وعن الكلام الذي يكرره . ولما ترجم له قال : « ان الذي لا يأرق من حزن او عشق يكون لصاً » .

---

(١) النابغة الذبياني من فحول شعراء الجاهلية (٥٣٥ ـ ٦٠٤) ميلادية ، ومن اصحاب المعلقات ويقال انه لقب بالنابغة لنبوغه في شعره . له ديوان (الغسانيات) و (الاعتذاريات) و (المعلقة) .

(٢) النعمان بن المنذر ملقب بأبي قابوس . آخر ملوك بني لخم في الحيرة (٥٨٠ ـ ٦٠٢م) وكله ملك الفرس « هرمز » على حراسة الحدود بين فارس وبلاد الروم .

(٣) اسمه (ميمون بن قيس) ، او (اعشى قيس) . ولد في منفوحة باليمامة . لقب بالاعشى لضعف بصره ويعرف بالاعشى الاكبر . وقد كناه معاصروه بأبي بصير اعجابا بقوة بصيرته ادرك الاسلام .

ومن الشعراء الذين هاجروا الى دمشق ، في عصر الجاهلية ، « حسان بن ثابت » (١) ، وقد ادرك الاسلام ، وعاش حتى عهد معاوية . وله في وصف ملوك « الغساسنة » قصائد تعتبر من ارق الشعر العربي واعذبه ..

وفي العصور الاسلامية كثرت هجرة الشعراء العرب ، من بلد الى بلد . بعضها في سبيل العمل ، واكثرها في سبيل الكسب . ومن الصعب ذكر اسمائهم جميعاً . لان ذلك يقتضينا ذكر اسماء اكثر الشعراء . ولكن لا بد من ان نقف قليلا عند بعضهم .

والأخطل (٢) من الشعراء الذين هاجروا الى دمشق من العراق . واقام في بلاط الخليفة وكان شاعر الامويين .

وابو تمام (٣) ارتحل به والده الى مصر ، وهو صغير . وكان ينوي الاقامة فيها . ولكن امله لم يتحقق فعاد الى سورية – بعد ان عاتب امير مصر لانه ابطأ باجازته :

الفطر والاضحى قد انسلخا ولي ... امل ببابك صائم لم يفطر
حول ولم ينتج نداك ، وانما ... تترقب الحبلى لتسعة اشهر

وذهب الى ايران .. ثم عاد الى العراق . واستقر في مدينة الموصل ، حيث عين مديراً لبريدها ، الى ان توفي فيها . وهو القائل :

بالشام اهلي ، وبغداد الهوى ، وانا ... بالرقمتين ، وبالفسطاط اخواني
وما اظن النوى ترضى بما عصفت ... حتى تشافهني اقصى خراسان

وهو القائل ايضاً :

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه ، فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس ، ان ليست عليهم بسرمد
ولم تعطني الايام نوماً مسكناً ... ألذ به ، الا بنوم مشرد

---

(١) (٥٦٣ – ٦٧٤) ولد في يثرب . واصله يمني . من الشعراء المخضرمين . وكان شاعر الرسول يمدحه ويهجو اخصامه .

(٢) (٦٤٠ – ٧١٠) اسمه (غياث التغلبي) لقب بالاخطل لطول لسانه ، اولارتخاء اذنيه . كان نصرانيا من بني تغلب . وكان شاعر الامويين المفضل ، يهجو منافسيهم ، ويشيد بمدحهم .

(٣) (٧٨٨ – ٨٤٥م – ١٧٢ – ٢٣١هـ) حبيب بن اوس الطائي منسوب الى قبيلة طيء ويكنى بأبي تمام . ويزعم بعض المؤرخين انه ليس من طيء ، وان والده كان نصرانيا من قرية جاسم اسمه تدوس العطار فلما اسلم غير اسمه وصار دوسا ...

والشاعر الذي ضرب بسهم وافر في الهجرة والتنقل ، كان « ابا الطيب المتنبي » (١) . الذي ولد في الكوفة ، ووالده من اليمن . وظهرت عليه مخايل النجابة وسياء والذكاء من صغره . فحمله والده الى سورية ، حيث ادخله المكتب ليتعلم . ولم يلبث الوالـــد ان توفي وترك ابنه يتيماً . ولما كبر شرع يتنقل بين القبائل العربية ، ويتخذ منها اصدقاء . ومالبث ان اتهم بادعاء « النبوة » ، فسجنه والي حمص ، ولما اطلق سراحه ذهب الى اللاذقية ، ثم صعد الى حلب حيث استقر في بلاط « سيف الدولة » مدة طويلة ، مدحه خلالها بأروع الشعر العربي واخلده ، واغناه . وغادر حلب بعد ذلك الى مصر ، ماراً في جبال لبنان :

وجبال لبنان ، وكيف بقطعهـــا	وهو الشتاء ، وصيفهن شتاء
سد الثلوج بها علي مسالكي	فكأنها ببياضها سوداء

وعاد من مصر الى العراق ، ثم سافر الى بلاد فارس . واغتيل ، وهو في طريق عودته الى دمشق ، بالقرب من مدينة الكوفة .

ومن الشعراء البارزين الذين ارتحلوا الى مصر ابو نواس (٢) وله في مدح اميرها الخصيب قصيدة تعتبر من رائع الشعر منها :

تقول التي من بيتها خف مركبي	عزيز علينا ان نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب	بلى ان اسباب الغنى لكثير
فقلت لها ـ واستعجلتها بوادر	جرت فجرى في جريهن عبير
دعيني اكثر حاسديك برحلـــة	الى بلد فيها الخصيب امير

---

(١) اسمه احمد بن الحسين الجعفي الكندي نسبة الى محلة من الكوفة ، وهو عربي من سعد العشيرة ، وشهرته تغني عن تعريفه ، ولد سنة (٩١٥ - ٩٦٥م) و ٣٠٣ - ٣٥٤هـ ، وقد لقب بالمتنبي لانه اتهم بادعائه النبوة كما ذكر اعلاه ، وانه كتب بعض سور لقرآن جديد على غرار القران الكريم . واغلب الظن ان الرجل كان من القرامطة ، او من بقايا الخوارج ، وانه كان جريئاً في اظهـــار فكرته وعقيدته ، فاتهم بما اتهم به حينذاك ...

(٢) (٧٦٢ - ٨١٣م) و (١٤٥ - ١٩٩هـ) ، اختلف بأصله ونسبه ، وحتى باسمه ايضا ، ولكن اشتهر باسم الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح ، يقال ان امه فارسية من الاهواز واسمها (جلبان) ، ويقال انه كني بابي نواس لذوابتين كانتا تنوسان على عاتقه وهو صبي وقيل ان استاذه « خلف الاحمر » قال له : انت من اليمن ، فتكن باسم ملـــك من ملوكهم الاذواء ، فاختـــار : (ذانواس) ، فسماه (ابا نواس) ، كان من فحول الشعراء ، كان ينظم القصيدة مائة بيت ولا يبقى منها على اكثر من عشرة بيتا ، ولذلك فان كل شعره جيد ، تناولته العامة فنسبت اليه قصصا سخيفة ومضحكة ، كان يتهم بالأنه الفرس مع انه كان نصيراً للامين ضد اخيه المأمون ، والاول انتصر بالعرب ، والاخير بالفرس .

اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا ... فأي فتى بعد الخصيب نزوز
فتى تنبت الآمال من غوث كفه ... ويعلم ان الدائرات تدور

ويخاطبه في ختامها بقوله :

واني جدير اذ بلغتك بالمنى ... وانت بما امّلت منك جدير
فان تولني منك الجميل .. فأهله ... والا .. فاني عاذر وشكور

ويقول المؤرخون : انه حينما وصل « ابو نواس » الى قوله : « دعيني اكثّر حاسديك برحلة » قال له الأمير : وسيكثر حاسدوها ان شاء الله ، فأمر له بألف دينار ، انفقها الشاعر قبل ان يعود الى بلده .

وارتحل ابو العلاء المعري (١) الى بغداد ، وكان ينوي الإقامة فيها .. لأنها كانت في ذلك الحين ملتقى الشعراء والعلماء والفقهاء .. ولكنه اضطر للعودة الى سورية ، بعد الحادث الذي جرى له في مجلس الشريف المرتضى (٢) ، حينما امر بإخراجه من مجلسه ، وجره من قدميه ، لأنه اعترضه ، وهو ينقد المتنبي ، فقال له : « لو لم يكن لابي الطيب الا قصيدته التي يقول فيها : « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فخراً » :

وبعد ان اخرج ابو العلاء من مجلس الشريف المرتضى على هذه الصورة المهينة (٣) قال لجلسائه : ان عند المتنبي أحسن من هذه القصيدة ، ولكن هذا الاعمى ـ ويقصد ابا العلاء ـ أراد ان يعرض بني بهذا البيت :

واذا اتتــك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

* * *

لقد جرى ذكر الهجرة على ألسنة كثيرين من الشعراء .. وما ابلغ هذه الصورة يصور بها احدهم نفسه وهو « عمر بن ابي ربيعة » :

اخا سفر جوّاب ارض تفاذفت ... به فلوات ، فهو اشعث اغبر

يقال : ان « هرون الرشيد » بعد رجوعه من احدى غزوات الروم ، طلب من في بابه

---

(١) (٩٦٦ - ١٠٥٠م) و (٣٦٣ - ٤٤٩هـ) ، اسمه احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، وكنيته ابو العلاء ، ولد في معرة النعمان التي انتسب اليها ، واشتهرت به ، كان فيلسوف الشعراء او شاعر الفلاسفة ، وشهرته تغني عن وصفه .

(٢) من (٩٦٧ - ١٠٤٤م) نقيب الشيعة في بغداد ، كان اوحد اهل زمانه : علما وكلاما وحديثـا وشعراً ، وكان مثالا للثقافة الكاملة في عصره ، له كتاب الامالي الشهير .

(٣) راجع فصل (حنين المغتربين الى الوطن الام) ، آخر الفصل.

من الشعراء .. فدخل الأصمعي ، فاتخذ الخليفة متكأ له وقال : انشدني ما عندك ، فاني مصغ اليك ، فأنشده من شعر عمر بن ابي ربيعة :

رآت رجلا ، أما إذا الشمس عارضت ... فيضحي ، وأما بالعشي فيحضر
اخا سفر جوّاب ارض تقاذفت ... به فلوات ، فهو اشعث اغبر
قليل على ظهر المطية ظلّه ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبّر

فقال : لكأني ذلك الرجل .

يقول الطغرائي (١) في « لاميته » المشهورة باسم « لامية العجم » :

ان العلى حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث ، ان العز في النقل
لو ان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

والإمام الشافعي (٢) يشجع على الهجرة ، ويحبب النزوح عن الأوطان :

ما في المقام لذي عقل وذي أدب ... من راحة ، فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
اني رأيت وقوف الماء يفسده ... ان سال طاب وان لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملّها الناس من عجم ومن عرب
والتبر كالترب ـ ملقى في اماكنه ... والعود في أرضه نوع من الخشب
فإن تغرّب هذا عزّ مطلبه ... وان تغرّب ذاك ، عز كالذهب (٣)

وقال ايضاً :

اذا قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي واقتحام الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

---

(١) من (١٠٦١ - ١١٢١م) شاعر دخل بلاط سلاطين بني سلجوق ، كان حسن الخط ، اشتهر بقصيدته المعروفة بلامية العجم واسمه :

(٢) من (٧٦٧ - ٨٢٠م) هو محمد بن ادريس ولد في غزة وتوفي في مصر ونشأ في مكة ، ثم قد الى بغداد ، قبره بالقرب من جبل المقطم ، هو احد الائمة الكبار ، واول من اظهر علم الفقه ودونه ، كتاب الام ...

(٣) لعل ايليا ابا ماضي قد نظر الى هذا المعنى حينما قال :

انا كالكرمة لو لم تغترب ... ما حواها الناس خمراً ، الخوابي
انا كالسوسن لو لم ينتقل ... لم يتوج زهره رأس كعاب

وهو الذي يقول :

امطري لؤلؤاً « جبال سرنديب » ، وفيضي « آبار تكرور » تبرا
همتي همة الملوك ، ونفسي   نفس حر ترى المذلة كفرا
أنا إن عشت لست أحرم قوتاً   واذا مت لست احرم قبرا

مثل هذا الإباء العربي ، يفيض به الشعر العربي ، وقلّ ان تقرأ لشاعر مجيدالا وتجد هذا لإباء الخصيب ينبض في قصائده ، ويسيل على يراعته ، يقول جرير (١) :

واني لعفّ النفس مشترك الغنى   سريع اذا لم ارض داري انتقاليا

ويقول « سلمة بن يزيد » (٢) يرثي اخاه :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا هو ما استغنى ،ويبعده الفقر

ويقول « كلثوم بن عمرو » :

ان الكريم ليخفي عتك عسرته   حتى تراه غنياً ، وهو مجهود

ويقول « حاتم الطائي » (٣) :

فما زادنا بغياً على ذي قرابة   غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ويقول « ابو فراس الحمداني » (٤) :

اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى   وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

ويقول « بدوي الجبل » :

---

(١) من (٦٥٣ - ٧٣٣م) هو جرير بن عطية الخطفي ولد في بادية اليمامة كنيته ابو حرزة ، شاعر من كليب اتصل بالامويين فمدحهم امتاز بالهجاء ' لا سيا هجاء خصيمه الاخطل والفرزدق ، وقد كون معهم ما سمي بالمثلث الاموي :

(٢) يكنى بأبي الخلال : من دعاة بني هاشم كان يتنقل مع ابي مسلم بين خراسان ومراكز الثوار على الامويين ، كان يميل الى العلويين ' قتل بعد انتصار العباسيين سنة ٧٥٠م .

(٣) لا يعرف تاريخ مولده . يقال انه توفي سنة ٦٠٥م . شاعر جاهلي اشتهر بشجاعته وسخائه و كرمه وهو القائل يخاطب زوجته :

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له   أكيلا فاني لست آكله وحدي
واني لعبد الضيف ما دام ثاوياً   وما في الا ذاك من شيمة العبد

(٤) من ٩٢٢ - ٩٦٧م و ٣٢٠ - ٣٥٧هـ هو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني عربي النجار ينتمي بعمومته الى تغلب فربيعة الفرس ، وبخؤولته الى تميم فمضر الحمراء ، ولد على الارجح في الموصل حيث كان ابوه واسرته ، قربه سيف الدولة ، وكان اثيراً عنده ، وولاه منبج ، وكان يصطحبه في غزواته . اسره الروم مرتين وهو من الشعراء المجلين .

واحمل عن اخواني العسر جاهداً ... ويبعدني عنهم اذا أيسروا اليسر
ونفسي لو ان الجمر مس إباءها ... على بشرها الريان لاحترق الجمر

ونحب ان نختتم هذا الفصل ، بقصة الشاعر « علي بن زريق » البغدادي ، الذي ارتحل الى المغرب يمدح أميرها . واحب الامير ان يداعبه فقال له : لقد مُدِحْنا بقصيدتك هذه قبل ان نسمعها منك . فاغتم الشاعر . وكان قد غادر بغداد ليظفر من امير المغرب . بمهر خطيبته التي ابى اهلها ان يبنوا له عليها الا بعد ان يقدم المهر الذي طلبوه ـ وكان مبلغاً جسيماً .. وفي اليوم الثاني ، بعد ان استنفذت النكتة غايتها ، ارسل الامير من يتفقد الشاعر ليجزيه ، فوجدوه ميتاً .. وتحت وسادته قصيدة لا يوجد في الشعر العربي كله ، قديمه وحديثه اروع منها ولا ابدع ، ولا اجمل ديباجة ، ولا ارق معنى : وهذه هي (١) :

لا تعذليه فان العذل يولعه ... قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضرّ به ... من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا ... من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله ... فضلّعت بخطوب البين اضلعه
يكفيه من روعة التفنيد ان له ... من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وازعجه ... عزم على سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب الا ان تكلفه ... للرزق سعياً ولكن ليس يجمعه
كأنما هو في حل ومرتحل ... موكل بفضاء الله يذرعه
اذا الزمان اراه في الرحيل غنى ... ولو الى السند اضحى وهو يقطعه
وما مجاهدة الانسان واصلة ... رزقاً ولا دعة الانسان تقطعه
قد قسم الله بين الناس رزقهم ... لا يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا حرصاً فلست ترى ... مسترزقاً وسوى الغايات يقنعه
والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت ... بغياً الا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه ... عفواً ، ويمنعه من حيث يطمعه

---

(١) لم يعرف للشاعر علي بن زريق البغدادي الا هذه القصيدة ، ويروى عن احد الظرفاء انه قال من لم يحفظ سيرة الخلفاء الراشدين ، ويتأدب بأدب الحسن البصري ، ويقرأ كتب الجاحظ ويتطيب بالطيب بعد خروجه من الحمام ويحفظ قصيدة علي بن زريق الشاعر البغدادي ، فهو خال من الذوق .
ترى هل أبقى هذا الظريف احداً دون ان يمسه بالخلو من الذوق ؟

أستودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

ودعته ، وبودي لو يودعني ... صفو الحياة ، واني لا اودعه

وكم تشفّع بي ان لا افارقه ... وللضرورات حال لا تشفعه

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى ... وادمعي مستهلات وادمعه

لا اكذب الله ثوب العذر منخرق ... عني بفرقته لكن ارقعه

اني اوسع عذري في جنايته ... بالبين عنه ، وقلبي لا يوسعه

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعه

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا ... شكر عليه فعنه الله ينزعه

اعتضت من وجه خلي بعد فرقته ... كأساً يجرع منها ما أجرعه

كم قائل لي ذقت البـين قلت له ... الذنب والله ذنبي لست ادفعه

هلا اقمت فكان الرشد اجمعه ... لو انني حين بان الرشد اتبعه

لو انني لم تقع عيني على بلد ... في سفرتي هذه الا واقطعه

يا من اقطع ايامي وانفدها ... حزناً عليه وليلي لست اهجعه

لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا ... لا يطمئن به مذ بنت مضجعه

ما كنت أحسب ان الدهر يفجعني ... به ولا ان بي الأيام تفجعه

حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد ... غبراء تمنعني حقي وتمنعه

وكنت من ريب دهري جازعاً فرقاً ... فلم اوق الذي قد كنت اجزعه

بالله يا منزل القصر الذي درست ... آثاره ، وعفت مذ بنت اربعه

هل الزمان معيد فيك لذتنا ... ام الليالي التي امضته ترجعه

في ذمة الله من اصبحت منزله ... وجاد غيث على مغناك يمرعه

من عنده لي عهد لا يضيع كما ... عندي له عهد صدق لا اضيعه

ومن يصدّع قلبي ذكره واذا ... جرى على قلبه ذكري يصدعه

لاصبرن لدهر لا يمتعني ... به ولا بي في حال يمتعه

علماً بأن اصطباري معقب فرجاً ... فأضيق الامر ان فكرت اوسعه

عل الليالي التي اضنت بفرقتنـا ... جسمين تجمعني يوماً وتجمعه

وان تغلْ احداً منا منيته ... لا بد في غده الثاني سيتبعه

وان يدم ابداً هذا الفراق لنا ... فما الذي بقضاء الله نصنعه

ولعل خير ما وصف به علي بن زريق ، هذه القصيدة التي نظمها الشاعر « وديع عقل :

طار عن ايكته مغترباً مذ رأى الأيكة صارت حطبا
بلبل ، بغداد كانت روضه وله دجلة كانت مشربا
عربي وهو اعلى نسب لمن استعلى بأن ينتسبا
قطع الدهر عليه سبباً فطوى الآفاق يبغي سببا
غادر الزوراء صباً معوزاً وهو اغنى الناس فيها ادبا
ذا « علي » راحلا مرتزقاً راكباً في كل هول مركبا
تاركاً هنداً على جمر الغضا وفؤاداً عندها ملتهبا
ينتحي الأندلس العظمى وما حسب الخيبة فيما حسبا
رحلة من مشرق الأرض على قدميه بلّغته المغربا
ما شجاه حينما غادر بغداد ان يترك اماً او ابا
بل شجاه البعد عمن لم يجد لهواه في سواها مطلبا
فتنة في مقلتيها للمهى بهجة في الجيد منها للظبا
وعلي شاعر غصن الصبا صارم ، ان سمته الخسف نبا
وهواها كهواه دونه شادت العفة حصناً أشبا
أمسكوها عنه لما عجزت يده عن مهرها فاضطربا
فنوى رحلته ملتمساً أن يلاقي في نواه النشبا
فبكت هند وقد ودّعها باكياً منقبضاً مكتئبا
ناشدته بالهوى ان لا يروعها بالبعد عنها فأبى
ويل هند عندما فارقها زلزل العيش بها فانقلبا
وأقامت عمرها باكية مهجة ولّت وقلباً ذهبا
ومضى الشاعر في سفرته ضارباً في كل صقع مضربا
قطع الأشهر يطوي تارة بلداً حيناً ، وحيناً سبسبا
فأتى مرماه محمولا على أمل في فلك حاكى سبا
ملك كان اذا ما جاءه مادح أجرى عليه الذهبا
ومشى شاعر بغداد الى بابه نضوَ رحيل متعبا
وغدا ينشده قافية تمرع القفر ، وتجري السحبا
آية في الضاد لو انشدها أعجمياً لانبرى مستعربا
هزّت العاهل في سدته فقضى في النفس منها العجبا

ملكت مهجته لكنه ملك عنّ له أن يلعبا
لم يجز منشدها بل رده فمضى والنفس جاشت حربا
وأتى « خاناً » فأحيي ليـــله كاتباً في رقعة ما كتبا
ثم ألقى رأسه مستغرقاً في كراه شأن نضوٍ تعبا
نام نوماً ليس يبقى بعده لشجي أن يعاني نصبا
وأراد الملك الممدوح في الغد جداً بالفتى لا لعبا
طلب الشاعر كي يكرمه ويحه لم يدر من ذا طلبا
ذهب الساعي اليه صارخاً يا « علي » اذهب بلغت الأربا
و«علي» كان غصناً فذوى وسراجاً عربياً فخبا
أطبق اليأس عليه فغدا في صباه وهو في شرخ الصبا
وجدوا في ثوبه منظومة صاغها في الليل ثم انقضبا
شاكياً فيها الى «هند» النوى ناعياً طالعه منتحبا
مؤثراً لو ودّعتـــه روحه قبل أن ودّع ذاك الكوكبا
ذلك الشاعر قد مات ولا شاعر يألف عيشاً طيبا
إنما المال لمن هان ، وما خلق الشاعر الا ذا إبا



كيف بدأت الهجرة

لقد ذكرنا في حديث سابق أن من الصعب تحديد الزمن الذي بدأت فيه الهجرة، وتحديد المكان الذي بدأت منه، لأنه لا توجد مراجع كافية يمكن الاعتماد عليها، والركون اليها.

ونحن في هذه الأحاديث إنما نعني المغتربين في أمريكاوحدها . وسنقصرهاعليهموحدهم لأن كثرة المغتربين الساحقة هي في العالم الجديد.

ويوجد نازحون سوريون في افريقيا واوستراليا، واوروبا وآسيا، ولكن عدد هؤلاء جميعاً لا يوازي نصف عدد السوريينالمغتربين في أمريكا.

ويوجد عدد ضخم من اللبنانيين في القارات المذكورة، ولهم فعاليات كبرى، وأثر مرموق في البلدان التي يقيمون فيها.

وربما كان اللبنانيون أول من اقتحم ديار الغربة، وجاب المجاهل البعيدة، وراض الفيافي النائية، ولا شك أنهم كانوا الرواد الأول للمغتربين العرب الذين هاجروا الى أمريكا. ذلك ان طبيعة أرضهم، وضيق مناطقها، وكثرة السكان الذين يحتشدون فيها، كان عاملا قوياً في تهافت اللبنانيين على الهجرة، وادّراعهم بكل الوسائل والسبل لتحقيقها — فضلا عن اصالة الهجرة في الدم العربي — كما أسلفنا.

يقول الاستاذ « فيليب حتي » : ان القس الموصلي « الياس بن حنا » قد قام برحلة الى امريكا، بين عام ١٦٦٠ و ١٦٨٣ ، وكتب عن رحلته هذه فصلا نشر في مجلة الشرق عام ١٩٠٦ . ويصعب علينا اعتبار رحلة القس المذكورة بداية الهجرة، لأنه كان فيها زائراً بقصد الوعظ، وليس بقصد الإقامة والعمل — وان تكن رحلته تلك قد مهّدت السبيل للمتطلعين دائماً نحو الأفق البعيد، والنزّاعة نفوسهم الى المغامرة والمخاطرة، وان ركبوا متون

الأهوال ، وتعرضوا للصعوبات والنكبات . وربما جاز لنـا أن نعتـبره من الرواد الأول للهجرة الجديدة .

ويقول الاستاذ « جورج صيدح » في كتابه النفيس « أدبنـا وأدباؤنا في المهـاجر الامريكية » (١) ان اول من هاجر الى امريكا الشمالية ، وأقام فيها ، كان رجلا من لبنان اسمه : « انطون البشعلاوي » . وقد استقر في مدينة نيويورك وتوفي فيها . وكانت هجرته سنة ١٨٥٤ .

وأقدم اديب اتصل بنا خبر هجرته هو « ميخائيل رستم » ، والد الشاعر المشهور اسعد رستم ، وبعده الدكتور « اسعد صابنجي » الذي ترك لنا قصيدة نظمهـا في نيويورك عام ١٨٧٢ في وصف السنترال بارك . وقد نشرتها مجلة « النحلة » التي كانت تصدر في لندن ، ومر عقدان بعد ذلك لم نسمع فيهما من المغتربين سوى الازجال اللبنانية .

ويقول الاستاذ « توفيق ضعون » في كتابـه القيم « ذكرى الهجرة » ان الذين رافقوا البطل اللبناني « يوسف كرم » الى منفاه في ايطاليا ، قد آثروا الهجرة الى امريكا الجنوبية بعد وفاة عميدهم في روما . وانهم كانوا أول الوافدين اليها من الأقطار العربية ، وليس ثمة ما يدل على ان احدهم قد تقدمهم بالهجرة الى تلك البلاد .

وكان لزيارة امبراطور البرازيل « الدن بدرو الثاني » الى لبنان اثر كبير في التشجيع على الهجرة ، ودفع الناس اليها ، اذ أبدى رغبته في أن يهاجر الى بلاده عدد من اللبنانيين الذين اعجب بحيويتهم ونشاطهم ، فضلاً عن سروره من الحفاوة البالغـة التي استقبلوه بهـا ، والترحاب الحار الذي لقيه منهم ، ووعدهم بتقديم كل مساعدة لهم ، وانه سيشملهم بكل أنواع العناية والرعاية .

وحينما ذهب مرافقو المرحوم « يوسف كرم » الى البرازيل ، وجـدوا من عنايـة الامبراطور ، وحسن رعايته ، ما شجعهم على الكتابة ، لبعض اقربائهم واصدقـائهم كي يلتحقوا بهم .

---

(١) الاستاذ جورج صيدح شاعر مطبوع ، رقيق الديباجة ، مشرق العبارة ، أنيقها ، ودواوين شعره سجلات حافلة بكل ما مر به ، ومر من حوله ، وبكل الأحداث السياسية والاجتماعية التي تعرض لها المغتربون وكتابه « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية » خير مرجع للادب المهجري ، وخير دراسة شاملة له ، وهو أنفس ما كتب عنه ، على الإطلاق ، وهو مجموع محاضرات القاها في معهد (الدراسات العالية) لجامعة الدول العربية ، ويقع الكتاب في حوالي ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ومن واجب الحكومات العربيـة ان تقرر تدريس هذا الكتاب الرائع في جميع مدارسها الثانوية ، وفي معاهدها العليا للآداب .

ومما يؤثر عن هذا الامبراطور انه التقى يوماً بلبنانيين لم يحسنا مخاطبته ، ولا الرد على أسئلته ، لجهلهما لغة البلاد البرتغالية ، اذ انهما كانا حديثي العهد في تلك البلاد ، فأعطاهما الأمبراطور بطاقته الشخصية ، وأشار اليهما ان يذهبا في اليوم الثاني لمقابلته .

ولما اطلع بعض البرازيليون على البطاقة أخبروا حامليها ان صاحبها هو الامبراطور نفسه . فذهبا لمقابلته في قصره ، حيث أحسن استقبالهما ، وهيأ لهما عملا ، وأعطاهما مبلغاً من المال .

ومثل هذه الحادثة لا يمكن أن تمر دون ان يكتب المغتربان عنها الى اقاربهم في الوطن ، ودون ان يكون لها اثر بالغ في تحميس الكثيرين منهم للحاق بهم .

وكان للحوادث المؤسفة التي وقعت في لبنان سنة ١٨٦٠ ، والاصطدامات المؤلمة التي حصلت بين أبناء الوطن الواحد ، والتي ارتدت طابعاً طائفياً .. استغله الأجانب لتوسيع شقة الخلاف ، وبذر بذور الفتنة والشقاق ، أثره الكبير في إقدام عدد من اللبنانيين على الهجرة ..

ولولا تلك الحوادث الدامية المروعة ، لم يقدر لهذه الصفحة المشرقة من تاريخنا الذهبي ان تبرز الى الوجود ، وان تكون برهاناً جديداً للتفوق العربي ، وامتداداً لحضارته ومدنيته وغزوه العملي بقاعاً جديدة ، في سورية نفسها ، ومناطق مقفرة ، عمرها بمواهبه ومقدرته ، وجده ومثابرته .

وأوشكت تلك الحوادث المؤسفة أن تترك لها ذيولا وخيمة ، لولا ان تداركها العقلاء وعلى رأسهم « الأمير عبد القادر الجزائري » (١) الذي كان قد التجأ الى سورية ، واتخذها مقراً له بعد أن احتل الفرنسيون بلاده وتغلبوا على المقاومة الضارية فيها .

ولكن الهجرة لم تبدأ بشكل جماعي الا في زمن الثورة التي قام بها البطل « احمد عرابي » في مصر سنة ١٨٨٢ . إذ ان فريقاً من السوريين واللبنانيين كانوا قد هاجروا الى مصر

---

(١) هو الأمير عبد القادر بن الأمير محي الدين الذي يرتقي نسبه الى الحسين بن علي بن أبي طالب ولد في الجزائر سنة ١٨٠٧ وبويع بالامارة على الجزائر سنة ١٨٣٢ وكان الفرنسيون قد احتلوا ساحل البلاد وشرعوا بزحفهم الكبير لاحتلال المناطق الداخلية . وقاومهم الأمير عبد القادر مقاومة ضارية . وظلت المعارك دائرة الرحى حتى سنة ١٨٤٨ حيث اضطر الأمير للتسليم ، وتم نقله الى فرنسة حيث اعتقل فيها خمس سنوات كاملة ، ثم أفرج عنه ونقل مع حاشيته الى سورية ماراً بالاستانة ، واتخذ دمشق مقراً له وما تزال مقر الاسرة الكريمة من بعده . وقد توفي في دمشق سنة ١٨٨٣ بعد أن طاف عدة بلدان أوروبية وشرقية ، وزين صدره بأوسمة رفيعة .

وسكنوا في القاهرة والاسكندرية وبعض المدن الاخرى .

وقد اضطرهم الإنذار البريطاني سنتئذ الى مغادرة القطر المصري الى امريكا او استراليا وتلك كانت بدء الهجرة على نطاق واسع ، وأول هجرة شبه جماعية ، كانت مقدمة للسيل الذي تدفق فيما بعد .

واول مهاجر عربي وصل الى اوستراليا كان عام ١٨٧٨ ، وحصلت في تلك الفترة من الزمن هجرة طريفة ، هي هجرة « الجمال » العربية . ويقول الجنرال « ماك آرثر » نقلا عن ابيه الكابتن « ماك آرثر » ان الحكومة الامريكية قد استوردت « الجمال » من بلاد العرب عام ١٨٨٥ واستعملتها وسيلة للنقل في تعمير صحراء « الاريزونا » ، ولحمل المدافع الخفيفةفي الحرب الأهلية . واعترافاً بفضلها اقاموا لها تمثالا نحاسياً يمثل الجمل « خان » الملقب بسفينة الصحراء (١) .

وقد سبق اللبنانيين الى الهجرة ، بصورة مصغرة ، أهل فلسطين . ولكنهم لم يستقروا جميعاً في البلدان التي نزلوا فيها ـ كما فعل اللبنانيون بل كانوا يزورونها حاملين المسابح والايقونات والتعاويذ المصنوعة في فلسطين ، لبيعها من المؤمنين المتعبدين . وبعد ان طافوا ثغور البحر المتوسط اجتذبهم معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ فأموأمريكا الشمالية،واستطابوا الارباح ، فمكث بعضهم فيها ، والبعض الآخر توغل في الجمهوريات القريبة « كاكوادور » وكولومبيا ، ثم في البعيدة « كالبيرو » ، والاورغواي ، والبرازيل ، والارجنتين ، وتشيلي، بينما اتجه اكثرهم الى امريكا الوسطى حيث كان يندر ان تجد غير الفلسطينيين في الجوالي العربية . وهم الآن كثرة في جمهورية « تشيلي » ، ولهم المقام الأول في التجارة والصناعة فيها ... (٢)

واعتاد المغتربون السوريون الإقامة في العواصم والمدن . فلم يخشوشنوا ويركبوا الاخطار كاللبنانيين الذين يتوغلون في مجاهل البلاد ، ويعمرون المزارع الغامرة ، ويفتتحون الأراضي البائرة (٣) .

وكان العمال الذين يعملون في بعض الموانىء العربية ، يتسللون الى السفن ، ويختبئون فيها

---

(١) راجع كتاب (الناطقون بالضاد) في أميركا الشماليةللاستاذ يعقوب عوبدات .

(١) راجع كتاب ادبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية للأستاذ جورج صيدح .

(٣) يقول الاستاذ شكري الخوري في جريدة ابي الهول : لو كان للقمر طريق لكنت ترى لبنانياً حاملا كشته ، صاعداً اليه ، وخلفه لبنانياً شك دواته في زناره لينشىء مدرسة او جريدة في القمر .

وكثيراً ما كانت تلفظهم تلك السفن في موانيء اوروبية ، حيث يصبحون عرضة للبؤس والفاقة والتشريد الى ان يرأف الله بهم ، فيتسللون الى سفن اخرى ، تنقلهم الى بعض الموانيء الامريكية .

وناهيك بما كان يلقاه اولئك النازحون من متاعب ومصاعب ، وعقبات وعراقيل ، يسببّها خلو وطابهم من المال ، وخلو حياتهم من التجربة والخبرة . اضف الى ذلك كله جهل اللغة والعادات والتقاليد . حتى ان بعضهم كان يضطر للاستجداء ، كي يتمكن من متابعة سفره الى حيث تحط به الاقدار . وبعضهم كان يبيع بعض امتعته الزائدة ــ اذا كان يوجد بينهم من يحمل امتعة زائدة ــ أو يعمل في احد البيوت حتى تتيسر له الوسائل الكفيلة بإيصاله الى بعض الجمهوريات الامريكية ، حيث كانت تنتظره حال اكثر سوءاً ومصير اكثر غموضاً .

ولا نستطيع ان نغفل العقيدة الدينية ، وأثرها الفعال في التشجيع على الهجرة . اذ ان بعض المتدينين الاوروبيين ، الذين كانوا يؤمون بيت المقدس لاداء فريضة الحج ، كانوا يعودون الى بلادهم ببعض الاصداف المصنوعة في فلسطين ، وبكثير من الايقونات والمسابح والشارات الدينية المختلفة .

وقد حفز اولئك الاتقياء الاوروبيون بعض ذوي النباهة والحذق في فلسطين ، للاتجار بتلك الاشياء ، ونقلها الى اوروبا ، وبيعها للمؤمنين فيها .

ولما تعددت رحلات هؤلاء الى اوروبا ، دفعتهم المطامع الى مدى أبعد . فصاروا يذهبون الى البلدان الامريكية لبيع ما يحملونه من اغراض فيها . وكان من البدهي أن يستقر الكثيرون منهم هناك ، وان يصبحوا خير عون لاخوانهم المغتربين الجدد الذين كانوا يلحقون بهم ، وهم يجهلون عادات تلك البلدان ولغتها ، فضلا عما كانوا يقاسونه من ارهاق وشدة وضيق كما رأينا ، وكما سنرى .

وحذا بعض السوريين واللبنانيين حذو اخوانهم الفلسطينيين . فكانوا يمتهنون نفس العمل ، ويتبعون نفس السبل ، الى ان كثر المحترفون ، وراجت دعاية ـ كان لها بعض الصحة ـ عن تلك الاشياء التي كان يزعم بائعوها انها صنعت في بيت المقدس . وروج المروجون ان تلك الاصداف والايقونات انما تصنع في اوروبا ، وبعضها في امريكا نفسها ، وتباع على انها من فلسطين ، وانها قد وضعت على قبر السيد المسيح لتظفر بالبركة والقداسة ، قبل ان تنقل الى المؤمنين الصالحين في العالم الجديد .

واثرت هذه الدعاية في نفوس الاتقياء المتدينين ، فأحجموا عن شراء الاغراض التي كان يحملها تجار من فلسطين وسواها ، ويزعمون انها صنعت في بيت المقدس ، وانه طيف بها على الاماكن المقدسة فيه ، متأثرين بالدعاية المناهضة لاولئك البـائعين المحترفين . فكسدت تلك التجارة التي كانت رائجة ، وضعف الاقبال على موادها ، حتى تلاشى آخر الامر .

وكان لا بد ان يتجه المتجرون بها وجهات اخرى . ومن هنا بدأالتمركز والاستقرار، والانصراف الى الزراعة والتجارة الحرة .

ولا يسعنا ونحن نعدد الاسباب التي دفعت الى الهجرة ، ودعت الناس اليها ، ان نغفل الحكم العثماني ، وجوره . وعصبيته ، والضرائب الباهظة التي كان يفرضها على المواطنين العرب ، والاعمال الوحشية التي كان يرتكبها الموظفون الاتراك ، والدركالمتوحشون ،بدون رحمة او انسانية او شفقة ، مما دفع الكثيرين الى الرحيل عن ديارهم ، وهجر وطنهم ، طلباً للحرية ، وسعياً وراء العيش الشريف ، والحياة الكريمة .

وكانت الدول الاوروبية تشجع المسيحيين على الهجرة (١) والتخلص من النير التركي الصفيق ، وتهيء لبعضهم الوسائل والسبل لمغادرة الاقطار التي يسيطر العثمانيون عليهـا ، ويسعون لتتريكها بالحديد والنار !

ولقد كان لتعصب الاتراك العنصري ، الرامي الى اثارة النعرات الطائفية ، اثره الفعال في هجرة عدد كبير من المسيحيين والمسلمين . وكانت الحكومة العثمانية تقدم على استعمال كل الاساليب الهمجية التي يكون من نتائجها اضطرار بعض المواطنين العرب للهجرة من بلادهم ــ هرباً من الظلم والضغط والسغب .

وكانت الحكومة التركية تشجع ايضاً على الهجرة ، ولكن بصورةخفية ، وتتظاهربمنعها من الناحية الرسمية .

وما أجمل هذه الصورة عن المغتربين واغترابهم للشاعر شفيق معلوف :

---

(١) راجع كتاب ادبنا وادباؤنا في المهاجر الأميركية للاستاذ جورج صيدح . واعترافات للاستاذ توفيق ضعون . ورغم أننا استندنا بهذه المعلومات الى ما ورد في كتب بعض المؤلفين ، فإننا نعتقد ان المسيحيين السوريين لم يتأثروا مطلقاً بالدول الأوروبية وتشجيعها على الاغتراب .

وأما أشقاؤنا اللبنانيون فقد كان للحوادث المريرة التي حدثت بينهم سنة ١٨٦٠ وما مر بهـا من مآس محزنة مفجعة أثر قوي في دفع بعضهم الى الهجرة .

وقد أشرنا الى ذلك في غير هذا المكان .

در مع الدهر خلف شعب شرود   ملكنا الضخم حول كل الحدود
يوم سدوا عليه للرزق باباً   شق بالمنكبين باب الخلود

وزحفت الى شواطىء امريكا موجات متلاحقة من جبال العلويين . حيث الناس اكثر عوزاً وضنكاً ، وتعرضاً للاضطهاد العنصري ، الذي كان يرتدي طابعاً مريبـاً من الدولة التركية المستبدة .

وكانت الهجرة من المحافظات الاخرى تضعف وتشتد ،تبعاً لقوة الضغط وتفاقم الحاجة لا لنسبة عدد السكان وكثافتهم . ولهذا فاننا نجد عدد النازحين يتفاوت بين محافظة واخرى واحيانا بين منطقة ومنطقة ، للاسباب التي ذكرنا .

وكان للسلطة في جبال العلويين ، حينذاك ، اثر قوي بدفع الكثيرين من السكـان الى الهجرة ، فراراً من الظلم والضغط والأضطهاد ، وهربا من الفقر المدقع الذي كان يعانيه السكان ، ويقاسون من وطأته الامرين ، والذي يمكن ان نرجع اسبابه الى عوامل ثلاثة :

١ ـ حكومة مستبدة .
٢ ـ اقطاعية ظالمة .
٣ ـ ارض ضيقة .

وكل واحد من هذه العوامل الثلاثة كان وحده كافيا لدفع عدد كبير من العلويين لهجر بلادهم ، والانتقال منها الى بلاد اخرى .

وفي الحرب العالمية الاولى وضع الاتراك ، بواسطة طاغيتهم « السفاح جمال باشا » ، خطة رهيبة لابادة اكبر عدد من السكان العرب ، في سورية ولبنان . فكان السفاح المذكور يستولي او يحاول الاستيلاء على كل ما تنتجه البلاد من وسائل العيش ، وينقـله الى الجنود الاتراك والالمان في اوروبة . ويترك الشعب فريسة للمرض والجوع ، ومعرضا للموت والهلاك !

وما يزال الاحياء يذكرون تلك المآسي الرهيبة التي مرت بهم ، وعصفت بحياة الكثيرين من ذويهم . وكيف كان بعض الناس يموتون في الطرقات ، وهم يبحثون عن شيء ـ اي شيء ـ يقتاتون به (١) !!

---

(١) يقول الأمير مصطفى الشهابي في كتابه النفيس القومية العربية ان تنكة القمح الواحدة كانت تباع في دمشق بليرتين ذهبيتين .. فتأمل ! وأن عدداً كبيراً من اللبنانيين قد هلك من الجوع كما هلك عدد كبير من السوريين ، وكان تجويع لبنان وسورية خطة مقصودة ، أراد الأتراك بواسطتها إهلاك السكان العرب والقضاء عليهم وقد أشار أكثر المؤرخين إلى هذا أيضاً .

مآس يندى لها جبين الإنسانية خجلا وحياء !
ولكن جبين الطاغية التركي لم يند بشيء من الخجل والحياء !
والتاريخ التركي الذي أمر بوضعه « مصطفى كمال » جاء خلواً من كل ما يشين الدولة لتركية ، ومن كل ما يشير الى حكمها الظالم المستبد (١) !

ولما انتهت الحرب العظمى كان الشعب قد استنفد كل امكانياته للمحافظة على حياته ، لكن المجازر التركية الرهيبة قد تركت رواسب عميقة في نفوس أبنائه ، وذكريات مريرة حفزتهم للهجرة ، الى حيث الثراء السريع ، والحرية المتوفرة ، والطمأنينة التامة ، والسلامة لكاملة (٢) .

ولا يسوغ ، ونحن في معرض البحث عن أسباب الهجرة وبواعثها ، ان نغفل امر الدعاة المشوقين ، والوسطاء والتجار ، اذ ان بعض اغنياء التجار حينما رأوا شدة الاقبال على الهجرة ، اغتنموا هذه السانحة الثمينة ، واتفقوا مع سماسرة بيروت ، وهي الميناء الرئيسي الذي كان ينقل المهاجرين الى شتى أنحاء العالم ، وأخذوا يشوقون الى الهجرة عن طريق سماسرتهم وسواهم ، وكثيراً ما كانوا يستغلون ظروف « المهاجر » ليمتصوا كل ما يستطيعون امتصاصه من دمه . والويل لمن يستدين تذاكر السفر من « السمسار » ، او لمن يرهن عنده عقاراً ! فالدين لا ينتهي ! والعقار لا يرد ! و « المرابي » الظامىء لا يرتوي ! وهكذا دواليك (٣) .!

---

(١) من غرائب التجني على قدسية الحقيقة والتاريخ ان مصطفى كمال رائد تركيا الحديثة قد أعاد كتابة تاريخ بلاده من جديد ، فجعل الأتراك قادة العالم وسادته ! وأجلسهم في قمة الحضارة ، وجعلهم روادها الأول ، وجعل الدنيا لهم عبيداً وشيعاً واتباعاً ! ولم يسبق لحاكم ان حور التاريخ وشوهه كما فعل مصطفى كمال ولكنه اذا استطاع أن يوهم الطلاب الأتراك بهذا فإنه لا يستطيع أن يوهم أحداً في العالم به . لأن التاريخ ليس ملك فرد ولا أمة ولا جيل من الناس . وإنما ملك الأفراد والأمم ، والأجيال جميعاً بدون استثناء . ومهما حاول المتجرؤون أن يطمسوا حقائق التاريخ فلا بد لها أن تنكشف وأن تظهر .

(٢) راجع كتاب حياة رجل في تاريخ امة للمؤلف .

(٣) يندر أن تمر فترة الا وتعرض أمام المحاكم المختصة في محافظة اللاذقية قضية من مراب او من أحد ورثته على مغترب او واحد من ورثته المقيمين . وذلك لتسجيل عقار مؤمن عليه ، او للمطالبة بدين ناجم عن فوائد باهظة لا يتصورها عقل ويعلم الله كم شقينا وما نزال نشقى لإيجاد حلول لبعض هذه الخلافات المزمنة التي لا نهاية لها – على ما يظهر – ولا حد .

وهذا الموضوع حري بالحكومة ان تعنى به وأن تهتم بشأنه وأن توعز الى الدوائر المسؤولة للاهتمام بكل أمر له علاقة مباشرة او غير مباشرة بموضوع المغتربين .

وما نريد ان نتجنى على بعض من كان مستقيماً من السماسرة ، فحلبات الصراع لم تكن تخلو من أحد هؤلاء . وان يكونوا قلة – بل ونادرين .

وما نزال نذكر تلك الوجاهة العريضة التي كان يتمتع بها ذلك التـاجر الذي يحترف « التسفير » الى امريكا ، او يكون « وسيطاً » بين المغترب وذويه ! وكم وقع الكثيرون من البسطاء والسذج فرائس سهلة في مصائد المرابين الجشعين ! وكم انتقلت ملكية مغتربين ،وما تزال تنتقل الى أولئك « الوسطاء » الذين كان اكثرهم لا يراعي ذمة ، ولا يخشى عاديـة الدهر ، وتنكر الزمان ! وما يزال الكثير من هذه المشاكل وذيولها قائمـاً الى الآن ! وهو يشغل المحاكم المختصة ، والسلطات الإدارية المختلفة ، ويضيف الى مشكلة المجتمع في الريف عبئاً ثقيلا ، وتركة ضخمة من الخلافات والحزازات .!

مآس كثيرة ، نكبت بها اسر كثيرة ، كانت بواسطة « التسفير » الى امريكا !وما تزال هذه المآسي تتوالى ! وتتمثل في كل يوم على مسرح الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادنا هذه ، أسوأ تمثيل وآذاه واقساه !

وحتى في عهدنا هذا ، عهد الحرية والكرامة الشخصية ، لا يزال بعض « وسطاء التسفير » يشبهون اسلافهم الى حد بعيد ! وهم يتذرعون دائماً بحجة « ايام زمان » ! كأن الاعراف تقضي بأن يظل استبداد المرابين قائماً ! وسيطرتهم محتومة ! وجشعهم فاغراً فاه !!

ولا يقع في مصائد المرابين الا الفقراء السذج الذين لا حول لهم ولا طول ! وما اكثرهم بين ابناء الريف ، وما احوجنا الى ان نقف المرابين عنـد حدهم ، ونحرر من سيطرتهم وجشعهم اولئك الذين اضطروا للهجرة هرباً من الفاقة الجائرة ، وطمعاً بالحياة الكريمة ، والعيش الخير المتوفر (١) .

---

(١) ان المرابين لا يعدمون وسيلة لإيقاع البؤساء في شباكهم ، واستنزاف إمكاناتهم . وقد اتخذوا من منع الهجرة – هنا وهناك – وسيلة مناسبة للتأثير على البسطاء الذين كانوا يحاولون الفرار من البطالة والفاقة ، والالتحاق بذويهم في المهجر فوقعوا فرائس سهلة في مصائد المرابين الذين عرفوا كيف يصطنعون الحيل ، والأسباب الكثيرة لإيجاد منافذ في قرارات منع الهجرة والتسلل منها الى القنصليات والى المرافىء وبعد ذلك او قبله الى جيوب المساكين او الى عقاراتهم يتملكونها او يؤمنون عليها وكل هذا قد وقع – وكثيراًمايقع – على مرأى من أعين الليالي وعلى مسمع من ضمير الوجود ثم يعرفون كيف يغلفون أعمالهم بحيل قانونية ومنطقية تنطلي على الجميع ! وتاجر السوق السوداء اذكى من الجميع وأمهر من الجميع .

ولا بد من الإشارة مرة أخرى الى أنه من التجني ان نضع كل وسطاء التسفيرفي مستوى اولئك الجشعين الذين أثروا على حساب الفقير والمسكين . ولا تخلو الحلبة من ناس شرفاء طيبـين وان يكونوا مع الأسف نادرين . وحديثنا لا يتناول الوسطاء البسطاء الجدد ، وإنما يتناول القـدامى المحنكين ، الذين أثروا على ظهور المساكين !!

ولقد اصبح مجتمعنا الجديد ، الذي تسوده العدالة والمساواة ، كفيلا بإزاحة عبءالشقاء والفقر عن كاهل المواطنين اجمعين . وكفيلا بأن يوفر لكل منهم حياة هانئة ، وعيشاً شريفاً لتبقى الأسرة متساندة ملتئمة ، والمجتمع وثيق العرى ، محكم الرباط ، والحياة الهادئة المطمئنة تغمر الجميع ، ويسعد بها الجميع .

* * *

وأحب ان اعرض هنا تلك الصورة الرائعة ، التي حبكها بقوة ومهارة ودقة ، الشاعر المبدع شفيق معلوف . يصور بها حال المغتربين ومودعيهم ، ابلغ تصوير ، ويعبر عنها أجمل تعبير ، ويصفها آنق وصف ، ويعرضها لوحة فنية قد استكملت كل جوانب الفن والروعة والابداع :

مجاذيف عبر اليم طاب لها صدى	يرجعه صفق على الموج هادىء
متى رحن يشققن العباب تصاعدت	من القعر تجري خلفهن اللآلىء
يدفعن فتياناً تذريهم النوى ..	على كل افق ، والرياح تناوىء
فوالله ما أدري أعند وداعهم	تئن الصواري . ام تئن المرافىء
اطلوا بوجه من كوى السفن واجم	كأني بهم دمع بكته الشواطىء

ومن المؤسف الا تكون مأساة الهجرة قد اطلقت ألسنة الشعراء المقيمين ، مثلما اطلقت ألسنة الشعراء المغتربين ، لأن جو النكبة كان بعيداً عنهم ، ولان تلك الحياة المريرةالقاسية ، التي تعرض لها المغتربون عند بدء هجرتهم ، لم يكتو بلواعجها اخوانهم المقيمون ، ولا يبلغ الحزن مداه في نفس صديق او قريب ، مثلما يبلغ مداه في قلب الحزين نفسه الذي يعيش مصيبته ، ويحيا واقعها ، ويتجرع صاب المها ومرارتها .

وربما انعكست مآسي الهجرة ومتاعبها على الكتاب والشعراء اللبنانيين اكثر مما انعكست على الشعراء والكتاب السوريين .

ولعل مرد هذا يعود الى ان بعض اللبنانيين كانوا يعتبرون الهجرة مورداً اساسياًواولياً لهم . وما يزالون يعتبرونها — الى الآن — من الموارد الرئيسية في بنائهم الاقتصادي والاجتماعي .

وقد نظم اللبنانيون مباريات عدة في الشعر والنثر لتصوير احوال المغتربين ، والقاء الاضواء على حياتهم هناك ، واثرهم هنا .

ومن هذه المباريات مباراة شعرية نجح فيها الشاعر « حليم دموس » ، وكان قد نزح الى

البرازيل ، واقام فيها مدة ، ذاق خلالها مرارة الغربة وقسوتها .

وتعتبر قصيدة «حليم دموس» هذه من اجمل الصور التي رسمت عن الغربة والاغتراب . ويقول في مطلعها :

هجر الروض ، وعاف الثمره ولیالي انسه المزدهره
بفؤادي هاجر مغترب قاوم الدهر وقاسى غيره
كان في موطنه «معرفة» وهو في الغربة امسى «نكره»

ولكن « نكرة » هذه .. لم تعد تنطبق اليوم على حال المغتربين ، فقد اصبح اكثرهم من الوجاهة واليسار ، بما يزري بكل قول انهم امسوا « نكرات » في مهجرهم النائي .

ايام كان المغترب « نكرة » في مغتربه .. ايام مرت ومضت .. واما اليوم فقد اصبح علماً من الاعلام يشار اليه بالبنان في كل مكان ، ويشترك بتوجيه سياسة البلاد التي يقيم فيها الى حد بعيد (١) .

ولم تعد ثمة فوارق بينه وبين سكان البلاد الذين تقدموا بالهجرة الى امريكا . فالقوانين _ كما سيجيء _ لا تفرق بينهم ، ولا تميز واحداً عن آخر ..

وقد يبرر للشاعر حليم دموس قوله ان المغترب امسى « نكرة » في مغتربه ، اذ ربما كان يعني تلك الايام الاوالي التي يصل فيها المهاجر الى ديار الهجرة . او الايام الاوالي التي بدأ فيها المهاجرون بالهجرة الى ديار نائية عنهم ، وغير معروفة منهم .

وقصيدته هذه من أروع ما قيل في المغتربين وعنهم ، فهي تصور واقعهم تصويراً صادقا دقيقا وهذه هي :

هجر الروض وعاف الثمره ولیالي انسه المزدهره
ومضى يضرب في آفاقها ولسان الدهر يروي خبره
ركب الاهوال سيراً وسرى نادبا تلك الربوع النضره
وهو لا يدري أيقضي لهفا ام من الدرهم يقضي وطره

(١) ذكر الاستاذ يوسف الصارمي في مجلته المواهب التي تصدر في عاصمة الأرجنتين وهي من أرقى المجلات الأدبية في المهجر انه زار السيد نجيب يافث عميد آل يافث الكرام في مدينة سان باولو البرازيل . ولما سأله الصارمي عن نظرة البرازيليين للمغتربين العرب ، أجابه السيد يافث كان يجب ان تسألنا كيف ننظر نحن اليهم .

وهي أبلغ كلمة تصور واقع جاليتنا ومكانتها المرموقة ومركزها المحترم . وتدل على شأنها الضخم في تلك البلاد . ومن يعرف السيد نجيب يافث يعرف انه لا يلقي الكلام جزافاً وأنه يضع الكلمة في مكانها وهو أكثر الناس تواضعاً وتقيداً بالواقع

يلتقيه بين اشداق الردى والردى ينشب فيه ظفره

* * *

بحياتي هاجر مغترب غالب الدهر ولاقى عبره
كان في موطنه «معرفة» وهو في الغربة امسى «نكره»
ألف الاسفار حتى راضها واستدل البحر حتى حيّره
وهو في الفجر يناجي شمسه وهو في الليل يناجي قمره
يحطم الكأس جناحيه كما تحطم الريح اصولا نخره

* * *

قف على الشاطىء واشهد ساعة موقف التوديع وارسم صوره
وارسم البحر فكم سارت به سفن في عرضه منتشره
تحمل القوم جموعا وعلى موجها ادمعهم منهمره
هجروا الاوطان في محنتها لينجوا امة محتضره
بينما عقدهم منتظم اذ تراه درراً منتثره

* * *

ما انتفاع الام من ابنائها ان تناءوا وهي عند المقبره
يرجع الليث الى غابته بعد ان يطوي الفيافي المقفره
وتغيب الطير عن افراخها لتوافيها بأشهى ثمره
ويصان الدر في اصدافه ثم يجلى كالدراري النيره
هكذا النازح عن اوطانه يذكر الربع ويهوى اثره

* * *

رب ارض حسبت حنظلة وهي لو تسقى لكانت سكره
وركاز تحت اطباق الثرى بات في صدر الغواني جوهره
وبلاد لو حماها اهلها .. لاستحالت امة مقتدره

* * *

أدر الدفة يا ربانها فالحمى حن الى من هجره
قل لمن اثروا أعينوا وطنا يتعزى ببنيه البرره
انتم الروح لجسم ناحل انتم الماء لتلك الشجره

تجمع المغتربين

بعد الجهاد العنيف المضني ، والكفاح الطويل المر ، والمصاعب الجمة ، المتعددة الاشكال والالوان ، والبواعث والاسباب . بعد ذلك كله بدأ المغتربون يقطفون ثمارمتاعبهم،ويجنون نتائج كفاحهم ونضالهم ، وبدأوا يتمركزون ويعملون ، ويتسنمون ذرى السؤدد والمجد والغنى واليسار .

وكان لتكتلاتهم الاقليمية والعائلية ، اثر كبير في تعاونهم وتآزرهم ، ومساعداتهم بعضهم ، ومد يد العون الى الضعفاء والمعوزين منهم .

وكان المغترب الذي يهاجر الى امريكا ، يقصد البلد الذي يقيم فيه اقرباؤه ، أو أحد مواطنيه ، وهو يحمل معه اكثر من توصية . وهدفه مكان معين قبل ان يبحر الى العالم الجديد .

وبعد أن يصل المغترب إلى المكان الذي يقيم فيه أقرباؤه او أبناء بلدته ، يشكل وإياهم مجتمعا صغيراً وسط ذلك المجتمع الكبير . يشد بعضهم ازر بعض ، ويعيشون عيشة عائلية مؤتلفة .

وتلك قاعدة بين كل الغرباء والمغتربين . فقد كان اليابانيون يسكنون حيا خاصا بهم ومثلهم الصينيون والطليان والالمان وو .. الخ .

وبعد ان اتسعت رقعة المدن ، وبدأت الجوالي تنصهر في بوتقة البلاد ، تضاءل ذلك الطابع القومي والاجتماعي ، للفئات المهاجرة إلى امريكا . ولم يبق محتفظا بـه إلا من كان حريصا على الاحتفاظ بوطنه الام ، وقوميته الاصيلة ، وشعاراتها الخاصة . واما الذين يعيشون على هامش المدنية ، وشاطيء الحضارة ، وتستهويهم الشعارات الجديدة ، فإنهم

أسرع إلى الذوبان في بوتقة البلاد الاجنبية من سواهم (١) .

والتجمع ، عند بدء الهجرة ، في مكان واحد ، لأبناء البلد الواحد ، كان يحتمه جهل اللغة والبيئة ، والعادات والاصول . وكانت تحتمه الغربة نفسها . وقديما قال امرؤ القيس . . .

أجارتنا إنا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب

وكانت الصلات العاطفية ، والروابط القومية ، والمصالح المشتركة ، تجمع بين ابناء المدينة الواحدة ، والقرية الواحدة ، والعائلة الواحدة ، في مكان واحد . ومن النادر أن تجد ــ في طلائع الهجرة ــ من يشذ عن هذه القاعدة ، او يخرج عليها ، إلا لعوامل خاصة ، وظروف قاهرة . لان اكثر الذين اضطروا للهجرة إلى امريكا ــ إن لم يكونوا كلهم ــ كانوا يشكون الحاجة ، ويبحثون عن مورد للرزق ، ولم يكن في جيب أحدهم رأس مال يكفيه مؤونة البطالة والعوز ، إذا اضطرته الظروف القاسية اليهما . فكان مضطراً لان يدخل في حسابه ــ اولا وقبل كل شيء ــ الاعتماد على أقربائه ، وابناء محيطه .

وكان اكثر المغتربين الاول احد اثنين : اما عاملا بأجر يومي في ورشات البناء وامثالها واما عاملا لاحد التجار ، يعطيه بضاعة يحملها في « كشة » على كتفه ، ويطوف بها في الاسواق ، او القرى القريبة من مكان إقامته .

وبعد أن يقضي واحدهم في هذا العمل فترة غير وجيزة ، يرتقي تدريجيا إلى وضع أفضل بعد أن يحذق من اللغة بعض كلماتها ، ويعرف كيف يسأل ويجيب . فينتقل « العامل » إلى معمل او دائرة رسمية للتنظيف . ويرتقي حامل « الكشة » ، بعد ان يحوز على ثقة عميله ، او يوفق لجمع بعض المال من متاعبه وارباحه ، الى بائع متجول ، يصل إلى أماكن بعيدة يحمل بضاعته على كتفه ، او تحمله وإياها راحلة اشتراها او استأجرها .

والوضع الجديد ، الذي كان يقضي بتمركز المغترب واستقراره ، كان يفضي به دائما الى السكنى بالقرب من ابناء بلده ، حيث يشكل وإياهم مجتمعا صغيراً يساعدهم على التعاون المشترك ، ويضمهم في ايام العطل ، واوقات الراحة ، يتندرون ويتباسطون ، ويستعيدون

---

١) لا يدخل في إطار هذا القول اولئك الذين تضطرهم ظروفهم او تضطرهم قوانين البلاد التي يقيمون فيها لتبديل جنسيتهم بجنسية أجنبية اذ ان كثيرين من هؤلاء تظل صلتهم وعواطفهم وكل مشاعرهم متمسكة بالوطن الأم وبأصلهم العربي وهم أكثر حماساً لوطنهم من أبنائه المقيمين فيه .

ذكريات الوطن ، ويطلعون على آخر الاخبار الواردة منه .

وما أجمل منظر المغتربين وهم يتحلقون حول قارىء رسالة ، وردت اخيراً من الوطن الام ، يصغون إلى قراءتها بجوارح مفتوحة ، وقلوب صاغية ، وأفئدة متلهفة ، لسماع أي خبر عن البلاد ، ومن البلاد .

انهم يعيشون لنا ، ومعنا ، بقلوبهم وعواطفهم ومشاعرهم ، وكل مايملكون من إحساس مرهف مترف .

ما سقطت دمعة من عين عربي ــ في الوطن العربي ــ إلا وكوت بلاعج لهيبها عارض مغترب ، بل عوارض مغتربين في أقاصي المعمور .

وما صعدت آهة من صدر مكلوم عربي ــ في الوطن العربي ــ إلا وأدمت شفاه مغتربين في مغتربهم السحيق .

وما ألمّت بالبلاد العربية ملمة ، ولا نزلت بها نازلة ، إلا وكان لها الصـــدى السريع في نفوس المغتربين ، والاستجابة الخيرة الممرعة المنعشة .

المصاعب التي اعترضت المغتربين

لا يستطيع كاتب ، مهما أوتي من قوة البلاغة ، ودقة الملاحظة ، والقدرة على التصوير والتعبـــير ، ان يصور تلك الفترة القاسية التي مرت على المغتربين ، في المراحل الأولى من اغترابهم ، ومهرت حياتهم بنضال دونه قدرة الإنسان العادي . وطبعته بطابع الكفاح البطولي والجهاد في سبيل وضع أفضل ، وعيش أجمل ، وحال أكمل . وقد كان شعار كل منهم قول « بدوي الجبل » :

والعيش معناه الكفاح   فهالك من لم يكافح

ولقد كافح اولئك المغتربون الاشاوس ، حتى لكأن الكفاح بدونهم لا معنى له ، ولا قيمة ، ولا وزن .

ولا يستطيع مصور ، مهما كانت ريشته نفاذة ، وعبقريته أخاذة ، أن يصور حياة الفاقة والبؤس ، التي تعرضوا لها ، والتي كانوا يحيونها ، ويقاسونها . ولا الاهوال التي كابدوها والمتاعب التي لاقوها ، والمصاعب التي قاسوها ، والمخاطر التي أقدموا عليها .

ذلك كله فوق قدرة البلاغة ، وفوق قدرة التعبير والتصوير .

فترات رهيبة قاسية ، كان دون بعضها الموت الزؤام .

ولولا ما فطر عليه العربي من حب الإقدام والمخاطرة ، والمجازفة والمغامرة ، والعقبات التي تصدت له ، والأشواك التي زرعت في دربه ، كل ذلك ، او بعضه كان كفيلا لأن يفت في عضده ، ويثبط من همته ، ويهد من قواه .

ولكن العربي هو العربي .. الذي وقف من مطلع التاريخ ، يفرض وجوده على التاريخ ويملي إرادته ، ويثبت شخصيته ، ويعزز مكانة أمته ويركزها على قمة الدنيا .

وهجرة المغتربين العرب الى امريكا ، ووطابهم فارغ ، وجيوبهم مثقوبة ، وهم غرباء عن اللغة والبيئة والتقاليد ، ثم هيمنتهم بعد ذلك ، ونجاحهم المنقطع النظير ، لأكبر برهان على

ما يكمن في نفس العربي من قوة حافزة ، وحيوية متوثبة ، وطاقات ضخمة من الكفايات والإمكانات .

يقول الاستاذ « ضعون » (١) الذي كتب عن المغترب فأبدع ، وصور حالة الإغتراب فحلّق ، وهو مغترب ذاق بعضاً من المرارة التي ذاقها سواه ، واكتوى بنار الألم الذي اكتوى به الكثيرون .

ان الهجرة في زمن العثمانيين كانت محظورة رسمياً ، ومباحة عملياً ، بواسطة المهربين . كانت البواخر الصغيرة حالما ترابط في ميناء بيروت ، توفد سماسرة من ذوي الحناجر القوية الى أسواق المدينة والقرى ، لإذاعة نبأ وصولها ، وموعد سفرها . فيهرع القرويون الى المرابين لاستدانة المال اللازم للسفر ، ويرهنون لهم كل ما يملكون من اثاث وعقارات .. وتبدأ عملية التهريب : السمسار يسلم المهاجر الى العسكري ــ المتولي مراقبة الشاطىء ــ والعسكري يصعد به من وراء « ماعونة » الجمرك الى « ماعونة » محملة بالبضائع ! وقائد « الماعونة » يدخله في الباخرة بصفة « حمال » !

وفي الباخرة يتسلمه « القهوجي » ، ويضعه في أحد المستودعات (٢) . وبهذا الوضع يصل المسافر الى جنوا او مرسيليا ! وهناك يستلمه سمسار جديد ، وينزله في « خان » قذر ! ولا يحمله الى باخرة تنقله الى امريكا الا حينما يفرغ جيبه من الفلس الأخير .! وفي تلك الباخرة يلتقي بأمثاله الذين قضى عليهم القدر بالاغتراب .. ويعيش معهم عيشة القطيع الذي تطارده الذئاب ! ان صعدوا الى ظهر الباخرة تعرضوا للحر والبرد ، والمطر والرياح .! وان احتشدوا في الطوابق كادوا يختنقون .. وكم مرة سلط عليهم البحارة انابيب الماء الساخن ليمنعوهم من الاحتجاج على تلك المعاملة السيئة ! وكم مرة حملتهم الباخرة الى حيث لا يقصدون وانزلتهم في البلد الذي لم يكن هدفهم ! وكان اسعدهم حظاً من كان يجد على المرفأ انساناً ينتظره ، او انساناً يتكلم العربية فيأنس به .. او يعرف عنواناً لنسيب او صديق .. او يحمل كتاب توصية يؤمن له الطعام والمأوى في الليلة الاولى .. ومن لم تتوفر له إحدى هذه الوسائل يكون فراشه رصيف الشارع ، وطعامه الكسرة الباقية من زاد السفر في جعبته » .

---

(١) راجع كتاب ذكرى الهجرة للاستاذ توفيق ضعون ففيه معلومات كثيرة وقيمة عن المغتربين .

(٢) راجع قصيدة الاستاذ شفيق معلوف ــ في فصل سابق ــ والتي مطلعها :

مجاذيف عبر اليم طاب لها صدى   يرجعه صفق على الموج هادىء

هذه الصورة القاتمة التي يرويها الاستاذ ضعون ، قد مر بها اكثر المغتربين الماهدين الذين هاجروا في العهد التركي .

ولا كثر المغتربين حوادث دامية يضطرونك حينما يروونها لأن تزفر معهم وتـأسى ، وتحمد الله بعد ذلك وتجزل له الشكر .

ويروي هنا حادثتين ـ لمغتربين كريمين :

الاستاذ « غانم ياسين » : من ارباب الوجاهة ، والمكانة المرموقة في بلده . وقـد حمل لواء الاصلاح في بلد كان التأخر والجمود يبسطان ظلهما الصفيق عليه ويحولان بين ابنائه وبين التطور ، وتنشق نسائم الحرية ، والاستضاءة بمشعلها المنير (١) .. وكان ـ وما يزال ـ ذا رأي جريء ، وحجة قوية ، وصراحة مهذبة ـ ولكنها قاسية ، يحارب بها البدع والخرافات والدجل والشعوذة ، ولا يدين بالقدرة الا لله .. ولا يؤمن بالمعاجز ـ الا لمن جعل الكون اعظم معجزة له ، وسيّره بإرادته الخفية غير المنظورة .. ويحارب تقبيل الايدي ـ لاي كان ولا يريد لأي امرىء ان يحني رأسه الا لخالقه ، ولا ان يطأطيء هامته الا لمهندس الكون الاعظم ـ وهو الله جل وعلا .. وقد وقف الرجعيون حائلين بينه وبين تطبيق مبادئه الإصلاحية واداء رسالته التوجيهيه ، وتحقيق المثل السامية التي يهدف اليهـا .. فاضطر للاغـتراب ، واصطحب معه مكتبته التي كانت عامرة بأنفس الكتب ، وكل حوائجه ، او ما يلزمه منها في سفره الطويل ، وهجرته التي لم يكن يود العودة منها . وسافر الى الارجنتـين . وحينما وصل الى مرفأ بونس ايرس منعته السلطات من دخول البلاد بحجة نقص في معاملتـه . واعيد على نفس الباخرة ، وكان احد اقربائه المخلصين ـ السيد محمد يونس عبد الرحيم رحمه الله ـ قد علم بأمره فركب زورقاً بخارياً حتى صار بمحاذاة الباخرة ، والقى اليـه بكيس يحوي بعض الليرات الذهبية . ورآه احد البحارة .. فتعهد له بانزاله في البرازيل . ولما رست الباخرة في مرفأ ريو دي جانيرو البسه البحار ثوب بحار آخر .. ونزلا معاً الى المرفأ بصفتهما بحارين .. ولما صارا على اليابسة اخذ منه كل النقود التي كان يحملها ، مهدداً اياه باعطاء

---

(١) الاستاذ غانم ياسين أول من لبس البنطلون في بيئته ، وأول من لبس الطربوش بدون ذيل ـ اي شرابة ـ وأول من استعمل على مائدته الشوكة والسكين . وفرض على كل من يواكله ان يأكل بصحن خاص وأن يتناول من الوعاء الكبير بملعقة خاصة . وكان ذلك في نظر الرجعيين خروجاً على المألوف وبالتالي كفراً صريحاً بالتقاليد ، وكفراً صريحاً بالله . وهو ابن شيخ كان من أجل شيوخ المسلمين العلويين وأكثرهم نفوذاً وأعلام مكانة . ولم تستطع مكانة والده الضخمة أن تحجب عنه حملات الرجعيين والمغرضين وربما استطاع هؤلاء ان يشركوا والده الجليل ببعض هذه الحملات ضد ابنه المصلح .

خبر عنه الى السلطات الرسمية اذا مانع .. وتركه « القرصان » على اليابسة وهو لا يملك درهماً واحداً ، ولا يحمل تأشيرة دخول للبرازيل ، وعاد القرصان الى باخرته .

وللقارىء الكريم ان يتصور حال هذا المغترب بعد ذلك ـ وهو لا يحمل في جيبه مالا ولا يعرف كلمة من لغة اهل البلاد .

ولكن القدر لم يتخل عنه .. فقد التقى مصادفة بأحد المغتربين الـــذين يعرفون شيئـــاً عن وجاهة اسرته ومكانتها .. فساعده على الهرب الى الارجنتين عن طريق البر .. وصار بعدئذ من اعلام الادب العربي في تلك البلاد ... وكلف بتدريس الادب العربي في جامعة سانتافة (١) .

وكان معه على ظهر الباخرة مغترب آخر هو السيد غانم علي الجردي ـ وقـــد منع من دخول الارجنتين لنفس السبب . وحينما وصلت البـــاخرة الى مرفـــأ « سانتوس » ـ في البرازيل ـ تسلل مع البحارة الى اليابسة ، وداهمه رجال الشرطة في الفندق ، فحملوه من سريره ، وعادوا به الى الباخرة ، فغافل الحراس والقى بنفسه في البحر . وكان يجيد السباحة ونجا باعجوبة .. ولم يذهب الى الفندق ، بل قضى ليلته في احدى الحدائق العامة ، وهو الآن من اصحاب الملايين .

ولكل واحد من المغتربين القدامى ، قصة ، حينما يرويها لك ، يستثير عاطفتك ، وكامن شعورك ، بينما يبتسم ، وهو يشكر الله ويحمده على حسن العاقبة والمصير (٢) ..

وكانت اكثر البواخر صغيرة الحجم ، بطيئة السير ، وقد اصطلحوا في ذلك العهد على تسميتها « دوارة » اذ انها كثيراً ما كانت تعود الى مرفأ غادرته منذ ايام .

---

(١) في رحلتي الاولى الى المهجر سنة ١٩٤٨ استطعت أن أقنع الاستاذ غانم باسين بالعودة الى الوطن وأن أحمله على ذلك حملا ، وقد صفى أعماله التجارية بسرعة وعاد معي سنئتئذ ، وهو الآن يقيم في مدينة صافيتا حيث عين عضواً لبلديتها وما يزال يتابع رسالته الاصلاحية بجرأة وجدية وإخلاص وإيمان .

(٢) من المغتربين الذين مرت بهم حوادث مفجعة كهذه السيد توفيق حبيب الحسن من قرية طريظ تلكلخ وأسرته الكريمة تقيم الآن في حمص ويقيم هو في جمهورية كولومبيا يتابع أعماله الواسعة وتجارته الموفقة وقـــد حدثنا في إحدى زياراته للوطن انه في اليوم الأول لوصوله الى المهجر أعطى أحدهم في الفندق الذي حـــل به شكاً كان يحمله ليصرفه له فذهب الرجل بالشك ولم يعد ولم يكن في جيب هذا المغترب الكريم أي مبلغ آخر ولكنه ظل يكافح وينافح ويناضل حتى أنعم الله عليه بما يستحق من وجاهة مادية ومعنوية ومركز محترم مرموق ونجله السيد منصور الحسن قد انتخب عضواً في مجلس النواب عن منطقة تلكلخ

فلا عجب اذا كانت رحلتها تستغرق بضعة اشهر ـ نظراً لبطئها وكثرة دورانها ، وترددها على المرافىء .

ولم يكن البطء وحده هو المأساة والمشكلة .. وانما كانتا من ضيق الباخرة ، وفقدان وسائل الراحة فيها ، وتعرض المسافرين لأشد انواع الاخطار والمهالك .. فإذا ما صعدوا الى السطح تعرضوا للحر او للقر ، وكوتهم الشمس بنارها اللاهبة ، او لسعتهم الريح بجامح تيارها ، ونافذ إبرها ، او هطل عليهم المطر فيذيقهم سوء العذاب . واذا هبطوا الى الاعماق كادوا يختنقون ..

وكان سوء المعاملة التي يلاقونها من اولئك البحارة الجهلة ، الذين لا ضمير لاكثرهم ولا اخلاق ، يضاعف من عذابهم النفسي والجسمي ،ويجعل في اتون حياتهم لاهب من السغب والمشقة واذا ما اضطروا الى الشكوى ، والتظاهر بعدم الرضى ، او تجمعوا للاعراب عن سخطهم واستنكارهم ، يعمد البحارة الى انابيب الماء الساخن يسلطونها عليهم ، بدون رحمة او شفقة او وازع (١) .

وحينما كانوا يصلون الى احد الموانىء الأوروبية ـ جنوا او مرسيليا او نابولي ـ يضطرون للاقامة فيها اسابيع طويلة ، ريثما ترد بواخر اخرى تنقلهم الى العالم الجديد .. لان البواخر التي كانت تجوب البحر الابيض المتوسط ، كانت من الصغر بحيث لا تجرؤ على الإبحار في المحيطات ، او لا تستطيعها . فكانوا يضطرون للبقاء في الفنادق الزرية ، حتى ينفد منهم آخر غرش في جيوبهم ، ولا يعلم غير الله ماذا كان يحل بعد ذلك ... وبعضهم كان يبرق الى اهله فيسارعون الى انجاده بما يتيسر لهم ... والبعض الآخر كان يشتغل عاملا في احد البيوت حتى يؤمن غذاءه ، الى ان يستطيع متابعة السفر ..

وكانوا حينما يصلون الى العالم الجديد يلفتون الانظار بملابسهم المستهجنة ، وهيئاتهم الغريبة .. ويفرون من نظرات الناس ، الى بعض المخازن التجارية التي تبيع الملابس المستعملة او تؤجرها .. وكلما تمكنوا من ادخار شيء من عملهم اليومي يدفعونه الى اصحاب تلك المخازن ، او الى الناس الطيبين الذين استدانوها لهم .

وكانت تعترضهم بعد ذلك عقبة اخرى .. وهي عقبة الاسم ، اذ كان لا بد لهم من ان يحملوا اسماء اجنبية تتفق مع اسماء اهل البلاد او تشابهها .. وبعضهم كان يصر على الاحتفاظ باسمه اوكنيته ، وبعضهم كان أسرع الى التخلي عنها ـ ليكون اسرع باكتساب

(١) راجع كتاب الاستاذ توفيق ضعون : اعترافات

ثقة اهل البلاد ، وبإيجاد عمل له فيها ... وكانت خطيئة اولئك الذين زينوا لهم ذلك ، وشجعوهم عليه ..

وهكذا كان يصبح « حبيب » مثلا : « ابيليو » ! وعيسى : « سلفادور » ! وحنا : « جواون » : (١) ولم تقتصر الترجمة على « الأعلام » بل تعدتها الى « الكنى » . فصار حبيب الحداد مثلا : « ابيليو فريرو » ! وعيسى زيتون : « سلفادور اوليفابرا » وحنا ديب : « جواون لوبو » (٢) .

وكثيراً ما كان ابناء الريف يحجمون عن تغيير اسمائهم ، ويحافظون عليها .. وهذا ما جنبهم الملابسات الكثيرة ، التي رافقتهم بعد ذلك ، والصعوبات المتعددة التي كانت تعترض سبيل من غيّر اسمه حينما يضطر لإجراء معاملة رسمية ، ويكون الإسم الجديد مختلفاً مع الاسم الوارد في هويته ، او سجله في الوطن ..

ان من الصعب ان يستطيع ، اي كان ، الإلمام بكل دقائق الهجرة ، والمراحل التي مر بها المغتربون ، في صفحات قليلة كهذه . وان مجلدات ضخمة لا تستطيع استيعاب القصص التي يرويها لك كل مغترب ، ولا الحوادث الغريبة التي مرت على اكثرهم .. والتي تركت جراحاً في قلوبهم ، وآثاراً في اجساد بعضهم .. حتى استطاعوا ان يركزوا كيانهم الضخم ويبنوا مراكزهم المنيعة ، ويضطروا الزمن نفسه ان يحني رأسه امام عبقريتهم الفذة وبطولتهم الخارقة ، وإقدامهم الجبار ..

تلك بعض شمائل العربي ، وخصائصه ، وميزاته ، تقرؤها جلية صريحة في حياة المغتربين

واكثر ما يلذ المغترب التحدث عنه ، ذكر المراحل القاسية التي مر بها قبل ان يثري ، وقبل ان يصبح شيئاً مذكوراً — على حد قول احدهم .. ولقد كنا نقضي الساعات الطوال في المهجر ، ونحن نستمع الى تلك القصص المؤلمة ، والذكريات المحزنة عن الايام الاوالي التي عاشها المغتربون — حين وصولهم الى مغتربهم .. وبينما كنا نشعر بالمرارة والاسى لتلك

---

(١) راجع كتاب الاستاذ توفيق ضعون : ذكرى الهجرة

(٢) يذكر الاستاذ جميل شوحي - وهو أديب معروف من حمص ويقيم في مدينة سنتياغو عاصمة تشيلي ، ومن أرباب التجارة الواسعة فيها - يقول في كتابه ذكرى مهاجر الذي نشره باللغة الاسبانية ان ذويه ومواطنيه عقدوا عدة جلسات ليختاروا له اسماً يسهل على أهل البلاد التلفظ به وبعد طول المناقشة والبحث والمداولات العديدة كما يذكر - تم الاتفاق على اسم بنديكتوتشوكي ، وهو الاسم الذي ما زال يعرف به حتى الآن ، ولم يستطع تغييره ، لأنه اشتهر به بين الخاصة والعامة !

الذكريات الأليمة التي يروونها لنا ، كنا نرى المغتربين سعداء وهم يستعرضونها ـ مبتهجين وهم يذكرونها ـ مغتبطين . وهم يتحدثون عنها .

وبعضهم كانت تجيش العاطفة في نفسه ، فتهطل دموعه ، ويضطر دموعنا للتهطال معه.

وفي حياة كل مغترب قصة مؤلمة ، ومأساة محزنة ، ورواية تشير الى الحياة القاسية الشاقة التي تعرض لها اكثرهم ـ والتي تركت في نفوسهم رواسب عميقـة ، وفي اجساد بعضهم آثاراً واضحة ـ كما المعنا ..

ولعل اقسى ما كان يؤذي المغتربين في كرامتهم ، ويسيء الى سمعتهم ، لقب «توركو» نسبة الى تركيا الذي ناضل المغتربون كثيراً ، حتى استطاعوا التخلص من هذا اللقب المهين يقول الشاعر القروي :

كن بينهم رجل الزمان　　تظل « توركو » محتقر

حتى العبيد السود قد　　سخروا بنا مع من سخر

ان حياة المغتربين في امريكا ، وقصص نضالهم وكفاحهم ، تظل ملحمة خالدة لبطولة خارقة ، وعزيمة صادقة ، وإقدام فريد .

ولعل هذا الفصل من التاريخ العربي ، الذي خطوه بعرق الجباه ، يعتبر من اروع الفصول واغناها بالحوادث المثيرة ، والمفاجآت الخطيرة .

المغتربون يحترفون التجارة

يستفاد مما تقدم ان الهجرة قد بدأت منذ حوالي مائة سنة ، وانها كانت فردية اول الامر ، ثم اصبحت جماعية بعد ثورة « احمد عرابي » في مصر . ثم بدأت بالتدفق في مطلع هذا القرن .

ومر معنا ان المغتربين الاول كانوا يتجرون ببعض الاشياء المقدسة ، يحملونها معهم من فلسطين ، ويستدرون العاطفة الدينية في نفوس المسيحيين المتدينين لبيعهم اياها . وان هذه التجارة قد استهوت اكثرهم فصاروا ينتقلون بالايقونات والتعاويذ التي يحملونها من بيت المقدس ، ويذهبون بها الى داخل البلاد . وكان اكثرهم يحمل معها بعض الاغراض البسيطة ، يعرضها للبيع ، ويكسب منها .

ولما راجت هذه التجارة ، وكثر المتجرون بهذه الاشياء ، ثم حينما اساء البعض استعمالها وصاروا يصنعونها في اوروبا وامريكا نفسها ، كسدت سوقها ، فاتجه المتجرون بها الى بيع الحوائج العادية ، والاغراض التي يسهل حملها والانتقال بها .

ومن هنا نشأت « الكشة » ، وحفزت الوافدين الجدد الى الاقتداء بمن تقدمهم ، والسير على غرارهم ، والعمل على منوالهم .

و « الكشة » هي صندوق يحمله التاجر على ظهره ، ويطوف به في الحارات ، وعلى البيوت . وهو يحوي اشياء عادية للبيع ، يستدينها من احد التجار الذي كان يشفق عليه فيسلفه اياها ، ويأتمنه على بيعها . وفي ختام جولته اليومية يعود اليه بما حصل عليه ، فيكمل له التاجر نواقص « الكشة » من الاغراض ، ويعطيه حصته من الربح ، ويزوده بنصائحه وتوجيهاته ــ وهكذا دواليك . .

وكانت الاشارات ، اول الامر ، سبيل المغترب لمخاطبة الناس . ثم يلتقط كلمة

من هنا وكلمة من هناك ، فيرطن بهما رطانة تستجلب له الشفقة حيناً ، والهزء والسخرية احياناً . . .

وبعد ان يثق التاجر بأمانة المغترب ، واستقامته (١) ونشاطه ، يعطيه مقداراً اكبر من البضاعة . فيطوف بها في القرى القريبة ، وهو يحمل على ظهره من خمسين الى ثمانين كيلو غراماً . . ولا يعلم غير الله مدى المشقة التي كان يتعرض لها ذلك المغامر من عداء الطبيعة وثورتها ، والوحوش وصولتها ، وعداء بعض الناس الذين لا تأخذهم رحمة ، ولا يغمر قلوبهم اشفاق (٢) .

وكثيراً ما كان التاجر ينتقل ببضاعته مع زبائنه الى اماكن قريبة من المدينة ، حيث يعرض بضاعته ، ويطوف بها مع حاملي (الكشات) في الاماكن القريبة ، ثم يعود واياهم في آخر النهار ليجروا الحساب على البيع ، ويتأهبوا لليوم التالي :

وكان التاجر وزبائنه هؤلاء يبيتون بعض ايام الاسبوع في ذلك المكان . وهذا ما حفز بعض المتجرين بالكشة الى السكنى في محطات القطر الحديدية ، يتخذونها مراكز لهم ، ينطلقون منها ، ويؤوبون اليها .

وحينما كانت حال بعضهم تسمح له بشراء راحلة يحمل عليها بضاعته ، ويطوف بها ، كان يعتبر ذلك من اسعد ايام حياته ، ومن بوادر اغداق النعم والخير عليه .

يقول الاستاذ (جورج صيدح) ، في كتابه (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية) ، انه ذهب لتهنئة احد اثرياء الجالية ببلوغه عامه السبعين . وكان يقيم في قصر فخم في مدينة كراكاس عاصمة فنزويلا . فسأله ان كان يشعر بسعادة الظافر الغانم في هذا اليوم . فأجابه الثري الكبير :

(ليس هذا اسعد يوم في حياتي . بل اسعد يوم في حياتي كان يوم احصيت ما في جيبي من الارباح ، بعد التجول بالكشة طوال ثلاث سنوات كاملة ، فبلغت ثلاثمائة ليرة استطعت ان اشتري بها حماراً احمل عليه صندوقي ، بدلا من ان احمله على كتفي ، واستطيع بواسطته التوغل الى مسافات بعيدة ، لا يصل اليها من يزاحمني على الرزق .

ومثله تاجر كبير في البرازيل خلّف تركة ضخمة . وكان كل ما يهدف اليه في هجرته

---

(١) كانت استقامة المغتربين وأمانتهم في طليعة أسباب نجاحهم ، وكانوا موضع الثقة من التجار الأجانب ، وهذا ما سهل عملهم ، ويسر سبلهم ، ومكنهم من التمركز والنجاح

(٢) راجع فصل الشعراء المغتربون والتجارة في مكان آخر من الكتاب

ان يجمع مالا ويعود الى قريته ليشتري (جملا) ويكاري به لحسابه ، بعد ان عمل اجيراً عند احد اصحاب الجمال .

وآخر من اصحاب الملايين كان يقول :(ان الاحديداب في ظهري والالتواء في كتفي هما نتيجة حمل (الكشة) الثقيلةمدة سنوات طويلة .

وان من البدهي بعد ان تمركز المغتربون ، وصار عندهم إلمام بلغة البلاد، واطلاع كاف على اوضاعها وعوائدها ، ان ينتقلوا من الاتجار بواسطة الكشة الى استئجارمخازن،وتعاطي البيع والشراء فيها .

ولما كان نجاح قسم كبير منهم متعذراً في المدن الكبيرة ، كانوا يعمدون الى السكنى في ضواحي هذه المدن . وبصورة خاصة في محطات القطر الحديدية التي كانت –وما تزال– واسطة النقل الرئيسية في سائر البلدان الامريكية.وبعد ان يواتيهم الحظ ، ويحالفهم التوفيق ينتقلون الى اواسط المدن حيث يتعاطون التجارة على نطاق اوسع ، ويمارسون الاعمال الحرة في مختلف المجالات .

وما تزال التجار هي العمل الاساسي ، والرئيسي لاكثر المغتربين .

الشعراء المغتربون والتجارة

لم يؤم الادباء ـ من كتاب وشعراء ـ ذلك المغترب النائي السحيق ، لتعاطي الأدب وحده ، والانصراف اليه انصرافاً كلياً ، وانما أموه كسائر المغتربين ، طلباً للحرية ، وسعياً وراء الحياة الهادئة ، والعيش الكريم الهنيء .

ومثلما لقي الآخرون من قسوة الأيام ، وعنت الدهر ، لقيت هذه الفئة الطيبة المختارة الكثير الكثير من مصاعب الحياة ومتاعبها ، ومشاقها ونوائبها ، وتعرضت للمواقف المحزنة، والمآسي المؤلمة ، التي تعرض لها اكثر المغتربين .

ولكن رهافة حس الشاعر والأديب ـ وهل الشاعر الا من صفوة الأدباء ـ جعلت هذه المآسي اكثر بروزاً في حياته ، وجعلته اكثر تبرماً بها ، وقلة احتمال لها . فضلاً عما للشعر من سهولة الانتقال والحفظ ، والاستشهاد به وترديده على ألسنة الناس .. وقد أبى حس الشاعرية الصادق ، الا ان يسجل انفعالات الشاعر وانطباعاته ، كأروع ملحمة من ملاحم النضال والكفاح ، وسنورد طرفاً مما قاله بعض الشعراء المغتربين في المحن والمآسي التي تعرضوا لها . يقول جورج صيدح في وصف المهاجر :

مل عيش السلم في ظل السلامه	فمشى للبحر يستوحي غرامه
ركب الأخطار فاستسهلها	مركباً، واجترف الموت امامه
من جهام السحب يستل الحيا	عاصراً بالكف اثداء الجهامه

ويعتبر البيت الأخير من اروع ما قيل في وصف السحب واستدرارها . جاعلا لها اثداء تعصر بالكف .. انه خيال الشاعر الوثاب ، ووثبته الرائعة المجنحة .

من رآه في المغازات رأى	اسداً يستنجز الغاب طعامه
وله اجنحـة النسر .. اذا	نفر الرزق ، واطراف النعامه
كيف يرتاح وتذكار الحمى	كلما اقعده الجهد اقامه ...

وتأبى عروبة الشاعر ، وايمانه بها ، الا ان تجعل لكل نصر فردي طابعاً عربياً . انــه الايمان ، وانها العقيدة :

كل نصر حازه دبّجه ... بسمات عربيات الوسامه
ورواها سيرة عن جده ... حفزت نفس المجلي بالكرامه

ويظهر ان الشاعر قد اطمع آله وذويه ، بمروءته واريحيته ، فتضاعف الحاحهم عليه — حتى اضطروه الى ان يقول :

يبعث المال سلاماً للحمى ... فالحمى يأبى بلا مال سلامه

ويردد الشاعر « صيدح » هذا القول في اكثر من قصيدة :

ولقد ينكره الاهل اذا ... لم تعرّفه بأهليه العطايا

وعلى كل فنحن لا نعرف الدافع الذي جدا بالشاعر الى هذا القول .. أهي النكتــة وصاحبنا معروف بخفة الدم ، وانبساط الروح ؟ ام انها تصوير الواقع او تصور له ، ام انها بعض خيالات الشاعر المجنحة ، ورواه الغريبة العجيبة ؟

ويشبه المهجر بالاندلس ، وهو تشبيه فيه من روعة الواقع وغناه ، ما يستأثر بالعاطفة ، ويطوح بها في مجالات القلق والخوف :

انها اندلس ثانيه ... كاد يستأثر فيها بالزعامه
قدرته فحبته وطناً ... وتناسى الوطن الام مقامه
رب احجار من الشرق انتفت ... اصبحت في حائط الغرب دعامه

انها حقيقة .. قد تكون موجعة مثلما هي مشرّفة ' ولكنها على كل حال ، حقيقــة ، وواقع اكيد ..

ويقول الشاعر « مسعود سماحة » ، وقد اصبح بعد حمل « الكشة » كولونيلا في الجيش الامريكي :

كم طويت القفار مشياً وحملي ... فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الأبواب غير مبال ... بكلال ، وقر فصل ، وحر ؟
كم توغلت في البراري وقلبي ... سابح مثل زورق في نهر ؟
كم تعرضت للعواصف حتى ... خلت ان الثلوج في القفر قبري؟
كم توسدت صخرة وذراعي ... تحت رأسي وخنجري فوق صدري

ان في هذه الابيات صورة ناطقة عن الصعوبات التي تعرض لها المغتربون ، والمتــاعب

التي قاسوها . وهي وحدها مرآة للحياة المريرة التي عانوها عند بدء اغترابهم ، وتصلح موضوعاً لرواية لن يعرض على الشاشة ما هو أشد اثارة منها .

ويصف « الشاعر القروي » حال المغتربين الاول ، كيف كانوا موضع الاستهانة والسخرية :

كن بينهم رجل الزمان ... تظل « توركو » محتقر !
حتى العبيد السود قد ... سخروا بنا مع من سخر

ولكنهم بعد المرحلة الاولى من الاغتراب ، وبعد ان بنوا جدار حياتهم الصامد ، بقوة عزيمتهم ، وصلابة ايمانهم ، اصبح اكثرهم من الأعلام ، وبعضهم من سادة البلاد ، وساستها الموجهين .

ويصور لنا الشاعر « الياس فرحات » تلك الأيام القاسية التي مر بها في بدء اغترابه ، والتي مر بمثلها اكثر المغتربين الرواد :

فنمسي وفي اجفاننا الشوق للكرى ... ونضحي وجمر السهد فينا يلهّب
ومأ كلنا مما نصيد .. وطالما ... طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة ... وطوراً تعاف الخيل مانحن نشرب
حياة مشقات ، ولكن بعدها ... عن الذل تصفو للابي ، وتعذب
لئن كان صعباً حملك المن والأذى ... فحملك منّ الناس لاشك اصعب

ولقد مضى الشاعر « فرحات » وهو من ارباب القريض المعدودين ورجال الفكر الموهوبين ، عشرين عاماً في التجوال ، على النحو الذي شرحه ، الى ان قيض له القدر مغترباً كريماً من رجال الصناعة ـ هو السيد « يوسف اليازجي » صاحب اليد الطولى في المشاريع الوطنية والانسانية ـ فاصطفاه وكيلا متجولا يعرض « مساطر » على التجار في داخل البلاد ويتقاضى على المبيع نسبة مئوية ترد عنه غائلة الحاجة ، وتضمن له دخلا يكفيه لأن يعيش حياة خيرة كريمة .

ولكن هذه الحياة الجديدة ، على ما بها من راحة بالنسبة للحياة الماضية ، فهي لم توفر للشاعر الهناءة التي يريدها ، والراحة التي يتطلبها .

وهو يصور بهذه الابيات حياته الجديدة ابلغ تصوير ، ويعبر عنها اجمل تعبير :

ومركبة للنقل راح يجرها ... حصانان : محمر هزيل ، واشهب
جلست الى حوذيها ، ووراءنا ... صناديق فيها ما يسر ويعجب

وراحت كـأن البر بحر نجاده ... واغواره امواجه ، وهي مركب
تبين وتخفى في الربى ، وحيالها ... فيحسبها الراؤون تطفو ، وترسب
وتدخل قلب الغاب ، والصبح مسفر ... فتحسب ان الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها ... فتسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى ... فتوشك من تلك الخلاعة تقلب

وكان « فرحات » قد استهل ايام هجرته الاولى بالتجارة البسيطة على غرار كافة المهاجرين الجدد . ولما أخفق في محاولته هذه عمل منضداً للحروف في احدى المطابع ، واشترك في ادارة تحرير بعض الصحف العربية في سان باولو . ثم عمد اخيراً الى تربية المواشي حيث اخفق فيها فلجأ الى حرفة التجول للبيع .

ويصور الشاعر فرحات فقره بهذين البيتين صورة دامية موجعة :

اني لأحمل ثقل الدهر منتصباً ... عالي الجبين والقى الدهر مبتسما
وليس فقري طفـلا عمره سنة ... لكنه توأمي ، لما نميت نما .. (١)

ومارس « الشاعر القروي » تعليم اللغة العربية والموسيقى عند بدء اغترابه . ثم انتقل الى التجوال في المناطق الداخلية ، يحمل مساطر لاحد المحلات التجارية (٢) ،

ولكن الحظ لم يكن رحيما به ، ولا مشفقاً عليه ، فقد جفاه وخانه ، وتبخرت احلامه ، وخابت آماله ، وحاول الاستقرار في العاصمة ، ولكن الاستقرار لم يتح للشاعر الذي ارتقى

---

(١) يذكرني هذا المعنى بقول أبي الطيب المتنبي :

أظمتني الدنيا ... فلما جئتها ... مستسقياً مطرت علي مصائبا

ويقول أحد الشعراء عن نفسه :

ولما لمست الرزق فانجد حبله ... ولم يصف لي من بحره العذب مشرب
خطبت الى الاعدام احدى بناته ... فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب
فأولدتها الحزن الشقي فما له ... على الأرض غيري والدحين ينسب
فلو تهت في البيداء والليل مسبل ... علي جناحيه لما لاح كوكب
ولو جاد إنسان علي بدرهم ... لرحت إلى رحلي وفي الكف عقرب
وإن أر خيراً في المنام فنازح ... وإن أر شراً فهو مني مقرب
أمامي من الحرمان جيش عرمرم ... ومنه ورائي جحفل حين أركب

(٢) كان « القروي ونظير زيتون » رفيقين في بعض رحلاتهما التجارية إلى الداخل . وكان كل منهما يمثل بيتاً تجارياً معروفاً . وخلال تلك السفرات الطويلة توطدت عرى الصداقة والود بين ركني الأدب المهجري توطيداً متيناً ، وما تزال .

في شعره الى اعلى مراتب الخلود ، بينما لم يرتق في دنيـــاه من شاعر متجول ، الى صاحب متجر مقيم .

وفي شعر « القروي » ما ينضح بالمرارة والأسى ، والخيبة واليأس :

حنانيك ربي ، حنانيك ربي   لقد قصمت ظهري القاصمه
بعيد المزار ، غريب الديار   وحيد ، وها انا في عاصمه
أيا رب فاتحتني هكذا ..   فهل لك ان تحسن الخاتمه

وقد احسن الله خاتمته فدعي لزيارة سورية على نفقة حكومتهـــا . وخصص له راتب شهري مدى الحياة . وهو ما يفتأ متنقلا بين بلديه سورية ولبنان ، يسكن فترة هنا ، وفترة هناك ، وهو موضع كل تقدير واعتبار .

ويقول « ايليا ابو ماضي » عن المغتربين انهم تائهون ، وضعفاء محقرون ! ولا يمكن ان يصف شاعر الحكمة والفلسفة نفسه ، واخوانه ، لولا ان تكون قدعصفت بنفسه عواصف من الألم لم يستطع دفعها ، ولا التغلب عليها .. ولولا ان يكون قد لقي من مرارة الحرمان ما لا يستطيع تحمله كشاعر ، وان كان يجدر ان يتحمله كمكافح مناضل . وهل الحيـــاة الا كفاح ونضال كما قال « بدوي الجبل » :

والعيش معناه الكفاح   فهالك من لم يكافح

يقول « ابو ماضي » عن المغتربين :

نحن في الأرض تائهون كأنا   قوم موسى في الليلة الليلاء
ضعفاء محقرون ... كأنا   من ظلام والناس من لألاء
واغتراب القوي عز وفخر   واغتراب الضعيف بدء الفناء(١)

وكان « ابو ماضي » قد شجع الهجرة حينما اقدم عليها . واستحث بقيـــة المواطنـــين

---

(١) مثل هذا المنى ورد في قصيدة الشاعر « حليم دموس » وعنوانها : « المهاجر » وقد ربـــح الجائزة الأولى من الحكومة اللبنانية :

بحياتي هاجر مغترب   غالب الدهر وقاسى غيره
كان في موطنه «معرفة»   وهو في الغربة أمسى «نكره»

★ ★ ★

... ومضى يضرب في آفاقهـــا   ولسان الدهر يروي خبره
وهو لا يـــدري أيقضي لهفاً   أم من الدرهم يقضي وطره
يلتقيه بين أشداق الردي   والردي ينشب فيه ظفره

على الاقتداء به ، واتهم المتخلفين منهم بالجمود ، ونعتهم بالحشرات — وهو مما يؤخذ عليه — رحمه الله .

لبنان لا تعذل بنيك فانهم ... ركبوا الى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة .. لكنهم ... خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
لما ولدتهم نسوراً حلّقوا .. ... لا يبتغون من العلا بالدون
والنسر لا يرضي السجون وان تكن ... ذهباً فكيف محابس من طين
والارض للحشرات تزحف فوقها ... والجو للبازيّ والشاهين

و « نسيب عريضة » الشاعر الانسان ، وكبير شعراء حمص في المهجر ، لا يتمالك وهو يسمع عن الجوع في بلاده ايام الحرب العالمية الاولى الا ان يقول — وهو يعبر عن عاطفته ام لا تجد ما تطعم به ابنها الجائع :

ظلام الليل قد جنا .. ... وبوق الهم قد رنّا
فنم يا طفل لا يهنا .. ... غني بات شبعانا (١)
ألا يا هم يكفينا ... لقد جفت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا ... اكلنا بعض بلوانا

هذه العاطفة الانسانية الصادقة تجدها في اكثر شعر المغتربين . وما ابيات « نسيب عريضة » (٢) هذه الا برهاناً لما كان يجيش في نفوسهم من عواطف واحاسيس ، نحو وطنهم الام .

والشاعر حينما كان يصور حياته ، هو ، كان يصور حياة المغتربين جميعاً ، لأن مجتمعهم واحد ، وواقعهم واحد ، وظروف حياتهم واحدة ، وحتى مشاعرهم الخاصة كانت تنسجم مع بعضها ، وتتلاقى الى حد بعيد .

والشاعر لسان امته ، والشعر مرآة حياتها :

والشاعر من نفس الرحمن مقتبس ... والشاعر الفذ بين الناس رحمن

---

(١) لقد بكى ذلك الأمير العربي حينما بلغه ما قال به ، وبقومه شاعر :

يبيتون في المأوى ملاء بطونهم ... وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

وقال : لقد كذب والله . سلوا جاراتنا إذا كنا كذلك ... وبقي في هم وحزن لهذه الوصمة حتى مات .

(٢) كان « نسيب عريضة » زوج اخت « عبد المسيح حداد » صاحب جريدة « السائح » التي كانت تصدر بنيويورك ، وعضو الرابطة القلمية الفعال . وقد توفي نسيب عريضة بدون أن ينجب أولاداً ولكنه كان يعتبر كل الأبناء أبناءه . يشعر نحوهم بعاطفة الأبوة قولا وعملا ، وفكراً ويداً .

والشاعر « ندره حداد » يقول ان الشعراء قد « شبعوا » ـ ولكنهم « شبعوا » جوعاً وهذا القول ارق معنى ، وابلغ دلالة من اي قول آخر :

وقفت مطايانا فليس لها ... جاد ، وليس بنافع زجر
لم يبق الا الشعر نسكبه ... خمراً الى ان ينتهي العمر
يا ويل اهل الشعر كم شبعوا ... جوعاًوكمسكروا ولا خمر(١)

ويعصف الالم بنفس (الشاعر القروي) ، وهو يشكو قسوة الاباء ، مثلما يشكو قسوة الحرمان ، اذ كان ضحية الاثنين معاً ، ويزفر زفرة حرى وهو يقول :

هل بينكم ياقوم من قاتل ... يزحزح الايام عن كاهلي
يقذف بي في درك اللج فلا ... يلفظني موج الى ساحل

ولا يعلم غير الله مدى الحرمة التي كانت تعتمل في نفس القروي ، ومدى اليأس الذي كان يهيمن عليها حتى قال هذا .. وحتى يرسل مثـل هذه الصرخة المـدمرة ، والزفرة المحرقة الموجعة .

واسمع أخاه « قيصراً » ـ الشاعر المدني ـ يصف ليلة العيد في بيته ، بهـذه الصورة المحزنة المؤثرة .

رأى بني صغار الحي قد غنموا ... في ليلة العيد أشياء وما غنما
فجاء يسأل مالا لست مالكـه ... ولو أتى طالباً روحي لما حرما
وعدته . وجفوني حشوها أرق ... وعداً تعلق في أجفانه حلما
لما رأت امه حالي ، وحالته ... مالت لناحية تذري الدموع دما

وهكذا لقي الكثيرون من الشعراء المغتربـين ما آذاهم وآلمهم ، وقـد سجّلوه آهات في شعرهم ، وزفرات في قصائدهم . ولا يستطيع ان يعبر عن الألم الا الذي قاسى مرارته ، واكتوى بها .. (٢)

---

(١) يذكرني هذا المعنى بقول الشاعر :

كم شبعنا من الكلام المقفى ... وسكرنا من الحديث الطلي

(٢) حينما أراد « أمين الريحاني » أن يكتب قصته المشهورة عن المجاعة صام ثلاثة أيام كاملة عن الطعام ، وهو يطوف على المطاعم ، ويجلس فيها ، يراقب الوافدين اليها .. ويتطلع إلى الذين يلتهمون الطعام بشراهة ، وهو جامد الحركة من شدة الجوع ، وعرف نفسية الجائع ، وعاش أيامه المضنية ، كتب تلك القصة الخـالدة التي تعتبر من أروع ما صور به كاتب حالة الجوع والجياع . وكان « الريحاني » يصدر يومئذ مجلة « الفنون » بنيويورك ...

وها هو الشاعر « نصر سمعان » الشاعر المحلّق في كل ميدان ادبي ، والمجلي في كل مضمار شعري ، وصاحب الديباجة الحلوة المشرقة ، والكلمة المشعة المنتقاة ، يحترف التجارة فيتنكر له الحظ ، ويعبس في وجهه ـ فيقول :

أسعى وراء الرزق مجتهداً — والدهر في الحرمان يجتهد
ما إن ذرفت الدمع في بلد — الا وحنّ لمدمعي بلد (١)

وضاق « حسني غراب » ذرعاً بمنة أحد الأغنياء عليه ، فأقفل متجره ، وآثر الكرامة على الغنى ، والحاجة الملحة على تحمل كلمات المن :

وان نفسي تأبى ان تمد يد — الى انتشالي ، وفيها اصبع لغني

ويصف « جورج صيدح » ، بأسلوبه السهل الممتنع . ذلك التاجر الخاسر ـ ويقصد نفسه ـ في قصيدة طويلة تنضح بالشكوى المرة ، مثلما تنضح بالعزة والترفع والإباء :

أظلم الناس من ظلم — بائساً تاه في الظلم
عاشر الجد بعدما — كان ناراً على علم
زاهراً كان نجمه — فهوى النجم وادلهم
نازحاً كل زاده . — عزة النفس والألم
صابراً ليس يشتكي — غير ما فيه من سقم
ما أزالت اباءه — عندما زالت النعم
لا تدينوه فهو من — هوة اليأس في حرم
دونكم ماله فلا — تذكروا عرضه بذم
واعذروها فريسة — هزلت يا ذوي النهم

ثم يتحدث عن نفسه بما يجب ان يتحدث عنه شاعر مرهف الاحساس ، مترف العاطفة رقيق الشعور . شاعر يعرف قدر نفسه ، وقدر قيمه ومثله ، وما يحمله من إرث في دمه ، وتراث في تاريخ امته :

شيمتي الفضل حيث لا — ينفع الفضل والشيم

---

(١) يذكرني هذا المعنى بقول ابي تمام :

كأن به شوقاً إلى كل جانب — من الأرض ، أوضعنا على كل جانب

وقد سمعت الدكتور « طه حسين » يقول ، في محاضرة ألقاها على مدرج الجامعة السورية بدمشق ، انه لم يقرأ في الشعر العربي كله بيتا أكثر شولا من هذا البيت ـ ويعني بيت أبي تمام .

ويأبى الا ان يضفي على محيطه صورة ألقِ الالم الروحي ظلاله القائمة عليها :

في محيط رجاله   كالضواري بلا ذمم
عيرتني ذئابه   انني كنت كالغنم
صرعتني وفاخرت   انها الخصم والحكم
فلها قطرها .. ولي   الله والواسع الخضم

وحينما التهمت النيران متجر الشاعر « محبوب الخوري بستاني » الذي كان يقيم في جمهورية المكسيك ، وكان من ابرز وانصع وجوه الادب فيها ، قال متحسراً متوجعاً :

حلم جميل من ذهب   ما زارني حتى ذهب
امسيت ذا نشب وقد   طلع الصباح ولا نشب

ويتطرق الى الايدي التي امتدت بنهم الى الاشياء التي سلمت من ألسنة النيران فنهبتها :

هجم السعير على المضارب   واللصوص على السلب
فوقفت أنظر ما الجحيم   وما الأبالس عن كثب

نجاح المغتربين

ان العربي ذكي بفطرته وسليقته . وقد شحذت الغربة من ذكائه ، فزادته حدة وتوقداً ، وعلمته التجارب ، ودربه الحرمان كيف يحتفظ بالقرش الابيض لليوم الاسود . وكيف يدرع بالصبر الجميل للوصول الى الغاية المنشودة .

وكانت المعجزة .

فإذا باولئك الذين قاسوا من متاعب الايام ، ومصاعب الزمان ، ما لا يستطيع تحمله سواهم ، يقفزون من أرصفة الشوارع الى البنايات الشامخة ، وينتقلون من الاحياء الفقيرة ، الى الاحياء التي تنتظمها حدائق ، ويخيل للداخل اليها انه قد اجتاز الارض الى الفردوس .

وتبدلت الحال .

وإذا بحامل «الكشة» التي احنت ظهره ، وادمت كتفه ، يحتشد حول بابه طلاب العمل، والباحثون عن سبيل لقمة العيش .

وامتلأت المدن والأرياف بأصحاب الأعمال الناجحة من المغتربين . فشيدوا المعامل ، وانشأوا المزارع ، وأسسوا الشركات والبنوك . وسيطروا في كثير من المدن على مجالات العمل والانتاج . حتى انك تمر بشارع واسع في مدينة « سان باولو » — وهي المدينة الصناعية الاولى في البرازيل ، بل وفي امريكا الجنوبية كلها — فلا تجد فيه متجراً لغير عربي . وذلك فضلا عن متاجر عربية كثيرة منتشرة في اكثر احياء المدينة .

يقول الاستاذ « توفيق ضعون » في كتابه « ذكرى الهجرة » انه زار مدينة في «تشيلي» تدعى « إليابل » ، وقد استلفت نظره شارعها الرئيسي الذي يخترقها من الشمال الى الجنوب وقد انتظمت المخازن العربية للفلسطينيين واللبنانيين على جانبيه ، ومن بين تلك المحال التجارية واحد كتب عليه باللغة الاسبانية هذه العبارة :

الشيطان المسكين

المحل التشيلاني الوحيد في هذا الشارع

ورغم انه يبدو في هذه الكتابة بعض الحسد والحنق والحقد ، فإن من الانصاف ان نقرر هنا حقيقة دامغة ــ وهي : ان الانسجام كان وما يزال تاماً بين أبناء الجالية العربية ، وابناء الجوالي الاخرى ، سكان البلاد الاول ، ما عدا الصهاينة المجرمين (١) .

وقلت : الجوالي الاخرى ــ لأن سكان امريكا كلهم من خارجها . فلا يستطيع احد ان يفاضل الآخر ، ولا ان يدعي بأنه احق منه ، او انه اكثر صلة بالدنيا الجديدة . لانهم كلهم مغتربون ، ولا ميزة لاحدهم على الآخر ، وليس للسبق اثر في التفضيل والتمييز ــ الا عند بعض ضعاف العقول .

وفي قوانين البلدان الامريكية تسامح ومساواة ، وعدالة حقة اكيدة ، فهي لا تفرق بين من يحمل جنسيتها ، ومن يظل محافظاً على جنسيته الاولى (٢) . بل ان بعض الجمهوريات الامريكية تسمح للاجنبي ان يرشح نفسه لعضوية المجالس البلدية ، متى مر على اقامته فيها سنوات معينة . وفي هذا منتهى التسامح والمساواة .

وكان لتساهل القوانين ورحابتها فضل كبير في نجاح المغتربين . وما حققوه من ثراء ضخم ، ومركز مرموق .

ومن الصعب ، بل يوشك ان يكون من المستحيل ــ ان توجد مدينة ، وحتى قرية كبيرة

---

(١) دستور الولايات المتحدة الأمريكية يجعل من كل من يقيم فيها مدة خمس سنوات مواطنا امريكيا ويفرض عليه جنسيتها بصورة آلية . وقد أقدمت حكومة الارجنتين في عهد الرئيس « بيرون » على تعديل الدستور ، بحيث تتيح لكل من يقيم في البلاد سنتين متواصلتين ان يطلب التجنس بجنسيتها . ويصبح ارجنتينيا كل من يقيم في البلاد خمس سنوات متواصلة . وقد سارت الحكومة الارجنتينية على غرار الولايات المتحدة الامريكية . ولكن اكثر الحكومات التي لها جوالي في الارجنتين قد احتجت على هذا التعديل ، واعتبرته ماسا بحرية الافراد ، والقوانين الدولية . واضطرت حكومة الارجنتين للتراجع ، وإلغاء هذا التعديل .

(٢) أول ما يعمد اليه اليهودي في كل بلاد يهاجر اليها هو السعي للحصول على جنسية تلك البلاد ، لكي يتذرع بها ، ويتخذ منها وسيلة لتمركزه ، وتكأة لاعماله ـ رغم أنه لا فرق ، كما أسلفنا ، في قوانين البلدان الامريكية بين من يحمل جنسيتها ، او يظل محافظا على جنسيته الاصلية . ولكن اليهود يخشون من تبدل الظروف ضدهم فيحبون ان يتستروا بجنسية البلاد التي يقيمون فيها ليصبحوا من أبنائها .

واليهودي يظل يهوديا اينما كان ، وكيفما كان ، وما اكثر الجوالي الاخرى فانهم سريعا ما يندمجون في مجتمعهم ، ويذوبون فيه ...

لا يوجد فيها مغترب او مغتربون . وكثير من البلدان الامريكية ـ تشيلي مثـلا ـ يسيطر المغتربون على حيز كبير من اقتصادها ولهم رأي مسموع ، وكلمة محترمة ، في توجيه سياسة البلاد الداخلية والخارجية .

وضرب المغتربون العرب بسهم وافر في الصناعة . وصناعتهم الاولى في تشيلي ، والثانية في البرازيل وهكذا دواليك .

واما في الارجنتين فقد اتجهوا الى التجارة والزراعة الغالبتين على اوجـه نشاطهم . وكذلك الحال في بقية جمهوريات امريكا الجنوبية والوسطى ، التي لا تخلو بلاد واحدة منها من صناعة عربية ناجحة ، ولكن التجارة هي الظافرة ، دائماً باهتمام المغتربـين ، واندفاع كثرتهم الساحقة نحوها .

والمغتربون ميالون الى الاعمال الفردية . وقليل منهم من اتجه الى تأسيس شركات عامة ذات منافع مشتركة ، واعمال جماعية .

ومما ساعد المغتربين على التمركز والنجاح صدق معاملتهم ، وحسن مسايرتهم ، وكرم ضيافتهم . وذلك الى جانب دأبهم وصبرهم ، وشدة احتمالهم قسوة الدهر ، ومتاعب الايام حتى اصبحوا من الركائز القوية لاقتصاد جمهوريات امريكا الجنوبية والوسطى .

ورغم النكبات المالية الكثيرة التي مرت على تلك البلدان ، وطوحت بعدد كبـير من المتمولين ، والشركات الرئيسية فيها ، فان مركز العرب لم يتزعزع ، وكيانهم الاقتصادي لم يتضعضع ، بل ظل متماسكاً متسانداً ، ولعل السبب في هذا يعود الى عدم رغبتهم بالمجازفة التي تهدد رأس المال .

ذلك أمر بدهي .. لان من جمع ثروته درهماً بعد درهم ، واقـام بنـاءه حجراً فوق حجر وخاط كساءه حلقة بعد اخرى ، يتردد الف مرة قبل ان يقدم على عمل قـد يبدد ما جمعه ، ويهدم ما بناه . وهو لم يجمعه ويَبْنِـه الا بعرق يد وجبـين ، وسهر وتعب وجوع (١) .

* * *

(١) لا شك ان هناك حوادث فردية ، وقد تكون كثيرة في بعض المدن ، ولكنها فردية على كل حال . كانت تقضي على ثروة المغترب ، وتعيده فقيراً كما كان . وليست هذه الحوادث وليدة مفاجآت تجارية وامور غير منتظرة ، الا ما ندر منها بل ان مردها اولا وآخراً الى تفشي القمار بين بعض أوساط الجالية . وهو عادة خبيثة قد تأصلت في نفوس بعض المغتربين ، وكان من ضحاياها الخطيب النابغة الدكتور حبيب اسطفان والمقامرة متعددة الأنواع لها في كل قطر امريكي لون وشكل . ومن ضحاياها أيضاً الشاعر الياس عبدالله طعمة من قرية

وانه لمن الصعب ، بل انه لمن المستحيل ، ان نستطيع نحن ، او سوانا ، احصـــاء ثروة الجالية العربية ، في اية جمهورية امريكية . ذلك فوق قدرتنا واستطاعتنـــا ، وفوق قدرة الحكومات المحلية واستطاعتها . بل فوق قدرة الجمعيات العربية نفسها ، في تلـــك البلـــدان .

ويكفي ان يعرف القارىء الكريم ان مغترباً واحداً يقيم في مدينة « سان باولو » ، هو الدكتور « جوزيف عبد الله » (١) ، يملك وقرينته الفاضلة وهي كريمة المرحوم « اسعـــد عبد الله حداد » عدة معامل للسكر ، ولصنع الورق ، وثلاثين مليون شجرة « ايوكالبتس» يصنع الورق من لبابها . وان القطار يسير مسافة عشرات الكيلومترات في املاكهما الشاسعة فضلا عن معامل النسيج المختلفة ، وسواها . وان ثروة هذا المغترب الكريم ، وقرينته المحترمة تقدر بحوالي الفي مليون ليرة برازيلية وقد تزيد .

وانه لمن العسير ، بل قد يكون من المستحيل ، احصاء ثروة « آل يافث » ، و « اسعد عبد الله » ، و « رزق الله جورج طحـــان » ، وألوف المغتربـــين الأثرياء الموزعـــين في البرازيل ، والارجنتين ، وتشيلي ، وكولومبيا ، وفنزويلا ، والمكسيك ، والولايات المتحدة الامريكية (٢) .

وقد اتجه بعض ابناء الجالية وجهة الاعمال الحكومية . فدخلوا ميدان التوظيف واقتحموه وجلوا في اكثر مرافقه العامة . ومنهم من احتل مراكز وزارية في الحكومات المركزيـــة ،

– قرن شهوان بلبنان . وهو الذي يقول :

الا رب ليل بالقمار قطعته ... فأصبحت منه فاقداً متفقدا
بديباجة خضراء بمت سعادتي ... ونمت على السوداء حيران موجدا
كتبت على قبر المقامر آيتي ... لقد عاش ملحوداً وقد مات ملحدا
دعوني انم في القبر نومة ماجد ... فيسكت هذا القلب او تسكت المدى

(١) لقد زار السيد جوزيف عبد الله وعقيلته المصونة دمشق على رأس وفد نيابي برازيلي ، كان اكثر اعضائه العشرين من أصل عربي . وكان ذلك سنة ١٩٥٥ وقد جرى لأعضاء الوفد استقبال حافل . ومنحوا أوسمة رفيعة . والدكتور جوزيف عبد الله مثال الخلق العالي ، والتهذيب الرفيع .

(٢) أخبرنا السيد فائق النحلاوي وكان أمين عام مجلس النواب ، انه زار مع أعضاء الوفـــد السوري الاتحاد البرلماني الدولي الذي عقد في « برازيليا » عاصمة البرازيل الجديدة ، مغتربـــاً سورياً يملـــك مزارع واسعة لتربية الأبقار . وحينما سألوه عن عدد الأبقار التي يملكها أجاب انه لا يعلم . ولكن يولد عنده كل يوم ما لا يقل عن مائة .. اي ان مجموع ما يولد عنده في السنة الواحدة ستة وثلاثين الفاً . وان مساحة مزرعته عشرة آلاف كيلومتر مربع – اي ما يوازي مساحة لبنان كلها . فتأمل .

والحكومات المحلية ، ومنهم من فاز بعضوية المجالس النيابية ، وهؤلاء كثيرون(١)وبمناصب حكام الولايات ، والمديرين العامين وو ... الخ (٢) .

وبعض ابناء الجالية قد اتجه نحو التعليم الفني والمهني . فحلّقوا ما شاء لهم التحليق ، وأبدعوا ما شاء لهم الابداع . ومنهم المهندسون المتفوقون ، والاطباء المجلون ، والمحامون اللامعون ، والكتاب الناجحون ، والسياسيون المحترفون ، والقادة الظافرون (٣) .

وان العوامل التي ادت الى نجاح المغتربين تتركز كلها حول مثلهم العليا ،وقيمهم الرفيعة وترجع الى المزايا الصافية التي ورثوها ، فكانت خير حافز لهم للتفوق ، وخير عامل على التغلغل في تلك الأوساط الغريبة ، والبروز فيها .

وفي طليعة الأسباب التي ادت الى نجاحهم هذه الشمائل الرفيعة ، والمزايا الكريمة القوية :

١ – الكرم : وهو من المزايا الاصيلة في نفوس العرب ، وله اثر كبير في تمكينهم من اقتحام الموانع ، واكتساب الصداقات ، وفتح مختلف المجالات .

٢ – المروءة : فالعربي ذو نخوة وحمية واريحية . مما جعله موضع الثقة والاعتماد على نجدته وشهامته .

٣ – الصدق في المعاملة : والمغتربون كانوا دائماً ، وما يزالون ، حريصين على سمعتهم ،

---

(١) زار سورية سنة ١٩٥٠ الدكتور الفريدو فرحات نائب سان باولو وهو يحمل رسالة من مجلس النواب البرازيلي الى مجلس نواب سورية . وقد القى الرسالة من على منصة البرلمان ، والقيت كلمات ترحيب عديدة به ، وفي كل سنة يعاود الزيارة الى سورية ومعه حيناً رئيس مجلس الشيوخ ، وحيناً رئيس مجلس النواب ، او قائد الجيش ، او عميد جامعة او او . وهكذا دواليك . وهي حركة مباركة ونشاط منتج مثمر .

(٢) أخبرنا أعضاء الوفد البرلماني السوري لمؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي انه يوجد في البرازيل الآن ١٨ نائباً في مجلس الاتحاد البرلماني . و ٨ من أصل ٢٢ من حكام الولايات المنتخبين ، فضلا عن مئات النواب المحلفين في حكومات الولايات ، وعن عدد من الوزراء في الحكومات المحلية والمركزية وكلهم من أصل عربي .

(٣) سفير الأرجنتين السابق في سورية اللواء « آمادوابرام » كان قائد الطيران في الارجنتين ثم عين وزيراً للطيران الحربي ، وهو أول رجل في الجمهورية الفضية يجمع بين القيادة والوزارة . ولم يستطع قادة القواد الاخري ان يزيحوا رئيس الجمهورية (فرونديزي) عن سدة الرئاسة الا بعد إقناع السيد ابراهيم بقبول منصب سفير في وطن والده سورية وبعد أن وصل السفير إلى سورية حصل الانقلاب على الرئيس فروندیزي ووالد السفير من ناحية حويده في منطقة تلكلخ . وهو من ألمع ضباط الجيش الأرجنتيني .

واداء واجباتهم كاملة ، نحو مدينتهم . ومن النادر ان يتهرب تاجر عربي من الدفع ، او ان يعمد الى الافلاس المصطنع ، والاختلاس ، ومرة اخرى : لا عبرة للشذوذ بالقاعدة ، ولا للنبو بالسياق ، وخطيئة فرد لا تصم شعباً ولا امة .

٤ ـ الوفاء : وهو من الخلائق الاساسية لتربية الشخصية ، وايجاد ركائز لهـا في كل بيئة ومحيط .

٥ ـ الشجاعة : وهي صفة لا بد منها لكل من يلج مجتمعاً غريباً ، ووسطاً جديداً ، لم تكن تربطه به صلة ، ولا يجمعه به سبب . ومن يجبن عن الإقدام يتخلف ويبق مكانـه ، بينما الآخرون يتقدمون ، وهم في تقدمهم لا ينتظرون متخلفاً ولا يرحمون متوانياً ، ولا يشفقون على متماهل او متكاسل او قعود .

٦ ـ الصبر وقوة الاحتمال : وهما يعتبران في طليعة المزايا التي انجحت المغترب وهيأت له اسباب النصر والظفر .

٧ ـ التعاون : وهو ما لانستطيع ان نسقطه من الحساب . لأن المغترب كان يعتمد على معونة مواطنيه ، ومساعدتهم اياه . وهذا التعاون الخير كان سبباً في اغتراب الكثـيرين ، وانجاح الكثيرين .

٨ ـ الاعتراف بالأمر الواقع . اذ اضطر كثيرون من المغتربين الرواد ان يحملوا الكشة ويرتادوا المجاهل في سبيل الحصول على كسب ، (١) وبعضهم في سبيل الحصول على لقمة العيش . ولم يترفعوا عن عمل لا مجال لهم للحصول على سواه .

٩ ـ المثابرة : وقد اتاحت للمغتربين التحكم بالظروف ، والتغلب على العقبات . ومكنتهم من اصطياد كثير من الفرص ، واغتنام المناسبات ، واقتناص السانحات .

١٠ ـ التهذيب : وهو من الصفات البارزة في المغتربين ، والكامنة في جوهر كل منهم تطل عليك في حركاتهم وسكناتهم ، واعمالهم وتصرفاتهم . وللباقة المغتربين وتهذيبهم ، فضل كبير فيما حققوه من ظفر ، وحصلوا عليه من نجاح .

---

(١) السيد محمد أبو الخير الفرا – من أسرة تعتبر بحق من أعرق الأسر في دمشق – ووالده كان رئيس بلديتها . ويوجد في بيته المقعد الأثري الذي توج عليه الملك فيصل ملكاً على سورية . وقد نزح الى امريكا مع قافلة من النازحين ، ولم يحل نبل اسرته ، ولا كرم منشئه عن تعاطي التجارة مع المتجرين في الأرياف القصية وهو يحدثك عن هذا كله ، وعما لقيه من متاعب ومصاعب بمنتهى الاعتزاز واللذة .. حتى جمع ثروة عاد ببعضها الى بلده سورية ينفق منها على أعمال الخير والإحسان ، ويجعل من بيته ومركزه ، وجيبه وقلبه ، خير سفير للمغتربين ، وخير عامل من أجل إسعادهم واستقبالهم . والدفاع عن حقوقهم ، والبذل في سبيلهم . ان « محمد أبو الخير الفرا » خير قدوة يقتدى به وخير مثال يعطى عن المغتربين وكرمهم ومروءتهم ووطنيتهم .

وإذا كان بعض المغتربين يظهرون شيئاً من قسوة المعاملة والخطاب مع بعضهم ، فانهم مع الاجانب على النقيض من ذلك تماماً . اذ انهم مثال الأدب والرقة ، واللياقة واللباقة ، وهذه المعاملة المهذبة المستقيمة الصادقة عززت قيمتهم ، ورفعت سويتهم ، وحفظت لهم مركزهم ومكانتهم .

ان التهذيب واجب مع الجميع . ولكنه مع الغريب افضل منه مع القريب .

وان ما يطلب منك ان تفعله مع اجنبي لا تعرفه ، غير ما يطلب منك ان تفعله مع واحد من اخوانك او اقرانك .

ولا يعرف مدى خلق المرء ، ومدى تهذيبه ، الا بمعاملته لمن هم دونه ، او من ليس له حاجة اليهم .

وخلاصة القول .. ان نجاح المغتربين العرب ، في مغتربهم ، يعود قبـــل كل شيء الى شمائلهم الصافية ، ومبادئهم السامية ، وخلائقهم النبيلة ، والى هذه القوى الروحية الكامنة في نفوسهم ، والتي تزخر بها شخصياتهم ، وتنتظر الفرصة لتطل وتشع ..

المآدب والحفلات

بعد ان تمركز المغتربون ، واستقروا في اماكن معينة ، يتجرون فيها ، او يتجرون منها ، شرعوا بتعزيز صلاتهم وتوثيقها مع ابناء البلاد ، وعمدوا الى إقامة المآدب لهم ،والحفلات للبارزين منهم .

والكرم اصيل في نفس العربي ، ومزية من اعرق مزاياه ، وهو من اقوى الركائز التي تنهض عليها شمائله وخلائقه ، وتنطلق منها شخصيته وكيانه .

وقد اشتهر المطبخ العربي في المهجر شهرة واسعة ، حتى ان الاجانب يرحبون بالدعوات التي يتلقونها من ابناء الجالية العربية ، ويشرعون الى تلبيتها بتهافت بيّن .. بل ان بعضهم يدعو نفسه الى بيوت اصدقائه العرب .. ويطلب « الكبة » ، « والمحشى » ، وغيرهما من المآكل العربية الشهية .

وفي بيت المرحوم « جورج سابا » ـ وجيه الجالية الاول في عاصمة البرازيل السابقة ريودي جانيرو ـ صور عديدة لرئيس جمهورية البرازيل « جيتوليو فارغاس » (١) وهو

---

(١) كان (جيتوليو فارغاس) دكتاتوراً بدمه وسليقته ، يحب السيطرة المطلقة عن سبيل مشروع اوغير مشروع . وقد حكم البرازيل بضعة عشر عاماً حكما مباشراً مطلقا ، وحينما عادت الديمقراطية لتوجيه دفة الحكم واعيد انتخابه لرئاسة الجمهورية لم يستطع تجنيب فوضى كانت قد استشرت فيها بسبب عدم انسجامه مع الاتجاه الجديد . فانتحر في مكتبه حين قام الجيش بانقلاب جديد عليه .

كان (فارغاس) ذا مزاج غريب ، وعقلية صلبة ، ورغم طموحه وعنفوانه ، واعتداده بنفسه ، فقد كان يبدو كأنه حاكم ولاية في (الولايات المتحدة الأمريكية) لا رئيس دولة مستقلة غنية . وفي عهده اطلق النقد السياسيون على البرازيل لقب (الولايات المتحدة البرازيلية) ، ولا ينكر انه قد حقق مكاسب كثيرة للعمال البرازيليين ، لأنهم كانوا النواة الشعبية الضخمة التي يرتكز عليها ، وهم الذين أعادوا انتخابه بأكثرية ساحقة ضد مرشح الجيش .

ملاحظة : بعد أن اطلع أديبنا الكبير الاستاذ نظير زيتون على مسودة هذا الكتاب ، حيث تلطف مشكوراً ، وكتب مقدمته الرائعة ، وأبدى ملاحظات قيمة ، وآراء سديدة باصلاح بعض الوقائع ، أبدى

يلتهم الكبة بشهية ملحوظة .

وكان ذلك الرئيس الراحل يتصل ، بين آونة واخرى ، بالمرحوم « جورج سابا » ويطلب منه تهيئة غداء عربي له ، في بيته ، او ان يزوده بأطباق الكبة الى مزرعته التي كانت تبعد الف ميل ونيف ، عن مدينة « ريودي جانيرو » .

وكان من المنتظر ان يترك هذا التهافت على صداقة رجل عربي أثراً في نفس الرئيس « فارغاس » ينعكس على بعض مواقفه من قضايانا القومية ، ومن الجالية العربية في ذلك المغترب السحيق .

ولكن ضغط السياسة الامريكية ، وتأثير الرئيس البرازيلي فيها ، جعل مندوب البرازيل في الامم المتحدة يقف الى جانب اسرائيل ، ويوافق على قرار تقسيم فلسطين .

* * *

ولقد حدت شهرة الطعام العربي ببعض ابناء الجالية الى افتتاح مطاعم عربية في المدن التي يقيمون فيها . حيث يصنعون الطعام العربي الصرف ، ويقدمونه لزبائنهم (١) ، من عرب واجانب . وما برح الاجانب يتهافتون على هذه المطاعم ويتسابقون لالتهام اصنافها الشهية .

رأيا معاكسا لما قلناه عن الرئيس فارغاس ، وقال ان سياسته كانت تقوم على أساس (برزلة البرازيل) اي جعل البرازيل للبرازيليين . وانه كان صديقاً حميا للسوريين واللبنانيين . وانه اختار لقيادة طائرته الخاصة ضابطا عربيا وهو الضابط الطيار (ايناسيوليولا) نجل الاستاذ ناصيف ضاهر صاحب جريدة (البريد) التي كانت تصدر يومئذ في البرازيل .

ونحن لا نشك بدقة معلومات الاستاذ نظير ، لأنه كان قريبا من الأحداث البرازيلية ، ويعيش في صميمها بقلبه وقلمه ، وإحساسه القوي المرهف ، ونحن قد استقينا هذه المعلومات من كتاب (مهمة في قارة) للكاتب المجاهد (أكرم زعيتر) ، ومن كتاب آخرين ، ومن بعض رجالات الجالية في البرازيل .

ونلفت النظر أيضا الى ان البرازيل قد وافقت على تقسيم فلسطين في عهد جيتوليو فارغاس وأقامت تبادلا سياسيا مع اسرائيل في عهد الرئيس المذكور .

(١) زرنا أحد هذه المطاعم في مدينة سان باولو ، وكان يدعى (المطعم العربي) اصاحبه الوجيه المعروف السيد (ابو الهدى الجندي) ، صاحب المواقف المشرفة في خدمة القضايا العربية ، وكل نهضة اجتماعية في البلاد التي يقيم فيها ، وكان كرم السيد أبو الهدى في مطعمه ذاك مثالا للكرم العربي الأصيل ، وقد كان يعمل في مطعمه للدعاية العربية أكثر مما كان يعمل للاتجار . وكنا نرى الأجانب يتهافتون عليه تهافت العرب أنفسهم ، وباب ذلك المطعم مفتوح لكل زائر عربي مثل قلب صاحبه الطيب النبيل .

يقول الاستاذ « توفيق ضعون » في كتابه « اعترافات » :

« ان صحفياً عربياً رأى بعد صدور المرسوم الذي قضى بوقف جريدته ، كسواها من الصحف الاجنبية ، ان ينصرف عن تغذية العقول الى تغذية البطون . فخطر له ان يصنع « الكبة » اقراصاً يبيعها من اصحاب الحانات ، او علفات سريعة يبيعونها من زبنهم بربح كبير . واستعان بزوجته فكانت خير معوان له ، ويصبح يكسب من وراء تغذية البطون اكثر مما كان يكسب من وراء تغذية العقول » .

ثم يقول :

اما اقبال الاجانب على الفطائر المالحة ، كالتي تصنع باللحم ، اوالجبن ، او الزعتر ، والحلوى التي تحشى بالجبن والقشدة والمكسرات الاجنبية والوطنية ، والحلويات على اختلاف انواعها واشكالها : كالبقلاوة ، والكنافة ، والمعمول ، وراحة الحلقوم ، والحلاوة الجزرية والطحينية ، فقد كان هذا الاقبال كبيراً الى حد اغنى « الحلوانيين » ، اي بائعي الحلوى ، وجلهم من الحمصيين الذين بلغ من نجاح بعضهم انهم انصرفوا عن تغذية الجسوم الى كسائها بالحرير ، فولجوا مضمار هذه الصناعة غير هيابين ولا وجلين ، لاستنادهم الى رأس مال يكمل فيضه نقص خبرتهم ، وكانوا من المفلحين » اه .

والمآدب التي كان يقيمها المغتربون في بيوتهم ، والحفلات التي كانوا يختلفون اليها ، قد نمّت بينهم روح التعاون ، ودفعتهم لتأليف جمعيات ، وتأسيس اندية ، وايجاد روابط مختلفة فيما بينهم .

وكثيراً ما كان ينبثق عن تلك الحفلات والاجتماعات فكرة تعاون مثمر ، او تكتل ذي فائدة للجالية او المشتركين به .

والذي يشين ذلك ، او يضعف من فائدته المعنوية ، ويقلل من اثره العملي ، انه كثيراً ما كان يصطبغ بصبغة طائفية ، او اقليمية ، او عائلية ، ويقصر التعاون عليها . وكان هذا يفت في عضد المصلحين ، ويقلل من الاهمية التي كانوا يعلقونها على وحدة صف الجالية ، والتفافها حول مثلها ، واتفاق كلمتها حول اهدافها .

وكان من حسنات تلك الحفلات ، وفوائدها الجلى ، انها حفزت الشعراء المهجريين ، والكتاب ، على الانتاج والنشر ، وكانت تتيح لهم الفرص والمناسبات لان يغردوا وينشروا

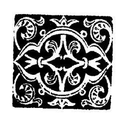
آراءهم وافكارهم ، ويدلوا بها حول احداث الساعة .

واستفاد الوطن من ذلك كله .. اذ ان الشعراء كانوا يلهبون حماسة الجالية ويستفزونها ويستثيرونها لنصرة الوطن الام ، حينما يعرضون المآسي التي يتعرض لها ، ويعالجون قضاياه القومية بأقلام مرهفة ، وشاعرية مترفة ، وشعر ثوري لاهب .

وسنفرد للشعر الوطني في المهجر فصلا خاصاً .

واحب ان اختتم هذا الفصل ببيت من الشعر ، للشاعر الكبير المبدع جورج صيدح ، من قصيدة طويلة القاها في احدى الحفلات التكريمية التي اقامتها الجالية العربية الكريمة في مدينة بونس ايرس عاصمة الارجنتين سنة ١٩٤٨ :

« اذا أدب الأديب شحذت اذني   وان ادب الكريم شحذت نابي »



تقدير الأجانب للمغتربين

لا يوجد مجلس نيابي ، في جمهوريات امريكا الجنوبية والوسطى ، الا ويوجد في سجلاته قرار شكر من شعب تلك البلاد ، للجالية العربية التي تقيم فيها ..

ذلك لأن العرب – كما قلنا – سريعو النجدة ، يبادرون لمساعدة أبناء البلاد التي يقيمون فيها كلما دعت الحاجة الى ذلك .. ويعربون عن عواطفهم تجاههم ، وتجاه حكومتهم ، في المواقف التي تتطلب معونة ، ويظهرون من المروءة والاريحية ما هو معروف عنهم ، وخليق بهم .. فهم يهبون بسرعة للنجدة ، في كل ملمة وكارثة ، ويشكلون اللجان ، ويجمعون التبرعات ، ويشتركون بأعمال المواساة ، ويعربون عن مشاعرهم في شتى المناسبات والمجالات ..

وقد تقدم اثنان وعشرون نائباً برازيلياً – في ولاية سان باولو – باقتراح لمجلس النواب في ٣ كانون الاول سنة ١٩١٧ لاتخاذ قرار بشكر السوريين (١) على موقفهم من البرازيل. هذا نصه :

١ – نظراً الى ما ابدته الجالية السورية من العطف على البرازيل ، دون ان تكون لها مصلحة مباشرة في الحرب الدائرة إذ ذاك .. وإعرابها عن ذلك العطف الجميل ، بمظاهر التضامن التي وجدت صداها المستحب في قلب كل برازيلي يخفق بحب الوطن .. ولم يقف هذا المجموع الاجنبي النشيط عند هذا الحد ، بل تعداه باندفاع ذاتي غير منتظر للتبرع بمبلغ طائل لجمعية الصليب الاحمر البرازيلي .

٢ – ان هذه الجالية العاملة النشيطة من سنين طويلة ، في سبيل ترقية البرازيل ، قد أبرقت الى رئيس الجمهورية مبدية تضامنها وشعورها النبيل نحو بلادنا ، واستعدادها

---

(١) كانت الجالية العربية يومئذ يطلق عليها اسم (الجالية السورية) وكانت هذه التسمية تشمل كل المغتربين من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين .

لنصرتها ، بكل ما لديها من الوسائل . فهي اذن عنصر حيوي يرجى في الملمات ، ويعول عليه في مضمار التآخي الإنساني ، في زمن نحن أحوج مانكون فيه الى تمحيص النيات،والتمييز بين صحيحها وفاسدها .

٣ ــ ان افرادها ، وقد ولدوا في بلاد قصية ، اتوا الآن يقيمون لنا الدليــل ، بالقول والفعل ، على انضمامهم الى صفوفنا ، وتأييدهم قضيتنا كوطنيــين ــ لا غش فيهم . وهم يفاخرون بوطنهم الثاني هذا ، ويبدون على شكل اخاذ تعاونهم مع ابنائه .

٤ ــ قد سبق لهذا المجموع ان وحد صفوفه للاشتراك في ذكرى مائة عام على استقلال البرازيل ، فأصدر طوابع تذكارية عم اقتناؤها بين طبقاتهم على اختلافها . ممايثبت وحدة القصد والإجماع ، وسيؤدي حتماً الى تحقيق الفكرة النبيلة ، وهي جمع مبلغ طائل لإقامة تمثال يشير برموزه الى هذا الحدث التاريخي العظيم ..

لذلك نقترح اتخاذ القرار الآتي :

« ان ندوة النواب السانباولية تسجل بالتأثر العميق ، مظاهر العطف والتضــامن التي اندفعت الى ابدائها الجالية السورية ، بمجموعها المقيم في جميع انحاءهذه الولاية نحو البرازيل في هذا الوقت التاريخي العصيب » .

وبعد مناقشة اشترك فيها اكثر النواب ، مشيدين بمواقف الجالية إشادة كبرى ، وافق المجلس على هذا الاقتراح بالإجماع .

* * *

نشر الاستاذ « توفيق ضعون » في كتابه القيم : « ذكرى الهجرة » ما يلي (١) :

« بمناسبة ما قام به السوريون من مظاهر التضامن مع البرازيل على ما تقدم بيانه ، وعلى الأخص لتبرعهم بمبالغ طائلة لجمعية الصليب الاحمر البرازيلي ، رأى مجلس الكشافة الاعلى ، الذي كان يرأسه اذ ذاك « الدكتور جوزة كارلوس دي ماسيدوسوارس » وقد شغل فيما بعد مناصب عالية كالسفارة وحاكمية هذه الولاية ، ان يقيم لهم تظاهرة تكريمية تعرب عن امتنان هذه البلاد لجهادهم في سبيل هنائها وإسعادها . فضرب لهم موعداً يزيدها ابهة وجلالا ويهيء سبيل الاشتراك فيها لاكبر عدد ممكن من سكان هذه الحاضرة والداخليات . ولا غرو فقد اختار لإقامتها السابع من ايلول ، وهو اليوم المجيد الذي تحتفل فيه الامة البرازيلية بعيد استقلالها الوطني . ووضع لها مساقاً رائعاً اكسبها صفة مهرجان قومي منقطع النظير .

(١) راجع صحيفة ٩٨ و ٩٩ من الكتاب المذكور .

لذلك كان متوقعاً أن يكون يوماً مشهوداً تحضره لا عشرات الالوف بل مئاتها . ولكن ما العمل وقد أبت الطبيعة إلا أن تشترك فيه زائنة إياه بأثمن لآلئها . فامتنـــع حضوره على الكثيرين .. ومع ذلك فقد جاء لحضوره زهاء خمسة عشر الفاً رغم المطر المتواصل ، دليلا قاطعاً على ما للسوريين واللبنانيين من الحب والإعزاز في قلوب البرازيليين، كما ادى اشتراك الطبيعة على ذلك الشكل ، الى بركة تستوجب الشكر .

وفي صباح ذلك اليوم بدأت فصائل الكشافة والجند تصل الى جادة تيراندتس ، شهيد الوطنية ' وتنتظم صفوفاً أمام الثكنة الاتحادية ، فتستقبلها الجماهير بالهتـــاف . والموسيـــقى العسكرية تثير بألحانها الحماسية الشعور الوطني في الصدور ، واقبل على الاثر تلامذة الطب والهندسة ومدرسة الصنائع والفنون . واخذ الرجال الرسميون يصلون ، ويحتلون مراكزهم في المنصة الخاصة المعدة لهم ، يتقدمهم حاكم الولاية الدكتور « التينوا راتش » ، فالدكتور « اوسكار رودريغس القس » ، فالدكتور « واشنطن لويس بريرا دي سوزا » عميد المدينة فعدد كبير من قواد القوات الاتحادية والايالية ــ اي الولاية ــ فالدن « دوارتي ليوبولد » رئيس اساقفة سان باولو ، فممثل مفوض الامن العام ، واعضاء مجلس الكشافـــة الأعلى ، واللجان الممثلة للجمعيات السورية ، والصليب الأحمر البرازيلي .

افتتح الحفلة رئيس الأساقفة ، بمباركة علم مهدى الى احدى فرق الكشافة ، ملقياً بهذه المناسبة خطاباً وطنياً ممتعاً ، رتل بعده الكشافة نشيد العلم .. ثم وقف رئيس مجلس الكشافة الأعلى فألقى خطاباً حيى فيه الجالية السورية مطرياً مناقبها ومآتيها .. واختتمه بتلاوة الرسالة التي نصها المستشار « روي بريوزا » بلسان الكشافة البرازيليين ، والتي ابرقت الى زملائهم في اوروبا وامريكا .. على ان تخط فيما بعد ، في رق انيق يوقعه جميع الكشافة ، ويقدم كخير اثر تذكاري للجالية . وهذا معرب تلك الرسالة :

« ان الكشافة البرازيليين ، يدعون اخوانهم في القارتين الاوروبية والامريكيـــة ، الى تأييدهم في نصرة عنصر نشيط منتج ، لجأ الى امريكا هرباً مما ناله في بلاده من الإرهاق ، فالسوريون كالبولونيين والبلقانيين والارمن يؤلفون فرعاً من هذه الامم المرهقة المستغلة ، التي كانت فرائس الجور والوحشية المنافيين للمبادىء المسيحية . وما لم تعد تطيقه النفوس في يومنا الحاضر ، وهو تمييز الدول المسلحة ، على الدول العزلاء التي عبثاً تطالب بحقوقهـــا المهضومة » .

« وبعد الذي حل ببلجيكا أصبح من واجب الإنسانية ان تستنكر قياس حقوق الشعوب بمقياس جيوشها » .

« ان السوريين فرع صغير من الدوحة البشرية . ولكنهم ليسوا دون سواهم نفعاً بين ابناء هذه السلالة .. وقد برهنوا على انهم من ابناء الحياة – اذ برغم ما قاسوه من الشدائد والأهوال ، حافظوا على تقاليدهم وعاداتهم وامانيهم وعقائدهم » .

« فهبوا ايها الاخوان واوصوا بهم خيراً ، دول الغرب العظمى الحرة (كـذا) ! – عندما يحين موعد تنظيم اوروبا ، على اثر انتصار سلاح الحلفاء ، الذي تبدت اليوم طلائعه » .

والقى كلمة الشكر باسم الجالية المحامي « اسعد بشارة » بالبرتغالية . وتلاه « نجيب نسيم طراد » ، فتكلم بالفرنسية ، شاكراً باسم الجمعية الوطنية السورية .

وارفض الاجتماع عند الظهيرة . فسارت صفوف الكشافة وسط المدينة مارة بشارع « فلورنسيو دي ابريو » بين عاصفة من التصفيق . والسيدات السوريات ينثرن عليهم من الأزهار ، ما لم يقل بصمته البليغ عما وقع في اسماعهم من الخطب الرنانة » اه .

* * *

قدمت الجالية العربية في البرازيل ، إبان الحرب العالمية الثانية ، اثنتين وستين طائرة هدية الى الجيش البرازيلي . وفي الحفل الذي اقيم في العاصمة « ريودي جانيرو (١) بهذه المناسبة خطب وزير خارجية البرازيل الدكتور « ازفالدو ارانيا » خطبة جامعة عدّد فيها مآثر العرب ، واياديهم على البرازيل . واشاد بمواقفهم المشرفة لازدهار البرازيل وتقدمها . ومما قاله الوزير في تلك الخطبة التاريخية الخالدة النفيسة ، يعتبر وحده سجلا ذهبياً لحياة المغتربين في امريكا .. وفصلا مشعاً من تاريخ كفاحهم ونضالهم .

قال ذلك الوزير المنصف :

« ان الحدث الذي جمعنا اليوم ، وهيأ لي غبطة الاشتراك في تظاهرة الجالية السورية اللبنانية ، هذه ، بصفتي كوني « عرّاباً » للطائرة الجديدة التي تقدمها للبرازيل باسم ١٩ نيسان تكريماً لرئيس الامة ، ان هو الا وسيلة اتخذتموها كأصدقاء لا بل كمواطنين لتجددوا عهد حبكم لبلادنا ، واندفاعكم لخدمتها ، وإيمانكم بها ، اذ قد سبق لكم ان برهنتم بتفكيركم

(١) نقلت العاصمة إلى مدينة في أواسط البلاد ، أنشئت حديثا بين الغابات لتكون عاصمة الاتحاد ، واطلق عليها اسم (برازيليا) ، وهي تبعد حوالي الف كيلومتر عن العاصمة القديمة (ريو دي جانيرو) .

وشعوركم وجهادكم ، والاسلوب الذي انتحيتموه في معايشتكم إيانا ، على انكم اندمجتم بالاسرة البرازيلية ، وبمصائر اهل هذه البلاد .

ويمكنكم ان تثقوا بأن بادرتكم هذه لم تدهشني .. لأنني اعرفكم واجلكم ، منذ حداثتي ولي بينكم اصدقاء اخيار .. كما انني ألفت أن اشهد بتأثر ، يزيده التواتر جدة ، اهتمامكم واندفاعكم الاختياريين ، اللذين ترافقون بهما كل حركة ، يكون فيها اسم البرازيل وارتقاؤها وسلامتها ، ومستقبلها ، عرضة لعبث الاقدار .

ومن دواعي اغتباطنا انه لم يعرض لنا امر الا لقي من لدنكم تلبية سريعة . ولم نشرع يوماً بمسعى إنساني ، او اجتماعي ، يرمي الى اسعاف فرائس الحظ العاثر ، او حماية فاقدي النصير ، الا ضمنّا له اشتراك السوريين واللبنانيين بكل ما عهد فيهم من السخاء . فقلبكم لم يرتبط فقط بهذه البلاد ، بل بمصير اهلها ايضاً !

لقد وصلتم الى البرازيل ، وملء جوانحكم الثقة بأن بلادكم الجديدة هذه، لا تضن عليكم بأفضل ثمارها ، وهكذا نشطتم الى العمل المتواصل ، منذ وطئت اقدامكم ارضها ..

هنا شحذتم عزائمكم ، ونميتم قابلياتكم ، هنا واليتم إنفاذ جذوركم في التربـــة ، فأمعنت فيها تعمقاً وتشبثاً ، مستمدة لكم مركزاً ثابتاً لا يقلقله كر الايام ــ مما اصبح سمتاً عرفت به اكثريتكم ، وعندما تقيدتم حتى الشليل بأرض الموعد هذه ، مهرتموها بجميع الصفات الأدبية المتأصلة فيكم ــ كالتفاني والحزم والتدبير ، مما هو ابرز مميزات اسلافكم . ونظراً لتحليكم بالتقى ، لم تهملوا في هذا الجانب من الكرة واجباتكم الروحية . وكمسالمين لذتم دائماً هنا بالنظام ، ولم تحيدوا عنه البتة .. وعلى حق باقتناعكم ان النظام وحده هو الذي يبني ، وان كل سياسة تغري بالانحرافات عنه تقود حتماً الى التداعي والانهيار . وكأن كل واحـــد منكم قد آلى على نفسه ان يجتنب كل مشكل يحمل البرازيل على الشكوى منه . واني لعلى ثقة من انه اذا ارتفع يوماً صوت بنغمة شاذة عن مألوف اسمـــاعكم ، هرعت اكثريـــة ساحقة الى خنقه دون ما إمهال . لقد كنتم دائماً عاملين واخيـــاراً ، وموالين ومسالمـــين واصدقاء .

والثقة التي اوجبتموها على اهل بلادنا .. يعرب عنها هذا العدد الكبـــير بينكم ، الذي انخرط في سلك الحياة البرازيلية ، بالصلات العائلية التي لا تفصم .. وقـــد عرفت بلادنا السبيل الى استيعابكم ، وتوفقت اليه من اقرب السبل وأضمنها .. فقد دعيتم مخيرين لمعايشة شعبنا ، واعانكم الطبع على اقتباس عاداتنا الاجتماعية ، ومفهومنا من الحياة ، والسعي في

سبيلها . . واستسغتم فضائلنا ، فتطوعتم برضى وارتياح لاعتناقها . . فكأن عائداً من السحر شبيهاً بما تمور به حكايات الشرق الالفية ، مس كيانكم ، فإذا بكم ترون أنفسكم تتحولون في طرفة عين الى برازيليين اقحاح ، جسماً وروحاً ، وفكراً ومسلكاً ومُثلة ، كما اغدوتم برازيليين بأبنائكم وبكم انفسكم .

وعندما رأيتم ذواتكم متجنسين على هذا الشكل ، قلباً وفكراً ، قادتكم البداهة الى اعتبار ما حدث امراً عادياً ، اتخذ مجرى طبيعياً ، خضع لحكم المألوف والمنتظر ، ان كان من حيث العوامل التي آدت اليه او نتائجه . ولم يتفق لأحد منكم ان عصى يوماً وحي الوشائج المتينة التي سبكت بها البرازيل قلوبكم ونفوسكم . وبلغ من اعتزازكم بهذه البلاد، انكم لم تكفوا البتة عن التبويق لها ، معلنين كبرازيليين للملأ خيلاءكم . واذكيتم جذوة الوطنية في صدور اعقابكم ، فحمحمتم بوهجها ، وازددتم استعاراً عندما رأيتوهم مندغمين في حياتنا متخرجين في مدارسنا العالية ، ومرتدين بزات قواتنا المسلحة ، البرية منها والبحرية والجوية لا يحول حائل دون مؤاخاتهم جميع ابناء الارض الجديدة . .

ان اعتزازكم ببلادنا يمكن اعتباره اكثر عمقاً ، وسعة ، وفعالية من الشعور الاصيل الذي يحفز كل انسان الى المفاخرة والازدهاء بالارض التي ابصر فيها النور . فكأنكم ولدتم هنا ولادة جديدة بتقمصكم حيوات اولادكم الذين ولدوا تحت سماء جديدة حفية ، وفي جومفعم بروح التضامن والتفاهم والمساواة ، مما يجعل الحياة اسهل واجمل . ولقد اجاد ترجمانكم الفاضل (١) برده برازيليتكم إلى كونكم برازيلي القلب .

ليست هذه بالطائرة الاولى التي قدمها السوريون واللبنانيون لحملة الطيران البرازيلية . نعم انها ليست بالاولى ولن تكون الاخيرة ، لأن السخاء الذي تعبّرون به عن امتنانكم لبلادنا لا يجوز الاسفاف به الى مستوى الارقام المحدودة المغزى .

ان هذه الأجنحة هي رمز حبكم للأرض البرازيلية ، وتفانيكم في سبيل إعظامها ، ومعاهدتكم النفس على التضحية من أجل مستقبلها . وما أزيز مجموع المحركات التي وهبها

---

(١) يقصد المرحوم رزق الله حداد الذي كانت تدين له الجالية كلها بالولاء ، وتعترف بزعامته الأدبية وقيادته ، وكان رجلا واعيا عفا نزيها مستقيما ذا أخلاق كريمة . وصفات حميدة نادرة ، وكان دائما يرأس جميع اللجان الخيرية والوطنية في مدينة الريو ، ولم يكن يختلف على رئاسته أحد ، ولا ينازعه عنها أحد ، وكان رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين في العاصمة .

السوريون واللبنانيون للبرازيل سوى نشيد الامتنان الذي ترتلونه انتم ايضاً في قلوبكم للبلاد التي وجدتم فيها وطناً جديداً ، وسعادة جديدة ، ومنازل جديدة ، كما وجدتم في الكثيرين مثلي اصدقاء جداً .

ان منظمي الحملة الوطنية للطيران يعلمون علم اليقين انه لا يوجد واهبون لطائرات التمرن ايسر اجتناء منكم ايها السوريون واللبنانيون ، بل بالعكس اصبحت اوفر سماحة وبذلا بالعمل ، وبلوغكم شأو من يزرع في ارضه لخير الجميع .

والآن اريد ان ابادلكم الشرف الذي أوليتموني إياه ، وتقدمتكم القيمة بمثل الدعاء الذي ألفتم توجيهه الى كل من تصدر عنه بادرة فيها الاريحية والسخاء كهذه التي قمتم بها الآن . فأقول : « ليسلم الله ايديكم » .

معونات المغتربين للمقيمين

من العسير جداً حصر إعانات المغتربين للمقيمين ، وإعطاء فكرة كافية عنها .

ان اي قلم لا يستطيع ان يجمع ذلك ، او يحصيه .

وحسب القارىء الكريم ان يعلم بأن قسماً كبيراً من سكان سورية ، والأكثرية الساحقة من سكان لبنان ، كانوا طوال قرن كامل ، يعتمدون في معيشتهم قبل كل شيء على معونة اقربائهم في المهجر ، وعلى ما تندى به اكفهم ، وتجود به عواطفهم ، ويرسلونه الى اهلهم وذوي قرباهم ، في الوطن الأم .

حسب القارىء الكريم ان يعلم انه ، وحتى بعد ان ارتفعت اسعار النقد في بعض الجمهوريات الأمريكية الى اكثر من ثلاثين ضعفاً عما كانت عليه ، كان يرد الى منطقة طرطوس وحدها ـ في محافظة اللاذقية ـ اكثر من مليوني دولار في السنة .. وهذا رقم اعطاه اصحاب المصارف للسلطات الرسمية .

وحسبه ان يعلم بأن أسرة كريمة تقيم في حمص . ويقيم وليها في امريكا ، يرسل اليها كل سنة ما لا يقل عن خمسين الف دولار .

من هنا .. يستطيع القارىء ان يأخذ فكرة عن المعونات التي تلقاها ويتلقاها المقيمون من المغتربين :

وقد أجري في احدى السنوات السابقة إحصاء تقديري عن المبالغ التي يرسلها المغتربون الى سورية ، فكانت تتراوح بين عشرة ملايين وخمسة عشر مليوناً ، من الدولارات كل سنة وذلك فضلا عن المغتربين الذين ينهون غربتهم ، ويعودون الى وطنهم ، ومعهم المبالغ التي تمكنوا من جمعها خلال فترة اغترابهم .

ولم تنشأ مؤسسة خيرية في هذه البلاد ، ولا مشروع انساني ، او اي مشروع يفتقر الى

ندى المحسنين ، الا ونديت اكف المغتربين بالعون له ، وتدفق الخير العميم على القائمين به ، او المشرفين عليه .

ولم تمتد يد عبر البحار ـ الا ولقيت استجابة سريعة ، وامتلأت خيراً دافقاً ، وعطاء سخياً ـ من العرب المغتربين .

وما عرفت المروءة في تاريخها الطويل ، اناساً يقفون حياتهم لها ، وينـــذرون انفسهم لخدمتها ، مثل العرب المغتربين .

وما عرفت الانسانية أسمى فضائل ، ولا أصفى شمائل ، ولا أنبل طويـــة ، ولا أطهر سريرة ـ من العرب المغتربين .

انهم عرب .

في دمائهم اريحية عريقة ، وكرم أصيل . وقد صقلت الغربة نفوسهم ، وأبرزت محاسنها وجلت فضائلها ، فأطلت على الدنيا صافية نقية مثالية . .

وإذا كان ثمة تقاعس من البعض . . فانه لمن الجور الفادح أن يوصم به الكـــل . ومن التجني والإجحاف ، ان يساء إلى الكل بتقصير البعض .

وكذلك لا يستطيع قلم ـ اي قلم ـ ان يحصي المنشآت التي أنشأها المغتربون ، اوساهموا بإنشائهـــا .

سجل طافح بالمكرمات . . لا تستطيع نظرة عابرة أن تلم به ، ولا أن تحصيه .

وان حصر بحيرة في كأس ، أيسر من حصر مكارم المغتربين ، وجمعها ضمن إطار ، او تسجيلها في صفحات .

ولكن لا بد من استعراض بعض هذه الإنشاءات ، وإعطاء فكرة عنها .

أنشأت السيدة « كرجية حداد » زوجة المرحوم « أسعد عبد الله حداد » داراً للقبالة والتمريض في الجامعة السورية . ونصبت في الساحة العامة بحمص ساعة كبرى ، مع قاعدة فخمة لها ، تطل على دار الحكومة وحديقتها الواسعة .

وتبرعت بتشييد دار لليتيمات في الميتم الأرثوذكسي بحمص ، وبقاعة للمحاضرات في بناء المركز الثقافي فيها ، وبمشاريع عديدة في الوطن الأم . وحياة زوجها كانت مثلاً من أمثلة الخير والبر والإحسان .

وشيد « يوسف اليازجي » جناحاً في الجامعة السورية . وجلب المياه بأقنية طويلة الى

بلدته « مرمريتا » ، ووزعها على البيوت ، وأنشأ فيها مشروع كهرباء . واشترك مع بقية المغتربين في « وادي النضارة » بتشييد مستشفى ضخم في ذلك الوادي الجميل . وبأعمال كثيرة قد لا يعرف هو عددها ، نظراً لكثرتها وتنوعها . علاوة على ما يقدمه من إعانات خاصة متواصلة لأقربائه ، ولكثيرين سواهم . .

وأنشأ الاخوان « محمود وخالد غنوم » (١) مستوصفاً في قريتهم « دير عطية » ، واشتركا مع بقية مواطنيهم بإنشاء مدرسة انيقة ، تتصفحها أعين الذاهبين إلى دمشق والعائدين منها .

وشيد « موسى كريم » ، صاحب مجلة الشرق الزاهرة (٢) ، وبعض المحسنين من يبرود مستشفى ضخماً في بلدتهم . وكان هذا المستشفى وسيلة لزيارات متعددة متكررة ، ما يزال الاستاذ كريم يقوم بها الى الوطن الام ، لتعهد مستشفاه ، والإشراف على سير العمل فيه . وقد مكن المواطنين ، بذلك ، ان يطلعوا على حيوية ، وفتوة قلبه ، وإخلاصه لوطنه ، وتمانيه في سبيل عمله ومبدئه .

وساهم المرحوم « رزق الله طحان » بإنشاء مستشفى « الكلية ، ومأوى العجزة » ، في حلب (٣) وهما مؤسستان لا أرقى منهما ولا اكمل ولا اغلى .

---

(١) الاخوان « محمود وخالد غنوم » من أكثر المغتربين حماسة للعودة إلى الوطن . ومن أكثرهم وطنية وغيرة واندفاعاً . وقد عاد السيد خالد الى دمشق حيث أسس معملا للنسيج ، واستقر مع أسرته الكريمة فيها وأخوه السيد محمود في طريق عودته يحدوه الحنين اللاهب ، وتحفزه الوطنية المتأججة في صدره ، وصدر أسرته جميعاً وهو مثال الشهامة والأريحية والتفاني بحب وطنه .

(٢) مجلة الشرق لصاحبها الاستاذ « موسى كريم » هي كبرى المجلات في امريكا الجنوبية كلها ، بدون استثناء . وأبرزها وأنقاها وأغناها بالمظهر والجوهر ، وصحائفها وقفا لخدمة القضية العربية ، والدعوة لها بإيمان وجرأة واخلاص ، وقد حازت على الجائزة الاولى في مؤتمر المجلات العالمية في بروكسل .

(٣) يشرف الاستاذ « فتح الله الصقال » على « المأوى والمستشفى » ، ويغذيهما من عرق جبينه ، وندى يده ، وكرم روحه ونفسه . ويغدق عليهما بسخاء وتضحية وتفان ، وهو مثال الانسان المكافح في سبيل الخير والعامل في سبيل الانسان والاحسان ، وللاستاذ الصقال مواقف مشرفة في ميادين المروءة والمكرمات ، حتى شبهه أحدهم بـ (جابر عثرات الكرام) ، وكتب الكثيرون عن شمائله وفضائله المقالات الطوال ، وله كتاب قيم عنوانه : (ثلاثون سنة في خدمة الاحسان) ، الى جانب مؤلفات قيمة اخرى ، تبرز مكانته الأدبية المتفوقة ، الى جانب مكانته العلمية والانسانيه والخلقية .

وآخر كتاب له مؤلف ضخم عن زيارته للولايات المتحدة الامريكية وفيه وصف دقيق لشتى نواحي النشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي فيها .

وكما قلنا .. إن حصر بحيرة في كأس ، أيسر من حصر مكارم المغتربين ، وجمعها في إطار ، أو تسجيلها في صفحات .

ومن العسير أن تمر في قرية او مدينة ، هاجر منها مغتربون ، إلا وتجد لأيـــديهم أثراً في عمرانها وإصلاحها ، او موقفاً مشرفاً ساعد أهلها على تجنب المزالـــق ، والتخلص من الملمـــات .

وشيد محمود الصافي مدرسة بقريته « سدقين » صافيتا ، إلى جانب أعمال خيرية اخرى قام بها إبان زيارته الميمونة لسورية مع قريبه السيد عزيز علي محمد .

كم كفكف المغتربون ، بنداهم وحميتهم وأريحيتهم ، دموعاً يائسة ، وحبسوا زفرات لاهبة وخنقوا غصات ملتهبة ، وحولوا اليأس إلى أمل ، والخيبة الى رجاء ، والحزن الى سرور ، واستبدلوا الشقاء بالسعادة ، والفقر بالغنى ، والقلق بالثقة ، والجزع بالطمأنينة ؟ كم . ؟

اللهم .. انه لفوق قدرة الإمكان والإنسان ، أن يستطيع أحد إحصاء الندى الخير ، الذي غمر به المغتربون وطنهم الأم ، والفيض العميم الذي تدفق منهم عبر عشرات السنين ـ وما يزال يتدفق ـ لأقربائهم وأصدقائهم ، والمعوزين من مواطنيهم .

والحديث عن تفصيل هذه الوقائع . يقتضيه مجلدات طوال .

المؤسسات التي انشأها المغتربون

ان من الصعب احصاء المؤسسات التي أقامها المغتربون . بل ان من المستحيل ذلك . لأننا اذا حاولنا احصاءها ، كان علينا ان ندرس كل بيئة تقيم فيها جالية عربية ، وربما لا تخلو مدينة ، حتى ولا قرية كبيرة ، من جالية عربية ، او افرادعرب يقيمون فيها ، وآخرين يختلفون اليها .

ومن النادر أن توجد جالية في مكان الا وتنشىء فيه مؤسسة عامة ، او خاصة : كنيسة او مسجداً ، او جمعية ، او مستوصفاً ، او نادياً ، او تساهم في انشاء مرفق يتنادى لإنشائه ابناء البلاد (١) .

ولعل الكنائس ودور الجمعيات ، هي اكثر ما شيده ، ويشيده المغتربون . والفضل في انشاء الكنائس يعود الى الروح الدينية المتأصلة في نفوس المغتربين ، والرغبة في اقامة الشعائر الدينية على نحو ما ألفوه في الوطن ، كيلا يذوبوا في الكنيسة اللاتينية ، فتقطع آخر صلة بينهم وبين الوطن الأم .

وساعد المغتربين على التمسك بطقوسهم ، واقامة معابد خاصة لهم ، ان اكثر المغتربين المسيحيين هم روم ارثوذكس ، او موارنة . ولهؤلاء جميعاً طقوس خاصة ، تختلف عن طقوس الكنائس اللاتينيه ، او البروتستانتية ، وهما المذهبان الغالبان في اميركا . حتى الكاثوليك العرب انفسهم ، فانهم يقيمون كنائس خاصة بهم ، وعندهم كهنة من الشرق يرعونها ويتعهدونها .

وفي يقيني ان في بناء هذه الكنائس المستقلة خدمة كبرى للوطن العربي . اذ انها تظل

---

(١) ان مما يثلج الصدر ان ابناء الجالية كلهم يساهمون في انشاء المؤسسات الدينية ، وقل ان تشيد كنيسة الا ويتبرع لبنائها مغتربون مسلمون ، كما قل ان يشيد مسجد الا ويهرع للتبرع له مغتربون مسيحيون ، وسنأتي على ذكر ذلك في غير هذا المكان .

تذكر ابناء المغتربين ، لمئات السنين ، بأن اصلهم عرب ، وانهم قد وفدوا من البلادالعربية الى تلك البلاد .

انه خيط رفيع من الصلات .. يصبح في المستقبل ذكرى .. ولكن هذه الذكرى خير من النسيان المطبق ، والانقطاع المطلق (١) .

ولعل البرازيل اكثر البلدان الامريكية التي توجد فيها مشاريع للمغتربين .. وربما كان السبب في ذلك وفرة عدد الجالية ، ويسرها وغناها .. فضلا عما عند ابنائها من التكاتف، وعند قادتها من التضامن والتعاون ، مما سهل القيام بالمشاريع الكثيرة ، وساعد على انجازها، وابرازها بهذا الشكل المشرف الرائع ..

وفي مدينة سان باولو ، بالذات ، تحتشد اكثر المؤسسات التي انشأتها الجالية العربية في الامريكتين (٢) .

١ – « النادي الحمصي » الذي تتسع قاعته لاكثر من ثلاثة آلاف كرسي ! فضـلا عن ابهائه الواسعة ، وغرفه المتعددة ، وصالوناته الفخمة .. وحينما تقيم حكومة الولاية ، او اية دائرة او مؤسسة كبرى ، حفلة ضخمة لعدد كبير من المدعوين ، فليس هناك الا قاعـة « النادي الحمصي » ، يستأجرونها من مجلس ادارته – المؤلف من اثني عشر عضواً ، يعاد انتخابهم كل سنة .

ونظراً لحرص « النادي الحمصي » على اداء رسالته الثقافية والتوجيهية على الوجهالاكمل الاتم ، فانه ينتخب من بين أعضائه ، اديباً بارزاً ، يطلق عليهاسم « خطيب النادي » وحينما قيض لي زيارة المغترب ، وشرفني ذلك النادي الكبير ، واسرته الكريمة ، بحفلة رائعة اقامها لي .. كان خطيب النادي يومئذ الاديب الكبير الاستاذ نظير زيتون (٣) صاحب المؤلفات

---

(١) بالقرب من مدينة سان باولو قصر فاخر ، بني على الطراز الشرقي وهو من أروع القصور وأفخمها ، وقد دفعت حكومة سان باولو مبلغا كبيراً من المال ، للاحتفاظ بطابعه وابقائـه مكانا اثريا يؤمـه الزوار والسيـاح ...

(٢) من المؤسف ان يقال : جالية سورية ، وجالية لبنانية . وقد ناقشنا الاستاذ يوسف (السودا) سفير لبنان في البرازيل سنة ١٩٤٨ بهذا الموضوع ، ولم نخرج منه الا بنتيجة واحدة . هي ان الوئام الذي نجده بين أبناء الشعوب العربية في الوطن العربي ، لا نجده كاملا بين أبناء المغتربين مع الأسف الشديد ! وكان بعض المسؤولين يغذون هذه التفرقة ويدعمونها ، بل ويتبنونها .!

(٣) لقد سعد الوطن العربي بعودة ابنه البار – الاستاذ نظير زيتون – اليه سنة ١٩٥٠ حيث احتل في قلوب مواطنيه المعجبين بأدبه وعبقريته ، ونضاله الوطني الصادق في المهجر ، المكانة التي يستحقها ، والمنزلة التي

الضخمة ، والأدب الرفيع الخصب .. وصاحب المواقف المشرفة في خدمـــة العروبـــة . والقلم السيال البليغ الذي ما هادن خصوم العروبـــة مرة ، ولا توقف عن اداء رسالتـــه الانسانيـــة والقومية ، والذي كان وما يزال ثروة كبرى لأمته ، وكنزاً لا نفاد له ، ولا حد لغنـــاه ...

٢ ــ « النادي الرياضي السوري » ــ وهو من اكبر الاندية الرياضية في امريكا الجنوبية كلها ، وافخمها جميعاً بدون استثناء . وتبلغ مساحته حوالي خمسين هكتـــاراً ــ اي حوالي خمسمائة الف متر مربع ــ فتأمل . وفيه ابنية رحبة ، وساحات واسعة ، لمختلف الألعـــاب الرياضية .

٣ ــ « المستشفى السوري اللبناني » (١) الذي كان باكورة اعمال الجالية ، وبدءنشاطها الاجتماعي ، ومشاريعها الانسانية الضخمة .

٤ ــ « الميتم السوري » ــ الذي يعتبر من مفاخر مؤسسات الجالية ، ومن اكثرها سعة، وفائدة ، ودلالة على قيمها الانسانية الرفيعة . وقد ساهم كل اعضاء الجالية ببنائه . كما ان بعض كبار اغنيائها قد بنوا اجنحة خاصة بأسمائهم (٢) ، والميتم يقوم على مساحـــة من

يستأهلها . وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، كما عين عضواً في لجنة النشر ، وهو ما فتىء يمد الصحف والأندية بنفثات يراعه وفيض من بلاغته وعبقريته .

وفي الرحلة الثانية التي قمت بها الى المهجر سنة ١٩٥٣ وتكرمت اسرة النادي الحمصي فأقامت لي حفـــلة تكريمية ، كان خطيب النادي يومئذ الاستاذ داود شكور ' وهو من الأدباء الموهوبين ، والكتاب اللامعين ومن قادة الرأي المبجلين بين اوساط الجالية الكريمة وله انتاج ادبي نفيس ولو قيض له ان ينصرف الى الأدب انصراف سواه لكان في طليعة الكتاب العرب انتاجا وابداعا

(١) بعدان انشيء هذا المستشفى بأموال المغتربين-سوريين ولبنانيين تحتاسم المستشفى السوري اعترض بعض اخواننا اللبنانيين على هذه التسمية وكان المستشفى قد شيد بهذا الاسم ورخص به وانتقل الخلاف مع الأسف الى المحاكم البرازيلية وبعد فترة طويلة من التقاضي بين الأشقاء اللبنانيين والسوريين ربحت التسميـــة الاولى واعطى القضاء كلمته بهذه التسمية وحينئذ عمد المرحوم أسعد عبد الله الى اضافة كلمة (اللبناني) الى المستشفى فصار يعرف باسم المستشفى السوري اللبناني وهو من المواقف المشرفة للمرحوم اسعد عبد الله الذي حسم نزاعا دام بضع سنين

(٢) من المحسنين الذين بنوا أجنحة في الميتم : المرحوم بشارة عيسى محرداوي ـ الذي كان له فضل السبق واسعد عبد الله حداد ، ونجيب سالم ، ووديع واسكندر بطرس المعلوف ، والياس وجورج ونسيب محفوض، والياس ديب الشويري ، وابراهيم ديب ، ورزق الله جورج وغيرهم

ملاحظة : استقيت هذه المعلومات من مذكراتي عن المهجر في الرحلتين اللتين قمت بهـــما سنة ١٩٤٧

الارض تزيد على ثلاثين الف متر مربع . وهو يتعهد ابناء الجالية اليتامى بالعناية والرعاية والتعليم ، ويقدمهم الى المجتمع مواطنين صالحين نافعين .

٥ ـ « مأوى العجزة » أنشأته جمعية اليد البيضاء الخيرية . وهو يحتضن جميع العاجزين من المغتربين ، ويؤمن لهم حياة كريمة مريحة .

٦ ـ « المصح السوري » ـ انشأته جمعية السيدات الحمصيات للمصح السوري . وهو يقع في أجمل بقعة من ولاية « سان باولو » ، ويداوي المصدورين من أبناء الجالية مجاناً .

٧ ـ « المستوصف الخيري » ـ سان جوان ، وهو يعالج فقراء ابناء الجالية بالمجان .

٨ ـ « النادي الحلبي » ـ الذي دشنه الاستاذ فؤاد الشائب (١) سنة ١٩٥٨ حين زيارته البرازيل مع الوفد الذي كان يرأسه السيد صلاح الدين البيطار .

٩ ـ « النادي الرياضي ـ نادي جبل لبنان ، وهو من الأندية المرموقة ، التي تفخر الجالية بإشادتها وتعتز .

١٠ « كاتدرائية الروم الارثوذكس » ـ وهي من أفخم الكاتدرائيات في اميركا الجنوبية كلها ، ـ ان لم تكن أفخمها على الإطلاق . ويبلغ علو قبتها ثلاثين متراً ويزيد .

ومما يدلك على فخامة وروعة هذه الكنيسة ان كثيرات من الفتيات البرازيليات يشترطن على عرسانهن أن يجري الإكليل في هذه الكاتدرائية ـ دلالة على الأبهة والعظمة ، ولكي تدل الفتاة التي تكلل فيها على قريناتها وصديقاتها . .

ويعود الفضل الاول بتشييد هذه الكنيسة للمطران « اغناطيوس حريكة » مطران حماه الذي بذل جهوداً مشكورة خيرة في بناء هذا الصرح الرائع الفخم . كما ان للمرحوم «اسعد

و ١٩٥٣ وثمة أجنحة متكسرة اخرى بفضل تعاون المحسنين من اخواننا المغتربين الذين ساهموا جميعا بدون استثناء بهذا العمل الإنساني المشرف ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ومعذرة ممن أغفلنا أسماءهم ،

(١) لقد كانت رحلة الاستاذ فؤاد الشائب ـ على قصرها ـ مرعة منتجة ، ورغم انه كان عضواً في وفد ، فقد سلطت عليه أضواء الجالية بصورة خاصة ـ نظراً لما يتحلى به من خلق ، ويتمتع به من ثقافة ، ولأنه بحكم منصبه ـ مديراً للدعاية يومئذ ـ وبحكم صلاته الواسعة ، وإخلاصه الصادق ، كان يتعهد أمر المغتربين بكل عناية ورعاية ، وبكل ما اوتي من حصافة وثقافة وجد وفهم ، لذلك كان وحده وفداً وكان وحده خير رسول يحمل الرسالة ويؤديها بشرف وأمانة وإخلاص

عبد الله » ـ رئيس اللجنة ، مواقف كريمة . وتبرعات كثيرة سخية (١) . وقـد ساهم كل ابناء الجالية « الروم الارثوذكس » بالتبرع لهذه الكنيسة التي تعتبر مفخرة من مفاخر العروبة وآثارها الخالدة في المهجر . وكان سكرتير اللجنة هو السيد « يوسف اليازجي » الذي يعرفه المقيمون والمغتربون في طليعة العاملين بالحقلين القومي والإنساني ، والذي يفوق نشاطه الروحي والعملي اي نشاط آخر ويسمو عليه (٢) .

وقد ذكرنا كاتدرائية الروم الارثوذكس وحدها .. بالنظر لفخامتها وروعتها وسعتها . ولانها تقع في الصدارة بين جميع الكنائس الأمريكية . بينما توجد في مدينة سان باولو وحدها بضع كنائس شرقية اخرى .. وقل ان تخلو مدينة فيها مغتربون مسيحيون من كنيسة بنوها بأموالهم ، وشيدوها بجهودهم وجهادهم .

١١ ـ جامع سان باولو .. وقد تضافرت ايدي المخلصين على بنائه من مقيمين ومغتربين نقول مقيمين ـ لان الجالية الاسلامية في سان باولو ليست من الغنى بحيث تسعفها امكانياتها وحدها لبناء مسجد فخم . وقد انهالت على الجمعية الإسلامية بعض التبرعات من البـلدان العربية . كما ان الحكومة الايرانية قد تبرعت بمبلغ من المال ، وفرشت ارض المسجـد بالسجاد العجمي .

ومما يجدر التنويه به ان بعض اغنياء الجالية من المسيحيين اشتركوا ايضاً في بناء هذا الجامع (٣) ..

١٢ ـ ان عشرات الجمعيات والأندية في سان باولو والريو دي جانيرو وبقيـة المدن

---

(١) جميع المشاريع الخيرية في الوطن والمهجر قد استفادت من ندى أنامل المحسن الكبير اسعد عبد الله وزوجته الخيرة الفاضلة كرجية حداد ، فهما في القمة من حيث العمل الإنساني المبرور ، والجهود المشكورة في كل سبيل خيري ، وعمل وطني ، وما تزال السيدة كرجية تتابع رسالة زوجها المرحوم بنفس الإيمان والغيرة والإخلاص

(٢) السيد يوسف اليازجي كتلة من النشاط لا تفتر ولا تهدأ ، وكل نشاطه موجه لخدمة الجالية ومشاريعها الضخمة ، ولو وجهه كله لخدمة مصالحه وحدها لكان في طليعة أغنياء تلك البلاد ، وقد قال لي احد أصدقائي مرة : أن يوسف اليازجي سكرتير أكبر الجمعيات واللجان والأندية التي يعمل بها ، فهو سكرتير المجلس الملي وسكرتير لجنة الكاتدرائية ، وسكرتير لجنة الدفاع عن فلسطين ، وسكرتير الغرفة التجارية السورية اللبنانية وسكرتير جمعيات كذا وكذا الخ فقلت له : يكفي أن تقول : إنه سكرتير ربنا والسلام

(٣) ان بعض اغنياء الجالية من المسيحيين في الأرجنتين أيضا قد أسهموا بالتبرع (للجامع الذي في العاصمة) كما أسهم إخوانهم في البرازيل وكذلك بعض المسلمين فقد أسهموا بالتبرع للكنائس التي شيدت وتشيد ، في الجمهوريات الأمريكية المختلفة

البرازيلية قد بنت دوراً لها ، او اشترت دوراً حولتها الى مراكز صالحة لاجتماعاتها ..

١٣ ـ إخترنا مدينة سان باولو وحدها نموذجاً لنشاط الجاليـة ، والمؤسسات التي انشأتها .. ولا نستطيع هنا الا ان نثبت أن الجالية العربية في سان باولو ، تعتبر في مقدمـة الجوالي العربية في امريكا كلها ، غنى وثقافة ، وحتى جهوداً في سبيل المصلحة ، وتكاتفاً وتضامناً في سبيل مثلها العليا (١) .

ومن المشاريع الخاصة في مدينة سان باولو ، التي تشوق وتروق ، « مشروع المياس » ، الذي اقامه « فؤاد وتوفيق البندقي » في احدى ضواحي سان باولو ، وجعلا منه بقعة اجمل من المياس الاصلي ، وآنق واحلى . وقد جعلاه صورة مصغرة لمدينة حمص ، اذ اطلق على اكثر اقسامه اسم مِعْلَمٍ من معالمها .

هنا البحيرة (٢) ، وهنا الحميدية ، وهنا المنتزه ، وهنا المحطة وو ... الخ ويندر ان يزور الجالية قادم مرموق من الوطن ، الا ويحتفي به (آل البندقي الكرام) في (مياسهم) الرائع حيث يتاح له ان يقضي فترة جميلة يظل يعتبرها بعدئذ من اجمل ايام حياته ، واكثرهـا متعة روحية صافية ، ولذة وسعادة (٣) .

وللجالية في عاصمة البرازيل السابقة (ريو دي جانيرو) نشاط ملحوظ بفضل وجيهها الأول المرحوم (رزق الله حداد) ، وحماسة واندفاع المرحوم (جورج سابا) ونجيب الشيخ خالد ، واخوانهم الكثر في المدينة الخلابة الرائعة ، التي لا يفوق جمالها جمال في الدنيا كلها ولا يضاهيه .

ومن المنشآت فيها (النادي السوري اللبناني) و (نادي جبل لبنـان) و (الجمعيـة الانطاكية) و (الجمعية الخيرية العلوية) ، وبعض الكنائس ، والمشاريع العامة ـ التي يصعب حصرها الآن .

---

(١) هناك أندية أخرى كثيرة يضيق المجال عن ذكرها جميعا - وأهمها : نادي راشيا ، والمنتدى الزحلي ونادي مرجعيون ونادي أبناء وادي النضارة الكرام وو الخ

(٢) أطلق عليها اسم نظير زيتون ، اذ كان يسبح فيها مرة ، وتعرض لبعض المتاعب ، وأوشك على الغرق ، واستراح في الجزيرة الصغيرة ، التي تتوسط البحيرة وقد سميت الجزيرة يومئذ باسم نظير ثم أطلق اسمه بعدئذ على البحيرة كلها حيث تحمل اسمه الآن ولا تعرف إلا به

(٣) حينما أقام لنا السيدان فؤاد وتوفيق البندقي حفلة في مياسهما الرائع دعوا اليها كل وجهاء الجالية وأدبائها فشرعنا نطوف بأقسام تلك الحدائق الغناء وقد حرصا على إبراز أسماء كثيرة من معالم حمص فيها وتسميتها بأسمائها فقلت لهم يومئذ : لم يبق اسم لم تجلبوه من حمص إلا (سيدي خالد) فكيف نسيتموه ؟ وكانت نكتة ما برانوا يتندرون بها :

والجالية العربية في ريو دي جانيرو لا تقل حماسة وغيرة عن حماسة الجالية في سان باولو ولكنها تقل عنها عدداً وامكانيات .

ولا بد من ان ننوه بجهود الجالية في الارجنتين ، وخاصة في العاصمـــة بونس ايرس ، حيث أقامت مشاريع عامة — في طليعتها : (النادي السوري اللبناني) الــذي يعرف باسم (نادي شرف ووطن) ونعم التسمية الحقة ، و (المستشفى السوري اللبناني) ، و (البنك السوري اللبناني) (١) الذي تقام فيه الحفلات ، والمآدب الفخمة .

وقد انشىء حديثاً مسجد رائع في أحد الاحياء الحافلة بالعاصمة (٢) كما انشئت فيها كنائس عدة — اهمها كنيسة الروم الارثوذكس . وتمتلك اكثر الجمعيات الخيرية ، والاندية الادبية ، والاجتماعية ، والرياضية ، اكثر الدور التي تقيم فيها . وفي طليعتها (النادي الحمصي) والنادي العربي والنادي اليبرودي ، والجمعيات الخيرية العلوية الثلاث .

وللنادي العربي نشاط قومي لا يبذه اي نشاط في اي مدينة اخرى . وتشرف عليه نخبة مختارة من الشباب المخلصين ، جلهم من ابناء جبل عامل ، الذي غذى العروبة بأعظم رجالاتها علماً وادباً ، وجهاداً مرموقاً ، ووجاهة خيرة عريضة .

كما ان الجالية في سائر المدن الارجنتينية : روساريو ، وسانتافة ، وتوكومان ، ومندوسا وكوردوبا ، وماردل بلاتا وو .. الخ قد اسست منشآت فخمـــة وكثـــيرة ، من الصعب احصاؤها ، او ذكرها بالتفصيل .

والجالية العربية في مندوسا ، وتوكومان ، تشبه الجالية العربية في سان باولو من حيث الحماقة والنشاط والبذل في سبيل المشاريع العامة — ولكن عددها وطاقتها أضأل كثيراً من عدد وطاقة الجالية في مدينة سان باولو . وثمة فارق كبير بين الطاقة الضخمة هنا وهناك .

واذا كنا قد قصرنا البحث في هذا الفصل على نشاط الجالية — في البرازيل والارجنتين

---

(١) ان هذه المشاريع الثلاثة ومشاريع أخرى في طليعتها الجريدة السورية اللبنانية قد أنشأها السيد موسى عزيزة — الذي يعتبر بحق وجه الجالية الاول في عاصمة الأرجنتين ، وقد آلت الجريدة السورية اللبنانية إلى صهره السيد أمين قسطنطين الذي زار الوطن منذ بضع سنين ، واحتفت به الحكومة السورية حينئذ وقلدته وساما رفيعا وهي الجريدة اليومية الوحيدة الآن في الأرجنتين وللسيد موسى عزيزة فضل كبير بتعزيز مكانة الجالية ودعمها وخلق مشاريع عامة لها

(٢) من أكبر المساهمين في بناء هذا المسجد السيد محمد أبو الخير الفرا — الذي يعتبر سفيراً متنقلا بين سورية والأرجنتين ، يقيم فترة هنا وفترة هناك ، وهو في كل مكان يحل فيه يعطي عن كرم المغتربين وإخلاصهم ووفائهم ، أصدق صورة ، وأنصع برهان ، وأقوى دليل . وللسيد الفرا مآثر كثيرة ومواقف خيرة ، وقد أنعمت عليه الحكومة السورية بوسام الاستحقاق من الدرجة الأولى تقديراً لجهوده وجهاده .

فليس معنى ذلك ان الجالية في مختلف الجمهوريات الامريكية ، كانت اقل حماسة وانتاجاً منها في الجمهوريتين الآنفتي الذكر . كلا . اذ ان للجاليات في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي تشيلي ، والمكسيك ، وكولومبيا ، وفنزويلا ، آثار بارزة ، وجهود مثمرة ، ونشاط بيّن ملحوظ (١) . ومثل ذلك في كافة الجمهوريات وان كان ثمة تفاوت بالانشاء والانتاج ، فلأن التفاوت في الطاقة والإمكانيات ظاهر . ولكن روحية الجالية واخلاصها هما واحد في كل مكان حلت به ، وارض تمركزت فيها .

ولعلنا في كتاب مقبل عن المغتربين ، نعرض بالتفصيل لكل هذه المشاريع ، ولحياة الجالية ومذكراتنا مسهبة عنها .



(٢) اطلعنا أخيراً على كتاب الاستاذ « يوسف العيد » صاحب مجلة « الوحدة العربية » المحتجبة وعنوانه: « جولات في العالم الجديد » وقد حشد فيه معلومات كثيرة وقيمة عن المغتربين استقاها من ينابيعها المحلية اثر جولات عامة وخاصة قام بها لهذه الغاية وهو يستحق كل شكر لهذا الجهد الذي أعطى هذه الثمرة . ويعتبر كتابه هذا مرجعاً لنشاط الجالية العربية في مختلف الجمهوريات الأمريكية وفي شتى الميادين الإجتماعية والاقتصادية . . .

أثر المغتربين في المغترب

في زيارتي الأخيرة للبرازيل سنة ١٩٥٣ توجهت الى مدينة « بورتو اليكري » عاصمة ولاية « ريوغراندي دوسول » . ودعيت لإلقاء كلمة في مجلس نواب الولاية المذكورة .

ولكل ولاية في البرازيل مجلس خاص بها . وهناك « مجلس اتحاد » تتمثل فيه الولايات كلها ، ومركزه في العاصمة (١) .

وكان رفيقي الى مجلس النواب قنصل لبنان الفخري في تلك الولاية ، السيد جورج كريدي – الذي يتحلى بأخلاق كريمة ، وشعور عربي كريم . وله مكانة محترمة في وسط الجالية ، والأوساط الاجنبية . وكان ينقل كلمتي الى اللغة البرتغالية جملة فجملة . ومما قلته :

« ان الشعب العربي ، في الوطن العربي ، يشكر الشعب البرازيلي لمواقفه الكريمة تجاه أبناء العروبة المغتربين . ويشكركم – وانتم المشرعون لهذه القوانين السمحة التي تكفل الحرية والمساواة ، لكافة المقيمين في هذه البلاد المضياف – لا فرق في ذلك بين من يحمل جنسيتها وجنسية بلاده الاصلية ، وان المغتربين الذين عادوا الى وطنهم الأول ، بعد غربة طويلة ، ما زالوا يحملون للشعب البرازيلي النبيل اجمل الأثر ، وأحسن الذكريات ، ويحنون الى البرازيل حنيناً متواصلا . وهم يعتبرونها وطنهم الثاني » .

---

(١) تتمتع الولايات في جمهوريات أمريكا كلها باستقلال مالي وإداري . ولكل منها مجلس نيابي خاص وفي كل جمهورية مجلس اتحاد تتمثل فيه جميع الولايات حسب نفوس كل منها ومجالس الولايات تشرع للولاية بما لا يتنافى مع أحكام الدستور ومع قوانين الاتحاد وحكام الولايات ينتخبهم الشعب انتخاباً مباشراً وهم يمارسون صلاحياتهم دون أن يكون للحكومة المركزية اي تدخل معهم إلا إذا ارتكب حاكم الولاية أعمالا أدت إلى فوضى وجنوح عن الاستقرار وحينئذ يحق لرئيس الجمهورية في بعض الجمهوريات أن يتدخل وقد يقيل الحاكم وبعد سواه إلى أن تجري انتخابات جديدة .

وتلطف أحد النواب البرازيليين فأجاب بكلمة مستفيضة تفيض عاطفة ونبلا . وكان السيد جورج كريدي ينقلها الى اللغة العربية .

ومما قاله بعد مقدمة طويلة تحدث فيها عن تاريخ العرب في البرتغال ، وعن فضلهم على الحضارة والمدنية : .

« ان الشعب البرازيلي مدين للشعب العربي بتقدمه ، وتطوره ، وانتعاش اقتصادياته ، وفي كل ارض برازيلية فتحت حديثاً توجد آثار أقدام لرجل عربي ، وبقايا معول لعامل عربي ، وتضم في أحشائها رفات شهيد عربي . ضحى بنفسه في سبيل ازدهار « البرازيل » ورقيها وعمرانها » .

ومثل هذا القول الكريم سمعته من رجالات رسميين عديدين ، في جميع المناطق التي زرتها .

وللجالية العربية في مدينة « بورتو اليكري » مكانة محترمة ، ومركز مرموق . ورغم المحاولات المؤسفة لتفريق كلمتها ، وتبديد شملها ، فان الفكرة العربية ما تزال رائد الجميع ، يهدفون لخدمتها ، ويسعون لرفع شأنها ، واعلاء مكانتها ، ونصرة قضاياها .

ويحتل مركز الوجاهة الاولى بين ابناء هذه الجالية الكريمة السيد « توفيق ابو جمرة » (١) شقيق المرحوم الدكتور سعيد ابو جمرة صاحب جريدة الافكار ومن قدماء العاملين بالحقل الوطني ، والصحافي ، والعلمي .

وللسيد توفيق ابو جمرة قلب من ذهب وماض مشرف ناصع ، وضمير شريف نبيل ، ومواقف خيرة كريمة في كل قضية عامة ، وفي كل حقل انساني وقومي وهو من ألمع الشخصيات العربية في المهجر ، ومن أكثرها انتاجاً بالحقل القومي والانساني .

وللجالية في « كورتيبا » مركز ضخم ، وقيمة تجارية كبرى . ولها اثر بين ملحوظ في

---

(١) زار السيد « توفيق أبو جمرة » الوطن سنة ١٩٥٥ مع عقيلته وشقيقته المحترمتين وفي ختام حفلة تكريمية أقيمت على شرفه وحضرها المرحوم فارس الخوري ورئيس مجلس الوزراء يومئذ صبري العسلي وبعض الوزراء والنواب والأمناء العامين وكبار الشخصيات والموظفين وفي ختام الحفلة علق رئيس الوزراء على صدر السيد أبو جمرة وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى وصدر قرار بعدئذ بتعيينه قنصلا فخرياً لسورية في ولاية ريوغراندي دوسول حيث يعطر كل مراجعي القنصلية بكرمه الحاتمي ومروءته وأريحيته حتى ليصح فيه قول الشاعر العربي :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وما اكثر سائليه ... وما أقل من يتق الله منهم .

الأوساط الرسمية ، وتضطلع بأعباء التوجيه فيها . وقد زرتها برفقة السيد ابراهيم رفقة (١) والمرحوم موسى عطية ـ الذي اغتالته المنون ، وقضت على نشاطه الكريم السمح بين أوساط المغتربين . وكان يجند كل امكانياته لخدمتهم ومساعدتهم .

وصادف ان قمنا بزيارة لأعلى « ناطحة سحاب » في كوروتيبا . ويملكها مواطننا من « صافيتا » السيد « ميخائيل خلوف » وقد التقينا على سطح تلك «العمارة» الضخمة بحاكم الولاية ، الذي جاء يقوم بتفقدها ، وقد انتهى بناؤها وأعدت للسكنى ، وهي تربو على العشرين طابقاً .

وعلى ظهر تلك العمارة الضخمة قال لي حاكم الولاية :

« انتم العرب دائماً في القمة . ولا يستطيع احد ان يعلو عليكم » .

وزارني ضابط كبير برتبة كولونيل ـ عميد ـ في مدينة « كمبوغراندي » حيث كنت انزل ضيفاً على السيد « حسن يوسف » ، ونجله الأديب المهذب السيد «محمد حسن » ، الذي يعتبر في طليعة الشباب العربي بالبرازيل : وطنية ، واستقامة ، ووجاهة ، ومما قاله لي ذلك الضابط البرازيلي المنصف .

« لا يستطيع احد في هذه البلاد ان يفخر على ابناء العرب الموجودين فيها . ان اخوانكم في هذه الولاية لو ارادوا ان يشلوا الحياة الاقتصادية فيها لاستطاعوا . ولكنهم لن يفعلوا ذلك .. لأنهم لا يقلون اخلاصاً لها عن بقية السكان . وهم يفوقونهم باحترامهم للقوانين ، وتقيدهم بالنظام العام » .

وليس في هذا القول شيء من المبالغة . فالعربي مفطور بسليقته على احترام الأنظمة ، والتقيد بها . بينما يستهين بها سكان البلاد الاقدمون ، ويحاولون التهرب منها (٢) .

---

(١) تلطف الصديق السيد ابراهيم رفقه فرافقني الى مدينة كوروتيبا حيث قضينا معاً بضعة أيام في ضيافة الجالية الكريمة الخيرة والسيد رفقة من خيرة الاخوان الذين عرفتهم ولاء ووفاء وله نشاط كريم في الوسط الذي يعيش ويعمل به وهو صاحب مروءة نادرة وشهامة قل نظيرها وشبيهها .

(٢) نذكر بهذه المناسبة نكتة لطيفة يتناقلها الناس في البرازيل وهي تدل على استهانة سكان البلاد الأصليين بالقوانين وعدم احترامهم إياها وهي :

« ان في البرازيل الفي قانون . ولكن لا يوجد بينها كلها قانون واحد يحتم على الناس إطاعة القوانين » !

قد يكون في هذا القول شيء من المبالغة ولكنها نكتة لم يقلها قائلها عبثاً ولا بد أن يكون لها سبب وموجب .

وزرت حاكم ولاية سانتافة ، في جمهورية الارجنتين ، مع وفد من كرام ابناء الجالية يتقدمهم الاستاذ عبد اللطيف الياسين ، ورئيس الجمعية العربية السيد « آمادو ابراهيم » (١) والسيد ابراهيم درويش (٢) واخوان آخرون .

وقال لي حاكم الولاية :

« انني افخر بالدم العربي الذي يجري في عروقي . فأنا من اصل اسباني . وقد سمعت والدي ينقل عن والده وجده ، أن الدم العربي قد امتزج بدمنا يوم كان العرب يحكمون اسبانيا والبرتغال . وان بعض عاداتكم قد انتقل الينا ، فأخذنا من طباعكم الشيء الكثير . ونرجو ان نكون قد اخذنا من اخلاقكم أيضاً . والذي أخذناه عنكم هو أغلى درة في جيد تاريخنا » .

وحينما تلكأ المترجم بإيضاح المعنى الذي أراده حاكم الولاية ، انبرى الاستاذ « عبد اللطيف الياسين » (٣) بفصاحته المعهودة ، وجرأته المهذبة ، ينقل كلمات الحاكم بمنتهى الدقة ، وتحديد اللفظ والمعنى .

وكانت طريقته بالتعبير في اللغة الاسبانية ، وسرعته بنقل الكلمات من العربية واليها ، مدعاة لاستلفات نظر الحاكم وانتباهه . فربت على كتفه ، وقال له : « ان منطقك وتهذيبك وحسن ادائك وتعبيرك ، اكبر شاهد على صحة ما قلته عنكم » .

وزرت حاكم ولاية « توكومان » ، مع وفد من ابناء الجالية الكرام ، يتقدمهم السادة

---

(١) لقد زار السيد « امادوابرام » الوطن مؤخراً ولكنها كانت زيارة عابرة اعتزل فيها وكان الواجب يقضي أن يتصل بالمسؤولين لما له في الحقل الاجتماعي في المهجر من مكانة ملحوظة ومواقف خيرة في سبيل جمع شمل الجالية وتوحيدها وتنسيق صفوفها

(٢) زار السيد ابراهيم درويش والسيدة عقيلته الوطن الأم وقد أمضيا في ربوعه بعض الوقت وكانا موضع التقدير والحفاوة البالغة من الجميع وقد ترك السيد درويش اجمل الأثر وأحسن الذكريات في نفوس كافة عارفيه ، لما يتحلى به من خلق عال ، وصفات مشرقة ، وصحيفة مشرفة ، وسمعة عاطرة ناضرة ، وفهم واف ، وذهن صاف .

(٣) الاستاذ عبد اللطيف الياسين هو شقيق الاستاذ غانم ياسين الذي مر معنا ذكره في غير هذا المكان ورفيقه في النضال الاجتماعي والكفاح ضد الجهل والجمود والتأخر وكان في الوطن خير حافز للتحرر ، وداع للتطور . وفي المهجر خير عامل لجمع الشمل ، ورأب الصدع ، وتوحيد الكلمة . وقد عاد أخيراً إلى الوطن ليستقر فيه ، بعد غيبة طويلة استمرت ثلث قرن ونيفاً ، ليتابع رسالته الاصلاحية المفتحة من جديد إلى جانب أخيه غانم .

حسن عبد الهـادي (١) ونجيب ندرة ، وضرغام حداد (٢) . وممـا قاله الحاكم في تلك الزيارة :

« ان اخوانكم المتحدّرين من أصل عربي في هذه الولاية ، هم موضع تقـديرنا ، وركيزة الاقتصاد عندنا . ولهم فضل كبير بازدهار هذه الولايـة ، ونشاط تجارتهـا وزراعتها » .

وحينما استقبل رئيس جمهورية « تشيلي » وفد الجامعة العربية ، المؤلف من السادة : اكرم زعيتر ، وتوفيق اليـازجي ، ونصري معلوف ـ الذي أوفـد للطواف بالجمهوريات الامريكية الجنوبية والوسطى ، والدعاية للقضية الفلسطينية ـ وكان ذلك سنـة ١٩٤٧ ، شكر الوفد رئيس الجمهورية « التشيلية » لامتناع مندوبه عن التصويت لتقسيم فلسطين .. فأجابهم الرئيس بقوله :

ان الفضل في موقف تشيلي يعود الى صديقيّ الغاليين هذين وأشار بيده الى السيـدين نقولا جارور ، وحافظ اللبان (٣) . وأمام أعضاء الوفد ربت بيديـه على كتفي السيدين جارور واللبان وقال لهما :

« انني اعتمد عليكما كثيراً في الانتخابات القادمة » .

فطمأناه الى انهما سيقفان الى جانبه ، ولن يتخليا عن مؤازرته .

ورئيس الجمهورية هذا كان على رأس المسؤولين الرسميين الذين حضروا حفـلة قران السيد نصري ابن السيد جارور .

* * *

---

(١) السيد حسن عبد الهادي وجيه معروف ومن الرجالات البارزين في تلك الولاية وفي الأرجنتين كلها وله مواقف كريمة في كل حلبة وميدان ويده السمحة وخلقه الكريم جعلا من بيته مقصداً وملاذاً . وهو ذو مكانة مرموقة ، ومحتد عريق ، وأصالة في الأريحية والكرم والنبل .

(٢) للسيدين نجيب ندرة وضرغام حداد نشاط بارز في خدمة الجالية وجمع كلمتها وتوحيد صفها وقد زار السيد (ندرة) الوطن منذ فترة وجيزة ، وقضى في ربوعه وقتاً غير قصير ، كان فيه موضع التجلة والتقدير والاعتبار .

(٣) عينت حكومة تشيلي السيد (حافظ اللبان) سفيراً لها في سورية ولبنان ، والسيد اللبان من أبناء حمص الكرام ، وكان خير واسطة للتعارف والتعاون بين الوطن والمهجر ، وقد استقال من منصبه وعاد إلى تشيلي للاشراف على أعماله الواسعة هناك . وكان خير ممثل للمهجر في الوطن ، كما هو الآن من خيرة ممثلي الوطن في المهجر .

ونسجل هنا بعض الحوادث الطريفة التي يرويها الناس في امريكا . وهي تدل على مدى نفوذ ابناء الجالية ، وتأثيرهم في المجتمع الأمريكي ، بالانتخابات العامة هناك .

الحادثة الأولى : (١)

جرت في احدى المدن التابعة لولاية « مندوسا » بالارجنتين انتخابات للمجلس البلدي وتنافست الاحزاب في الترشيح لها . وأسفرت المعركة الانتخابية عن فوز تسعة أعضاء من ابناء الجالية العربية ، وفوز عضو واحد ارجنتيني . وعقد المجلس البلدي جلسته الاولى ، فلم ير الاعضاء المنتخبون لزوماً للتكلم بغير اللغة العربية . ثم لم يلبثوا حتى أخـذوا يدونون محضر الجلسات باللغة العربية أيضاً . وحار العضو الارجنتيني عما يفعل . وبعث بشكواه الى المراجع المسؤولة التي ألزمت الأعضاء بكتابة المحضر باللغة الاسبانية لغة البلاد .

ولم يكد موعد الانتخابات التالية يقترب حتى صدرت الصحيفة المناوئة للمرشحين العرب ، وفي صدرها « الشروط » المزعومة ، التي يجب ان تتوفر في المرشح لكي يضمن نجاحه .

وهذه هي الشروط التي اقترحتها الجريدة :

١ ـ ان يتقن اللغة العربية .

٢ ـ ان يكون من ابوين عربيين .

٣ ـ ان يكون غير ارجنتيني .

٤ ـ يرجح العضو الذي يجهل اللغة الاسبانية .

ولا يخفى ما في هذا القول من تنكيت واستخفـاف بالوسط الارجنتيـني وتعريض بالارجنتينيين الذين يؤيدون المرشحين العرب . وكان موضع تندر الأوساط كلهـا — وما يزال .

الحادثة الثانية : (٢)

كان صاحب حانوت للبقالة والجزارة قد وضع فوق مدخل حانوته لافتة كتب عليها : فلان ... بقال وجزار وكان لصاحبنا هذا نفوذ في المنطقة . وجرت الانتخابات لانتخاب حاكم للمدينة . وبذل البقال جهوده لنصرة احد المرشحين . وظفر هـذا بمنصب حاكم

---

(١) راجع كتاب (مهمة في قارة) للاستاذ اكرم زعيتر

(٢) راجع نفس الكتاب

المدينة . وأحب أن يكافىء صديقه (البقال) العربي على الجهود التي بذلها في سبيله ، فعينه مديراً للشرطة .

وأسرع مدير الشرطة الجديد ــ وهو صاحب الحانوت المشار اليه ــ فنزع اللافتة عن حانوته ، وأضاف اليها .

ومدير الشرطة !

فصارت اللافتة هكذا :

فلان .. بقال وجزار . مدير الشرطة!

وتناولت الصحف الارجنتينية هذه الحادثة بالتنكيت والتعليق ، وجعلها أحد المؤلفين موضوعاً لمسرحية فكاهية مشهورة .

الحادثة الثالثة :

السيد انطونيو نعوم (١) مغترب من حمص ، فاز برئاسة بلدية (جوليو) في بوليفيا ، وهو تاجر أقمشة وخردة ، وبعد فوزه برئاسة البلدية نزع (اللافتة) عن واجهة مخزنه ، وكتب عليها :

فلان .. تاجر اقمشة وخردة . ورئيس البلدية !

وكانت ايضاً موضع تندر ، وفكاهة ، وتعليقات شتى ..

هذه الحوادث وان كانت تدل على بساطة المغتربين ، وسذاجتهم ، فإنها تدل من جانب آخر على مدى نفوذهم ، وتأثيرهم في الوسط الاجتماعي الذي يسكنون فيه .

* * *

ان عدد المغتربين العرب وابناءهم وأحفادهم ، في البرازيل ، لا يبلغ المليون نسمة ، واذا بلغه فإنه لا يتعداه . ومع ذلك فإن تأثيرهم المعنوي والمادي في تلك البلاد ، يزيد أضعاف الأضعاف عن تأثير عددالنفوس .

ولو اردنا ان نحصي عدد النواب الاتحاديين والمحليين ــ اي في مجلس الاتحاد والمجالس المحلية ــ لوجدناه يفوق كثيراً ما كان يجب أن يحصلوا عليه ، لو كان الامر مقتصراً على

---

(١) هو عم السيد جورج سيف الذي يرأس فرع أمريكا اللاتينية بالاذاعة السورية ، ويديره بكفاءة وجدارة وفهم ، وعناية وإخلاص تامين وكان مغترباً يقيم في مدينة بونس ايرس عاصمة الأرجنتين ويصدر صحيفة فيها اسمها السيف ثم عين موظفاً في السفارة العربية ، وحينما طلب اليه العودة إلى سورية للاشراف على إذاعة المغتربين لبى الطلب بسرعة ، بعد أن تخلى عن منصبه وجريدته ورأ ٍ مال ضخم له هناك

عدد النفوس (١) .

وهكذا قل في باقي الجمهوريات الامريكية ـ ما عدا الولايات المتحدة ـ لأن سيطرة اليهود عليها قد حجبت العرب عن مرافقها العامة ، وأقصتهم عنها الى حد بعيد .

وهذا موضوع سنفرد له فصلا خاصاً .

ومع ذلك فلو أن الجالية العربية تعرف كيف تستثمر مكانتها وامكانياتها ، وشخصيتها المعنوية والاجتماعية ، وثقة الناس بها ، وتقديرهم شمائلها (٢) ، لكان تأثيرها أهم بكثير مما هو عليه الآن (٣) .

ولكن الذي يعوز الجالية العربية الكريمة ، أن تعرف مدى فائدة التضامن ، وتوحيد الكلمة ، ورسم الهدف ، والتقيد به ، وبالسير نحوه ، وتجنيد كل المواهب للوصول اليه (٤) .

وما ذلك على قدرة العربي ، وطاقته الجبارة ، ببعيد .

---

(١) لقد مر معنا في مكان آخر انه يوجد الآن في مجلس الاتحاد بالبرازيل ١٨ نائباً فضلا عن مئات النواب في جميع المجالس المحلية ويوجد ٨ حكام ولايات منتخبين من أصل ٢٢ حاكماً عدا الوزراء في مختلف الولايات وهكذا دواليك في أكثر الجمهوريات الامريكية

(٢) قال رئيس مجلس الشيوخ البرازيلي في اجتماع خاص

« لقد تعلم والدي ثلاثة دروس من الجالية السورية واللبنانية ، كانت من أهم أسباب نجاحه : لقد تعلم منهم أولا أن يذهب في الساعة السابعة صباحاً إلى محل عمله ، وتعلم منهم المجاملة ورحابة الصدر اكتساباً للزبائن والعملاء وتعلم منهم كيف يبيعون نقداً ، ويشترون بالتقسيط .

(٣) هناك نكتة يرددها أهل البرازيل في مجتمعاتهم تقول :

« عاد لبناني إلى مدينة سان باولو بعد غياب بضع سنوات ، فسأل أصدقاءه : ما أخبار ريكاردو يافث من الشوير ؟ قالوا هو اليوم حاكم بنك الإصدار في البرازيل ، قال وادواردو باحوط من بيروت ؟ قالوا هو اليوم أمين عام وزارة العدل ، وفوزي وأميليو كارلوس من أهمج ؟ قالوا الأول وزير صحة والثاني نائب سان باولو في مجلس النواب ، والدكتور الفريدو نصر من عكار ؟ قالوا هو حاكم ولاية غوياس وو ... الخ ثم سأل من هو حاكم سان باولو اليوم ؟ فأجابوا هو اديماردي باروس ، فهز العائد رأسه علامة عدم الرضى وقال ما دخل هذا الأجنبي بيننا ؟ ألم تجدوا لبنانياً تختارونه حاكماً لهذه الولاية » .

(٤) من اللامعين المرموقين في الأرجنتين : كتابة وخطابة ، ونشاطاً اجتماعياً ملحوظاً ، هو السيد ميشال فوزما ، الذي يعتبر من أبلغ الخطباء تأثيراً على الجماهير ، وتدفقاً ، وبلاغة ، وقوة جرس ، وحسن اسلوب

العباقرة العرب في امريكا

لقد لمع بين أبناء الجالية العربية في أمريكا نوابغ موهوبون ، وعباقرة مجلّون . وظهر بينهم مخترعون أفادوا العلم ، ووضعوا لتطوره وتفوقه أسساً قويمة ، وركائز مكينة ، ومهدوا السبيل لكل بحاثة ينقب عن الوسائل التي ترفع من قدر الإنسان ، وتعلي من شأنه ، وتضعه في المكان الذي يليق بحامل مشعل ، ولواء وحضارة .

وفي طليعة هؤلاء العباقرة المرحوم « حسن كامل الصباح » .

ولد في النبطية بجبل عامل من لبنان . وهاجر الى امريكا ، وهو طفل . وتسنم ذرى العلم صغيراً . فأبدع ، وتفوق ، وجلّى ، وحلق حتى وصل الى قمة الشهرة ، الى السماكين .

وكان يطلق عليه لقب « اديسون الشرق » ، او « اديسون الصغير » .

وسجل له اربعون اختراعاً ، وتحسيناً لاختراع .

وهو اول من وضع تصميماً لخزن اشعة الشمس ، واضاءتها في الليل ، واستخدامها في الوقود .

وقد عرض عليه العمل بالاتحاد السوفياتي لقاء مائة الف دولار سنوياً ، فاعتذر . وفضل عليه عرضاً متواضعاً من الملك فيصل للعمل في العراق ، وتشييد مصنع يختزن اشعة الشمس في النهار ، لتضيء في الليل .

ولكنه توفي بحادث سيارة — وكانت حادثة غريبة ومريبة . واتجهت الظنون كلها نحو مؤامرة يهودية أعدت للتخلص منه ..

وحينما شيع جثمانه من مرفأ نيويورك توقفت كل مصانع المدينة خمس دقائق حداداً على

النابغة العربي . واشترك المسؤولون الامريكيون رسمياً بتشييع الجثمان (١) .

ويكفي ان نذكر المرحوم حسن كامل الصباح حتى ندل على مدى تفوق الذهن العربي في المهجر ، واصالة العبقرية والنبوغ فيه .

لقد زارني (٢) في مدينة امريكية مهندسان من اصل عربي ، والدهما من مدينة تدمر . وذكر لي ان عندهما اختراعاً عسكرياً هاماً حول المتفجرات.. وانهما يريدان وضع خبرتهما وتجاربهما تحت تصرف الجيش السوري . وانهما كتبا الى المفوضية السورية في العاصمة ، واتصلا بالوزير المفوض ــ وكان يومئذ الدكتور « زكي الجابي » ــ واطلعاني على جواب منه ، يخبرهما فيه انه نقل رغبتهما الى الحكومة السورية ، وانه ما زال ينتظر جوابها . وفي كتابه عبارات شكر وتقدير وتشجيع .

وقالا لي :

انهما لا يطلبان مرتباً ضخماً ، بل يطلبان مرتباً يؤمن لهما عيشاً شريفاً كريماً ــ ولا اكثر وانهما يريدان أن يضعا امكاناتهما العلمية تحت تصرف بلادهما . وهما مستعدان لتجهيز المصنع بأسرع وقت ممكن .

واتصلت ــ يومئذ ــ بالمسؤولين في وزارة الدفاع ، بعد عودتي من المهجر ، وأطلعتهم على تلك الرغبة الملحة المخلصة من ذينك المغتربين ، المتلهفين لخدمة أمتهما ووطنهما .

وطلب المسؤولون بوزارة الدفاع ان يبعثا بصورة عن شهادتيهما ، وملخص لاختراعهما وشروطهما وو .. الخ .

وكتبت لوالد المهندسين ــ الموظفين بوزارة دفاع تلك الجمهورية الامريكية ، عن طلب وزارة الدفاع في سورية .

واجابني المهندسان عن نوع شهادتيهما . وقالا ان الاختراع سري لا يمكن الافصاح عنه في رسالة . وانه لا شروط لهما الا قبول تطوعهما لخدمة وطنهما ، وتأمين حياتهما بشكل لائق مرض .

---

(١) حينما وصل جثمان المرحوم « حسن كامل الصباح » الى مرفأ بيروت لم يكن باستقباله أحد من الرسميين اللبنانيين . وشيع جثمانه في النبطية ـ مسقط رأسه ـ أكثر من خمسين الف مواطن عربي . وليس بينهم مسؤول واحد .. فتأمل !

(٢) كان ذلك سنة ١٩٥٣ .

وارسلت جوابهما الى وزارة الدفاع .

ولم نتلق منها ـ رغم مراجعاتنا المستمرة ـ أي جواب !

وذهبت تلك المساعي سدى !

وفرت من ايدينا فرصة ذهبية نتيجة التقاعس والاهمال !

وزارني في مدينة « كورومباه » بالبرازيل ضابط من اصل عربي . وذكر لي ان عنده خبرة كافية بالمصفحات . وقد اعد تصميماً دقيقاً لتطويرها . وعرض علي رغبته بالعمل في الجيش السوري ، وطلب الي التوسط على ان يقبل بنفس رتبته العسكرية .

ونقلت عرضه الى السلطات السورية يومئذ .

ولكن . بدون جواب !

واخبرني القائم بأعمال المفوضية السورية في تشيلي ان مهنـــدساً من اصل عربي زاره . واخبره ان لديه اختراعاً لتبسيط آلة الرادار ، وهو مستعد لإقامة معمل له في دمشق ، ومتعهد بتهيئة الآلات اللازمة لهذا المعمل .

وكتب الموظف السوري الى حكومته عن هذا العرض .

ولا من مجيب !

وفي (مونتيفيدايو) عاصمة اورغواي لمع اسم مهندس من اصل عربي . وسجل عدة براءات اختراع . وقد زرته في مكتبه ، واطلعت على احد اختراعاته ، وهو يتعلق بقياس المسافات بواسطة آلة تحمل في اليد .

وفي سان باولو المدينة الصناعية الكبرى في البرازيل ، والتي يقطنها اكثر من مائة وخمسين الف عربي ، يقيم المهندس الشهير السيد ألبرتو رزق الله ابن السيد نجيب رزق الله من حلب وقد نجح في احدى عشرة مسابقة دولية ، وكان الناجح الاول فيها جميعاً ، وتقديراً لعبقريته ونبوغه اوكلت اليه حكومة سان باولو اعداد تصميم لبناء جامعتها الكبرى ، التي اعدت لتستوعب اكثر من مائة الف طالب .

ومن العباقرة المرموقين ، في الولايات المتحدة الأمريكيـــة ، الذين سجلوا اختراعات هامة ومفيدة ، المهندس « جرير حداد » ابن الاستاذ « عبد المسيح حداد » (١) صاحب

(١) لقد زار الاستاذ عبد المسيح حداد وطنه الأول سنة ١٩٦٠ وقضى فيه بضعة أشهر ، كان خلالهـــا موضع تقدير الأوساط الأدبية والسياسية والاجتماعية . وكانت ترافقه السيدة عقيلته . وبعد أن غادرنا إلى امريكا أتحفنا بكتابه النفيس عن جولته في سورية . وقد نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي . وأشرف على طباعته

جريدة « السائح » المحتجبة . والتي كانت حقولها العامرة وقفاً لخدمـــة الأدب العربي ، والقومية العربية .

والمهندس جرير حداد هو الآن كبير مهندسي (شركة الآلات العالمية الحاسبة الكبرى) بنيويورك (١) ومرتبه السنوي ثمانون الف دولار .. والآلات التي تنتجها هذه الشركـــة تؤجرها كلها للدوائر الرسمية ، ولا تبيع واحدة منها .

ويعد مهندسنا العبقري هذا اختراعاً فذاً يساعد أهل الفكر والمثقفين الى حد بعيـــد . وخلاصته انك اذا اردت ان تعرف اين يقع موضوع معين ، فما عليك الا ان تضع هـــذا الكتاب في مكان خاص من الآلة ، وتضع الى جانبه السؤال الذي تريده ، ويعمل العقل الالكتروني الجبار خلال دقيقتين اثنتين ، ثم يخرج لك ورقة فيها رقم الصحيفة التي يوجد فيها الموضوع الذي تطلبه ' ورقم السطر ايضاً ، فتأمل !

كأنها اسطورة .

ولكنها احدى معاجز العلم التي ظهرت ، وتظهر على يد عربي .

انه سيعيد تاريخ أجداده ، وتاريخ تفوقهم ، ويضيف الى تراثهم الخالد بخدمةالحضارة والمدنية والعلم ، صحائف جديدة ، من ذهب ونور .

وثمة مخترعون نوابـــغ كثيرون ، في مختلف الجمهوريات الامريكيـــة ، وخاصة الشمالية

الاستاذ الكبير نظير زيتون ، وعسى أن تتيح لنا السلطات العربية في جمهوريتنا الفتية فرصة ثانية للقيا رجل له في خدمة القضية العربية ، وفي معقل الصهيونيه جولات وصولات ، ومواقف جريئة مشهورة ' وهو من مؤسسي الرابطة القلمية ومن رجالات الرعيل الأول الأدبي الأول في أمريكا .

بعد كتابة ما تقدم حملت الينا البرقيات نبأ وفاة المرحوم عبد المسيح حداد . وقد أبرقت وزارة الثقافة والارشاد القومي إلى أسرته معزية بوفاته يرحمه الله .

(١) كتب الي الاستاذ عبد المسيح حداد قبل وفاته بقليل يخبرني ان مجلس ادارة الشركة - شركة الآلات العالمية الحاسبة الكبرى - وهي كبرى الشركات الأمريكية للاختراع ، قد أصر على أن يتولى نجله جرير ، رئاسة مجلس الادارة ' ومدير الشركة . ولكن المهندس رفض ذلك حتى لا تشغله الأعمال الادارية عن التفرغ الكامل للعلم ، والانصراف التام للاختراع . ولكنه اتجاه الحاح مجلس الادارة واصراره قبل منصب نائب المدير حتى يتسنى له الاشتراك بتوجيه الادارة ، دون أن يناط به شيء من أعمالها الادارية .

منها ، وقد كتب عن بعضهم الاستاذ سعيد عقل ، في مجلة الصياد اللبنانية فصولا طويلة أشاد فيها بذكرهم ، واستعرض اسماءهم ، وتحدث عن اختراعاتهم ، والمجالات التي يعملون فيها .

ناهيك عن النوابغ الذين برزوا في مختلف الحقول .. من طب ، ومحاماة ، وأعمال كثيرة لا حد لها . والذين يعجز هذا القلم ، وأي قلم آخر ، عن احصائهم ، او احصاء اعمالهم واكتشافاتهم . لأن ذلك فوق الطاقة ، وفوق القدرة والامكان .

وصدق بدوي الجبل :

ما قل فينا النابغون وانما عدد الالى قدروا النبوغ قليل



المغتربون واليهود

في كل جمهورية من الجمهوريات الامريكية عدد من اليهود ، يتراوح بين القلة والكثرة بالنسبة لعدد سكان البلاد ، وبالنسبة لأهميتها الاقتصادية والتجارية .

وقبيل الحرب العالمية الاولى كان عدد اليهود ، في امريكا الجنوبية والوسطى ، ضئيلا جداً . وكانت ثمة جمهوريات لا يوجد فيها يهودي واحد . وقد بدأت هجرتهم الى تلك البلاد بعد الحرب ـ ولكنها ظلت على نطاق ضيق ومحدود .

ولا شك ان لليهودية العالمية مخططاً بعيد المدى ، عميق الجذور (١) . فقد اتجه اليهود من فلسطين العربية (٢) الى الشمال ، عقب الفتوحات العربية ، ولما استقروا في روسيا ، واثبتوا ركائزهم فيها ، انحدروا منها الى اوروبا الوسطى والغربية ، ثم عبروا المحيط الى

---

(١) راجع كتاب اليهودية العالمية في مراحل التاريخ للكاتب الالماني « فريدريك سان » .

(٢) ان الأسباط اليهودية الاثني عشر جاءوا من وراء بلاد ما بين النهرين الى فلسطين حيث أقصاهم الكنعانيون ـ سكان البلاد الأصليون ـ إلى مصر وطردهم فرعون من بلاده ، فقفلوا راجعين الى فلسطين .

واستفادوا من المد والجزر في البحر الأحمر ، فعبروه إلى فلسطين عن طريق سيناء ، حيث تاهوا في صحرائها أربعين سنة. وبعد أن آمن الرومان بالمسيحية واعتنقوها ديناً ، شرعوا باضطهاد اليهود ، فهرب الكثيرون منهم الى تدمر والجزيرة العربية . وحينما ظهر الاسلام ناهضوه ، وتآمروا على الرسول في معركة « الخندق » ، فأقصي الأحياء منهم بعد انتهاء المعركة ، عن المدينة ، ولاقوا جزاء ما يستحقون . وحينما أحاطت جيوش المسلمين ببيت المقدس في فلسطين ، أصر البطريرك المسيحي على عدم تسليم مفاتيح المدينة الا الى الخليفة عمر ابن الخطاب . وقبل عمر ، وذهب الى بيت المقدس ، وسامه البطريرك مفاتيح المدينة ، وهو يقول له : « اني اضعها أمانة في عنقك ألا تسمح لليهود بسكنى بيت المقدس ، واني أئتمنك عليها ، وأنت خير من يؤتمن ، كما كانت أمانة في عنقي ممن تقدمني . ولم يسمح عمر ولا من جاء بعده من الخلفاء الراشدين بعودة اليهود إلى بيت المقدس . ولكنهم بدأوا يتسللون الى فلسطين حينما ضعفت شوكة الخلافة الاسلامية ، وكثر النزاع في الأقطار العربية . ومع ذلك فإن عددهم في مطلع القرن العشرين لم يبلغ السبعين الفاً . ومن مخطط اليهودية العالمية ، ان قسماً منهم يتمركز في البلاد التي يلجأون اليها ، ويرحل القسم الآخر إلى بلاد أخرى ـ وهكذا دواليك .

الولايات المتحدة الامريكية ، ليسيطروا على مرافقها العامة والخاصة ، ويبتزوا جهود ابنائها وسخاء الطبيعة في ارضها . وبعد ان استقر الملايين منهم في الولايات المتحدة، بدأت موجاتهم بالتسلل الى امريكا الوسطى والجنوبية ، وخاصة البرازيل والارجنتين (١) .

منذ بضع عشرة سنة ، لم يكن عدد اليهود في البرازيل يزيد على خمسين الفاً ، بين خمسين مليوناً (٢) من مختلف الجنسيات ، وكان عددهم في الارجنتين آنئذ حوالي ربع مليون . وقد قفز هذان الرقمان ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، قفزات مذهــلة ، اذ صار عدد اليهود في البرازيل يربو على الثلاثمائة الف ، وفي الارجنتين على نصف مليون ! وقس على ذلك بقية الجمهوريات الامريكية ، ويقدر عدد اليهود الآن في امريكا الجنوبية والوسطى بمليون ونصف مليون .

وما يزال اليهود يتدفقون على تلك البلدان ــ بالرغم من ان قوانين بعض الجمهوريات تمنع دخولهم اليها ، ولكنهم لا يعدمون إيجاد الوسائل التي تمكنهم من التسلل الى المكان الذي يريــدون !

وليست العبرة بكثرة عدد اليهود ، وانما العبرة بسيطرتهم على حيز كبــير من مرافق البلاد واقتصادياتها ، والخطر يكمن هنا ، وفي تضامنهم وتكــاتفهم ووحدة كلمتهــم ، وخضوعهم الاعمى لمنظمة صهيونية ترعاهم ، وتوجههم ، وترشدهم ، وتجعل من نفسهــا قيماً عليهم .

وهم لا يظهرون على الجالية العربية الا بهذا ..

لأن خلق العربي وشمائله ، تكفل له التغلب على دسائس الصهيونيــة العالمية ، وتفتــح امامه آفاقاً رحبة لا يستطيع اليهود أن يلجوها ــ لو عرف كيف العرب ينظمون أنفسهم ، ويعملون .

وإن تضامن اليهود ، وتكاتفهم ، وسعيهم ، جميعاً نحو غاية واحدة ، وهدف ثابت ، يجعل منهم قوة خطرة رهيبة .

وهذا مايفتقر اليه العربي كل الافتقار .

ولنضرب لذلك مثلا :

---

(١) صرح الرئيس « سيكوتوري » لمندوبي إحدى الصحف العربية بأن اليهود بــدأوا يتسللون الى افريقيا وفق خططهم المرسوم .

(٢) عدد سكان البرازيل الآن حوالي ٧٥ مليوناً .

يوجد في الأرجنتين وحدها ما يزيد على سبعين جمعية وناديا عربيا بينما لا يوجد في تلك البلاد كلها ، الا ناد صهيوني واحد ــ له فروع في المدن التي يقطنها يهود .. فتأمل !

ليت الجمعيات والاندية العربية ترمي كلها الى هدف واحد ، وتسعى نحو غاية واحدة ، إذن لهان الخطب ، ولكانت هذه الكثرة حافزة إلى الجد والدأب والعمل المشترك . بل انها على النقيض من ذلك .. ذات أهداف متباعدة ، ومرام متناقضة متعددة . فضلا عن اقليمية اكثرها ! وطائفية بعضها ! وشعوبية البعض الآخر !

ونحن لا ننكر عاطفة العرب نحو فلسطين . ولا نضع من قيمة الجهود التي بذلوها ، والتضحيات التي اقدموا عليها بنفس مؤمنة ، وقلوب مخلصة ، واكف سخية ندية .

ولكن هذه التضحيات ــ رغم كثرتها ، وضخامتها ،وبراءتها ــ لو وضعت الى جانب تضحيات اليهود لما اعتبرت شيئاً مذكوراً (١) .

قلنا إن امكانيات اليهود هي اكثر من امكانيات العرب . وهذا لا ريب فيه ولا شك ، ولكن لو قارنا بين جهود اليهود بالنسبة لإمكانياتهم ، وجهود العرب بالنسبة لطاقتهم ،لوجدنا ثمة فارقاً غير قليل .

كنت في مطلع سنة ١٩٤٨ في مدينة توكومان بالارجنتين حينما نشرت الصحف المحلية هناك ، ان مبعوثاً يهودياً زار تلك المدينة . ليجمع التبرعات من اليهود لإسرائيل ، فجمع منها وحدها مليوناً ونصف مليون ريال ارجنتيني .

وقيل لي يومئذ ان احد اليهود يملك اربعمئة الف ريال ، وله ولدان ، قدم احدهما للجيش الاسرائيلي ، وتبرع بنصف ماله لاسرائيل . وهكذا يكون قد قسم ثروته واسرته مناصفة بينه وبين القضية التي يؤمن بها ، ويذعن لها .

ولن انسى تلك النظرة الحاقدة السامة ، التي كان يحدجنا بها ذلك المبعوث الصهيوني ،

---

(١) قبل أن أذهب الى امريكا في خريف سنة ١٩٤٧ وأنا أحمل كتاباً من فخامة السيد شكري القوتلي - رئيس الجمهورية السورية يومئذ - الى المبعوثين السوريين في الخارج يذكر فيه اني موفد إلى المهجر لتجنيد إمكانياتي كلها في سبيل فلسطين – قمت بزيارة الحاج أمين الحسيني ، رئيس الهيئة العربية العليا في منزله بعاليه ابنان برفقة الصديق المغترب السيد محمد وفا ، وكان حديث سماحته معنا ينصب طوال الوقت على المغتربين ولم يمسك سماحته عن استعمال كلمة تقصير بالنسبة للمغتربين نحو فلسطين . وكان يركز أكثر حديثه عليها .

وفي يقيني ـ الذي لا يتزعزع ـ أن التقصير كان من جانب الحكومات العربية ، لأنها لم تعرف كيف توجه المغتربين التوجيه الكافي ، وتستفيد من طاقتهم وإمكانياتهم . والمغتربون بفطرتهم كرماء وأهل نجدة ونخوة ، وكل تقصير يعزونه اليهم تقع مسؤوليته على عاتق الحكومات العربية قبل أن تقع على عاتق المغتربين .

وهو يجلس على مائدة قريبة من تلك التي كنا نجلس عليها ، بدعوة من رجل المروءة والاريحية والشهامة ، ابراهيم الخاروف .

وقبل ان ينهض مندوب الصهاينة ، ورفاقه الكثيرون ، قدم له كل واحد منهم ، شيكاً بمبلغ من المال .

وما اريد ان اغض من قدر الجالية العربية ، ولا ان انال من مستوى قيمها الرفيعة . ولكنه من غير الوفاء لها ، وللقضية التي تؤمن بها ، ونؤمن نحن معها ، الا نقرر هنا حقيقة دامغة ـ وهي : ان اهتمام اليهود بباطلهم ، كان اكثر من اهتمام العرب بحقهم !

وليس من الانصاف في شيء ، ان نحمل الجالية العربية مسؤولية هذا الاهمال ، ونطرح هذه المسؤولية عن عاتق الحكومات العربية المسؤولة عن كل تقصير واهمال .

ان سوء الادارة ، وعدم تنسيق الجهود وتركيزها ، كان احد الاسباب الرئيسية لكل ما نشكوه من قصور وتقصير ..

ولقد استيقظت الجامعة العربية ـ كما ذكرنا آنفاً ـ من سباتها العميق ، فأوفدت لجنة مؤلفة من السادة : اكرم زعيتر ، توفيق اليازجي . نصري معلوف ، للاتصال بالجالية العربية ، والحكومات الرسمية .

وقد شكلت هذه اللجنة لجاناً محلية لجمع التبرعات ، وتبني الدعاية لفلسطين ، وكانت تقابل بحماسة بالغة في كل مكان ، واستطاعت ان توفق بين الآراء المختلفة ، وان توحدها من اجل فلسطين .

ولكن (١) ..

غفر الله لهذه « اللاكن » .. وغفر لنا ايضاً ..

لقد كانت نار الحمية والغيرة ـ كما رأينا ولمسنا ـ تضطرم في نفوس المغتربين . غير ان تلك النار المشبوبة ، والغيرة الملتهبة ، والحمية الصافية الصادقة ، كان يعوزها من يذكيها وينميها

---

(١) كان لادارة بعض اللجان أثر كبير في توقف التبرعات . من ذلك مثلا اللجنة في عاصمة الارجنتين فقد عينت ثماني فتيات ضاربات على الآلة الكاتبة ! علاوة على عدد من الموظفين ! فكانت التبرعات تذهب رواتب لهؤلاء ! مما دفع الكثيرين للاحجام عن التبرع الذي يذهب إلى جيوب الموظفين ، ولا تستفيد منه فلسطين ولا أحد من اللاجئين ، إلا النزر اليسير .

وأما اللجان التي شكلت في البرازيل ، وخاصة في مدينتي : سان باولو ، وريو دي جانيرو ، فقد كانت اكثر اقتصادا واهتماماً وإنتاجاً . ولقد أظهرت تلك اللجان الخاصة من الدأب والجد والحرص ما حفز أبناء الجالية لمتابعة تبرعاتهم ، وإرسالها عن طريق اللجان المختصة إلى الهيئات المسؤولة في الوطن الأم .

ويعرف بعد ذلك كيف يوجهها ويستثمرها ، ويحسن الإفادة لوطنه منها .

* * *

انا لا استطيع ان افرق بين اليهودية والصهيونيــة ــ وان كنت اختلف بذلك مــع الكثيرين . ففي يقيني ان اكثر يهود العالم ، ان لم يكونوا كلهم ، مؤمنون بسياسة الصهيونية ومتقيدون بها . ينفذون تعاليمها ، ويتبنون خططهــا وبرامجهــا ، ويسيرون على ضوء ارشاداتها ومناهجها .

واذا كانت اليهودية ، كدين سماوي ، لا علاقة لها بنشوز اتباعها ، وخروجهم على تعاليم السماء ومبادئها ، فان واقعها الحالي يثبت ــ بصورة لا تقبل الجدل ولا الشك ــ ان اتباع هذا الدين مؤمنون بالصهيونية العالمية ، وقد جندوا كل امكانياتهم لخدمتها . وان اليهودية والصهيونية ــ في عرفهم وعقيدتهم لا يفترقان .

ان العرب والصهيونية اعداء صميمون .

ان الصهيونية التي اختلست ارضاً عربية ، وثروة عربية ، وتاريخاً عربيــاً ، وشردت مليون عربي من ديارهم ، لتحل مكانهم مليون يهودي ، جيء بهم من بلدان متعــددة ، وقارات مختلفة ، وجنسيات متباينة ، هذه الصهيونية المجرمة هي عدوة كل عربي ــ اينــما كان ، وانى سيكون . ولا يجوز ان يهادنها العرب ، ولا ان يغمضوا طرفهم عنها . انهــا عدوتهم اللدودة .. تسعى لجلب ملايين اخرى من اليهود لتحلهم محل ملايــين اخرى من العرب ، في بقاع جديدة ، تمني نفسها باحتلالها وتشريد سكانها منها ، ولكن يقظــة العرب ، وبطولتهم ، وإيمانهم بحقهم ، سيجعل اليهود ــ ومن وراءهم ــ قوماً خاسرين ، بإذن الله .

* * *

بقي ان نقول ان سيطرة اليهود في اميركا ، على الصحافة ، ودور الصحافة ودور النشر وتحكمهم بوسائل الاذاعة والدعاية ــ من سينما وتلفزيون ــ يساعدهم في تحكمهم الاقتصادي وفي سيطرتهم على اتجاهات الرأي العام ، ومختلف مجالاته .

ولو ان العرب يحشدون امكانياتهم ، او بعضها ، في هذا السبيل لما استطاع اليهود ان يتفوقوا عليهم كل هذا التفوق في مجالات الدعاية لقضيتهم ، ولاستطاع العرب ان يوجدوا بعض الثغرات في هذا البناء المحكم الذي اقامه اليهود .

بل لو استغل العرب كرمهم المشهور ــ كما يجب ان يستغل ، واستثمروا طاقــاتهم

الروحية ـ كما يجب ان تستثمر ، لكان لهم ألسنة اكثر حيوية وانطلاقاً ، واقلام اكثر حماسة واندفاعاً ، ولوجدوا لقضيتهم نصراء في جميع الامكنة . وفي جميع الظروف والمناسبات .

توجد في اميركا اذاعات عربية ، وان تكن تختلف عن اذاعات اليهود كثرة وغنى ، ولكن من الممكن ان تؤدي بعض الخدمات للقضية العربية .. فتحشو برامجها بإعطاء معلومات عن الوطن الأم ، ومأساة فلسطين ، وحقوق اللاجئين العرب ، في اطار برامجها الاذاعية المتنوعة .

وبإمكان العرب ان يوجهوا اعلاناتهم ، واشتراكاتهم ، ومشترياتهم ، نحو جريدة كبرى معينة ، او جريدتين كبيرتين ، في كل مدينة توجد فيها جالية ، ولا بد ان تتأثر هذه بمصلحتها ، فتقف الى جانب العرب بدلا من وقوفها الى جانب اليهود .. او تكفكف من غلواء حماستها ضدنا ـ على الأقل . لأنه يندر ان توجد صحيفة ـ لا تتأثر الآن بدعاية اليهود ولا توجه بإرشاداتهم ضدنا .

* * *

واسرائيل على لسان كل يهودي .. في كل محفل وزاوية ومكان .

واما فلسطين العربية ، فيندر ان يقف لها كل عربي جهوده وامكانياته جميعاً !

وصلات اليهود كلها مع الآخرين تهدف الى تعزيز مكانتهم ، وخدمة قضيتهم .

واما صلات العرب فانها عادية مترفعة !

والعرب الذين وطدوا العزم على البقاء في اميركا ، قد قصروا آمالهم واحلامهم عليها .

واما اليهودي ، اينما كان ، فإن آماله واحلامه ، وحاضره ومستقبله ، كلها لفلسطين .

* * *

قد اكون في كتابتي هذه موجعاً .. ولكن لا يستطيع احد ان يتهمني بالتحامل على المغتربين ـ وانا الذي احمل رسالتهم في قلبي وعلى لساني وفي ضميري ووجداني وادافع عنهم بكل ما املك من حول وطول ، وفي كل مكان وزمان .

ولكن من الخير لهم ، ولنا ، ان نكون صريحين .

وان نتحدث عن واقعنا بجرأة ، وصدق ، واخلاص ..

وما نقوله عن المغتربين .. نقول اضعاف اضعافه عن المقيمين .

ان العربي ـ هنا وهناك ـ يعوزه ان يكون اكثر اندفاعاً نحو قضيته ، واكثر دفاعاً عنها ، وتشبثاً بها ، والتفافاً حولها .

والدول العربية ، والجامعة العربية على الأخص ، مسؤولة عن ذلك اكثر من مسؤولية الافراد لأنها او المفترض انها تضطلع بأعباء التوجيه والارشاد .

وكثيرون من المغتربين العرب في اميركا – الذين يسكنون في مناطق بعيدة ، لا يعرفون عن قضية فلسطين ، والقضايا العربية الاخرى ، الا ما تنشره الصحف الاجنبية عنها .

كنت في « مونتيفيدايو » عاصمة « اوروغواي » ، يوم كان يعرض قرار التقسيم على هيئة الأمم . ودعيت الى البيت اللبناني للاشتراك باحتفال الجالية في عيداستقلال لبنان

وبعد ان القيت الخطب .. بدأت حلبة الرقص .

وجاء من يهمس في اذني بأن الامم المتحدة قد اتخذت قراراً بتقسيم فلسطين .

ووقفت اصيح بالراقصين والراقصات :

يا قوم استحلفكم بعروبتكم الا ترقصوا على جثة فلسطين .

وخيل الي ، بل ثبت لي ، ان الكثيرين منهم ، قبل تلك الليلة ، لم يكونوا يعرفون شيئاً عن مأساة فلسطين ، ولم يسمعوا شيئاً عن مؤامرة التقسيم !

وتوقفت حلبة الرقص ، بعد ان استعمل السيد رزق الله نفاع (١) قنصل لبنان وسورية الفخري ، في اوروغواي دالته وشخصيته القوية المهيبة .

هذا .. مع انه لم يكن يوجد في العالم كله يهودي واحد الا ويعرف عن التقسيم ومؤامراته الشيء الكثير . وقد اعد نفسه لذلك اليوم متحفزاً متوثباً سعيداً .

ذلك كله ، من اهمال الحكومات العربية ، والجامعة العربية على الأخص ، لاخواننا المغتربين .

---

(١) ان السيد رزق الله نفاع من أبرز الوجوه العربية في المهجر . والجالية العربية في اوروغواي – وأكثر أعضائها لبنانيون – وإن تكن قليلة العدد ، بالنسبة لعدد اليهود ، فإن لها نشاطاملحوظا ، ومركزاً مرموقا ، وفاعلية قوية . وقد خسرت بوفاة المرحوم قيس بن رزق الله نفاع عاملا فعالا من أقوى العوامل وأنشطها في المهجر . إذ كان وحده نواة لحركة ضخمة ، وعبقرية متوثبة متفوقة . وقد كان يرحمه الله ، قبسا من جذوة أبيه المتقدة ، ومن روحه وعاطفته وضميره .

ملاحظة : عين الدكتور عفيف حداد بعد ذلك قنصلا فخريا لسورية في اوروغواي . ولكنه ما لبث ان عاد الى وطنه بعد هجرة استمرت نيفا وعشرين سنة ترك خلالها مع شقيقه رفيق أجل الأثر وأحسن الذكريات وكان – وما يزال له مركز مرموق في عالم الطب ، ومكانة مقدرة في مختلف الأوساط . وما يزال اخوه رفيق مقيما في عاصمة الأرجنتين حيث يتمتع بمكانة محترمة مرموقة . وله صلات وثيقة مع مختلف الهيئات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولقد كان بعض المغتربين يتحرقون من الغيظ ، وتضطرم نفوسهم بالألم ، حينما يذكرون تقصير حكوماتهم ، بإرشادها اياهم . واعطائهم المعلومات عما يجب ان يفعلوه من اجل فلسطين .

ليست عاطفة المقيم اي مقيم ، اكثر توقداً وتوهجاً من عاطفة المغترب اي مغترب . بل اني استطيع الجزم بأنه لا مجال للمفاضلة بين العاطفتين فيما لو عرفنا كيف نوجه اخواننا المغتربين ، ونهيج مشاعرهم ، ونفيد من امكانياتهم ، وطاقتهم الروحية والمادية .

وكل تقصير من المغتربين مرده الى الحكومات العربية ، والى ممثليها في المهاجر الأمريكية بدون استثناء احد منهم .

واذا كنا ننحي باللائمة على بعض المغتربين مخلصين فاننا ننحي اضعاف اضعافها ، على السلطات المسؤولة .

ولا نقول الآن اكثر من هذا .



فلسطين في الشعر المهجري

لقد تحدثنا في فصل سابق عن المغتربين وفلسطين ، وحديثنا هنا ، يعتبر تتمة لذلك الحديث ...

وهي تتمة لا بد منها ..

لان النكبة التي حلت بفلسطين ، هزت اوتار كل قلب عربي ، وعصفت بهناءة فكره ، وراحة ضميره ، وسعادة وجدانه . وجعلته يمشي خجولا – ولا نقول ذليلا – مطرق الهامة في البلد الذي امرعه بشمائله ، وعمره بفضائله ، وغمره بسجاياه .

وليس ثمة اقسى من هوان العزيز ، وفقر الغني ، وضعف القوي ، وعجز المقتدر .

وكان لا بد لتلك النكبة التي هزت التاريخ العربي فأدمته ، والضمير الانساني فثلمته ، والعدل البشري فجرحته . كان لا بد ان تفعل فعلها الشديد ، في نفوس الاباة الصيد ، الذين يعيشون في صميم مؤامرات اليهود . ولا اوقع في نفوسهم من النظرات التي يشزرونهم بها من عبارات التهكم التي يطلقونها ، وكلمات السخرية التي ينشرونها في الصحف والمجلات ..

وقد كان لتلك النكبة صداها العميق في البلاد العربية – كان من نتائجها انقلابات واغتيالات ، وفتن واضطرابات ، وفوضى عفّت على كل القيم التي فقدت معناها – والتي كان دونها النظام : دقة ، ودلالة ، ونتيجة ..

وكانت نتيجتها بين المغتربين خيبة امل بالمقيمين .. وصداها دموعاً حرى ، ويأساً قاتلا ، والماً دفيناً .

ولا اوجع من تلك التهمة ، ولا اشد منها قسوة ومرارة : سبعة جيوش عربية . ينتصر عليها جيش اسرائيل – جيش اللصوص ، والمشردين ، والحثالات والنفايات !

وكانت الجيوش السبعة اسطورة !

كانت وهماً كاذباً ، وخدعة قاتلة !

كانت احبولة ، وشركاً ، وحفرة عميقة لطي الامجاد .

كانت وسيلة للتغطية ، والهزيمة ، ودفن الشعارات .

كانت مؤامرة مبيتة ، يقصد بها زعزعة ايمان العربي بقضيته ، واصطدامه بقادته ، وفقدان الثقة بنفسه ، وبقوته ، وبحقه في الحياة !

ولم يكن هناك الا جيشان : جيش سورية ، وجيش مصر .

جيش سورية حديث العهد ، حديث التنظيم ، سلاحه محدود ، وذخيرته قليلة ، سلاح افراده وضباطه ايمان وعقيدة وعزيمة .

وجيش مصر سلاحه فاسد ، وحكم بلاده فاسد ، والتوجيهات التي تعطى له من القصر الملكي مشحونة كلها بالرشوة والفساد ! ولا يملك جنوده الا ايماناً وعزيمة وعقيدة .

والسعودية واليمن كانتا بدون جيش ، وبدون سلاح .

واما لبنان فان سعة حدوده مع اسرائيل لا تتفق مع ضآلة جيشه حينذاك .

وفي العراق والاردن جيش قوي وسلاح كثير .

ولكن ـ كما قال بدوي الجبل :

يهدد بالسلاح ، ويدعيه — وما ملك الجنود ولا السلاحا

فقد كانت تلك القيادة في ايد غير عربية !

لقد كانت قيادة الجيش الاردني بأيدي ضباط بريطانيين ، يتلقون اوامرهم من لندن قبل ان يتلقوها من عمان !

وكان الجيشان ـ جيش الاردن وجيش العراق ـ عبئاً على القضية العربية اكثر مما كانا درعاً لها .!

وكان الجنود الاردنيون والعراقيون يلتهبون حماسة ، ويتحرقون ألمـاً ، وينتفضون غيرة وحمية (١) .

ولكن ايضاً :

رماه في اليم مكتوفاً وقال له — إياك إياك ان تبتل بالماء

وبكى احد قادتهم وهو يقول كلمته المشهورة : « ماكو اوامر » !

ودخلت هذه « الماكو اوامر » في صميم التاريخ العربي .

---

(١) راجع كتاب الكولونيل عبد الله التل الذي حمى القدس القديمة من احتلال اليهود ، ففيه الخبر اليقين

وشكلت فصلا مستقلا في مأساته الموجعة .

وصار من الصعب ان تقرأ تاريخ النكبة في فلسطين ، ولا يعترضك هذا الفصل القاتم المؤلم وهو احد الاسس التي ينهض عليها ذلك التاريخ .

كلمتان : « ماكو اوامر » يحتشد فيهما تاريخ حافل ، وهوان وصغار !

و .. خسران معركة فلسطين .

و .. قيام اسرائيل – التي قامت بسبب تقاعس العرب واهمالهم ! وتواكلهم وكسلهم ! قبل ان تقوم على مناكب الصهيونية ، ودسائس الاستعمار .

وليس من الانصاف – للحقيقة والتاريخ – ان نطرح جانباً اهمال عرب فلسطين .. والتهاءهم بالخلافات والمشاكسات .. وترك المجال لليهود يتغلغلون ويتأهبون ، ويتمركزون وكان عددهم اضعاف اضعاف عدد اليهود ، وامكانياتهم في فلسطين ، نفسها ، لم تكن تقل عن امكانيات اليهود ، ان لم تكن تفوقها – قبل ان يصل اليهود الى ما وصلوا اليه من قوة ، وتمركز ، واستعداد (١) !

☆ ☆ ☆

تلك قصة الجيوش السبعة .. اثنان منها – سورية ومصر – ينقصهما السلاح والذخيرة وثلاثة – لبنان والسعودية واليمن – ينقصها وجود جيش نظامي ، مهيأ للمعركة ، ومعد لها .!

واثنان هما العراق والاردن تنقصهما قيادة عربية صرفة .. في ايد عربية مخلصة .

وينقص الجميع تهيئة وتنظيم .. ونظرة واقعية جدية ..

ومهما يكن ، فان المأساة قد وقعت ! والمصيبة قد حلت ! وفلسطين قد احتلت ! واللصوص قد تمركزوا فيها – الى حين ..

والمغتربون قبل المقيمين قد اكتووا بنار الخيبة ، والفشل ، والهوان ! وكانوا يقولون : «نحن» ويفخرون بها ، ويباهون فصاروا يخجلون منها ويتهيبون (٢) ..

---

(١) راجع كتاب (شكري القوتلي) او حياة رجل في تاريخ امة للمؤلف .

(٢) مأساة فلسطين كان فارس الخوري يرأس وفد سورية في الامم المتحدة وكان يملأ قاعتها بالخطب الرنانة والتهديد والوعيد . ورفض بعد استتباب الأمر لليهود ان يعود لترؤس وفد سورية في تلك الهيئة . وكتب المرحوم نجيب الريس صاحب جريدة القبس مقالا افتتاحياً في جريدته يعتذر فيه عن فارس الخوري ، ويختتم مقاله ذاك بالبيت المشهور :

ولو أن قومي أنطقتني سيوفهم ... نطقت ولكن السيوف أجرت

ولم تكن الصحافة الاجنبية ، رحيمة بهم ، ولا مترفقة ، ولا نزيهة . بل كانت متحيزة مغرضة ! تبيع حقوقها للصهاينة ، وتؤجرها لهم بثمن غال .. وتنشر لهم كل ما يريدون من افتراء وتجريح (١) ..

وكان لذلك كله أثره الدامي في نفوس المغتربين . وقد حفرت تلك المأساة الاليمة جراحاً عميقة فيها ــ وهيهات ان تندمل الا بعد عودة المليون لاجيء الى ديارهم، والابعد ان يرفرف العلم العربي على حيفا ، ويافا ، وتل ابيب . ويعود التاريخ الى مجراه الطبيعي، وتلتحم فصوله . ويصبح الحق سائداً ، والعدل رائداً .

وكان شعراء المغتربين ، ككل الشعراء العرب في مختلف العصور ، الالسنة المعبرة عن عواطف امتهم نحو فلسطين ، وعن مشاعر المغتربين وأحاسيسهم ، ومايعتلج في صدورهم من حسرة وألم ، ويأس وأسى ..

قال «الشاعر القروي» مخاطباً « بلفور » :

الحق منك ، ومن وعودك اكبر	فاحسب حساب الحق يا متجبر
تعد الوعود ، وتقتضي إنجازها	مهج العباد ، خسئت يا مستعمر
لو كنت من اهل المكارم لم تكن	من جيب غيرك محسناً « يابلفر »

وقال « ايليا ابو ماضي » :

ديار السلام ، وارض الهنا	يشق على الكل ان تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلا	وما كان رزء العلا هينا
سهرنا له فكان السيوف	تحز بأكبادنا ، ها هنا

---

(١) دعاني السيد (الياس عاصي) ، أحد وجهاء الجالية الأول في مدينة سان باولو ، وصاحب المواقف المشرفة بالدفاع عن العروبة وخدمتها ، إلى مأدبة غداء حضرها صحفي برازيلي كان في طريقه إلى البلاد العربية للقيام بتحقيقات صحفية عن قضية فلسطين . وسألني ذلك الصحفي عما أوصيه به . فقلت له : أوصيك فقط أن تأخذ ضميرك معك ، وأن تستلهمه في كل ما تكتب أو تقول .

ودعاني السيد (إسيس شاتوبريان) ملك الصحافة البرازيلية ، إلى مأدبة غداء في مدينة سان باولو حضرها وجهاء الجالية ، وأعيانها ، وذلك الصحفي نفسه ، وكان قد عاد من رحلته إلى البلاد العربية ، ونشر سلسلة مقالات سامة عنها .. وبعد أن خطب ملك الصحافة خطبة طويلة ، تكلمت بعده فشكرته .. ثم ذكرت سؤال ذلك الصحفي لي ، وجوابي له ، وقلت : ومع ذلك فإن حضرته قد نسي أن يأخذ ضميره معه ، فكتب عنا أشياء لا أثر لقناعة الضمير بها ، ولا لسلامة الوجدان ، وأطرق الصحفي البرازيلي خجلا ، ونشرت صحف شاتوبريان في اليوم التالي : (ان العرب لا يطلبون من الصحفيين الأجانب ، حينما يزورون بلادهم ، إلا أن يصطحبوا ضمائرهم معهم) .

أأرض الخيال ، وآياته وذات الجلال،وذات السنا
تصير لغوغائهم مسرحاً وتغدو لشذاذهم مكمنـــا
فقل لليهود واتباعهم لقد خدعتكم بروق المنى

وقال الشاعر المدني شقيق الشاعر القروي :

سقيناك يا غرب ماء الحياة فكان وفاؤك نفث الحمم
تعلمت رعي النجوم ـ وفاتك ان تتعلم رعي الذمم
سننت النيوب كأن فلسطين مرعى تسمن فيها الغنم
وان فلسطين للعرب روح وجلد ،ولحم ، وعظم ، ودم

لقد صدق والله . ان فلسطين في حياة العرب كل شيء وستظل في حياتهم كل شيء الى الابد .

وقال « نصر سمعان » :

يا فلسطين قدستك الضحايا وكساك الخلود اسنى بروده
انت في معزف الحياة نشيد لا تمل الحياة من ترديده
انت من قمة العلى في مكان عين صهيون اخت عين حسوده
يدعي الحق في ترابك شعب تأنف الارض من تراب جدوده
شعب «يوضاس» لم تزل في يديه بعد «يوضاس» حفنة من نقوده

وقال « حسني غراب » متحدياً وما اجمل التحدي ، والحقد ، والاعداد للثأر :

صبراًفلسطين ، صبراًوارقبي فرجاً لا بد من عجب يأتي به رجب
والحرب آتية ، والسيف منتدب لحل ما عجزت عن حله الكتب
فلينفقوا في سبيل النصر ما كنزوا من السبائك حتى ينفد الذهب
وليعلموا ان ما شبوه من ضرم هيهات يصلح الاهم له حطب
فما فلسطين بالحوض المباح ولا سكانها غنم ، ترعى وتحتلب
دون العرين أباة كالليوث لهم بالسمروالبيض في جد الوغى لعب
لا يركبون لغير النصر ان ركبوا او يغضبون لغير الحق انغضبوا
قوم اذا سئلوا أعراضهم . بخلوا بها وان سئلوا أرواحهم وهبوا

ما أعظم هذا الفخر وأجمله . كأن جريراً يعتز بقومه ، او الفرزدق يباهي بعشيرته ،اوأبا الطيب ينتسب ويتحدى .

ولما حلت النكبة ، وطغت المصيبة ، وارتفعت البراقع عن وجوه الخونــة المأجورين ، رفع الشاعر جورج صيدح عقيرته ، وأطلق هذه الصرخة المدوية ، والآهة الحرى :

وطني طيفك ضيفي في الكرى　　كلما أطبقت جفني رقد
يتجنى ، فإذا ملت الى　　ضمه اعرض عني وابتعد
أترى طيف بلادي مثلها　　كلما رق له القلب استبد
عبثا يا طيف تبلو جلدي　　ليس لي بعد فلسطين جلد
وطني ماذا على النازح ان　　ذكر القدس ، وصلى وسجد ؟
لطم الأعداء خديك ولم　　يسمعوا امنك سوى شكوى الوتد
لا تخفهم . ساعة الباطل لا　　تقهر الحق فللحق الأبد
رب ارض دنسوها ظمئت　　لدم يصلح فيها ما فسد
قسما بالمسجدين ارتفعا　　حيثما اسرى النبي المعتمد
بوليد الطهر في مزوده　　بدم المصلوب ، بالله الاحد
ردهم .. لا ثبتت اقدامهم　　قبل ان يقضى قضاء لا يرد

ولما ثبتت اقدام الغاصبين ، اطلق الشاعر « صيدح » ، هذه الصرخــة اللاهبــة ، والزفرة الحرى :

واها فلسطين ، مالي　　ينام غيري ، واسهر
حبست في الصدر همي　　فإن نطقت تفجر
أكلما قلت شعراً　　كنت الروي المكرر
على صليبك قلبي　　كالناصري تسمر

ولما أفاقت الدول العربية من سباتها العميق ، واستيقظت على صدى قهقهات الخصوم ، وزمجرة المواطنين ، وزفرات اللاجئين ، وبدأت تتأهب للمعركة الثانية ، وتستعد لليوم المنتظر أسرع الغرب الى بسط حمايته على حدود اسرائيل ، ووقع الميثاق الثلاثي – (من امريكــا وبريطانيا وفرنسا) – الذي يضمن الحدود الراهنة ، ويحمي اللصوص المرتزقة ، تحت ستار حماية العرب من اسرائيل ، وحماية اسرائيل من العرب ، وضمان الهدنــة بين الطرفين .. فقال « فرحات » :

ايها الراغبون في الذود　　عنــا ، دعوا المنى
كل هذا الهوى .. لما　　في ثرانا من الغنى

ليس تصديق مجرم ضارج الكف ، هينا
دافعوا عن بيوتكم واتركوا بيتنا لنا
فإذا انهار فوقنا فاضحكوا واشمتوا بنا
كل خطب يهون إن فرق الدهر بيننا

قال « فرحات » هذا لأن دول « الميثاق الثلاثي » اعلنت انها ستحمي الحدود العربية من اسرائيل !

يا لها من ثعلبة ، ومكر ، وخداع !

ولما تفاقمت حال اللاجئين العرب وغرقوا في مهاوي الفاقة والبؤس ، لم يبق شاعر مغترب الا ووقف على اطلال الذكريات كما وقف امرؤ القيس يبكي ويستبكي ، ويرسل الصيحة مدوية والزأرة مجلجلة ، والغضبة اللاهبة تفجر الصخر ، وتقذف الحمم قال جورج صيدح :

بنو فلسطين قطعان مشردة عن الحياة ملاك الموت راعيها
وكف صهيون بالأقداس عابثة كأنما الله أمر ليس يعنيها
خطيئة العرب لا الاردن يغسلها ولا صبا بردى بالنشر يطويها
يحمر في النيل وجه الماء ان ذكرت وينحني رأس صنين لراويها
أقدارنا صنع أيدينا فما جرحت الا بسهم وضعناه بأيديها
منا الفُداة ، ومن بالظهر يطعنهم منا الضحايا ، ومنا من يضحيها
منا الخفير ، ومنا من يغافله يبيع أثواب موتانا ويشريها

وتوفيت أم الشاعر القروي والعرب يعيشون في صميم النكبة ، وكانت نكبة «القروي» بفلسطين أشد من نكبته بفقد والدته ، التي كان يعيش لها ، وفي غمرة من حبها وحنانها ، فقال وهو يرثي والدته :

كفى الميت فخراً أن يحس له فقد أبعد هلاك الجمع يستفقد الفرد
أبعد فلسطين يناح على فتى وهل بقيت في مقلة دمعة بعد
بكائي على المليون أنضب أدمعي فما أنا إلا النار والحجر الصلد
ألا دمعة من لاجىء أستمدها فأبكيه بالبحر الذي جزره مد

وأرسل فرحات صيحة غضب ، كأنها حمم بركان :

أضحية الكذب المقنع والخيانة والرياء
أوت الذئاب الى مضاجعكم وانتم في العراء

أفتلبثون مشردين مصيركم بيد القضاء
وعيونكم حرى تفتش عن مفاتيح الرجاء
وقلوبكم ولهى مسعرة تفور بها الدماء
ومن البلاء :
تصديقكم بعض الوعود ! وماالوعود سوى هباء
ان لم تعودوا للحمى الباكي ، وانتم تهزجون
والحقد يزأر في مقدمة الكتائب والمنون
والليلة الليلاء مغمضة من الدخن العيون
فالعرب والإسلام في الدنيا كزهر الزيزفون
والمسلمون أذلة تحت المقارع يرقصون
ويهمهمون :
انا بحمد الله رب العالمين لمسلمون

وقال « الياس قنصل » (١) :

طال إشفاقنا وأصبح عابا — من ترى جرّأ اليهود الذئابا ؟
عبث منك أن تجير الأفاعي — همها أن تغرّز الأنيابا
فاترك اللين ، فالسياسة بطل — والذي في القراب مل القرابا
إن سفك الدماء جرم ولكن — إن ذبحت اليهود نلت الثوابا
ومن الإثم زجهم في قبور — إن أشلاءهم تشين الترابا

وتستثير مأساة « دير ياسين » مشاعر الشاعر « جورج صيدح » ، فيصورها بريشته الحنون ، ويغدق عليها من عاطفته الصادقة ، ومن عطر روحه ودفء حنينه ، ما يضفي عليها غلالة من الأسى الخانق ، ويدفعها بجارف من تيار عقيدته الملتهبة ، ومشاعره الثائرة ـ التي ما تركت حدثاً وطنياً إلا صورته ، وأبدعت في تصور نتائجه ، وتصوير وقائعه :

---

(١) على أثر مذبحة (دير ياسين) عقد أبناء الجالية في بونس ايرس اجتماعا للاحتجاج على تلك المجزرة الرهيبة ، وإظهار النقمة والسخط عليها ، علهم بذلك ينبهون الضمير الانساني المغفي على تهويل الصهيونية وقوم الاستعمار ، وقد خطب فيه المطران نيفن سابا ، وألقى المرحوم حسني عبد الملك كلمة جامعة ثم القى الاستاذ الياس قنصل قصيدة نارية منها هذه الأبيات المنشورة أعلاه ، والقنصلان الياس وزكي من الأدباء الموهوبين ، والشعراء الملحوظين ، ولهم بين أوساط الجالية في الأرجنتين وسواها مركز مرموق ، ونشاط في سبيل القضايا القومية خير وبناء ، وهما دعامتان قويتان في المهجر .

تحت ستر الليل ستر المجرمين طرق الفجار بيت المقدس
يا فلسطين على من تعتبين ؟ إن تكن نامت عيون الحرس

* * *

رفرف الشر على مهد الصلاح ورمى فيه الجناة السفله
ليس اسرائيل مشكوك السلاح غير عزرائيل ينضو منجله
ندبت في ديرياسين الرياح اهله ، لم يبق غير القتله
ذبحوا ولدانه والوالدين ما نجا طفل ، ولا شيخ نسي
والصبايا في ذمار الفاتحين كالمها في مخلب المفترس

* * *

يا ذئاباً لبسوا جلد الأسود ثم ولوا وجههم شطر الغنم
وجنوداً يتحامون الجنود ويغيرون على الخدر الحرم
مدية الجزار ميراث الجدود مالكم لم ترسموها في العلم
انها رمز لشعب يستكين رابضاً للفتك تحت الغلس
كلما عفّر في الترب الجبين رمق النصل بطرف شرس

* * *

ديرياسين على الدنيا العفاء إن تكن دنيا الزنيم الأجنبي
ثأرك الصارخ في سمع السماء جمرة تكوي قلوب العرب
قسماً ما هدرت تلك الدماء وهي في ذمة عيسى والنبي
قد هززنا عرش رب العالمين بدعاء من قرار الأنفس
رب هب أبطالنا النصر المبين وقنا ثانية الأندلس

ويهيب الشاعر « موسى حداد » بأمته ان تهب لنجدة فلسطين ويعرض بأولئك الذين لهيهم اجتماعاتهم عن المطالبة بالثأر :

يا ابنة المجد والعروبة هبي واذكري خيبراً واسد الملاحم
واذكري القدس يوم ان صلاح الدين فيها فل الجيوش الضراغم
سرحي الطرف وانظري في البوادي تجدي اللاجئين شبه السوائم

وبنو أمهم عن الثأر لاهون — سدى باجتماعهم في العواصم
ليت حظ اتحادهم في العوادي — مثل حظ اتحادهم في الولائم

ويطوف « الشاعر القروي » ، على المواطنين في الأرياف وبعض المدن ، لجمع التبرعات للاجئين .. وحتى لا يصرف على نفسه شيئاً من المال الذي يجمعه ، اصطحب معه حقيبة ملأى بالجوارب ، يستعين بما يجنيه من أرباحها على مواصلة السعي لجمع التبرعات ويصطدم ايمانه العربي ، وثقته بأريحية من كان يعتقد بهم الأريحية ، ويقابل بما لم يكن يحب ان يراه ، او يسمعه من المنة ، او اللامبالاة — فيقول :

أفضول يا ترى ام غيرة — اوقرت ظهري وهدت منكبيا
انحلت علة غيري جسدي — واسالت كبدي من مقلتيا
يا بني امي هل كلفتكم — حمل عبء لم يهشم ساعديا؟
طالما سابق عسري يسركم — حين لا املك الا اصغريا
ان وهبتم فضل مال فأنا — نازف ما في عروقي ويديا
ولكم باذل فلس يدعي — انه لولاي لا يبذل شيا
انا راض حاسب كل يد — تنفع الامة مسداة إليا
سايروني واخدموا اوطانكم — واحسبوا المنة يا قومي عليا

وطبع الشاعر جورج صيدح ديوانه النوافل على نفقته الخاصة ، ويتبرع بريعه للاجئين ، ويضعه تحت تصرف لجنة الدفاع عن فلسطين ، ثم يتطوع للطواف على الجالية ، وبيع نسخ منه لحساب اللاجئين .. وقد اصطدم شعوره بنفس الأنانيات ، والشعور المتفسخ ، والعطف الهزيل ، عند بعض الناس فقال :

مالي اطوف ، وقبلتي حلم — خاب المسافر ، زاده الالم
الحسن يضحك في الربي وانا — متجهم ، وسواي يبتسم
جزعي على الأوطان يصحبني — هل في فلسطين انطوى العلم ؟
يا اهل ودي .. لا اكلفكم — ترفيه همي .. انه عرم
بسرابكم لا ترتوي كبد — لم تروها الغدران والديم
لا تحسبوا عتبي لموجدة — الله ما بيني وبينكم

احببتكم وسلوت نجدتكم فإذا الذي استنجدته صنم
حققت ان وعودكم كرم في الوعد ، لا في غيره الكرم
فرغت يدي منكم وما فرغت اذني ، كأن لباني نغم
لم يبق فيكم من عروبتكم إلا لسان مفصح وفم
ان العروبة يا بلابلها روح على كف الفتى ودم

وهذه الكلمات الجارحة ، ومثيلاتها ، لا تخفي حقيقـــة عطف المغتربين ، ومشاعرهم الطيبة ، نحو الوطن العربي السليب .. ولكنها تشير الى ان امل الشعراء كان اقوى بكثير من إمكانات المغتربين ، وطاقتهم . وإن تلكؤ عدد بسيط منهم ، لا يخفي حمية الكثيرين ، وغيرتهم ومروءتهم وهي اشهر من ان تعرف ، واعظم من ان توصف .

الطاقة التي كانت مهملة

أقول « كانت » .. وأرجو ان اكون مصيباً بوضع هذه الكلمة في مكانها من العنوان .
لقد كانت الجالية مهملة ، الى حد لا يتصوره عقل ، ولا يقره منطق !
وكان اهمال المغتربين مزرياً بهم . وبالمقيمين انفسهم ، وبالتاريخ العربي . اهمالا مخجلا مؤسفاً زرياً .!
وذلك الاهمال كله كان من الحكومات العربية بعد ان استقلت ، ومن الشعوب العربية قبل ان تستقل .

ثم صار على عاتق « الجامعة العربية » بعد ان شكلت منذ بضعة عشر عاماً .
يعرفون ان هناك مغتربين في امريكا .. وان عددهم من سورية وحدها ، يفوق المليون ونصف المليون . وان المغتربين اللبنانيين لا يقلون عن هذا ، وان مكانتهم ، في مغتربهم ضخمة ، ومنزلتهم رفيعة ، وامكاناتهم لا نفاد لها ، ولا حد .
يعرفون هذا .. ولا اكثر ..
وللعرب قضايا كثيرة مع المستعمرين ، ومشاكل لا تعد ولا تحصى .. والمغتربون في وضع سياسي واجتماعي يمكنهم من المساهمة الى حد كبير ، بمساعدة اخوانهم في الوطن الأم ونصرة قضاياهم في جميع المحافل الدولية .
وقد فعلوا ذلك في مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩٢٠ حيث أمّت ذلك المؤتمر وفود عديدة من المغتربين في امريكا ، للعمل على استقلال البلاد العربية ، ووحدة اقطارها ورفع كابوس الظلم والاستعمار عن كواهل ابنائها .
وهبطت على المؤتمرين ، يومئذ ، او المتآمرين على حرية الشعب وكرامتها ومستقبلها ، الوف البرقيات والعرائض من المغتربين ، تطالب بإعطاء البلاد العربية استقلالها وتوييد وحدتها وتمتعها بالحرية الكاملة الشاملة .

ولم يخض العرب معركة ما ، في وجه دخيــل مستعمر ، الا وهب المغتربون يؤيدونهم ويعضدونهم ، ويمدونهم بالمعونات ، ويغدقون عليهم الهبات والتبرعات .

ويوجد على ذلك اكثر من شاهد ، بل واكثر من الف شاهد .

وكل هذا بدافع غريزي وقومي وعاطفي من المغتربين العرب ولم يكن هناك توجيه دقيق ولا ارشاد محكم ولا خطة مدروسة مهيأة معدة .

كانت اعمالا مرتجلة . عليها طابع الفردية والغيرة والفوضى .

وكان يعوزها التنسيق ، وحشد جميع الجهود والامكانيات .

كان دافعها الايمان والمحبة والرابطة القومية ، وتقديس التاريخ والذكرى .

واعظم به من دافع ، واحبب بها من ذكرى .

ولكن .. كان يعوزنا ان نعرف كيف نستفيد منه .. وكيف يجمع هذا الدافع النبيل الى بقية الدوافع ، ويشد اليها برباط محكم وثيق ..

وحينما دارت معركة فلسطين في الامم المتحـــدة ، لم يظفر قرار التقسيم الا بزيادة خمسة اصوات .. ولم يكن عسيراً على الجالية العربية في جمهوريات امريكا الجنوبية والوسطى ان تؤمن هذه الاوساط الخمسة تقف الى جانب العرب ، او تقف على الحياد ، وتمتنع عن التصويت وحينئذ كان سيبطل قرار التقسيم . وتنطوي صحيفته السوداء البغيضة .

وكان نشاط الوفود العربية ، كان مقصوراً على اروقة الامم المتحدة وحدها . ومندوبو الدول الاعضاء يوجهون بإرشاد حكوماتهم ، ولا يملكون الا التقيد بالتعليمات التي تصدر اليهم منها .

وكان رسل الوكالة اليهودية ، في كل مكان ، يتصلون برؤساء الجمهوريات ، ووزراء الخارجية ، وبأبناء الشعب انفسهم ، يدعون لباطلهم ، ويحشدون له الانصار ، ومعهم سفراء امريكا وبريطانيا وفرنسة ، يستغلون نفوذهم المعنوي والمادي للتأثير على الحكومات ، حتى تقف الى جانب التقسيم وتؤيده . وليس هناك مسؤول عربي واحد يحرك قدماً ، ويسعـــى للتنقل هنا وهناك .

واستيقظت الجامعة العربية في آخر لحظة ، فأرسلت الوفد الذي سبق التحدث عنه ، لكي يتصل بالحكومات الامريكية ، ويسعى لاقناعها باتباع طريق المنطق والحق .

وتشهد الوقائع ان ذلك الوفد قد قام بواجبه . وادى مهمته ، او حاول ان يؤديها ضمن

نطاق امكاناته وظروفه . ولكن رحلته جاءت متأخرة . فهو لم يزر الا البرازيل قبل صدور قرار التقسيم . وفوجيء بالقرار وهو ما يزال في الارجنتين ، وفي بدء الرحلة التي كان يجب ان تكون قبل بضعة اشهر من ذلك التاريخ .

ثم كان مفروضاً ان يكون على رأس الوفد وزير مسؤول ، يضفي على مهمته الرسمية اهمية خاصة .

وكان يجب التمهيد لهذه الرحلة قبل موعدها بوقت غير قليل .

لقد بكى وزير خارجية « اكوادور » ، حينما شرح له الوفد قضية فلسطين على حقيقتها التاريخية ، وواقعها القومي . وقال :

« لم نكن نعرف هذا .. اين كنتم ؟ وماذا يفعل ابناء جاليتكم هنا ؟ لو اطلعنا على هذه الحقائق قبل اعطاء رأينا لكان رأينا الى جانبكم ، اين كنتم » ؟

وبكى .. وسالت دمعة شريفة ، من قلب شريف ، تصرخ بالعرب المتقاعسين المهملين ايها المهملون المتقاعسون — اين كنتم ؟

واجاب ، يومئذ ، ابناء الجالية العربية في اكوادور بأن احداً لم يتصل بهم ، وانهم لم يكونوا على علم بالأحداث ، ومعرفة بها .

وكانوا صادقين . وكانت المسؤولية مسؤولية الاهمال تقع على عاتق سواهم ، على عاتق الحكومات العربية في ذلك الزمن .

* * *

وهكذا اقتصرت زيارة « الوفد » على تشكيل اللجان ، وجمع التبرعات ، والبكاء على الاطلال .

وهكذا ترك المجال رحباً لليهود !

وترك لهم الميدان فسيحاً .. يجولون فيه ويصولون .

ولم يعرف العرب كيف يستفيدون من طاقتهم الضخمة في المهجر ، وقد كانت مهيأة للعمل والانتاج ، ولم يكن يعوزها الا التوجيه والتنظيم .

وضاعت فلسطين بسبب تقاعس العرب ، واهمالهم ، وتفرق كلمتهم ، والخيانة التي ظهرت في قيادتهم .

وانا مؤمن بأنها ستعود ..

وستعود ...

* * *

وتبدلت الحال ـ بعض الشيء .

وصارت الجامعة العربية الى حد ما تتحسس ببعض واجباتها نحو المغتربين ، وتشعر بأن هناك مغتربين . وانه يجب الافادة من طاقتهم الجبارة ، وامكاناتهم المهملة .

ومنذ ان بدأت تتبلور الأفكار القومية في الأمة العربية ، تحركت القوى الجامدة ودبت الحياة في « الآلة » .. وبدأت تهدر وتدور .

وذهبت وفود تزور المغتربين في ديارهم ، وتخطب فيهم ، وتقيم جسراً بينهم وبين الوطن الام .

وحرصت تلك الوفود على الطواف ببعض الجمهوريات الأمريكية ، والاجتماع بالمسؤولين فيها ، والاتصال بالمغتربين ، لتقوية عزائمهم ، وتوثيق الروابط معهم ، وتمتين صلاتهم بالوطن الأم .

وبين اولئك الوافدين من كان يتحسس بنفسه شعور المغتربين ، ويلهبهم بحماسته ، ويصل بيده وقلبه ما انقطع بينهم وبين وطنهم الاول من صلات ، وتفكك من عرى وحلقات ويدعو وفوداً منهم لزيارة البلاد العربية ، والتعرف على نهضتها الصناعية والثقافية والاقتصادية .

وذهب الى المغترب اكثر من وفد يجمع المعلومات ، ويقدم المقترحات . وكان الكثيرون من اولئك الموفدين بنائين ومخلصين ، ومن الواجب ان نعترف لهم بذلك ، وان نسجله هنا وان كنا لم نصل بعد الى النتائج التي كنا ، وما نزال ، نتوخاها ونرجوها .

ومن واجبنا ان نشكر كل من سلك هذا السبيل ، ويسلكه ، ويدل به على حسن نية ، وسلامة قصد ، وعلى رغبة صادقة بالعمل والاصلاح .

وذهبت وفود اخرى للغاية نفسها ، والهدف نفسه .

ومن المسؤولين الذين ذهبوا بصفة خاصة ، ولكنهم قدموا خلال زيارتهم خدمات جلى واعطت زيارتهم تلك فوائد كبرى ، كان السيد نهاد القاسم الذي زار الولايات المتحدة الامريكية ، وقضى فيها بضعة اسابيع . متنقلا بين ولاياتها المختلفة ، ومتصلا بالمغتربين يستحثهم على العمل في سبيل خدمة العروبة ، ومقاومة الصهيونية ، والمحافظة على اللغة العربية

والتراث العربي . ويعتبر نهاد القاسم في طليعة رجال سورية العربية ايماناً واخلاصاًوتفانياً في سبيل العقيدة والمبدأ (١) .

ومنهم اللواء « عزيز عبد الكريم » (٢) الذي كان يومئذ قائداً لسلاح المدفعية ، والذي أوفد من قبل قيادة الجيش بمهمة خاصة ، ولكنها شبه رسميـــة . وادهش قادة الارجنتين بمعلوماته الدقيقة ، وخبرته العميقة ، وقوبل من الجالية بحفاوة منقطعة النظير ، ورحبت به الصحف الأرجنتينية ، وكتبت عنه الفصول الطوال .

ومنهم الدكتور « يوسف شقرا » (٣) — امين عام وزارة الثقافة والارشاد القومي — الذي يشرف بحكم منصبه على التيارات الفكرية والانتاج الأدبي . وقد القى على رحلتـــه ضوءاً مشعاً من رسالته وعقيدته . وأقام لها ركائز عميقة الجذور في نفوس المغتربين ، وفي تلك التربة الخطرة — التي حولت اكثر المغتربين الى امريكيين صميمين .

ومنهم الوفد الذي ضم « صلاح الدين البيطار » و « فؤاد الشايب » و « فؤاد جلال » و « منصور الاطرش » .

والمغتربون في الولايات المتحدة غيرهم في جمهوريات امريكا الجنوبية والوسطى . اذ اكثر المغتربين في امريكا الشمالية قد اندغموا بالمحيط اندغاماً كلياً ، وانصهروا في بوتقتـــه الرهيبة ، وأصبحوا امريكيين بحكم دستور البلاد وان كانت عواطف الكثيرين منهم مازالت تتجه نحو الوطن الأم ، وتشعر بحنين جارف نحوه .

ولكن هذه العواطف تضعف في كل يوم ، وتضأل ، وتتلاشى .

والمستقبل الرهيب الغامض يكتنف المغتربين جميعاً في الأمريكتين ، وفي كل مكان آخر

---

(١) نهاد القاسم صاحب مبدأ صادق ثابت ، وعقيدة متينة صافية ، ورجولة حقة وبطولة مثلى وهو صاحب ضمير عف وقول مهذب وثبات على الحق كأنه العناد وتشبث بالعدالة حتى الاستماتة انه رجل .. بكل ما في كلمة الرجولة من معنى واسع شامل شريف وما أندر الرجال .

(٢) بعد أن عاد اللواء « عزيز عبد الكريم » من الأرجنتين ، وكان قد اتصل بالسلطـــات العسكرية المسؤولة ، وبالجمعيات العربية المختلفة ، وتركت زيارته أثراً جميلا في نفوس المغتربين ، وأعطت الأجانب أحسن مثال عن واقعنا ، وعبقرية أمتنا ، وتفوق بعض رجالنا في كثير من الميادين — أجل .. بعد عودته إلى الوطن بأيام قليلة أصدر « أديب الشيشكلي » قراراً بتسريحه من الجيش ! وكان لهذا القرار أسوأ الأثر في المهجر . وقد قابلته السلطات الرسمية هناك بالاستغراب والاستنكار .

(٣) الدكتور « يوسف شقرا » من بقايا الجهاد في اللواء السليب - اسكندرونة . ومن السيوف المدخرة لاستعادة تلك الأرض الخيرة إلى الوطن الأم ، ومن حملة الأفكار الصافية والمبادىء السامية التي تجلت في ذكاء المترعة بالفهم العميق ، والذكاء الأصيل ، والعبقرية الفذة يوم كان نائباً عاماً في محاكمات مثلى وهو إلى ذلك كله مثال الاداري الحازم والشباب المهذب الواعي الرصين .

يوجد فيه مغتربون ، ولكنه في امريكا الجنوبية اكثر اكمداداً ، وتجهماً ، وعبوساً .

وفي يقيني أن الجهود التي بذلت ، وتبذل ، في سبيل المغتربين بأمريكا الشمالية لو بذلت كلها ، او قسم منها ، في امريكا الجنوبية لأعطت نتائج أفضل واكمل واسرع .

وخلاصة القول :

ان الطاقة العربية الضخمة في المهجر ، والتي كانت مهملة ، قد بديء بالتحسس بها ، والشعور بوجودها ، والعمل على صيانتها والافادة منها .

ولعل خير ما يعمل في هذا السبيل ، توسيع التبادل السياسي مع الجمهوريات الأمريكية ، ودعم ممثلينا بكفاءات ، وتزويدهم بصلاحيات ، فهم الرابطة الوحيدة بيننا وبين اخواننا المغتربين ، والصلة الوثيقة ، والجسر المحكم .

ومهمة الجامعة العربية في هذا السبيل أشد اثراً وأعم فائدة ، متى عرفت كيف توزع مكاتبها ، وتعرف كيف توجهها وترشدها وتقف لرسالتها موازنة ضخمة (١) .

وحينما يبدأ المسؤولون يهتمون بأمر المغتربين — فيزورونهم ويستزيدونهم ، ويوفدون اليهم الرسل ، ويوجهون اليهم الدعوات . وحينما تبدأ قوافلهم ترد الى الوطن الأم ، وتسعد بما تلقاه من حفاوة المسؤولين ، وترحيب المواطنين ، وغبطة الأقارب ، وحينما يستقبلهم المسؤولون بالبسمات المشرقة ، والأبوة الرحيمة ، والقلوب الطافحة بالبشر والمحبة والايمان حين ذاك يشعر المغتربون أن سلكاً جديداً أصبح يربطهم بالوطن الأم ، وهو لا يقل متانة وقوة عن سلك الذكريات ، والدم والتاريخ .

---

(١) أنشأت « الجامعة العربية » مكاتب للمغتربين في البرازيل والأرجنتين ، وخصصت لها مبالغ من المال تمكنها الى حد ما من اداء خدمات قومية وسياسية وثقافية ، وبقي على المسؤولين في الجامعة أن يكثروا من هذه المكاتب ، وأن يدفعوها للعمل والانتاج وان يضاعفوا من الاعتمادات التي تمكنها من اداء رسالتها ، والقيام بمهمتها على الوجه الأكمل الأتم .

وحدة الصف

هذا موضوع شائك وعر ، لا يأمن الداخل فيه من العثار .

ولكن لا بد لنا من ولوجه ومعالجته ، ووضع النقاط على الحروف ومصارحة المسؤولين هنا وهناك بالحقيقة المؤلمة ، والواقع المؤسف الذي يكتنف حياة المغتربين ، ويؤثر على كيانهم وامكانياتهم ، وينال من طاقتهم ومعنوياتهم ، ويحول بينهم وبين تحقيق رغائبهم ، والوصول الى اهدافهم وبغيتهم .

كان المغتربون العرب يعرفون في مهاجرهم باسم « توركو » ، حينما كانت تركيا تبسط سلطانها الجائر على البلاد العربية . وحتى بعد ان جلت قواتها عن الأرض العربية ، وتقلص ظلها ، وزال اثرها وخطرها ، ظل اخصام المغتربين يحرصون على ان يبقى هذا الاسم « توركو » ملتصقاً بهم ، متشبثاً باسمهم ، لكي ينالوا من سمعة المغتربين ، ويعيروهم بالتبعية لدولة اجنبية .

وقد مر معنا في فصل سابق قول الشاعر القروي :

كن بينهم رجل الزمان   تظل « توركو » محتقر !

حتى العبيد السود قد   سخروا بنا مع من سخر

وكان العربي يجد في كلمة توركو هذه اهانة وتحقيراً ، ومساً بشعوره ، ونيلا من كرامته القومية ، وسمعته الشخصية .

واستمر العرب في كفاحهم ونضالهم ، في جميع المجالات الخاصة والعامة الرسمية والعادية حتى استطاعوا التخلص من تلك التسمية البغيضة ، والتحرر من ذلك اللقب المهين الممقوت واستعادة التسمية العربية ، ومهرها بالطابع الاقليمي لبلد عربي .

وكان اسم « سورية » هو الغالب – يومئذ – على لبنان وفلسطين ، فعرف اللبنانيون والفلسطينيون في المهاجر الامريكية ، جميعاً ، باسم سوريين ، بعد أن استطاعوا التحرر من

ذلك اللقب السقيم الجارح « توركو » الذي كان يطلق عليهم رغماً عنهم .. ويعرفون به في المحافل وهم له كارهون ومنكرون .

وصار المغتربون العرب يعرفون باسم سوريين .

وبعد ان استقل لبنان ، وصار له كيان سياسي ودولي ، نمّى الفرنسيون المنتدبون فكرة الانعزالية في نفوس بعض ابنائه ، وشرعوا يقوونها ويغذونها ويدعمونها ويوجهونها ! حتى اصبحت عقيدة عند بعضهم وهدفاً .! وحتى صار الغلاة منهم يزعمون ان لهم تاريخاً مستقلا وقومية مستقلة ! ويسعى شاعر منهم آخر الأمر لأن يكون للبنان العربي لغة مستقلة تستقي مقوماتها من خرافة ، واسطورة (١) .

واراد اللبنانيون المغتربون ان تكون لهم تسمية خاصة بهم . وصاروا يرفضون ان يقال الجالية السورية ، وحتى الجالية العربية ! ويصرون على ان يقال : جاليةسوريةوجاليةلبنانية اي انهم يريدون تعريف الآخرين أن هناك جاليتين لا جالية واحدة ، حتى ولو ضمت الاسمين معاً . اذ كانوا يرفضون ايضاً ان يقال الجالية السورية واللبنانية . بل يجب ان تكون هناك جاليتان . لأن الجالية في نظرهم مفهوماً سياسياً واجتماعياً ، وحتى قومياً ، يختلف عن مفهوم الاسم الذي يطلق على مشروع او مكان .

وكان يطلق اسم سورية على المشاريع التي ينشؤها المغتربون ويساهمون بها جميعاً .

فيقال : النادي السوري ، والمصح السوري ، والمستشفى السوري ، وهكذا دواليك .

وقد وصل الخلاف بشأن هذه التسمية ــ كما مر معنا ــ الى المحاكم الأجنبية ، ودام بضع سنين (٢) .

وكم تعرضت كرامة المغتربين وسمعتهم ، وحتى مركزهم المعنوي والمادي ، للنيل والأذى.

وكم تعرضت مشاريعهم الخيرية نفسها للتوقف والبطء !

وكم تعطلت طاقتهم الانسانية ، وجهودهم المخلصة ، عن متابعة العمل الخيري ــ فترة من الزمن ــ نتيجة لذلك الخلاف المؤسف الذي لم يكن له اي مبرر ، ولا مسوغ ، ولا داع .

وماذا كان يضير الكرامة والكيان لو حملت هذه المشاريع الاسمين معاً او اي اسم منهما

---

(١) راجع ما كتب عن لبنان في فصل آخر . وراجع رواية الشاعر سعيد عقل « يارا » كلمات عربية ، بأحرف أجنبية !

(٢) ذكرنا شيئاً عن هذه الدعاوى في فصل سابق .

ما دام يرمز الى الكيان العربي ، ويحمل أسماء عربية ، ويدل على عاطفة الجالية ، وجهودها وتضحياتها ؟

واي فارق بين تسمية وتسمية ، وشعار وشعار — ما دام الاسم يرمز الى العروبة ،اوما دام صاحبه عربياً ؟

ولم يكن السوريون يبغون من وراء معارضتهم تلك غمط حقوق اخوانهم اللبنانيين ، ولا نكران تضحياتهم المثلى ، وهم الذين يفاخرون بها ويتحدثون عنها في كل مجال ، وبكل تقدير واعتزاز .

واللبنانيون في كل ارض وطئوها ، وبلاد سكنوها ، وبقعة عمروها ، هم ركيزة الفكرة العربية ، وثروتها وتراثها ، وموضع عزها واعتزازها .

والمغتربون السوريون — كما اشرنا وكما لمست منهم شخصياً — يقرون بذلك ويعترفون به ، ويجهرون اقرارهم بتصريحاتهم ، وفي شتى مواقفهم . فهم اذن لم يكونوا يهدفون الى غمط حقوق اللبنانيين ، واهمال اسمهم ، والتغطية عليهم ، والنيل من كرامتهم — كما صور للبعض منهم ، وخيل اليهم ، وانما كانوا يرغبون ان تظل الجالية وحدة متراصة ، ويظل اسمها الموحد برهاناً على ذلك ، ودعماً له .

وكانت حجتهم ان تلك التسمية قد تمت وقد اطلقت برضى الجميع ، واتفاق الجميع ، فلم يعد ثمة موجب لتعديلها ، حتى لا تظهر الجالية العربية بمظهر الانقسام والتفكك ، وتعرض بذلك سمعتها ومكانتها للقيل والقال ، والنيل والتجريح .

وكانت حجتها ايضاً ان الرخص الرسمية قد اعطيت تحت شعار سوري ، وباسم سوري وطلب تعديلها او تبديلها قد يفسح المجال رحباً لأخصام العرب ومريديهم ، حيث يستغلونه ضدهم ، ويظهرونهم بمظهر المتخاذلين المتفككين .

واخصام العرب في المهجر ، كأصدقائهم ، اقوياء متحمسون .

وكانت حجة اللبنانيين انه اصبح لهم كيان دولي وسياسي . وان اسمهم مشتق منه ، ومنبثق عنه ، وهم لا يريدون ان يتخلوا عن هذا الاسم في المشاريع الخيرية التي ساهموا بها وعملوا على قيامها وانجاحها . ولذلك فهم حريصون على ذكر اسم لبنان الى جانب اسم سورية ، في كل مشروع قام به اللبنانيون والسوريون معاً .

فالخلاف كما ترى شكلي وتافه ، ولكنه ارتدى طابعاً قاسياً من الجدية والعنف ! وكان الاسلوب شائكاً ، والطريق غير قويمة !

وقد استغل دعاة السوء والتفرقة ذلك الخلاف ابشع استغلال ، ونفذوا منه الى صميم الجالية الواحدة يزرعون في قلوب ابنائها الشكوك ، ويغمرونهـــا بوابل من السعـــايات والوشايات .

ولقيت بعض النفوس المريضة فرصتها الذهبية لنفث سمومها في البيئة الطاهرة الخيرة ، وبين الناس الطيبين المخلصين ! ففرقوا وحدتها ومزقوا شملها ، واساءوا الى سمعتها وكرامتها وحفروا بين اركانها هوة سحيقة الى مدى طويل !

وتلاشى الدوي الذي أحدثه الحجر حين اصطدامه بالموج ، واستقر الحجر في قعر البحر وعاد الموج الى سيره الرتيب ، وكأن فجوة لم تحصل به ، وكأن سهماً لم يدم راحته وينفذ منها ، ولكن بعض المرضى اياهم ظلوا يعتبرون الحجر الملقى في أعماق الموج ، رسوباً عميقاً في حفرة عميقة .. تتحسسها الذاكرة كلما عمدت الى مخزونها تنبش دفائنه ، وتستعرضها ، وتعرضها .

واما الاصحاء ، اصحاء العقيدة والايمان ، فانهم ما يزالون يعتقدون ان الحجر قد توارى وان غبار الايام قد طمسه ، وعفى عليه .

نحن طلاب وحدة ، وحدة فكرة وعقيدة ومبدأ .

ونحن دعاة لجمع الشمل ، وتوحيد الكلمة ، وتنسيق الصف ، واذا كان فينـــا من تأثر بالدعايات الغريبة ، والتوجيهات المريبة ، واندفع في تيارها عن حسن نية وسلامة قصد ، فليس على الكثرة الكاثرة من ابناء العروبة المخلصين الا أن يتعهدوا العضو «المتأثر» بالعناية والرعاية ، حتى تتم له الطمأنينة ، ويعود الى حظيرة امته صحيح الجسم سليمه ، مثلمـــا هو صحيح القلب نقيه .

ولا بد من التسامح ، والترفع عن الحزازات والأنانيات ، حتى يتاح لأبناء القوميـــة الواحدة ، واللغة الواحدة ، والمصير الواحد ، ان يلتقوا على صعيد واحد من المحبة والاخاء والصفاء ليعيدوا ماضيهم ، ويعيشوا حقيقتهم ، ويحققوا اهدافهم ومراميهم .

واذا كان الاخوة كلهم ، يجتمعون في بيت واحد ، ويعملون في عقل واحد ، فان تفاهمهم يكون أيسر ، واتفاقهم أسرع ، وتآخيهم اكثر ضمانة للبقاء والاستمرار .

وعلى النقيض من ذلك اذا تفرقوا وسار كل منهم في طريق ، وبدأ يرسم لنفسه اتجاهاً خاصاً به ، ويسعى لهدف معين ، وغاية معينة .

منذ أن شرع الأجانب ، في الوطن وفي المهجر ، يعملون لتصـــديع الصف العربي ،

وتفريقه وتمزيقه ، وتلاقي دعوتهم بعض الآذان تستمع لها ، عن صفاء نية وسلامة طوية ، ويعمل اصحابها بتأثير منها .. ومنذ أن بدأ الأجانب يغررون ببعض المواطنيـــن الطيبين ، ويطوحون بهم في مجالات خطرة ، ومفاوز غريبة ، يكتنفها صفاء الماضي الموحد ، وظلام الغد المجزأ ، منذ تلك السعاية السامة لأن يكون بين الاخوين فرقة وخصام ، وتنابذ ووقيعة وتراشق وتحامل .. منذ ذلك الحين انشطرت الجالية الواحدة الى جاليتين : سوريةولبنانية وقد شغلت بتفرقتها المحافل الأجنبية ــ التي ظلت زمناً غير قصير تتندر بهـــا ، وتتحدث عنهـــا . !

أخبرني الصديق « عمر أبو ريشة » ــ وكان يومئذ وزير سورية المفوض في الأرجنتين وتشيلي (١) انه كان في « سانتياغو » عاصمة « تشيلي » يوم زارها الجنرال بيرون (٢) رئيس جمهورية الأرجنتين ، حينئذ ، وقد انتحى به مع الرئيس « التشيلاني » في احدى الحفلات الرسمية ، وقالا له :

« نحن معكم . ونريد أن نساعدكم . ولكن خلاف جاليتكم في بلدينا يعطل من طاقتها ، ويضعف من حماسة الذين يرغبون بمساعدتها ، ويعملون على نصرتها » .

ثم قالا له .

« اننا نطلب منك شخصيا ــ كأصدقاء ــ ان تهتم بهذا الموضوع الحيوي ، وان تبذل

---

(١) الفترة التي قضاها عمر أبو ريشة في البرازيل والأرجنتين ممثلا لبلاده فيهما ، كانت من الفترات الذهبية والفرص التي أتاحت للجالية التحليق في المجالات التي خلقت لها . وكان في كرم يده ، وكرم روحه خير عامل على توحيد الكلمة ، وجمع الشمل ، ورأب الصدع ، وخير ساع في سبيل اعلاء شأن الجالية ، ورفع مستواها ، وقد عرف كيف يستثمر القوى الروحية الكامنة في نفوس أبناء الجالية والقوى المادية التي لا تقل عن قوام الروحية ضخامة وشأناً ، لخيرها وخير القضية العربية . وللاستاذ أبو ريشة دراسات عميقة وواسعة حول مستقبل الجالية سيرد الحديث عنها في فصول لاحقة من هذا الكتاب .

(٢) لم يكن للجنرال بيرون خطة سياسية واضحة بالنسبة للعرب فبالوقت الذي كان يتظاهر بالعطف على قضايام كان وزير داخليته من أقطاب الصهيونية في الأرجنتين ، وكان ممثلوا الأرجنتين في الامم المتحدة يقفون الى جانب اسرائيل في أكثر القضايا التي تعرض على هيئة الأمم ، وكان الجنرال بيرون دكتاتورا في مظهر ديمقراطي ، كما كان خصماً عنيداً للولايات المتحدة الأمريكية ، وقد حاول أن يعزل الدين عن الدولة فتصدى له رجال الكهنوت ، وكان ذلك في طليعة الأسباب التي أدت الى احداث انقلاب عليه ، وبالتالي الى خروجه من الأرجنتين ، وما يزال له حزب قوي يسمى باسمه ويعمل على إعادته إلى البلاد ، وللجنرال بيرون إصلاحـــات واسعة ومتعددة أدت إلى نهضة البلاد صناعيا واقتصاديا ، وقد عمد الى تنظيم شعبي دقيق وهائل ربما كان نسيـــج وحدة في أكثر البلدان الأمريكية .

جهداً لتوحيد كلمة الجالية ، وجمع صفوفها » .

لقد كان الجميع في المهجر يعلمون بأمر ذلك الخلاف المؤسف الذي نشب بين الجاليتين الشقيقتين ، والذي وصل الى حد الجهر به على صفحات الصحف ، وفي الاندية والمجتمعات فكان موضع اهتمام المخلصين من الأجانب الذين يؤثرون العربي على الصهيوني ، ويرغبون بنصرة قضايانا في الأمم المتحدة ، وفي جميع المجالات الدولية ، ضد الاستعمار والصهيونية .

اريد ان اكون صريحا . ولكنني لا اريد ان اكون في صراحتي جارحا ، ولا مؤذيا . وانما الذي أريده وانشده ، ان اصور الحقيقة كما هي ، تصويراً واقعيا صحيحا ، وان اعطي فكرة واضحة سليمة عنها ، وهذه الصراحة تقتضيني ، بل وتلزمني ، ان اضع النقاط على الحروف ، وان اسمي بعض الاشياء بأسمائها .

حينما زرت البرازيل سنة ١٩٤٨ لأول مرة ، كان وفد لبناني ، يمثل حزبا سياسيامعروفا يطوف في اقاليمها ، ويلقي خطبا نارية عنيفة .

لا مجال للتنويه عن مضمونها هنا .. واستاء اللبنانيون الاحرار من ذلك . وتألموا من هذه الدعوة الصريحة للفرقة والانقسام . وكان رزق حداد ، ونجيب يافث ، وفارس الدبغي وشفيق معلوف ، والياس عاصي ، ونسيب محفوظ ، وجبرائيل يافث ، وجورج غصن ، وانطون ابو حيدر ، واخوان لهم كثيرون ، كان هؤلاء المواطنون الشرفاء يجهرون بنقمتهم على تلك الحملة ، ويعربون عن أسفهم وأساهم لما تخلف وراءها من ذيول ، وتترك من آثار .

وكانت المعركة بين العرب والصهيونية قد بلغت الذروة ، وبدلا من ان تتجه تلك الحملة للوقوف في وجه الدعاية الاسرائيلية ، وإحباط مكائدها ومساعيها ، فقد كانت اكثر الجهود موجهة لخلافات داخلية تافهة ــ لا معنى لها ، ولا مبرر ، ولا موجب ، ولا عذر .

وبذلت جهداً متواضعاً لرأب الصدع ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصف فزرت الجمعيات اللبنانية المختلفة ، وكتبت في سجلاتها كلمات مشجعة تنبع من القلب ، وتصدر عن عاطفة وايمان . والقيت محاضرات عديدة ، وخطباً كثيرة ، كنت أتحدث فيها كلها عن لبنان ، مثلما كنت أتحدث عن سورية .. بل واكثر مما كنت اتحدث عن اي بلد عربي آخر ..

وكان بعض اللبنانيين الكرام يستمعون الى خطبي ومحاضراتي ، وينقلون فحواها الى اخوانهم واقاربهم . وتبخرت تلك الدعاية المؤذية ، وحلت محلها قناعة بأن قلوب السوريين مفعمة بحب لبنان ، وان ما سمعوه مني كان عكس ما كان يصور لهم ، وينقل اليهم . وتلطف وجهاء اللبنانيين فأقاموا لي حفلات تكريمية في بيوتهم وأنديتهم . ولمست تبدلا عميقاً في

ميولهم واتجاهاتهم . وغمرني كثيرون منهم بفيض من إخاء صادق ، وولاء ثابت ، ومن عاطفة نبيلة ما زلت أعتد بها ، وادخرها للملمات .

وعدت من رحلتي تلك وأنا مطمئن الى وحدة الجالية وتضامنها ، لأن الجالية في « سان باولو » ــ كما ذكرت في فصول سابقة ــ هي مصدر الإشعاع الفكري للجاليــة العربية في أمريكا الجنوبية كلها .

كان ذلك مجهوداً فردياً . ومع هذا فقد نجح . فكيف لو دعم بمجهود رسمي مخلص وخطة سليمة حكيمة ؟ اذن لزالت الفوارق، وتبددت المخاوف ، واستقرت الأفكار ، ولن يبقى ثمة مجال للتذمر او للشكوى .

ومن خلائق المغتربين ومحاسنهم انهم طيبو القلب الى حد بعيد .

وطيب القلب يظل عرضة للتغرير والايهام .

فمصدر ضعفه من مصدر قوته .. وسر التغرير به ، من سر الثقة به والاطمئنان له .

ولقد استطاع بعض الهدامين ان يعاودوا الكرة ، وان يحققوا بعض النجاح ! ولو ان هناك توجيهاً محكماً لما استطاع الهدامون والمريــدون ان ينفــذوا الى تحقيق اغراضهم ومآربهم وهيهات ..

وحينما عزم كميل شمعون سنة ١٩٥٥ ــ وكان حينئذ رئيساً للجمهورية اللبنانية ــ ان يسافر الى المهجر لزيارة الجالية اللبنانية ، قمت بزيارته مع الصديق الوفي « جودة شبوع » واطلعناه على وضع الجاليتين بصورة مفصلة ودقيقة . ورجوناه ان يعمل في رحلته على استئصــال شأفة الخلاف ، والقضاء على بواعث الفرقة والانقسام . وان يسعى لجمع شمل الجاليــة ، وتوحيد كلمتها . وكنا معه جد صريحين ..

ووعدنا خيراً .. وسجل عنده بعض المعلومات والأسماء .

ولم نكتف بهذا بل عمدنا الى الكتابة لبعض الأصدقاء المغتربين ، الذين لهم وجاهــة في الجالية ، وكلمة مسموعة ، ورغبة صادقة في الالفة والوئام ، ومسعى دائم دائب للقضاء على كل أسباب الفرقة والانقسام .

وكتبت الى الاصدقاء : عزيز السمين (١) ، ويوسف اليــازجي ، وتوفيق أبي جمرة ،

---

(١) « عزيز السمين » هو شيخ الجالية السورية في البرازيل بلا منازع ، وهو يحمل اسماً ضخمــاً ويتحلى بسمعة عاطرة ، وله بين أوساط المغتربين مكانة محترمة وشخصية موقرة ، ومركز مرموق وهو متصف بالدراية والحنكة وسمة الخلق والاتزان .

وعبد الكريم حداد (١) ، وحسن عبد الهادي ، ويوسف الرشيد ، ويوسف الصارمي ، وآخرين عديدين . وأخبرتهم عما جرى لنا مع شمعون حتى يكونوا على علم به . فيتصلون مع ابناء الجالية ، بغية اتصال جماعي معه ، ويتيحون له معرفة اتجاهات السوريين، والاطلاع على توجيهاته بهذا الخصوص ..

وعاد كميل شمعون من المهجر ، والخلاف ما يزال على حاله .

ونشبت الثورة في لبنان . واشتعلت في مدنه وقراه ، وادمت آثارها قلب كل عربي مؤمن وآذته . واضطرمت نارها في كل ارجائه وانحائه . وكأنها قد اضطرمت في صدر كل غيور على عروبته ، مخلص لقضيتها ووحدتها وسمعتها .

وتقدم لبنان بشكواه الى مجلس الأمن ، يتهم الجمهورية العربية المتحدة ، ويلقي عليها مسؤولية ما حدث في لبنان (٢) .

وشرع يومئذ دعاة السوء والوقيعة يبذرون في المهجر بذور الفتنة والشقاق ، ويملأون دنياه اتهامات وحملات وتهجمات . وعادت الحالة اسوأ مما كانت عليه في أي وقت مضى ! وعاد المغرضون يغذون الخلافات التي نشبت هناك ، ويدعمونها وينمونها . ومن المؤسف ان تكون تلك الدعايات قد أثرت حتى على بعض الاحرار الشرفاء الطيبي القلب . وان تعمل عملها ، وتؤدي مهمتها ، وتصل الى غايتها ، وتفضي بالعلاقة بين الجاليتين الشقيقتين الى أسوأ النتائج .

---

(١) « عبد الكريم حداد » من أبرز الوجوه المشرقة في المهجر ، ومن أبرز العاملين في الحقل الوطني والاجتماعي ، بهمة لا تعرف الكلل ، وعزيمة لا تعرف الملل ، وإخلاص مستوحى من إيمان عميق ، وعقيدة صادقة صافية ، ونشاطه الذهني والعملي لا يقف عند حد ، وهو في كرمه وإخلاصه لا يجارى ولا يبارى .

(٢) انني شخصيا أشجب كل تدخل بشؤون لبنان الداخلية ، مهما كان نوعه ، ومن أي جهة كان . وأشجب كل تدخل بشؤون أي بلد عربي آخر . وأنا من المؤمنين بأن حياد لبنان – الجدي والواقعي – بين الأقطار العربية ، بالنسبة لخلافاتها المحلية ، يشبه الواحة الظليلة في صحراء ملتهبة ، واللبنانيون اخوان وجيران وأبناء عمومة وخؤولة .

وعلى كل حال ... أي علاقة للمغتربين بما يجري من خلافات محلية بين المسؤولين – وحدهم – في الوطن الأم ؟! ان اي خلاف ينشأ هنا .. يجب الا يترك أي أثر في المهجر .. والا يكون له صدى غير مستحب هناك .. ان أخطاء المسؤولين في سورية تجاه لبنان ، وبالعكس ، يجب الا يؤثر مطلقا على علاقة السوريين باللبنانيين في المهجر .

كل ذلك واليهود يضحكون ويسخرون ! ويستغـــلون الخلاف الجديد لمنـــاوراتهم ومؤامراتهم ، وحبك دسائسهم ودعاياتهم ــ بينما المسؤولون العرب قابعون في مراكزهم ، لا يحركون ساكناً ، ولا يقومون بأي مجهود لإعادة الشمل الشتيت الى ما كان عليـــه من الالفة والوئام !!

ومما يؤسف له ، ويحز في النفس المخلصة المؤمنة ، ويحرك فيهـــا بواعث الالم والاسى ، ان تزداد الهوة بين الجاليتين سعة وعمقاً ! وان يظل المجال رحباً للايدي المريبة الغريبـــة ، تحمل معاول للهدم ، وتعمل جاهدة لإضعاف الطاقة العربية في المهجر ، عن طريق بعثرة صفوف المغتربين ، وتفريق كلمتهم ، وتمزيق وحدتهم ، واشاعة الضغن والخصام بينهم !

والجامعة العربية ، وعقلاء المغتربين ، فضلا عن المسؤولين المعنيين ، هم الذين يستطيعون أن يرأبوا الصدع ، ويجمعوا الشمل ، ويؤاخوا بين الجـــاليتين الشقيقتين . ويبقوا الصف موحداً ، والكلمة متفقة ، والالفة سائدة .

وما ذلك على جهود العاملين المخلصين بعسير .



مستقبل المغتربين

ما أحسب اثنين يختلفان على ان خطراً ما حقاً يهدد مستقبل عروبة المغتربين .

وليس ثمة خطر على المغتربين كطاقة بشرية ، وإنما الخطر على عروبتهم . والخشية من فقدانها ، والشك ببقائها سليمة نقية .

فالمغتربون يذوبون تدريجياً في المحيط الأجنبي . وينصهرون في بوتقته الجبارة الرهيبة . وهم لا يستطيعون بإمكانياتهم وحدها أن يقاوموا تيـــار الزمن ، ولا أن يحولوا دون سيره المطرد الحثيث .

يتزوج المغترب ، وينجب اطفالا ، يصبحون بحكم القوانين المرعية من أبناء البـــلاد التي ولدوا فيها ، يحملون جنسيتها ، ويسجلون بين أفراد رعيتها ، وينشأ هؤلاء وهم يجهلون اللغة العربية ، وقد يكونون تواقين لمعرفتها ، وقد يكون آباؤهم اكثر توقـــاً منهم ، واكـــثر اهتماماً ، ولكن لا الآباء يبذلون جهداً لتعليمهم اللغة العربيـــة ، ولا الأبنـــاء يعرفون الطريق السوي .

واللغة العربية من اللغات الصعبة ، العسير تعلمها والنطق بها . فلا يستطيع الطفل ان يتعلم بدون مواظبة وجهد ، وحرص تام ، وبرنامج دقيق وهذا لا يتم الا عن طريقين ، او عنهما معاً : المدرسة ، والبيت .

اما المدرسة فهي غير متوفرة في المهجر — الا في مناطق قليلة كالارجنتين ، والبرازيل ، والمكسيك .

في « سان باولو » ، وهي عاصمة المغتربين الأولى ، يوجـــد ما ينوف على مائـــة الف مغترب عربي ، لهم الوجاهة الاولى ، ادبياً وماديـــاً في الامريكتين : الشماليـــة

والجنوبية (١) . وكان من البدهي أن تنمو فكرة الدفاع عن مستقبل اللغة العربية فيها . فأنشأ الاستاذ « الياس اليازجي » معهداً لتعليم اللغة العربية إلى جانب اللغات الاخرى . وكانت جهوده فردية بحتة . لا فضل لهيئة رسمية عليها ، ولا دخل لها بها ، وقد توفي الاستاذ المربي ، يرحمه الله ، وما يزال ابناؤه من بعده يرعون هذا المعهد ، وينهضون بهذا العبء ، ويؤدون لأمتهم خدمة كبرى ، لا تعادلها خدمة ، ولا يقابلها صنيع . ويجدون أقوى نصير لهم في قريبهم « يوسف اليازجي » ، صاحب المواقف الوطنية المشهورة ، والنضال الخير المنتج .

وقد أحدثت مدارس عدة لتعليم اللغة العربية ، ثم اضطر القائمون عليها لاغلاقها بعدما رأوا من إحجام ابناء الجالية عن الانتساب اليها ، والتهافت على التعلم بها .

والمدارس النادرة ، الموجودة حالياً ، إنما يغالب المشرفون عليها الزمن ، ويقاومون الصعوبات التي تقف في وجوههم ، ويبذلون الجهود التي يبذلها المؤمنون لنشر دعوتهم ، وتثبيت فكرتهم (٢) .

وفي « الارجنتين » بضع مدارس مبعثرة هنا وهناك : في العاصمة ، وفي توكومان ، ومندوسا ، وغيرها ، يقوم على تعليم اللغة العربية فيها بعض المغتربين الذين لا عمل آخر لهم .

ويوجد في بعض الجمهوريات الاخرى مدارس بهذه القلة ، وهذه الندرة ، ولكنها كلها لا تؤدي مهمتها على الوجه المطلوب ، حتى ولا على جزء ضئيل منه . اذ ليس فيها ما يشوق

---

(١) ذكر الاستاذ يوسف الصارمي في مجلته « المواهب » الغراء انه زار السيد « نجيب يافث » وجه الجالية المشرق في البرازيل ، ورجلها الأول . وسأله الصارمي عن نظرة البرازيليين للمغتربين فأجابه السيد يافث بكل ما عنده من وقار وتؤدة ورزانة ' (كان يجب أن تسألني كيف ننظر نحن اليهم) . وفي هذا الجواب أبلغ تعبير عن مكانة المغتربين ، وسمو منزلتهم ، واعتدادهم بأنفسهم ، وإدراكهم حقيقتهم ، وواقعهم ، وقيمتهم .

(٢) من هؤلاء السيدة « سلوى الخوري محفوظ » التي سعت لإنشاء مدرسة تتسع لمئات الطلاب ، وبذلت في سبيلها جهوداً خيرة مشكورة . ولهذه السيدة الفاضلة نضال خير في سبيل كل قضية عربية ، وخاصة قضية التبرع للاجئين العرب وقد زارت الوطن سنة ١٩٥٠ واحتفلت بها الأوساط الرسمية في دمشق حفاوة بالغة ، واستقبلتها الهيئات الرسمية والشعبية بما تستحق من تقدير . وأقيمت على شرفها حفلات عدة ، ومنحت وسام الاستحقاق السوري ، وقد تركت السيدة « سلوى » في نفس كل من تعرف عليها أجمل الأثر ، وأطهر الذكريات .

الطالب ، ولا ما يرغب اهله بإرساله اليها ـــ من حيث التهيئة والتنسيق ، ومن حيث طريقة التعليم نفسها ، رغم جهود القائمين عليها ، والذين يجب أن نذكرهم ونشكرهم ، ونثني أطيب الثناء على دأبهم ، ونضالهم ، واخلاصهم .

هذه المدارس كلها ـــ ولعل من الجرأة النادرة ان نعترف بأنه يوجد في امريكامدارس لا تستوعب من ابناء الجالية الا واحداً بالالف ، وربما اقل من ذلك . ولا يرتادها عادةالا بعض فقراء الجالية ، وبعض متوسطي الحال فيها . وهي لا تعدو تعليم بعض المبـــادىء الاولية من اللغة . ومنها المدارس الليلية المجانية التي أنشأها الدكتور « عارف سلامة » في « سان باولو » .

وحتى هذه المدارس ، رغم قلتها وندرتها . فإنها في طريق الزوال والاندثار . لأنها تفتقر الى جهود الحكومات في الوطن . او الجمعيات والاندية في المهجر ، وليس ثمة ما يشجع على الثقة بأن هذا قد حصل ، او ان الهيئات المسؤولة مهتمة به !

اما الحكومات العربية فانهـــا كانت ، الى وقت قريب ، تمسك حتى عن إرسال الكتب المدرسية الي هذه المدارس ـــ رغم إلحاحنا ومراجعاتنا المستمرة ، ورغم إلحاح المبعوثـــين السياسيين أنفسهم ، وإلحافهم بالكتابة والمراجعات الشخصية .

واما أبناء الجالية فانهم يبدون « أعذاراً » لها صلة بتقاعس الحكومات ، وتـــأثر مباشر بإهمالها .

ولا شك اننا قد بدأنا ، في عهد جمهوريتنا الفتية ، قد بدأنا نلمس اهتماماً صادقاً وأكيداً لعمل شيء مثمر ، ومجد ، من اجل المغتربين . وهذا ما شجعنا على كتابة هذه الفصول ، ونشرها في كتاب مستقل على المواطنين .

اما الناحية الثانية ، وهي تعليم اللغة العربية في البيت ، فان المسؤولية تقع على عاتق الام قبل الاب ـــ فيما لو كانت الام عربية ـــ ولكن الام كثيراً ما تكون من مواليد تلك البلاد، وتجهل اللغة العربية جهلا تاماً ، هذا اذا لم تكن اجنبية صميمية .

اما الاب وان كانت اعماله خارج المنزل تأخذ الحيّز الاكبر من وقته وتتحكم فيـــه ، فان المسؤوليه تتركز كلها عليه . ولو كان جاداً بتعليم أبنائه اللغة العربية لما عدم وسيـــلة لتحقيق ذلك . وليس عسيراً على من يضع نصب عينيه خطة مدروسة ، ويرسم هدفاً معيناً ان يحقق ذلك ، وان يضمنه .

وتوجد عوائل كريمة فرضت على اولادها ان يتعلموا اللغة العربية ، وان يقصروا احاديثهم عليها ، في البيت ، وفي كل محيط عربي . فضمنت بذلك مستقبلهم لبلادهم ، وابقت للعروبة ركائز قوية ، في بناء يتداعى مع توالي الأيام وينهار .

ولا اغالي اذا قلت ان ابناء الريف ، من سورية ولبنان ، هم اكثر حرصاً على تعليم أبنائهم اللغة العربية من سواهم . وربما كان السبب في حرصهم على صيانه اللغة العربية ، وتعليمها ابناءهم ، ان اكثرهم ينوي العودة الى الوطن الام ، ولا يطيق التمركز الدائم في المهجر .

يروي الاستاذ « يوسف الصارمي » في مجلته « المواهب » التي تصدر في عاصمة الارجنتين (١) انه ذهب الى المرفأ لوداع نجلي صديقه السيد حسن الغانم ، وهما في طريقهما الى سورية . وسمع الاب يقول :

« سنلحق بهما ان شاء الله » . واذا لم نوفق للحاق بهما ، فالافضل ان يخسرا ابويهما من ان يخسرا لغتهما وقوميتهما » .

هذه الكلمة يجب ان تكون « دستوراً » لاخواننا المغتربين ، ومثلا وقدوة ونبراساً .

هذا الرجل « حسن الغانم » يجب ان يمنح وساماً رفيعاً ، وان يعلم ابناؤه على نفقة الدولة وان يعاد به وبأسرته على نفقتها ايضاً . لأنه بكلمته هذه ، قد خط في جبين الافق نظاماً ، ونقش شعاراً لو وعاه كل عربي في امريكا ، وآمن به ، لجنب نفسه واسرته مزالق الضياع وكفل لامته بقاء هذه النخبة المختارة من ابنائها الصالحين ، ولصان العروبة في المهجر ، وحفظها من الزوال والضياع .

يقول الاستاذ اكرم زعيتر في كتابه مهمة في قارة انه لم ير في امريكا اسرة يجيد ابناؤها جميعاً ، قواعد اللغة العربية مثل اسرة الاستاذ يوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » التي سلف ذكرها ، والتحدث عنها .

ويقول مثل هذا القول الشاعر القروي ، والاستاذ جورج صيدح ، وكل من زار المهاجر

---

(١) سبق أن نوهنا عن مجلة « المواهب » أكثر من مرة . وهذه المجلة القيمة تعتبر من أرقى المجلات الأدبية في المهجر ، وهي تحمل لواء الأدب بين المغتربين ، وتكتنز في صفحاتها المشرقة خلاصة الإنتاج الأدبي في المهجر ، فضلا عن انها تضطلع بأعباء السفارة الأدبية بين المقيم والمغترب .

الامريكية ، وتعرف على أعضاء هذه الاسرة الكريمة (١) .

وقد حرص الصارمي على ان يقتصر الحديث في بيته على اللغة العربية وحدها . وبذلك ضمن لابنائه الستة لغة سليمة ، ومنطقاً عربياً فصيحاً ، وخطاً عربياً جميلا ، وتعبيراً انيقاً، وصار بيت الصارمي قدوة ومثلا في المهاجر الامريكية جمعاء (٢) .

وتوجد عوائل كثيرة اخرى ، حرصت على تعليم ابنائها لغة آبائهم واجدادهم . واذا كانت لا تشبه اسرة « الصارمي » من حيث الدقة والعناية ، فانها لا تقل عنها حرصاً على المخاطبة باللغة الام .

ولا أحب أن أخوض في « لجة » التسمية .. لانني أخشى ان اوغل فيها — ولا نهاية .

ولكن .. هل يستطيع ابناء هذه الاسر التي أشرنا اليها ، ان يحرصوا على تعليم اولادهم لغة آبائهم واجدادهم ، كما حرص آباؤهم على تعليمهم إياها ، بدون مساعدة من حكوماتهم او توجيه منها ؟

اشك في انهم يستطيعون المثابرة الا اذا وجدوا من الحكومات العربية اهتماما جديا ، واندفاعا حاراً ، وتوجيهات مستمرة .

وإذن فإن الإبن الذي يقدّر له ألا يفقد لغة والده ، فإن الحفيد سيفقدها حتما وسنفقده نحن معها . لانه متى فقدت اللغة — اي لغة — فقدت القومية ، وضاع العرق ، وتلاشى . ولن يبقى في بعض النفوس منه الا ذكريات مشتتة ، وشيء من الاسى والحزن — سيشبه في المستقبل البعيد ، الى حد ما ، حنين البرتغاليين والاسبان الى جزء عامر من تاريخهم العربي . وهذا نفسه سوف يضعف ويضمحل مع توالي السنين ، وتعاقب الاجيال والقرون .

ان البيت ، ولا ريب ، هو الركيزة الاساسية لتعلم اللغة وتعليمها . ولكن يبدو ان الاعتماد على البيت وحده لا يكفي . بل لقد اصبح مستحيلا . واذن فلا بد من تدارك الامر

---

(١) راجع كتاب (مهمة في قارة) للاستاذ أكرم زعيتر ، وكتاب ادبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية للاستاذ جورج صيدح .

(٢) أولاد الصارمي الستة دخلوا كلهم كلية الطب ، وقد تخرج بعضهم منها ، والبعض الآخر ما زال يتابع دراسته فيها ، والأب المخلص لعروبته حريص على العودة بأفراد أسرته جميعاً إلى سورية .

وقد عادت الطبيبتان : سعاد وسوسان ، ولقيتا من الحفاوة والتكريم ما تستأهله تربيتهما المثالية ، وأخلاقهما السامية ، وشمائلهما الرفيعة ، وثقافتهما الواسعة ، وقد عينتا في أحد مشافي دمشق ، حيث تؤديان عملهما بكل فهم ، وتهافت ، ونشاط .

عن طريق المدرسة . وسنبحث هذا الموضوع في فصل مقبل ، نضمنه اقتراحاتنا البناءة في هذا السبيل .

* * *

كم هو مؤلم ومؤسف ، وجارح للكرامة الادبية ، والعزة القومية ، ان يكون ابناء الشعراء والادباء العرب ، في المهجر ، لا يفقهون شيئا من شعر آبائهم ، ولا يحسنون قراءة ادبهم ، واذا قرىء لهم شيء منه فانهم لا يعرفون معناه ــ الا اذا ترجم لهم !

كم هو مؤلم ومؤسف أن يحمل ابن الشاعر الكبير المعروف «الياس فرحات » (١) قصيدة لوالده ، ويطلب الى احد المغتربين الذين يجيدون اللغتين العربية والبرتغالية ان يترجموها له حتى يستطيع حفظها .

وكم هو مؤسف ومؤلم ان يكون ابن الشاعر النابغة « شفيق معلوف » (٢) شاعراً باللغة البرتغالية ، وأبوه من كبار شعراء العربية ! وهو لا يفهم شيئا من شعر والده الا اذا ترجمته والدته التي تحفظ شعر زوجها العبقري كله ، والتي تجيد اللغتين العربية والبرتغالية إجادة تامة .

واخشى ان يكون كذلك بقية ابناء الشعراء والنوابغ .

ايليا ابو ماضي ، والياس فرحات ، وجورج صيدح ، وشفيق معلوف وغيرهم كثيرون يجهل ابناؤهم اللغة العربية جهلا تاما ! وهم لا يستطيعون قراءة بيت واحد من شعر آبائهم الخالد ، الا اذا ترجم لهم !

---

(١) لقد زار « الياس فرحات » الوطن الأم مع عقيلته المحترمة ، وقضى في ربوعه قرابة السنتين ، وقد استقبل بما يستاهل من حفاوة بالغة ، وتقدير كبير ، وبما يتفق مع جهاده الدائم ، ونضاله المخلص في سبيل مجد اللغة والقومية ، ورفع شأنها ومستواها ، وقد اقيمت على شرفه حفلات كثيرة في سائر المناطق السورية ، واشترك بالحفاوة به كافة المسؤولين السوريين .

(٢) بيت الاستاذ « شفيق معلوف » في سان باولو البرازيل ناد أدبي ، ومجمع علمي ، اذ يختلف اليه أدباء الجالية وزوارها ، فيجدون فيه غذاء القلب والأذن والعقل جميعاً ، والاستاذ معلوف من كبار الشعراء العرب ومن أعمقهم فكرة ، وأنصعهم ديباجة ، وأكثرهم ترف لفظ ومعنى ، وهو شاعر فكرة مبتكرة ، وتشبيه رقيق أنيق ، وخيال وضيء سابح ، وجرس ناعم صاف .

وقد زار الوطن أخيراً . واحتفلت دمشق به حفاوة بالغة رائعة . وكانت تصحبه عقيلته السيدة (روز) التي تمتاز بذهنية صافية ، وذكاء نادر ، واحساس مترف مرهف ، وهي تحفظ كل أشعار زوجها وترويهـا بتفهم ودقة عجيبين .

هؤلاء هم الابناء فما قولك بالحفدة ؟

وهل يوجد في الدنيا كلها كارثةشعب كهذهالكارثة ، ونكبة امة كهذه النكبة ،ومأساة قوم كهذه المأساة ؟

اربعون سنة ، او خمسون ، لا اكثر .. وينتهي كل شيء !. ويطفو الموج على كنز عامر بالاخلاق والاريحية ، والمروءة والعبقرية . ويصبح المغتربون في امريكا « ماضيا » وتصبح حقيقتهم خيالا ! وواقعهم ذكرى ! وتفقد سورية ربع سكانها عدداً ، وما يعادل كلسكانها قيمة وثروة !. وتربح بلدان اجنبية طاقة عربية ضخمة (١) ، بسبب الاهمال والتقاعس ، وعدم الاهتمام ، او عدم الاكتراث !

ان العواطف وحدها لا تكفي .. هناك أشياء اكثر فعالية وأجدى ..

هناك عمل مثمر يمكن أن يعمل ، وجهود صادقة يمكن أن تبذل ، ونتائج طيبة يمكن ان تحصل .. وستكون مضمونة ، حكما ، اذا عملنا ، وأحسنّا العمل ، وتابعناه باستمرار ودقة واخلاص .

انه لا يعوزنا الا البدء والتصميم . والامور يكمل بعضها بعضا .

وان اي تهاون او تقاعس سيكون من نتائجه القضاء على هذه الفئة الخيرة الكريمة ، وحرمان الامة العربية من جهودها وجهادها ، وعبقريتها ونشاطها . وستضمحل العروبة في المهجر وتتلاشى . ويندغم ابناؤها في غيرها من الامم ، كما يندغم الجدول في البحر ، ويذوب فيها كما يذوب السكر في الماء ، وينصهر في بوتقتها الرهيبة كما تنصهر المعادنالمختلفة فيها ، وستمنى الامة العربية بكارثة لا تعادلها كارثة من هذا القبيل ، وتلم بها نكبة ورزء لا مثيل لها غير قيام اسرائيل في تاريخها الحديث .

وكم كتب الادباء المهجريون في هذا الموضوع وكم عالجوه ؟ وكم استصرخوا ضمائرالعرب لنجدتهم ، وانقاذ عروبتهم المهددة ، وتراثهم المهدد ؟

كم كتب الاستاذ « نظير زيتون » ملهبا حماسة اخوانه ، ومستثيراً حميتهم وغيرتهم ، وقد ألف الكتب الكثيرة ، ودبج المقالات العديدة ، في سبيل هذه الغاية الشريفة ، والمقصد

---

(١) السيد (محمد ابراهيم حربا) مغترب كريم يقيم في ولاية مندوسا بالأرجنتين ، ومن أرباب الوجاهة بها ، وقد عاد إلى الوطن بأسرته الكريمة منذ وقت قصير، ومما قاله لي : لقد أحببت أن أنقذهم من جحيم الغربة حتى أحفظهم لوطنهم وحتى أطمئن إلى أن أولادي سيظلون عربا . وانهم لن يفقدوا قوميتهم كما فقدها وسيفقدها سواهم ما أجل التشبه بهذا الرجل الوطني المخلص .

النبيل ، وما يزال يوالي كتاباته وتوجيهاته في الوطن الام — بعد أن ظفر بعودته اليه ، واستقراره فيه (١) .

والاستاذ « فارس الدبغي » قد وقف الحقول الطوال في جريدة « برازيل لبنان » لهذه الدعوة القومية ، التي توجبها حاجة ملحة ، وضرورة صارخة . ووقف قلمه وقلبه وصوته المدوي عليها — ومايزال .

والاستاذ « الدبغي » من الكتاب العرب المرموقين . ومن حملة المبادىء القويمة ، والعقيدة السليمة . وله مواقف بطولية بالدفاع عن وحدة الجالية وكرامتها ومكانتها . وهو من الوجوه العربية المشرقة في المهجر ، ومن ذوي المكانة المعدودين فيه : أدبا ، ووجاهة ، وقيمة .

وثمة ادباء كثيرون ما يزالون يجندون اقلامهم لهذه الدعوة الكريمة ، ويقفونها عليها .

ان الدول الراقية ، في العالم كله ، تسعى لنشر دعايتها وثقافتها في كل مكان ، وتحاول ان توجد لسياستها نصراء ومؤيدين . وهي تبعث الوفود ، وتبذل الجهود ، وتصرف اموالا طائلة حتى توجد أناسا يتبنون الدعوة لها ، وينشرون شيئا عنها .

فما قولك اذا كان يوجد لدولة ما عدد من ابنائها في كل بلد يجندون امكانياتهم ومواهبهم لخدمة بلادهم ، وصالح امتهم ، دون ان يكلفوها شيئا من الجهد ، او يحملوها شيئا من العناء ، او يطالبوها بشيء من البذل ؟

وقضية فلسطين اكبر شاهد على هذا .. واكبر حافز على ان نعرف كيف نفيد من امكانيات ابنائنا الموزعين في سائر انحاء الجمهوريات الامريكية وغيرها لتأييدنا وايجاد نصراء في تلك الجمهوريات ، وغيرها ، لنا .

لقد اصبح للرأي العام العالمي اثره وخطره . وكل قضية تظفر بتأييد الرأي العام العالمي ناجحة لا محالة . ولا يمكن ان تظفر به الا اذا وجد في كل بلد اقلاما تؤيدها ،

---

(١) ما يزال الاستاذ نظير زيتون يذيل مقالاته التي يعطر بها حقول الصحف بجملة نزيل حمص وقد كتبت مقالا في جريدة القبس الدمشقية حول هذا الموضوع ناشدته فيه ، كما ناشده ويناشده كثيرون ألا يعتبر نفسه نزيلا في بلده وبين أهله وذكرياته وتاريخه الطويل ولكنه مع ذلك ما يزال يعتبر نفسه نزيلا وفي هذا اتهام صريح لنا بأننا لا نعرف قيمة العبقرية ولا نعرف كيف نقدرها .

حمانا الله من ألسنة التاريخ ...

وألسنة تعضدها ، وجهوداً فردية وجماعية تساندها . ومن هنا يتحقق الامل ، وتتم الغلبة والظفر .

ان المغتربين العرب ، المنتشرين في امريكا وسائر انحاء الدنيا ، يشكلون ثروة ضخمة للامة العربية لا تعادلها ثروة ، ولا تحاكيها او تضاهيها . وعندها كل المؤهلات لأداء الرسالة والنهوض بالأعباء ، وتحمل التبعات والمسؤوليات . وليس علينا الا ان نوجهها ، وان نعرف كيف نوجهها ، ونوحد صفوفها ، ونفيد من خبرتها وقدرتها ، ومواهبها وامكانياتها ولا يتطلب منا ذلك كبير جهد ، ولا كبير عناء . وانما هي خطة ترسم ، وبرنامج يهيأ ، وتصميم يعد . واقدام بلا حذر ، وعمل بلا توان ، وجد بلا تهاون ، وتأتي بعد ذلك الثمار ، ويحين القطاف .

ان القضية اهم كثيراً مما يتصوره القارىء العادي ، وأعظم تأثيراً ، واشد خطراً على الحاضر ، وعلى المستقبل .

انها قضية شعب مغترب مهدد بالاضمحلال والزوال .. تكمن فيه عبقرية امة ، ونبوغ اجيال . ومواهب عصور . وبين جيل وجيل ينتقل ميراثنا الضخم هذا الى ايد اجنبية تغنى به ونفقر ! تقوى ونضعف ! تزداد عدة وعدداً ونخسر عدداً وعدة !

اننا نقرع ناقوس الخطر ، ليسمعه كل عربي مخلص لأمته ، مؤمن برسالتها ، حريص على مستقبلها ووحدتها .

حينما باشرت مصر بإنشاء السد العالي ، عممت نداءها على الدنيا تستنجد بأحرارها للمساهمة بإنقاذ الآثار التي ستغمرها المياه في بلاد النوبة .

ما احرص الغيارى على صيانة التاريخ ... وما اجدر بلادنا لان تكون مستقره ومستودعه .

ولبى العالم نداء مصر .. وهب الحريصون على قدسية التاريخ وجلاله ، وسلامة مخلفاته ، يجمعون التبرعات ، ويرسلون المعونات .

كل شيء ذي قيمة يجب الا يضيع ..

وهل هناك اهم من ملايين عرباً ، سجلوا تاريخاً جديداً بكفاياتهم النادرة ، وجهودهم الظافرة ، وامكاناتهم الضخمة ، وقلوبهم العامرة بالايمان ، والعاطفة والحنان ؟

هل هناك ما هو اجدر من الاهتمام بانقاذهم من الذوبان ، وانقاذ عروبتهم من الضياع ؟

اذا كان المعنيون في العالم ، على اختلاف قومياتهم واتجاهاتهم ، يهرعون لانقاذ « معبد سنبل » ، وآثاره التاريخية من الغرق ، أفلا يجدر بمائة مليون عربي ان يهرعوا لانقاذ ملايين من ابنائهم ، والمحافظة على قوميتهم ولغتهم ؟ وثمة مغتربون من لبنان وفلسطين ، لا يقلون عدداً عن المغتربين السوريين ان لم يفوقوهم .

ان المغتربين في امريكا على موعد مع القــدر ، لينتقلوا من صف الى صف ، ومن جنسية الى اخرى !

نقول من جنسية الى اخرى .. ما اعنف هذه الكلمة ، وآذاها واقساها . ولكنها الحقيقة التي لا مراء بها ، ولا شك فيها ، ولا ريب في صميمها وواقعها .

فهؤلاء العرب الذين هاجروا الى امريكا وسواها سوف يصبح ابناؤهم يتكلمون لغات اخرى ، وينتسبون الى قوميات اخرى ، ويحملون جنسيات اخرى .!

هذه هي المأساة ..

خلال نصف قرن من الزمن لا اكثر يفقد شعب عريق عدداً ضخمــاً من ابنائــه ! ويطوي ملاحم خالدة من بطولاتهم وتضحيــاتهم ! وكلما فتح هذه الصفحــات يشع النور ، ويسطع الطيب ، وينتشر الأريــج . ولكن الألم يفيض معهــا ، والحزن يطغى عليهــا .

ان من الصعب حقاً مقاومة الزمن ، وعوامل البيئة والمحيط . هذا ما يعتذرون عنــه ، ويحتجون به .

والزمن ضدنا ، والبيئة أداة فعالة وقوية لا يمكن اغفال اثرها وخطرها . ولكن يمكن الحد من التيار ، والكبح من جماحه ، والتخفيف من غلوائه وطغيانــه . واذا لم تبــذل بعض الجهود ، وتستنفد بعض الامكانيات ، فان الكارثة واقعــة لا محالة ! ولا محيــد ــ ابداً ــ عنها !

اما هذه الكارثة فانها نسيج وحدها .. ومن العسير تلافيها بعد ان تحل ، وتعفي على كل موجود ، ولا تبقي على شيء منه .

ما يزال امامنا متسع من الوقت ، يمكننا من تدارك الحال ، ووضع الخطط ، والبــدء بالتنفيــذ .

ان القضية تحتاج الى شيء من التصميم والعزم ، وتفتقر الى قناعة المسؤولين بضرورة المبادرة الى العمل ، دون ما إمهال او اهمال .

ان المسؤولية ضخمة وجسيمة . مسؤوليتنا تجاه الاجيال القادمة ، مثل مسؤولية الأجيال الماضية تجاهنا . ومثلما ورثنا هذا « التراث » العربي عن الآباء والاجداد ، علينا ان نورثه الى الابناء وحفدتهم .

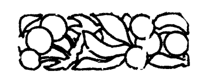
ما يزال كل منا ، وسيظل من يأتي بعدنا يذكر ، ذلك البيت الخالد المر ، الذي خاطبت به ابنها ام الملك عبد الله الصغير :

إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال

يجب ألا نبكي . وألا ندع ابناءنا يبكون ، على تراث عربي في بلد اجنبي ضاع ــ او انه مهدد بالضياع ، اذا لم نعمل من اجله شيئاً ، وبسرعة ، وتهافت ، وتضحية ، وجد .

ما يزال امامنا متسع من الوقت للعمل .. فلنعمل بجد ونشاط واخلاص ، حتى لا نعيّر نحن ، ولا يعير ابناؤنا بهذا البيت العنيف المر :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال



الوَطنيَّة في الشِّعْر المَهْجَري

من أبرز ميزات الشعر المهجري ان الشاعر يعبر عن احساس قومه ومشاعرهم – مثلما يعبر عن احساس نفسه ومشاعرها . وان الأحداث التي تمر في وطنه الام تترك صداها العميق في قلبه وجوارحه جميعاً ، وينتقل ذلك الى القريض فيخلد فيه ، والى الشاعرية الملتهبة : عاطفة وحماسة ، فتتقد وتشع .

وميزة الشاعر العربي في المهجر انه قائد ، ومصور ، ومؤرخ ، وان كل الاحداث ، العادي منها والمهم ، والتي لها صلة بنضال الأمة العربية ، وكفاحها ، وتاريخها المجيد ، قد رواها الشاعر العربي ، بعد ان اضفى عليها من روحه المتوثب ، واخلاصه الكامل ، وتضحيته المثلى .

وتستطيع ان تقرأ تاريخ الثورات ، والبطولات وحتى المواقف الفردية ، والبطولات الشخصية في شعر اكثر الشعراء المهجريين .

فالشعر مرآة الامة ، وينبوع احساسها ومشاعرها ، والشعراء المجلون هم لسانها المعبر ، ومقولها الدافق ، وصوتها الهادف الهادر المرن .

والشاعر الشاعر هو الذي يعبر عن شعور امته وارادتها ، وينقل وجيب قلوبها الى قلوب الناس وضمائرهم . يأسى لأساها ، ويفرح لفرحها ، ويشاركها في سراء الحياة وضرائها ، ونعمائها وبأسائها .

واذا كانت الصحافة في الوطن العربي ، قد استطاعت ان تحمل جزءاً كبيراً من مسؤولية الشاعر ، فإنها في المهجر لم تستطع – رغم نضالها وتضحياتها – ان تحل محله في تحمل المسؤوليات والتبعات ، وفي حمل أعباء الرسالة ، وأداء الأمانة ، وتوجيه النازحين .

وظل الشاعر المهجري ، رغم قوة النثر ، وأصالة الاقلام ، وترفها واعجازها ، الرائد

الاول في ميادين التوجيه والتحميس والاصلاح .

وما سقطت دمعة من مواطن عربي ، في الوطن الأم ـ الا وسالت اغنية حزينة ، في مقطوعة شعرية لشاعر مهجري .

وما زفر حزين ، وتأوه مصدور ، في المشرق العربي ، الا وكان لآهته وزفرته صدى عميق مؤثر في الشعر المهجري .

وما التحمت السيوف ، ودوت الطلقات ـ في ميادين الجهاد والتضحيات ،الا وجلجل معها صوت القروي وفرحات وجورج صيدح ، وآخرين كثيرين .

ان النواحي الفنية في الشعر المهجري ، كثيرة ، وغزيرة ، وغنية . ولكن الناحية الوطنية تغلب على هذه النواحي جميعاً ، وتبذها جميعاً .

ولا شك ان الحنين للوطن الام هو العامل الاساسي لذلك ، والدافع الاكبر له . كما ان للحرية التي كان الشعراء المغتربون ـ وما يزالون - ينعمون بها في مغتربهم ، اثر كبير في هذه الثروة الضخمة من الشعر الوطني الذي حفلت به المكتبة العربية وصار لها وللأجيال المقبلة تراثاً ومشعلا ومناراً .

وكان الشعراء المغتربون ينحون باللائمة على اخوانهم المقيمين في الوطن لتقاعسهم واستكانتهم ، ورضوخهم للامر الواقع ، ولا يجدون لهم مبرراً ولا عذراً .

اسمع ايليا ابا ماضي يخاطب اخوانه العرب في العهد التركي :

قد جعلتم منكم عسكره ... وحلفتم ان تطيعوا عسكره

كيف لا يبغي ويطغى حاكم ... يتقي اشجعكم ان ينظره

ما استحال الهر ليثاً انما ... اسد الآجام صارت هرره

واذا الليث وهت اظفاره ... انشب السنور فيه ظفره

واسمع الشاعر جورج عساف يندد بأبناء امته ، ويصب في آذانهم جام عتبه وغضبه ، ويتهمهم بالتخاذل الذي افقدهم عزهم ، وضيع سلطانهم :

جف المداد ، فكم انادي امة ... معصوبة العينين كالعميان

كتب القضاء على صحيفة قبرها ... ألميت لا يرجى من الاكفان

من لي بها قوماً اذا استنفرتهم ... طاروا الى الاهوال كالعقبان

يتزاحمون على المفاخر لا على ... لقب من الاتراك او نيشان

هبوا فقد طالت ليالي بؤسكم ... والشمس مشرقة على الاكوان

لولا تخاذلكم لما بتم بلا   عز ولا ملك ولا سلطان
فانهار ملككم ، فلا في جلق   منكم خليفتكم ولا بغدان

ولم يسلم المغتربون انفسهم من عتب شعرائهم ولومهم ، وتنديدهم بالخلافات التي كانت تنشب بين وجهاء الجالية والبارزين من ابنائها ، ودعوتهم الى دفن الضغائن ، وبسط الاكف لمساعدة العفاة والمعوزين . يقول ابو ماضي :

الليالي غاديات رائحه   بالدواهي واراكم تضحكون
ما اتعظتم بالسنين البارحه   لا ولا انتم غداً متعظون
يا لهول الخطب يا للفادحه   امة تفنى وانتم تلعبون
فادفنوا اضغانكم يا زعماء   يبعث الله من القبر الوئام
وابسطوا ايديكم يا اغنياء   ابغض السحب الى الصادي الجهام

وقل ان خلا شعر شاعر مهجرى من دعوة اخوانه المغتربين الى البذل في سبيل العفاة من ابناء الجالية ، ونصرة المعوزين في الوطن الأم . وهذه الناحية الانسانيــة تكاد تطبع الشعر المهجري بطابعها الاصيل ، وتقف الى جانب الناحية الوطنية موقف التماسك والاخاء والانسجام :

ها هو مسعود سماحة ينشد في واشنطن .

لا تتركوهم للعراء وللطوى   هدفاً وللاسقام والاحزان
لو كان يقريهم انين موله   لقريتهم من صدري الملآن
لا تسكبوا دمعاً وجودوا انما   كف الجواد تسيل لا العينان

ونصر سمعان يقف في سان باولو يستنهض همم قومه ويستفز مروءتهم واريحيتهم :

ارض البطولة والشمم   تستنهض اليوم الهمم
افما نلبيها وقد   كادت تلبيها الرمم
لا تحجبوا عنها الندى   فالشح يعقبه الندم
قام الإباء بقسطــه   يا قوم فليقم الكرم

ويقف الشاعر القروي في عيد الفطر ، في سان باولو ، البرازيل ، ليخطب المسلمين ويخاطبهم بلغة المؤمن الذي لا يخشى كلمة الحق ، ولا يرهب من موقف يقفــه وهو مؤمن بصحة ما يعتقد ويقول :

بلادك قدمها علي كل ملة   ومن اجلها افطر ومن اجلها صم

لقد صام هندي فروع دولة ... فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم
هبوني عيداً يجعل العرب امة ... وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا ... واهلا وسهلا بعده بجهنم

ويخاطبهم في عيد مولد الرسول وقد هاله ان يتجمع المغتربون لتقبل التهاني بمناسبة ذلك اليوم الخالد ، بينما اخوانهم في الارض المقدسة فلسطين يئنون من جراح المستعمرين، وطغيان الصهاينة والمجرمين :

يهنيء بعضكم بعضاً واني ... اهني النفس اني لا اهني
أأنقض مبدئي واخون عهدي ... مسايرة لكم ويقال اني ..
ارى تفاح هذا العيد جمراً ... ولو قطفوه من جنات عدن
وألمس ناعم الازهار شوكاً ... وانشق عطرها نتناً بنتن
ويطرف ناظري حسن الغواني ... ويجرح مسمعي صوت المغني
أأرضى والرسول قتيل غيظ ... وافرح والمسيح شهيد حزن
وعيد هائل سمعته روحي ... ولولا لغطكم سمعته اذني
يفجره النبي شواظ نار ... على شط وبادية وحزن
أمسخرة الشعوب لعنت شعباً ... ذليلا لست منك ولست مني
تعيد لي وانت تبيح ارضي ... وعرضي لليهود .. اليك عني

ذلك هو صاحب الرسالة ، يحملها في قلبه وضميره ويمينه ، ويعبر عنها بلسانه وبيانه ، لا يخشى من ورائها لوم لائم ، ولا نقمة ناقم .

و « القروي » ، في وطنيته الجارفة ، عنيف لا يعرف قلبه الرحمة ، وصلب لا يعرف الاشفاق .

اسمع تقريعه لاخوانه اللبنانيين قبيل الحرب العالمية الثانية ، وفي اعقاب انتخابات نيابية جرت بتوجيه المفوض الفرنسي ، وكانت نتائجها وفق مشيئته وارادته :

وطن تحيرت العبيد لذله ... واذل منه رئيسه والمجلس
جاء المفوض بالعليق فحمحموا ... وثنى عليهم بالشكيم فأسلسوا
لا تسلقوهم بالملام فانهم ... جلسوا وهل نخبوا لكي لا يجلسوا
في كل كرسي تسنّد نائب ... متكتف اعمى اصم اخرس

وللشعراء المهجريين في الشهداء العرب ملاحم خالدة ، وقل ان خلا شعر واحد منهم

من قصيدة عامرة ، او قل ان خلت قصيدة عامرة ، من ذكر الشهداء ، والترحم عليهم ، والتغني ببطولتهم الخارقة ، وشجاعتهم الفائقة .

ها هو القروي يرثي الشهداء العرب الذين اعدمهم السفاح التركي جمال باشا بقصيدة تعتبر من اروع ما قيل في وصف الاستشهاد ، وتمجيده ، وتخليده :

خير المطالع تسليم على الشهدا ... ازكى السلام على ارواحهم ابدا
فلتنحنِ الهام اجلالا وتكرمة ... لكل حر عن الاوطان مات فدا
يا انجم الوطن الزهر التي سطعت ... في جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علّقتكم يد الجاني ملطخة ... فقدمت بكم الاعواد والمسدا
حتى غدا كل حر لو نصبت له ... حبل المنون على هدّابه سجدا
أكرم بحبل غدا للعرب رابطة ... وعقدة وحدت للعرب معتقدا

ويقول الياس فرحات في شهداء ميسلون :

بقعة في الأرض نالت شرفاً ... رفع السهل على ارفع قمه
لو اخذنا المجد من تربتها ... ونشرناه على الكون لعمه

ثم يقف في سان باولو مخاطباً فرنسة ، الدولة التي استباحت القيم ، واستخفت بالعهود ، واستهانت بالكرامات ، وأجرت الدماء انهراً ، وسيطرت على البلاد بقوة الحديد والنار :

حاربي الحق واقتلي الآدابا ... ان في ذمة الزمان الحسابا
ياابنة الغرب لن تري بعد هذا اليوم في المشرقين الا ضبابا
يا دمشق الثكلى دعي الحزن للمستسلمين المقبّلين الترابا
قدست ارضك الدماء التي سالت عليها واودعتها ملابا
فغدا الشعب فيك اسمى من الارز الذي شق في السماء السحابا

ويتغنى صيدح بعزيمة قومه وتصميمهم ، وسخريتهم بالمنيــة ، وانتشائهم بالغضب المضرية ، واستعدادهم للحاق بثاراتهم الى الجحيم ، واعتزازهم بآية الجهــاد التي كتبت عليهم ، وقدرت لهم :

نحن قوم على الكريهة طبنا ... ولمعنا ما شاءت الالمعيه
ماترانا كفحمة الحجر مست ... شرر النار فاستحالت شظيه
كم حبسنا دموعنا وسفحنا ... دمعة الكرم سُخرة بالمنيه
وانتشينا بصبوة ومدام ... وانتشينا بغضبة مضريه

لو تراءت ثاراتنا في جحيم　　لركبنا الى الجحيم المطيه
كتبت آية الجهاد علينا　　وعلى الله والسيوف البقيه

ويسخر فرحات بالمغيرين ، ويهددهم بالثأر :

أشباب يعرب قم فنحن هنا　　نلقى بملء صدورنا المحنا
قل للمغير على منازلنا　　كالسيل ينفذ من هنا وهنا
حملت نفسك فوق طاقتهـــا　　وركبت ويحك مركباً خشنا
ان لم يكن زمن يوافقنا　　للثأر منك .. سنخلق الزمنا
فاجعل ضريحك جاهزاً أبداً　　وأعدّ نفسك ، واحمل الكفنا

ويهول الشعراء المهجريين تفرق كلمة العرب ، وانشغالهم ببعضهم عن العدو الزاحف عليهم ، والمتمركز بينهم . فيصيح صيدح .

نرى سوريا في شدوق العباب　　أضاعت سفينة ربّانها
تعادى الرجال فيا ليتهم　　أقاموا النساء على شانها
عداء تفاقم في ارضها　　وصهيون اولى بعدوانها

ويقول « صيدح » حين ترتفع دعوة المستعمرين وأذنابهم لتحقيق «الهلال الخصيب » ، وتنفيذ مشروعه :

فيا اولياء الامور الحيارى　　أبالفخ يستعصم الطائر
بأمثالكم لا نجاري زماناً　　يدوس به الواقف السائر
تعيشون خلف غبار العصور . كأنكم زمن غابر
خدعتم فلسطين يوم استجارت بكم ، والخداع له آخر
فلن تلدغوا مؤمناً مرتين　　بجحر ، لقد ارشد القاصر
دعوا سوريا جانباً فهي كبرى بدونكم خيرها وافر
وان كان بعث الحمى عن يديكم دعونا نمت فالردى ساتر

وحينما وثب الشعب المصري لزحزحة كابوس الملكية الظالمـــة ، عن كاهـــله ، وإزالة معالمها القاسية من تاريخه ، وتحرير الشعب العربي الأبي في مصر ، من ربقتهـــا وعبوديتهـــا وطغيانها ، قال فرحات :

ألا حدثونا عن القاهره وعن وثبة الأمة الباهره
أمصر استفاقت نواطيرها وخرت ثعالبها الكاسره ؟
أفاروق زال وكابوسه وسائر آلاته العاهره ؟
هنيئاً لمصر بهذا النضال ومرحى لأسيافها الباتره

وحينما هب المغرب العربي ، « مراكش » لاستخلاص حريته من بين أشداق الفرنسيين الغاصبين وأشعلوها ناراً ملتهبة بقيادة مليكهم المرحوم « محمد الخامس » خاطبه الشاعر القروي من وراء البحار بقوله :

بشرتنا عنك الأحاديث فالأقطار نشوى بذلك السلسبيل
حملك اسم الرسول فأل جميل مؤذن بانبعاث عهد الرسول

ويحيي الشاعر أسد موسى ليوث المغرب من الجزائر العربية وهم يقفون أروع وقفة عرفها تاريخ البطولات ، ويلقنون الأجيال المقبلة أبلغ درس عن إرادة الشعوب الطامحة الى حياة حرة ، واستقلال منشود ـ فيقول :

مرحى ليوث المغرب الأقصى لقد أديتم حق العروبة بالدم
خطّت صوارمكم على راياتها آي البطولة كالطراز المعلم
كم وثبة لكم بساح فخارها أدنت من الراحات هام الأنجم
واخيبة الطاغي بفرنس امة تأبى لغير اصولها ان تنتمي
زعم الدعي بأنها رضيت لها بدلا من النسب الصريح بمبهم
حاشا الوفاء فتلك دعوى كاذب وغد ، فما العربي كالمستعجم
لم يبق للامجاد في اعناقكم الا بقية طعنة من لهذم
تقضي على الأفعى فتأمن شرها وتقلّد الأجيال منة منعم
شلّت مفاصلها وأزمن نزعها فارموا مقاتلها بسهم محكم
ان تفعلوا فزتم بأجر مجاهد وبأجر مختصر عذاب المجرم

ويخاطب الشاعر محبوب الخوري شرتوني بلاده أبلغ خطاب ، وأرقه ، وهو ينم عن عاطفة صادقة ، ويدل على شعور صادق ، وإخلاص صاف ، ويتمنى أن يموت فدى لقومه وفدى لوطنه :

بلادي إلاه العرش فاستبق أهلها   وصن صدرها المكشوف من كل باشق
وزحزح ثقال النائبات وهاتها   ليحملها عن عاتق الشعب عاتقي
اذا مت عن قومي وعن وطني فدى   فاني أعد الموت نعمة رازق

وتتجلى نزعة الشاعر القومية ، وعاطفته الخيرة المثلى ، في هذه الأبيات الرائعة في معناها وما تحويه من ايمان صاف ، وحب للوطن لا يضاهى :

قالوا : تحب العرب ، قلت احبهم   يقضي الجوار علي والأرحام
قالوا: لقد بخلوا عليك . أجبتهم   أهلي وإن ضنوا علي كرام
قالوا: البداوة. قلت: أطهر عنصر   صفت القلوب هناك والأجسام
و « محمد » بطل البرية كلهـا ..   هو للأعارب أجمعين إمام

حنين المغتربين في الشعر المهجري

عاطفة المغتربين نحو وطنهم ، وحنينهم الدائم للعودة اليه ، وشوقهم الجارف لمرابع الطفولة ، ومسقط الرأس ، تلك أمور فوق قدرة هذا القلم تصويرها ، وإعطاء فكرة كاملة عنها .

في نفس كل مغترب حنين لا ينقطع ، وشوق لا ينفد ، وتطلع دائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات ..

وحتى اولئك الذين أقصتهم عن الوطن سياط الألم ، وقسوة الحكام ، ودفعت بهم ظلمة اليأس والبؤس ، الى أرض خيرة نيرة ، سخية معطاء . حتى اولئك الذين استبدلوا عبودية بحرية ، وفقراً بغنى ، وشقاء بسعادة ، وضيقاً بسعة ، وشظفاً بترف ، وحرماناً باكتفاء وامتلاء حتى اولئك تعمر الذكريات قلوبهم ، والآمال نفوسهم ، والحنين المتواصل عقولهم وأفئدتهم .

كم استقبلنا — في المهجر — بدموع حرى وودعنا بدموع أحر .. من ناس نعرفهم ، وكثيرين لا نعرفهم ، لأننا قادمون من الوطن ، وعائدون اليه ..

كم أب كان يضمنا اليه ، ويغمر وجناتنا بآهاته ، ويكوي جباهنا واعناقنا بنار زفراته .

وكم ابن كان يتلمس فينا اثر والده .. وآثار تربة وطنه ، ولم تحل الرجولة بينه وبين الشهيق والزفير .

وكم فتاة كانت تلوح لنا بمنديل الوداع .. فتسقط منه قطرات الندى على أرض المطار ، حيث يعبق منها الشذا ، وينتشر الطيب .. وتحملنا آهاتها الحرى لوالدة مفجوعة ، او اب مكبود ، او اخ ملتاع حزين .

الغربة تشحذ العاطفة ، وتصقل المشاعر ، وتنمي روح الإلفة ، وتضاعف الإحساس وتهيج الذكريات .

رحم الله الدكتور حليم بيطار .. كان يملأ أكواب النبيذ بدموعه ، حينما يذكر الوطن ، ونادراً ما كان يترك ذكره وذكراه ، فيسقينا منها حتى الثمالة .. ويخيل الينا .. ان المقاعد كانت تبكي لبكائه ، وان الجدران كانت تنوح معه ، ومعنا .. وان الكؤوس كانت تهتز اسى والماً بأيدينا .. يا لها من ذكريات .. ويا له من حنين مترف عميق .

ورحم الله شوقي :

نفسي مرجل وقلبي شراع بهما في الدموع سيري وارسي

لقد كان شعوره حينما اغترب عن مصر ، وعاش سنوات منفياً في المغرب ، يشبه شعور كل عربي ، مغترب ، مهما كانت أسباب الغربة ، ومهما كانت دوافع الاغتراب :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي

هذه هي حقيقة كل مغترب ، وهذه هي عاطفته . وهذاهو واقعه ، يعبر عنه اميرالشعراء ابلغ تعبير ، وآنقه ، واصدقه .

وها هو « يوسف بري » يكتب الى صديق له ، يصور حنينه الى بلدته « تبنين » في جبل عامل ، والى اماكن اخرى فيه ، ويسكب من قلبه عصارة شوق لاهب ، وعاطفة حرى :

اليك الشعر أبعثه كتابا فهات مع البريد لي الجوابا
وعن دترويت لا تسأل فاني على رغمي أطلت بها الغيابا
غريب الدار لا يرضى سواها ويهواها وان كانت خرابا
هنالك خيمة التينات عندي تعادل كل « ناطحة سحابا »
سألتك كيف انت وكيف اهلي واطلال طويت بها الشبابا
وسهل الخان كيف السهل أمسى وهل طابت ازاهره وطابا
بروحي غادة كانت تغني — على هضباته لحن « العتابا »

ويتمنى الشاعر ان يكون راعياً للمعزى في وطنه ، ولا يلقى قسوة الاغتراب عنه :

حياة اسير السجن في موطني مثلي وشغل العبيد السود في مصنع شغلي
تمنيت ان احيا مع المعز راعياً وابقى قريباً من ربوعي ومن اهلي
احن الى « تبنين » شوقاً ، وانني سأذكرها ما طال عن ارضها رحلي

وان كان جسمي في مصانع مشغن　　　فقلبي بسهل الخان او « قلعة التل»

وها هو الشاعر القروي يفخر بنسبه على الدنيا ، ويعتز به ، ويباهي ، ويتحدى اولئك المريدين ، الذين يحاولون النيل من كرامة العربي ، والحط من قيمه ، كما يتحدى اولئك الذين يخجلون من الانتماء الى اطهر ارومة ، واقدس منبت ، واعرق اصالة :

نسب على نسب اتيه به　　　عجباً على عجب على عجب
او يستحي بأبيه من دمه　　　دم شاعر ،وخليفة ، ونبي؟!

وها شقيقــه الشاعر المدني . يخاطب صيداء ذات التاريخ العريق في الحضارة ، والتي نشأ المجد في مهدها ، وترعرع على ساحلها ، واندفع على هام الموج ، يصل الدنيا ببعضها ، وينشر رسالة المدنية ، والعلم ، من على شاطئها :

بين الضلوع مقيم طاب منزله　　　اهملت قلبي ، وقلبي ليس يهمله
صيداء رفقاً بناء ما له سبب　　　غير التعلل لو يجدي تعلله
قد كان ينفض رمل الشط أخمصه　　　واليوم كم يتمناه مقبله
لو ان بحرك يا صيداء اغرقه　　　لكان ارحم من دمع يبلله
ورب جلمود صخر كان يحملني　　　أمسيت من لاعج التذكار احمله

وها هو « فوزي المعلوف » الشاعر في طيارة ، او صاحب « شاعر في طيارة » ، يقسم بأهله .. انه لم يفارق عن رضى اهله .. ولكنه انف العبودية ، وفر الى الحرية ومثله كثيرون وان يكن امثاله ــ كشاعر ــ نادرين :

قسماً بأهلي ، لم افارق عن رضى　　　اهلي ، وهم ذخري وركن عمادي
لكن أنفت من الحياة بموطني　　　عبداً .. وكنت به من الأسياد

يا للرجولة تفر من الضيم ، وهي تتلفع الالم والاسى !

ويا للنفس الابية .. ترفض العبودية ، ومن واجبهــا أن ترفض ، وهــي من ذوات السيــادة .!

يا للاباء العربي ، والعزة العربية ..

وها « شفيق معلوف » شاعر « عبقر » ، يتــأوه على وطنه ، وينشد الأعذار للمغتربين الذين هجروه :

وطني ما رشفت وردك الا　　　عاد عنه فمي بحرقة صاد
في قلوب المغتربين جراح　　　حملوها على الجباه الجعاد

لا تلمهم فيوم هجرك كانوا　　　وعذارى العلى على ميعاد
يوم دقوا سواحل الشرق بالغرب ، ولم يهدهم سوى العزم هاد

ثم يتساءل .. هل سيتمكن من العودة الى مهبط إلهامه .. لينبش من الضفة احلامه .. ام ان اقدام سواه ، قد طمست آثار اقدامه ، فوق تلك الدروب ؟

واهاً له .. مهبط إلهامي　　　هل يا ترى يوماً اليه اعود
أنبش في الضفة أحلامي ؟
ام ان يا قلبي عند الغروب　　　اقدام غيري فوق تلك الدروب
قد طمست آثار اقدامي ؟

ويصف الشاعر شفيق معلوف الوداع واللقاء .. اجمل وصف ، وارقه وآنقه . ويعطي صورة عن الاغتراب لا اجمل ، ولا اكمل ، ولا احلى :

ذراع ملاق خلف كف مودع　　　تلوحان لي كلتاهما ، خلف ادمعي
مناديل من ودعت يخفقن فوقهم　　　فلا ترهقيهم يا سفينة . اقلعي

كأن .. اقلعي .. هذه لم ترد في اللغة العربية ، ومعاجمها ' الا لأجل هذا البيت ، وحتى تكمل سياقه ، وتعطي اروع صورة ، لأروع بيت .

بعدن فغشاهن دمعي . كأنني　　　اراهن من خلف الزجاج المصدع
وما كان يبكيني اللقاء .. وإنما　　　وراء الملاقي راح ظل المودع
اساي على قلب كثير حنينه　　　على كل اطراف البلاد موزع

لوحة زيتية .. ترسمها ريشة ناعمة حنون .. وتضفي عليها من وجيب القلب ، وحس النفس ، واناقة الصورة ، وترف الشعور ، ما ينطقها ، ويجعلها معبرة فاتنة سابية ، وليس كشاعر عبقر من يستطيع ان يطفر بخياله الى حافة الافق البعيد ، فيقتنص الافكار من مكمنها ويصوغها في قوالب من سحر وفن .. لا امتع ولا اغلى !

وها هو رياض معلوف صاحب الكوخ الاخضر .. ما تزال شاعريته تعبق بشذا الربيع وتسطع بطيبه ، وتنفح من اريجه .. فهو من شبابه في ربيع ، ومن فتوته في ربيع ، ومن نضارة شاعريته واصالتها في ربيع – واي ربيع .

يحن الى لبنان .. الى مربع الصبا ، ومهوى الفكر .. فيذوب في حنينه ، رقة ، ولوعة ، وصبابة :

ما احسن الذكر   في مقلة الغريب
فهو اذا ذكر   موطنه الحبيب
يرتعش النظر   وعينه تغيب
هل يا ترى نعود   اليك يا لبنان ؟

* * *

كم سحت في المعمور   ما غرني منظر
فبلدي المهجور   وارزي الاخضر
احلى من القصور   والذهب الاصفر
هل يا ترى نعود   اليك يا لبنان ؟

وها هو « الياس فرحات » يتحدث عن النازح الذي اقعده الوجد .. والذي يعضه الحزن بأنياب حادة ، كلما افتر له البدر الوسيم .. فيذكر ربعه القديم ، ويتساءل عن جنات النعيم في بلاده ـ اين هي ؟ (١) .

ليس تساؤل الحرمان ، الذي شكا منه الياس فرحات كثيراً في شعره ، والذي اضفى عليه من ترف الشاعرية ونصاعتها ، ما جعل الحرمان مصدر غبطة وسعادة ورضى .. ليس تساؤله هذا تساؤل « المحروم » الذي يتوق الى الغنى ، ويهفو اليه .. وانما تساؤل المشوق الذي يتطلع بقلبه وروحه ، الى ارض وطنه ، ويتوق اليها ، ولا يعادلها بنظره شيء في الدنيا :

نازح اقعده وجد مقيم   في الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم   عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر الربع القديم   فينادي :
اين جنات النعيم   من بلادي ؟!

وكعادة « الياس فرحات » .. في أصالة شاعريته ورقتها ، ونصاعتها .. لا يعالج

---

(١) حينما زار الشاعر فرحات مع عقيلته المصونة ، صافيتا ، حيث قضيا بيننا بضعة ايام ، كانت من اجمل ايام العمر ، وأسعدها ، تلطف فوجه إلي هذين البيتين :

عبد اللطيف لطيف السر والعلن   حملتني منة تربي على المنن
أرجعتني للحمى الغالي فأنت إذن   أرجعت روحي بعد الموت للبدن

موضوعاً إلا ويجعل منه صورة ناطقة معبرة ، يجعلـك تحس بإحساسه ، وتشعر بشعوره ، وتأسى لأساه .

ذلك هو الشاعر .. وتلك هي الشاعرية :

اني لألمح من خلال دموعي — صوراً طواها البين بين ضلوعي
صوراً يجسّمها الخيال مضاعفاً — عطشي لرؤية من أحب وجوعي
أربوع احبابي ، لأنت وان نأت — بي عنك مركبة الزمان ، ربوعي
انا في الخريف وما ذكرتك مرة — الا شعرت برجعة لربيعي

ولا غرو .. اذا حولت الذكرى خريفه لربيع .. فهو لا يفتر عن ذكر وطنه،ولايتوانى ووطنه أغلى شيء عنده ، واعز ، واسمى :

ومن الحوادث حافز طبعت — كلماته بالنار في كبدي
أفكان يمكنني السكوت ولي — وطن أعز علي من ولدي
وانا ابنه ..ألفيه منطرحاً — بين الذئاب مضعضع الجلد

وحينما يصور الشاعر بلده ، ويتفنن بالتصوير .. وحينما يصفه ، ويبدع بالوصف .. ويذكره ، وهو يذوب حناناً وذكرى .. فليس أدل من ذلك على قوة العاطفـة ، ورقـة الحنـين .

اسمع شكر الله الجر يتحدث عن لبنان جبل الالهام :

ان لبنان عندنا جبل الالهام — والشعر حيث كنا وكانا
حلم سابح على شفق النفس — وفجر يشع خلف دنانا
نحن في البعدمقلةترشف الغيم — على افقه جوى وحنانا
وقليل ان نبذل العمرياساقي — على قطرة تبل ظمانا

وها هو حسني غراب يجعل وطنه مهوى للحسن .. ولو خيّر الحسن لما اختـار سواه ، ولما اراد غيره مقراً له .. وكل غريب يشتهي قربه ، ولكن قضاء الله يأبى ... وما اعظم إيمان المرء بقضاء الله وما اجمله وما احلاه ..

اللهم اني لا احل نفسي من هذا الايمان ، ولا احب ان تبتعد عنه .. وهو متين يصلني بك ، وسيظل يصلني الى الأبد :

وطني لو خير الحسن .. لما — اختار إلاه من الدنيا مقر
يشتهي كل غريب قربه — وقضاء الله يأبى ، والقدر

عفوك اللهم .. ان همنا به　　وعبدناه تراباً وحجر

والشاعر « القروي » يجعل ابن الله سورياً صميماً .. فهو لا يضع من قدر ابن الله ، حينما ينسبه الى سورية ، ولا ينال من قدسيته وروحانيته ، وانما يريد ان يقدس بلده ـ بلد الخير والمكرمات ـ وان يعظمها ، ويدل على مكانتها وحرمتها .. لان ابن الله ميزها وفضلها ، وآثر ان يظهر فيها ـ لا بسواهـا .. ثم يقول لـ « ابن الله » بمـا لا يجرؤ غـير شاعر ان يقوله :

انت يا ابن الله سوري صميم　　أفناس يا ترى ام تتناسى ؟
انت .. انسان ! جعلناك إلهاً　　أفلا تجعلنا في الناس ناسا ؟

وجرأة القروي على السيد المسيح ، مستمدة من ايمانه العميق ، ومن روحانيته الأصيلة ، ومن جلال المبدأ ، وقدسية العقيدة .

ولا يجرؤ غير القروي المؤمن ، ان يخاطب السيد المسيح بما خاطبه به :

الا انزلت انجيلا جديداً　　يعلمنا إباء لا خنوعا
احبوا بعضكم بعضاً . وعظنا　　بها ذئباً .. فما نجت قطيعا
اذا حاولت دفع الضيم فاضرب　　بسيف محمد واهجر يسوعا

كلاهما صاحب رسالة « عيسى ومحمد » وان اختلفت الوسائل ، وتعددت السبل .. وفي روحانية المسيح دنيا من المكرمات ، لا نهاية لها ، ودنيا من المثالية الرفيعة .. لو سمـا اليها الانسان ، لسمت به عن ادران الحياة ، وارتفعت به عن مزالق الشهوات ..

والقروي يعجب لسوري يعفر وجهه امام الطغاة ، والدنيا تنحني امام التراب السوري في المسجد الأقصى ، وفي بيت لحم ، تلثمه ، وتتبرك به :

عجباً لسوري يعفر وجهه　　والأرض تسجد للتراب السوري

ولنعد الى حسني غراب ، شاعر حمص المبدع ، الذي يلتهب عاطفة وجوى ، والـذي يصور حنينه الى بلده ، اروع صورة ، في انصع ديباجة ، في ارق معنى :

أبعد حمص .. لنا دمع يراق على　　منازل ، ام بنا من حادث هلع ؟
دار نحن اليها .. كلما ذكرت　　كأنما هي من اكبادنا قطع
وملعب للصبا نأسى لفرقته　　كأنه من سواد العين منتزع

رحم الله « حسني غراب » .. فلا كعاطفته عاطفة .. ولا كإحساسه احساس .. ولا كشعوره شعور ..

ويزور ميشال مغربي بلدته حمص ، بعد غياب طويل .. ويحييها بقصيدة رائعة ، كأنها معلقة ، او كأنه يعارض بها معلقة .

حسراً امر على ربوع طفولتي ومواكب الذكرى تمر حيالي
مترفق الخطوات .. لا اطأ الثرى الا وقلبي سابق لنعالي

ترف هذا المعنى .. لا يشبهه ترف معنى آخر .. ورقة هذه العاطفة لا تشبهها رقة عاطفة اخرى ..

هذا هو الذي يجب ان يقال .. في هذا المضمار . وليس قول «بشارة الخوري » (١) الذي جعل من كبده نعلا البسها اياه .!

انعلتها كبدي يوم النوى .. فأنا اخشى على رجلها من نعلها البالي

يا لحياء الشعر .. ويا للرجولة المريضة ، والكبرياء الدفينة ، والإباء الميت !

ويكب المغربي ميشال على احجار بلاده يقبلها ، ويعفر اهدابه بالصلصال . ويلقي حكمة خالدة لا اروع منها ، ولا ابلغ ، ولا اسمى :

ولقد اكب على الحجار مقبلا واعفر الاهداب بالصلصال
لا يعشق الاحرار غير بلادهم ولو انها طلل من الأطلال

وتنطلق الشاعرية المرهفة ، من عقالها المترف .

وينطلق الحنين الخصب ، والعاطفة الرقيقة ، من القلب الممتلىء صبابة وجوى .

ويفرغ الحق الأنيق ، هذه القطرات الناعمة الحلوة من العطر الشهي السني .

ويسيل العسل المصفى ، من الخلية الغنية .

ويطل الراووق من زاوية عبقر فيسكب كل ما فيه من خمر مسكر ، وصهباء منعشة .

ويخاطب الشاعر مدينته حمص :

بصلاتي الخرساء عدت اليك لا بتغزلي
فنشائدي وجمت على شفتي بعد ترحلي

---

(١) (بشارة الخوري) ... مدح قوماً وهم في حياتهم ، او في قمة مجدهم ، ثم تنكرت لهم الحياة ، او تنكر لهم الزمان ، وحينما نشر بشارة ديوانه ، جاء خلواً من ذكر من مدحهم .. بعد أن حول قصائده فيهم الى وصف وغزل .

اذا كان الشاعر غير مؤمن بما قاله . فلماذا قاله ؟

واذا كان مؤمنا بقوله .. فلماذا تنكر على ممدوحه – حينما تنكر عليه الزمان ؟!

يا لخجلة الشعر وخجلة التاريخ .

هلا تقبلت المتاب فقلت : يا ابني .. ادخل
يا هيكل الاحلام يا دار الحبيب الأول

* * *

باكرت اقرئك السلام فلذت بالصمت العميق
ردي السلام وهللي لإياب شاعرك المشوق
طارت جوانحه اليك ولم يضل عن الطريق
والطير ليس يضل حين يحن للعش العتيق

* * *

يا دار ما انا بالغريب علام لي تتنكرين
أنسيت وجه فتى شهدت هواه في ماضي السنين
يغشاك ملتقياً بهند فتضحكين وترقصين
وتهيئين له مكاناً للهوى حلواً امين

* * *

يادار ماذا تخبرين واين هاتيك الصغيره
هل ذلك الحب القديم له بقايا في السريره ؟
مضت الثلاثون الطوال وبدل الساقي خموره
وكأن اول نشوة هي نشوة الكأس الاخيره

* * *

هل تذكرين ليالي الشعر العذاب الساهرات
اذ فيك تنتظم العقود من الحسان الآنسات
فأظل اسقيهن من صهبائه ، ويقلن : هات
حتى اذان الفجر يدعو المؤمنين الى الصلاة

* * *

حتى اتاها انني انوي الرحيل واستعد
فإذا بطود الكبرياء يدكه جزع ووجد
وتشبثت بي ان اقيم فقلت : عزم لا يرد

يا هند يدعوني النضال ، وبالإياب علي عهد

* * *

ودنا النوى فعلى الرصيف دموعهم تهمي وحشد
وانا وهند نغض من نظر لأن السر يبدو
حتى اذا صفر القطار وروع البين المجدّ
حمي العناق ، وكان من فضح العناق ، انا وهند

* * *

قولي لها يا دار ان سألتك عني باكتئاب
العهد قام به الحبيب فإنه يا هند آب
لكنه اذرى مدامعه على بابي وغاب
قد كان لا مال له واليوم ليس له شباب

ويأسى « الياس عبد الله طعمة » على ولد ــ مغترب ــ يقضي حياته بدون ام ، وعلى ام تقضي حياتها بدون ولدها :

لهفي على ولد يقضي الحياة بلا أم ، ولهفي على ام بلا ولد

ثم يأسف ، ويحزن ، لحزن والدته وبكائها ..

بنت أشرف الناس ، بنت عدنان وقحطان ، بنت الامة العربية الخالدة تبكي ابنها .. بينما تضحك منه ، في المهجر ، ابنة زبال !

يا لبؤس الحياة ، ومرارتها ، وقسوتها .

يا لسخرية الزمن ، وهزء الأقدار ..

يا للمصيبة الفادحة ، والكبرياء المريضة .. يا للمأساة الأليمة .. التي لا تشبهها مأساة ــ وهيهات :

أتبكي لأجلي بنت اشرف قومها وتضحك مني في النوى بنت زبال

هذا الشاعر الذي ينبض شعره بالقوة وبالحياة ، يندب نفسه التي ضيعها على المائدة الخضراء .. وضيع معها جهده ، وسعادته ، وعرق جبينه ، ثم مات مقهوراً في قريته «قرنة شهوان» بعد ان عاد اليها :

الا رب ليل بالقمار قطفته فأصبحت منه فاقداً متفقدا
بديباجة خضراء بعت سعادتي ونمت على السوداء حيران موجدا

كتبت على قبر المقامر آيتي : لقد عاش ملحوداً وقدمات ملحدا
دعوني انم في القبر نومة ماجد فيسكت هذا القلب او تسكت العدا

وهذا « توفيق بربر » يتساءل عن لبنان الذي أنساه السماء ، والذي عانق فيه الأنجم ، واشتهى جر الخطى في ارضه .. متمنياً لو ان عينه لم تفارق نورها ، لأن البعد عن لبنـــان كالعمى لعينه :

اين من عيني لبنان الذي حسنه الفتان انساني السما
أشتهي جر الخطى في ارضه ولكم عانقت فيه الانجما
ليت عيني لم تفارق نورهـــا فالنوى كانت لعيني كالعمى

ويوم كان « جورج سالم سيف » يصدر جريدته « السيف » في عاصمـــة الأرجنتين ، ويقوم بواجبه كموظف في السفارة العربية فيها .. كان حنينه الى الوطن لا ينقطع . وكانت اغاريده لا تتوقف ، وآهاته لا تهدأ ، وزفراته لا تبرد .

فلا لين العيش ، ولا وجاهة الوظيفـــة ، ، ولا اشراق الادب ، انساه مرابع الطفولة . ومنشأ الحداثة ، ومرتع الصبا .

تلك هي الوطنية الصادقة .. وهذا هو الحنين :

غداً والعطر فواح
يروي لهفة الزمن
سيحملني النسيم الحلو
سكراناً .. الى وطني
الى ارض البطولات
وفردوس العطاءات
وينبوع الكـــرامات
وتغمرني
طيوب القرية النشوى
وملء جوانحي نجوى
وتعرفني
دروب الكرم والخيمة
وفي رأد الضحى غيمة

وفي ليل الهوى نجمة

* * *

سنرجع لن تعيرنا غداً انا هنا ضعنا
ولا وطن لنا حلو توشي جبهة الجوزاء نجماته
وفي ثغر المدى ابداً رؤى العلياء بسماته

* * *

سنرجع لن تعيرنا غداً انا هجرناه
ولو تدري بأناماهجرناه وانا ما تركناه
ولكنا عبدناه
وفي اعماقنا الحرى حملناه
سنرجع ليتها عزمت
بأن الأرض لولاه
صحارى عافها الله
وملت منها دنياه
سنرجع لن تعيّرنا
بأنا ما نسيناه

ويتساءل الياس قنصل :

أبعد ربوع رضّع المجد ارضها نرى لذة للعيش في وطن ثان
وهل بعد سوريا تروق لشاعر بلاد ، ولو كانت كجنة رضوان

ما اجمل هذا الايمان ، وهذه العاطفة ، وهذا الحنين ..

وما أروع هذا التساؤل ، وهذا التشبيه ، وهذا الهيام ..

و .. رضع المجد ارضها .. آية في البلاغة والاعجاز .. وآية في التساؤل الأنيق الشيق ...

و « القنصليان » الياس وزكي ــ يلتهبان عاطفة قومية صارخة . وهما ، وحدهما ، جبهة نضال ، وعراك ، وجهاد ــ في ميادين الوطنية ، والانسانية ، والعمل الخير المثمر .

ويقول «الصارمي » :

نشقت اريجاً هب من جانب الحمي فقلت وقلبي للحمي شد ما يصبو

سلام عليها نفحة عربية .. اذا ما نشقنا عطرها انتعش القلب

اجل .. سلام عليها .. وعلى قائلها ايضاً :

وليس كصبابة الصارمي صبابة .. تطلع علينا في مستهل كل شهر ، من مجلته المواهب ، فننشق منها الاريج .. نفحة عربية تنعش القلب ، وتعمر الفؤاد .

وبين « الصارمي والخشن عبد اللطيف زمالة صحافة ، وادب ، ونضال وطني ..

وليس كظرف الخشن ظرف رائع ممتع .. يسوق لك المعنى المبتكر ، في قالب من النكتة انيق ، وفي اطار من الأسلوب رشيق .

اسمعه يخاطب الصارمي :

رصيفي يا اخا العقل الحصيف وجيب قد من جيبي النظيف

ليسبح غيرنا بالمال سبحاً كفانا منه تحصيل الرغيف

فتات الزاد يغني عن دجاج وصحن الارز يغني عن خروف

تسيل على محابرنا دمانا بصف الحرف لا صف الالوف

على حسك اليراعة قد مشينا كما تمشي الكماة على السيوف

وها هو « حسني عبد الملك » ، يذكر مدينته حماه ، ونواعيرها ، وغناءهـا الشجي ، وماءها الفوار .. ويحسبها بغنائها الدائم ، تملي على الريـح زفرة لاهبة ، يحملهـا للحبيب المهاجر :

غريب الحمى ليت النواعير في حما تشيع بالالحان ركب المسافر

نواعير غنت حول مهدك لم تزل تدور على المياس رغم الدوائر

كأن على أخشابها روح مدنف وفي مائها الفوار روح المغامر

كأني بها تملي على الريح زفرة تطيرها نحو الحبيب المهاجر

ما ارقه معنى .. واجمله مبنى ..

وهذا نسيب عريضة يتحدث عن بلدته حمص ، ويخاطبها بمنتهى اللوعة والحنين . خطاباً لا ارق منه ، ولا اعذب ، ولا احلى .. ويسألك اذا كنت قد عرفتها ..

وكيف لا تعرفها — وهي مدينة « المياس » الخالد ، والتاريخ الحافل ، ومدينة « نظير زيتون » ؟ مدينة الأدباء والشعراء ، الذين رفعوا رأس العروبة عالياً ، وخلدوهـا بالمآثر واغنوها بالمجد والفخار ؟

أعرفتها تلك الربوع النائيه ما بين لبنان ،وبين الباديه ؟

الذكريات .. وقد بديْن علانيه نادين عنك بحسرة المطرود
يا حمص ، يا بلدي وارض جدودي

يا جارة العاصي اليك قد انتهى املي ، وانت المبتغى والمشتهى
قلبي يرى فيك المحاسن كلها وعلى هواك ادين بالتوحيد
يا حمص يا ام الحجار السود

والشاعر أنى اتجه يتراءى له شبح مدينته .. وتستوقفه الذكريات ، وتنقله على طيوف الماضي ، واجنحته الرحبة ، الى حيث البلد الذي احب ، والذي ما يزال يحب :

واستوقفتني على حانوت بقال عيني ، وقوف مشوق عند اطلال
لسلة لمحتها العين في الحال فيها فواكه لم تخطر على بالي
ثمار كرم وتين فوق رمان

وقفت رغماًوحولي الناس ماوقفت اراقب السل والأثمار قد بسمت
كأنها اذا رأتني مدهشاً عرفت اني غريب ، فحيتني وما نطقت
فطار قلبي حنيناً نحو اوطاني

ويشبه هذا المعنى قول « ندره حداد » .. او تشبه هذه العاطفة عاطفته ، وهذا الشعور شعوره :

ما قيل لي مرحبا في كل اسفاري
الا وقلبي صبا للأهل والدار

وله في الحنين ابيات كثيرة .. لم يهتم الشاعر بالصناعة الشعرية بها ، ولا بالى بالديباجة ، وانما اطلق النفس على سجيتها ، والقلم على هواه :

ايها الآتي من الأوطان والاوطان حلوة
لم اجد عنها .. وان طال زمان البعد سلوة
وطن اصبح مذ فارقته في الارض جذوة

وهذا « رشيد ايوب » .. يعيش في المغترب ، وقلبه في الوطن . وكلما رأى ثلجاً ذكر لبنان ، واهتاج ، واستحلفه بالله ان يقول لاخوانه ، انه ما زال يرعى حرمة العهد ويحافظ على الود :

يا ثلج قد هيجت اشجاني ذكرتني اهلي بلبنان
بالله قل عني لاخواني ما زال يرعى حرمة العهد

وها هو ايليا ابو ماضي يعود الى لبنان ، بعد غياب طويل ، فيخاطبه بأرق ما يشدو به هزار ، ويغرد طير :

وطن النجوم انا هنا حدّق أتذكر من انا ؟
انا ذلك الولد الذي دنيـاه كانت ها هنا
انا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنا
انا من ترابك ذرة ماجت كواكب من منى
انا من طيورك بلبل غنّى بمجدك .. فاغتنى
كم عانقت روحي رباك وصفقت في المنحنى
لليل فيك مصلياً للصبح فيك مؤذنا
للبحر ينشره بنوك حضارة وتمدنا

و « جورج صيدح » صاحب « النوافل » و « حكاية مغترب » ، ورجل البر والخير والمكرمات ، والانسان الذي وقف لخدمة المغتربين قلبه وجيبه ، وقلمه ولسانه ، وكل ما يملك بينهما من حول وطول ، يزور مسقط رأسه دمشق ، وفي نفسه من الحنين ما لا يستطيع تصوره امرؤ ، ولا تصويره انسان ، فيخاطبها بقصيدة من رائع الشعر الجميل الخالد :

ام النسور تفرسي وتهللي أعرفت وجه القادم المتهلل
هذا فتاك .. الى متى نكرانه او ليس في لبد سمات الاجدل
ماعابه الجسم المهيض تبدلت قسماته والقلب لم يتبدل

ويتعجل الشاعر القروي عودة المغتربين الى الوطن الام . ويخاطبها ابلغ خطاب ،وارقه واعمقه مغزى ومعنى :

ردوا الى الوطن القديم ترابه هذا اقل البرّ يا غيّابه
ذاك الاهاب الغض تحت ثيابكم بالامس كان ثيابه وإهابه
تتعجبون لضعفه ولو انكم فيه لكنتم جنده وحرابه
ليت الاحبة عند ازماع النوى للغرب اغلق دونكم ابوابه

اوليت بر الشام ادرك ان في سفر الزنود العامرات خرابه (١)



(١) ومن الحنين في شعراء الأقدمين قول أبي العلاء المعري حين مغادرته بغداد :

اودعكم يا اهل بغداد والحشا على زفرات ما ينين من اللذع
وداع ضنى لم يستقل ، وإنما تحامل من بعد العثار على ظلع
فبئس البديل الشام عنكم ، وأهله على انهم قومي ، وبينهم ربعي
الا زودوني شربة ولو انني قدرت اذن افنيت دجلة بالجرع
والى لنا من ماء دجلة نغبة على الخمس من بعد المفاوز والربع

★ ★ ★

أظن الليالي وهي خون غوادر بردي إلى بغداد ضيقة الذرع
وكان اختياري ان أموت لديكم حميداً فما ألفيت ذلك في الوسع

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي في الحزن على بغداد ، والحنين اليها بعد جوله عنها :

سلام على بغداد من كل منزل وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلى لها واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي برحبها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنأى به وتخالف

واجع فصل (الهجرة في الشعر العربي) .

الصحف العربية في المهجر

ان الصحف العربية ، في المهجر ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببقاء اللغة العربية فيه .
فهذه الصحف انما صدرت ، وتصدر ، ليقرأها ابناء الجالية الذين يعرفون اللغة العربية وكلما قل عدد القراء ضعفت الركائز التي تقوم عليها هذه الصحف ، وانهـارت . وزالت الاسباب المؤدية لبقائها ، وتلاشت .

وقد احتجبت صحف كثيرة ، وخلفت وراءها آثاراً كثيرة من اللوعة والحنين . وشعوراً عميقاً بأن لغة الضاد ، في امريكا كلها سائرة الى الاضمحلال والزوال .
والصحف الباقية انما تغالب الأحداث ، وتقاومها . ويبذل ابناؤها جهوداً مضنيـة للمحافظة عليها ، ويعانون في سبيل ذلك الأمرين .

ومن واجب الدول العربية ان تساعد هذه الصحف على الاستمرار . وان تقدم لهـا اعانات مالية ، تمكنها من الاضطلاع بمهمتها القومية ولو الى حين .
ذلك لأن كل جهد يبذل لابقاء الصحف العربية ، في المهجر ، جهد ضائع ومسعى عقيم اذا لم يقترن بالسعي الحثيث للمحافظة على اللغة العربية ، وابقائها حية على ألسنة المغتربين — مثلما هي حية في قلوبهم ومشاعرهم .

ولا يسوغ ان ننسى فضل الصحافة المهجرية المتحررة ، التي تولت قيادة الجاليـة في ميادين الاجتماع والقومية والأدب . وناضلت في سبيل الحرية والاستقلال ، والقضاء على الرواسب الفكرية والطائفية والاقليمية . وجاهدت في هذا السبيل جهاداً مشرفاً نبيـلا ، يضم الى التراث القومي الخالد صفحة من اروع صفحاته واخلدها وانقاها .
وفي الجدول القادم ، عن اسماء الصحف المحتجبة ، برهان قاطـع على مدى الخسارة القومية التي منيت بها القضية العربية في المهجر . اذ ان احتجـاب تلك الصحف دليـل

قاطع على نقصان عدد القراء العرب بين ابناء المغتربين . وهي كارثة لا تعدلهـا كارثـة ولا تضاهيها .

وقد مارس الصحافة في المهجر اعلام افذاذ ، وفطاحل موهوبون نابغون ، واكـثر الادباء المهجريين قد اتخذ الصحافة حرفة ، او وسيلة لنشر آثاره وافكاره .

ومن العسير احصاء الصحف التي صدرت في المهجر . لان ذلك فوق الطاقة والامكان نظراً لكثرتها ، ولانتشارها في انحاء مختلفة ، من جمهوريات متعددة ، ولان اكثرها قدانطوى وانطوى معها منشئوها ، والكثيرون من مناصريها وقرائها .

وسنحاول ما امكننا ، ذكر عدد كبير منها :

	اسم الجريدة اوالمجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
جريدة	كوكب اميركا ١٨٨٨	ابناء عربيلي	الولات المتحدة	نيويورك
:	مرآة الغرب	نجيب دياب	:	:
:	العصر ١٨٩٤	نعوم مكرزل	:	:
:	الهدى ١٨٩٩	:	:	:
:	الأيام	يوسف نعمان	:	:
:	الدليل	اسعدملكي ونجيب بدران	:	:
:	المهاجر	نسيب كرم	:	:
:	الارتقاء	انطون زريق	:	:
:	البيان ١٩١١	سليمان بدور	:	:
:	السمير	ايليا ابو ماضي	:	:
:	السائح ١٩١٢	عبد المسيح حداد	:	:
:	النسر ١٩١٤	نجيب بدران	:	:
:	دير القمر	مسعود سماحة وافرام البستاني	:	:
:	الاخلاق	يعقوب روفائيل	:	:
:	الاصلاح	يوسف بريدي	:	:
:	الشعب	يوسف الخوري	:	:
:	المهاجرون	امين الغريب	:	:
مجلة	الفنون ١٩١٣	نسيب عريضة	:	:

اسم الجريدة او المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
نهضة العرب	سعيد داود فياض	الولايات المتحدة	ديترويت
الاتحاد	:	:	:
الدليل	:	:	:
الرسالة	حسين خروب	:	:
لسان العدل والصباح	شكري نعمان	:	:
هوليود	نزيه مسعد	:	لوس انجلس
الاصمعي ١٨٩٨	خليل ملوك وشكري الخوري	البرازيل	
المناظر ١٨٩٩	نعوم لبكي وفارس سمعان نجم	:	
خلايا النحل ١٩٠١	نعوم لبكي	:	
المنارة ١٩٠٢	الجمعية الخيرية المارونية	:	
الرموز ١٩٠٢	رشيد الخوري	:	
الأفكار ١٩٠٣	الدكتور سعيد ابو جمرة	:	
البرازيل	قيصر معلوف	:	
ابو الهول ١٩٠٦	شكري الخوري	:	
بشري	خليل يوسف سعد	:	
الميزان ١٩٠٩	اسطفان غلبوني	:	
الحديقة	قيس لبكي	:	
هات الكاوي يا سعيد	الدكتور يوسف رزق الله وسعيد كلاجي	:	
الوطن ١٩١٠	ابراهيم والياس فرحات	:	
الجديد ١٩١١	نجيب وفارس نجم طراد	:	
الامازون	فارس الدبغي	:	
الفرائد	ابراهيم شحادة فرح	:	
القلم الحديدي	جورج حداد	:	
اميركا	اسكندر شاهين	:	
المقرعة ١٩١٤	سليم لبكي	:	
النهضة اللبنانية ١٩١٥	جمعيه النهضة اللبنانية	:	

اسم الجريدة او المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
البرازيل ١٩١٥	جورج مسره	الارجنتين	
العثماني	قيس لبكي	:	
الزهراوي	جورج اطلس	:	
النخلة	داود جرجس الخوري	:	
المؤدب ١٩١٧	نجيب قسطنطين حداد	:	
الصاعقة	ميخائيل دحروج	:	
الرائد ١٩١٩	نجيب قسطنطين حداد	:	
الاتحاد العربي	جورج ميخائيل اطلس	:	
النجمة السورية	نجيب عزيز الصفدي	:	
الجريدة ١٩٢٠	الدكتور خليل سعادة	:	
المهجر	عبد الكريم الخوري	:	
السياسة ١٩٢١	سليم شديد عقل	:	
سان باولو	نبيه الزعني ويوسف فريحة	:	
سورية	الياس مسرة	:	
القمر	الياس قمر	:	
ابجد هوز ١٩٣٣	ناصر شاتيلا	:	
الرعد ١٩٣٦	نخلة الخوري	:	
الجامعة اللبنانية ١٩٣٧	الدكتور ابراهيم الخوري	:	
برازيل لبنان (فتى لبنان)	رشيد عطية	:	
الأرز	ميشيل جبور الخوري	:	
مجلة الرواية ١٩١٣	رشيد عطية	:	
: الكرمة ١٩١٤	سلوى سلامة	:	
: الانيس ١٩١٦	حبيب مسعود وانطون سعد	:	
: المنتخبات ١٩١٨	الياس سليمان اليازجي	:	
: الجديد ١٩١٩	توفيق ضعون والياس فرحات	:	
: المدرسة	موسى كريم	:	
: الشرق ١٩٢٨	موسى كريم		

اسم الجريدة او المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
مجلة العصبة ١٩٣٣	حبيب مسعود (العصبة الاندلسية)		
: الروايات العصرية	رشيد عطية		
: الحارس	امين الغريب		
: المراحل ١٩٥٥	مريانا دعبول		
الجريدة ١٨٩٤	سليم باش	الارجنتين	بونس ايرس
صدى الجنوب ١٨٩٨	الخوري حنا سعيد	:	:
الصبح ١٨٩٨	شكري الخوري وخليل شاوول	:	:
السلام ١٩٠٢	وديع شمعون	:	:
الزمان ١٩٠٣	ميخائيل سمره	:	:
الحقائق ١٩٠٥	ملحم ابو علي كرباج	:	:
الجالية ١٩١٠	جورج مسرة	:	:
القرن العشرين ١٩١١	لبيب الرياشي	:	:
الحاوي ١٩١٢	يوسف ملحم شعيا	:	:
جراب الحاوي ١٩١٢	سمعان منصور الحاماتي	:	:
النسر	سمعان منصور الحاماتي	:	:
المرسل ١٩١٣	للمرسلين اللبنانيين	:	:
العلم العثماني ١٩١٥	سيف الدين الرحال	:	:
الارجنتين ١٩١٥	سليم ابواسماعيل	:	:
الشمس ١٩١٥	اسبر الغريب	:	:
الاتحاد اللبناني ١٩١٥	رشيد رستم واخوانه	:	:
الصاعقة ١٩١٦	سليمان ابو شر	:	:
الكاوي ٩١٦	جميل دكدانيان	:	:
التحالف اللبناني ٩١٩	جمعية التحالف اللبناني	:	توكومان
صدى الشرق ٩١٧	نجيب بعقليني	:	:
الجامعة السورية	حسني عبد المالك	:	بونس ايرس
يقظة العرب	الحزب الوطني العربي	:	:

أسم الجريدة او المجلة		مؤسسها	البلاد	المدينة
الشرق	٩٢١	سيف الدين الرحال	الارجنتين	بونس ايرس
		وحسن دركل		
الفاكهة		سيف الدين الرحال	:	:
الحياة	٩٢٢	جورج عساف	:	:
لبنان	٩٢٦	ميخائيل الخوري	»	»
		وميخائيل ابو زيدان	»	»
الاستقلال	٩٢٦	الامير امين ارسلان	»	»
المنبر	٩٢٧	رشيد زين	»	»
الاصلاح	٩٢٨	الدكتور جورج صوايا	»	»
السورية اللبنانية	٩٢٨	موسى يوسف عزيزة	»	»
الراوي	٩٢٩	ميخائيل مراد	»	»
الاحوال	٩٣٢	عزيز سرحان عبيد	»	»
العلم العربي	٩٣٣	عبد اللطيف الخشن	»	»
الشباب	٩٣٦	علي جابر	»	»
العقاب	٩٣٦	الياس الخوري	»	»
مجلة المناهل	٩٣٧	الياس قنصل	»	»
» الجامعة السريانية	٩٣٧	فريد نزهة	»	»
» النوادر	٩٣٧	خليل نادر	»	»
» الوحدة العربية	٩٣٩	يوسف العيد	»	»
» اهلاً وسهلاً	٩٤٠	جبران طرابلسي	»	»
» الرفيق	٩٤٤	يوسف كمال	»	»
» المواهب	٩٤٥	يوسف الصارمي	»	»
» المجلة		الدكتور خليل سعادة	»	»
» الوطن		حسني عبد المالك	»	»
» التمدن		جبران مسوح وحبيب اسطفان	(	(
(الزوابع		انطون سعادة	(	(
(الاخاء		جبران مسوح	(	(

اسم الجريدة او المجلة		مؤسسها	البلاد	المدينة
(العرب		محمد هواش	(	(
(المختصر		جبران مسوح	(	(
(الفطرة		محمد عيسي ومحمد محمود رمضان	(	(
(السيف		جورج سالم سيف	(	(
(الشرق بالاسبانية		لعيسى نخلة	(	(
(العرب بالاسبانية		لجامعة الدول العربية	(	(
(الفيحاء	١٩٨٤	سليم بالش	تشيلي	سنتياغو
(المرشد	١٩١٢	الخوري بولس	(	(
(التفاهم	١٩١٧	انطون الجمل	(	(
(الشبيبة	١٩١٨	جميل شوحي	(	(
(الوطن	١٩٢٠	شركة مساهمة	(	(
(الشرق	١٩٢٨	الخوري سليمان الخوري	(	(
(الاصلاح	١٩٢٩	الخوري سليمان الخوري	(	(
(الهادي	١٩٢٩	انطون الجمل	(	(
(الاصلاح	١٩٣٠	جرجس ابو صباح	(	(
(النشرة	١٩٣٤	سليمان عويس	(	(
(الاعتدال	١٩٣٤	توفيق ضعون	(	(
(النظام	١٩٤٢	احمد حسن مطر	(	(
(الوطن	١٩٤٤	جان زلاقط	(	(
(آرابيا باللغة الاسبانية		بعض المغتربين	(	(
(الوطن العربي باللغة الاسبانية		جرجس ابو صباح	(	(
(فلسطين باللغة الاسبانية		بعض المغتربين	(	(
الخواطر	؟	يوسف صالح الحلو وسعيد عقل الداموري	المكسيك	العاصمة
الرفيق	١٩٢١	حبيب الخوري الشرتوني	(	(
القضاء وجوفر		فيليب بدران	(	(

اسم الجريدة او المجلة	مؤسسها	البلاد	المدينة
سورية المتحدة ١٩١٩	حنا بشارة الناصري ويوسف الشوطي	المكسيك	العاصمة
الجريدة	حليم نصار	(	(
مجلة الغربال	عبد الله مسلم وحنا بشارة	(	(
(الفرائد	؟	(	(
(القسطاس	؟	(	(
(الامير وتصدر باللغة الاسبانية		(	(

ولم تحضرنا الا اسماء هذه الصحف ، من ثلاثين مجلة وجريدة كانت تصدر في المكسيك

اما الصحف التي ما تزال توالي صدورها ، رغم العقبات والصعوبات ، فهي :

الولايات المتحدة الامريكية ، البيان ، السمير ، مرآة الغرب ، الرسالة ، نهضة العرب ، لسان العدل ، الصلاح .

البرازيل : الشرق ، المراحل ، الكرمة ، برازيل لبنان ، الحارس ، الارز ، الحقيقة ، العروبة ، النفير .

الارجنتين : المواهب ، الرفيق ، السورية اللبنانية (١) ، العلم العربي ، الاتحاد اللبناني ، السلام ، الاستقلال (٢) ، المرسل ، صوت الحق ، اهلا وسهلا ، وباللغة الاسبانية : الشرق ، العرب .

المكسيك : الغربال ، القسطاس ، الفرائد ، وباللغة الاسبانية : الامير .

تشيلي باللغة الاسبانية : آرابيا ، الوطن العربي ، فلسطين (٣) .

---

(١) يصدرها اليوم السيد امين قسطنطين .

(٢) يصدرها اليوم السيد صالح كنج صالح.

(٣) خير مجلة عنيت بالمغتربين ، وحملت الدعوة لهم بكل ايمان وجرأة واخلاص ، هي مجلة المرحوم الشيخ احمد عارف الزين الذي كان في حياته مشعلا للوطنية وقبساً ونبراسا . والذي تعتبر صحائف مجلته الخالدة من أروع ملاحم النضال العربي واكثرها خلوداً وأثراً وتأثيراً. وللشيخ عارف الزين أياد كثيرة على الأدب والجهاد لا تستطيع إيفاءها هذه الصفحات . وقد خلفه ابنه نزار بمهمة الاشراف على مجلة العرفان ومتابعة رسالة والده القومية والاصلاحية بنفس المؤمن وعزيمة الشاب . وستبقى العرفان مدرسة وناديا وقلعة للأدب حصينة .

الاقتراحات

تحدثنا في الفصول السابقة عن الخطر الذي يتهدد مستقبل العروبة في المهجر . وقلنا : ان خطراً ماحقاً سوف يقضي على هذا التراث القومي قضاء تاماً ، اذا لم نبادر الى عمل شيء من أجله ، واذا لم نقف في وجه التيار الكاسح ، لنخفف من وطأته وحدته .

ونريد هنا ان نضع الحلول العملية ، لهذه المسألة المعقدة الشائكة ، وأن نرسم الطريق للراغبين بولوجه معنا ، والعمل في سبيل المحافظة على التراث العربي ، في المهجر ، والحؤول دون فقدانه وذوبانه .

ولنبدأ قبل كل شيء بالتحدث عن :

اللغة

ان اللغة هي مظهر القومية وجوهرها . وكل قومية لا شك زائلة ، متى زالت لغتها ، وضاعت شعاراتها . واللغة هي ابرز الشعارات واقواها وابقاها .

وكل مسعى للمحافظة على عروبة المغتربين ، صائر الى الفشل حتماً وحكماً اذا لم يقم على أساس صيانة اللغة العربية ، والمحافظة عليها ، والشعوب التي خسرت لغتها ، خسرت قوميتها وتقمصت قومية جديده ، انحلت فيها ، وذابت في كيانها ، واصبحت لا تعرف الا بها .

هذا هو ناموس الطبيعة ، ودستور الحياة ، وقاعدة الوجود .

وان يكن من المستحيل تحدي ناموس الطبيعة او تغييره ، فليس من المستحيل اقامة سد في وجه السيل الجارف ، وضبطه وتحويل مجراه .

ان من الممكن ان نحافظ على اللغة العربية في المهجر ، وان نصونها من الزوال والضياع

واذا كان من العسير المحافظة على كل المغتربين ، فان من غير العسير المحافظة على قسم كبير منهم ، وذلك بالحفاظ على اللغة العربية عند هؤلاء وباتباع الطرق الآتية يمكن تحقيق هـذا الهدف المبتغى ، والأمل المرجو :

١ ــ ان تضطلع الاسرة ــ كل اسرة عربية في المهجر ــ بتعليم اللغة العربية ابناءها منذ حداثتهم . وقديماً قيل : « العلم في الصغر ، كالنقش في الحجر » . والمسؤولية في ذلك تقع اولا وقبل كل شيء ، على عاتق الأب ، اذا كانت الأم اجنبية ، او مولودة في المهجر ولا تحسن اللغة العربية . واذا كان الأب والام من اصل عربي ، ومولودين في امريكا ، وهما لا يحسنان اللغة العربية ، وحريصين على تعلمها وتعليمها لابنائهما ، فليس عسيراً عليهمـا ان يتعلماها ، ويعلماها ، وان يستعينا لذلك ببعض المتعلمين ، وهم متوفرون ، الآن ، وبكـثرة هائلة في المغترب .

٢ ــ على الدول العربية بصورة عامة ، والجامعة العربية بصورة خاصة ، ان توفـد معلمين من البلاد العربية الى امريكا على نفقتها الخاصة ، لتعليم ابناء الجاليـة العربية لغـة وطنهم الام .

والمغتربون يبدون استعدادهم ، دائماً ، لدفع اجور هؤلاء المعلمين ، ويطالبون بهم بالحاح واستمرار . ومع ذلك فان على الدول العربية نفسها ان تضطلع بهذا العبء وتتحمل هذه النفقات ، مهما بلغت ، حتى تتيح لأبناء الجالية الفقراء ان يتعلمـوا مجانـاً ، وحتى تثبت للمغتربين مدى اهتمامها بهم ، وسهرها على مصلحتهم وقضيتهم .

وفي يقيني ان افتتاح مائة مدرسة في المهجر اكثر فائدة ، واعم منفعة ، من الف مدرسة تفتتح في الوطن . بل ان اغلاق مدارس في الوطن ، وارسال معلميها الى المهجر افضل ، واكمل ، واجدى .

٣ ــ ان يتمركز المعلمون في الجمعيات والاندية العربية ، المنتشرة في جميع المدن ، وفي اماكن كثيرة من الريف . وهذا يوفر استئجار أمكنة ، ويسهل مهمة الاتصال بالطـلاب واسرهـم .

٤ ــ في الأماكن التي لا يمكن ايفاد معلمين اليها ، تضطلع الهيئات الادارية للجمعيات والاندية بهذه المسؤولية ، وتقوم بتنفيذها تحت اشراف الملحقين الثقافيين ، والقنـاصل الفخريين ؛ ومبعوثي الجامعة العربية ، وتوجيههم وارشادهم ، وذلك بتكليف بعض ابناء الجالية ، الذين يحسنون اللغة العربية قراءة وكتابة ، بالقيام بهذا الواجب المقدس ، والنهوض

بهذه المهمة الوطنية والواجب الوطني ، وتطبيق نفس الاسلوب الذي تسير عليه مدارس تعليم الاميين ، وذلك بتخصيص ساعات من كل يوم وليلة لهذا الغرض .

٥ ـ تنشيء الدول العربية معاهد في المدن الكبرى ، على غرار المعاهد الانكليزية والفرنسية والطليانية والالمانية وغيرها ، التي انشأتها حكومات تلك البلدان لكي تتيح لابناء مغتربيها ان يتعلموا لغة وطنهم ، ويحافظوا على قوميتهم واصلهم ، وتتيح لمن يريد من ابناء الاجانب انفسهم ان يتعلموا اللغة العربية .

وان الشعب العربي ، في الوطن العربي ، مستعد لتحمل ضريبة خاصة من أجل هذا الغرض القومي النبيل ، اذا كانت ثمة حاجة لذلك فضلا عن ان المغتربين انفسهم يغطون قسماً كبيراً من النفقات . وان كنت اوثر ـ كما اسلفت ـ ان تضطلع الدولة ، وحدها ، بهذا العبء ، وتتحمل النفقات كلها ـ بالغة ما بلغت .

ومتى انشئت هذه المعاهد وانتشرت ، سهلت السبل ووضحت ، ونجحت الخطة وبان الهدف . لان ابناء المغتربين سوف يقبلون على هذه المعاهد حتما ، طالما انها تمكنهم من الحصول على الشهادة الرسمية التي تتيح لهم الانتساب مباشرة الى الجامعات المحلية ، وتزيد من حصيلتهم الثقافية لغة اخرى ـ هي لغة آبائهم واجدادهم . ومهما كانت التكاليف باهظة فان الفائدة القومية اعظم اهمية منها ، وثمناً . وفي سبيل المصلحة القومية تهون التضحيات مهما كانت جسيمة وضخمة .

٦ ـ ان تعمد وزارات التربية والتعليم في البلدان العربية ، كل منها على حدة ، لإعطاء ابناء المغتربين منحاً دراسية تمكنهم من التعليم المجاني في مدارس ومعاهد الوطن الام . وتخصص مدارس معينة ، تعلمهم الى جانب اللغة العربية ؛ لغة البلاد التي يقيمون فيها حتى لا تكون الشهادة التي يحصلون عليها ، هنا محلية لا يستفيدون منها هناك ـ الامر الذي يثبط عزائم الكثيرين منهم ، ويحول بينهم وبين الانتماء الى تلك المدارس .

٧ ـ عقد اتفاقات ثقافية مع الجمهوريات الامريكية تجعل شهاداتنا مقبولة عندهم ، وشهاداتهم مقبولة عندنا . وتقضي بتدريس اللغة العربية في الجمهوريات الامريكية ، وتدريس اللغتين البرتغالية والاسبانية في الجامعات العربية (١) .

---

(١) كان المغترب الكريم السيد يوسف اليازجي قد تبرع براتب استاذ لتعليم اللغة العربية في جامعة (سان باولو) ، وراتب استاذ لتعليم اللغة البرتغالية في الجامعة السورية . وأوفد إلى دمشق الاستاذ (جورج اليان) للقيام بهذه المهمة . وقد اضطلع الاستاذ اليان بها بحماسة واخلاص ، ولكن ظروفاً خاصة اضطرته للعودة إلى البرازيل . وقد انتهى بسفره ذلك الجهد المشكور ، ويوسف اليازجي حريص دائما وابداً على كل ما من شأنه تعزيز اللغة العربية والسمو بها .

٨ ـ تبادل الاساتذة بيننا وبين الجامعات في الجمهوريات الامريكية المختلفة .

٩ ـ اعداد برامج في الاذاعات العربية موجهة الى المغتربين لتعليم ابنائهم اللغة العربية على غرار برامج الاذاعة البريطانية لتعليم اللغة الانكليزية .

١٠ ـ تشكيل لجان تحت اشراف المفوضيات العربية ، او مكاتب « الجامعة العربية » للطواف على المغتربين ، وحثهم على التكلم في مجالسهم الخاصة باللغة العربية وحدها ،وقصر أحاديثهم في البيوت عليها .

١١ ـ منح جوائز سنوية للمتفوقين في سرعة تعلم اللغة العربية في المدارس الليليـــة ، او المعاهد الرسمية والشعبية ..

تنظيم هيئات المغتربين

لقد مر معنا ان للمغتربين اندية وجمعيات كثيرة ، تحمل اسماء اقليمية ، او طائفيـــة ، او ادبية ، او رياضية . وهي من الكثرة بحيث توحي الى كل مراقب انها قد تعدت الحـــد المألوف ، وانها برهان على تفرق كلمة المغتربين ، وتشعبها ، وتباينها ، وعدم انسجامها .

وقد حاولنا سنة ١٩٤٨ ان نعمل على صهر هذه الجمعيات كلها في جمعيةواحدة. وبذل سيادة المطران نيفن سابا ، والشاعر جورج صيدح جهوداً مضنية في هذا السبيل .وقدتلطفا وزاراني في بيت الوجيه المعروف السيد احمد عباس جحى في مدينة بونس ايرس حيث اقمت طيلة المدة التي قضيتها في العاصمة الارجنتينية ، وحيث يجد كل وافد الى المغترب خير عناية ورعاية منه ومن اسرته اللطيفة الكريمة . ويعتبر بيته من اكرم البيوت العربية في المهجر ، ومن احسنها وفادة ، واكثرها زائرين ومستضيفين .

وقمنا ـ المطران نيفن ، (١) وصيدح ، وانا ، واخوان آخرون ـ بمجهود مشتركلم يسفر

---

(١) من الانصاف للحقيقة والتاريخ أن نشيد بالجهود الكريمة التي بذلها في المهجر سيادة المطران اغناطيوس حريكة ، والمطران نيفن سابا اذ أنهما قد ادخرا اكثر وقتهما وإمكانياتهما لجمع شمل الجالية ، وتوحيد صفها ، وحضها للدفاع عن قضاياها . وكانت لهما مواقف عديدة بالحث على جمع التبرعات لفلسطين ، والمساهمة مع اللجان المختصة بهذه الغاية النبيلة . وكانت قاعة كنيسة الروم الأرثوذكس في سان باولو - حيث كان يقيم المطران حريكة مطران حماه وفي بونس ايرس حيث كان يقيم المطران نيفن سابا مطران زحلة كانتا محج الجالية ، ومقصدها في جميع المناسبات الاجتماعيةوقدتلاقى المطرانان بالخطةوالهدف وكانا خير رسولين للعروبة وللفكرة الانسانية والدين السمح في امريكا كلها بلا استثناء .

الا عن تشكيل هيئة لرؤساء الاندية والجمعيات ، اطلقنا عليها يومئذ اسم « جامعة الجمعيات العربية » . وكانت تضم تلك الهيئة رؤساء الجمعيات العربية كلها . وقد أربى عددها سنتئذ في الارجنتين وحدها على السبعين !

وقد انحلت جامعة الجمعيات العربية بعد فترة وجيزة . وقضي على الطفل قبل ان يحبو على قدميه ، وقبل أن يكمل الرضاع . لان اجتماع سبعين شخصاً وانسجامهم واتفاقهم على رأي واحد ، وخطة واحدة ، في حال مؤسف مثل حالنا ، لأمر عسير بل ومستحيل !

وبشيء من الجد والمثابرة والاهتمام يمكن للمفوضيات العربية ان تقضي على هذه التفرقة وان تعمد الى تقليل عدد « الجمعيات » ، وصهرها في عدد محدود ، تتمثل فيه مختلف الاتجاهات ، والنزعات .

مسؤولية المفوضيات العربية

للمفوضيات العربية نفوذ مادي ومعنوي ، على كافة ابناء الجالية الذين يتهافتون على زيارتها ، وتقوية الصلات معها ، وانشاء علاقات ودية صميمية مع اركانها ، والمشرفين عليها ويتهافتون على دعوتهم الى بيوتهم وانديتهم . ورغم ما يلاقيه اكثر المغتربين من اهمال المفوضيات لامورهم ، وعدم اكتراثها بواجباتها نحوهم ، فانهم دائماً حريصون على الاتصال بها ، والتسابق على كسب ود موظفيها ـ على اختلاف مراكزهم ومراتبهم وميولهم .

وان بإمكان المبعوثين السياسيين عمل شيء كثير .. بدلا من ان ينصرفوا الى مجالات روتينية أخرى .. ولا نقول اكثر من هذا ..

ومن واجب السفارات والمفوضيات العربية أن توفد بعضاً من موظفيها للطواف في انحاء البلاد التي يقيمون فيها ، وتوجيه الجالية ، وتنسيق صفوفها ، وتشجيع ابنائها على تعلم لغة آبائهم ، واشرافهم على ذلك شخصياً ، والعمل على احلال الوئام والوفاق بين ابناء العرب المختلفين (١) .

---

(١) من المؤسف ان بعض الولايات في كل جمهورية امريكية لم تحظ مرة واحدة بزيارة أحد من المبعوثين السياسيين . وأما اولئك السادة فانهم يقضون كل أوقاتهم في العاصمة ونادراً ما يخرجون منها لزيارة الجالية في أحد الأقاليم ! وما أريد أن اعرض بأحد منهم ، ولكنني أقرر حقيقة واقعة موجعة . ومن الخير بهذه المناسبة ان نذكر الدكتور جمال الفرا فحينما كان سفيراً لسورية في البرازيل كان ممتلئاً حماسة ونشاطا وكان دائب الاتصال بأبناء الجالية والتنقل من ولاية الى ولاية .

وان على الحكومات العربية ان تزيد عدد موظفيها ، في السفارات والمفوضيات والقنصليات ، لأن هذه المراكز تضطلع - او يجب ان تضطلع - بواجبات اجتماعية وسياسية بين المغتربين ، الى جانب اضطلاعها بمسؤوليات رسمية تجاه السلطات المحلية .

واذا كان عدد الموظفين اليهود في القنصلية الاسرائيلية بقبرص يزيد على الستين ، فكم يبلغ عددهم في الارجنتين والبرازيل ، وتشيلي وفنزويلا و .. بقية الجمهوريات الامريكية الاخرى ؟!

واما عدد الموظفين العرب ، في السفارة او المفوضية العربية ، فانه لا يزيد على عدد اصابع اليد الواحد - فتأمل .!

والموظفون الاسرائيليون ، على كثرتهم ، دائبوا التنقل ، لا يبذرون اوقاتهم هدراً ، ولا يضيعونها جزافاً ، وانما ينفقونها كلها في الدعاية لبلادهم ، وتنظيم جاليتهم ، وحبك مناوراتهم ومؤامراتهم ، والعمل على نصرة باطلهم ، ودعم قضيتهم .

اما موظفو سفاراتنا ومفوضياتنا ، على قلتهم ، فان حكوماتهم أعرف منا بالأمكنة التي يقضون أوقاتهم فيها ، وينفقون أيامهم بها . وأعرف منا بنتائج الأعمال التي يؤدونها ، والجهود التي يبذلونها ..

ومعذرة ...

انه موضوع شائك لا نحب أن نتورط في بحثه ، ولا أن نخوض في غماره .

ولكن لا بد لنا من إيراد شيء آخر .

حينما كنا نعتب على اخواننا المغتربين ، ونوجه اليهم بعض اللوم ، لتقاعسهم عن واجب الدعاية لبلادهم ، ودحض افتراءات الصهاينة المجرمين - الذين أصبح الميدان لهم وحدهم يجولون فيه ويصولون ، دون أن يلقوا مقاومة تذكر ، أو يشعروا برقابة ذات أثر ، كان يجيبنا اخواننا المغتربون بكل صراحة :

« كنا نضطلع بعبء تمثيل بلادنا قبل أن يكون لها ممثلون . وكنا نشعر بعظم المسؤولية الملقاة على عواتقنا ، وثقل تبعاتها الضخمة ، فننهض بها بقوة ، ونندفع باخلاص ، وبدون توجيه .. وكنا ننتج . ولكن بعد أن صار لبلادنا سفراء ، ووزراء مفوضون ، وقناصل ، اصبحوا هم المسؤولين فلا تلومونا .

وفي هذا القول الكثير من الصحة . ولكن المغتربين مع ذلك غير متحررين من تبعة المسؤولية بصفتهم مواطنين عرباً .. ولا يجوز أن يلقوا العبء عن كواهلهم ، بعد ان صار

لوطنهم ممثلون رسميون . يجب أن يعمل الجميع ، وان يتعاونوا في سبيل غاية مشتركة ، وهدف مشترك ، ويجب أن يعتبر كل مغترب نفسه ممثلا لبلاده ، وسفيراً لها .

ان الصهاينة ، وممثليهم ، جبهة واحدة متراصة . لا يحاول أحد من اعضائها ان يتملص من المسؤولية ، او يضعها على عاتق سواه . وبهذه الروحية وحدها ، وبالتنظيم وحده ، وبشعور كل فرد منهم ، انه مسؤول ضمن حيّز خاص .. بفضل هذا التعاون المخلص الدقيق استطاعوا ان ينصروا باطلهم ، ويركزوا سياستهم ، ويدعموا قضيتهم ، ويوجدوا كياناً سياسياً لهم – الى حين .

وما أجدر العرب للعمل في سبيل حقهم ، والالتفاف حول عدالة قضيتهم ، وأخذ العبرة والعظة من أخصامهم المجرمين .

تعيين قناصل فخريين

والمصلحة تقضي بل توجب أن يعين قناصل فخريون في كل ولاية توجد فيها جالية . وثمة محذور من ذلك لا نستطيع ان نسقطه من الحساب ، ولا بد من ذكره والاشارة اليه هنا .. وهو ان التنافس بين المغتربين يؤدي احياناً الى تناحر وتنابذ من اجل القنصلية الفخرية . وكثيراً ما يحصل الانقسام والتراشق بالعرائض والبرقيات كما حصل عند تعيين السيد « توفيق أبو جمرة » قنصلا فخرياً لسورية ، (١) في ولاية « غراندي دي سول » ، وعاصمتها الشهيرة « بورتو اليكري » .

---

(١) السيد توفيق أبو جمرة مجاهد عربي قديم ومن أبرز الوجوه العربية في امريكا كلها . وفي طليعة المغتربين عاطفة ووطنية ووجاهة عريقة مرموقة . وله في كل مجال عربي أثر ، وفي كل حلبة وطنية عنه خبر ، وأي خبر . ورغم كرم نفسه ويده ، وقلبه وروحه ، فقد وجد بين أبناء الجالية الكرام من يعترض على تعيينه ويعارضه ويمطر وزارة الخارجية في دمشق بالعرائض والبرقيات ! حتى أشفقنا على العاطفة العربية الأصيلة أن تصل إلى هذا المستوى ! وحتى أسفنا للخلاف أن يتحكم بين اخوان كرام أعزة ، يحتضن كل منهم في قلبه عاطفة قومية صادقة مشرقة .

وفي يقيني أن القنصلية الفخرية قد استفادت من « توفيق أبي جمرة » أكثر من فائدته هو منها... لأنه عزز مكانتها بمكانته ، ووجاهتها بوجاهته ، ومركزها بمركزه .

ورغم ما قد ينتج من خلاف حول منصب القنصل الفخري ، بسبب عداوة سابقة ، او تنافس مزمن فان الفائدة تظل اكثر من الخلاف الذي يحصل ، واوفر منه . وترجح على جميع الاعتبارات الاخرى .

وهناك شروط لا بد من توفرها بالقناصل الفخريين في طليعتها :
ان يكون ذا مركز مادي واجتماعي مرموق ، وان يكون سمح اليد والنفس ، وله منزل لائق ، ومكتب للقنصلية فخم .

وثمة ناحية اخرى لا تقل عن ذلك اهمية – ان لم تفقه – وهي ان يكون ذا نشاط روحي وعقلي ، يمكنه من القيام بمهامه على الوجه الأكمل الاتم ، وان يكون على قسط وافر من الثقافة – ما أمكن .

وفي يقيني ان تعميم القناصل الفخريين ، في كل ولاية يوجد فيها مغتربون ، امر تحتمه الضرورة ، وتفرضه المصلحة ، ويوجبه الحرص على وجود دائرة رسمية تحفظ للمغتربين كرامتهم ، وترعى مصالحهم ، وتعمل في سبيل مجدهم ، وتوحيد كلمتهم (١) .

المؤسسات التي تحمل طابعاً عربياً

ان المؤسسات العمرانية والانسانية – كالقصر والنادي والمستشفى لا تحمل طابع القومية ولا تشير بمظهرها الى الشرق الذي شيدت بمال ابنائه ، مثلما يحملها ، ويشير اليها مسجد يذكر المصلين فيه بأن اصلهم عرب ، وانهم من نبعة تاريخية مستقلة ، وكنيسة تنبه الزائرين والمصلين معاً الى انهم في حرم شادته أيد عربية ، بأموال عربية . وان هؤلاء المصلين من سلالة اولئك المغتربين الذين وفدوا من الشرق ، واستقروا في هذه البلاد ، وانهم بقية من امجادهم الزاهرة وتراثهم الخالد .

---

(١) يضطر المغترب أحيانا للتصديق على معاملة رسمية ، او ارسال وكالة رسمية لبعض اقربائه او اصدقائه ، في الوطن ، او اجراء عقد بينه وبين مغترب آخر يسري مفعوله في الوطن الأم ، فيضطر للسفر مسافة شاسعة ، وقضاء وقت غير قصير من أجل اتمام عمله ولو وجدت قنصلية فخرية قريبة منه لهانت عليه السبل ، وسهلت أمامه الطريق ووفر بذلك وقتا ومالا .

ان الكنيسة العربية ـ كنيسة الروم الأرثوذكس ـ تقوم بجهود مشكورة بين ابنـــاء الجالية ، قصرت عنها الحكومات العربية ، او عجزت عن القيام بها . وهي ما برحت توفد المطارنة والآباء الروحيين لتشييد الكنائس في كل مدينة يوجد فيها مغتربون من أبنائهـــا . وستظل تلك الكنائس رابطة روحية بين المغتربين وبين الوطن الأم مهمـــا طال الزمن ، وتباعدت الأيام . وهي تذكرهم على الأقل بأصلهم ، وتبقي شيئاً من الصلة الروحية قائماً بينهم وبين ماضيهم ، وشيئاً من الحنين .

ان خيط الذكريات لا ينقطع ، والرابطة الروحية لا تنفصم ، وعرى الحنين لا يضمحل بل يظل خياله ماثلا في الأذهان ، وبارزاً امام العيان .

والاموال التي انفقت ، وتنفق ، في تشييد هذه المؤسسات الدينية لا تذهب هدراً ، بل ستبقى ثروة لمجد العروبة ، واثراً من آثارها الخالدة ، ورابطة شمل بين المغتربين ، والبلاد التي نزحوا منها .

مثل هذه المشاريع يجب ان تشجع وان تدعم . لأنها تحمل الطابع العربي ، وتبـــقي صلة المغتربين قائمة بينهم وبين الوطن الأم (١) .

الوفود

يجب ان يغذى المهجر دائماً بوفود ، تؤمه لزيارة الجالية ، والتعرف اليها وتفقد احوالها والاشراف عن كثب على نواحي نشاطها .

ويجب أن تكون هذه الوفود على مختلف المستويات . وأن تكون زيارتهـــا ذات طابع وطني وعاطفي ، لا دخل للاستثمار المـــادي بــــه ـ سواء أكان لمصلحـــة خاصة ام لمصلحة عامة .

---

(١) كنا نلفت نظر المسؤولين عن هذه المشاريع والمشرفين عليها والقائمين على تنفيذها ان يكتبوا على واجهاتها الأمامية وجدرانها الداخلية والخارجية جملا باللغة العربية ولغة البلاد الأجنبية تدل على أنها من صنع أيد عربية وأن تطرز بنقوش شرقية تظهر حقيقتها وتميط اللثام عن واقعها وتعطي الوافدين اليها صورة عن حضارة الشرق وأناقته وجماله .

ولا يسوغ أن تطالب هذه الوفود بأي تبرع لأي مشروع كان. لانه ، رغم كرم المغتربين واريحيتهم ، فقد أصبح عند بعضهم شعور عميق بأن التفكير بهم مستمد من السعي للافادة من مروءتهم وامكانياتهم . يجب ان نقضي على هذا الشعور عند البعض قضاء مبرماً . وان نشعرهم – دائماً – وهذا هو الواقع – ان غيرتنا عليهم ، وعاطفتنا نحوهم ، وتهافتنا على زيارتهم واستزارتهم ، انما هو بسائق العاطفة المجردة ، والتقدير البريء ، والود النزيه .

ويجب الا تثقل عليهم هذه الوفود بشيء .. بل يجب حينما تزور بعض المشاريع الخيرية أن تتبرع لها ببعض المال . يكون ذلك للمشاركة بالشعور ، وبرهاناً على ما يكنه المقيمون نحو اخوانهم المغتربين .

ويجب الا تكون زيارات هذه الوفود زيارات عابرة للمجاملة والاستجمام والترويح عن النفس ، بل يجب ان تكون زيارة تفقد وعمل جديين ومجديين . واهم ما يجب ان تفعله تلك الوفود هو الحض على تعليم اللغة العربية ، وتشجيع ذلك ، ومراقبته مراقبة فعلية دقيقة .

وان زيارة الرجالات الرسميين للمهاجر الأمريكية ، يرفع من معنويات الجالية العربية ، ويوطد مراكزها ، ويعزز نفوذها في الاوساط الرسمية ، ويمكنها من توطيد صلات صداقة ومودة معها .

وتجني الجالية من وراء هذه الزيارات فوائد جمة . كما تجني القضية العربية فوائد لاحصر لها . وهذا ما تقوم به اسرائيل بكل مناسبة – واحياناً كثيرة بدون مناسبة .

توزيع النشرات والافلام

ان الحكومات العربية ، فيما نعتقد ، تتابع ارسال نشرات مستمرة عن احوال البلاد إلى السفارات والمفوضيات . وهذه قد توزع نتفاً منها على الصحف ، او تكتفي بالاطلاع عليها وطيها بعد ذلك !

ان الواجب يقضي بأن تطبع تلك النشرات الاخبارية ، وتوزع على الجمعيات العربية في العاصمة والاقاليم . وهذه بدورها تضعها تحت تصرف رواد تلك الاندية العربية . وبذلك

يظل ابناء الجالية على صلة وثيقة بأخبار الوطن ، وتوجيهات المسؤولين فيــه . ويرافقون نشاط بلادهم ، والاطلاع على احوالها واخبارها ، بصورة مستمرة ودائمة .

والمغتربون جميعاً – وقد سبق لنا التحدث عن هذا – يتحرقون شوقاً ولهفة لمعرفة اخبار بلادهم ، وقراءة شيء – اي شيء – عنها . وهم يجتمعون ، دائماً ، حول كل شخص وردت اليه رسالة من الوطن ، وأنظارهم جامدة على شفتيه ، تتابع القراءة كلمة فكلمة ، بلهفـــة جارفة ، وعاطفة عاصفة ، وشوق لا مثيل له .. وهم يقبلون على سماع الاذاعات العربية ، ويتهافتون في كل امسية على التجمع في الاوقات المحددة لها ، والانصات اليها بجوارحهم وافئدتهم ، وقلوبهم .



دعوة المغتربين المثقفين

المثقفون من ابناء المغتربين كثيرون والمختصين منهم غير قليلين .

ومن هؤلاء أطباء ومهندسون يتوقون للعمل في وطنهم الأم ، ويتطلعون اليه برغبة وتهافت . لأن مجال العمل في المهجر أضيق مما تظن – نظراً لكثرة المختصين ، ولأن عددهم في ازدياد مطرد ، ونسب مرتفعة . وهم يرغبون بالعودة الى بلادهم للعمل فيها ، وبلادهم بأمس الحاجة اليهم ، لا كطاقة بشرية ، وانما كطاقة انتاجية وفنية .

ولكن رغبة هؤلاء المختصين ، من اطباء ومهندسين ، تصطدم دائماً بعدم التشجيع والترغيب ، وربما بالتثبيط ، والتخويف .

فمن قائل لهم إن قوانين البلاد لا تسمح باستخدامهم ! ومن محذر ومنذر بأنهم سيخضعون لامتحان علمي جديد (كولكيوم) ! ولا توجد هيئة رسمية تشجع هؤلاء ، وتتصل بهم ، وتسهّل لهم سبل العودة ، بعد تمحيص الافتراءات ، والقضاء على الشبهات والدعايات!

ومساع متواصلة ، وجهود مخلصة ، كفيلة بجلب مئات الاطباء ، ومئات المهندسين ، فنسد حاجتنا ، ونضاعف طاقتنا ، ونساعد إخواننا على العودة الى الوطن الأم .

البعثات السياسية

تتركز على أعضاء البعثات السياسية جميع المسؤوليات وتقع على عواتقهم مجتمعين ومنفردين .

ويؤسفني أن اقول آن هذه البعثات – او أن اكثرها – يضطلع بأعباء التمثيل لدى الدول الاجنبية اكثر من اضطلاعها بأعباء السفارة بين المغتربين والوطن الأم !

وان على كافة المبعوثين السياسيين أن يدركوا ، تمام الإدراك ، بأن الحاجة اليهم في صفوف المغتربين ، تفوق الحاجة اليهم في دوائر المسؤولين . وان على كل منهم أن يكون صاحب رسالة يبشر بها – بين النازحين – ويدعو لها ، ويقف كل امكانياته وجهوده في سبيل تحقيقها . .

وصلات رجال البعثات السياسية بالجمعيات ، والاندية العربية عادية جـداً . وهي لا تتعدى الصلات الشكلية والرسمية . مع أن الجالية كلها تنتظم في هذه الجمعيات . ومن النادر ان يوجد شخص لا ينتسب الى احداها . لأنها الرابطة التي تربطه باخوانـه ، والوشيجة القوية التي تشده اليهم .

قال لي رئيس احدى الجمعيات العربية في البرازيل :

منذ أن انشئت مفوضية لبلادنا في هذه البلاد ، وجمعيتنا هذه لم تتلق اي كتاب تهنئة بحلول السنة الجديدة ، ولا كتاب تهنئة للهيئة الادارية الجديدة ، ولا اي كتاب ، او برقية ، او هاتف ، باية مناسبة من المناسبات .

قلت له :

وهل تخبرون المفوضية عن انتخاب هيئة جديدة ، وعن اسماء رئيسها واعضائها عنـد انتخابهم ؟ وهل تبادهون ، انتم ، المفوضية بتهنئتها في عيد رأس السنة ؟ وفي بعض الاعياد القومية ؟

فأجاب :

قد نكون لا نفعل ذلك .. وقد يكون هذا تقصيراً منا .. ولكننا قد أبرقنا للمفوضية في عدة مناسبات قومية ، فلم نتلق جواباً. فامسكنا. وأما بشأن انتخاب هيئـات ادارية جديدة ، فإن الصحف تنشر أسماء الهيئة الجديدة باستمرار . ويفترض بالمفوضية انها تطلع على الصحف ، وبصورة خاصة على كل ما يتعلق بحياة الجالية . وهب اننا ايضاً مقصرون، فان عذرنا عدم معرفة الاصول ، اوليس من واجب المفوضية ان تنبهنا الى اخطائنابالحسنى حتى نتداركها ونتلافاها .؟ وقد نكون نحن بغنى عن صلاتنا بالمفوضية ، ولكن ـفيما نعتقد ـ أن المفوضية ليست بغنى عنا ، إذا ارادت القيام بواجبها على الوجه الأتم . ومن واجباتها الاولى ـ فيما نحسب ـ ارشاد الجالية وتوجيهها ، والاشراف على نواحي نشاطها المختلفة .

هذا صحيح

ومع ذلك فقد أبنت لذلك المغترب الكريم ان الواجب يقضي بـأن يكون اتصالهم بالمفوضية مستمراً ، حتى ولو حالت مشاغلها الكثيرة دون التفرغ لاتصالها بابناء الجالية ـ وخاصة الذين يسكنون في مناطق بعيدة .

قلت له ذلك ، وأنا مؤمن بأنه ليس ثمة ما هو اوجب من أن يتصل أركان المفوضية ، باركان الجالية ، في جميع المناسبات ـ وحتى بدون مناسبات .

والواقع ان أي عمل روتيني لاتوازي فائدته ـ مهما بلغت ـ اتصال اركان المفوضيات

الدائم بابناء الجالية ، وتوجيههم والاستفادة من طاقتهم وامكانياتهم . ومشاركتهم الافراح والاحزان ، والمآتم والاعراس .

قد يكون ذلك مرهقاً ، ولكن الواجب القومي لا يعرف الاعذار ، ولا يؤمن بهـا . وكل من يذهب في بعثة سياسية الى اميركا يجب أن يشعر بانه مجند ، وأن عليه ان يقف كل وقته وطاقته لخدمة الجالية ، وتقوية الصلات معها .

وان لأبناء الجالية مراكز اجتماعية ومادية مرموقة ، تمكنهم من التأثير في الانتخابات المحلية ـ هناك ـ ومساومة الاحزاب السياسية ، والحصول على حصول تعهـدات منهم بمساندة القضايا العربية ، ودعمها وتأييدها .

ولو ركز العرب جهودهم ، وحشدوا كل طاقتهم ، لكان باستطاعتهم ان ينصروا حزباً معيناً تتفق اهدافه مع اهدافهم ، وتتلاقى مراميه مع مراميهم ، ولجنوا من وراء ذلك فوائد كبرى لهم ولبلادهم . ولكن كثيراً من الفرص تفر من ايديهم ـ فلا يحاولون اغتنامها ، ولا يعرفون كيف يقتنصونها .

واذا كان لا يحق للمفوضيات أن تتدخل في شؤون البلدان الداخلية ـ وهذا امر طبيعي وبدهي ـ فان بامكانها توجيه الجالية من وراء ستار ، وكل السبل مهيأة لها ، ومفتوحة امامها

دعوة المغتربين لزيارة الوطن الأم

ان كثيرين من ابناء الجالية يحنون لزيارة وطنهم . ولكن بعضهم لا تسعفه حاله للقيام بهذه الزيارة . وبعضهم لا توجد عنده الرغبة الكافية للابتعاد عن عمله ، اذا لم يوجد من يشجعه ويحفز همته ، ويتحمل عنه بعض اعباء النفقات . وعـلى الحكومات العربية أن تضطلع بهذه المسؤولية ، وتنهض بهذا الواجب ، وتدعو في كل سنة عدداً من المغتربين ، او ابنائهم لزيارة وطنهم ، والاطلاع على تقدمه ورقيّه في مختلف المجالات . (١)

---

(١) كان فخامة الرئيس شكري القوتلي اول من فكر بدعوة وجهاء المغتربين لزيارة الوطن الام . وكان السيد يوسف اليازجي اول مغترب له مقام مرموق زار الوطن في عهد رئاسة فخامته الثانية سنة ١٩٤٨ وقد استقبله فخامته بالترحاب ، ورعى بنفسه تدشين الحفل الذي اقيم في الجامعة السورية ، بمناسبة تدشين الجناح الذي تبرع به اليازجي النبيل .

وبعد هذه البادرة الكريمة وجهت دعوات عديدة لوفود عدة ، واشخاص معروفين . ومع ذلك فان الواجب يقضي بأن تكون الدعوات منظمة ومدروسة ، ومتوالية ؛ وان توجه الى اصحاب الفعاليـات الاقتصادية والادبية قبل سواهم .

ويجب أن يوضع لذلك برنامج حافل ، وتخصص له مبالغ في موازنة كل عام .

ولا شك انه حينما يرجع هؤلاء الزائرون الى امكنة اقامتهم ، سيعودون وقد امتلأت عيونهم وعقولهم وآذانهم بمظاهر الرقي والتطور والتحرر – مثلما تمتلىء قلوبهم بحب وطنهم والاعتزاز به .

وان مصلحة المغتربين انفسهم ، ومصلحتنا معهم ، تقضي بدعوة هيئات رسمية وشعبية لزيارة البلدان العربية باستمرار . وهذا ما تفعله عدوتنا اللدود اسرائيل . فهي تدعو مختلف الهيئات التي تعمل في مختلف الحقول . وتصرف عليهم بسخاء ، وتحاول التغرير بهم ، والتاثير على اقلامهم والسنتهم – باباطيلها وألاعيبها وترّهاتها .

ودعوة الهيئات الرسمية والشعبية ، لزيارة البلدان العربية ، على نفقةحكوماتها ، يخلق لنا اجواء جديدة من الدعاية المثمرة ، فضلا عن انه يوطدمركز جاليتنا ، ويدعمه ويقويه .

ودعوة الصحفيين الامريكيين ذات فوائد لا تقدر بثمن ، ولا يمكن حصر فاعليتها وآثارها ونتائجها . وهي اذا لم تصرف الاقلام المنحازة ضدنا ، كلياً ، الى جانبنا . فانهاعلى الاقل تكفكف من غلواء حماستها واندفاعها (١) .

ولا يخفى ما للصحافة من اثر فعال في كل مجتمع – وخاصة في المجتمع الاميركي الذي يؤخذ بالدعاية الى حد بعيد .

الصحافة في المهجر (٢)

للصحافة في حياة المغتربين ، اثر كبير ، وعمل ضخم . وهي الوسيلة لاتصال بعضهم ببعض – والاطلاع على اخبار وطنهم . واكثر حقولها – على قلتها – تتحدث عن حياتهم

---

(١) سبق التحدث عن بعض الصحفيين الذين دعوا لزيارة الوطن الام . وليس مارويناه يعتبر قياسا ، وتؤخذ عنه صورة واحدة للجميع ، فقد دعا السيد الياس عاصي بعض الصحفيين البرازيليين لزيارة البلاد العربية ، وكتابة بحوث عنها . وقد افدنا من كثيرين منهم كلمات مسهبــة عمرت حقولا طويلة في الصحف البرازيلية ، وغمرتها بتعداد مآثر النهضة العربية ، والحق العربي في فلسطين ، وان يكن بعض اولئك قد شذ عن جانب الحق وانحرف .

وللسيد الياس عاصي مواقف كثيرة ومشكورة من هذا القبيل – مر معنا شيء عنها .

(٢) راجع الفصل الخاص بالصحافة في المهجر ،

الاجتماعية ، وتفيض بذكر اخبارهم من زواج وولادة ووفاة وما اشبه .

والصحافة العربية في المهجر ، بحالتها الحاضرة ، محدودة الطاقة والامكانيات وقد هزل بعضها واسف ، حتى صار حجة عليها . وهي في الارجنتين والبرازيل والمكسيك وتشيلي والولايات المتحدة الاميركية . وكان يقدر لها في هذه الاخيرة ان تلعب دوراً اهم في حياة الجالية ، وأن تؤدي رسالتها ، وتنهض بواجبها على وجه اكمل وأتم ، نظراً لقلة الافلام الادبية التي كانت في الولايات المتحدة الامريكية . وكذلك الحال في البرازيل ، حيث أركان العصبة الاندلسية ، وارباب الفكر والقريض ، والاقلام المشبوبة النافذة .

لقد كانت «الرابطة القلمية» في الولايات المتحدة ، و «العصبة الاندلسية » في البرازيل ، ركيزة النهضة الادبية في امريكا كلها ، ومن الركائز العميقة للأدب العربي في العالم العربي.

ويوم كانت «الرابطة» و «العصبة» فائمتين ، كانت الصحافة في المهجر ، رسالة ووسيلة وبعد أن توارتا من الميدان ، اصبحت الصحافة وسيلة للعيش وهدفاً للارتزاق .

وليس في ذلك ما يشين . حياة اصحابها اصبحت وقفاً عليها ، وجهودهم كلها مركزة حولها .

وغابت « السمير » بغياب « ايليا ابي ماضي » واغلق « عبد المسيح حداد » جريدته « السائح » بعد أن اعياه امر بقائها والانفاق عليها . وفي مدينة سان باولو احتجبت مجلة «العصبة الاندلسية » التي كانت من ارقى المجلات الادبية في الوطن والمهجر ، وكانت صفحاتها المشرقة تسطع بالحرف العربي الانيق ، والكلمة المترفة البليغة ، والمعنى الجديد المبتكر . وكانت جريدة «فتى لبنان» اليومية التي اصدرها العلامة « الشيخ رشيد عطية » وتولاها في سنواتها العشرين الاخيرة « نظير زيتون » ، منبر الاحرار ، وهيكل الكلمة الحرة ، والادب الرفيع ، وجريدة « برازيل لبنان » وهي امتداد لها يتولى رئاسة تحريرها الاستاذ «فارس دبغي» الكاتب الكبير المعروف ، والاديب النابغة ذي القلم النافذالمشرق

وتوارت صحف اخرى كثيرة ، وخلفت وراءها فراغاً هائلا ، وجوعاً قاسياً مريراً(١)

والصحف العربية الباقية تغالب الموت ، وتقاوم العاديات ، ولكنها لن تستطيع الاستمرار طويلا – بينما يتضاءل عدد قرائها والمشتركين بها يوماً عن يوم . وكلما نقص عضو من أعضاء الجالية الذين يحسنون اللغة العربية ، تداعى حجر من الجدار الذي ترتكز

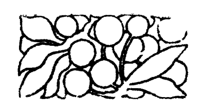
(١) راجع فصل الصحف العربية في المهجر ففيه اسماء كثير من الصحف التي انطوت والصحف التي ما زال تحتفظ ببقية من رمق يساعدها على البقاء .

عليه الصحافة العربية وانهار . وبقاء الصحافة العربية في المهجر رهن ببقاء اللغة العربيةفيه. وكل جهد يبذل في سبيل المحافظة على اللغة العربية في المغترب ، سينعكس أثره على الصحافة ويكون عاملا قويا على بقائها ونمائها .

ويمكن تغذية الصحافة ، بوضعها الحاضر ، حتى تظهر بمظهر يتفق ومركز الجالية ، وعبء الرسالة التي تضطلع بها . ومن واجب الحكومات العربية أن تغذي الصحافة العربية في المهجر ، وان تبذل لها بعض العون المادي ، وتساعدها على الظهور بشكل افضل واجمل واكمل .

ويمكن الاستفادة من الصحافة العربية الموجودة حالياً في المهجر ، لتقوية صلات الجالية مع بعضها وتمنيها ، وتركيزها ، وتدعيم الاواصر بينها وبين الوطن الام .

والصحف عامل فعال في بناء المجتمع ودعمه ، ورفع مستواه . وهي ذات أثر وخطر كبيرين وهامين .



اثر الصحافة

اما الصحافة العربية فقد سبق التحدث عنها في فصل مستقل .. ولم يعد ثمــة موجب لإعادة البحث حول هذا الموضوع .

واما الصحافة الاجنبية فهي المعنية هنا بهذا البحث ..

لا مجال للشك ، او الريب في ان الصحافة عامل قوي في مجالات الدعاية المختلفة . وهي في مقدمة الوسائل التي يلجأ اليها أصحاب الآراء المتباينة لنصرة آرائهم ودعم أفكارهم .

ومن الصعب ، بل من المستحيل ، أن تجد صحيفة مستقلة ذات نزعة مجردة ، وغاية بريئة لا تؤجر حقولها لأحد ، ولا تتبنى فكرة الآخرين مقابل شيء ما .. أو مقابل عرض مغر ، وصفقة مغرية .!

والعرب الذين يخوضون مع الاستعمار والصهيونية ، أشرس معركة يتوقف عليها حاضرهم وغدهم ، واستمرار تاريخهم العريق ، هم أحوج ما يكونون الى كل وسائل الدعاية لقضاياهم بعد أن تردى الضمير الانساني في مهاو عميقة سحيقة ! وبعد أن فقد الروح البشري مقومات الخلق والعدل والحق ! واستبدت به نزعة السيطرة والتحكم ! وتسلط الأقوى على الأضعف والاغنى على الافقر .! وبعد ان عصفت به تيارات الاهواء الجارفة ، والأهداف الزائفة ، والغايات المنحرفة المسرفة . وبعد أن صار الناس – اكثر النــاس – يجرون وراء تصديق حكاية ملفقة ، او قصة مصطنعة ، او رواية للتغرير ، والتضليل ، والايذاء .

بعد ذلك كله .. صار على الدول العربية ، ان توجد لدعايتها ركائز ثابتة في الصحف الاجنبية . وان تولي هذا الموضوع ما يستحقه من عناية ورعاية ، وترصد له كل ما يحتاجه من تضحية وبذل ..

وكان بعض الغيارى يرون إنشاء صحف يومية ، تتبنى الدعوة لنصرة القضايا العربية ، وتنفق عليها الحكومات العربية ، ويقولون بضرورة ذلك ، ملحين عليه .

ولست أرى هذا الرأي .. واعتقد انه لا يؤدي الى الثمرة المطلوبة ، ولا يصل بنا الى الغاية المنشودة ، والهدف المبتغى .. لأن انشاء صحيفة يومية يكون لها انتشار يحاكي الصحف الاخرى ، ويماثلها ، ويتطلب مبالغ طائلة لو احسن انفاقها وتوزيعها لكان كافياً لاستئجار حقول طويلة ، في صحف عديدة ، واستثمارها لخدمة اغراضنا النبيلة .. وهذا لا يلفت النظر بل يقتضي القارىء ويدفعه نحونا .. فنكسبه دون أن يساوره شك او ريب – مثلما لو عرف انه يقرأ صحيفة تصدر بأموال عربية ، وتنطق بلسان الدول العربية ، وتحرر بأقلام كتابها ، او المأجورين للكتابة فيها .

ان استخدام الصحف الاجنبية ، يعود بفوائد جمة ، لا تستطيع اداءها صحيفة تمولها مؤسسة عربية خاصة .

استمرار الهجرة

اتخذت الحكومة قراراً بمنع الهجرة – منذ سنوات عشر – الا وفق شروط ضيقة ودقيقة وعسيرة .. ثم حبكت الثغرات المقصودة في ذلك القرار ، حتى أصبح جداراً محكماً لا ثغرة فيه ولا ثقوب .. وحتى اصبحت الكفالات النقدية ، او المصرفية ، او العقارية ، او ما أشبه الوسيلة الوحيدة للسماح لأحد المواطنين بزيارة المغترب مهما كان الدافع والباعث .!

ورغم ان في الهجرة تهديداً بخسارة عدد آخر من المواطنين ، الا انها تظل رابطة تصل المقيمين بالمغتربين ، وجسراً يعبر عليه خيط من الأمل ، ووسيلة لتذكير المغتربين بوطنهم ، وتمكين بعضهم من العودة ، واتصال القدامى بالوافدين الجدد مما يضاعف الشوق ، ويبعث على الحنين ..

واذا منعنا الهجرة منعاً باتاً ، نكون قد قطعنا اوثق الصلات وامتنها مع المغتربين مما يؤدي الى قطع الوشائج معهم ، وانعصام عرى الاتصال بهم .

ان هذا الجسر يجب ان يظل قائماً .. وهذا الخيط يجب ان يظل متصلا .. وحلقات السلسلة يجب أن تبقى متماسكة متشابكة متصلة ..

نحن لا نطلب أن يسمح بالهجرة على نطاق واسع .. وانما نطلب الا تمنع منعاً باتاً ، بل ان يسمح بها على أسس مدروسة ومعدة تكفل استمرارها في نطاق ضيق محدود ..

عودة المغتربين

ذكرنا في الفصول السابقة ، المقترحات التي تمكننا من المحافظة على عروبة المغتربين ،وبقائها حية نقية ..

ولكن هذا المسعى يجب الا يصرفنا عن التفكير بالعمل الجدي لإعادة المغتربـين ، او ابنائهم ، الى وطنهم الأول ، او اعادة اكبر عدد ممكن منهم ـ مهما اقتضانا ذلك من جهد ومثابرة وتضحيات ..

وإذا أهملنا فكرة إعادة المغتربين إلى ديارهم الاولى ، واغفلناها ، فإننا سنتيح لعامل الزمن أن يتغلب في النهاية على كل مجهود ، ولا تستطيع الجهود مهما كانت متواصلة وفعالة ان تتغلب على هذا العامل ، فتوقفه ، او تنحرف به عن جادته وسننه .

اذا بقي المغتربون ، في مغتربهم ، فهم صائرون ، حتماً وحكماً ، الى الذوبان في تيارات البلاد القومية ، والانصهار في بوتقتها السياسية والعنصرية والتاريخية ، وهـذا شيء بدهي ومعقول .. لأن عامل الزمن أقوى من كل العوامل . وأشد اثراً وتأثيراً .

ونحن حينما نطالب بتركيز الجهود لإبقاء اللغة العربية حيـة في المهجر ، فإنما نبغي من وراء ذلك الاستفادة آنياً من امكانيات المغتربين . العقلية والروحية ، وإفادتهم بإمكانياتنا السياسية ، ومركزنا الدولي ـ حتى نستطيع استعادتهم ، او تتاح لنا الفرص المواتية لاستعادة القسم الاكبر منهم .. ويجب ان نضع لذلك برنامجاً ، ونرسم خطة نعمل على تنفيذها بكل إصرار وحزم . وثمة عوائق كثيرة،وصعوبات جمة،ولكن العمل والجد من جانبنا،والتضحية والغيرة من جانبهم ، ستكفل لنا تحقيق الغاية ، والوصول إلى الهدف .

ان الناحية المادية في طليعة العوائق ، وهي ذات اهمية كبرى لا نستطيـع الإقلال من شأنها ، والاستهانة بها .

لقد كان الدولار في الارجنتين يساوي اربعة ريالات سنة ١٩٤٨ ، وتدنى النقد في تلك البلاد الى حد مخيف .. وارتفع الدولار ارتفاعاً فاحشاً حتى اصبح الآن يساوي ١٤٠ ريالا ومعنى هذا ان المغترب الذي كان يملك في ذلك الوقت ما يعادل الف دولار ، اصبح ما يملكه الآن لا يعادل الا ثلاثين دولاراً ! اي انه اذا حاول العودة الى بلاده فلا بـد له من استبدال الريالات التي يملكها بدولارات امريكية ، وحينئذ يخسر خمسة وتسعـين بالمائـة من رأسماله .

هنا تكمن المشكلة

قال لي أحد المثرين . ان ثروتي تبلغ الآن ما يقرب من عشرة ملايين ريال ارجنتيني . ومنذ عشرة أعوام كانت تعادل سبعة ملايين ليرة سورية واما الآن فإنها لا تعادل الاحوالي ربع مليون ليرة سورية .. فتأمل ! وقد جمعت هذه الملايين بالتعب والسهر وعرق الجبين- فكيف أستطيع التخلي عنها ، والتفريط بها ؟

هذا وان كلمة « مليونير » كلمة براقة مشرقة ، يسيل لها اللعاب ، وتدغدغ الاحلام العذاب .

اجل .. هنا تكمن المشكلة ...

وهذا هو السبب الرئيسي الذي يحول بين عدد ضخم من المغتربين ، وعودتهم إلى الوطن الام .. واذا كان القسم الاكبر منهم يحن الى العودة ، ويتحرق شوقاً اليها ، فإن هبوط النقد في المهاجر الامريكية - الذي وصل الى حد التفاهة - يعترض طريقهم ، ويقف سداً منيعاً في سبيل تحقيق أهدافهم ورغباتهم .

وهبوط النقد في البرازيل (١) يضاهي هبوطه في الارجنتين بل يفوقه .

واما النقد في تشيلي فقد انحدر الى أبعد من هذا المدى بكثير . وفي هذه البلدان الثلاثة يحتشد اكثر من نصف المغتربين في امريكا كلها - اذ ان فيها ما يقرب من مليونين ، من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين ..

وما يزال النقد محافظاً على وضعه في فنزويلا واورغواي وغيرهما ، ومتأرجحاً في كولمبيا والمكسيك ، ومنهاراً في بعض الجمهوريات الاخرى ..

ويمكن للدولة أن تضع علاجاً لهذه المأساة ، التي تحول دون عودة قسم كبير من اخواننا المغتربين الى الوطن الام .. وذلك بأن تسمح للراغبين بالعودة نهائياً ان يشتروا بأموالهم بضائع وحاجيات تعفيها الدولة هنا من الرسوم الجمركيـــة ، ومن سائر الرسوم الاخرى .. ثم تعفيهم خلال خمس سنوات من جميع الضرائب على الأعمـــال التي يقومون بهـــا - من

---

(١) كان الدولار في البرازيل سنة ١٩٤٨ يساوي خمسة وعشرين كروزيرو - أي ليرتين برازيليتين وربعاً - فقد أصبح الآن يساوي ١٤٢٠ الف وأربعمائة وعشرين كروزيرو أي ١٤٢ ليرة برازيلية .

زراعية ، او صناعية ، او تجارية . . وهذه هي التسهيلات المشجعة للمغتربين على العودة الى وطنهم .

واذا لم تتحمل الدولة قسماً من الخسارة التي تصيبهم ، فإن من العبث التفكير بإقناعهم بالعودة بشكل جماعي . .

وهذه المقترحات قدمناها للمسؤولين في دمشق حينما رافقنا المغتربين الكريمين السيدين يوسف الرشيد وسلمان رحمون (١) ووافق المسؤولون مبدئياً عليها ، واقتنعوا بصوابها ، ووجوب دراستها . ولكن قراراً لم يصدر بشأنها بعد (٢) .

ويوجد فنيون ، ومثقفون ، وذوو اختصاص وأعمال حرة ، بين ابناء المغتربين . ويجب ان تتعهد الدولة هؤلاء جميعاً بالعناية والرعاية . . وتكفل لهم ضمان مستقبلهم ، وتوفير الاجواء الملائمة لكل منهم ــ سواء في دوائرها الرسمية ، او في مختلف المجالات . .

ان الامر اهم كثيراً مما يتصور القارىء الكريم ، ويخيل اليه . . ان مستقبل ومصير ملايين من أبناء العروبة يتوقف عليه .

ان الوكالة الصهيونية تبث دعاتها في سائر انحاء الدنيا لاقناع اليهود بالمجيء الى فلسطين رغم اختلاف قومياتهم وجنسياتهم ولغاتهم . . ورغم ان الذي يبقى منهم في الخارج يبقى يهودياً بمشاعره وعواطفه ، وصلاته المادية والروحية . وتبذل اسرائيل جهوداً مضنية مستميتة لاستجلاب اكبر عدد من اليهود اليها . . وهي في سبيل ذلك تقترض ، وتنصب ، وتستجدي ــ حتى تستطيع حشدهم على العدوان ، وتكتنزهم طاقة بشرية ضدنا . !

---

(١) لقد كانت أحاديث السيدين يوسف الرشيد وسلمان رحمون في زيارتهما الخيرة للوطن ، والمسؤولين فيه ، تنصب كلها حول مساعدة المغتربين على العودة ، وتسهيل مهامهم ، والأخذ بناصرهم . وكانت الحجج التي يدليان بها حول وجهات نظرهما جد مقنعة ، وباعثة على الحماسة والتشجيع . لقد كانت زيارتهما للوطن ذات فوائد كبرى . والسيدان يوسف الرشيد وسلمان رحمون من أبرز وجهاء الجالية وأكثر اعضائها وطنية وحماسة واخلاصا .

(٢) بعد صدور القرارات الأخيرة المتعلقة بتنظيم الاقتصاد ، صرح أحد المسؤولين أن الحكومة تهيء مشروع قانون يسهل للمغتربين نقل رؤوس أموالهم ، ويعفيهم من كثير من الالتزامات التي يخضع لها المقيمون ويتقيدون بها . ومعنى ذلك أن السلطات مهتمة جداً بقضايا المغتربين ، وتيسير أعمالهم في الوطن ، وتمكينهم من العودة اليه ، وهم في حل من بعض الالتزامات التي تطبق على المقيمين ولو تبنت الحكومات الاقتراحات السديدة المفيدة التي تقدم عمر أبو ريشة حينما كان وزيراً مفوضاً في البرازيل والأرجنتين ، لكانت وضعت أقوى ركيزة لعمل بناء مثمر . واقتراحات أبي ريشة مستمدة من صميم دراساته الواقعية وتجاربه وخبرته الواسعة . ولكن تلك الاقتراحات السديدة نامت في أدراج المسؤولين او غابت في سلال المهملات مع الأسف !

ونحن أحرى من سائر البشر بالسعي لاستخلاص أبنائنا ، واعادتهم الينا وانقاذهم من الضياع والفقدان . .

ما أحسب ان امرأ يجب ان يشغل بال المسؤولين في البلاد العربية كلها اهم من هذا الامر ولا قضية يجب ان تستحوذ على تفكيرهم اكثر من هذه القضية .

ان الحسرة التي يشعر بها كل عربي يزور البرتغال او اسبانيا ، ويقف في شوارعها وشواطئها ويقول : « هنا كان لنا عمومة وخؤولة ــ وضاعوا !! » سوف يشعر بها ، بعد جيل او جيلين ، اذا قدر له أن يزور الجمهوريات الامريكية جميعاً ، ومعها كندا واوستراليا وكثير من دول افريقيا وآسيا . . وسيردد نفس القول ، بنفس اللوعة والحسرة والحرقة والاسى . ويقول :

« هنا كان لنا أبناء عمومة وخؤولة ــ وضاعوا !! »

ما يزال أمامنا متسع من الوقت للعمل ــ فلنعمل . .

والله مع العاملين المخلصين ــ وهو لا يضيع اجر من احسن عملا .

الأدب العربي في المهجر (١)

طاقة ضخمة اضافت الى خزانة الأدب العربي ثروة جديدة ، والى تاريخه فصلا خالداً وملحمة من اروع الملاحم وارقاها واغناها .

ليس في الادب العربي ، قديمه وحديثه ، اسمى من الادب المهجري ، ولا آنق ، ولا احلى .

وليس في الادب العربي كالادب المهجري : وحدة رسالة ، ووحدة هدف ، ووحدة اتجـاه ...

يمتاز الادب المهجري بروحانيته الصافية في الشمال ، وبوطنيته الصارخة في الجنوب . وبتصويره الانيق الدقيق ، وحسه المرهف المترف ـ في كل من الشمال والجنوب .

لقد نحا ادب « الرابطة القلمية » في الشمال ، منحى انسانياً صافياً ، تجلبب بجلبـاب روحانية سامية صافية .

وكما ان ادب الشمال ، على روحانيته وانسانيته ، لم يهمل الواجب الوطني ، والنزعـة القومية ، فكذلك أدب الجنوب ، على واقعيته وجديته وثوريته ، لم يهمل الناحية الانسانية والروحانية . فالدكتور « جورج قدوم » في اكوادور صنو لميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران ، مع فارق قليل في الاداء والاتجاه .

وكلا الادبين في امريكا الشمالية والجنوبية كان يصدر عن نبعةواحدة ، وعاطفةواحدة وواقع اجتماعي شديد الشبه بواقع الآخر .

---

(١) خير ما كتب عن الأدب المهجرى وربما خير ما يكتب عنه ذلك المؤلف النفيس : « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الأمريكية » للشاعر المبدع جورج صيدح والذي نوهنا عنه في نواح كثيرة من هذا الكتاب . ويجدر بكل من يرغب بالاطلاع على الأدب المهجري ودراسته ان يقتني هذا الكتاب البالغ حد الروعةوالنفاسة كما يجدر بوزارة التربية والتعليم ان تدرسه في مدارسها الثانوية ومعاهدها الادبية العليا .

ويبقى – مع ذلك – لكل من الاديبين طابعه المميز ، ولحمته الخاصة وسداه .

وبالرغم من ان الادباء المهجريين عاشوا في بقاع نائيـــة عن وطنهم ، وفي مجتمع تختلف عاداته وتقاليده عن عادات قومهم ، وتقاليـــد بلادهم ، فانهم بتصورهم وتصويرهم كانوا يتأثرون الى حد بعيد بالموحيات من شعارات امتهم وتراث قوميتهم .

واذا كانت ميزة الأديب على سواه ، انه ذو احساس رقيق ، وعاطفة رقيقـــة ، وان حساسيته تتأثر بأكثر الاشياء دقة ، وتؤثر في اكثر الاشياء صلابة ، فان ميزة الاديب المهجري انه حمل في قلبه لهباً متقداً – من جذوة متقدة . وذهب الى عالم جديد ، ودنيا جديدة ، يجعل من اللهب بركاناً ثائراً ، ونبراساً مشعاً . ويرسل عبر البحار شعاعـــاً من نور فكره ، ونور روحه ، وقبساً من اشعاع قلبه ، واشعاع فؤاده ، فينير امام اخوانه السبل ويزيح من دروبهم العقبات والعثرات ، ويعيش معهم ايام المحن ، واوقات الشدة ، ويحمل عنهم كثيراً من الاعباء والتبعات – كما يقول « بدوي الجبل » :

واحمل عن اخواني العسر هانئاً ويبعدني عنهم اذا ايسروا اليسر

ومرة اخرى .. ليس في تاريخ الادب العربي ، كله ، اسمى من الادب المهجري ، مكانة ولا آنق صورة ، ولا اعظم دلالة ..

* * *

في منزل قليل الحجرات ، وفي حجرة ضيقة الجوانب ، ولد الادب المهجري ، في بيت جبران خليل جبران ، في مدينة نيويورك . وتأسست « الرابطة القلمية » ، اول رابطة ادبية في المهاجر الامريكية جمعاء ، واول مؤسسة ضمت ادباء متجانسين في العقلية والادراك ، واسلوب التعبير .

وكان انشاء « الرابطة القلمية » – سنة ١٩٢٠ – باكورة لعمـــل خصب ، وانتـــاج غني غزير .

وهذا لا يعني ان الادب المهجري حين ولادته قد ولد عملاقاً ضخماً .. بل انه ولد طفلا اخذ يحبو على قوائمه الأربع حتى اوتي القوة وقدر له ان ينتصب على قدميـــه ، وان يشمخ برأسه عالياً ، حتى وصل به الى السماكين ، وتجاوز الكثيرين من السابقـــين ، ورسم الطريق واضحة المعالم والمسالك للاحقين .

وكان « جبران خليل جبران » و « ميخائيل نعيمة » و « الحدادان » – ندرة وعبد المسيح – و « ايليا ابو ماضي » ، و « نسيب عريضة » ، و « رشيد ايوب » ، القاعدة

الاساسية التي قام عليها بناء « الرابطة القلمية » ، والجدار القوي المحكم الذي استند اليها ..

وانضم اليهم « وليم كاتسفليس » ، و « وديع باحوط » و « الياس عطاالله ، واصبحوا اعضاء عاملين في تلك الرابطة التي كان قطب رحاها جبران خليل جبران .

واما امين الريحاني فلم يساهم بها . لانه كان مستقلا بآرائه وافكاره . ولانه كان دائب التنقل ، كثير الاسفار .

كما لم ينضم اليها : اديب كبير هو حبيب كاتبة ، وشاعر كبير هو مسعود سماحة وصحفي كبير هو نعوم مكرزل .

وكتب ميخائيل نعيمة مقدمة لدستور الرابطة ، القى ضوءاً مشعاً على جوهره وغايته ، وحقيقة هدفه ورسالته . وعرّف بها رسالة الادب والاديب خير تعريف ، واجمله ، واكمله ، قال :

« ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس ادباً . ولا كل من حرر مقالا او نظم قصيدة موزونة بالأديب . فالأدب الذي نعتبره هو الأدب ، ذاك الذي يستمد غذاءه من تربةالحياة ونورها وهوائها . والاديب الذي نكرمه هو الذي خص برقة الحس ، ودقة الفكر ، وبعد النظر ، في تموجات الحياة وتقلباتها ، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير » .

وجاء في دستور الرابطة :

« ان غاية « الرابطة » هو بث روح نشيطة في جسم الادب العربي ، وانتشاله من وهدة الخمول والتقاليد » .

ان دستور الرابطة ، والمقدمة التي وضعت له ، يعطي صورة كاملة عن غايتها وهدفها . ويصور واقعها وحقيقتها ، والدافع الاساسي لانشائها وتكوينها . وهو عمـــل ادبي بحت . يرمي الى رفع مستوى الادب والسمو به ، واحلاله في المكان الذي يليق به ، كأدب عالمي وانساني ، وكأدب خالد حي .

ورسم « جبران » شعاراً لها بريشته النفاذة الناعمـــة ، وبتصويره الرائـــع المبدع ، جاء فيه :

« لله كنوز تحت العرش ، مفاتيحها ألسنة الشعراء » .

من حق كل شاعر ان يدل على الدنيا كلها بهذا التعريف .. بهذه الكلمة الخالدة ينقشها جبران في جبين الافق ، وفي صفحة السماء .

ومن حق كل شاعر بعد هذا القول الخالد ، من صاحب كتاب النبي ، ان يمد يراعته ،

فيستجيب له صاحب العرش ، ويفتح امامه ملكوت السموات .

قدوس ، قدوس .

* * *

وكان للرابطة القلمية وسائل كثيرة لنشر انتاجها الضخم وتعميمه على المغتربين .

كان لها صحف عديدة تتولى تحريرها اقلام ثرة شابة ، وافكار عميقة واسعة خيرة .

وكما قلنا .. كان يتلاقى اعضاؤها بالهدف والوسيلة ، بالتصور والتصوير ، والتفكير والتعبير ، بالاسلوب والمعنى ، والفكرة والاداء .

يقول جبران خليل جبران وكان يؤمن بتناسخ الارواح ايماناً ثابتاً عميقاً (١) .

« وقريباً ترونني ، لان امرأة اخرى ستلدني » .

ويقول ميخائيل نعيمة :

ان لم يكفكم عمر واحد ولن يكفيكم عمر واحد فأمامكم اعمار بعدها اعمار .

وان اختلف معهما أبو ماضي اول الامر حيث قال :

غلط القائـــل إنا خالدون	كلنا بعد الردى هيٌّ بن بيّ
ليست الروح سوى هذا الجسد	معه جاءت ، ومعه ترجع
لم تكن موجودة قبل وجد	ولهذا حين يمضي تتبع
فمن الزور الموشى والفند	قولنا الارواح ليست تصرع
تابث الافياء ما دامت غصون	فاذا ما ذهبت لم يبق في

فقد رجع عن رأيه هذا ، وتبنى رأياً آخر يقترب من رأي صاحبيه وزميليه ــ «نعيمة» و « جبران » .

انا سنبقى بعد ان يمضي الورى	ويزول هذا العالم المنظور
فإذا طوتنا الارض عن ازهارها	وخلا الدجى منا وفيه بدور
فسترجعين خميلة معطارة	انا في ذراها بلبل مسحور
او ترجعين فراشة خطارة	انا في جناحها الضحى الموشور

الا ان الشاعر ابا ماضي يظل نهب الوساوس والشكوك ، ويظل رأيه متأرجحاً بين الشك والقناعة والظن واليقين .

حامت على روحي الشكوك كأنها	وكأنهن فراشة وصقور

---

(١) راجع كتاب ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية للاستاذ جورج صيدح .

يا ليل : اين النور ؟ اني تائه مر ينبثق . ام ليس عندك نور ؟

كلام جبران ونعيمة كلام فيلسوف .

وكلام ايليا ابي ماضي كلام شاعر .

والفلسفة والشاعرية قليلا ما تتفقان وتتوافقان .. رغم ان كلتيهما تصدران عن البصيرة وتنبعان من اعماق الفكر ..

ولكن لكل منهما اسلوبها ، والمؤدى ، والمحتوى .

وحتى بعد ان تقمص العلم بالفلسفة ، وتقمصت الفلسفة بالعلم في كثير من المجالات ، واصبحت رائده ، ووسيلته ، وسبيله الى استكناه المجهول ، يظل العلم واقعياً بحتاً . وتظل الفلسفة تخميناً وظناً ..

وتظل الشاعرية تصوراً وتصويراً ، وفضاء رحباً يصل المجهول بالمعلوم ، والفلسفة بالعلم ، والخيال بالحقيقة .

وكتاب « الرابطة القلمية » وشعراؤها ، وان اختلفت مناهج تعبيرهم ، ووسائل ادائهم وتصويرهم ، فان الجميع ينهلون من نبعة واحدة ، ويصدرون عن فكرة واحدة .

يقول جورج صيدح في اروع ما كتب عن ادب المهجر ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية يقول :

(في ادب الرابطين على العموم معان حنونة ، لم تلد المحبة الانسانية ارق منها) :

ويستشهد على ذلك بقول ندرة حداد :

انا انسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك

واذا اخطأت نحوي فأنا اطلب صفحك

وقد ورد هذا المعنى في شعر القروي بأبلغ تعبير واروع تصوير :

كم صاحب حرصاً على وده طلبت ان يغفر لي ذنبه

وقد سبق الشاعرين المهجريين الى هذا المعنى شاعر اندلسي قديم :

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتخطئون فنأتيكم ونعتذر

ومع ذلك :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل تركت الدار بعد توهم ؟

* * *

بعد ان توفي جبران ، وتوفي رفاقه من بعده ، وعاد ميخائيل نعيمة الى لبنان ، سكتت

اقلام الرابطة ، وصمت البلبل الغريد . وانطوت بانطوائها صفحة مشرقة رائعة ، بعـد ان خلفت لنا تراثاً ضخماً . كان منه الجداول لايليا ابي ماضي ، والغربال لميخائيل نعيمـة ، والعواصف لجبران خليل جبران ، واوراق الخريف لندرة حداد ، واغاني الدرويش لرشيد ايوب ، وحكايات المهجر لعبد المسيح حداد ، ومقالات نفيسة رائعة ، وقصائـد خالدة مبدعة ، من هنا وهناك ..

ادباء الشمال من كانوا داخل نطاق الرابطة القلمية ، ومن كانوا خارجها :

الكتاب : امين الريحاني ، جبران خلّيل جبران ، ميخائيل نعيمة ، عبد المسيح حداد ، وليم كاتسفليس ، الدكتور فؤاد شطارة ، حبيب ابراهيم كاتبة ، وديع باحوط ، عبـد الله بري ، يوسف الخال ، فرح انطون .

الشعراء : ايليا ابو ماضي ، نسيب عريضة ، ندرة حداد ، رشيد ايوب ، مسعود سماحة نعمة الله الحاج ، اسعد رستم ، جميل المعلوف ، الدكتور رزق حداد ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، سعيد جبران .

وادباء وشعراء آخرون لا تحضرنا اسماؤهم ..

* * *

اما ادباء الجنوب فان كثرتهم الكاثرة : عدداً ، وبلاغة ، وانتاجاً ، هي في البرازيـل وحدها ، وفي سان باولو قبل سواها .

وكان الادب المهجري في نهاية القرن السابق ضعيفاً ضئيلا خاملا . ليس فيـه جذوة من عبقريـة ، ولا قبس من نبوغ ، ولا دلالة تشير الى الخلود والحيـاة ، او تبعث على الاعتزاز والزهو .

وقفز هذا الادب من زاوية الاهمال ، والركاكة ، والاتجار ، الى زاوية اخرى تعهدها المعلم نعمة يافث الذي كان يختزن في صدره معارف واسعة من العلوم اللغوية والرياضية ، ويحمل شهادة جامعية تشير الى طريق طويل سلكه في طلب المعرفة والعلم ، وكان عميـد الاسرة التي تزعمت الجالية العربية ، عن جدارة واستحقاق .

وازداد رصيد الادب قوة ومكانة ، بوصول مغتربين جدد ، حافظوا على كرامة الادب وسموا بمكانته ومنزلته ، وهم :

الدكتور «سعيد ابوجمرة» ، و « نعوم لبكي » ، و « ميشال معلوف » ، و « رزق الله حداد » و « نجيب طراد » ، وسواهم .

وسعى هؤلاء الأدباء بتوجيه عميدهم ورائدهم المعلم «نعمه يافث» الى تأسيس ندوة أدبية اطلقوا عليها اسم « رواق المعري » تيمّناً بالشاعر الكبير « أبي العلاء المعري » .

وظلت هذه الندوة تتابع رسالتها ، وتتيح لأعضائها الاجتماع واللقيـا ، وتخلق لهم المناسبات للانتاج والابداع .

وزحفت الى المهجر قوافل اخرى من الادباء، كان كثيرون منهم قد تخرجوا من «الجامعة الاميركية » ، وقصدوا العالم الجديد على جناح من آمالهم الرحبة ، وامانيهم الواسعة .

وضاقت بهم الندوة الادبية ـ رواق المعري ـ كما ضاقت وسائلها الانتاجية بما يختزن في صدورهم من براكين الحماسة الوطنية ، والتأهب للنضال الفكري والعملي . وكان اندلاع الحرب العالمية الاولى ، ايذاناً بتوقف «الرواق» عن متابعة مهمته ، بعـد أن ضاق عن استيعاب الثورة الجارفة في نفوس اعضائه المتحمسين ، الذين وصلت حماستهم الى ذروة الاتقاد والاشتعال .

وفي سنة ١٩٢٢ اسس الادباء الجامعيون في سان باولو ـ خريجو الجامعة الاميركية في بيروت ـ جمعية اسموها : « جمعية الخريجين » . وكان لها نشاط ملحوظ ومشكور في تعليم المحرومين وامدادهم بالوسائل التي تمكنهم من تحصيل العلم ، وارتياد مناهله ، ومنابعه . وكانوا يعتمدون على القاء المحاضرات لتعميم الفائدة ، وتوسيع مجالاتها . ولهذه الغاية دعوا الدكتور «فيليب حتي» مرتين لالقاء محاضرات على المغتربين .

وما يزال هذا النادي يواصل نشاطه الفكري ، ورسالته الاجتماعية على نطاق واسع ومشرّف .

وحينما اسس «موسى كريم» مجلته « الشرق » سنة ١٩٢٧ كانت ردهتهـا نادياً لأدباء المغتربين . مثلما كانت صحائفها ـ وما تزال ـ وقفاً على انتاجهم الأدبي ، ومجالا رحباً لأقلامهم وافكارهم (١) .

وحتى ذلك التاريخ ، وبعده ببضع سنوات ، كان اكثر الانتاج الادبي وقفاً عـلى المناسبات العامة والخاصة ، لا يتعداها الا في امور عادية ومحدودة .

---

(١) ما تزال مجلة الشرق حتى الآن كبرى المجلات العربية في المهجر ، ومن ارقى المجلات العالمية . وقد حازت على جائزة بروكسل الاولى بين مئات المجلات العالمية الراقية . كما ان صاحبها الاستاذ موسى كريم قد انتخب نقيباً للصحفيين في ولاية سان باولو الشهيرة . والاستاذ كريم جذوة من النشاط الدائم ، والحماس المتقد ، والعقيدة الثابتة ،

وكانت تلك المناسبات عاملا قويا في شحذ قرائح الشعراء ، وانطلاق يراعات الكتاب، وايجاد جو مفعم بالحيوية والانتاج المتعدد الألوان .

ورغم اختلاف الأمزجة السياسية والشخصية ، ورغم تباين الآراء والاتجاهات والعقائد والميول ، فقد وحّدت فكرة الادب ، ومبدؤه ، ورسالته ، بين الشعراء والكتاب ، وآخت بينهم جميعاً وخلقت منهم اسرة واحدة ، وقوة منتجة مبدعة . وكأن الشاعر قد عناهم بقوله:

ان يختلف نسب يؤلف بيننا   أدب اقمناه مقام الوالد

ولما شعر الادباء ، في سان باولو ، ان في مقدورهم الاستقلال في رابطة تجمع شملهم ، وتكون منطلقاً لهم ، اجتمعوا في بيت « ميشال معلوف » وأسسوا « العصبة الاندلسية » برئاسته . وما لبثوا ان اصدروا مجلة ادبية تحمل نفس الاسم ، وتقف صفحاتها الأنيقة على انتاج المغتربين ـ من منتسبين الى العصبة وغير منتسبين . وما لبثت هذه المجلة حتى احتلت الصدارة بين المجلات الأدبية في الوطن والمهجر .

واستمرت « العصبة الاندلسية » عشرين عاماً تتابع اصدار مجلتها الراقية بانتظام ودقة ، وبنفس المستوى الرفيع ـ الأمر الذي لم يتيسر للرابطة القلمية في الشمال ، ولم يتسن لها .

واستمر « ميشال معلوف » رئيساً للعصبة ، ست سنوات كاملة ، الى أن وافته المنية ، فانتخب « الشاعر القروي » رئيساً لها . ثم خلفه الشاعر « شفيق معلوف » حيث ما يزال رئيسها الى الآن .

وظل «شفيق معلوف» ينفق على مجلته «العصبة» ، وبعد وفاة خاله « ميشال معلوف » الى ان توارت سنة ١٩٥٢ وخلفت فراغاً كبيراً لا يملؤه سواها .

وكان «نظير زيتون» أمين سر « العصبة» ، و « حبيب مسعود » رئيس تحرير مجلتها ، طيلة تلك المدة بدون انقطاع .

وقد وضعوا للعصبة مبادىء وهي :

«تعزيز الأدب العربي . تآخي الادباء . رفع مستوى العقلية العربية . مكافحة التعصب. نقض التقاليد التي تتنافى مع روح العصر » .

وكتب «رئيس العصبة » الحالي ، « شفيق معلوف » ، معرفاً بها ، وبمهمتها ، وملقيــاً الاضواء على منهجها ، وغايتها ورسالتها .

« لم يحفظوا لها نهجاً معلوماً في الادب . لان اركانها اجمعوا على النضال في سبيل الادب من حيث هو فن وجمال ، دون ما نظر الى اطار او مصدر . فلا اعتراف من معين ينبوع منشود . ولا تمسك من فروع الشعر محدد . ومن اميز ما اتسم به ادب « العصبة » ، وشعر

شعرائها انهم ترسموا اساليب الفصحى ، وتقيدوا بأحكامها ما وجدوا الى ذلك سبيلا . كما انهم جلوا في مضمار التجديد صامدين بادبهم دون فوضى التجديد » .

وقال في مكان آخر :

« لولا ان الادب معشش في اعراق الشعراء والكتاب المغتربين ، لما طلعوا على الفن باثر، ولا سنحوا على الفكر ببارقة ، حيث لا مجال الا لجولان الارقام في الرؤوس ، ودوران الرغيف امام الابصار ، وتدوين الحديد في المسامع » .

وتطرق الاستاذ « حبيب مسعود » ، رئيس تحرير مجلة « العصبة الاندلسية » الى ذكر السبب الذي حدا بـ « العصبويين » الى تسمية «عصبتهم» بـ «الاندلسية» ، فقال :

ان التيّمن بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الاندلس . والاشارة الى الابتعاد عن التطرف الذي اتسمت به «الرابطة القلمية» في الشمال ، مع ان الشبه بعيد جداً بين الاندلس القديمة والجديدة . فالعرب دخلوا الاندلس فاتحين . ونشروا هيبتهم ، وحموا بسيوفهم مؤسساتهم ولغتهم . فدرج الادب والعلم في ظلال اعلامهم ، وزها الشعر في خمائل مجدهم. أما نحن فقد دخلنا ارض «كولومبس» مسترزقين : طالبين عطفاً ، وسائلين عدلا . فلايبرر تسمية بيئتنا بالاندلس الا اعتبارنا نشر الادب العربي في البلدالغريب ، وفي الاميين من قومنا، هو فتح مبين . وان الانصراف الى الادب هو نوع من الاستشهاد »

« فليس الفضل في ان تصون لغتك ، وانت قابع في دارك . بين عشيرتك ، كالفضل في ان تصونها وتحضنها ، وتشقى من اجلها في بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرقاً . ومتى اندرس هذا الجيل تندرس معه الجالية المغتربة كهيئة اجتماعية . ويصبح تفكيرها محصوراً في سلعة ، ويغدو شعورها منوطاً بآلة . فتدرك عندئذ مقدار النكبة يوم لا تسمع رنة لقافية عربية ، وتطلب الادب العربي فلا تجد له معلماً »

وقيام «العصبة الاندلسية» في البرازيل ، كان حافزاً قوياً للأدباء والشعراء ، على الكتابة المتواصلة ، والانتاج المستمر .

وقد ساعدت مجلة «العصبة» في ذلك مساعدة كبرى اذ كانت تصدر عدداً كل شهر ، وهو طافح بالبحوث الاجتماعية ، والكلمات الادبية ، والقصائد الرائعة المبدعة . واستمرت في صدورها عشرين سنة كاملة ، حفظت في مجلداتها العشرين ثروة ضخمة اضيفت الى خزانة الادب العربي ، فزادته غنى ، واضافت اليه موسوعة كبيرة خالدة .

ولم تكن صحائف «العصبه» وقفاً على اعضاء «العصبة» ، وحدهم ، فقد كان خارج «العصبة» ادباء كثيرون لم ينتموا اليها ، ولكن اكثرهم كانوا ينشرون انتاجهم فيهـا ؛

ويغذونها بافكارهم القيمة ، وكتاباتهم النفيسة .

اما الادباء الذين لم ينضموا الى «العصبة» فهم :

فارس الدبغي ، سعيد اليازجي ، ميشال مغربي، الدكتور فضلو حيدر ، جوزيف ابراهيم الخوري ، فايز السمعاني ، موسى كريم ، ناصر شاتيلا ، داود شكور ، سعيد ابو جمره ، سليم نادر ، . رشيد عطيه ، جورج مسرة ، راجي باسيل ، فيليب لطف الله ، مريانا فاخوري مدحة غراب ، وهيب عوده ، انجال عون شليطا ، موسى حداد ، سعيد البابا ، اسد موسى، توفيق بربر .

وادباء آخرون لا تحضرنا اسماؤهم الآن .

وانسحب من «العصبة» لاسباب شخصية : الياس فرحات ، ونعمه قازان ، وتوفيق قربان . وظلت صلاتهم بأعضائها ، وبمجلتها ، قوية متينة .

وأما الادباء الذين ثابروا على تمسكهم بـ «العصبة» ، وتشبثهم بعضويتها فهم :

ميشال معلوف ، وفوزي معلوف ، وشفيق معلوف، ورياض معلوف ، والشاعر القروي ونظير زيتون ، وحبيب مسعود ، واسكندر كرباج ، وحسني غراب ، ويوسف البعيني ، ويوسف اسعد غانم ، وعقل الجر ، وشكر الله الجر ، والشاعر المدني - شقيق الشاعر القروي وجورج حسون ،ونصر سمعان ، وميكيل نمر ، وتوفيق ضعون ، وجرجس الخوري كرم ، وجبران سعاده ، وجورج اليان ، وسلمى صائغ ، وانطون سليم سعد ، ونجيب يعقوب ، ونجيب يواكيم الراسي ، وجورج انطون كفوري .

* * *

في مجال المقارنة بين ادباء الشمال وادباء الجنوب ، نجـد ادباء الجنوب اكثر تمسكاً بالديباجة المصقولة ، والعبارة الجميلة ، والجرس القوي .

اما ادباء الشمال فانهم لم يظهروا عنايتهم التامة باللغة ، وتمسكهم بقواعدها وشواردها ، تمسك زملائهم الجنوبيين بها .

ولم يخل هذا التباين من ملاحظات ، عابرة وجدية ، يبديها كلا الفريقين ، حول الفريق الآخر ، في معرض المقارنة والتنافس .

وكان بعض ادباء الشمال ، يعيبون على اخوانهم في الجنوب ، «محافظتهم» ، وتقيدهم الالزامي بقواعد اللغة والعروض ؛ وينعتونهم بالجمود وحب التقليد . مما حـدا بالشاعر «المدني» الى ان يزفر زفرة غضب حرى ، تنزت بها نفسه الهادئة ، وخرج بها على طبعـه السليم ، واتزانه ورصانته .

انا لمن عصبة ان اشرعت قلماً ... يشتف سر الدجى من شقة ألق
تعيش اقلامنا منا فليس لنا ... بالمدح والهجو باب منه نرتزق
من زارنا زار منا روضة أنفاً ... وعاد ينضح من أثوابه العبق
ان الألى فاتهم فخر اللحاق بنا ... قد فاتهم قبلنا في الحلبة الخلق
لما سبقنا اعدنا الشوط . فالتفتوا ... الى الوراء ، فخالوا انهم سبقوا

ويتصدى للرد ايضاً حبيب مسعود ، رئيس تحرير مجلة العصبة الاندلسية فيقول :

اتهموا اخوان العصبة الاندلسية بالمحافظة على الاساليب القديمة اقول اذا كان المراد من الأساليب القديمة الصيغة اللفظية ، والتقيد بضوابط اللغة ، فليس في ذلك موضع للغمز واللمز اما اذا كان التفكير الجديد يقتضي اسلوباً جديداً ، والاسلوب الجديد يقتضي خروجاً من اللغة ، وبلبلة في التركيب، ورطانة في التعبير ، فلست مبرئاً اخواني من التهمة ، بل اعلن على رؤوس الأشهاد انهم محافظون اكثر من تشرشل واعوانه .

ومما لا شك به ، ولا ريب ، ان قيام العصبة الاندلسية في البرازيل كان فتحاً جديداً ، وباعثاً على الانتاج الثر ، والالهام المبدع ، وكان وسيلة لتلاقي الادباء في ندوات وحفلات، وفي شتى الاجتماعات والمناسبات ، ونشر آثارهم في مجلة كانت من أرقى المجلات العربية ، في الوطن والمهجر ، طباعة ومحتوى .

* * *

لا نستطيع ان نضع الادباء في الارجنتين ، بمصاف زملائهم في الولايات المتحدة الامريكية ، والبرازيل .

اذ لم ينبغ في الارجنتين امثال نعيمة وجبران والريحاني ونسيب عريضة وايليا ابي ماضي ‌شاعر القروي والياس فرحات وشفيق معلوف ونظير زيتون وو . الخ

ورغم انه وجد في الارجنتين اعلام في الأدب ، واعلام في الشعر ،فقد ظل بينهم وبين عضاء الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية مسافة غير قصيرة ، وفارق غير قليل .

ولو قدر لهم ان يجتمع شملهم ، وينتظم صفهم ، وينضووا تحت لواء مؤسسة أدبية ، العصبة والرابطة ، لكان انتاجهم اوفر واكثر واغزر . ولكان محتواه اسمى واغنى ..لان سيلة الخيرة الكريمة ، تعزز من قيمة الأدب ، وترفع من مستواه .

ومع هذا فاننا لا نريد التقليل من قيمة الأدب العربي في الأرجنتين ، ولا ان نعطي صورة لحة عنه ، فقد نشأ في تلك البلاد ادب عربي خصب ، تعهده ادباء كبار موهوبون ،واذا لا نضعه في مستوى ادب الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية ، فان مركزه ضخم ،

ومكانته سامية ، ورسالته مثلى .

ولقد عمل الشاعر « جورج صيدح » على انشاء رابطة ادبية ، في بونس ايرس عاصمة الارجنتين ، على غرار زميلتيها في نيويورك وسان باولو ، وكان يجتمع الادباء كل يوم اربعاء ، على مائدته السخية ، يتباحثون ويتباسطون ويتساجلون ،ويسعون لبناء قاعدة ثابتة لتآخيهم وتلاقيهم ، وتعاونهم في سبيل رفع شأن الأدب ، وتعزيز مكانته .

وقدر لي ان احضر عدة اجتماعات لتلك «الرابطة الادبية» وان اشترك مع اعضائها في مسامراتهم ومناقشاتهم ، واقتراحهم الحلول العملية المثمرة .

وعاشت الرابطة الادبية سنتين ، وكان مقدراً لها ان تبقى ، وان تستمر ، لولا عودة الاستاذ صيدح رائدها وعميدها الى الوطن الامر الذي عجل بالقضاء عليها ، ووأد فكرتها وهي ما تزال طفلة تحبو وامامها ميدان واسع ومجال فسيح رحب

ويوم اغلقت الرابطة ابوابها ، واوصدت محرابها ، زفر الشاعر زكي قنصل زفرة حرى وقال مودعاً حزيناً :

سألتك ايها القصر المنيف	أيبقى بعدك السمر اللطيف
ستذكر عهدك الزاهي نفوس	وتبكي ظلك الضافي ضيوف
بروحي اربعاءك كم اطلت	علينا من روائعها طيوف (١)
غداً يسعى اليك بنا حنين	فيوصد دوننا باب عنيف
فمن نأوي اليه وقد تخلى	عن الادباء شاعرك الظريف

ولم تقتصر دعوة الشاعر جورج صيدح ، مؤسس تلك الرابطة ، على الاعضاء المنتمين وحدهم ، وانما كان يدعى اليها كل اديب زائراو كل اديب يرغب ان يجتمع باخوانه الادباء

وان انس فلا انسى تلك الجلسات اللطيفة التي كانت لنا مع اولئك الادباء ، ولا تلك الأحاديث القيمة والروح الادبي الرفيع الذي كان يهيمن علينا جميعاً ، وينقلنا على اجنحة رحبة من المثالية السامية ، الى عالم لا تطاله ألسنة الواشين والمغرضين والحاقدين .

ومن البناة الاول للنهضة الادبية في الارجنتين المرحوم الامير امين ارسلان ، والعلامة

---

(١) يذكرني هذا المعنى ببيتين للمرحوم اسماعيل صبري وكان يجتمع كل يوم ثلاثاء ببيت الاديبة الكبيرة مي بالقاهرة وقد اضطرته اعمال رسمية وكان محافظ القاهرة الى التغيب عن تلك الندوة الاسبوعية فأرسل الى المجتمعين هذين البيتين :

روحي على بعض دور الحي حائمة	كظامىء الطير تواقا الى الماء
ان لم أمتع بمي ناظري غداً	لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

المصري سيف الدين رحال ، والشاعر جورج عساف ، وآخرون لا مجال لذكرهم جميعاً .

ومن ادباء الارجنتين وشعرائها وصحفيها الاحياء منهم والاموات : يوسف الصارمي ، حسني عبد الملك ، جبران مسوح ، الياس قنصل ، زكي قنصل ، موسى عزيزة ، امين قسطنطين عبد اللطيف الخشن ، يوسف الغريب ، يوسف العيد ، غانم ياسين ، سليم ابو صالح ، عبد اللطيف ياسين ، محمود عبد الهادي ، الدكتور جورج صوايا ، توفيق شماس ، جواد نادر ، يوسف كمال ، ملاتيوس خوري ، محمد ياسين ، جورج سيف ، خالد اديب ، سعيد بدران، سليم مفرج ، خليل نبوت ، قاسم عبد الله ، علي محمد معروف ، محمد محمود رمضان ، جميل رزق سلوم ، جادورور ، يعقوب غطاس ، خليل نادر ، اولغا وزان ، الياس ريشا ، نديم عبود ، ميخائيل اورفلي ، ميشال حلو ، نعمة النعمة ، روفائيل يافث .

وادباء آخرون – لا تحضرنا اسماؤهم الآن .

* * *

اما الادب العربي في المكسيك ، واكوادور ، وفنزويلا ، وبوليفيا ، واورغواي ، وكوبا وتشيلي ، وبعض الجمهوريات الاخرى ، فلا نستطيع ان نفرد لها بحثاً خاصاً ، ولا ان نضعه في مستوى الأدب في البرازيل ، او الولايات المتحدة ، او الارجنتين – لا من حيث الكمية ولا من حيث الكيفية .

اما عدد الادباء ، في هذه الجمهوريات ، فهو ضئيل ومحدود ، واما انتاجهم فهو اضأل واكثر محدودية .

وهذا لا يعني انه لم ينبغ بينهم نفر يضاهي في نبوغه وعبقريته اعلام الادب في الوطن والمهجر كالفيلسوف الشهير الدكتور جورج قدوم الذي جعل شعار ادبه ودعوته الانسانية في جميع كتبه التي نافت على الخمسين ، بين العربية والاسبانية ، هذه الآية المحكمة :

« رايتي الشمس ، وطني الكون ، ديني الحب ، اسرتي البشر » .

وهو القائل حينما زلزل بيته في اكوادور وتهدم :

دغدغ الزلزال بيتي فانحنى   هكذا نبني بيوتاً للفنا
انني بالحب ابني منزلي   جاعلا من كل قلب مسكنا
فأنـــا من اول في ابد ..   كل شيء زائل الا انا



ومنهم محبوب الخوري الشرتوني المكسيك والسيدة ماري يني عطا الله (١) صاحبة مجلة مينرفا الشهيرة والتي يعود لها الفضل الاكبر بتطور النهضة الادبية في بلاد تشيلي ، وارساء القضية العربية على قواعد مكينة وركائز متينة والاستاذ جميل شوحي الذي انتخب رئيساً لجمعية الكتاب التشيلانيين سنة ١٩٥٢ . وله بضعة عشر مؤلفاً باللغتين : العربية والاسبانية : وآخرون .. لا تحضرنا اسماؤهم الآن .

وهذه اسماء بعض الادباء في تلك البلدان من احياء واموات .

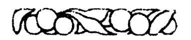
المكسيك : حيث ازدهرت نهضة ادبية رائعـــة لفترة غير قصيرة : محبوب الخوري الشرتوني ، خليل ضاهر ، يوسف صالح الحلو ، فريد سليم ، داود مجاعص ، داود الشرتوني خايل نصر ، الياس ملحم زخريا ، سمعان عويس ، ناصيف الفضل .

تشيلي : السيدة ماري يني عطا الله ، جميـــل شوحا ، توفيق بالش ، جورج حزبون ، نصر الله مسوح ، فهد ابراهيم ، وحيد شاوربه ، جان زلاقط ، جرجس ابو صباح الذي زار الوطن مؤخراً وترك في نفوس من اجتمع اليهم اجمل الاثر واحسن الذكريات .

بوليفيا : جورج كعدي .

اورغواي : ليلى نفاع ، نسيمة نصر ، جبران قطان ، سليمان عقيقي ، ميشال نعمة .

كوبا : شكري بعقليني .



---

(١) لقد أسست هذه السيدة الجليلة والأديبة الكبيرة ندوة ادبية في تشيلي على غرار الرابطة الأدبية في الأرجنتين والعصبة الأندلسية في البرازيل ، ولكنها مع الأسف لم تعمر أي الندوة الأدبية طويلا . وللسيدة ماري الفضل في انشاء جناح عربي في مكتبة سانتياغو عاصمة تشيلي الأهلية وهي من كبار الأديبات العرب انتاجا وابداعا ، ومسعى حثيثا للاصلاح .